الأجزاء ١ - ٤

من المجلد ٣٣



التمدن الاسلامي

مجلة اسلامية علمية ادبية

تصدر بدمشق عنها

جمعية التمدن الاسلامي

المحرم ١٣٨٦ هـ

أيار ١٩٦٦ م



الهجرة (★)

... اشتدّ البلاء في مكّة على المؤمنين ، وازدادت في طريق الاسلام عثرات المشركين ، فأذن رسول الله ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى المدينة ، فخرجوا أرسالاً يتبع بعضهم بعضاً ، ولم يبق إلا الرسول ﷺ وأبو بكر وعليّ رضي الله عنهما ، ومن احتبسه المشركون كرهاً .

انتبه المشركون إلى خطر هذه الهجرة ، وأدركوا أن المدينة ستغدو دار منعة ، وأن الأنصار أهل نصرة وبأس ، فخافوا هجرة الرسول ، وبيّتوا مكراً أجمله التنزيل الحكيم بقوله : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين . » ٨ : ٣١ .

ونجا الرسول ﷺ من محاولة اغتياله وتفريق دمه بين قبائل العرب ، وبلغ الأنصار مقدمه المنتظر ، فكانوا يخرجون كل يوم إلى (الحرّة) يرتقبونه حتى يشتد الحرّ فيرجعوا .

وفي يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول ـ على رأس ثلاث عشرة سنة من نبوته ـ وصل الرسول الكريم إلى المدينة ، كأنه هدية السماء إلى الدنيا كلها ، وهاج الأنصار للقائه ، وتعالى التكبير فرحاً وبشراً ، واستقبلوه بتحية النبوة وإجلالها ، وترحيب القلوب المؤمنة وآمالها .

(★) اجلنا الحلقة الخامسة من تفسير سورة لقمان الى عدد شهر صفر المقبل ان شاء الله اغتناماً لمناسبة الهجرة ومبدأ عام المجلة الثالث والثلاثين .

قال أنس : (شهدته يوم دخل المدينة ، فما رأيت يوماً قط كان أحسن ولا أضوأ من اليوم الذي دخل المدينة علينا . . »

★ ★ ★

وكانت السنة الرابعة عشرة من النبوة السنة الأولى من التاريخ الهجري العظيم ، فقد انطلق الاسلام بعد الهجرة انطلاقاً .

ولقد آخى الرسول بين المهاجرين والأنصار ـ الذين تمهدوا سابقاً بالايواء والنصرة ـ على المواساة والتوارث حتى نُسخ هذا من بعد .

وتتابع تشريع الأحكام حكماً فحكماً للدين ـ والدنيا ـ حتى كمل الدين وتمّت النعمة على المؤمنين .

وأذِن للمسلمين بالجهاد فكانت السَّرايا والغزوات . . ودخل الرسول ﷺ مكة فاتحاً داعياً ومسالماً .

وهدمت الأصنام والأوثان .

وأجلي اليهود بعد صبر ونضال .

وبعث الرسول البعوث ، وكاتب الملوك والأمراء داعياً إلى الاسلام ، وكان من قوله لعظيم الروم هرقل : « أسلم تسلم . . »

واستقبل الوافدين عليه .

وحج حجة الوداع التي بين فيها الحقوق والواجبات ، وأعلن : ان الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه . .

وبعث أسامة بن زيد إلى البلقاء . . .

لقد انطلق الاسلام حقاً بعد الهجرة التي كانت مفتاح أقطارٍ وشعوب وأمم ، عرفت الاسلام العظيم دين الحقائق والمكارم والعدالة والسلام ، وكانت

أساس خطة مجد الاسلام والعرب وتقدم الانسانية الحقة الرشيدة .

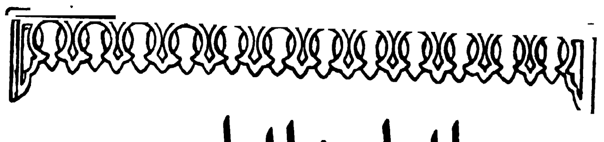
لقد هاجر المسلمون السابقون في سبيل الاسلام ، وتعاونوا وإخوانهم في المدينة في سبيل الاسلام أيضاً ، الاسلام الذي بنى الفرد والمجتمع بناء عميقاً قوياً ، ولم يقنع أو يخدع بالمظاهر والأشكال والطلاء ، لذلك أصبح المسلم الأصيل القوي يولي أحكام دينه اهتمامه واحترامه ، فقد أسكنها بؤرة الشعور - كما يقول علماء النفس - فأثمرت ثمراتها المرجوة في نفسه المطمئنة وفي مجتمعه الفاضل ، وإذا لم تكن مراقبة المؤمن نفسه وسلوكه بالغة هذا المبلغ ، أدت به مغريات الغرائز والبيئة وتقليدها الأعمى إلى أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير يوماً فيوماً ، حتى يضيع صلاحه ، فيفقد استعداده وسلاحه ، بل يفقد شعوره بالحق والفضيلة ، فلا يفرق بين منكر ومعروف ، وربما آثر في غفلته الضلال على الهدى دون أن يشعر ويذكر .

لقد كانت الهجرة ثورة إلهية على الضلال ، ولكنها ثورة بناءة ، لاتقنع بالهدم ولا تبغي الفساد في الأرض ، فقد كانت تقيم المعالم والصوى لتحول دون الوقوع في أسر الضلالات والنزعات والهزيمة والذل ، ولتحدو بالمؤمن أن يسير دائماً إلى الأمام ، فاذا وجه إلى الوراء خداعاً ، ذكر المبدأ الحق فولى وجهه شطره ، ثم سار كرة أخرى إلى الأمام .

ألا فلنذكر الهجرة دائماً ، لنذكر مفتاح النصر على النفس حين تأمر بالسوء ، وعلى العدو حين يحاول الاستعمار الخلقي أو الاقتصادي أو السياسي ...
والله معنا ماذكرنا واستجبنا ، ولن يترنا أعمالنا .

رئيس التحرير

احمد مظهر العظمة



المسلم والمهاجر

عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال :

(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ،

والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)

ـ رواه البخاري وأبو داود والنسائي ـ

يربط الرسول الكريم ﷺ المسلمين بأهدافهم ، ويدلهم على غاياتهم ليكونوا على بينة من سلوكهم ، فيعرّف لهم المسلم ، ويعرّف لهم المهاجر بأهم الثمرات العملية للاسلام ، والمهاجرة .

١ ـ فأسلم في اللغة تدل على الدخول في السَّلَم وهو الاستسلام (لا الحرب) ، وأسلم أمره الله أي سلّمه .

والاسلام على ما تقدم استسلام لأحكام الله تعالى .

والاسلام في الاصطلاح قبول دين الاسلام ، ودليله الظاهري شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ودليله الباطني موافقة القلب اللسان في ذلك .

ودليله العملي العمل بمقتضاه ، يؤيد ذلك قوله ﷺ : بُني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام

الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان) ـ رواه البخاري ومسلم ـ
فالاسلام على هذا التعبير الفني الجميل ، بناء له دعائمه وأركانه التي لا يقوم إلا بها ، والأحكام الأخرى لهذه تبع ، ومن شهد تلك الشهادة حقاً ، وأقام الصلاة صدقاً ، وآتى الزكاة مستحقيها ، حين يكون قادراً عليها ، وحج البيت إذا استطاع إليه سبيلا ، ، وصام رمضان إيماناً واحتساباً ؛ فهو مسلم ، واستجابته لهذه الأركان الخمسة كما ينبغي تدعوه أن يستجيب إلى سواها من فروع الاسلام أو أحكامه الأخرى ، من جهاد وإخلاص ، ورحمة ، وتعاون واستقامة شاملة للواجبات : نحو الله ، والذات ، والمجتمع ، والناس . . .

٢ ــ وهاجر في اللغة تدل على ترك أرض والانتقال إلى أرض أخرى .
والهجرة في الاصطلاح التاريخي الاسلامي : انتقال المسلمين من مكة إلى المدينة ، إقامة لشعائر الاسلام ودعوة له . وكانت هذه حالاً موقتة انتهت بعد فتح المسلمين مكة في العام الثامن من الهجرة ، إذْ أصبحت مكة دار إسلام وإيمان بعد أن كانت دار شرك وأوثان .

٣ ــ وفي الشطر الأول من هذا الحديث الشريف يوجّه الرسول المسلم إلى ناحيتين من أظهر آثار إسلامه ، سلامة لسانه وسلامة يده ، ليبقى إيجابياً فاضلا : صادقاً ، عفيفاً ، واعياً ، اجتماعيا ، أبياً ، مستقيماً ...
ولا شك أن معظم ما يرتكبه الناس من جرائم ومفاسد هو بسببين :

أ ــ أقوال : كالكذب ، والغيبة ، والنميمة ، والسباب ، والتحقير ، والافتراء ، والاعتداء ، وإثارة الفتن ...

ب — أفعال كالسرقة ، والغش ، والقمار ، والرشوة ، والزنا، والقتل، وشهادة الزور ... وشرب الخمور .

بمثل هذه الأقوال والأفعال تهدد سلامة الأفراد والأسر ونواحي المجتمع الدينية والخلقيـــة والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وتوضع الاجتهادات والقوانين التفصيلية للنص على مختلف الحقوق وعلى عقوبات المعتدين عليها ، لاتقاء ما أمكن من شرورهم وعدوانهم .

فالمسلم إذا تكلم قال صدقاً وخيراً ، وإذا فعل ، عمل حقاً وبراً .

٤ — وفي الشطر الثاني من الحديث يوجه الرسول ﷺ المسلم إلى ناحية سلبية تؤيد النـــاحيتين المتقدمتين ، وهي هجر مانهى الله عنه من آثام ومنكرات ، كالتي أشرنا إلى أنها وأمثالها أسباب للمفاسد والجرائم ، شأنه في هجرته الدينية والخلقية كشأنه في هجرته من بلد آذته فتركها إلى بلد تحسن معاملته ويحسن معاملتها ويرجو الخير منهـا .

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى
وفيهـا لمن خاف القِلى مُتحولُ

فشطرا الحديث متساندان ، متضامنان ، يشيران إلى ان الأمور بمقاصدها لا بمظاهرها الخلابة، فلايكفي المسلم أن يفرح بهويته التي تثبت رسمياً إسلامه، لا يكفي أن يقنع بصلاة يركع فيها ويسجد ، دون أن يخشع فيها فينتهي عما نهى الله عنه ، ويستجيب لما أمر الله به ، ولا يكفي أن يقنع بمظاهر أدائه أركان الاسلام الأخرى ، بل ينبغي له أن يتصف بصفات المسلم الحقة ، فيغدو أمراً مثالياً تدل عليه سيرته ومعاملته .

وفي رواية أخرى للحديث : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم) .(١)

وفي حديث شريف : آخر (مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد : إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالحمّى) (٢) .

وفي حديث شريف ثالث : (المؤمنون كرجل واحد : إن اشتكى عينُه اشتكى كله ، وإن اشتكى رأسُه اشتكى كله) (٣) .

★★★

هذا النموذج العالي من الانسانية الراقية الذي يصفه الرسول ﷺ هو الذي يحتاج إليه العالم الاسلامي بل العالم الحائر أجمع في ضلاله وفساده .

قال السير رتشرد لفنجستون في مقدمة كتابه (التربية لعالم حائر) : (أن الوحدة الحقيقيه الوحيدة للعالم هي وحدته الروحية ، وانه مهما عظمت فائدة عبور المحيط الأطلنطي في ثماني ساعات ، فان التعاون الانساني لا يقف على النقل السريع ، بل على المشاركة في المثل العليا ، وسوف يقول عنا أحفادنا إنا كنا نحسّ بما في نظمنا التجارية والصناعية من عيوب ، ولكن قيمنا ومعاييرنا الخلقية ، رغم ذلك ، كانت أشد فوضى وخللاً من نظمنا ، ومع هذا فاننا لم نصنع شيئاً لمداواة تلك الفوضى وذلك الخلل ، وسوف يقـــولون أيضاً إن حضارتنا خلال عهود السلام كانت تثير في النفوس الاعجـــاب والأسى معاً ...) إلى أن قال :

---

(١) فيض القدير : رواه أحمـد في مسنده والترمذي والنسـائي والحاكم وابن حيان الخ ..

(٢) الجامع الصغير : رواه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه .

(٣) رواه الامام مسلم

(إن مشكلتنا الحقيقية لأبعد غوراً من السياسة أو العلوم أو الاقتصاديات ولن نستطيع البتة حلها إذا خلت نفوسنا من مثل روحي أعلى يهدينا الصراط المستقيم) .

إن موجة الاجرام في أوربة وأمريكة الراقيتين مادياً ، لدليل صارخ على ان الحضارة لم تسلم من أذى (اللسان) و (اليد) ومنكراتها العديدة ، إذ لم يسدها الاسلام العظيم الذي قال كتابه الكريم « إنما المؤمنون إخوة » ٤٩ : ١٠ وقال فيه سبحانه : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ٤٩ : ١٣ .

وقال رسوله الكريم : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحبه لنفسه) (١) . وفي ذلك دعم قوي للاخاء والتعاون والتراحم في ظل الايمان الصحيح .

وبين الاسلام في النفع الانساني قريباً مما قال في التعاون الايماني ، قال ﷺ (خير الناس أنفعهم للناس) (٢) وفي هذه النفحة النبوية برهان ساطع على أن الدين الاسلامي دين اجتماعي لا انفرادي منكمش ، ولا إنعزالي متشائم ، والمسلم يرق قلبه ، في موضع التراحم على أخيه المسلم ، وتهفوا مشاعره ، وتسخو يده ... ويلزمه إيمانه الاستماع إلى أنين الانسانية والعمل على دفع ماتعانيه أو تخفيفه ، دون أن يضر بالاخاء أو يوصف بالغباء .

احمد مظهر العظمة

---

(١) فيض القدير : رواه أحمد في مسنده والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه الخ . .

(٢) القضاعي في مسند الشهاب ، والدارقطني .

عروبة فلسطين في كتب اليهود

للاستاذ الشيخ محمد علي الزعبي

ان كتاب التاريخ ومسجلي الحوادث يقفون على اغوار فلسطين وشعافها وموانئها وسهولها ، يقفون ولا سيما بهذا الظرف الذي رأينا به فلسطين (تملأ الدنيا وتشغل الناس) يتجاذبون تاريخها القديم ومؤسسي مدنها ورافعي اسوارها وواضعي بذور زيتونها ، لينفذوا لنتائج يقيمون عليها مايحاولون تأييده .

وقد اتفق هؤلاء - وان تعاورتهم الأهواء والميول - على قاعده كلية استطاعوا صياغتها بعد مقدمات سليمة أثمرت نتائج ملزمة فقالوا :

« ان الديار التي تتكلم العربية الآن عربية منذ قرون لانستطيع تحديدها » وفلسطين جزء من ديار العرب التي تحيط بها ، ذات عروبة تمتد لقرون لايستطيع التاريخ تحديدها ، اما حصر كلمة عرب بسكان شبه الجزيرة فلا يعني إلا الاعتراف بفصاحتهم أكثر من مجاوريهم في العراق والشام .

اذن ففلسطين عربية منذ قرون تستعصي على التحديد ، وعهد اليهود يعرفها عامرة باليبوسيين والحوريين والكنعانيين . . . وسواهم من العشائر العربية التي يصفونها بـ (السامية) ناسين أنها تعود لجذور عربية سبقت

سام بن نوح الذي حدد تاريخ اليهود زيارته بـ ٤٥ وقبل ابراهيم الذي حلها منذ أربعين قرناً وسمح له أهلها بالاستظلال بظل بلوطه وابتاع منهم مغارة المكيافيلية .

اقد غادرها ابراهيم بعد الاستظلال والابتياع تاركا حفيده اسرائيل لايملك بشراً متنقلا وراء منابت العشب ومساقط المياه ، بعد الاستئذان من أحجار الأرض .

ثم غادرها اسرائيل وبعد قرون ثلاثة على الأقل جاء موسى محاولا دخول فلسطين وكأن عشائرها العربية اذ حالت بينه وبين الدخول قالت له :

ان الاستظلال بالبلوطة وابتياع مغارة المكيافيلية ، لايعنيان ملكية فلسطين ! نعم ان الآثار والتاريخ ـ ومنه التاريخ اليهودي نفسه ـ يعرضان فلسطين آهلة بسكانها العرب قبل ابراهيم بل قبل نوح ، وان العهود التي منحها الله ابراهيم ـ على فرض عصمتها ـ قد نفذت بحذافيرها منذ العودة من سبي بابل وفارس وانتهت المواعيد ، بل ان المواعيد ، لم تأت بالوحي الذي دعاه الانجيل والقرآن توراة وعنى بها الاصحاح الخامس من سفر التثنية ولذا ليس ملزما للمسلمين أنفسهم الذي أصبح سوادهم ـ ومنهم كثيرون من الذين يأكلون بملاعق الدين يشاركون العامة باطلاق كلمة توراة على مجموع اسفار العهد القديم ـ !

اذن فقصة مغارة المكيافيلية والمواعيد لاتشكل الزاماً ، اذ كتبها اليهود ولم يعرف بها سواهم ولم تأت بكتب سواهم المقدسة ، فكان قدماء

اليهود كتبوا صكاً ووقعوه وحدهم ولكنه شكل ايجاباً لم يقترن بالقبول فالتحق بالعقود الملغاة .

ثم مات موسى بالصحراء ودخل يشوع مدينة أريحا بيهود مالبث أن نقضها بأمر إلآه اسرائيل وبعد نحو قرن ونصف مثل داود مع اليبوسيين (عرب القدس) مثل قصة المكيافيلية فأخذ بيدهم وأقام محرقة مالبثت ان اصبحت بعهد سليمان هيكلا .

ولم يجد سليمان شبه نعمة الاستقرار الا نحو ثلاثين عاماً بمنطقة لا تمدو والقدس والخليل وبيت لحم يسكنها اليبوسيون والفرزيون من عشائر العرب يشوبهم بعض اليهود ثم مات وماتت مملكته أو أماتهـا على الأصح ـ ولده رحبعام .

وهكذا شرع اليهود يكتبون التاريخ كما يريدون ويسندونه لمجهول ، كما زعموا ان المكابيين كانوا يحاربون في لبنان وحما واسندوا مزاعمهم لمجهول تخيلوه افريقياً ودعوه (جازر) .

الا هاهي ذه شركة العهود وقصة المكيافيلية وحكاية المحرقة التي انقلبت هيكلاً ، ثلاث شوكات شكلت حجراً اختلقه القوم وجعلوه أساساً للزاوية التي حاول ويحاول عميان الغرب ان يركزوا عليها رأي البغي والعدوان ويحيطوها بحزام فولاذي دعوه (البيان الثلاثي) .

هاهي ذه ، لخصناها من نصوص العهد القديم ، فان كان القارىء من الذين يحسنون التمحيص لن يجد مها أطال أحد تمحيصه سوى ماذهبنا له ، وان كان من المقلّدين وفرنا عليه اتعاباً .

اجل ان العهد القديم ينادي بعروبة فلسطين التي سبقت عهد ابراهيم

جد موسى وداود وسليمان وزربابل ،وطالما حدثنا عن عشائرها العرب وعدد اسماء ملوكها العرب امثال زيدشيل وملكوئيل (١) وعدد اسماء قوادها وحماتها العرب امثال القائد العربي قاسم الذي كثيرا مايدعوه العهد القديم جاسماً او جاشماً او جشماً (٢) .

وان الشراذم اليهودية التي عاشت بفلسطين تحت كنف القبائل العربية صاحبة البلد الاولى لم يكن لها عمل إلا التجسس والتآمر واغراء اليونان والرومان والفرس باحتلال فلسطين لتستعين بهم تلك الشراذم على سحق اصحابها العرب ، لا ليحتل اسرائيل أرضهم بل لأنهم ابناء كنعان الذي غضب الله عليه ـ بزعم اليهود ـ وأمر بتدمير نسله .

وان تدمر ومصر ودمشق وعرب الأدوميين الهيكل لايعني الا الاتفاق على سحق رأس الثعبان الذي سمم القريبين والبعيدين بنفثه ومحاولته الاستعانة بقوم من مجاوريه على قوم ليفوز — كعادته قديماً وحديثاً — بأسلاب الجميع .

* * *

الا ان لكل جملة بهذا الفصل مصدراً من العهد القديم ، فمن كان على اطلاع واسع ، ادرك ماعناه !

محمد علي الزعبي
مدرس الجامع الكبير

بيروت :

---

(١) راجع سفر المكابيين الأول الفصل الثامن والثاني عشر

(٢) راجع الفصل الثاني والسادس من سفر نحميا

علم السلف بالشريعة الغراء

بقلم الاستاذ احسان النمر — نابلس

هذه أحكام نقلتها أثناء مطالعاتي لبعض الموسوعات العربية فأحببت أن أفيد منها القراء :

١ — لا نذر في معصية الله تعالى :

ذكر ابن جرير الطبري في تاريخه أن امرأة نذرت أن تنحر ابنها عند الكعبة في أمر إن فعلته، ففعلت ذلك الأمر فرأى عبد الله بن عمر الوفاء بالنذر ورأى عبد الله بن عباس أن تنحر مئة من الابل كما فعل عبد المطلب حين فدى ولده عبد الله، وكان مروان بن الحكم عاملاً على المدينة فبلغه الأمر فخطأ الاثنين وقال لها : « لا نذر في معصية الله. استغفري الله وتوبي إلى الله وتصدقي واعملي ما استطعت من الخير » فسر الناس بذلك وأعجبهم قول مروان ورأوا بأنه قد أصاب الفتيا فلم يزالوا يفتون بألا نذر في معصية الله تعالى.

٢ — سليك بن سلكة يصلح خطأ الحجاج :

جاء في العقد الفريد لابن عبد ربه :

قال العتبي دخل سليك بن سلكة على الحجاج بن يوسف فقال : اصلح الله الأمير اعرني سمعك واغضض عني بصرك واكفف عني حزبك فان سمعت خطأ أو زللاً فدونك والعقوبة : فقال : « قل » فقال : عصى عاصٍ من عرض العشيرة فحلق على اسمي ، وهدمت داري ، وحرمت عطائي : قال : هيهات أما سمعت قول الشاعر :

جانيك من يجني عليك وقد | تعدي الصحاحَ مباركُ الجرب
ولرب مأخوذ بذنب عشيرة(؟) | ونجا المقارف صاحب الذنب

قال : « اصلح الله الأمير ، سمعت الله قال غير هذا » قال : « وما ذاك ؟ » قال : « قالوا ياأيها العزيز ان له أبا شيخاً كبيراً فخذ احدنا مكانه إنا نراك من المحسنين ، قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده ، انا اذاً لظالمون » . فقال الحجاج : عليَّ بيزيد بن ابي مسلم فأتى به فمثل به بين يديه فقال : « افكك لهذا عن اسمه واصكك له بعطائه ، وابن منزله ، ومر منادياً ينادي في الناس : صدق الله ، وكذب الشاعر » .

٣ — « اعجاب عمر بن الخطاب بشريح »

عن الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني : حدث الشعبي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اخذ من رجل فرساً على سوم فحمل عليه رجلا فعطب الفرس ، فقال عمر : « اجعل بيني وبينك رجلاً » فقال له الرجل : « أجعل بيني وبينك شريحاً العراقي » فقال شريح : « يأأمير المؤمنين أخذته سليما على سوم فعليك أن ترده كما اخذته » . قال فأعجبه ماقال وبعث به قاضياً

ثم قال : ماوجدته في كتاب الله فلا تسأل عنه أحداً ، ومالم تستبن في كتاب الله فالزم السنة فان لم يكن في السنة فاجتهد برأيك » .

٤ ـ شقينا ان كنا لانعلم ان الله اعلم » .

سأل عمر بن الخطاب رجلا عن شيء فقال الله اعلم . فقال عمر لقد شقينا ان كنا لانعلم ان الله اعلم ؛ إذا سئل احدكم عن شيء لايعلمه فليقل لاعلم لي .

٥ ـ اجوبة ابن عباس عن اسئلة قيصر الروم . ذكر في العقد الفريد لابن عبد ربه : ان قيصر الروم ارسل كتاباً لمعاوية قال فيه : « اخبر عمن لاقبلة له وعمن لا أب له وعمن لاعشيرة له وعمن سار به قبره ، وعن ثلاثة لم تخلق في رحم ، وعن شيء ونصف شيء ولا شيء وابعث لي في هذه القارورة ببذر كل شيء » .

فبعث معاوية بالكتاب والقارورة الى عبد الله بن عباس فقال : « أما من لاقبلة له فهو الكعبة ، وأما من لاأب له فهو عيسى ، وأما عن لاعشيرة له فهو آدم ، وأما من سار به قبره فهو يونس ، وأما الثلاثة التي لم تخلق في رحم فهي كبش ابراهيم ، وناقة صالح ، وحية موسى . وأما شيء فهو رجل يعمل بعقله ، وأما نصف شيء فالرجل الذي ليس له تدبير يعمل برأي حكيم ، وأما لاشيء فالذي لاعقل له ولا يأخذ برأي غيره » ، وملأ القارورة ماء وقال : هذا بذر كل شيء .

٦ ـ « قتل الجماعة بالواحد » .

اشترك سبعة من صنعاء في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقتل

غلام فقتلهم عمر به » وقال : « لو تمالأ عليه اهل صنعاء لقتلتهم به جميعاً»
ولم يخالفه أحد من الصحابة رضى الله عنهم في ذلك.

٧ — « اقامة الحدود حياة الأمة »

جاء في الأغاني : لما ثبت حد الخمر على الوليد بن عقبة ، امر عثمان رجلا بضربه الحد ، فلما دنا منه قال له : انشدتك الله وقرابتي من أمير المؤمنين ، فتركه ، فخاف علي بن أبي طالب رضى الله عنه ان يعطل الحد، فقام اليه ليحده ، فقال له الوليد : انشدتك بالله وبالقرابة ، فقال له علي: « اسكت ابا وهب فانما هلكت بنو اسرائيل بتعطيلهم الحدود » فضربه وقال : « لتدعوني قريش بعد هذا جلادها ».

٨ — « فتوى أبي جعفر المنصور بالاقتداء »

عن العقد الفريد لابن عبد ربه : « سئل ابو جعفر المنصور عن الصلاة خلف يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي في موسم الحج فقال : فأما الصلاة ففرض لله فان مافرض الله تعالى عليك في كل وقت مع كل واحد وعلى كل حال فان الذي ندبك لحج بيته وحضور جماعته واعياده لم يخبرك في كتابه بأن لايقبل منك نسكاً إلا مع اكمل المؤمنين ايمانا رحمة منه لك، ولو فعل ذلك بك ضاق الأمر عليك فاسمح يسمح لك ».

٩ — « ممن ترضون من الشهداء »

عن العقد الفريد لابن عبد ربه : كان الحسن بن ابي الحسن البصري لايرى ان ترد شهادة مسلم إلا ان يجرحه المشهود عليه ، فاقبل اليه رجل فقال ياابا سعيد ان اياسا رد شهادتي فقام معه الحسن اليه فقال « ياابا

رتيلة لم رددت شهادة هذا المسلم وقد قال رسول الله ﷺ من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فهو المسلم له مالنا وعليه ماعلينا » ؟ فقال : ياابا سعيد ان الله يقول : « ممن ترضون من الشهداء » وهذا لايرضيني » .

١٠ — « كتاب الله فوق كتب الخليفة »

عن الأغاني : ارسل ابن هبيرة الى الحسن البصري فقال له ماترى ابا سعيد في كتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك فيها بعض مافيها فان انفذتها وافقت سخط الله وان لم ننفذها خشيت على دمي ؟ فقال له الحسن : يا ابن هبيرة : « لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق فانظر ما كتب اليك فاعرضه على كتاب الله تعالى فما وافق كتاب الله فانفذه وما خالف كتاب الله فلا تنفذه فان الله أولى بك من يزيد وكتاب الله اولى بك من كتابه ». فضرب ابن هبيرة على كتف الحسن ، وقال هذا الشيخ صدقني ورب الكعبة ، وامر للحسن بأربعة آلاف فارسل الحسن الى المساكين فلما اجتمعوا فرقها عليهم .

١١ — « اشهاد الخلق مع الخالق جل وعلا »

جاء في الأغاني : ان عمر بن عبد العزيز لما وعد دكين الراجز بصلة اذا بلغ الخلافة قال له دكين أشهد ، قال عمر : « اشهد الله به » فقال له دكين : « ومن خلقه » ؟ قال هذين الشيخين (ممن حضر ولم ينكر عمر اشهاد الخلق مع الله تعالى) .

١٢ — « الافتاء للتخلص من العهد الزوجي »

جاء في الأغاني : كان عبد الله بن ابي بكر اعطى زوجته عاتكة

بستاناً له على ان لاتتزوج بعده فلما خطبها عمر بن الخطاب فاخبرته بما بينها وبين عبد الله من العهد فقال لها استفت فاستفتت علي بن ابي طالب فقال لها ردي الحديقة الى اهله وتزوجي .

١٣ — « لاقتل إلا في شتم الأنبياء عليهم السلام »

في العقد الفريد لابن عبد ربه : كتب عبد الحميد بن عبد الرحمن الى عمر بن عبد العزيز ان رجلا يشتمك فاردت ان اقتله ، فكتب اليه : لو قتلته لأقدتك به فانه لايقتل احد بشتم احد إلا رجل شتم نبيا .

١٤ — « البينة لا الماء »

عن العقد الفريد لابن عبد ربه : كتب لعمر بن عبد العزيز احد عماله : « انا أتينا بساحرة فاقيناها في الماء فما ترى فيها » ؟ فكتب اليه : « لسنا من الماء في شيء ؛ ان قامت عليها بينة وإلا فخل سبيلها » .

١٥ — « إلا من اتى الله بقلب سليم »

عن العقد الفريد لابن عبد ربه : قال ابن ابي الحواري : قلت لسفيان بلغني في قول الله عزل « وجل إلا من أتى الله بقلب سليم » انه الذي يلقى الله وليس في قلبه أحد غيره . قال فبكى وقال ماسمعت منذ ثلاثين سنة أحسن من هذا .

١٦ — « وجوب التأني في قراءة القرآن »

قال رجل لابراهيم النخعي : « اني اختم القرآن كل ثلاثه » قال : « ليتك تختمه كل ثلاثين وتدري أي شيء تقرأ » .

١٧ — « لاتيأسوا ممن يؤمن بالله تعالى »

عن العقد الفريد لابن عبد ربه : توفى رجل في عهد عمر بن ابي ذر ممن اسرف على نفسه في الذنوب وجاوز في الطغيان فتجافى الناس عن جنازته فحضرها ابن أبي ذر وصلى عليه فلما أدلى في قبره قال : « يرحمك الله ابا فلان صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك لله بالسجود فان قالوا مذنب ذو خطايا فمن منا غير مذنب وذو خطايا » .

١٨ — « صوم يوم الشك »

قيل لأبي نواس لم لاتصوم يوم الشك ؟ قال الشك ليس حجة والحديث الشريف : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » .

١٩ — « علم الامام علي كرم الله وجهه »

في كتاب الأغاني : حدث ابو نعيم عن بسام الصيرفي عن أبي الطفيل قال : سمعت علياً عليه السلام يخطب فقال : سلوني قبل ان تفقدوني فقام اليه أبو الكواء فقال ماالذاريات ذروا ؟ قال : « الرياح » . قال فالجاريات يسراً قال : « السفن . قال فالمقسمات امراً ؟ « قال : الملائكة » قال : فالحاملات وقراً قال السحاب » قال ! فما كان ذو القرنين انبياً ام ملكا قال : كان عبداً مؤمنا .

٢٠ — « اللؤم في النار »

شاهد رسول الله ﷺ رجلاً يتعلق بأستار الكعبة وهو يقول اللهم اغفرلي ولا أراك تفعل ، فقال له ﷺ « ولمَ لايفعل » فقال يارسول الله انيرجل اصلي واصوم واقوم بما يتطلبه الاسلام مني إلا انني اذا قدم عليَّ ضيف

شعرت كأن ناراً تحرقني فقال له ﷺ : «ابعد عني لاتحرقني بنارك فوالله لو عبدت الله الف سنة وصمت الف سنة وانت لئيم لأكبك الله على وجهك في النار».

٢١ — « بلاغة أعرابي ».

سمع عمر بن الخطاب أعرابياً يقول في طوافه : « اللهم اجعلني من القليل » فاستدعاه عمر وقال له : ان دعاءك هذا لم اسمعه إلا اليوم فما معناه ؟قال الأعرابي : ألم تقرأ في كتاب الله : « وقليل من عبادي الشكور » فانا ادعوه أن يجعلني من الشاكرين ، فقال عمر : صدقت اذهب ، كل الناس اعلم من عمر .

٢٢ — « تواضع عمر لخولة بنت حكيم »

مر عمر بن الخطاب بامرأة فقالت له : ياعمر ، فوقف لها فقالت له : كنا نعرفك مرة عميراً ثم صرت بعد عميرَ عمر ، ثم صرت عمر امير المؤمنين فاتق الله يابن الخطاب ، فانظر في امور الناس فانه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن خاف الموت خشي الفوت. فبكى عمر . فقال لها المعلى بن الجارود وكان معه : « اليك ياامة الله لقد ابكيت امير المؤمنين » .

فقال له عمر : « اتدري من هذه ؟ ويحك ! هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من سمائه فعمر احرى ان يسمع قولها ويقتدي به » .

٢٣ — « وقوف الخليفة المأمون على الأحكام »: ذكر اليعقوبي في تاريخه عن أيام المأمون : انه لما ثار عليه قبط البشرود استفتى فيهم الحارث بن

مسكين شيخ المالكية في مصر فقال له : « ان كانوا خرجوا لظلم نالهم فلا تحل دماؤهم واموالهم » فقال له المأمون : « انت تيس ومالك اتيس ، هؤلاء كفار لهم ذمة ، اذا ظلموا تكلموا الى الامام ، ليس لهم ان يستنصروا بأسيافهم ولا يسفكوا دماء المسلمين في ديارهم . » فقتل ولبى وارسل رؤساءهم الى بغداد .

٢٤ — «لادعاء للخليفة مع الله»

قحطت افريقية في ولاية موسى بن نصير فخرج فاستسقى ودعا الله تعالى للاستسقاء ولم يدع للخليفة ، فاعترض عليه فقال : هذا مقام لا ينبغي ان يذكر فيه إلا الله » .

نابلس : إحسان النمر

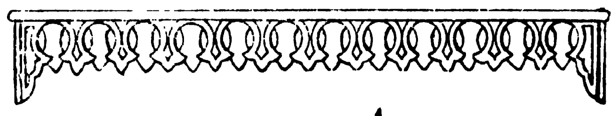
دولة الهجرة

... ماقامت الدولة في يثرب إلا على أيدي تلاميذ النبي في مكة ، ممن هاجروا في سبيل الله إلى الحبشة أولاً وثانياً ، ومن هاجروا إلى يثرب بعد ذلك ، على سواعد الأنصار من أصحاب البيعة الأولى والثانية عند العقبة في مكة .

أولئك هم نواة الأمة النموذجية التي غرسها الرسول في المدينة ، وشاد عليها الدولة .. ، ثم ظهرت (الامبراطورية) الاسلامية على صورتها فيما بعد .

كان محمد ﷺ في مكة والمدينة من ساعة أن استيقظ على صوت الرفيق الأعلى في حراء ، إلى أن استجابت روحه لذلك في بيت عائشة ، واضح الهدف ، متعدد الوسيلة ، راجح العقل ، حسن السياسة .

(بطل الأبطال) ص ٨١ عبد الرحمن عزام



موازين نيرة

« الله وليّ الذين آمنـوا يخرجهم من الظلمات إلي النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلي الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »

البقرة — ٢٥٧ —

للأستاذ محمد كمال الخطيب

نور وظلام :

يتعاقب الليل والنهار وتتعاقب الفصول والأعوام والقرون بين إقبال وإدبار ...

والمعيار الحق في صلاح الأوضاع أو فسادها ، وانتشار الخير أو الشر فيها دائر بين قطبين من ظهور (الحق) على (الباطل) ، وبالتالي تغلب (النفع) على (الضرّ) « إن الباطل كان زهوقا » الاسراء : ٨١)

أمن واستقرار :

والثمرة من ذلك استقرار الحياة بأمنها وإيمانها بما هي عليه بديل الاضطراب والاضطرام والقلق والفساد .

وإذ جاز الصراع في الحياة ساعة من الدهر ، فلا يجوز أن يكون شعار العمر ، ولا يقول بهذا عاقل ولا صاحب دعوة مفكر مهما كان شأنها ، لأنه لا يريد لنفسه ولا لدعوته ألا تستقر .

كرامة الانسان :

إن اطّراد السير في طريق الحياة الى الغاية المثلى يستوجب خطة صحيحة ثابتة وإيماناً بحق لا يتزعزع ، وهذا لا يقوم على الأوهام والأهواء والظنون . . . مهما جلت النظريات وتعددت المزاعم ، وعلى هذا النهج القويم تمر الانسانية وهي بمنزلة الكرامة التي وصفتها الآية الكريمة : « ولقد كرّمنا بني آدم » (الاسراء ٧٠) .

تمر بالممكن من كمالات الحياة ، معرفةً وفضلاً واستمتاعاً مشروعاً بنعم الحياة ، حتى تبلغ الأمة أرفع درجة بين الأمم « كنتم خير أمة أخرجت للناس » بموازينها الخلقية وسيرتها العملية ، ونصرتها للحق والفضيلة ، « تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » (الأعراف ١١) .

ولكم بذلك — أيها المسلمون — إمامة الدعوة في الأرض ، وقيادة العالم ، دعوة للحق والخير والهدى ، قولاً وقملاً وأنتم الأسوة الحسنة بزكاة أخلاقكم وصدق سيرتكم وسريرتكم ، وقد اتخذتم مثلكم الأعلى وأسوتكم العظمى المؤمن الأول رسولكم الأكرم ﷺ الذي كان للعالمين هدىً ورحمة كما قال فيه ربه سبحانه « : وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (الأنبياء ١٠٧).

لقد تبوأتم بصحبته وخلافتكم من بعده منزلة رفيعة منيعة وهي أمانة الدعوة الخالصة « وجعلنا للمتقين إماما » (الفرقان : ٧٤) .

إن الانسان بهذه المنزلة الهادية يتبوّأ أرفع منازل الكرامة الانسانية ، وبها تستقيم حياة الانسان ، ويصلح مجتمعه ومجتمع الناس ، بديل أن يسوده القلق والفتن ..

ولهذا أعدّ الله للانسان الأسباب في حياته الدنيا نفسها وشرّفه بما بما منحه من سلطة بالغة إذ قال جل سلطانه « سخّر لكم مافي السموات وما في الأرض » وهيأ لكم ماهيأمن معرفة وقدرة تحفظ للانسان حياته على وجه البسيطة وتبلغ به من الحياة غايتها الحقة في معارج الكمالات والارتقاء . وذلك بما حققتـــه العناية الالهية لحياة الانسان من توفير حاجاته وتيسير سبل الارتقاء وعمارة الأرض« وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة »(لقمان: ٢٠) « وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها » (النحل : ١٨) فما عرفتم نظمه ولا اتبعتم أمره، مع أنه سبحانه جعلكم خلائف الأرض تتوارثون الفضائل الانسانية بمعارفها ومكارمها وثمرات حضارتها .

المعرفة :

وإن رأس المعرفة وقوف(المخلوق) عند حدوده (من الخلاق العظيم) الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة [وعرفـــه نعمه وحذره من الطغيان المفسدة قائلا]: « قليلاماتشكرون» (السجدة : ٧ - ٩) . الشكر الحق بافعالكم المصدقة

هذه النعم ، وقليلا ما تحفظون هذه الودائع مع أنكم على آجال محدودة بأنفاس معدودة إلى مصير محتوم توزن فيه أعمالكم من حياتكم وما سخر لكم من دنياكم ، كما نبه الى ذلك تعالى بقوله : « ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه (الانسان) مسؤولا » يوم بعثه ووقفته للحساب بين يدي خالقه مالك الملك في الدنيا والآخرة ..

دنيا وآخرة :

وبذلك فتح الخلاق العظيم لنا الباب على المصراعين من دنيانا ، وحذّرنا العواقب التي تمسنا في نفسنا أو تعمّ غيرنا في الدنيا ، فضلاً عما حذّر من العواقب في الآخرة وحياتها المستقرة في نعيم مقيم أو عذاب أليم ، حتى يتمنى انسان الرّجمي والتقهقر ولو لم تكن من درجة الانسان أصلا قائلا (النبأ : ٤٠) « ياليتني كنت ترابا » . كالحيوان لاتخلص من العذاب .

نكسة ومعراج :

وقد انتكس هذا الحيوان عن حياته إلى دركة مغروراً بنفسه ، غافلا عن حكمة خلقه، ومرتبته وواجبه، مجانباً السبيل السوي الذي كان سبيلاً مرتماً صعداً في معارج الحياة حتى يبلغ أرفع المنازل بوقفه بين يدي الله « وجوه يومئذ ناضرة، الى ربها ناظرة» (القيامة : ٢٢و٢٣) وقد شقت لذلك طريقها منذ عرفت نفسها فعرفت ربها ووقفت بين يديه موقف عبوديتها له طاعةً ومحبة عبادةٍ واستعانة قائلة : « اياك نعبد واياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم [بنعمة العقل والخلق والاستقامة والجد والجهاد والعمل الصالح والتزام

جانب الحق وفعل الخير مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين] غير المغضوب عليهم [الذين عاودا النبيين واتبــــاع المرسلين] ولا الضالين [الجائرين الذين لم تسكن نفوسهم الى الحق ، وهمهم أن يبلغوه ولكنهم ضلوا] ، فلم يتبعوا اليقين الحق ، ولم يلتزموا سبيل الرشاد .

نكسة الانسان :

وما تلتوي بالناس سبلهم الا لأنهم كما حذرهم الله تعالى قائلا : « ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس » (النجم : ٢٣) ففي تفكيرهم ومعارفهم أوهام الظنون والاحتمالات والتخرصات والنظرات التي لم تثبت ، وربما أرادوا بها حرب الدين وما أنزل الله ، وفي نفوسهم وسلوكهم وسيرة أخلاقهم أهواء جارفة تمكنت منهم فأصمتهم [فلم يسمعوا دعوة النبيين واتباع المرسلين] وأعمت أبصارهم ، فانك إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وان يقولوا تسمع لقولهم ، [ولكنهم] كأنهم خشب مسندة [لاثبات لهم] يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون » (الجمعة : ١٤) .

سراب خادع :

ومن كان هذا شأنهم ، فسبيلك غير سبيلهم ، فاحذرهم وجانبهم « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ، انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم »(التوبة:٥٥)فهي مشغلتهم من الحياة وأي حياة لهم،وقد خدعتهم من الدنيا مظاهر فغفلوا عن ربهم ومصيرهم في آخرتهم،(الحجر:٣)دعهم وسبلهم ، و « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون » من مصيرهم

ماينبغي أن يتدبروه ، فان ذلك ثمرة الذكر وتذكرته ، فان الفساد لا استقرار له ، وحسبك من التاريخ عبر تنير لمتدبرها إنارة الفجر طريق الحياة « والفجر وليال عشر ، والشفع والوتر ، والليل إذا يسر ، هل في ذلك قسم لذي حجر» ؟ !

وقد جلّ الزمان بعبره واحداثه ، وجل العقل بعظته واعتباره ، وجل القسم تنبيهاً لما نوه به ، ألم تر [أيها المبصر] كيف فعل ربك بعاد ؟ إرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد ، [رغم بنيانها وظاهرة حضارتها حتى كانت بين الأمم شامة] .

و « ثمود » الذين جابوا الصخر بالواد [قوة وعمرانا] .

و « وفرعون » ذي الأوتاد [أثراً خالداً ، فانهم هم الهالكون لأنهم الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد ، فصب عليهم ربك سوط عذاب» [فان تلك المظاهر من القوة والبأس والعمران ... لاتستقر ، إذ لا استقرار الحياة سبيلها من الخلق والايمان كما هدى الرحمن الديان] .

إن ربك لبالمرصاد»(الفجر:١-١٤)يجزي كلاً بما كسبت يداه، « ولو يعجل الله الناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم» ،(يونس:١١)ولكنه «لكل أجل كتاب (يوسف : ٣٨) .

سيرة أثر :

هذه موازين الحياة وعبرها تقوم على صراع الحق والباطل والخير والشر والعلم والعمل ، ولها أدق الموازين من قوله جل سبحانه « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرةشراً يره » . (الزلزلة : ٧ و ٨)

وهي كلمات عبث بها العابثون بالكلمات ممن أتبعوا أهواءهم ، فضلوا وأضلوا ، وتعددت المذاهب والنظرات حتى بلغت مراتب التأليه والتفكير ولا تزال حيث كان الانسان منذ جاهلية تلعب به كلمات : « ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس »(النجم :٢٣) وخطئتهم أنهم أهل غلو واغراض ،يتبعون [باسم الحق والمعرفة والخير والهداية] ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، عبثاً بالقبول وإستكباراً في الأرض وافساداً بين الناس ، بديل ان يأخذوا أنفسهم وغيرهم بطريق الحق إلى صراط مستقيم ...

عصر الدعوة والقدرة :

وقد بلغ الانسان في هذا العصر مبلغ القدرة حتى ليذكر قوله سبحانه : « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها [وتحققت ظنونهم] أنهم قادرون عليها في برها وبحرها وأجوائها وأعماق ذراتها ومناجمها وعالم أهوائها وتياراتها والشهب ونيازكها ... فاذا قدر النعمة وسلك مع العلم سبل المعرفة بنفسه وربه وواجبه في حياته ومصيره الى ربه ، فتلك هي المنزلة في طريقها الى القمة « الى سدرة المنتهى » وإلا تخبط في أرضه ولقي بيده حتفه ، وما خشيت الانسانية هلاكاً أكثر منها اليوم حين بلغت هذه الذرا من العلم ، ولم تبلغ مثلها من الخلق والسلوك القويم والايمان والطمأنينة المنشودة .

أيها الانسان تعلمت وعلمت وقدرت ، فارفق بنفسك ، فان سعادتك بين جنبيك : في ايمانك ، وبهذا الايمان استقرارك وأمنك ، وما أجل رحمة

يقظة

في ذكريات الأديب الكبير الأستاذ شفيق جبري ماسمعه في واشنطن من مفتريات المفترين على الاسلام، خلص - في كتابه أرض السحر ص ٢٢٠ - إلى أن الاسلام لايزال مجهولاً في أميركا وذكر بهذه المناسبة افتراء المستشرق الفرنسي «رنان» في بعض كتبه على الاسلام وزعمه أنه يقف عثرة في سبيل تقدم العلم، ثم قال الأستاذ جبري:

ان كلاماً مثل كلام «رنان» لايخلو من تعصب يشمئز منه الانسان، والظاهر أن الرجل وقعت عينه على طائفة من المسلمين الذين أعمى الاستعمار الفرنسي بصائرهم وأبصارهم وأمات فيهم حب العلم ... ولم يشأ أن يبحث عن أعاظم العلماء في تاريخ الاسلام ...».

«إن المسلمين شرعوا اليوم يلتفتون إلى إخوانهم المسلمين... فيتصلون بحضارة هذا العصر وعلومه ... ولا يأتي عليهم حين من الدهر غير طويل الا وقد وسع اسلامهم هذه الحضارة وهذه العلوم ...»

الله حين ترحم نفسك.

ان موازين الشريعة بين يديك، فاذكر قول الله جل سبحانه:

«لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز» الحديد: ٢٥.

المحامي

محمد كمال الخطيب

التربية الوجدانية في تحقيق التكافل *

للأستاذ الشيخ عبد الله علوان

الاسلام قبل أن يلزم الناس بالتشريع ، ويأخذهم بالعقاب ، يقوي في نفوسهم أحاسيس العقيدة الالهية ، ويهز في أعماقهم مشاعر الايمان بالله ، حتى يعملوا الخير لا رغبة في ثناء ، ولا أملاً في مطمع . . ويجتنبوا الشر لارهبة من حاكم ، ولا خوفاً من عقاب . . وإنما لاكتفاء علم الله بهم ، ومراقبته لهم ، وخشيتهم إياه ، وليكون هدفهم الأسمى قول الله ـ تبارك وتعالى ـ : « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ، إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكوراً [(١)] » .

ولكن ما هي الوسائل التي تقوي العقيدة وتهز مشاعر الايمان حتي يصلح الانسان ، ويتهذب وجدانه وضميره ؟ الوسائل تنحصر في أمور ثلاثة أجاب عنها رسول الله ﷺ في حديث [(٢)] شامل جامع :

١ ـ الاسلام : فحين سئل عنه أجاب : « الاسلام أن تشهد أن إله

(★) التكافل الاجتماعي في الاسلام (ص ٧٩ — ٨٨)

(١) الانسان « ٨ ، ٩ » .

(٢) وهو حديث طويل جامع رواه الامام مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان . وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » .

٢ ــ الايمان : وحين سئل عنه أجاب : الايمان أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره من الله تعالى » .

٣ ــ الاحسان : وحين سئل عنه أجاب : « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » .

فبالعمل بأركان الاسلام تسمو الأخلاق ، وتصلح المعاملة وتتحقق العبودية لله . . .

وبالتصديق بأركان الايمان يقوى جانب الخشية من الله ، وتحصل القناعة والرضى بما قسم وقدّر ...

وبالتحقق بمعاني الاحسان يراقب الله في السر والعلن ، والغدوّ والرواح ، والمتقلَّب والمثوى ...

فهذه الوسائل الثلاث إن عمل الناس على مقتضاها كانت خير ضامن لتربية الوجدان ، وتقويم السلوك ، وطهارة الضمير ... بل كانت أكبر دافع إلى العمل الصالح بوحي باطني ورقابة إلهية . ولا بأس أن نذكر أمثلة من الشواهد التاريخية ، اتكشف عن أثر التربية الوجدانية : في سيرة الخلفاء ، وحياة الناس . . .) حتى يعلم كل ذي عينين كيف كان هؤلاء يندفعون إلى العمل الصالح ، ـ ومنه تحقيق التكافل ـ بوازع من الايمان وبحاسة من الضمير . في سبيل اقامة مجتمع متكافل متراحم . يموت فيه الفقر ، ويُستأصَل الجهل ، وينهزم المرض ، ويهنأ في ربوعه الفلاح والعامل والمسكين وابن السبيل .

ولنبدأ بالتكلم على (أثر التربية الوجدانية في حياة النـاس وواقع السلف في تحقيق التكافل) :

١ — كان الامام زين العابدين بن الحسين — رضي الله عنهما — من أكثر الناس رحمة بالبائسين لا يعلم أن أحداً من أصدقائه عليه دين، إلا أدى دينه عنه .

دخل مرة على محمد بن أسامة يعوده في مرضه فوجده يبكي فسأله عن بكائه فقال : علي دين خمسة عشر الف دينار ، فقال : هي عليّ !..

قال محمد بن اسحاق : « كان أناس بالمدينة يعيشون ولا يدرون من أين يعيشون ؟ ومن يعطيهم ؟ فلما مات زين العابدين بن الحسين فقدوا ذلك فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم بالليل بما يأتيهم به ، ولما مات وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب (أي الكيس) إلى بيوت الأرامل والمساكين » .

وكان يقول : « صدقة الليل تطفيء غضب الرب ، وتنير القلب والقبر ، وتكشف عن العبد ظلمة يوم القيامة » .

٢ — وكان الليث بن سعد ذا غلّة سنوية تزيد على سبعين الف دينار يتصدّق بها كلها حتى قالوا إنه لم تجب عليه زكاة قط ، واشترى مرة داراً بيعت بالمزاد فذهب رسوله يتسلّمها فوجد فيها أيتاماً وأطفالاً صغاراً ، سألوه بالله أن يترك لهم الدار ، فلما بلغ ذلك الليث أرسل إليهم أن الدار لكم ومعها ما يصلحكم كل يوم .

٣ — وكان عبد الله بن المبارك الامام المحدّث كثير الصدقات تبلغ صدقاته في السنة أكثر من مائة الف دينار ، خرج مرة إلى الحج مع أصحابه ، فاجتاز ببعض البلاد فمات طائر ، فأمر بالقائه على مزبلة هناك وسار اصحابه أمامه وتخلف هو وراءهم ، فلما مر بالمزبلة إذا جارية قد

خرجت من دار قريبة منها ، فأخذت ذلك الطائر الميت ، ثم لفَّته ، ثم أسرعت به إلى الدار ، فجاء فسألها عن أمرها وأخذها الطائر الميت ، فأخبرته أنها وأخاها فقيران لا يعلم بهما أحد ولا يجدان شيئاً ، فأمر عبد الله بردّ الأحمال ، وقال لوكيله : كم معك من النفقة ؟ قال : ألف دينار ، فقال له عبد الله : عدّ منها عشرين ديناراً تكفينا إلى « مرو » وأعطها الباقي فهذا أفضل من حجنا في هذا العام ، ثم رجع فلم يحج !!..

٤ — ولما نزل قوله تعالى : « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ... [١] » ، قال صحابي يسمى أبا الدحداح : أوَ يستقرض الله من عبده يارسول الله ؟ قال : نعم ، فقال : امدُد يارسول الله يدك ، فأشهده أنه تصدق ببستانه الذي لا يملك غيره ، وكان فيه ستمائة نخلة مثمرة ، ثم عاد إلى زوجته وكانت تقيم هي وأولادها في هذا البستان ، فناداها يا أم الدحداح ! . . قالت لبيك ! قال : اخرجي فقد أقرضته ربي ـ عز وجل ـ فقالت : ربح بيعك يا أبا الدحداح .

٥ — وفي عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ أصاب الناس قحط وشدة ، وكانت قافلة من الشام مكونة من الف جمل عليها أصناف الطعام واللباس قد حلت لعثمان ـ رضي الله عنه ـ فتراكض التجار عليه يطلبون أن يبيعهم هذه القافلة ، فقال لهم : كم تعطوني ربحاً ؟ قالوا خمسة في المائة ، قال : إني وجدت من يعطيني أكثر ، فما زالوا يزيدون حتى أعطوه عشرة بالمئة ، فقال : لقد وجدت من يعطيني أكثر ، فقالوا : مانعلم في التجار من يدفع

---

(١) البقرة « ٢٤٥ »

أكثر من هذا الربح ، ونحن تجار المدينة ، والآن وصلت القـافلة فمن أعطاك أكثر من هذا ؟ قال إني وجدت من يعطيني على الدرهم سبعمائة فأكثر ، إني وجدت الله يقول : « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبةٍ أنبتت سبـع سنابل في كل سنبلة مائة حبَّة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم [1] » .

أشهدكم ـ يامعشر التجار أن القافلة ـ وما فيها من بُرّ ودقيق وزيت وسمن . . . قد وهبتها لفقراء المدينة وانها صدقة على المسلمين »

هذا الذي ذكرناه غيض من فيض بالنسبة لآلاف الشواهد التي ضمها التاريخ في ثناياه . إنها تبرهن على أن هؤلاء القوم الذين رباهم الاسلام الالهي العظيم ، وتخرجوا من مدارس الايمان . . قد أعطوا لمن بعدهم دروس القدوة ، ومُثل البذل والسخاء . . لتتناقل الأجيال أخبارهم العجيبة ، ويتأسّوا بسيرتهم الطيبة « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده [2] » .

أما عن أثر التربية الوجدانية في سيرة الخلفاء لأجل إقامـة المجتمع المتـكافل ، وفي تحقيق العدل الاجتماعي الشامل : فالأخبار أكثر من أن تُحصى ، والشواهد أعظم من أن تستقصى ، وحسبنا أن نذكر بعض الأمثلة التاريخية الخالدة ، ليعلم القارئ كيف كانت هذه الأمة من الناس ، وكيف كان شعورها بآلام شعبها وسهرها على تحقيق الخير للناس كافة .

---

(١) البقرة « ٢٦١ » .

(٢) الأنعام (٩٠) .

١ — قدم معاوية بن خديج على عمر — رضي الله عنه — من مصر ، وبشره بفتح الاسكندرية ، فقال له عمر : ماذا قلت يامعاوية حين أتيت المسجد ؟ قال : قلت أمير المؤمنين قائل (أي نائم وقت القيلولة) قال : لبئس ماظننت ، لئن نمت النهار لأضيّعن الرعية ، ولئن نمت الليل لأضيّعن نفسي ، فكيف بالنوم مع هذين يامعاوية [1] ؟ .

٢ — حدّث أسلم خادم عمر — رضي الله عنهما — قال : خرجت مع عمر ليلةً وبعُدنا عن المدينة ، ونحن نتفقد أهل المنازل النائية ، فبصرنا بنار من بعيد ، فقال عمر : إني أرى هاهنا ركباناً قصر بهم الليل والبرد ، انطلق بنا إليهم ، فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم ، فاذا بامرأة معها صِبْيان وقِدْر منصوبة على النار وصبيانها يتضاغَوْن (يتصايحون) جوعاً ، فسلّم عمر ، ثم سأل المرأة ما بالكم ؟ قالت قصّر بنا الليل والبرد ، قال : وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ؟ قالت : الجوع ، قال : وأي شيء في هذا القدر ؟ قالت : ماء أسكتهم به حتى يناموا . . ثم قالت : الله بيننا وبين عمر (تشكو عمر وتدعو عليه) ، فقال : رحمك الله ! وما يدري عمر بكم ؟ قالت : يتولى أمرنا ثم يغفل عنّا ! فأقبل عليّ فقال : انطلق بنا ، فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق ، فأخرج عِدْلاً من دقيق ، وكبة من شحم ، وقال : احمله عليّ ، قلت : أنا أحمله عنك ، قال : أنت تحمل وزري يوم القيامة لا أمّ لك ؟ فحملته عليه ، فانطلق وانطلقت معه نهرول إليها ، فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئاً ، فجعل يقول لها :

---

(١) رواه ابن عساكر ، والمقريزي جـ ١ ص « ١٦٦ » .

ذرّي عليّ وأنا أحرك لك ، وجعل ينفخ تحت القدر ، وكانت لحيته عظيمة ، فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ لهم ، ثم أنزل القِدْر ، وقال : أبغني شيئاً فأتته بصفحة فأفرغها فيها ، فجعل يقول لها : أطعميهم وأنا أسطح لهم (أي أبسطه حتى يبرد) ، فلم يزل حتى شبعوا ، وترك عندها مابقي ، وقام وقمت معه ، فجعلت تقول : جزاك الله خيراً ، كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين ؛ قال قولي خيْراً ، وإذا جئت أمير المؤمنين وجدتني هناك إن شاء الله ، ثم تنحى ناحيته عنها وجلس يرقب الخباء ، فقلتُ له : لك شأن غير هذا ؟ فلا يكلمني حتى رأيت الصبية يصطرعون ، ثم ناموا وهدأوا ، فقام يمشي وهو يحمد الله تعالى ، ثم أقبل عليّ فقال : يا أسلم ! إن الجوع أسهرهم وأبكاهم ، فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى مارأيت [١] .

٣ — خرج عمر ـ رضي الله عنه ـ في سواد الليل ، فرآه طلحة ـ رضي الله عنه ـ ، فذهب عمر فدخل بيتاً ثم دخل بيتاً آخر . فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت ، فاذا بعجوز عمياء مقعدة فقال لها : ما بال هذا الرجل يأتيك ؟ قالت : إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا ، يأتيني بما يصلحني ، ويُخرج عني الأذى . فقال طلحة لنفسه : ثكلتك أمك ياطلحة ، أعثراتِ عمر تتَّبع [٢] ؟ .

٤ — وكان إذا جاءه وفد من الأقطار ، استخبرهم عن أحوال الناس ،

---

(١) تاريخ الطبري جـ ٥ ص ٢٠ ، وابن الجوزى « ٥٩ » .

(٢) الحلية جـ ١ ص ٤٨ .

فيقولون : أما البلد الفلاني فانهم يرهبون أمير المؤمنين ، ويخافون سطوته ، ويحذرون عقوبته ، وأما البلد الفلاني فانهم قد جمعوا من المال ما لا تحمله السفن ، وهم موجهون بها اليك ، وأما البلد الفلاني فقد وجدنا فيها عابداً في زاوية من زوايا المسجد ساجداً يقول في سجوده : اللهم اغفر لأمير المؤمنين عمر زلّته ، وارفع درجته ؛ فيقول عمر : أما من خافني فلو أريد بعمر خيرٌ لما أخيف منه ، وأما الأموال فلبيْت مال المسلمين ، ليس لعمر ولآل عمر فيها شيء ، وأما الدعاء الذي سمعتم بظهر الغيب فذلك ماأرجو (١) .

٥ — وأقسم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في عام المجاعة ألا يذوق سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى يحيا الناس ، ثم قال : كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يصبني ما [illegible] [illegible] كذلك حتى اصفر وجهه ، وتغيّر لونه ، فلما قيل له : يا أمير [illegible] [illegible] ببعض الأدْم ، فان حياتك حياة للأمة ، غضب وأبى أن يذوق شيئاً ما لا تذوقه العامة ، وقال : بئس الوالي أنا إذا شبعت وجاع الناس ، ولِم إذن [illegible] إماماً إذا لم يمسني ما مسهم (٢) ؟.

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : تقرقر بطن عمر بن الخطـاب عام المجاعة ، وكان يأكل الزيت ، وكان قد حرّم على نفسه السمن ، فنقر بطنه باصبعيه ، وقال : تَقَرْقرْ إنه ليس عندنا غيره حتى يحيا (٣) النـاس (٤) .

٦ — وكان عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ يصلي العتَمة ثم

---

(١) (٢) الرياض النضرة جـ ٢ ص ٥٥ .

(٣) الحيا : الخصب والمطر . (٤) الحلية ، وابن الجوزي ، والطبري . .

يدخل على بناته فيسلم عليهن ، فدخل عليهن ذات ليلة ، فلما أحسسنه وضعن أيديهن على أفواههن ثم تبادرن الباب ، فقال للحاضنة : ماشأنهن ؟ قالت : إنه لم يكن عندهن شيء يتعشينه إلا عدس وبصل ، فكرهن أن تشم ذلك من أفواههن ، فبكى عمر ثم قال لهن : يابناتي ماينفعكن أن تعشين الألوان ويمر بأبيكن إلى النار ، فبكين حتى علت أصواتهن ، ثم انصرف (١) .

٧ ـ ودخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في مرضه وعليه قميص وسخ ، فقال لفاطمة زوجة عمر وهي أخت مسلمة ، ألا تغسلون قميصه ؟ قالت : والله ماله غيره ، وإن غسلناه بقي لاقميص له (٢) .

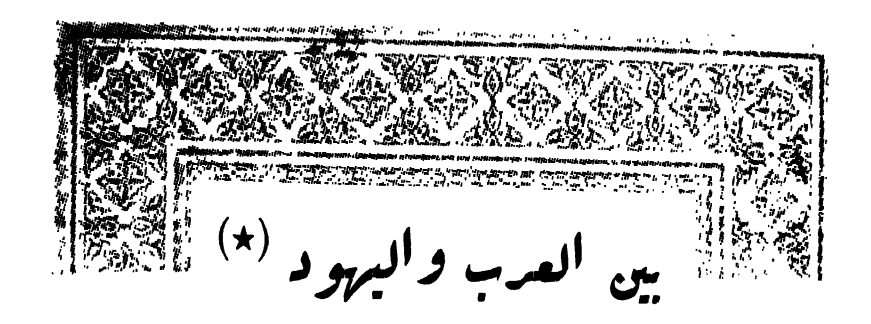
٨ ـ ولما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قال له مسلمة بن عبد الملك : أوص يا أمير المؤمنين ! قال : مالي من مال فأوصي فيه ، قال مسلمة : هذه مائة ألف دينار فأوصي بما أحببت ؛ قال عمر : أو خير من ذلك أن تردها من حيث أخذتها ، فقال له مسلمة : جزاك الله عنا خيراً يا أمير المؤمنين ، والله لقد ألنت لنا قلوباً قاسية ، وجعلت لنا ذكراً في الصالحين (٣) .

بمثل هذا التعفف والشعور بالمسؤولية ، والسهر على مصالح الرعية ، اغتنى الناس ، وزالت الفوارق ، وتمتعوا بعيش أرغد ، وحياة أهنأ ، وسعدوا في ظلال العدالة الاجتماعية ، وفي جنات التكافل والطمأنينة والاستقرار .

---

(١) (٢) من كتاب سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم المتوفي سنة ٢١٤ هـ.

(٣) من كتاب سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم المتوفي سنة ٢١٤ هـ .



بين العرب واليهود (★)

ستبقى فلسطين وطنا عربيا واحدا

من كانت له اذنان فليسمع :

موشي ديان (رئيس اركان حرب العصابات الصهيونية السابق) ليس رجلا عسكريا يستقطب حوله عددا لايستهان به من القاده العسكريين الصهيونيين فحسب ، لكنه عضو بارز في حزب (ماباي) الحاكم في فلسطين المحتلة وهو من المقربين الى بن غوريون ومن تلاميذه المتعصبين الى درجة انه يعتبر الابن الروحي الي بن غوريون . وديان فوق ذلك كله معروف بأنه يحمل لواء الدعوة الى مايسمى بالحرب الوقائية ضد العرب منذ زمن بعيد ولعل المواطن العربي يذكر ان ديان كان المنفذ لحملة سيناء عام ١٩٥٦

ونقدم للقارىء ترجمة المقال الخطير الذي نشره ديان في جريدة (جيروز

(★) عن المعلم العربي عدد كانون الأول ٩٦٥ (نقلاً عن الشرق البرازيلية)،

اليم بوست) الصادرة في القدس المحتلة بتاريخ ٢٦/٣/٩٦٥ وتناول فيه بالبحث في قضايا الساعة وهي :

١ ـــ علاقات الصهيونيين مع حكومة بون

٢ ـــ الفرن الذري الصهيوني في ديمونه

٣ ـــ تحويل الروافد العربية لنهر الأردن

كما نقدم للقارىء ترجمة المقال الذي نشرته مجلة (جونش وورلد) الصهيونية الصادرة في نيويورك بتاريخ ٢٧/٣/١٩٦٥ والذي يدعو فيه الى شن الحرب على العرب .

وتعود خطورة هذين المقالين الى سببين :

الأول : إن ديان لايعبر فيهما عن رأيه الشخصي بشأن هذه القضايا وإنما يعبر عن اتجاه عدد كبير من الزعماء السياسيين والقادة العسكريين في فلسطين المحتلة حتى أصبح المراقبون لايستبعدون ذهاب اشكول وحلول بن غوريون وتلميذه ديان محله في الحكم .

الثاني : إن نشر المقالين جاء في الوقت نفسه الذي تسربت فيه معلومات تفيد بأن العدو الصهيوني قد استدعى جميع ضباطه وخبرائه العسكريين من الخارج استعدادا لأمر يبيت ضد العرب .

فمن كانت له اذنان فليسمع .

يقول ديان في علاقات العصابات الصهيونية مع المانيا الغربية :

لست ادري ما إذا كان بوسعي القول بأن المفاوضات الخاصة بانشاء علاقات سياسية رسمية مع المانيا الغربية قد تم بالفعل . كما أني لست مطلعا

على التقدم فيما يتعلق بقضايا المساعدات العسكرية او الاقتصادية الألمانية . غير أن مانشر حتى الآن يكفي لاقناع كل ذي عينين بالأهمية البالغة لهذا الموضوع بالنسبة لمشاكلنا السياسية والعسكرية وبالنسبة لعلاقتنا مع العرب.

ان المانيا الغربية لاتختلف عن غيرها من الدول الغربية في هذا المجال ، وانه لتفاؤل ساذج من جانبنا ان نفترض ان الدين الخاص الذي جرته المانيا على نفسها تجاه الشعب اليهودي لن يكون له تأثير في علاقاتها مع اسرائيل فحسب بل سيوجه سياستها الخارجية بأسرها ايضا .

ان الاتفاقيات والترتيبات الخاصة التي عقدناها مع المانيا قد تكون اكثر فائدة في الوقت الحاضر من العلاقات العادية ولكن مجرد كون هذه هذه الاتفاقيات ذات طابع خاص يوجد احتمالاً يوحي بأنها مؤقتة . ولذلك ينبغي اعادة تأكيد صفاتها المميزة الخاصة بين الحين والآخر أو الغاؤها وانى لأرجو أن يكون بيننا أولئك الأشخاص الذين يؤمنون بأن الترتيبات الخاصة بالمساعدات العسكرية أفضل من العلاقات السياسية المنتظمة وآمل أن يكونوا قد بدأوا يدركون عدم استقرار هذه الترتيبات ووجود احتمال قوي بأن المانيا قد لاتظل راغبة في الاستمرار بالعمل بهذه الاتفاقيات وفي مثل هذه الحالة نبقى بدون مساعدة وبدون علاقات .

ولا يكفي بالنسبة لنا أن نستغل الأزمة الحاضرة بين القاهرن وبون بل يجب علينا أيضا أن نعرف كيف نقيمها تقييما صحيحا .

فرن ديمونه والتفتيش الأميركي

ومن جهة أخرى أرجو أن يكون الأسلوب الذي اتبعه العلماء الأميركيون في زيارة الفرن الذري الاسرائيلي في ديمونه قد أثار كل اسرائيلي. غير أن القضية تشتمل على مسائل أخرى وقد تكون هناك اختلافات في وجهات النظر حول هذه المسائل بين المواطنين في اسرائيل. وأود هنا أن أتناول نقطتين من أوجه هذه الاختلافات :

إن الفرق بين الزيارة والتفتيش هو مجرد تلاعب بالألفاظ اذ أنه ليس باستطاعة أحد تجاهل الحقيقة الواقعة وهي أن الزيارات الأميركية لم تكن زيارات مجاملة ولكنها كانت زيارات تفتيش ومراقبة وبصفتي مواطنا اسرائيليا لا مفتشاً اميركيا فانني مرتاح الى تصريحات حكومتي فيما يتعلق بطبيعة الفرن الذري في ديمونه .

ان المسألة ليست مجرد « ستنظر الدول الأخرى الينا » أي أن نخشى ظهورنا بمظهر الدولة التابعة ، ولكن الأمر يؤثر تأثيرا مباشرا في أسس علاقتنا مع الولايات المتحدة ، فالى أي حد يحق للولايات المتحدة أن تقرر التزامات اميركا بالنسبة لسلامة اسرائيل وأمنها ؟ ليست لديها التزامات كهذه . وليس بيننا من يشك في تأييد الرئيس ترومان لاسرائيل في الماضي والحاضر وعلى الرغم من ذلك فان هذا لم يمنعه من فرض حظر على شحنات الأسلحة الى اسرائيل خلال حرب الاستقلال في الوقت الذي كانت فيه نتائج هذا الحظر بالنسبة لسلامتنا يمكن أن تكون مسألة مصير ولقد كانت كذلك فعلا

ومن المؤكد أن الرئيس أيزنهاور كان على قائمة اصدقائنا وبالرغم من ذلك فانه فضل أن تبقى مضائق تيران مغلقة في وجه الملاحة الحرة وأن يستمر الفدائيون العرب في نشاطهم الارهابي داخل اسرائيل على ان نقوم بحملة سيناء .

وثائق خطيرة

ان شيئا من هذا لايتضمن فقدان تقديرنا لصداقة الولايات المتحدة ولمساعداتها لاسرائيل كما أنني لا أعني تجاهل المساعدات المباشرة وغير المباشرة التي قدمتها لنا مرارا في حقل الأسلحة والعتاد . ولكن مساعدات كهذه في رأيي لاتمنح الولايات المتحدة الحق في أن تفرض علينا التزاما بالسماح لمبعوثيها بزيارة ديمونه .

وليس ثمة ريب في أن هذا ينطبق على الدول الصديقة الأخري ولكن حسبما ما أعرف لم تتقدم هذه الدول بطلبات من هذا القبيل على الرغم من أن المساعدات العسكرية التي قدمتها لنا بعض هذه الدول كانت تفوق كثيرا المساعدات العسكرية التى تلقيناها من الولايات المتحدة الأميركية .

تحويل الروافد العربية

ويقول ديان في جريدة (جيروز اليم بوست) لقد تعودنا الحوادث الناشبة على الحدود السورية لدرجة أنني أشك في وجود شخص واحد يعرف كيف ومتى تنتهي هذه الحوادث .

إن العمليات العربية لتحويل الروافد لاتزال في مراحلها الأولى وبامكاننا عرقلة هذه المشروعات والحؤول دون استمرارها بقيامنا بعمليات عسكرية صغيرة

نسبياً وبمنازعات سياسية محدودة . لكننا إذا انتظرنا الى أن يتقدم العرب في اعمالهم فان الوضع سيصبح مختلفا جدا . ان سورية هي الدولة العربية الوحيدة التي تقوم الآن بتنفيذ التحويل وسنضطر في المستقبل الى توجيه عملياتنا ضد عدة دول عربية . وإن أهم مافي الأمر ومن العوامل الحاسمة أن العمل في هذه المرحلة سيؤثر في جميع الأطراف المعنية ويثبت لها أننا لن نسمح بأن يتم التحويل وليس هناك وسيلة أجدى للاقناع من العمل الحاسم .

ويقول ديان في مجلة (جويش وورلد) ليست قوتنا الرادعة هي التي فتحت لنا مضائق تيران وخليج العقبة التي كانت مغلقة في وجهنا حتى حرب السويس بل ان استخدام قواتنا المسلحة والهجوم العسكري الذي قمنا به هما اللذان حققا لنا ذلك .

وليست قوتنا الرادعة هي التي أمنت لنا الأمور الى جبل الزيتون كما تنص اتفاقيات الهدنة بل ان استعمال قوتنا هو الذي ادي الى ذلك .

ان القوة الرادعة ليست العصا السحرية التي توصلنا الى النتائج المرجوة بل اللجوء الى القوة هو السبيل إلى ذلك . اهـ

التمرن ...

اسرائيل : تجدّ ، وتنتقد ، وتعد العدد لزيادة عدوانها وتحقيق مأربها ، فهلاّ دفعنا ذلك الى اجتماع الكلمة ، وتوحيد الخطة الحازمة ، والقول الفصل بعد طويل الهزل !

يا (شعر) حسبك أن تهد ، مناهلي أو أضلعي
وتثور خفاقاً ، ولحنك صارخ في مسمعي
وتذيب إحساسي ، وتُلقيني بكل تصدّع
وتهزّني ، وتنيخني ، تحت الأسى ، بتوجّع

★★★

يا (شعر) قد فاض الأسى ، وازداد فيّ الاضطرابْ
لولاك ما كان الشعاعُ ، سوى سحابٍ أو سراب
فعلى فتونك عشتُ ، مذبوحَ الأماني ، والشباب
وعلى تخومك ألتقي ، بجيوش عالمنا الخراب

★★★

ياشعر كم أحرقت ، من حسي ، ونوري ، ثم ناري
وأنرتَ غيري ، عائثاً في ليل أسقامي ، وداري
وعصفت في صدري الجريح ، ولم تُقلْ أبداً عثاري
مهلاً فظلّك غامر نفسي ، ويمعن في قراري !!!

★★★

كم قد صبرتُ ، وكم هنا ، قد عيل ياشعراء صبري
ولكم رقبتُ مصائري ، ورقبتُ أشباحي ، وفجري
ونفحت من غيرالمنى ، ونفحتُ من ، سيفري ، وشعري
لم يبق لي إلا ، الرؤي ، فأنا بها في درب قبري

لبنان ـ شحيم : عزيز الخطيب



دمشق

للأستاذ عبد الرحمن جبيرو

دمشقُ سلي حفلَ سمّارنا أغني الهزارُ بأسجاعنا
دمشقُ التي في رباها الخلودُ وفي ظلمها روحُ آمالنا
دمشقُ العزيزةُ للعرب تحيا وتبقى لنا ولأنسالنا
مفوّفةٌ باخضرار النعيم ومثقلةٌ بشهيّ الجنى
يخاصرها بردى مستهلاً نشيدَ البطولة في عصرنا
وماضٍ لها بين ماضي الشعوب عزيز المقام بهيّ السنا
تعيش البطولاتُ في ساحها وتغفو على حالماتِ المُنى
تغيبُ غيابَ بذورِ الثرى وتصحو مجددةً عهدنا
دمشق العزيزةُ ما مثلها عزيز بأرض ولا مثلنا

★★★

ويومَ مشتْ غوطتاك رجالاً بهم قد نصرنا على خصمنا
وأورقتِ الربوتان سلاحاً بنينا به سور أوطاننا

كَسفتِ جمال أثينا وروما وباريسُ خافت صدى بأسنا
بعثت به [غافقياً] عظيماً مهيباً يروّعها باسمنا
وحطمت اسطول روما وخضتِ معاركَ قد سجلت فوزَنا
وشادت سواعد أبطالنا على البحر جسراً عظيم البنا
عبرنا عليه إلى نصرنا وجزناه عدواً إلى مجدنا
وعدنا الزمان بأن نلتقي وإياه في أرض أعدائنا
فحثّ الركابَ .. ولكننا سبقنا الزمانَ إلى وعدِنا
فَبَرُّهمُ عاد برّاً لنا وبحرهم قد غدا بحرَنا
دمشق العزيزةُ كم مالك ظلوم هوى تحت أقدامنا

★★★

زمردةُ الشرق في تاجنا وحاضرةُ العرب في دارنا
تقاسمك الحسْن مِنْ دُرّة وهبنا لها فيضَ وُجداننا
فكم روضة مِلءُ أنظارنا وكم شاعر ملءُ اسماعنا
إذا ما النهار روى سمعَنا فليلكِ يسحر أبصارنا
يفيض الجمال على أوجه تجلّت بدوراً بآفاقنا
عيون كباسم أزهارها رنونا إليها بأرواحنا
حديث كلحن عناديلها يسا جلها بردى مَوهنا
دمشق وليس كمثلك غال نكن له منتهى حبنا

★★★

صفا بردى لك من منهل كتبنا به فخر آدابنا

مداد من النور يسري فيجلو الظلام ويبهر أعـداءنـا

على ضفتيه نمت باسقات تشـذب منهـن أقـلامنـا

يصب بحكمته في الفرات وفي النيل يسكب من فيضنا

ويسقي ثرى الأرض أنى اتجهنا سراعـاً فتطلع أزهارنا

ويغرس فيهـا غراس الحياة فتورق حيث جرت خيلنـا

يصفق بالنصر في العالمين قويـاً ويجري بأمجـادنـا

فافريقيا قد حللنا بهـا وقد غطت الرمل أعلامنـا

وفارس والهند كنـا لها وأندلس الغرب كانت لنـا

دمشق العزيزة كم من نجوم تغور وأنت تضيئيننـا . .

***

تفجرت الأرض عن جنة كساها من السحر تاريخنـا

فكم ملك عبقري الجنـان هدته دمشق الى ديننـا

وكم أمة في ضمير الزمان أنابت تصلي بقرآننـا

وكم قرشي فصيح اللسان وكم أمـوي أرى ههنـا

دمشق العزيزة أنت العروبة تحيـا ونحيـا بها كلنـا

***

قرأت سجالك (١) ياسيدي واطلعت صحبي عليه هنـا

كرائم من نفحات العقول يقصر عن مثلهـا باعنـا

---

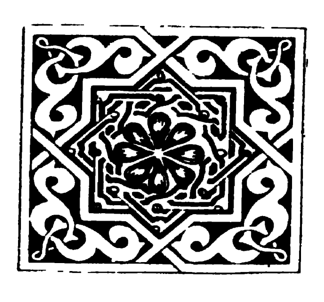
(١) المجلة : يعني قصيدة بعث بها جواباً رئيس تحرير المجلة مساجلة بشعرية بينه وبين الأستاذ الشاعر .

تداركتني بجميل العزاء وانعشتني بعبير الثنا
سجالك ياسيدي منة الكريم تطوق أعناقنا
وانكَ أنتَ العزيزُ المقام بأ سماعنا و بأ بصارنا
لوانكشف الغيبُ كنتَ البقيةَ من صالحين أناخوا بنا
تسوسُ النفوسَ بقلب كبير وتزجي الرجاء وتحيي المنى
ولولا حقوق على كل حر كريم تؤرقه موهنا
لسارَ مسيرة عيسى المسيح يُعرض عن كل ما يُجتنى
فقد كدتُ أيأسُ من حالتي فادخل دير (المعريّ) هنا
و لبس عمّتهُ والعباء وأزهد في كل ما يُقتنى

★★★

سجالكَ أنشودةُ العبقري وأحلى تواشيحه والغنا
ملاكٌ من الخير جم التواضع و اللطف يأسو جراحاتنا
ولفظك يشرقُ بالساطعات فهو السناءُ وأنتَ السنا ..

ادلب عبد الرحمن جبيرو





● الاسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة : في ٦٩ صفحة من القطع ١٤ X ٢٠ بطباعة متقنة على ورق صقيل .

هذا الكتيّب للعلامة الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار عضو المجمع العلمي العربي تضمن الرسائل التي بعث بها أجوبة إلى الأستاذ الشيخ محمد الخالصي من أئمة الشيعة في موضوعات أو مسائل من أظهرها إيضاح حال الصحابة وحالهم في الكتاب والسنة ، ومبايعة الخلفاء الأربعة ، وتصحيح افتراء لابن بطوطة ، والبحث في موضوع الكتاب الذي أراد النبي ﷺ في مرضه أن يكتبه ، وأجوبة العلماء الثمانية بشأنه .

وقد سُررنا بالتفاهم بين مستوضحٍ ومجيب ، فان تكرار ذلك مصحوباً بالحجة العلمية من أسباب استئصال الشحناء والبغضاء والتفرقة وإحلال الوحدة والألفة بين السنة والشيعة .

● مع الفاروق القائد : قرظنا في الصفحة ٤٤٩ من الأجزاء ١٧ - ٢٠ من هذه المجلة في عامها ٣١ كتاب (قادة الفتح) للواء الركن السيد محمود شيت خطاب (عضو المجمع العلمي العراقي) ، وها نحن أولاء تلقاء كتاب جديد سبق أن أشرنا اليه ولم نقرظه ، وهو الفاروق القائد ، في ١٥٥

صفحة مع مقدمتة ، أو ١٩٢ صفحة مع مصادره ومراجعه وفهارسه (الأعلام والأماكن والموضوعات) وثمنه ٣٥٠ فلس .

جاء في مقدمته الخاشعة الرائعة :

وقفت كما يقف أصغر جندي في العالم أمام أعظم قائد في التاريخ داخل حجرة النبي ﷺ بعد موسم الحج لعام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م) ، وإلى جانب قبره الشريف في تلك الحجرة المطهرة قبرا صاحبيه ووزيريه في حياته أبي بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما . . . وهناك انبثقت في خلدي فكرة دراسة حياة الخلفاء الراشدين العسكرية ، فهم الذين نفّذوا أهداف الرسول صلوات الله وتسليمه عليه في الفتح ، وهم وضعوا مخططاته لحماية حرية نشر الدعوة الاسلامية موضع التنفيذ ، وهم الذين تحملوا عبء قيادة الفاتحين من بعده ، فأقاموا (وحدة) رصينة ، وأنشأوا (دولة) متماسكة على أسس مستمدة من تراثنا الروحي وتربتنا الطيبة . . .)

وأشار المؤلف إلى ماقدلعه على نفسه من تآليف ، وأشار إلى العهد الذهبي للفتح الاسلامي في عهد عمر . . . وأشار إلى سجايا عمر القيادية الفذة ، وإلى أن تاريخ العرب المسلمين الحربي مفخرة من مفاخر تاريخ الحرب العالمي وأنه ينبغي عرضه ونشره والاعتزاز به والاغتنام من مآثره ، وأن الاستعمار يسعى للفتنا عن أبطالنا ومآثرنا إلى رجاله وتاريخه . . .

ثم أشار إلى اليقظة من هذه الجهة فقد أصبح من الاطروحات أطروحات كثيرة العدد عن قادة الفتح الاسلامي ، وأصبحت المجلات العسكرية تنشر ماتنشر في موضوعات هذا الفتح المبين ، ورجا المؤلف أن تكون حياة

رسولنا ﷺ وخلفائه قادتنا عقيدة وعملاً وتضحية وفداء ؛ مُثلاً عليا يقتفي آثارها الحاكمون والمحكومون ...

وهذه أمهات موضوعات الكتاب : الفتح الاسلامي ورائده قبل عمر ، عوامل انتصار الفاتحين ، جذور الفتح ، الفتح الاسلامي بقيادة عمر (الشورى . المعلومات . الحرص . الفطنة وبعد النظر . الشجاعة . القابلية البدنية . تحمل المسؤولية . معرفة قيادة الحرب . إعداد الخطط السَوقية . الثقة المتبادلة . المحبة المتبادلة . الشخصية النافذة . الماضي الناصع المجيد . عمر في التاريخ ..)

وألحق المؤلف بالكتاب خريطة الدولة الاسلامية في عهد عمر ، رسمها الملاحظ الفني إبراهيم إسماعيل .

إنه كتاب تعتزُّ به مكتبتنا ، ويفخر بمضمونه أبناء فتوحنا ومجدنا ، ونرجو أن يوفق المؤلف المفضال ليُنجز على غراره حلقات (قادة الفتح الاسلامي) المبين .

● الشيخ أرسلان الدمشقي : كتاب ـ بعرض وتحقيق ـ الأستاذ عزة حصرية صاحب جريدة العلم ، يقع في ١٨٤ صفحة من القطع العادي والورق الأبيض ، والطباعة المتقنة في طباعة العلم .

قال المؤلف السيد حصرية في مقدمة كتابه : (يسعدني أن أضمَّ إلى المكتبة العربية والاسلامية تحقيقاً وجيزاً ، عن حياة العارف بالله تعالى الشيخ أرسلان شيخ الشام في القرن السادس للهجرة ، وهو الذي جاد الله به علينا من قلعة جعبر ، ثم أقام في دمشق ، وتتلمذ على يد مربيه العالم

الكبير أبي عامر المؤدب ، وتدرّج في المراتب حتى انفرد مع إخوانه ومريديه بالوساطة بين الروح والجسم ، والوصل بين الحقيقة والشريعة ، ورفض كل ماعرضه عليه الأمير نور الدين بن زنكي ، زهداً وتعففاً .

والشام ، حين يذكر علماؤها ورجالها وأبطالها ؛ يذكر في طليعتهم اسم الشيخ أرسلان بن يعقوب الدمشقي ، العالم الفيلسوف الصوفي ، والتقي الزاهد الورع ، والشاعر المحلّق الرقيق ، على أنه « حامي الشام » وأنه كان ومضة الومضات ، التي تبعث الحياة في النفوس ، وتفتح الأبصار على نور طالما جحد البعض وجوده ، وتنقل العقيدة التي في قلبه حارة قوية إلى قلوب الناس ، ضمن إطار القرآن العظيم ، وسنة النبي الكريم ﷺ ..)

إلى أن قال : (وإني لأرجو من الله تعالى ، أن نستفيد ونفيد من هذا الفصل الرائع من حياة شخصية فذة ممتعة لعالم من كبار علمائنا ، بلغت من السعة والعمق مبلغاً يكاد يكون من الصعب الالمام بجميع أطرافها في وقت كالوقت الذي قضيناه في دراستها . فالبدء بعمارة مسجد الشيخ أرسلان قد اضطرنا إلى استعجال إصدار هذا الكتاب عنه ، أملاً في أن يكون شعاعاً يلقي بنوره على الدروب ، حتى تتوهج إشراقة الروح في مطلعها . . .)

إلى أن قال : (والله المسئول : أن يعيننا على إتمام النقص ، في سفر آخر قريب عن الشيخ أرسلان ، وفي سفر ثالث عن رفيقه في ضريحه ، المغفور له العارف بالله تعالى الشيخ أحمد الحارون الحجار المسل . . بعد أن مهدنا لذلك بنبذة عن حياته في هذا الكتاب . .)

أظهر مافي الكتاب ـ كما أشار إلى ذلك المؤلف ـ حياه الشيخ أرسلان وآثاره . رسالته في التوحيد وشروحها . بين خالد بن الوليد وأرسلان . بلاد الشام في القرنين الخامس والسادس ، التصوف الاسلامي وفلسفته .

من بديع قول الشيخ وعميقه في رسالته في التوحيد : (إن جئت بلا « أنت » قبِلَك ، وإن جئتَ « بك » حجبك . العاملُ لا يكاد يخلص من رؤية عمله ، فكن من قبيل المنة ، ولا تكن من قبيل العمل ، إن عرفته سكنتَ ، وإن جهلته تحرَّكت ، فالمراد أن يكون ولا تكون .) ـ الكتاب ص ١١١ ـ

ومن رائع شعره وخاشعة قوله : ـ ص ٨٠ ـ

يامن علا فرأى مافي الغيوب ، وما	تحت الثرى ، وظلام الليل منسدل
أنت الغياث لمن ضاقت مذاهبه	أنت الدليل ، لمن حارت به الحيل
إنا قصدناك والآمال واثقة	والكل يدعوك ، ملهوف ومبتهل
فان عفوت ؛ فذوفضلٍ وذو كرمٍ	وإن سطوت فأنت الحاكم العدل

أهدى المؤلف الكتاب (إلى النبي الأعظم ، والامام المبين . . الشاهد والمبشر والنذير . . والداعي إلى الله باذنه . . والسراج المنير . . سيدنا محمد ﷺ . . .)

في الكتاب جهد ناطق لاعتماد المؤلف على مصادر وافرة شرح بها وعلَّق وعرَّف . . جزاه الله خيراً .

نبين بعد هذا مجمل مالنا من ملاحظات :

١ ـ إننا نقدّر حرص المؤلف على أن يجمل التصوف المقصود ـ كما

قال شيخ الاسلام زكريا الأنصاري (ص٢٦)- تزكيةالنفوس ،وتصفية الأخلاق ، وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية (ضمن إطار القرآن العظيم وسنة النبي ﷺ) . ونذكر بأن ذلك هو الاسلام ذاته الذي لاينفك عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، ولا داعي إذن لتبديل اسم باسم ، ولا لصفة وموصوف ...

شعر المؤلف بهذا إذ أورد مسوّغات ذكرها المنتصرون لوجود التصوف ، الذي لم يكن موجوداً بهذا الاسم في عصر الصحابة ولا التابعين ، أظهرها - ص ٢٩ - (ان التصوف لم تكن من حاجة إليه في العصر الأول لأن أهله كانوا أتباعهم أهل تقوى وورع وأرباب مجاهدة وإقبال على العبادة بطبيعتهم ، وبحكم قرب اتصالهم برسول الله ﷺ كانوا يتبارون في الاقتداء به ، فلم يكن ثمة مايدعو إلى تلقينهم علماً يرشدهم إلى أمر هم قائمون به فعلا ، وإنما مثلهم كمثل العربي القح ، يعرف اللغة بالتوارث كابراً عن كابر حتى انه ليقرض الشعر البليغ بالسليقة والفطرة ، دون أن يعرف شيئاً من قواعد اللغة والاعراب والنظم والقريض ، فمثل هذا لايلزمه أن يتعلم النحو ودروس البلاغة ، ولكن علم النحو وقواعد اللغة والشعر ، تصبح لازمة وضرورية عند تفشي اللحن ، أو ضعف التعبير ، أو لمن يريد من الأجانب أن يتفهمها ويتعرف عليها ، أو عندما يصبح هذا العلم ضرورة من ضرورات الاجتماع كبقية العلوم التي نشأت وتألفت على توالي العصور في أوقاتها...).

وجوابنا أن الفارق واضح بين التصوف والنحو وما كان على شاكلته، فآيات تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن ، والأحاديث

النبوية المطبقة لها والموضحة والشارحة ، موجودة لايمكن ولا يجوز أن نزيد عليها ولا أن ننقصها فهي كلها دين والله تعالى يقول : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » ٥ : ٤ ولكن الذي ينبغي عمله هو عرض هذا الكنز وتصنيف جواهره حسب الاقتضاء .
أما قواعد النحو ، والصرف ، والبلاغة ، والبيان ، والمعاني ، فلم تكن موجودة ، وأدت الضرورات إلى وضعها بعد استقراء النصوص العربية الأصيلة . وما كان عصر أحوج الى التزكية الحقة ، من (الجاهلية) اليها .

٢ — وقد أدّى بحث المؤلف التصوف إلى تبيان الفرق بين الشريعة والحقيقة (أو الطريقة) ، وهنا صرح المؤلف بحرصه أيضاً على التزامه السنة ، ونحن مع تقديرنا ذلك منه ، نذكر بأن هذا التفريق تثبيتاً للتصوف لا داعي اليه إذا كان المقصود التزكية الباطنية إلى جانب الأعمال الظاهرية ، فالدين نفسه قد جاء بها معاً ، وله فقه باطني عني به المربّون إلى جانب فقهه الظاهري الذي عني به الفقهاء ، فللصور الظاهرة من العبادات بحوث تستند إلى الكتاب والسنة ، وللتفكر والتدبر والخضوع والخشية والوعي (حضور القلب) ... بحوث تستند إلى الكتاب والسنة ، وليت الفقهاء جمعوا دائماً بين الوجهتين في كتب الفقه ، والأمثلة على ذلك كثيرة في العبادات وغيرها ، قال تعالى في فلاح الخاشعين في صلاتهم : « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون » ٢٣ : ٢ وقال : « فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة . .) ٤ : ١٠٢ . فالمتصوفة المتمسكون بالكتاب والسنة ، هم فقهاء في الدين ظاهراً وباطناً علماً وعملاً ، فهم إذن مؤمنون عالمون عاملون ، وكفى ،

فلم يبق من داع لانفرادهم باسم التصوف ، والعالمون المصلحون الذين لم يعرفوا بأنهم متصوفة كثيرون أيضاً ، والعابدون الزاهدون ـ الزهد المشروع ـ منهم كثيرون أيضاً .

وقد أورد ابن الجوزي (٥٠٨ — ٥٩٧) سيد الوعاظ في عصره ومن كبار المؤلفين في الثقافة الاسلامية ، أورد في كتابه (صفوة الصفوة) تراجم أكثر من ألف من (العاملين بالعلم الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة المستعدين للنقلة بتحقيق اليقظة والتزود بالصالح) وقد افتتح كتابه بعد الكلام في فضل الأولياء والصالحين (بذكر نبينا محمد ﷺ فانه صفوة الخلق وقدوة العالم ، وشرح أحواله وآدابه ومايتعلق به ، ثم ذكر المشتهرين من أصحابه .. ثم ذكر الصحابيات ، ثم التابعين ، ومن بعدهم[1])

وقدحمل الحافظ المرشد أبوالفرج عبد الرحمن بن الجوزي (في منهاج القاصدين) على فقهاء المعاملات الذين يهتمون بالظاهر دون الباطن ، فقال ص١٠ بعد أن أثنى على كبار العلماء الذين راعوا أحوال القلب . . : (وإنما انحطت رتبة المسمين بالفقهاء والعلماء عن تلك المقامات لتشاغلهم بصور العلم من غير أخذ على النفس أن تبلغ إلى حقائقه وتعمل بخفاياه ، وأنت تجد الفقيه يتكلم في الظهار واللعان والسبق والرمي ، ويفرع التفريعات التي تمضي الدهور فيها ولا يحتاج إلى مسألة منها ، ولا يتكلم في الاخلاص ، ولا يحذر من الرياء ، وهذا عليه فرض عين لأن في اهماله هلاكه ، والأول فرض كفاية ...)

ومن ملاحظاته السديدة قوله (ص١٠ أيضاً) :(واعلم أنه قد بدّلت ألفاظ وحرفت

---

(١) انظر كتابه (التراجم والسير) تأليف السيد محمد عبد الغني حسن ص٦٦

ونقلت إلى معان لم يردها السلف الصالح ، فمن ذلك الفقه ، فانهم تصرفوا فيه بالتخصيص ، فخصّوه بمعرفة الفروع وعللها ، ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول منطلقاً على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب) .

٣ — نكره — في معرض التحدث عن صالح مجاهـــد — أن يطلق على المجاهد الورع الشيخ أرسلان (حامي الشام) كما ردد ذلك المؤلف ، وأورد — ص ٨٧ — . . . مسوّغاته من نهوضه بأعباء الجهاد بعد اختياره للدفاع عن دمشق ، وأنه كان في مقدمة من أبعد الصليبيين عن دمشق — بنضاله وتزكيته — وذلك في الفترة مابين سقوط القدس بأيدي الصليبيين سنة ٤٩٢ هـ حتى وفاته سنة ٥٤١ .

إن الله سبحانه وتعالى هو الحافظ الذي حمى دمشق حقاً ، وهو سبحانه القادر القائل «فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى » ٨: ١٧

٤ — تبعاً للجمع تحت لواء الشرع بين فقه الظاهر والباطن ، نذكر بهنات لامسوغ لاطلاقها : كاتهام العقل ص (١٥٨) فهو المرشد إلى الحق في أكثر المواطن لاسبب التيه عنه ، وهو لذلك مناط التكليف في الشرع ، وعدم استنكار بناء القباب فوق أضرحة الصالحين أو غيرهم (ص ١١١) ، وعدم التعليق على تعبيرات يحتاج تسويغها إلى تأويل وإضمار نحن في غنى عنها كقول رابعة العدوية (ص ٢٨) . . . وأبحت جسمي من أراد مجالسي ، وكايراد معنى حب الله دون الخوف منه أو من عقابه ، والله تعالى

يقول : « ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد » ١٤ : ١٤ هذا مع إمكان الجمع بين الحب والخوف أيضاً .

ونحن بما تقدم نؤمن بالكرامات ، ونقدر الصالحين ، ونقول بضرورة العناية بالتصفية الروحية وفق توجيه فقه الباطن والظاهر والتعبد بما شرع الله ورسوله .

ولا نشك أن الأخ المؤلف يقدّر ماذكّرنا به توفيقاً بين ما أكّده من ضرورة الخضوع دائماً للكتاب والسنة وما وافقها دون غيرهما مهما كان مصدره .

● أخلاق الوزيرين : (ابن عبّاد وابن العبد) تأليف أبي حيان علي ابن محمد التوحيدي . حققه بن تاويت بن الطنجي (الرباط) . طبعه المجمع العلمي العربي بدمشق فكان ـ عدا مقدمته في ٨٧ ـ ف ـ في ٦٨٤ صفحة مع فهارسه .

قال الأستاذ المحقق في مقدمته : (... ولم يخف أبو حيان الأسباب التي دفعت به في غير شفقة إلى تأليف كتاب الأخلاق هذا ؛ فقد فارق أعزته ببغداد ، وهجر أهله وإخوانه بها ، وقصد الصاحب بالريّ ، آملاً أن ينال ببابه ما كان طمعُه يدندن حوله ، ونفسه تحلم به ، وأمله يطمئن اليه (١) ، فخيب الصاحب أمله ، وأساء معاملته ، فتجرد أبو حيان للانتقام ...)

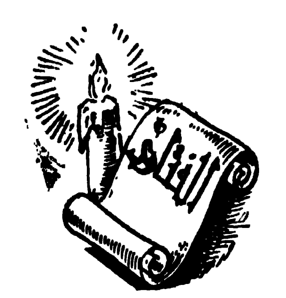
(أما أبو الفضل بن العميد ، فان أبا حيان ـ حسبما حكي عن نفسه ـ لم يحضر مجلسه إلا مرتين ، فشاهد في إحداهما أعوان أبي الفضل يُخرجون من مجلسه ـ بمشهد منه ـ رجلا غريباً صائماً ، في عشية من عشايا رمضان وقت الافطار (٢) ، وشاهد في ثانيتهما محنة شاعر من الكرخ مدح ابن العبد .. فلم يجزه بشيء رغم إلحاحه ومطالبته أمام الحضور ...)

الكتاب ثروة أدبية ولغوية بأسلوب التوحيدي الأخاذ .

(العظمة)

---

(١) الأخلاق ٨٥ . (٢) ص ٣٦٢ .



١ — الاستفتاء في اثبات الشهر بالاذاعة

للمرحوم العلامة الشيخ محمد جميل الشطي مفتي الحنابلة

أجاب بالفتوى الآتية في ذي الحجة سنة ١٣٥٧ (وقد حصلنا على نصّها بواسطة ولده الفاضل السيد فيصل الشطي):

الجواب الحمد لله تعالى

إن الخبر الذي ينقل من بلدة إلى اخري بالراديو المعروف الآن هو من قبيل خبر الآحاد بطريق المشافهة فهو يفيد غلبة الظن ، ويكاد يكون من الأمور اليقينية ، واذا تعدد هذا الخبر فقد بلغ حد التواتر الذي يفيد اليقين ، وهو أوثق من خبر التلغراف الذي جنح اليه جماعة من العلماء المتأخرين ، وأقوى من إنارة القناديل ، وضرب المدافع التي قالوا يعمل بها لأنها تفيد غلبة الظنّ عامة ، فاذا أخبر به حاكم شرعي ، أو أي مسلم عدل في بلد ما وقد عرف من صوته بلا شبهة — حاكماً شرعياً أو غيره من المسلمين في بلدة أخرى — أنه ثبت بالوجه الشرعي رؤية هلال رمضان او شوال أو ذي الحجة ؛ وجب على من سمع الخبر أو علم به الصوم في الأول ، والافطار بالثاني ، والعمل بالثالث ، وعلى الحاكم أن يبلغ ذلك ويعلنه ،

لأن هذا الخبر إذن لايقل عن اذان الثقة الذي اعتبر بدخول الوقت .

وهكذا القول في خبر التلفون ، ولكن يحتاج فيه إلى زيادة التثبت لأنه دون خبر الراديو بالصراحة ، فاذا حصل التثبت الكافي من التلفون وجرت المخابرة على النحو المشار إليه بالراديو وجب العمل به واذاعته أيضاً .

أما الحساب (١) فلا مجال للبحث فيه بعد أن اتفق الفقهاء على عدم اعتباره وفقاً للأدلة الواردة في ذلك من الكتاب والسنة .هذا ماظهر لي والله تعالى اعلم .

٢ ـ الاستفتاء في السِّحر :

يسأل عنه وعن حكمه كثيرون ، وكثيراً مايكذّب السحر بدليل تكذيب الساحرين ومن لفّ لفهم ، وما زال السحر ولو ببعض أنواعه فناً تاريخياً قائماً .

إن السحر لغةً من السَّحر وهو طرف الحلقوم أو الرئة وهما عضوان به رقيقان ومنه أخذ السحر لما لطف مأخذه ، بدقة مسلكه وخفاء سببه ، فهو يطلق على الضرب من التخيل والايهام الخادع للحواس ولا سيما للعين وذلك بالخفة وسرعة الحركه أو بضروب من صناعة خفية قل عارفوها فيمن يسحرون بها ، تستخدم في خواص أشياء يجهلها العامة ، فتكون بدقتها صناعة لآحاد الناس ، وعلى ذلك فهي تنال بالكسب وما يناسبها من المواهب .

(١) المجلة : في هذا نظر ، فلا ينبغي أن يؤخذ على إطلاقه .

ونظراً لما لها من صفة علمية وعملية فان الحكم فيها أن علمها لذاته محرّم كما تكون جائزة لمن تعلمها ليكشف دسائس أهلها ويكافح اضرارها في المجتمع المنتشرة فيه وبذلك تكون له مثوبة .

وأما من تعلمها للعمل فيها فهو من المفسدين ويعاقب عقابهم ويستوجب الاعدام عند مالك وأحمد ، ومن استعمل الفاظ الكفر كفر بها .

لقد انتشر السحر في بني إسرائيل قبل موسى عليه السلام واسترهب به السحرة الناس وخدعوا الأبصار ، وجاؤوا بسحر عظيم ، حتى إذا قابل موسى أباطيلهم الخادعة ، بآيات الله المعجزة ، التي أرسله تعالى بها، فانهم آمنوا إيماناً تمكن من القلوب ، حتى تحدوا ماأنذرهم به فرعون قائلا : « لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ولأصلبنكم أجمعين، قالوا : لاضير إنا إلى ربنا لمنقلبون » .

وقد كانت فتنة البشر بالسحر وتعلمه ، واصطناع أساليبه ، والتأثير في النفوس ، على يد الشياطين ؛ كما قال تعالى بحق بني إسرائيل المفسدين « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر » وكان للسحر دور بارز في حياة البشر بمعارفهم وسلوكهم ، حتى تناولـه الوحي ، وأنزل على ملكين تعليماً وتحذيراً : « وما أنزل على الملكين ببابل : هاروت وماروت ، وما [كانا] يعلّمان من أحد [علمهما هـذا] حتى يقولا [له] : إنمـا نحن فتنـة [ابتلاء واختبار تعليم وتحذير] فلا تكفر [باستعمال ماتتعلم وإفساده] فيتعلمون منهما مايفرّقون به بين المرء وزوجه [بأساليب تأثيره النفسي ،

برهبتها وخداعها وغير ذلك] وماهم بضارّين به من أحد إلا باذن الله [لأن النفع والضر كله بيد الله مالك الملك ، وخالق الخلق بقدرٍ محكم ، وسنن مطردة] ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق [نصيب لمله هذا] ولبئسما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون حتى كان من ذلك الحكم على الساحر بالقتل شرعاً ، لافساده بسحره لابعلمه ، فالسحر على هذا ، كعلم وفن وتأثير ثابت بكتاب الله ، ثبوته بالتاريخ وأحداثه ، حتى تمكن من العامة والخاصة وقصور الملوك ، وقد كشف القرآن من أباطيله وحذر منه ، وهو كخطة يستعمله أهل الخداع والفساد والمكر والاجرام ، فنحذر مما حذر الله منه .

وقد بحث ابن القيم في ضروب من الحيل في (ص ٢٥٠ ج٢) من كتابه اعلام الموقعين فتناول من ضروب ذلك السحر فقال : «سحر الوهم «هو حيلة وهمية » — (والواقع شاهد بتأثير الوهم والايهام ، ألا ترى أن الخشبة التي يتمكن الانسان من المشي عليها ، إذا كانت قريبة من الأرض ، لايمكنه المشي عليها إذا كانت على مهواة بعيدة القعر ؟ والأطباء تنهى صاحب الرعاف على النظر إلى الشيء الأحمر ، وتنهى المصروع عن النظر إلى الأشياء القوية اللمعان والدوران) — فان النفوس مطيه الأوهام ، والطبيعة فعالة ، والأحوال الجسمانية تابعة للأحوال النفسانيه .

وكذلك السحر بالاستعانة بالأرواح الخبيثة ، إنما هو بالتحيل على استخدامها بالاشراك بها ، والاتصاف بهيئاتها الخبيثة ، ولهذا لا يعمل السحر إلا مع الأنفس الخبيثة المناسبة لتلك الأرواح ، وكلما كانت النفس أخبث كان سحرها أقوى .

وكذلك سحر التخريجات ، وهو أقوى مايكون من السحر أن يمزج بين القوى النفسانية الخبيثة الفعالة ، والقوى الطبيعية المنفعلة .

والمقصود أن السحر من أعظم أنواع الحيل التي ينال بها الساحر غرضه ؛ وحيل الساحر من أضعف الحيل وأقواها ، ولكن لاتؤثر تأثيرا مستقرا

إلا في الأنفس الباطلة المنفعلة للشهوات الضعيف تعلقها بفاطر الأرض والسموات ، المنقطعة عن التوجه إليه ، والاقبال عليه ، فهذه النفوس محل تأثير السحر » وعلى ذلك نقر بالسحر (وأثره كما ثبت) ونحارب خططه وأهله ، وشتان بين الأمرين ، ومن الواجب أن يجتنب الخلط بينهما .

(الخطيب)

٣ — **أحاديث صحيحة** : وردتنا أسئلة عديدة حول مانشر في مجلة العربي عن الأحاديث الصحيحة ، فنعرض بايجاز القضية وجوابها فيما يلي :

دعا الأستاذ عبد الوارث كبير الشرف على باب (أنت تسأل ونحن نجيب) في مجلة العربي ، قبل (العدد ٨٧ في ١١ شوال ٨٥ ـ شباط ٦٦) إلى إعادة النظر في كتب التفسير وتنقيتها من شوائب الاسرائيليات ، وشكك في حديث الذباب [١] وحديث الكلب وغيرهما من الأحاديث الواردة في صحيحي البخاري ومسلم وغيرها من الصحاح .. ، وأشار في العدد المذكور إلى تلقيه من (جابر عثرات الكرام) ببغداد مايشعر بتقدير الغاية الأولى ،

---

(١) نشرنا عنه كلمة في الأجزاء ٢٥ — ٢٨ من التمدن الاسلامي حديثيا وطبيا وفي ذلك القوي المقنع .

ويخطئه في التشكيك في الحديث .. وأكد الأستاذ عبد الوارث ما قاله بالنسبة لبعض الأحاديث تبعاً لما ذكره جملة من الأئمة الحفاظ .. وبين أن الذي يعظم شأنَ إنكار أو نقد تلك الأحاديث في كثير من الأحيان كونها متداولة بين الناس ، وضرب على ذلك الأمثال مما لا نخوض فيه الآن دفعاً للاطالة ، ثم قال : إن في صحيح البخاري وغيره ماهو أدهى وأمر من مخالفته ما أمر الله به عباده .. وأورد على ذلك ثلاثة أحاديث :

١ ــ الأول عن عائشة (رض) : في البخاري وغيره ... ــ « كان النبي يأمرني فأتّزر ، فيباشرني وأنا حائض » لمخالفته آية الحيض « ... فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن » وإنما الوهم من تفسير (فيباشرني) ظناً أنها بمعنى المجامعة بينما المباشرة ذات معنيين : المجامعة (وذلك لم يفعله الرسول) أو الملاصقة كما فعل الرسول مع الائتزار تعليماً للراغبين في ذلك من أمته خلال حيض نسائهن ، وتقويماً لبعض ما كان من عوج العادات السائدة .

٢ ــ الثاني (أن رجلا أتى عمر فقال : إني أجنبت فلم أجد ماء ، فقال له عمر : لاتصل » ــ البخاري ــ لمخالفته آية التيمم : « ... فلم تجدوا ماء فتيمموا ... » والوهم إنما جاء من عدم ملاحظة أن مذهب الصحابي المختلف فيه ليس حجة على غيره ــ كما هو من قواعد الأصول ــ وماذا نزيد بهذه المناسبة بعد أن أجمع الصحابة والعلماء من السلف والخلف على مشروعية التيمم للصلاة لمن لم يجد الماء الوضوء والغسل ــ كما قال الشوكاني ــ إلا عمر وعبدالله بن مسعود ، وحكي مثل رأيهما عن إبراهيم النخعي ، وقيل إن عمر وعبد الله رجعا عن رأيهما

٣ ــ الثالث عن زيد بن أنس ــ بسند صحيح على شرط الشيخين ــ

وصححه ابن حزم في الأحكام وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار قال : أمطرت السماء برَداً في رمضان ، فقال أبو طلحة : ناولني من هـذا البرد ، فجعل يأكل منه وهو صائم ! فقلت : أتأكل البرد وأنت صائم ؟ فقال : إنما هو برد نزل من السماء نطهر به بطوننا ، وإنه ليس بطعام ولا بشراب . . . إنما هو بركة ، فأتيت رسول الله فأخبرته بذلك فقال : (خذها عن عمك) ! والوهم إنما جاء من زعم ما قاله الرسول ، مع أن الحديث الصحيح الموقوف المروي عن أنس ليس فيه (خذْها عن عمك) فرجعت القضية إلى رأي الصحابي المخالـَف فيه كما تقدم في المثل الثاني .

والحديث المرفوع عن النبي ﷺ الذي فيه العبارة السابقة منكر كما أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار وغيره ، وعلته علي بن زيد (وهو ابن جدعان) ضعيف .

أفليس من الواجب التروي قبل التشكيك والاتهام . . . أفليس من الواجب الرجوع إلى مصادر العلم الصحيحة . . .

٤ — البعث بعد الموت :

السيد عبد الله المصطفى (مسكان منطقة اعزاز ـ ناحية تلرفعت) يسأل عن الدليل العلمي على البعث بعد الموت ـ بمناسبة سماعه حواراً بين اثنين ينكر أحدهما البعث ، واحتمال زوال الأرض . . .

الجواب : إن عقيدة البعث يوم القيامة عريقة في تاريخ البشرية ، فهي من عقائد الأديان السماوية في صورتها الصحيحة ، ومن عقائد الأديان الوثنية

في صورتها المنحرفة ، فقد انتقلت اليها ثم أصابها التحريف على تراخي الزمن ، وآمن بهذه العقيدة بصورة روحية كثير من الفلاسفة قديماً وحديثاً ، ومنهم أفلاطون قديماً الذي كان يرى أن النفس جوهر مجرد بسيط لا يقبل التجزئة والانحلال ، وهي قوام الحياة وما كان كذلك لا يمكن أن يؤول إلى العدم . ومنهم (أمانويل كانت) وإيمانه ببقاء النفس تابع لرأيه في القانون الخلقي الذي تدين له فطرة الانسان ، ويدل على إرادة إلهية فوق إرادة الأفراد والجماعات.

ولاشك أن عقيدة الايمان باليوم الآخر وبعث الناس فيه ؛ عقيدة تطمئن اليها الأفكار ونصرة حاسمة للخير وخذلاناً حاسماً للشر .

إن غفلة كثير منا في الحياة هي مبعث الغفلة عن الآخرة ، ومن يدرس تفصيل أطوار الخلقة في علم الأجنة (بيولوجي) مثلا يجد أعاجيب من خلق الانسان لا ينكرها أحد ، ولكن تكرارها كل يوم يجعل الغافلين لا يكترثون بها وبثمراتها وهي الوجود في الدنيا ، كما يغفلون بعده عن البعث في الآخرة ، والله تعالى يقول : « فلينظر الانسان مم خلق » ٨٦ : ٥

هذا ، والفلكيون يقولون إن للعالم عمراً ، فالكواكب في انحلال دائم إلى شعاع ، والشمس تنقص وزناً في كل شهر عما قبله ملايين الأطنان وتضعف قوة جاذبيتها تبعاً لهذا النقصان ، كما أن الأرض أبرد بكثير مما كانت عليه ، وأنها أبطأ دوراناً بكثير مما كانت عليه ، وأن ما بقي من عمرها أقل مما مضى منه ، وينقل الأستاذ ولز في تقدير السير جنيز في كتاب (الكوكب المحيط بنا) أن ذلك يقدر بمليون سنة ، ولا ندري كم يكون التقدير بعد غزو الفضاء ، هذا فرضاً عن المفاجآت بزلزال عنيف مديد أو

غيره ، وقد كان الفيلكيون في شباط عام ٦٢ يتنبئون بكارثة أرضية بسبب الوضع الفلكي حينئذ للأرض والشمس . فليس غريباً إذن أن يحدثنا القرآن بزلزلة الأرض زلزالها ، وبانفطار السماء ، وانتثار الكواكب ، وانفجار البحار لحدوث الغاشية التي ستغشى العالم والناس .

ومرد الدليل المطلوب في حقيقته إلى قدرة الله تعالى التي أوجدت الانسان وغيره ، وهو على رجعه يوم القيامة لقادر ، فآثار القدرة بادية في كل شيء ، فكيف نؤمن بها فيما ظهر وننكرها فيما خفي ؟ فالله سبحانه لا يعجزه شيء ، وإن العلم اليوم ليرى في الذرة التي لم يكن يأبه لها شأناً كبيراً ، وقوة ضخمة ، وشبهاً وهي في مادتها بالكوكب الدوار في فلكه .

إن مستحدثات العلم لتسهل علينا تصوُّر البعث بما يبعثه العلم من صور وأصوات وحركات ، بلولب كهربائي تحركه يد انسان ، فكيف بقدرة الله سبحانه « ألا له الخلق والأمر ... » . ٧: ٣٥ قال الأستاذ (لودج) ـ الانكليزي ـ إن الحائط الموجود بين العالمين المادي والروحي أخذ يرقُّ شيئاً فشيئاً ، وسينتهي أمره بالزوال مرة واحدة) ، وقال الأستاذ (كارل دويرل) ـ الالماني ـ : العلوم الطبيعية تجارت على التكذيب بعقيدة الآخرة فسيعاقبها الله بأن تقيم على وجودها البرهان القاطع [1] .

(العظمة)



(١) الاسلام في عصر العلم للمرحوم الأستاذ أحمد فريد وجدي ١٩٠ ص ٣١٠



— ٢ —

لماذا يلحد بعض المساكين ؟!

للأستاذ وهبي سليمان الألباني

الملحدون قلة في عصور الدهر قديمها وحديثها ، وأهل الالحاد — دوماً — قماء بلهاء .

بل لايكاد يوجد هناك نفي للخالق بالمعنى الحقيقي للنفي — إلا على فرض ضياع العقول — إنما هناك تنكر للخالق الحقيقي سبحانه .. ونسبة الخلق إلى مخلوقات غير عاقلة كالطبيعة ، أو وهمية كالمصادفة .

وأنّى للمخلوق المحدود أن يكون خالقاً غير محدود ، وكيف يقع لغير العاقل أن يقوم بأعمال تدل على كمال العقل والحكمة ، ومن أين للموهوم أن يُوجد الكون المشهود الملموس ؟!

ولعلك تتساءل بعدُ — أيها الأخ القاريء — لماذا يلحد بعض الناس وما يُعقل أن تكون الطبيعة وهي التي من حجر وشجر ونبات ، وحيوان وإنسان ، وعنصر وماء ، وأرض وسماء ، ما يُعقل أن تكون الطبيعة المطبوعة خالقاً وهي مخلوقة ، مايُقبل في العقل أن يخلق الشيء نفسه أو يوجد البعض

الكل ولا الكلُّ البعض ، فان البعض جزء الكل فيوجد نفسه ، وإن الكل مدموج فيه البعض فيوجد الشيء جزأه . . !

وإنه لتساؤل حق ، فانك ترى من يرفع عقيرته ليقول بصوت ـ خُلق له ـ إنه ملحد ، لايؤمن بالله ، تعالى الله عما يلحد الملحدون فأقول :

يمكن أن نرجع الأسباب الرئيسية في الالحاد إلى الأمور التالية :

١ ـ العقيدة : التي ينشأ عليها بعض الناس . روى البخاري وغيره أنه ﷺ قال : (كل مولود يولد على الفطرة حتى يُعرب عنه لسانه فأبواه يُهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه) فالعقيدة الشيوعية الملحدة تدرَّس ـ وحدها ـ من مختصين في جميع مراحل التعليم من رياض الأطفال إلى الدكتوراه ولها القيمة الكبرى في الامتحانات وفي الترشيح لوظائف الدولة ، والفكر يوجه فقط ـ إلى ما يوافق تلك العقيدة ، والحياة تُسيَّر ـ فقط ـ وفق تلك العقيدة .

فاذا رُبي الانسان منذ الطفولة على تلك العقيدة وحدها ـ مثلاً ـ أمكن أن يحيا ملحداً ، قد يؤمن بكل خرافة وباطل ، ويسلم لكل فرد وجماعة ، لكنه يصم أذنه وقلبه عن الاستجابة لنداء الفطرة الانسانية في الايمان بالله سبحانه . . ولو إلى حين .

ومع ذلك . (فالدوائر الشيوعية تبدي مخاوفها علناً من الكثرة التي لوحظت على عدد المترددين على دور العبادة وكثرة سؤالهم وتلهفهم .)(١)

٢ ـ مصاحبة الأشرار : أستاذ خبيث يستغل ثقة الطلاب به وانقيادهم

---

(١) انظر كتاب كيف ولماذا ؟ للأستاذ عبد الرزاق نوفل ص ٩

لآرائه فيبث فيهم سموم الانحراف في الايمان فالالحاد في الحياة ، ومن رفيق سوء يُزين الكفر بالله تعالى ويغري بالانطلاق . ومن كتب يكذب أصحابها ماشاء لهم شيطانهم — لماذا يتمسك الملحد بالفضائل وهو عبد هواه ؟ — فيزعمون أن إنساناً خلق إنساناً من العدم ، أن جماعة خلقوا حبة قمح من العدم ، أن أطباء ردوا الحياة إلى ميت فانتصروا على الموت .

إن صحبة من ينكر وجود الله تعالى - من أستاذ ورفيق أو كتاب - ويتخذ من دون الله أرباباً ؛ تترك آثارها السيئة في قلوب بعض الناس المعجبين بأولئك المنكرين . . حتى تنحرف بهم فتزل قدم بعد ثبوتها إلى أسفل سافلين . . إلى أن تدركهم رحمة الله فيعودوا إلى الفطرة في الايمان برب العالمين .

وقديماً نصح رسول الله ﷺ بصحبة الأخيار فقال : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » وقال : « لاتصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي »[٢] .

وقال القائل :

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم	ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه	فكل قرين بالمقارَن يقتدي

وقال أحمد شوقي رحمه الله :

تجد الكتب على الفقد كما	تجد الاخوان صدقاً وكذابا

---

(١) روى الحديث الأول أبو داوود والترمذي وحسنه ، وروى الثاني أحمد وأبو داوود والترمذي . قال السيوطي صحيح .

فتخيّرهـــا كما تختـــارهم وادخر في الصحب والكتب اللبابا

صالح الاخوان يبغيك التقى ورشيد الكتب يبغيك الصوابا (١)

٣ ــ فترة المراهقة الأولى : وهي من أخطر فترات الحياة الانسانية ـ والآباء والمربون عنها في غفلة ـ لمحاولة النفس في هذه السن التحرر والانطلاق من القيود جميعها ، والتنكر للحقائق بكليتها . إن الشباك التي نصبها المستعمر الكافر والصهيونية المدمرة في بلادنا وبلاد الناس من اللهو والرقص، ودور البغاء ودور الخيالة المنحرفة ، ومضيعات القلوب والعقول من الخمر والحشيش ، ومضلات الرشد من المبادئ والأفكار المنحرفة والمجنونة لهي مصب تحرر المراهقين وانطلاقهم ولا حول ولا قوة إلا بالله .

في باريس نادي للمراهقين يرتكبون فيه كل منكر وقبيح ويُزعم لهم أن الكبار يظلمونهم إن جعلوا لحياتهم قيوداً هي قيود العقل والفطرة .

فأين الآباء والمربون الذين يعنون بالشباب عصب الحياة ؟!

وقديماً قال أبو العتاهية رحمه الله : إن شرخ الشباب والشعر الأسود مالم يُعاصَ كان جنونا .

وقال آخر :

إن الشباب والفراغ والجِـــدَه مفســـدة للمرء أى مفسده

ألا أن مسؤولية الآباء والمربين والحكام عن الأولاد والشباب إن أهملوا معاذ الله ـ عظيمة في يوم عظيم (يوم يقوم الناس لرب العالمين) .

---

(١) أعرف رجلاً كان يقوم الليل بالعبادة وقرأ كتاباً لملحد فتأثر به وضـاع زماناً .. حتى أدركته عناية الله ، وأسأله سبحانه أن يتم عليه النعمة .

٤ ــ محاولة التهرب من مسؤوليات الايمان وآثاره : فهناك أناس عبدوا شهواتهم وانقادوا لأهوائهم فسخروا عقولهم وأفكارهم لشهواتهم ف... تنكروا للخالق العظيم وأنكروا وجوده ، خشية أن يحول الايمان ـ لو آمنوا يوماً ، بينهم وبين شهواتهم ، وهم لتغلبها عليهم يعيشون لشهواتهم ويعبدون شهواتهم . وفي القرآن العظيم (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضلّه الله على علم ..) وفيه (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم .)

وكثير من الشبان الحائر الضائع الذي يكشف حيرته عينا حسناء ، ويوجد له نفسه بسمة مغنية ، كثير من أولئك المساكين يلحدون هرباً .. من مسؤوليات الايمان وآثار الايمان ولو إلى حين .

٤ ــ تقليد الملاحدة : فحين يشتهر إنسان ما بالالحاد وتُسلط عليه الأضواء من الكفار المغرضين ويولى بعض الأعمال الظاهرة ويكلف القاء محاضرات أو إدارة جلسات في مؤتمرات ويُستكتب في الصحف والمجلات وتقبل عليه الدنيا ... بل .. ويكتب عنواناً يضع عنوانه : لماذا هو ملحد فيتلقفه الناس برغبة ، ويُزعم للناس أنه إنسان متحرر متحذلق أديب ظريف فيلسوف صاحب مدرسة ، ذلك الانسان يغري ضعاف النفوس بالاقتداء به أو طلابَ الظهور التأسي ببُطله .

وقديماً قيل : تزندق كي يقال له ظريف ..

من سخافات اليونان العَقَدية ــ وكم لهم من سخافات عقدية

وفكرية (١) — زعمهم أن الاله كذا كان يستخدم إنساناً يخلق به الناس في السماء ، فسرق ذلك الانسان من الاله سر الخلق ، ونزل إلى الأرض فقدم سر الخلق إلى الناس في شعلة ، ومن ذلك اليوم بدأ الصراع بين الاله والبشر ، ويشيرون لذلك العلم بالشعلة المضيئة أي النار المقدسة . تلك السخافة ينقلها فيلسوف عصري فيقول : إن الله أهبط آدم إلى الأرض بعد أن عرف آدم سر خالقه ! ما أعظمها فلسفة ؟! ! كأن الخالق عجز عن إماتة آدم عليه السلام أو لم يستطع قطع إمداده بالحياة وأسباب الحياة ؟! ولكن . . هو التقليد الأعمى وما مَثَل أصحابه إلا مثل قوم من بني إسرائيل قال الله تعالى فيهم : (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لايسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون .)

٦ — إمهال الظالمين وإمدادهم بالمال والقوة والسلطان مع تظاهرهم بتحدي الله سبحانه في قوته وسلطانه . فان أصحاب العقول الصغيرة والأحلام الذاهبة يظنون — لجهلهم بصفات الله تعالى — أنه يجب على الله أن يعجل للكافر عقوبته لمعصية ويقطع عنه نعمته من كلمة يقولها أو عقيدة يعتقدها ، فاذا رأوا من الله تعالى الحلم والامهال والصبر والستر والامداد بالمال

(١) ليت الأستاذ محمود مهدى ينبش قبر فلسفة اليونان ليرينا سخافاتها وضلالاتها بل وجنونها — كما فعل يوماً بسخافة فرويد في نشأة الايمان — فقد دل الناس حقاً على أن فكر الانسان خيال وجنونه محقق إلا إذا آمن بالله واتبع هداه . (. . إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . » وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) .

والقوة ظنوا بوجود ربهم سبحانه الظنون .

ولو أنهم قرءوا قول الله تعالى : (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفاً من فضة ومعارج عليها يَظهرون ولبيوتهم أبواباً وسُرُراً عليها يتكئون . وزخرفاً وإن كلّ ذلك لمّا متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين .) وقوله سبحانه : (ولو يؤخذ الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة ولكنْ يؤخرهم إلى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان لعباده بصيرا .) وقوله سبحانه : (أرأيت إن متعناهم سنين . ثم جاءهم ماكانوا يوعدون . ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناحَ بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء . » الترمذي وهو صحيح وقوله سبحانه : (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأملي لهم إن كيدي متين) .

إلا أن الحلم يربي العاقل على حسن الخلق ، وإن الامهال يدفع العاقل إلى التفكير ، وإن التربص الحق يدعو إلى الحذر ، واستمرار العطاء يستدعي الشكر .

ولكن . . . في عيون الملحدين عماء وفي قلوبهم غباء . . . ولو إلى حين .

٧ – الكشوف العلمية : فلقد ظن بعض الناس أنهم إن سخروا الكهرباء وصنعوا القنبلة الذرية وركبوا متن الهواء وإن وصلوا إلى بعض كواكب السماء الدنيا ، أنهم انتصروا على الله تعالى أو وصلوا حقاً إلى إبطال وجوده

على حد قول المسكين خرشوف : ولقد قررنا بأنفسنا البحث عنها — يعني الجنة — فبعثنا في البداية إلى الفضاء الخارجي مكتشفنا الأول جاجارين ولم يجد شيئاً في الفضاء الخارجي (١) .

إن الكشوف العلمية تنادي بأسرار عظيمة في هذا الكون وتتبدى أشياء منها يوماً بيوم مما يدل على عظمة الخالق ، وما كان ليمتنع الكون عن الانسان الذي عرف نظامه ووصل إلى قانونه ، فقد سخر الله تعالى الكون للانسان ، قال الله تعالى : (ألم تَرَوْ أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نِعَمَه ظاهرةً وباطنةً ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدًى ولا كتاب منير .) لقمان .

إن الكشوف العلمية تزيد الانسان إيماناً بالخالق إذ تطلعه على أسرار عظيمة عظيمة ، وتوقفه حائراً فاغراً فاه أمام أحوال في نفسه لا يمكنه استكناه أسرارها ، فما زال يجهل كيف يحيا ، كيف يعمل فكره ، وتشتغل أعصابه ، وتنتج معدته .

إن الكشوف العلمية مفتاح تفتح مغاليق الكفر لتدفع الانسان إلى رحاب الايمان ولقد بدأ نور الايمان بالله تعالى حقاً يشرق على العالم ودخلت الانسانية عصر الايمان ، ولترون ظهورها على مرّ السنين مصداقاً لقول الله تبارك وتعالى (سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَّنَ لهم أنه الحق أو لم يَكْفِ بربك أنه على كل شيء شهيد .)

ولن يتحقق يوماً ظن المغرور بالكشوف العلمية أن يتحق عدم وجود الله تعالى وأن يفر منه ويعجزه هرباً ، فلقد قال سبحانه في كلامه القديم

---

(١) انظر معركة المصحف في العالم الاسلامي للشيخ محمد الغزالي ص ٣٥ وهو كتاب جيد.

(يامعشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذُوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان) وأين السلطان والقوة من دون الله ولا سلطان لأحد سواه ؟! ولن يعيش الانسان - يوماً - فوق أجله ، ولن يأخذ زيادة عن رزقه مهما كان منه ، لن يدفع الموت عنه لحظة ، ولن يزيد في رزقه لقمة ، فلقد قال الله سبحانه : (. . فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .) وكأنه ﷺ قال : « إن روح القدس نفث في رُوعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنّ أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله فان الله لا يُنال ماعنده إلا بطاعته » حديث ضعيف .

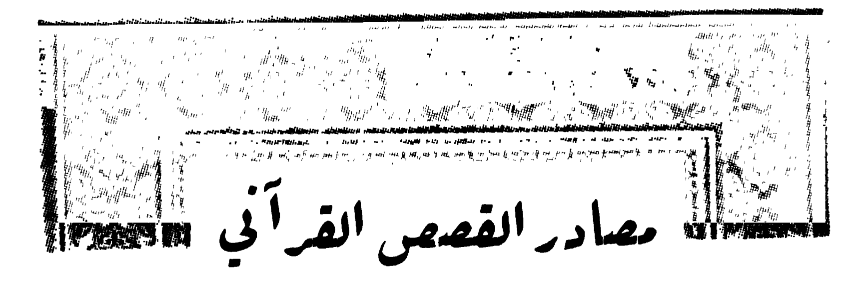
واويل الكافر الملحد من الله تعالى !

قال الله تعالى : (هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قُطّعت لهم ثياب من نار يُصَبُّ من فوق رؤوسهم الحميم . يُصْهَرُ به مافي بطونهم والجلودُ . ولهم مقامِعُ من حديد . كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أُعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) . . (إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً . لقد أحصاهم وعدّهم عدّاً . وكلّهم آتيه يوم القيامة فردا) . . . (إن الذين يُلْحِدون في آياتنا لا يَخفون علينا أفمن يُلْقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير .)

وقد تسألني أيها الأخ القاريء عن براهين ناطقة تقوي الايمان بالله تعالى إذ تدل على رحمة الله تعالى بالانسان وعنايته سبحانه به فأقول :

سأجيبك في مقال قادم إن شاء الله تعالى فقد طال هذا المقال .

وهبي سليمان الألباني



مصادر القصص القرآني

للعليم عبد الغني الراجحي

كنا نشرنا في الأجزاء ٩-١٢ من المجلة في عامها الفائت تعريفاً ونقداً لكتاب الفن القصصي في القرآن الكريم. الذي قال مؤلفه بأن القصص القرآني لا يقصد منه الحقيقة . . .

ويبدو أن هذه (النغمة) سرت في أذهان بعض الكتاب، وهذا العليم عبد الغني الراجحي يرد في (منبر الاسلام) ع ١٠ من السنة ٣ على كلمة في القصص في مجلة الرسالة (العدد ١٠٨٩) للكاتب عبد الحميد إبراهيم أشار فيه إلى التفاوت أسلوبا وهدفاً بين قصص القرآن، وقصص التوراة وان قصص الأنبياء وغيرهم كان فاشياً في العرب، الى أن انتهى الى ان القرآن جارى عواطف العرب ... !!

قال العليم عبد الغني الراجحي:

ان الوجوه التي يدخل منها الخطأ على هذا الكلام كثيرة جداً نذكر بعضها ونعرض عن بعض:

أولاً: بالنسبة لما يدعيه هذا الكاتب من أن القرآن جارى عواطف العرب وأذهانهم وظنونهم نحب أن ننبه الأذهان إلى أن القرآن لو نزل مجاريا لأوهام العرب وظنونهم وما يعتلج في وجداناتهم لما قامت للاسلام دعوة وما كفت هناك رسالة ولا رسول فان الرسالة والقرآن والدعوة لم يكن ذلك كله الا لاصلاح ما فسد من أوهام العرب وتخيلاتهم وعقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم.

القرآن الذي صادم العرب في معبوداتها وعاداتها وتقاليدها وجرد عليهم حملة شعواء من اللوم والذم والتسفيه والتقريع وشبههم بالأنعام والدواب والحمر المستنفرة فرت من قسورة ؛ لايجوز ان يفترى عليه بأنه كان ممالئا لأوهام العرب ونازلا على ما يعتور مكنونهم ويعتلج في لاوعيهم . كيف اذن حرم الخمر عليهم وقد كان حبها ممزوجاً بذرات دمائهم .

كيف حرم الربا الذي كان فاشياً وأول ربا وضعه ربا العباس عم النبي ؟

كيف حرم الدم المسفوح والأزلام والأنصاب والميسر وما ذبح على النصب والتشاؤم والطيرة ووأد البنات ؟ وعاده التبني والظهار وغير ذلك مما كان فاشيا عند العرب . كيف هاجم اصنامهم التي كان يعبدونها وتهكم بها وضرب الأمثال الموضحة لحقارة العابد والمعبود والصنم الذي هام في صنم فقال « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » . وقال « ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » . ؟!!

كيف هاجم الآباء التي كانت موضع الاعتزاز والتوقير عند العرب وقال عنهم : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون » نعم ان القرآن قد يستعمل الحكمة والتدرج في بعض التشريعات التي يرى ان من الحكمة التدرج في معالجتها وذلك كالخمر والربا والزنا والميسر وغير ذلك لكنه في النهاية لا يسكت على باطل ولا يجارى في وهم خاطىء ولا بد أن يعمل على ترسيخ حقائقه التي من أجلها نزل ومن أجلها كان ضياء ونورا وكتاباً مبينا

يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بأذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم.

ان القرآن الكريم الذي غير حياة العرب تغييرا جذريا ونقلهم من الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء إلى خير أمة أخرجت للناس وكان نقطة تحول في تاريخ العرب بل في تاريخ البشرية كلها حاشاه أن تكون مصادرة مستمدة من أوهام أول من نزل لاصلاحهم ليصلح بهم بقية العالم. « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ».

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ».

ثانياً: بالنسبة لما يدعيه الكاتب بصريح العبارة من ان مصادر القصص القرآني وجدانات العرب وثقافتهم وما يعتلج في لا وعيهم ومكنونهم. نريد ان نقرر ان هذا كلام يصح أن يقال عن القصص الانشائي الذي هو أثر في لكاتب من الكتاب القصاصين كما ذكر هذا الكاتب نفسه مستشهداً بقصة « عودة الروح » لتوفيق الحكيم. أما قصص القرآن فانه وان كان بأساليب عربية وله لمساته القوية لعادات العرب وثقافتهم وأفكارهم تصويبا لما هو صواب وتخطئة لما هو خطأ على أتم مناسبة لحال من نزل عليهم وحكى لهم وعلى أعلى درجات الروعة والتأثير ومناسبة الكلام لمقتضى الحال واصابة الأهداف والأغراض، الا أنه في النهاية ومع ذلك كله لا مصدر له الا الذي صدر منه وعنه وهو الله سبحانه وتعالى. نطق ذلك القرآن نفسه وشهد لقصصه تلك الشهادة فيما يقوله الله لنبيه في كثير من الآيات

التي تستعصى على العصر كقوله تعالى « وانك لتلقّى القرآن من لدن حكيم عليم » وقوله « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن » وقوله « كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا » . وقوله « نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون » وقوله « نحن نقص عليك نبأهم بالحق » وقوله « ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد » وقوله « ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا » .

ان القول بأن مصدر القصص القرآني هي البيئة العربية والثقافة العربية والأوهام العربية يجرنا من حيث ندري أو لا ندري إلى عملية تمهيد وتوطئة للقول بأن القرآن وقصصه ابن البيئه منها واليها من الانسان وإلى الانسان على نحو ما كان يقول الكافرون فيه « ان هذا إلا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزورا » « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا » فرد الله عليهم بقوله « قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض انه كان غفوراً رحيما » .

ثالثاً : أما بالنسبة لما قصه الله علينا من قصص إبراهيم ويعقوب وبنيه وقوله لهم « فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » وقولهم « ونحن له مسلمون » وقول الكاتب انه يشك في أن هذا الموقف قد حصل بقضه وقضيضه اذ لم يكن الاسلام قد ظهر أيام ابراهيم فتلك منه ثالثة الأثافي وكبيرة الكبائر ولا أحب أن أكون من الذين يجردون على مخالفيهم سيف التكفير ولا من الذين يحملون منجنيقة للقذف بالمخطئين إلى نار جهنم وبئس المصير . ولكني أحب أن أقول وبكل هدوء وبساطة ان هذا القول معناه الطعن في صدق القرآن وأحقية القصص القرآني وادعاء أنه سبحانه يحكي علينا

ويقص أشياء لم يكن لها وجود خارجي ولكنها من نسج الخيال وحبكة التأليف وتلفيق حوادث لاقصوصة خيالية ليخدم غرضاً معيناً على نحو ما يتخيل القصاصون البشر ويلفقون الأمور لأشخاص خيالية أو حقيقية في حبكة فنية وانشاء أدبي يخدم غرضاً معيناً .

نعم : ان الكاتب يعترف في بعض فقرات مقاله بأن القرآن معجز وانه تنزيل من الحكيم العليم ونحن نشكره على هذا السخاء لكن نسبة الخيال والتلفيق والاخبار بما لا يطابق الواقع الى قصص القرآن على نحو ما يلزم من كلامه لزوماً بيناً بل ويصرح به ؛ يعود بالنقض والتكذيب الي القصص والقرآن من غير مبرر لذلك الا اشتباه الكاتب في أن الذين حكى عنهم لفظ الاسلام كانوا قبل الاسلام ، كأنه لم يسمع قط بأن جميع الأديان السماوية الصحيحة هي اسلام لله وتسليم له واذعان وخضوع وانقياد، فقد وصف بالاسلام ابراهيم في القرآن الكريم وغير ابراهيم من المرسلين والصالحين بمعنى عدم الاشراك به سبحانه وتعالى والانقياد التام له فقال تعالى « ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » وقال تعالى « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وقالت بلقيس « إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » ان الكاتب يقول مانصه : « نظر القرآن فوجد شخصيات اسرائيلية مألوفة وشائعة بين العرب فلم لا يحملها مبادىء دعوته ويكسب سمعتها وألفتها فيجعلها تهمس بمبادىء اسلامية » يعني الكاتب بذلك أن القرآن يقولها ما لم تقل وينسب إليها كذبا ما يريد ترويجه على لسانها مستغلا سمعتها ، كأنما القرآن في نظر الكاتب يريد أن يروج

بضاعته انْ بالحق أو بالباطل ان بالصدق أو بالكذب ، وهذا لعمري هو نفس ما سبق أن طعن به طاعنون على القرآن وقصصه من مستشرقين مغرضين ومستغربين أذناب . تارة بقولهم أن في القرآن قصصاً متخيلا لا أساس له من الصحة كقصة ابراهيم واسماعيل حول بيت الله الحرام انتحلها منتحلون كعملية تقريب بين أحفاد اسماعيل بن ابراهيم وهم العرب بمكة وأحفاد اسحاق بن إبراهيم وهم اليهود بيثرب . وتارة بقولهم ان القرآن وجد بالجزيرة العربية قصصاً شائعاً فأكثر من ذكره توددا إلى العرب ومخاطبة للناس على قدر عقولهم . وتارة بقولهم ان القصة في القرآن يدخلها التزيد والتنقيص مسايرة للحبكة الفنية والصدق الأدبي والاخراج القصصي من غير التزام للواقع والحقيقة ولمناقشة كل هؤلاء والرد عليهم وبيان خطئهم فيما ذهبوا اليه مجالات أخرى أوسعوا فيها رداً وتأثيما ألا اننا ننتهز هذه الفرصة فنقرر في ايجاز انه كان من أهداف القصة في القرآن الكريم . أن تكون دليلا على صدق الرسول ﷺ في دعواه الرسالة واتصاله بالله من حيث أنه يخبر عن أمم وأشخاص ماضية لم يشاهدها ولم يقرأ تاريخها وكان عرضة لأن يكذبه المكذبون إذا لم يقص بالحق والصدق ومن هنا لابد من أن القرآن وهو يقص ان كان متحريا الحق والواقع والمطابقة لما في الخارج وقد أشار القرآن الكريم نفسه إلى هذه المعاني التي ذكرنا في مثل قوله تعالى « إن هذا لهو القصص الحق » وقوله تعالى « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة » وقوله تعالى « ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك » وقوله تعالى « منهم من قصصنا عليك

ومنهم من لم نقصص عليك » وقال مشيراً إلى معنى الاعجاز ودليل الصدق في مطابقة قصصه لما هو واقع في الخارج في سورة آل عمران عقب قصص مريم وزكريا وعيسى : « ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون » وقوله تعالى في سورة يوسف وفي قصته « وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون » وقال في قصص موسى وشعيب « وما كنت بجانب الطور إذ نادينا » « وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين . ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر ، وما كنت ثاوياً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنّا كنا مرسلين » .

رابعاً : بالنسبة لما ذكره الكاتب من قوله « ويشيع الحنفاء فكرتهم عن بناء ابراهيم واسماعيل الكعبة وهنا موقف خصب للقرآن فليأخذ تلك الفكرة وليكسب أنصارها الى صفه ، ثم يوحي اليهم بمبادئ دعوته « وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » . وقوله « وشاعت بين العرب عقيدة الجن وآمنوا بها إيماناً عميقاً أفلا يكون اعجازاً أن يحمل القرآن شخصية جنية بعض مبادىء الدعوة ، وقد حدث إذ تخيل نفراً من الجن وأجرى على ألسنتهم حديثاً اسلامياً تضمنته سورة الجن ـ نقول : ان ما في ذلك من الخطأ والتطاول على القرآن وقصصه ورميه بالخيالية والانتحالية لم يزد على كونه امداداً أكثر تصريحاً لما سبق ذكره عنه في الوجه الثالث مع زيادة التصريح بانتهازية القرآن واستغلاله أفكاراً خاطئة وتبنيها للتوصل بها الى ذكر مبادئه، كأنما كان القرآن الكريم تنقصه الحقائق التاريخية والوقائع الخارجية يحبك عنها قصصه ليبلغ بها ذروة التأثير والاعجاز حين

يعمد إلى عالم الأوهام والخيالات يحيك منها قصصه كما يفعل صغار القاصين المتأدبين ولست أدري ما الحامل للكاتب على أن ينكر وجود إبراهيم وإسماعيل حول الكعبة وأن ينكر وجود الجن والحقائق التي ذكرت عنهم في سورة الجن . أهي شهوة الانكار للانكار أم لدى الكاتب أدلة تستطيع أن تقف على قدميها أمام الدلالة الدالة على وجود الجن وبناء ابراهيم واسماعيل بيت الله الحرام ؟

إن كان يؤمن بالقرآن فقد نطق القرآن بهذه الحقائق واضحة وكل ممكن نطق القرآن به وجب الايمان به . وإن كان لا يؤمن بالقرآن فالدلالة على حقية القرآن وصدق الرسالة وكونه من عند الله يستطيع أن يسأل عنها أو ينقل الجدال اليها .

خامساً : بالنسبة لما ذكره الكاتب من الربط بين قصة موسى والعبد الصالح في سورة الكهف وبيَّن ما كان عليه العرب من التشوق لكشف الحجب والتطلع إلى الغيب بواسطة الكهان والعارفين والشياطين .

أقول : فهلاّ اطلع الكاتب على ما ذكره المفسرون في تفسير هذه القصة ، وبيان سبب حصولها الخ - إلى أن قال :

هكذا يكون الالحاد في كتاب الله وهكذا تنبش الأرض من جيف وقاذورات كان يرمينا بها الغرب أيام كان يرمينا بكل نقيصة ليقضي على مقاومتنا للاستعماري ومناعتنا ضد حيله والاعيبه .

اخشى ما اخشاه أن يكون هذا الكاتب من عملاء مجلة « حوار » البيروتية التي تصدرها المنظمة العالمية لحرية الثقافة والتي تتستر تحت هذا العنوان وهي تخفي وراءه مآرب استعمارية خبيثة ويقع في شراكها كثير من كتاب العرب ...

الدكتور عبد الغني الراجحي

في المجتمع

ترجمة القرآن الكريم :

نشرت الرسالة (بون) في ١٧/١٢/ ٦٥ مايلي :

تقوم دار نشر كولهامر فرلاج بمدينة شتوتجارت الآن بطبع الترجمة الحديثة للقرآن الكريم إلى الألمانية . التي قام بها الأستاذ رودي باريت استاذ الدراسات الاسلامية بجامعة توبنجن . ومن المنتظر أن ينتهي طبع ترجمة القرآن بكل اجزائه في ربيع العام القادم . وقد جاءت هذه الترجمة ثمرة لعمل وابحاث طويلة استغرقت أعواماً . وقد سبق أن نقل القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية عدة مرات خلال مئة العام الأخيرة ، الا انها كانت ترجمات تميل غالباً إلى التأويلات الشعرية . وتهدف الترجمة الجديدة للأستاذ باريت لا إلى خدمة الاغراض الدينية بل التاريخية . وقد مهد الأستاذ باريت لهذه الترجمة بكتابه الذي نشره من قبل بعنوان « محمد والقرآن »

التمدن الاسلامي : لا ندري مبلغ صدق ترجمة معاني القرآن المشار إليها ولكننا نردُ بهذا النبأ زعم من حرم ترجمة المعاني (بعد مشروع الأزهر عام ١٩٣٠) حتى أدى الأمر إلى أن يقوم غير المسلم بجزء من المشروع .

● **كتب اسلامية** جعلت الحكومة الكويتية في مشروع ميزانيتها مبلغ مئتي ألف دينار كويتي لطبع القرآن الكريم وبعض الكتب الاسلامية التي سترسل إلى إفريقية .

● في اليابان : قدم السيد محمد السليمان الشيمة (مدير المكتب الرئيسي ضمن الجماعي في الدمام) تقريراً اضافياً إلى سماحة المفتي العام ضمنه اقتراحاته شؤون الدعوة الاسلامية ، ومن ذلك ما يتعلق باليابان ، واقترح العناية بتوجيهها ، ونشر تعليم العربية الذي هو مفتاح لدخول الكثيرين من أهلها في الاسلام وتخلصهم من الوثنية . . .

● جامع أيا صوفيا : يتوقع أن يعاد هذا الجامع الشهير في استانبول بعد أن لبث متحفاً أربعين سنة .

● جمعية المسلمين اليابانيين : تبرعت المملكة العربية السعودية لهذه الجمعية بمبلغ ٣٧٠٠٠ ريال .

● الهيئة العربية العليا لفلسطين ، استنكرت ببيانها الصادر في ٣٠ / ١٠/ ٨٥ (١٠ /٢/ ٦٦) تزويد الولايات المتحدة اسرائيل بكمية كبيرة من دبابات « بازن » ورأت في ذلك دليلا على أن الولايات المتحدة لاتزال سائرة في سياستها المؤذية للشعب الفلسطيني خاصة والعالم العربي عامة .

● الرئيس أيوب خان : قال في خطابه الشهري يوم ١٠ / ١٠ / ٨٥ (١/٢/٩٦٦) بعد أن أشار الى حرصه على السلام وحسن العلاقة مع الجوار : إن تنمية العلاقة مع دولة من الدول لايعني ضعفها مع أخرى .

● مصرف للعقول : نشرت الأخبار الامريكية: اقترحت الرابطة الدولية في مؤتمرها الذي عقد أخيراً في طوكيو انشاء « بنك للعقول » يمد المعاهد العليا في الدول النامية بأساتذة جامعيين . وشدد المؤتمر على الحاجة لتوفير المساعدة الثقافية لهذه الدول عن طريق تدريب الأساتذة المهرة . هذا وقد انتخب المؤتمر العلم قسطنطين زريق ـ استاذ شرف في الجامعة الأمريكية في بيروت ـ رئيساً له .

(قلم المجلة)

الطب خلال عشرين سنة قادمة

في (الأخبار) الأمريكية العدد ٩ ـ بحث في مستقبل الصحة للعليم لوثر ل . تيري (رئيس دائرة الصحة الأمريكية) نلخص منه ما يلي :

● من بين الأمراض المميتة والمتعبة التي نأمل القضاء عليها قبل عام ١٩٨٥ ماتمّ اختراع أدوية لها أو لقاحات أو علاجات .. ومنها الخانوق والسعال الديكي والشلل والتسمم والكلب والحصبة والتيفوئيد والسفلس والسيلان ، وتشير الدلائل إلى النجاح في القضاء على اللوكيميا (سرطان الدم)

● في أمراض الأسنان : يرجى التوفق في القضاء على فجوات الأسنان الشائعة بين الأطفال وعلى أمراض اللثة .

● في مجال (قطع الغيار) من المتوقع تزايد المصابين بأمراض القلب الذين يستعملون الجهاز الألكتروني النابض لدفع حركة القلب إذا توقف عن العمل ، وربما رجح استعمال قلب اصطناعي ، كما تم اختراع كلية اصطناعية

● في مجال الأمراض العقلية ،يرجى الوصول إلى تفهم أفضل للتخلف العقلي؟

مجلة التمدن الاسلامي

رئيس التحرير : احمد مظهر بن احمد العظمة

المدير المسؤول : محمد بن كمال الخطيب

الادارة : دمشق الدرويشية

الهاتف : ١٥١٢٠

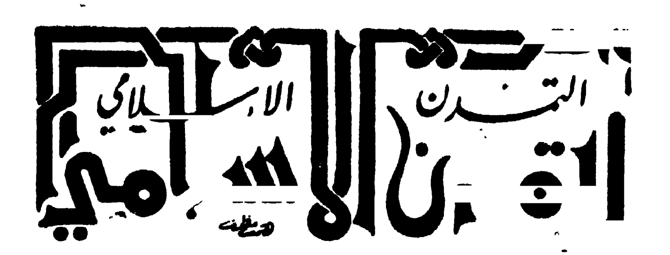
سنة المجلة ٤٠ جزءاً أي عشر نسخ غالباً وقد يلحق بها كتاب .

قيمة الاشتراك : ٨ ليرات في سورية ولبنان جنيه أو دينار خارجها

٢٥ ل.س للدوائر الرسمية في سورية ٥٠ ل.س لسواها

ريع المجلة : يرد لجمعية التمدن الاسلامي لينفق في تحسين المجلة والمشروعات الخيرية ...

الأجزاء ٥ – ٨ من المجلد ٣٣



مجلة إسلامية علمية أدبية

تصدر بدمشق عن



صفر ١٣٨٦ هـ حزيران ١٩٦٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

نعم الله وآياته

«ألم ترَوا أنّ الله سخّر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبَغ[1] عليكم نعمَه ظاهرةً وباطنة ؟ ومن الناس من يجادل في الله بغير علمٍ ولا هُدى ولا كتابٍ منير وإذا قيل لهمُ آتبعوا ما أنزل اللهُ قالوا بل نتبعُ ما وجدنا عليه آباءنا ، أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السّعير ؟! ومَن يُسلمْ وجهَه إلى الله وهو مُحسنٌ فقد آستمسك بالعُروة الوُثقى[2] ، وإلِى الله عاقبةُ الأمور . ومَن كفرَ فلا يَحزُنْك كفرُهُ ، إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ، إنّ الله عليمٌ بذات الصدور . نمتّعهم قليلاً ثم نضطرّهم إلى عذابٍ غليظٍ . ولئن سألتَهم مَن خلق السموات والأرض ليقولُنّ الله ، قلِ الحمدُ للهِ ،

(١) أسبغ : أفاض ، يقال ثوب سابغ : طويل ضاف . والمعنى المقصود : أجزل .

(٢) العروة : من الدّلو والكوز : المقبض .. واستعملت هنا استعمالاً مجازيا ، أي استمسك بالسبب المتين .

بل أكثرُهم لا يعلمون . لله ما في السموات والأرض ، إن
الله هو الغنيُّ الحميد . ولو أنَّ ما في الأرض مِن شجرة أقلامٌ
والبحرُ يَمُدُّه من بعده سبعةُ أبحرٍ ما نفِدتْ كلماتُ الله ،
إن اللهَ عزيزٌ حكيم . ما خلْقُكم ولا بعثُكم إلا كنفسٍ واحدة ،
إن الله سميعٌ بصير . » لقمان : ٢٠ — ٢٨

أسباب النزول :

● جاء في (لباب النقول في أسباب النزول) سببُ نزول الآية الثالثة من سورة الحج (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد) وقد نقلناه في مناسبته من بعد .

● ونقلنا أيضاً في الصفحة القادمة عن تفسير أبي السعود سبب نزول الآية الثامنة من سورة الحج أيضا ، ونصها كنص الآية الحادية والعشرين من سورة لقمان ، ولكن المناسبة في آيتي الحج مناسبة البعث يوم القيامة .

● مما جاء في (لباب النقول) حول الآية ٢٧ ما يلي :

أخرج ابن إسحٰق عن عطاء بن يسار قال : نزلت بمكة « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » فلما هاجر إلى المدينة أتاه أحبار اليهود ، فقالوا : ألم يبلغنا عنك أنك تقول : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » إيانا تريد أم قومك ؟ فقال : كلا عنيت ، قالوا : فإنك تتلو التوراة ، وفيها تبيان كل شيء ، فقال رسول الله ﷺ : هي في علم الله قليل ، فأنزل الله : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام » .

وأخرجه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس. وأخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة، وابن جرير عن قتادة قال: قال المشركون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفد، فنزل: «ولو أن ما في الأرض» الآية.

المعاني الجمل:

● ألم تعلموا أن الله ذلّل لكم ما في السموات من شمس وقمر ونجوم.. وما في الأرض من بحار وأنهار وسهول وحيوان ونبات..، وأجزل عليكم نعمه ظاهرة حسّية وباطنية معنوية؟ ومن الناس كأهل مكة ـ من يجادل في وحدانية الله تعالى وصفاته وما إليها، بغير علم صادق، ولا هداية نبوية، ولا كتاب إلهي.

● وإذا قيل لأولئك المجادلين: اتبعوا ما أنزل الله على رسوله من توحيد، قالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من شرك! قال تعالى على سبيل التعجب في الإنكار عليهم ما معناه: أتتبعونهم في ضلالهم ولو كان الشيطان يدعو أولئك الآباء الى عذاب جهنم بسبب ما قدموه من موجبات ذلك العذاب؟!

● ومن يستسلم الى الله وحده وهو محسنٌ قولاً وعملاً كما أمره فكأنه تمسك من حبل النجاة بأحكم عراه وترقى إلى أعلى المقامات، وإلى الله مرجع الأمور فيجزي المجادل المعاند، والمؤمن المستسلم كلًا بما قدّم: بجحيم أو نعيم.

● ومن كفروا فلا يحزنك يا محمد كفرُهم، فإن صدقك ليس رهينَ تصديقهم، وإلينا مصيرهم فنخبرهم بما عملوا من تكذيب، ونحاسبهم عليه، إن الله عليم بما يدور في الصدور من نوايا وهواجس، فكيف بما يكون ظاهراً من الأقوال والأعمال؟

● نمتّع الكافرين قليلاً في الدنيا ثم نضطرهم في الآخرة إلى عذاب النار الشديد .

● ولئن سألت المشركين يا محمد : مَن خلق السموات والأرض ؟ ليقولُنّ خلقهن الله ، قل : الحمد لله على ظهور صدقك إذْ قامت الحجة عليكم من فمكم بالتوحيد مع أنكم مشركون ، بل أكثرهم لا يعلمون ما يبنى على إقرارهم من وجوب الرجوع عن شركهم .

● لله ما في السموات والأرض من مخلوقات ، فهو خالق الخلق ومالك الملك ، إن الله هو الغني عن حمد الحامدين ، المحمود في ذاته دائمًا .

● ومما يصور سعة علمه ومبلغ قدرته أن أشجار الأرض لو بُريت أقلاماً وكان البحر حبراً لها ، ومعه سبعة أبحر تمدّه بمدادها ، فكتبت بها وبأكثر منها كلمات الله الدالّة على مبلغ علمه ، ما انتهت كلماته ـ جل وعلا ـ لأن علمه لا ينتهي ، إن الله كامل القدرة لا يعجزه شيء ، كامل العلم لا يخرج شيء عن علمه وحكمته .

● ما خلقكم ولا بعثكم بعد موتكم ـ الذي تنكرونه ـ أيها الناس ، إلا كخلق نفس واحدةٍ وبعثها لأنه بكلمة كنْ ، إن الله سميع بصير لا يفوته شيء سماعاً وبصرا .

المعاني المفصلة :

١ ـ (الآية ٢٠) تلفت الآية العشرون أنظار المشركين وغيرهم إلى ما في السموات والأرض من نعم لا تحصى ومِننٍ لا تستقصى ، فقد تقدم في تفسير الآيتين العاشرة والحادية عشرة شيء من ذلك ، ثم جاءت آيات الحكمة وما إليها (١٢ ـ ١٩) دالةً على أن معرفة ما خلق الله سبحانه وتعالى وما تفضل به من نعم ، يجب الشكر عليها لله وحده ، وقد دعا إلى ذلك المرسلون ، ودعا إليه الحكماء الصادقون ، فليست دعوة محمد ﷺ بدعاً في الدعوات ، وجاءت هنا آية النعم تقول بلغة المنافع والمصالح :

ألم تعلموا أيها الناس علماً واضحاً ماذلل الله تعالى لمنافعكم مما في السموات : من شمس وقمر ونجوم وكواكب ورياح وأمطار وغازات ... ، وما في الأرض من حيوانات ونباتات وبحار وأنهار وسهول وجبال ووديان ومعادن ... حتى تصيبوا من تسخير ذلك كله لكم النفعَ الحيوي والماشي الكبير : من دفء وضياء ونور وغذاء وحركة وراحة ... انكم في أرضكم تنالون من خير الشمس في فضائها السحيق ، وتصيبون من خير البحر العميق ، وتحرزون ، وتقطفون ، وتحصدون ، وتجمعون ، وتصطادون ، وتستخرجون ، فإن ما تقدم مسخَّر لخلافتكم في أرضكم ، أفلا تشكرون ؟!

وليس هذا فحسب ، ففي أنفسكم أيضاً النعم الفائضة الجزيلة التي لا تحصى ولا يقدر لها ثمن ، أفلا تشكرون ؟

ولنوضح قليلاً بعض النعم بلغة التدبّر والتأمل :

دونكم الشمس مصدر ضيائنا وحرارتنا ، ومحور نظامنا ، وبسمة معاشنا التي لا غنى لنا عنها .

دونكم القمر المنير سراج سمائنا ، وبهجة ليالينا المقمرة ، وسبب مدّنا وجزرنا ...

دونكم سنن الكون العجيبة ، وما تنطوي عليه من حكم ، وما تؤدي إليه من جزيل منافعنا .

دونكم أرضنا التي توافرت فيها شروط الحياة ، فلم تكن ـ تبعاً لدورانها حول الشمس ولميل محورها واتجاهه العلوي الثابت ـ كالكواكب السيارة الأخرى في معدّل حرارتها واختلاف ليلها ونهارها ...

دونكم انتفاع الانسان بتوزيع اليابس والماء على سطح الأرض ، لنفكر في حكمته : إن ما يناهز ٧٢ في المئة من سطح الأرض ماء ، و ٢٨ يابس ، وان الماء هو مصدر الرطوبة الملطفة للمناخات ، والأمطار التي لا غنى لحيوان ولا لنبات عنها ، ولو فسدت النسبة لغدا معظم اليابسة صحاري لا تصلح لسكنى الإنسان .

دونكم التيارات المائية في المحيطات والبحار بين باردة تنبعث من المناطق القطبية ، وحارة تنبعث من المناطق الاستوائية ، وسطحية ، وعميقة _ تحت سطح الماء _ ولولاها لتغيرت الحياة على سطح الأرض بسبب المياه الراكدة الآسنة والرياح الكريهة المنبعثة منها .

دونكم اختلاف التضاريس في اليابس ، كيف أدى إلى تنوّع الحيوانات والنباتات .

دونكم دنيا المحيطات والبحار وما فيها من عجائب النبات والحيوان .

دونكم تأثير القوة الجاذبة العجيبة في المنافع الحيوية المختلفة .

دونكم الغلاف الغازي المحيط بالكرة الأرضية الوثيق العلاقة بالحياة على أرضنا . . .

دونكم الهواء وعناصره الكثيرة كالآزوت ومولد الحموضة والأرگون . .

دونكم الجبال والبحار والأنهار وآثارها الحيوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية . . .

وليس هذا ففي أنفسكم النعم الفائضة بين ظاهرة وباطنة ، وكل إنسان مملكة كاملة بل عالم كامل .

دونكم جسم الإنسان ومنشئه وما فيهما من عجائب ، تأملوا في أسرار خلق الإنسان من تراب ثم نطفة أخلاطٍ (في الخصية) ثم من علقة (في الرحم) ثم مروره بأطوار حتى ظهر في الدنيا خلقاً سوياً ذكراً أو أنثى .

تأملوا في هندسة هيكل الإنسان العظمي ، وفي مضخة قلبه ، ومصفاة رئتيه ، وأسلاك أعصابه ، ووظائف جلده ، وأعمال مفاصله ، وفي حواس ذوقه ولمسه ، وسمعه ، وبصره ، وشمه ، وفي معمل معدته ، وفي غدده وعصاراته ، وفي آلة كلامه ، وفي غرائزه ، وشعوره ، ومداركه . .

وانك لترى النعمة ظاهرة ، وتدركها باطنة في العضو الواحد ، قال الفخر الرازي :

(ألا ترى أن العين والأذن شحم وغضروف ظاهر ، واللسان والأنف لحم وعظم ظاهر ، وفي كل واحد معنى باطن من الإبصار والسمع والذوق والشم ، وكذلك كل عضو ... فإن على هذا الوجه يكون الاستدلال بنعمة الآفاق وبنعمة الأنفس ...)

إن ذلك كله قمين بأن يقرن بخلق السموات والأرض وتسخيرهما للإنسان ، ولكن ليت هذا المخلوق قدر الخالق العظيم حق قدره فخضع إليه في جميع أمره ، ولم يشرك بعبادة ربه أحدا .

وكان من نعم الله المعنوية إرسال الرسل لهداية هذا الإنسان الصراط المستقيم ، وإنزاله الكتب السماوية ، فلم يدع، سبحانه وتعالى عند مفارق الطرق دون إقامة المعالم والصُّوى من توجيهه الرشيد لئلا يضلّ السبيل ويضيع الغاية المثلى .

ومع ماتقدم من نعم الله في الآفاق وفي الأنفس ونعمه المعنوية التوجيهية الأخرى ، كان بعض الناس ـ كمشركي مكة ـ من يجادل في توحيد الله وصفاته وإرساله الرسل ، بعد هذه المنن الكبرى ، والأدلة الناطقة ، والحجج الدامغة ، والتناسق الكوني المدهش ، كان من الناس من يجادلون في الله بغير علم صادق لديهم يستند إلى منطق سليم ، وبغير هداية من رسول لا ينطق عن الهوى ، وبغير كتاب مصون أنزله الله تعالى تبياناً للحق !

ذلك لأن الإنسان عدوّ ما جهل إلا إذا كان واعياً يستطيع أن يسيطر على أهوائه قبل أن تسيطر عليه بسبب الكفر والجهل وما إليهما ، فلا بدع إذا طغى منطق العواطف تلقاء دعوات الرسل والمصلحين . لذلك نجد مادة الجدل بالباطل قد ردها القرآن الكريم في مناسبات عديدة ، من ذلك قوله سبحانه في جدال الأقدمين في سورة غافر ٤ و ٥ : « ما يجادل

في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد . كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمّت كل أمة برسولهم ليأخذوه ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم ، فكيف كان عقاب » ؟ .

وقال تعالى في سورة الرعد : ١٣ واصفاً تكذيب المشركين في عهد رسولنا ﷺ فيما يصف به ربه سبحانه من صفات الكمال وينزهه عن مشابهة المخلوقين : « وهم يجادلون في الله وهو شديد المِحال[١] » .

وقال سبحانه وتعالى في سورة الشورى : ٣٥ بعد أن ذكر بعض آيات قدرته وتصريفه الأمور : « ويعلم الذين يجادلون في آياتنا مالهم من محيص »[٢].

وقال تبارك اسمه في سورة الحج : ٣ شبيهاً بما قال في سورة لقمان : « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مَريد »[٣] يعني النضر بن الحرث ومن شاكله - رواية لما كان منهم إذ السورة مدنية -

وقال في سورة الحج أيضا : ٨ كما في سورة لقمان « ومن الناس من يجادل[٤] في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » .

ففي الناس أولو عصبية تغلبهم عصبيتهم على أمرهم ولو كانوا ذوي فهم ، لذلك لا يصيبون من فهمهم شيئا ، مثل النضر بن الحرث وأبي جهل ابن هشام ومن ماثلهما ممن كانت تسوّل لهم غفلتهم الرعناء وعصبيتهم العمياء أن يجادلوا في عقيدة التوحيد وما اتصف به الله سبحانه وتعالى من صفات الكمال ،

---

(١) المحال : الكيد .

(٢) محيص : محيد .

(٣) مريد : خبيث متمرد . في (لباب النقول) في سورة الحج : أخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك في قوله تعالى « ومن الناس من يجادل في الله » قال نزلت في النضر بن الحارث .

(٤) في تفسير العلامة أبي السعود : هو أبو جهل بن هشام حسبما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وقيل من يتصدّى لإضلال الناس وإغوائهم كائناً ما كان .

وتنزهه عن مشابهة المخلوقين .. ويجادلوا في صدق رسالة محمد ﷺ .. ولو أنصفوا لعرفوا أن الله سبحانه الذي انفرد في الخلق وانفرد بالتقدير والتدبير يجب أن ينفرد في العبادة وما إليها تبعاً لذلك، وأن يقروا باتصافه بكل ما يليق بوحدانيته وجلاله، وان الرسول ﷺ الذي عرفوه في سيرته صادقاً أميناً، هو في دعوته صادق أمين، وما يطلب منهم مالاً ولا جاهاً ولا ملكاً، ومعه أعظم آية من ربه ألا وهي القرآن . وليس القوم بمجانين، ولكن للعصبية عمايتها وغفلتها وجدالها بالباطل، وصدق الله سبحانه وتعالى القائل: «وما تغني الآيات والنُذر عن قوم لا يؤمنون» ١٠ : ١٠١ والقائل: «ويجادل الذين كفروا بالباطل ليُدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما

---

(١) في كتب السيرة أنه اجتمع أربعون رجلاً من أشراف قريش منهم عتبة، وشيبة (ابنا ربيعة) وأبو سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث، وأبو البحتري بن هشام، والأسود بن عبد المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن مغيرة، وأبو جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل ونبيه ومنبه (ابنا الحجاج) فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه .. وطلبوا منه ما طلبوا وبين لهم الرسول (ص) – على غير جدوى – ماجاء به، حتى انصرف الى أهله حزيناً لما رأى من عنادهم ..

ثم اجتمع أشراف قريش مرة أخرى وطلبوا من عم الرسول أبي طالب أن يكفه عنهم بعد أن عاب آلهتهم وسفه أحلامهم .. وقال الرسول (ص) مقالته الشهيرة (يا عمّ والله لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ما تركته) – حياة سيد العرب للسيد عبد الله باسلامه ج ١ ص ١٣١ – ١٣٤ باختصار .

وروى ابن اسحق عن عروة أن عظماء المستهزئين كانوا خمسة نفر، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم: من بني أسد أبو زمعة .. ومن بني زهرة الأسود، ومن بني مخزوم الوليد بن المغيرة، ومن بني سهم العاص بن وائل، ومن خزاعة الحارث (تفسير القاسمي ج ١٠ ص ٣٧٧٢) .

أنذروا هزُوا . ومن أظلم ممّن ذُكر بآيات ربه فأعرض عنهـــا ونسي ما قدمت يداه ، إنا جعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا ، وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبدا . » ١٨ : ٥٧ و ٥٨

وهكذا تحذرنا الآية أمثال هؤلاء الجـادلين بالباطل وجدالهم ، لنغنم من تربيتنا الفكرية والروحية الحقة إدراك الحقّ وتقديره والإذعـــان له ولو كره أولئك المجادلون الذين تسخرهم أهواؤهم الجامحة فتوقعهم في المهاوي المزرية الفاضحة .

٢ ــ ثم جاءت الآية التالية (الحادية والعشرون) من السورة مصوّرة أصدق تصوير عقلية أولئك المشركين المعاندين الذين كانوا يجادلون الرسول ﷺ بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، جاءت بما معناه : وإذا قيل لأولئك المجادلين المعاندين اتبعوا ما أنزل الله على رسوله من التوحيد الخالص وأحكام شريعته السمحة وهو مطلب حق وصدق وسعادة ودعوا ضلالكم وأوثانكم ؛ لم يكن لهم من حجة إلا قولُهم العجيب الغريب : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من عقائد وأحكام وأعراف ! فهم قوم عصبية شديدة وتقليد أعمى جهلاهم وهم الرجال بأحلام الأطفال ، يفكرون في مثل هذا الأمر الخطير بعقول آبائهم ، ويرون بعيونهم ، ويسمعون بآذانهم ، فيحادّون النور الجديد إيثاراً للبقاء في ظلامهم القديم !

وقد وصف التنزيل ذلك فيهم وردّ زعمهم بآيات ، منها قوله تعالى في سورة البقرة : ١٧٠ « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » فلا علم فيهم ولا هداية .

ومنها قوله تعالى في سورة الصافّات : ٦٩ ــ ٧١ « إنهم ألفوا آباءهم ضالّين . فهم على آثارهم يُهرعون . ولقد ضلّ قبلهم أكثر الأولين . »

ومنها قوله تعالى في سورة ص : ٤ – ٨ « وعجبوا أنْ جاءهم منذرٌ منهم وقال الكافرون هذا ساحرٌ كذاب . أجعل الآلهة إلهًا واحداً إن هذا لشيء عجاب . وانطلق الملأ منهم أنِ امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يُراد . ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إنْ هذا إلا اختلاق . أأنزل عليه الذِكر من بيننا ، بل هم في شك من ذكري بل لمّا يذوقوا عذاب ».

ولقد نفى الله هنا في سورة لقمان وهمَ المشركين المحتجين بما وجدوا عليه آباءهم الضالّين بقوله سبحانه : « أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير » بسبب ما قدموا من شرك وضلال واستحقوا به هذا العذاب الجهنمي ، فبئس مصير من لبى دعوة الشيطان إلى عذاب النيران .

والحق أن أسوأ أساليب الخطاب أن يكون جدالاً من هذا الضرب الذي لا وزن له من الكلام ، إن الله كان ينبه تفكيرهم فيدعوهم إلى ما أنزل من أحكام السعادة الحقة والمثوبة والغفران ، وكانوا هم يعدلون إذْ يعوّلون على فعل آبائهم الذين أطاعوا الشيطان فعبدوا الأوثان ، وأضاعوا الميزان ميزان التفكير الراجح والقول السديد ، وبهما تتميز الإنسانية الرشيدة .

قال الإمام الرازي في تفسيره : (بين كلام الله تعالى وكلام العلماء بونٌ عظيم ، فكيف ما بين كلام الله وكلام الجهلاء ؟!) يعني أولئك الآباء الذين لم يكونوا يعقلون في عقيدتهم وعبادتهم شيئاً ولا يهتدون ؟!

فلننظر كيف تدعونا هذه الآية الكريمة أن نتجرد عن أهوائنا في درس القضايا ، وأن نفرغ لها بعقولنا لتمحيصها حتى نكون على ثقة بما نقرر بشأنها ، أليس ذلك دعماً لسنن التفكير والتقرير بعيداً عن العصبية والتخمين ؟

٣ — بعد أن بين سبحانه وتعالى حال المشركين أولي العصبية في رفض الوحدانية ، بيّن حال من أخلص لله القول والعمل ، ومن أسلوب

القرآن الحكيم في إيراد أدلته أن يأتي بما فيه نشاط وعظة ترغيباً وترهيباً ، ولذلك وصف هنا من أسلم نفسه لله وتوكل عليه حق التوكل بإيمانه ، وهو محسن بانقياده لأمره وإذعانه لحكمه باتباعه شرعه في كل ما يقول ويعمل – كما تقدم في تفسير الآيتين الثالثة والرابعة من السورة ؛ شبهه بمن استمسك بأمتن وأحكم عروة من حبل النجاة الذي لا يهن ولا ينقطع ، وهكذا الإسلام الحق وبه حيازة الفوز الدائم ،وإلى الله عاقبة الأمور ، فهي صائرة إليه يتصرف فيها كما يشاء ، فللمحسن ثوابه منه ، وللمسيء عقابه ، ومهما طال أمر الحياة فيها الى انقضاء وزوال .

تحض" الآية على الإسلام الحق" الذي هو استسلام لله وتوكل لا تواكل عليه[1] يتبعه إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيقان بالآخرة وما إلى ذلك من طاعة إلهية – كما تقدم في الآيتين ٣ و ٤ – ومتى ذكر المرء إسلامه وجهَه لله في أقواله وأفعاله لم يجد مسوّغاً لاستسلامه من بعد لشهواته وأهوائه ، لأن ذلك ينافي العبودية الحقة لله و (وأكمل الخلق وأفضلهم وأعلاهم وأقربهم إلى الله ، وأقواهم ، وأهداهم : أتمهم عبودية لله من هذا الوجه .

وهذا هو حقيقة دين الإسلام الذي أرسل الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، وهو أن يستسلم العبد لله لا لغيره ، فالمستسلم له ولغيره مشرك ، والمتمنع عن الاستسلام له مستكبر .)[2] وبعروة الإسلام الوثيق يجد المستسلم لله الطمأنينة الكاملة تلقاء كل ما يلاقيه أو يتهدده من عثرات ونكبات .

٤ و ٥ – (٢٣ و ٢٤) ورجع التنزيل الحكيم بعد آية المدح والتشويق المتقدمة التي تخص المفلحين ، إلى ذم الكافرين وتخويفهم ، وتصبير الرسول ﷺ على مضض عصبيتهم وجدالهم ، لئلا تذهب نفسه عليهم حسرات ، فأمرُ المشركين

---

(١) راجع (باب التشبيه) من معاني القرآن الحكيم للأستاذ حسن محمد ص ١٤٢

(٢) (العبودية) لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٥٨ .

جميعاً أهون من أن يحزنوا بشركهم وعصبيتهم العمياء (التي تعادي النور ، تعادي التفكير الصحيح والمنطق القويم) الرسول داعي الحق والعدل والقوة والسلام،فهو رسول الله ، والله لا يخذل رسوله،وإساءة المشركين إساءة لأنفسهم، ومرجعهم لا محالة إلى ربهم ، فيخبرهم بما عملوا « إن الله عليم بذات الصدور » كالنيات والخواطر والهواجس الخفية ، فهو سبحانه عليم بسرهم مما يضمرون ، كما هو عليم بعلانيتهم مما يظهرون ، فلا تخفى على الله خافية ، كما قال تعالى في سورة طه : ٧ « يعلم السرّ وأخفى » ولا جرم أن الإيمان بهذه العقيدة خير ما يكفل الاستقامه الذاتية ، ولو كان صاحبها بنجوة من أعين المراقبين والحاكمين ، ما دام موقناً بأن المطلع عليه والعليم لسره وجهره أحكم الحاكمين .

وهكذا اتجهت الآية اتجاه خاتمة الآية السادسة عشرة المتقدمة في مواعظ لقمان لابنه ، فصلاً عما جاء هنا من تثبيت الرسول وبعد المشركين .

ثم قال تعالى : « نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ » يعطيهم الله قليلاً من مال وصحة وقوة في الدنيا ، فيتوهمون بإغرائه أنهم بمأمن من عذاب الله ، ولكنهم سيصيرون لا محالة إلى عذاب شديد فظيع ، يلجئهم الله إليه إلجاء ، ويحملهم عليه حملاً ، وهم في قبضته وتحت سلطته ، فلا يجدون لهم عاصماً منه ، كما قال تعالى في سورة يونس ٦٩ و ٧٠ : « قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما يكفرون » . وقال تعالى في سورة فصلت ٥١ : « فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ . »

٦ و ٧ — جاءت الآية الخامسة والعشرون من السورة بدليل جديد يقيم الحجة على المشركين ، والقرآن ينبوع الأدلة يكثرها حتى يوفي على القصد ، ويحقق الغاية الكبرى ألا وهي الوحدانية ، وينفي ماسواها ، إنه دليل إقرارهم من صميم فطرتهم بأن الله تعالى وحده هو خالق السموات والأرض لا تلك

الأوثان وغيرها التي اتخذوها له شركاء ، وهو دليل لا مجال فيه للمكابرة وطول المناظرة ، إنه دليل صريح صارخ تلقاء عظمة السموات والأرض فإن استمروا بعده على شركهم فهم يتعلقون بخيوط الزيغ وهي أوهى من خيوط العنكبوت :

فلئن سألت يامحمد أولئك المشركين : من خلق السموات والأرض ؟ ليقولُنّ حتماً : الله خلقها إذ لا يجرؤون على القول بأن اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ... من أصنامهم ساهمت في خلقها ، لا يجرؤون أن يستمروا في جدالهم بالباطل هنا أو يتلجلجوا في التصريح بالحقيقة السافرة فهم تلقاء مظاهر ضخمة من الكون العظيم تضطرهم إلى الاعتراف والإقرار .

فقل يامحمد بعد اعترافهم وإقرارهم الحق هذا (الحمد لله) على ظهور صدقك وضلال مكذبيك ، الحمد لله على ظهور الحجة عليهم بوجوب التوحيد وبطلان الشرك الذي لم يبق لهم برهان عليه لو كانوا يعلمون . . .

ولكنأكثرهم لايعلمون ، كيف يلزمهم إقرارهم عبادة الله وحده لاشريك له في كل ما انفرد به ، فلا إشراك في خلقه ولا إشـــراك في علمه ، ولا إشراك في تصرّفه ، ولا إشراك بعدُ في عبادته .

وقال الله تعالى في سورة الزخرف : ٨٧ مثل قوله في سورة لقمان ولكن في خلقهم لا في خلق السموات والأرض تنويعاً في البرهان قال سبحانه : « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ، فأنّى يُؤفكون » كيف يتركون عبادته وحده ويعكفون إذاً على أصنامهم ، فأين يصرفون ؟ !

وقال تعالى في سورة الأحقاف : ٤ و ٥ بأسلوب آخر من الاستنطاق وإقامة الدليل في الموضوع نفسه ثم تسجيل الانحراف والضلال : « قل أرأيتم ماتدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض ، أم لهم شرك في السموات ؟ ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علمٍ ان

كنتم صـادقين . ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ، وهكذا تتنوع أساليب مناقشة هذه القضية الخطيرة والقول الفصل فيها واحد في حقيقته الثابتة .

قال العلامة ابن تيمية :

(دين الإسلام بُني على أصلين : على أن يعبد الله وحده لا يُشرك به شيء ، وعلى أن يعبد بما شرعه على لسان نبيه ﷺ ، وهذان هما حقيقة قولنا : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » فالإله هو الذي تألهه القلوب عبادةً واستعانةً ومحبــةً وتعظيماً وخوفاً ورجاءً وإجلالاً وإكراماً ، والله عز وجل له حق لا يشركه فيه غيره فلا يعبد إلا الله ، ولا يدعى إلا الله ، ولا يخــاف إلا الله ، ولا يطاع إلا الله)[1] .

وقد يكون بعض اولئك المشركين - تلقاء الفريق السابق - يعلمون كيف يلزمهم اعترافهم نفي الشرك ، ولكنهم يبقون مع ذلك على شركهم عصبية وعناداً ! وهذا من الضلال المبين بمكان ، فمن نتائج التفكير الصحيح والمنطق السليم تصحيح القول والعمل وسلامة القصد والغاية ، فإذا كان التفكير إيجابياً في قضية والاتجاه العملي سلبياً فيهـا فهناك التناقض الذي لا يقرّه منطق قويم ولا فهم سليم .

ثم جاءت الآية التالية (٢٦) بعد ذلك الإقرار القويّ مقررة ان كل مافي السموات والأرض من مخلوقات هو لله وحـده الخالق ، فهو الخالق وهو المالك ، المدبر ، المتصرف كما يشاء ، وهو جل جلاله الغني عن خلقه - ومنهم أولئك المشركون - ، فهم الفقراء إليه وهو الغني المحمود

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإســلام تقي الدين أحمـد بن تيمية ص ١٦٢ .

بذاته في الأمور كلها ، له الحمد كله . قال الفخر الرازي : ثم قوله تعالى « إن اللّه هو الغني الحميد » فيه معان لطيفة :

١ ــ أحدها أن الكل للّه ، وهو غير محتاج إليه ، غير منتفع به ..

٢ ــ وثانيها أنه بعد ذكر الدلائل على أن الحمد كله للّه ، ولا تصلح العبادة إلا للّه ؛ افترق المكلفون فريقين : مؤمن وكافر . والكافر لم يحمد اللّه ، والمؤمن حمده ، فقال : إنه غني عن حمد الحامدين فلا يلحقه نقص بسبب كفر الكافرين ، وحميد في نفسه . فيتبين به إصابة المؤمنين ، وتكمل بحمده الحامدون .

٣ ــ وثالثها هو أن السموات وما فيها ، والأرض وما فيها إذا كانت للّه ، ومخلوقة له ؛ فالكل محتاجون إليه ، فلا غني إلا اللّه ، فهو الغني المطلق ، وكل محتاج ، فهو حامد لاحتياجه إلى من يدفع حاجته ، فلا يكون الحميد المطلق إلا الغني المطلق ، فهو الحميد ، وعلى هذا الحميد بمعنى المحمود ...»

٨ و ٩ - قد يتوهم بالآية المتقدمة انحصار ملك اللّه سبحانه وعلمه وقدرته بما في السموات والأرض ، فدفعت الآية السابعة والعشرون هذا التوهم ، ووقعت موقعها من الترتيب القرآني ، وكانت بسبب نزولها الذي تقدم معرفةً بمبلغ علم اللّه سبحانه الذي لا ينفد وقدرته التي لا حد لها ولا نهاية .

« ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ... » إيضاح لليهود ــ كما في سبب النزول ــ وغيرهم ، وأي إيضاح .

قال الأديب الكبير سيد قطب : إنه مشهد منتزع من معلومات البشر ومشاهداتهم المحدودة ، ليقرب إلى تصورهم معنى تجدد المشيئة الذي ليس له حدود ؛ والذي لا يكاد تصورهم البشري يدركه بغير هذا التجسيم والتمثيل.

إن البشر يكتبون علمهم ، ويسجلون قولهم ، ويمضون أوامرهم ، عن طريق كتابتها بأقلام .. يمدونها بمداد من الحبر ونحوه ، لا يزيد هذا الحبر على ملء زجاجة ! فهاهو ذا يمثل لهم أن جميع ما في الأرض من شجر

تحول أقلاماً ، وجميع ما في الأرض من بحر تحول مداداً . بل إن هذا البحر أمدته سبعة أبحر كذلك .. وجلس الكتاب يسجلون كلمات اللّه المتجددة الدالة على علمه ، المعبرة عن مشيئته . فماذا ؟ لقد نفدت الأقلام ونفد المداد ، نفدت الأشجار ونفدت البحار .. وكلمات اللّه باقية لم تنفد ولم تأت لها نهاية .. إنه المحدود يواجه غير المحدود . ومهما يبلغ المحدود فسينتهي ، ويبقى غير المحدود لم ينقص شيئاً على الإطلاق . إن كلمات اللّه لاتنفد ، لأن علمه لا يحد ، ولأن إرادته لا تكف ، ولأن مشيئته - سبحانه - ماضية ليس لها حدود ولا قيود .

وتتوارى الأشجار والبحار ، وتنزوي الأحياء والأشياء ، وتتوارى الأشكال والأحوال . ويقف القلب البشري خاشعاً أمام جلال الخالق الباقي الذي لايتحوّل ولا يتبدل ولا يغيب ، وأمام قدرة الخالق القوي المدبر الحكيم : (إن اللّه عزيز حكيم) .

وأمام هذا المشهد الخاشع يلقى بالإيقاع الأخير في هذه الجولة ؛ متخذاً من ذلك المشهد دليلاً كونياً على يُسر الخلق وسهولة البعث : (ماخلقكم ولا بعثكم ,لا كنفس واحدة ، إن اللّه سميع بصير) .

والإرادة التي تخلق بمجرّد توجه المشيئة إلى الخلق ، يستوي عندها الواحد والكثير ، فهي لاتبذل جهداً محدوداً في خلق كل فرد ، ولا تكرر الجهد مع كل فرد . وعندئذ يستوي خلق الواحد وخلق الملايين ، وبعث النفس الواحدة وبعث الملايين . إنما هي الكلمة . هي المشيئة : (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) .

ومع القدرة والعلم والخبرة مصاحبَين للخلْق والبعث وما وراءهما من حساب وجزاء دقيق : « إن اللّه سميع بصير » اه[1] .

* * *

(١) في ظلال القرآن ج ٢١ ص ٨٢ و ٨٣ .

م (٢)

نعود الآن إلى هذه الآيات الكريمة نكتحل بفصاحتها ، ونجول في رياض معانيها وبيانها ، ونطرب بمحسناتها ، فماذا نجد ؟

نجدنا ، تلقاء فصاحة خلابة في الكلمات والكلام ، وبلاغة أخاذة في العبارات بصورها العديدة الروائع وفق مقتضيات المقاصد من الآيات ، تصحب ذلك موسيقا لفظية في الكلمات والجمل والفواصل فيها الانسجام التام الذي يدعو النشوة ويبعث اليقظة ... ولا شك أن أولئك المشركين الفصحاء والبلغاء ، (لما قرىء عليهم القرآن ، رأوا حروفه في كلماته ، وكلماته في جمله ، ألحاناً لغوية رائعة ، كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة ، قراءتها هي توقيعها ، فلم يفتهم هذا المعنى ، وأنه أمرٌ لا قبل لهم به ، وكان ذلك أبين في عجزهم . . .)[1]

وماذا نضرب الأمثال بعد هذا الإجمال ، وكلّ ما تقدم من أحكم الحكمة الإلهية ، وأبين بيانها ، وأسدّ توجيهها وتعليمها ...

لنتأمل في هذا التساؤل (ألم تروا) ، في (سخّر) في (أسبغ) في دقة (ظاهرةً وباطنة) في شمول (بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) في إحراج المشركين وإقامة الحجة عليهم بـ (وإذا قيل ...) (ولئن سألتهم) في تمثيل (ومن يسلم . .) في تصبير وتثبيت (ومن كفر . .) في تهديد (نمتعهم . .) في موضع (لله ما في السموات . .) في تمثيل (ولو أن . .) في استطراد (ما خلقكم . .)

قال الإمام الباقلاني « فأما من كان قد تناهى في معرفة اللسان العربي ووقف على طرقها ومذاهبها ، فهو يعرف القدر الذي ينتهي إليه وسع المتكلم من الفصاحة ، ويعرف ما يخرج عن الوسع ويتجاوز حدود القدرة ، فليس يخفى عليه إعجاز القرآن . . . »[2]

* * *

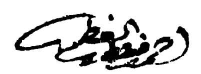
---

(١) تاريخ آداب العرب لحجة الأدب المرحوم مصطفى صادق الرافعي ج ٢ ص ٢٢٤ .

(٢) إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ص ٩٩ .

الأهداف والقيم :

● جذب القرآن العرب بدليل النعم الإلهية ، كجذبهم بدليل الخلق والقدرة .
● اعتماده في النعم على المشاهد الحسّ منها والمتصوّر .
● وجود من يكابر بعد إقامة الدليل دون برهان يستند إليه .
● عصبية المكابرين كانت تحدو بهم إلى التعويل على منطق آبائهم وواقعهم دون الخضوع للحجة القائمة .
● اغتنام التنزيل الحكيم ذلك للتنديد بالآباء الضالين ، وللتوجيه السليم .
● وتصبيره الرسول ﷺ وتثبيته .
● وتهديده المعاندين .
● تنويع الدليل لصرفهم عن الشرك ، بانتزاع اقرارهم بأن الله تعالى هو الخالق وحده .
● والاستطراد إلى أنه هو مالك الملك أيضا المدبّر له المتصرّف فيه .
● والاستطراد إلى تصوير سعة علمه وقدرته .
● فالاستطراد إلى سهولة خلقه الناس وبعثهم .
● وفي ذلك كله من الآية ٢٠ حتى ٢٩ ما يحض على الوحدانية ونبذ الشرك ، ويبين بعض صفاته تعالى ، ويصور شيئاً من ضلال الضالين وعنادهم .
● وكل ذلك بأسلوب الأدب الإلهي المعجز المصفّى .



*

السنة

للأستاذ محمد كمال الخطيب

عن الأسود بن سريع قال قال رسول الله ﷺ :

(كل مولود يولد على الفطرة ، حتى يعرب عنه لسانه ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) . في فيض القدير : رواه أبو يعلى في مسنده ، والطبراني في الكبير ، والبيهقي في السنن . . .

كل مولود (من بني آدم) يولد على الفطرة فيه الاستعداد لقبول الدين ، والدين غريزة في الإنسان لاتصاله بنشأته ومنشئه ، وحياته ومصيره في مولده وبعثه وما بين ذلك من أحوال يتفكر فيها في الخلق وسننه ، وخالقه وآياته ، فيجب بحث العالم فيما عرف منه فاكتشف ، فأعظم صنعه وصانعه ، كما يحوم حول ماخفي عليه من أمور غيبية وأسرار ماوراء الطبيعة ، فيتفلسف محوما حوله يقترب ويبتعد بقدر صفاء النظرة والطبع (حتى يعرب عنه لسانه) فيظهر ماخفي في طيات جوانحه من نظرة وعقيدة وماحام حوله فآمن به واعتقده أو طاف به طائف ظنه ، وقد قالت العرب « تكلموا تعرفوا » فإن المرء تحت طي لسانه [والكلام عنوان حقيقته] لا تحت طيلسانه وما تظاهر به كثوبه ، ويظل المرء على استعداد الفطرة وقبول الإيمان بالله واليوم الآخر وما أتى به الإسلام دين الفطرة حتى يبدأ التفكير والتعبير عنه ، غير أن الذي يعرفه حينذاك عن استقامة النظر ، وينحرف به عن هذه الفطرة هو « التربية » التي تحمله على غير هذا الإسلام ليصبح يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً يحملانه بالتربية على عقيدتهما سواء أكانت بأصلهامن كتاب سماوي أو وثنية جاهلية كيفما حصلت ، بضلالة

الآباء وغضب الله وجمود الفكر وفساد العقيدة ، فإن التربية تبدأ دورها فتحفظ على الإنسان فطرته أو تزيغ به ، وقد يقوم بذلك الأبوان معاً ، كما هو الغالب في الحياة حتى يقول الأبناء إذا ماشبوا عن الطوق وقامت عليهم الحجة من فساد العقيدة يقولون مقالة الجاهلين القطاميين بفعل التربية وشعورها الباطني الآمر « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون » ولو كانوا من ذلك في ضلال مبين ، وكفر مشين .

إن « فطرة الله التي فطر الناس عليها » هي الحالة الطبيعية التي يولد كل مولود عليها ، فهي كالنباتات الطبيعية والمواد الخام ، قابلة للتكيف بالتربية والعناية والتطعيم والصنع ، وقد شكا الناس زماناً من أوضاعهم وفساد مجتمعاتهم ، وبعدهم عن سواء السبيل ، فدعا داعيهم إلى العودة إلى حياة الفطرة الأولى حياة الطبيعة ، كما فعل « روسو » يوماً وكما دعا في مصر منذ عقدين أو أكثر « شباب سموا أنفسهم الأنصار » فإنهم دعوا إلى حياة البادية وأرومة العروبة ، ونسوا أنها نكسة الحياة التي يأباها الإسلام قائلاً « من بدا فقد جفا » ، وذلك على شاكلة من يدعو اليوم دعوة الجاهلية جهلاً وغروراً وردة ، وماهو من الفطرة في شيء وإنما هو النكسة ورجعى التاريخ وغفلاته . لقد دعا الإسلام بمنهجه دعوة الفطرة صفاء ونقاء حين وصف طريقه السوي بأول الطريق وخطوته الأولى فعرف الإسلام بأنه « فطرة الله التي فطر الناس عليها » وبذلك أعلن أن « صبغة الله » الطبيعية هي رأس المعرفة وأول الطريق قائلاً : « ومن أحسن من الله صبغة » ودعا لمتابعة سير الحياة على مدى هذه الفطرة في ضوء نظرته التي تبصر الحياة بعين إنسانيتها تبصرها بعين ابن الحياة وسيدها ، فلا تسيء به وبها ظناً ، ولا تتهم غريزة ، ولا تنحرف به عن طريقه السوي ، ولا تحاول أن تجعل الإنسان غير إنسان ملكاً أو شيطاناً ، تعلو به غروراً

وتغريراً باسم التفاؤل أو تنحط به احتقاراً أو تشاؤماً ، ولا تنظر إلى الإنسان بغريزته وسلطانها ، وفرديته وأثرتها ، ووجوده وجموحه ، فتطلق لكل ذلك العنان باسم الحرية وحق الحياة وحياة الطبيعة ، كما أنها بالمقابل لاتلقي النظرة على المجتمع من بعيد بعيد ، فتراه « كما ترى المدنية » نقطة صغيرة ، لاتميز فيها بيتاً عن بيت ولا شخصاً عن آخر ، حين ترميهم بنظرة غافلة ، وتفرض عليهم كلمة وتسيرهم كالساعة بل كالجمادات بإرادة قاهرة .

إن الإنسان وحدة كاملة بشخصة ، وجرثومة أسرة أو نواة مجتمع ، وتاريخ حضارة ، وسيرة إنسانية ، فله في كل أفق نظرة ، وأول خطى الحياة وأصدق النظر بها أن تقدر الإنسان وجوده المستقل وشخصيته الكاملة وتبدأها بالتربية حتى تنتقل من نقطة المركز الداخليه إلى محيط دائرة أوسع وأشمل في مجتمعه وأعم في إنسانيته وأرحب في وجوده كنفحة من نفحات هذا الموجود المتكامل المنسجم وإن الوالدين هما العاملان في بيئة الطفل الأولى في بيته ، والبرعم غض والنظرة موحية والمعاملة تجربة وأسوة ، فلهما أثرهما في العقيدة وجذورها والسلوك وأخلاقه ، والمعرفة وآفاقها ، وهذه نواة المستقبل ومكانة هذا المخلوق من أسرته ومجتمعه وأمته ونظرته إلى الإنسانية والحياة وفاطرها ومصيره من بعدها .

وإذا عرفنا المجتمعات وأمها [بنظرة الإسلام] ديناً تقوم به ويقوم بها ، فهذه نقطة بناء هذه المجتمعات من سن مبكرة ، وتربية بيتية . وإن المجتمع (بمختلف حلقاته ونظراته) أثر هذه التربية ، فالتربية هي سياسة الفرد وإن سياسة المجتمع قائمة على أساس هذه التربية وردود فعلها ووحي نظراتها .

وإن من رباه والداه في طفولته على الأمر والزجر واحتقار شخصيته لاينتظر منه غير التأسي والسير على الخطة نفسها في معاملة اخوته وأهل

بيته أولاً ثم ومن ذلك ينتقل إلى مثلها في معاملته مع بيئته الأولى كمدرسته ، ثم يمتد إلى بناء أفقه الأوسع في مجتمعه سواء أكان فرداً مع أفراده أم صاحب سلطة وقيادة في مجتمعه .

إن التربية نواة السياسة ، وإن مشاكل الحكم في العالم كله هي مشكلة التربية والتعليم ، بل التربية « كما رأيت » أساس العقيدة والعقائد والمذاهب ، وما صنعته في الحياة من حضارات وما دفعت إليه من سياسات ، وما قامت عليه من أحداث التاريخ في سلم وحرب ، وهدوء وأمان وقلق واضطراب إنما هو ثمرة لقاح تربيته الطفولة ببراعمها الغضة .

لمثل هذا أمرنا الله سبحانه وتعالى أمراً وصل فيه بين الآباء والأبناء بقوله « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة » فإن « الوقاية » أساس التقوى ، وما أمرنا الله به ، ودرهم وقاية - كما قيل - خير من قنطار علاج .

وقد سلك الإسلام بنا مسالك التربية سلوكاً إيجابياً يحض على الخير وسلبياً يحذر من الشر .

لقد جعل الرسول مثيل أدوار ثلاثة إذ جعله :

١ ـ « شاهداً » للتاريخ في الدنيا ويوم الفصل بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون في حياتهم ويتصارعون عليه في دنياهم .

٢ ـ « ومبشراً » بدعوة الخير ومصير أهله وصلاح حالهم في الدنيا والآخرة ، ولو أطبقت ظلمات الحياة عليهم واشتد روعهم ، فإن البشرى لهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، والعاقبة للمتقين .

٣ ـ « ونذيراً » يبصرهم بالأخطار وسوء العواقب قريبها وبعيدها ، ولو خدعتهم زينة الحياة ومتاع غرورها ، وعنفوان شبابها ومتعها وسلطانها .

ولهذا كان الرسول ﷺ كما روي عنه قائلاً : إنما بعثت معلماً لا معنتاً [بالتكاليف] ولا متعنتاً [بسلطان وأمر] وهو القائل : (وما أمرتكم بأمر فخذوا منه ما استطعتم) . وشرعته كما وصفها تعالى مخاطباً المسلمين بقوله « وما جعل عليكم في الدين من حرج » وهو ﷺ (بسيرته ومبادئه وخطته) « بالمؤمنين رؤوف رحيم » وقد أرسله الله سبحانه ، ليضع الإصر والأغلال ، ويقود ركب الإنسانية جميعاً أبيضه وأسوده وأصفره وأحمره قيادة الرحمة التي وصفه الله تعالى بها قائلاً : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

ورسم الإسلام خطة الرسالة للرسول فكانت أولى الخطوات أن « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون » آمنوا بإيمانه ، وكان لهم فيه الأسوة في عسر الدهر ويسره حتى فتح لهم التاريخ صفحته الزاهرة ، فبنى بناء الفرد وبنى به بناء المجتمع ، وأعلن نظرته الاجتماعية بدستورها الشامل قائلاً : إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فربط بذلك الأنانية بالغيرة ، وأسس على ذلك نظرته إلى الخير ، وأحكم بذلك الصلة بين الفرد والمجتمع وأدار على ذلك معاني (الحق والباطل والعدل والظلم) ، ووضع لكل معضل خطته وأحكامه تربية وتعليماً وقضاء وحكماً ، وجعل الأحكام من ذلك خلقية بينة بنور الضمير ، وركز على ذلك حساب الآخرة قائلاً بلسان النبوة (إنما الأعمال بالنيات) وجعل الورع خلقاً يحوطك مما راب ضميرك آمراً بقوله : (دع ما يريبك إلى مالا يريبك) ، وأدار على هذه الأسس وما إليها تربية الإنسان الفرد وعمله في نفسه ومجتمعه ونظرته الإنسانية سلماً وحرباً حتى يبلغ من ذلك إلى مستقره من الآخرة ومصيره بين يدي الله ، إلى نعيم مقيم أو عذاب أليم جزاء ماكسبت في الدنيا يداه .

وشيد الإسلام بناءه (عقيدة وتربية وأعمالاً) وبين لذلك بتشريعه

حلالاً وحراماً ، وربط بين ذلك بنظرات تتسع آفاقها إلى نهاية الطريق من شؤون المجتمع في نظرات تشريعه وتفريع أحكامه ، إدارة وحكماً وسياسة محلية وطنية وعالمية دولية ، فكانت أحكامه جميعاً قائمة على شعاع الفطرة والتربية وصلاح الفرد وإصلاحه وبناء الحضارة ومصير الإنسانية ..

ولهذا قال سبحانه : « وأن هذا صراطي مستقيماً » لا التواء فيه ولا انحراف عن أسس الفطرة ، مستقيماً يصل الفرد بالمجتمع والدنيا بالآخرة « فاتبعوه ولا تتبعوا السبل » فإن الناس بدعواتهم وادعاءاتهم قد تشابه مزاعمهم في نظرة الأهداف ، وكل يدعي وصلا بليلي وأنه أكمل وأهدى وأبصر وأعلم وأفضل « كذلك زينا لكل أمة عملهم » فإنكم إن خدعتم بدعايات ومذاهب ومناهج وطرائق مختلفة ولم تلتزموا في حياتكم طريقها المسلمة فإن أول أثر مهيء لذلك ، ماحذر منه تعالى إذ قال عقب ماسلف من أمره « فتفرق بكم عن سبيله » .

وهذا حال المسلمين اليوم وقد استيقظوا بعد غفلة قرون ، فإذا بهم يرون الأمم قد سبقتهم في عصر من البخار والكهرباء والذرة والفضاء والصناعة وفنون الحضارة والعمران ، فهبوا على دعوات تستلحقهم بكل ركب فامتلأت نفوسهم الفارغة بكل دعوة ، واجتمعت من ذلك في بلادنا جامعة لكل الدعوات ، وقام فينا مختلف الدعاة في آن معاً ، وقد زين لهم معلوهم ما هم عليه في عقيدتهم وأمتهم ومجتمعهم فتفرقت بنا الأهواء والسبل ونقلنا إلى بلادنا الإسلامية عدوى الأمراض العالمية المتنافرة جميعاً فاصطلحت علينا الأضداد ولم تكفنا أمراض مجتمعنا الموروثة ، وبهذه الخطوة والخطة جهلنا أثر التربية وحكم العقيدة وخطة السير في الحياة على جادة الفطرة وقد توزعتنا البينات وابتعدت بنا عن سواء السبيل ، وإن من رحمة الله بخلقه أن جعلهم بطونا آباء وأبناء تستعيد بهم الحياة سيرتها وتجدد

طريقها و (كل مولود يولد على الفطرة) وإنما يبدأ من هنا دور التعليم والمعلم ، وإن الخطـــوة الأولى مع المعلم الأول فهي تبدأ مع الوالدين وفي بيتهما بنظرة وابتسـامة إلى غرس العقيدة وبناء المجتمع ومسيرة الحضارة وركب الإنسانية .

وقد حذر الإسلام من خطوة تستتبع أختها في طريق الضلالة قائلاً : « يا أيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطـان » وكلما ضلت بنا السبيل خطوة ، فتح سبحانه وتعالى بالإسلام باب تطهير النفس بالتوبة بيننا وبينه مباشرة توبة ضمير يستغفر المرء وينيب إلى ربه فيغفر له ، ويقبل من المنيب أوبته ، وإن الصلة المباشرة بيننا وبين هذا الخالق العليم الغفور الرحيم العزيز الحكيم بالعروج والوقوف بين يديه خاشعين بالصـــلاة فهي صلة به تعالى وتذكرة للعبد ، وبهذا الركن من الدين وما إليه من أركان الاسلام أحكم التربية على خط مستقيم يمتد من الفرد إلى المجتمع إلى الانسانية حتى حشد وفود الأمم بالإقبال عليه والحج إلى بيته المحرم ، وأقام الإسلام بين ذلك الحدود والمعالم من أحكام الشريعة الغراء النيرة الهادية المبصرة .

هذه إشعاعات من نظر الإسلام وتربيته ودعوته إلى (الفطرة) وحكم الضمير وخطته الرشيدة التي تحكم سياسة الفرد وتربية المجتمع ، « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »[1] .

المحامي محمد بن كمال الخطيب

---

(١) روى الحديث الشريف الذي شرحناه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ (كل إنسان تلده أمه على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه . . . الخ وروواه الامام البخاري بلفظ : (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها من جدعـــاء) – فيض القدير – .

الأحاديث الضعيفة والموضوعة
وأثرها السيئ في الأمة

للأستاذ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

- ١٠٧ -

(تنبيه) بلغ جهل بعض الناس بالتاريخ والسيرة النبوية في هـذا العصر أن أحدهم طبع منشوراً يرد فيه على صديقنا الفاضل الأستاذ علي الطنطاوي طلبه من الاذاعة أن تمتنع من إذاعة مايسمونه بالأناشيد النبوية لما فيها من وصف لجمال النبي ﷺ بعبارات لا تليق بمقامه ﷺ ، بل فيها ما هو أفظع من ذلك مثل الاستغاثة به ﷺ من دون الله تبارك وتعالى فكتب المشار إليه في نشرته مانصه بالحرف (ص ٤) :

وهاهي (!) الصحابة الكرام رضي الله عنهم كانوا يستصحبون بعض نسائهم لخدمة أنفسهم في الغزوات والحروب ، وكانوا يضمدون (!) الجرحى ويهيئون (!) لهم الطعام ، وكانوا يوم ذي قار عند اشتداد وطيس الحرب بين الإسلام والفرس كانت النساء تهزج أهـازيج الحرب وتبعث الحماس في النفوس بقولها :

إن تقبلوا نعانق ونفـرش النمارق
أو تدبروا نفارق فراقـاً غير وامق

فانظر إلى هذا الجهل ما أبعد مداه ! فقد جعل المعركة بين الإسلام والفرس ، وإنما هي بين المشركين والفرس ، ونسب النشيد المذكور لنساء المسلمين في تلك المعركة ! وإنما هو لنساء المشركين في غزوة أحد ! كن يحمسن المشركين على المسلمين كما هو مروي في كتب السيرة .

فقد خلط بين حادثتين متباينتين وركب منهما مالا أصل له البتة بجهله أو تجاهله ليتخذ من ذلك دليلا على جواز الأناشيد المزعومة، ولا دليل في ذلك - لو ثبت - مطلقاً إذ أن الخلاف بين الطنطاوي ومخالفيه ليس هو مجرد مدح النبي ﷺ بل إنما هو فيما يقترن بمدحه مما لا يليق شرعاً كما سبقت الاشارة إليه وغير ذلك مما لامجال الآن لبيانه، ولكن صدق رسول الله ﷺ حيث قال: «حبك الشيء يعمي ويصم» فهؤلاء أحبوا الأناشيد النبوية، وقد يكون بعضهم مخلصاً في ذلك غير مغرض فأعماهم ذلك عما اقترن بها من المخالفات الشرعية.

ثم إن هذا الرجل اشترك مع رجلين آخرين في تأليف رسالة ضدنا أسموها «الإصابة في نصرة الخلفاء الراشدين والصحابة» حشوها بالافتراءات والجهالات التي تنبيء عن هوى وقلة دراية، فحملني ذلك على أن ألفت في الرد عليهم كتاباً أسميته «تسديد الإصابة إلى من زعم نصرة الخلفاء الراشدين والصحابة»، موزعاً على ست رسائل صدر منها الرسالة الأولى وهي في بيان بعض افتراءاتهم وأخطائهم، والثانية في (صلاة التراويح) والثالثة في أن (صلاة العيدين في المصلى هي السنة)[1].

٥٧٣ - «ما من امرىء مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة، ثم تلا هذه الآية: «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين»».

ضعيف: أخرجه ابن أبي حاتم من طريق ليث عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء مرفوعاً[2]. ذكره ابن كثير في تفسيره (٤٣٦/٣) وسكت عليه، وذلك لظهور ضعفه، فإن شهر بن حوشب

---

(١) ثم أصدرنا الخامسة بعنوان «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد».

(٢) وكذلك رواه أبو الشيخ في «كتاب الثواب» كما في «الترغيب» (٣٠٢/٣)

ضعيف ، وكذا الراوي عنه ليث وهو ابن أبي سليم ، وقد خولف في اسناده ومتنه فرواه عبيد الله بن أبي زياد عن شهر عن أسماء بنت يزيد مرفوعاً نحوه مختصراً دون قوله : « ثم تلا .... » أخرجه أحمد (٤٦١/٦) وأبو الشيخ في « الفوائد »[1] (٢/٨٠) وعبد الله بن أبي زياد فيه ضعف أيضاً ، قال الحافظ في « التقريب » : « ليس بالقوي » وبما ذكرنا تعلم أن قول المنذري : « رواه أحمد بإسناد حسن وابن أبي الدنيا والطبراني » غير حسن .

لكن الحديث له طريق أخرى عن أم الدرداء مختصراً بلفظ :

« من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة » .

أخرجه الترمذي (١٢٤/٣) وأحمد (٤٥٠/٦) من طريق أبي بكر النهشلي عن مرزوق أبي بكر التيمي عن أم الدرداء عن أبي الدرداء مرفوعاً به . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن » .

قلت : لعله حسن بالذي قبله . وإلا فمرزوق هذا مجهول ، قال الذهبي : « ماروى عنه سوى أبي بكر النهشلي » وأبو بكر النهشلي قال الحافظ : « صدوق » والله أعلم .

٥٧٤ - « إذا استشاط السلطان تسلط الشيطان » .

ضعيف : أخرجه أحمد (٢٢٦/٤) عن عروة بن محمد قال : حدثني أبي عن جدي مرفوعاً .

قلت : وهذا اسناد ضعيف عروة بن محمد وأبوه هما عندي مجهولا الحال ، ولم يوثقهما غير ابن حبان على قاعدته ! وقد قال الحافظ في الأول « مقبول » يعني عند المتابعة وقال في أبيه : « صدوق » ولو أنه عكس لكان أقرب إلى الصواب عندي فإن هذا قال الذهبي فيه : « تفرد عنه ولده الأمير عروة » فكيف يكون صدوقاً سيما ولم يوثقه من يعتبر

---

(١) مخطوط في ظاهرية دمشق (حديث ٣٥٧)

توثيقه ؟ وأما عروة فقد روى عنه جماعة لكنه لم يوثقه غير ابن حبان كما ذكرنا فبقي على الجهالة .

ولا يغتر بقول الهيثمي (٧/٧١) :

« رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات » فإنه يعني أنهم ثقات عند ابن حبان !

٥٧٥ ـ ﴿ إن الغضب من الشيطان ، وان الشيطان خلق من النار ، وانما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ ﴾

ضعيف : أخرجه أحمد بالسند الذي قبله . وكذلك أخرجه أبو داود (٢/٢٨٧) وابن عساكر (١٥/٢٣٧/٢) وقد سكت عنه الحافظ العراقي في « تخريج الاحياء » (٣/١٤٥ ، ١٥١) وابن حجر في « الفتح » (١٠/٣٨٤) والحديث رواه ابن عساكر عن معاوية بلفظ « فليغتسل » بدل الوضوء . كما في « الجامع الصغير » ورمز لضعفه .

٥٧٦ ـ ﴿ أترعوون عن ذكر الفاجر ؟ ! اذكروه بما فيه يحذره الناس ﴾ .

موضوع : أخرجه العقيلي في « الضعفاء » (٧٢) وأبو الحسن الحربي في « الأمالي » (١/٢٤٥) وابن عدي (٢/٢٦٠) والمحاملي في « الأمالي » (ج ٥ رقم ١٥) والبيهقي في سننه (١٠/٢١٥) والخطيب في « تاريخه » (١/٣٨٢ ، ٣/١٨٨ ، ٧/٢٦٢) وفي « الكفاية » (ص ٤٢) وابن عساكر (٢/٧/١٢) وأبو بكر الكلاباذي في « مفتاح المعاني » (١/١٢١) والهروي في « ذم الكلام » (٤/٨١/١) والجرجاني في « تاريخه » (٧٥) من طريق الجارود بن يزيد عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعاً . قال العقيلي :

« ليس له من حديث بهز أصل ولا من حديث غيره ولا يتابع عليه من طريق يثبت » وقال البيهقي :

« هذا يعرف بالجارود بن يزيد النيسابوري وأنكره عليه أهل العلم بالحديث ، سمعت أبا عبد الله الحافظ (يعني الحاكم) يقول : سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ غير مرة يقول كان أبو بكر الجارودي إذا مر بقبر جده يقول : ياأبة لو لم تحدث بحديث بهز بن حكيم لزرتك ».

قال ابن عدي والبيهقي :

« وقد سرقه عنه جماعة من الضعفاء فرووه عن بهز بن حكيم ولم يصح فيه شيء » .

وخفي هذا على الهروي فقال :

« حديث حسن من حديث بهز وقد توبع جارود بن يزيد عليه » !

وتبعه يوسف بن عبد الهادي في « جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر » ! (٢/٢).

وروى الخطيب عن أحمد أنه قيل له . رواه غيره ؟ فقال : ماعلمت ثم ذكر الخطيب أنه روي عن جماعة قال :

« ولا يثبت عن واحد منهم ذلك ، والمحفوظ أن الجارود تفرد به » .

ثم روى عن البخاري أنه قال فيه : « منكر الحديث ، كان أبو أسامة يرميه بالكذب » وعن أبي داود : « غير ثقة » وفي الميزان :

« وقال أبو حاتم : كذاب » وفي « اللسان » :

« يكذب ويضع الحديث » .

وذكر المناوي ان الدار قطني قال في علله :

« هو من وضع الجارود ، ثم سرقه منه جمع ، وفي « الميزان » : أنه موضوع ، ونقله عنه في الكبير وأقره ، لكن نقل الزركشي عن الهروي في « كتاب ذم الكلام » انه حسن باعتبار شواهده .

قلت : وهذا الاستدراك لا طائل تحته لأنه ذهول عن الشرط الذي يجب تحققه في الشواهد حتى يتقوى الحديث بها وهو السلامة من الضعف الشديد الناتج من تهمة في الرواة وهذا مفقود ههنا لما سبق في كلام الأئمة النقاد أن الحديث من وضع الجارود سرقه منه آخرون ! ولهذا لما حكى السخاوي في « المقاصد » كلام الهروي السابق تعقبه بالرد فقال :

« وليس كذلك ، فقد قال الحاكم فيما نقله البيهقي في الشعب : إنه غير صحيح ولا معتمد » .

ولهذا أورد الحديث ابن طاهر في « الموضوعات » (ص ٣) وأعله بالجارود .

قلت : ومحمد سرقه عنه سليمان بن عيسى السجزي فرواه عن سفيان ، أخرجه ابن عدي (١٦١ / ١) وقال : « وهذا عن الثوري عن بهز باطل والسجزي يضع الحديث » .

وقد روي الحديث بلفظ آخر وهو :

٥٧٧ - « ليس لفاسق غيبة » .

باطل : رواه الطبراني في « المعجم الكبير » وأبو الشيخ في « التاريخ » (ص ٢٣٦) وابن عدي (ق ٢/٦١) وأبو بكر ابن سلمان الفقيه في مجلس من الأمالي (٢/١٥) وأبو بكر الدقاق في « حديثه » (٢/٤٢/٢) والهروي في « ذم الكلام » (١/٨١/٤) والقضاعي في « مسند الشهاب » (٢/٩٧) والواحدي في « التفسير » (١/٨٢/٤) وكذا الخطيب في « الكفاية » (ص ٤٢) كل هؤلاء من طريق جعدبة بن يحيى الليثي ثنا العلاء بن بشر عن سفيان عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعاً .

قلت : وهذا سند ضعيف جداً ، جعدبة قال الدار قطني : « متروك » والعلاء بن بشر ضعفه الأزدي . وذكره الحاكم فقال : « هذا الحديث غير صحيح » ، وقال ابن حبان في « الثقات » في ترجمة العلاء : « روى عنه جعدبة بن يحيى مناكير » . وقال ابن عدي :

« والعلاء بن بشر هذا لا يعرف وهذا اللفظ غير معروف » .

ونقل المناوي عنه عن أحمد أنه قال :

« حديث منكر » .

قلت : وقد وجدت له طريقاً أخرى . رواه أبو نعيم في « أخبار أصبهان » (٢/٢٣٩ - ٢٤٠) عن محمد بن يعقوب ثنا ابراهيم بن سلام المكي ثنا ابن أبي فديك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرفوعاً به .

قلت : وهذا سند ضعيف محمد بن يعقوب هـذا هو ابن أبي يعقوب أبو بكر ترجمه أبو نعيم ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلا ، وابراهيم بن سلام المكي لم أعرفه .

والحديث ذكره ابن القيم من الموضوعات في كتابه « المنار » وقال (ص ٦١) .

« قال الدار قطني والخطيب : قد روي من طرق وهو باطل » .

٥٧٨ – « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له » .

ضعيف جدا : أخرجه عيسى بن علي الوزير في « ستة مجـالس » (٣/١٩٣) وأبو القاسم المهرواني في « الفوائد المنتخبة » (١/٤١) والبيهقي في « سننه » (٢١٠/١٠) والخطيب (٤٣٨/٨) وأبو محمد بن شيبان العدل في « الفوائد » (١/٢٢٠/١) والقضاعي (١/٣٦) من طريق رواد بن الجراح أبي عصام العسقلاني ثنا أبو سعـد الساعدي عن أنس مرفوعاً . وقال البيهقي :

« ليس بالقوي » . وقال المهرواني :

« غريب ، ولم نكتبه إلا من حديث رواد بن الجراح » .

قلت : وله علتان :

الأولى : رواد هذا . قال الحافظ في « التقريب » :

« صدوق ، اختلط بآخره فترك ، وفي حديثه عن الثوري ضعف شديد » .

الثانية : أبو سعد هذا قال الذهبي في « الميزان » : ليس بعمدة ، ثم ساق له هذا الحديث ، ثم قال :

« وقد ذكره علي بن أحمد السليماني في من يضع الحديث » .

وقال الدار قطني في « سؤالات البرقاني عنه » (رقم ٥٧٤ نسختي) :

« مجهول يترك حديثه » .

وللحديث طريق أخرى عند الخطيب (٤/١٧١) وأبي بكر الكلاباذي في « مفتاح المعاني » (٢/١٢٠) عن الربيع بن بدر حدثنا أبان عن أنس به .

وهذا أشد ضعفاً من الذي قبله ! الربيع متروك ، وأبان وهو ابن أبي عياش متهم .

٥٧٩ - « ليس مني ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ، ولا أنا منه ، ثم تلا هذه الآية « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً » .

ذكره الهيثمي (٨/٩١) من حديث عبد الله بن بسر ثم قال :

« رواه الطبراني وفيه سليمان بن سلمة الخبائري وهو متروك » .

قلت : وذلك لأنه متهم قال ابن الجنيد : « كان يكذب » وساق له الذهبي حديثاً وقال : « هذا موضوع » .

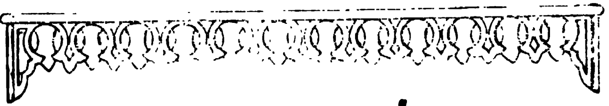
٥٨٠ - « ثلاثة من كن فيه آواه الله في كنفه ، وستر عليه برحمته ، وأدخله في محبته ، من إذا أعطي شكر ، وإذا قدر غفر ، وإذا غضب فتر » .

موضوع : رواه الحاكم (١/١٢٥) والخطيب في « التلخيص » (٢/٧٦) عن عمر بن راشد مولى عبد الرحمن بن أبان بن عثمان التيمي ثنا محمد بن عبد الرحمن أبي ذئب القرشي عن هشام بن عروة عن محمد بن علي عن ابن عباس مرفوعاً . وقال « صحيح الاسناد » ورده الذهبي بقوله : « بل واه ، فان عمر قال فيه أبو حاتم : وجدت حديثه كذباً » .

محمد ناصر الدين الالباني

(يتبع)

بحوث متنوعة



اليهود في التوراة والقرآن

والصهيونيون في هذا الزمان

تفضل العلامة الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار مبيناً بكلام الله سبحانه ذلة اليهود وجبنهم ومكرهم ...



القرآن الحكيم ، يزن بالقسطاس المستقيم ، ويعطي الأمم والشعوب ما تستحقه من الوصف ، ويحكم لها أو عليها بما لا يمكن أن يُنقضَ من الحكم ، وإنك لترى من دقة كتاب الله تعالى في وصفه ، وعدله في حكمه ، مالا يتفق مثله لأي كتاب من كتب المؤرخين أو الفلاسفة أو علماء الاجتماع ، فهو يميز بين أصناف الناس في معتقداتهم وفي أعمالهم ، ويبين حقائق أوصافهم وأخلاقهم ، ومن سنته تعالى أنه لا يحكم على أمة بالضلال والفسق بنصٍّ عام يستغرق جميع الأفراد بل تارة يعبّر بالكثير وتارة بالأكثر ، كما قال : « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » وقال : « وإن تطع أكثرَ من في الأرض يضلوك عن سبيل الله » .

ونحن إذ جرينا على سنة القرآن الحكيم ـ وهو الواجب المحتم ـ وأرسلنا أشعة النظر والفكر في حال يهود هذا الزمان ، رأيناهم ـ كما

كانوا في عهد التنزيل – فريقين ، فالأقل منهم ، هم العرب الذين يعيشون معنا ، ويتفيئون ظلال العدل الإسلامي الشامل ، وفي أمثال هؤلاء أوصى نبينا ﷺ فنحن معشر المسلمين نحافظ على جميع حقوقهم لأنهم أهل ذمتنا كما نحافظ على حقوق أهل ملتنا ، وتاريخنا شاهد على ما نقول منذ بزغ فجره إلى يوم الناس هذا .

والكثير أو الأكثر منهم هم البغاة المعتدون علينا في ديارنا الذين يحاولون امتلاك الأرض المقدسة وإخراج أهلها منها ، وقد صرح بذلك أحد زعمائهم في خطبه النارية التي ألقاها أمام لجنة (شو) قائلًا : إن فلسطين يجب أن تكون لليهود ، وإن للعرب الصحراء ، وإنه يجب على الحكومة البريطانية أن تقوم بالواجب المفروض عليها في أقرب وقت (إلى أن يقول) فمن الضروري مجابهة العرب بالأمر الواقع ، وإفهامهم ضرورة الجلاء إلى الصحراء .

وإني مورد في حديثي هذا آيات من الذكر الحكيم ، وما يقابلها من كتب العهد القديم في الكشف عن أخلاق هذا الشعب الذميم ، وأعماله التي لم تتبدل من ألوف السنين ، وأعرضُ إلى مآتيهم ومخازيهم في هذا الزمان ، فيتبين للمستمعين الكرام منها أن التاريخ يعيد نفسه ، وأن الوحي الإلهي المعجز ينص علينا من طبائع الأمم والشعوب ما هو الحقيقة الثابتة ، وما فيه من العظات والعبر :

جبن اليهود وذلهم وعدم وثوقهم بما كتب لهم :

في سورة المائدة من آي الذكر الحكيم على لسانهم : « قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا منها فإنا داخلون » ضربت الذلةُ والمسكنةُ على أسلاف الصهيونيين ، واستعبدهم المصريون حتى صاروا يفضلون الرق على الحرية والاستقلال ، وكان بنو عناق العماليق

يسكنون أمامهم في أدنى الأرض المقدسة ، وهم كبار الأجسام ، طوال القامات ، أشداء أقوياء ، وقصتهم مبسوطة في الفصلين (١٣و١٤) من سفر العدد ، الذي هو السِّفر الرابع من أسفار التوراة ، وقد قالوا لموسى وهو في ملأ بني إسرائيل : قد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها ، وحقاً إنها تفيض لبناً سلسبيلا وهذا ثمرها (وقد حملوا منه) غير أن الشعب الساكن في الأرض معتز ، والمدن حصينة عظيمة جداً وأيضاً قد رأينا بني عناق هناك ... إلى آخر ماقالوا .

وقال في الأصحاح الرابع عشر - بعد أن أمروا بدخول الأرض المقدسة : فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت ، وبكى الشعب تلك الليلة وتذمر على موسى وعلى هرون جميع بني اسرائيل ، وقال لهما كل الجماعة: ليتنا متنا في أرض مصر ، أو ليتنا متنا في هذا القفر ، ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض ، لنسقط بالسيف وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة ، أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر ، فقال بعضهم لبعض : نُقيم رئيساً ، ونرجع إلى مصر (العدد ١ - ٤) .

أفرأيت أيها القارىء الكريم هذا الجُبن الموروث لهذا الشعب المستكين منذ ألوف السنين ، وأنهم من بعد أن نزحوا عن أرض فلسطين لم يعودوا يودون الرجوع إليها لأن فيها قوماً جبارين ، أرأيت كيف تَمَنَّوا أن يموتوا في مصر ، أو يموتوا في هذه المهمه القفر ، وكان ذلك أحب إليهم وآثر عندهم من أن يدنوا من فلسطين . ألا ، لا رَحِمَ اللهُ بلفور الذي وعدهم ذلك الوعد المشؤوم ، وهو إنشاء وطن قومي في فلسطين لليهود وأوقع بينهم وبين العرب منذ ذلك العهد سنة ١٩١٧ م ذلك العداء المستمر الذي انتهى بهم إلى هذا القتال المستمر ، وهل جنوا من وعده إياهم هذا إلا الموت الزؤام ؟ وصدق فيه وفيهم قول الله تعالى في الشيطان « يعدهم ويمنّيهم ، وما يَعِدُهم الشيطانُ إلا غرورا » .

يأس اليهود من فلسطين

في القرآن الكريم : « قالوا يا موسى إنّا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا هٰهنا قاعدون » .

الآية الكريمة صريحة في أن القوم جبنوا عن دخول فلسطين ، وعن لقاء الجبابرة من بني عناق العماليق ، وأنهم حرموا على أنفسهم دخولَها مادام أولئك الأشداء مقيمين فيها ، ثم إنهم يوجهون لموسى عليه السلام من الكلام مايدلُّ على منتهى العصيان والتمرد والفسوق عن أمر الله ، وفيه من سوء التعبير ، وقلة الأدب ، وفساد الذوق ، والجرأة على الله ورسوله مافيه ، ولكن هذا لايُستكثر على عباد العجل (أبلس) .

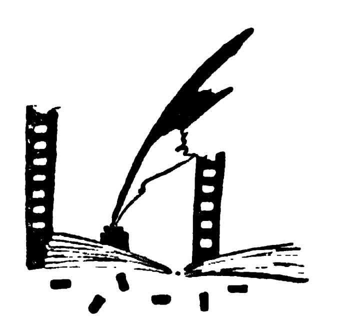
وقد حرّم الله عليهم أرض فلسطين بسبب عنادهم ، فأخذوا يتيهون في الأرض ، أي يسيرون تائهين متحيرين ، ويقاسون أنواع المشقة والذل مدة أربعين سنة ، لايدرون أين ينتهون في سيرهم .

وفي الفصل الرابع عشر من سِفر العدد (١١ و ١٢ و ٢٢ و ٢٣) : وقال الربُّ لموسى حتى متى يهينَني هذا الشعب ، وحتى متى لايصدقونني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم ، إني أضربهم بالوباء وأبيدهم ، وأصيرك شعباً أكبر وأعظم منهم ، إن جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي عملتها في مصر وفي البرية وجربوني الآن عشر مرات ، ولم يسمعوا لقولي ، لن يروا الأرض التي حلفتُ لآبائهم ، وجميع الذين أهانوني لا يَرونها . وفي الفصل الرابع عشر من سفر العدد أيضاً (٢٦ و ٢٧) : وكلم الرب موسى قائلا حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة علي ؟ قد سمعت تذمر

بني إسرائيل الذين يتذمرون عليّ ، قل لهم حي أنا يقول الرب لأفعلن بكم كما تكلمتم في أذني ، في هذا القفر تسقط جثثكم[1] .

أيها المستمع الكريم : هذه طائفة من نصوص التوراة والقرآن ، تدلنا على أنهم لم يعملوا شيئاً ولم يقاتلوا عدواً في سبيل فلسطين ، بل طلبوا من ربهم ونبيهم أن يقاتلا عنهم ، لتكون فلسطين لقمة سائغة لهم ، وهذه هي حالهم الآن مع دول الاستعمار ، فهم يريدون منهم أن يملكوهم أرض العرب ، وأن يخرجوا أهلها منها بالقوة وأن ينعموا هم بالإقامة فيها والسكنى ، ولكن خاب ظنهم ، فالعرب بحمد الله أشداء أقوياء وفلسطين أرضهم ، قد ورثوها عن آبائهم ، ولم يأخذوها من اليهود ، ولم يكن حين فتحها المسلمون لليهود فيها ملك ولا سلطان ، وإنما عاش من كان فيها منهم ناعمين في ظلال الإسلام ، لاجئين إلى حكومته التي هي مضرب المثل بالعدل بين الشعوب والأقوام ، والتاريخ سيعيد نفسه بإذن الله تعالى وعونه « والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين » .

محمد بهجة البيطار



---

(١) لم نلتفت إلى الاختلاف الواقع في النسخ العبرانية واليونانية والسامرية والكلدانية ، وهو كثير .

(★) حديث أذيع في ١٣٧٩/١١/٢٠ ولم ينشر سابقاً .

كيف اكتشف العرب أميركا

المجاهد السيد صبري فريد البديوي

- ١٠ -

إلى « كروية الأرض ودورانها ، وحجمها وأركانها ... » في نحو عام ٧٠٠ هـ - ١٣٠١ م .

« يضعون لها المصورات الجغرافية ، والخارطات التفصيلية » في نحو عام ٤٩٣ هـ - ١١٠٠ م .

« يقيسون دائرة نصف النهار ... » في نحو عام ٢٦٠ هـ .

« ويترجمون نفائس كتب اليونان القدماء ... » في نحو عـــام ٣٦٢ هـ - ٩٧٣ م .

« فيعطيهم الخليفة (المأمون) وزن ما ترجموه ذهباً ... » نحو عام ٢٦٠ هـ

... والسبق

أما وقد قرأت ما قرأت ، فإنك قد علمت ... أن الفضل ، لعلماء العرب :

بوجود عالم آخر هو القارة الأميركية اليوم

ولقد قال العالم العربي أبو الثناء المتوفى سنة ٧٤٩ هـ وفق عام ١٣٤٩ م [وفي الإعادة إفادة] :

« لا أمنع أن يكون ما انكشف عنه الماء من الأرض من جهتنا (١) منكشفاً عنه في الجهة الأخرى » .

---

(١) أراد بقوله « جهتنا » - أي الدنيا القديمة - المؤلفة من قارات أوروبا وآسيا وافريقية ، كما أراد « بالجهة الأخرى » - تخيلاً - القارة الأميركية أي (الدنيا الجديدة) .

« وإذا لم أمنع أن يكون منكشفاً في تلك الجهة ، لا أمنع أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن ، مثل ماعندنا ، أو من أنواع وأجناس أخرى»

وفي هذا دليل عقلي على وجود القارة الأمريكية قبل أن يكتشفها كريستوف كولومب بنحو مئة وخمسين سنة .

* * *

أيها العربي :

إذا عرفت أن العرب سبقوا كريستوف كولومب ... وتقدموا غاليلا وأرشدوا (دي غاما) . . . فحاذر أن يأخذك الغرور . . . بعد أن غفوت العصور . . .

وإذا اقتصرت على التغني بمفاخر الأجداد ، ومآثر الآباء القدماء ... ولم تسع سعيهم ، وتحذُ حذوهم ... في ارتشاف اللطاف ، من رحيق العلم الحديث ، ودقيق الفن الجديد ... وتتعلم أسرار المبتكرات والمخترعات ... وتتفهم الصناعات والآليات . . . فقد ترتكب جناية التواكل ... وجريمة التوسل وتبقى رهين الأصفاد ... بل تعلم ... وتفهم ... وتقدّم ... ومن جدّ وجد .. ومن سار على الطريق وصل ...

* * *

وقد جاء في الذكر الحكيم ، المنزّل على النبي العربي الكريم :

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

صدق الله العظيم

ملاحم - وحقائق ! ..

إن الهدف الذي نرمي إليه ، هو الاستجابة لنداء أولئك العلماء الأحرار المنصفين ، الذين دعونا إلى الدفاع عن حقنا المهضوم في الحضارة والعلوم ، واثبات (المجد العلمي العربي) الذي لفّ العصور بوشاح من نور أضاء ظلمة الأكوان وغمر النفوس بالسمو والعرفان ، وكشف عن كثير من غياهب المجهول ، فصقل العقول وهذب النفوس ، وأنار الوجود عصوراً متتابعة ، وقروناً متطاولة ، كانت أوروبا تسبح خلالها في خضم من الغفلة والجهالة .

هذا المجد الإسلامي العربي - الذي أنكره (الاستعمار) ونسج حوله رداء من الإبهام والإيهام وأضفى عليه الزمان قباء من النسيان ، والنكران - كان متعدد الألوان ، مختلف الأفنان ، من علوم وفنون وآداب وعمران ، وكل ما تقتضيه سعادة الإنسان .

وإذا كان الغدير النمير الضخم الذي يحمل هدية الحياة الثمينة ، يجري بين الحزون والحقول ، ويجوب المدن ويخترق الصحارى والسهول ، جداولَ وأنهاراً تروي الأراضي الظامئة ذات الكبد الحرّى ، فإذا بها قد اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، وأصبحت جنات وارفة الظلال حليبة الثمار .

فقد كان الفكر العربي الإسلامي المبدع ينتج ثمار المدنية وأزهار الحضارة ، ويسير كالأثير من مطلع شمس الوطن العربي والإسلامي الى

مغربه ، ليعطي العالم آلاف المصنفات ويكون المنار الذي تسير على ضوء الخلائق نحو المدنية والرشاد ، وتتراكض الأقوام ، من أتراك وبرابرة وأعجام لتقتبس من بحوره ما راق وفاق من كل عذب وطيب .

* * *

وإذْ كان استعراض بعض ما أنتجه الفكر العربي المبدع من مؤلفات ليس بالمستطاع في بحثنا هذا ، وكان قد كُتبت عنه طويل المقالات والقيت به عديد المحاضرات ، فقد أتينا بنبذة قصيرة في هذا الصدد ، نثبتها بما يلي :

اللغة العربية في أميركا !!..

قبل كريستوف كولومب !..

كانت اللغة ـــ وما زالت ـــ المادة الأولية في حياة الأمم الاجتماعية ، بل هي الصق بالحياة العامة من أكثر النواحي والحالات التي تكتنفها في حياتها اليومية ، ذلك لأن الفكر والإحساس لا يتمثلان إلا في اللفظ ، وأداء الأعمال لا يكون إلا بعد التعبير بالأقوال ، وبنسبة قوة المنطق وسلامة اللفظ ونبرات الصوت ، يكون التنفيذ ، واخراج المقصود إلى ساحة الوجود .

* * *

وكما كانت اللغة على هذا الجانب العظيم ، في عصورها الزاهرة الحاضرة ، فقد كانت المرآة الصافية التي ترتسم على صفحاتها صور الماضي من العصور ، وأشكال الحياة في الخوالي من القرون .

وقد تكون الزلازل والنكبات ، والنوازل والآفات ، والأمراض

والجماعات ، أبادت أمماً ، أو أفنت جماعات ، فيما فات من غابر الزمن ، وأسبلت عليهم ستراً كثيفاً من الغموض والنسيان .

وبعد حين من الدهر أتاحت الحفريات الجارية في جوف الأرض ، أو بطون الأطلال ظهور ما حوته في أحشائها من أثر خطي[1] يعود إلى العصور الغابرة ، والأمم القديمة التي كانت مجهولة فيما مضى ، أو مذكورة في الأسفار والأساطير ، فأزالت ما كان يكتنفها من الشكوك ويحيط بها من الغموض ، وبعد أن كانت تدور حولها هالة الأوهام اصبحت بفضل هذا الأثر الخطي اللسان الناطق لأمجاد تلك الأمة .

* * *

ومثل هذا إذا وجدنا كلمات أو عبارات لا تمت إلى لغة قوم يسكنون صقعاً في زمننا الحاضر ، بل ترجع إلى لغة أمة أخرى لا ترتبط بساكني هذا الصقع برابطة القربى ، ولا تتصل بصلة الجوار ، أدركنا بداهة أن هذه الكلمات أو تلك العبارات تدل على قوم آخر ، سكن هذا الصقع ؛ حيناً من الدهر ؛ ثم انقطعت أخباره وعفت آثاره ، وأصبح من مجاهل التاريخ .

* * *

نقول هذا بعد أن طلع علينا أربعة من العلماء الفضلاء[2] بلمحة آتية تدل على وجود كلمات عربية ترجع إلى ما قبل اكتشاف كريستوف كولومب لأميركا ، اقتبسوها عن كتاب (الرواد) ومجلة [نيوزويك] الأميركية ، وننقلها بدورنا ، لأنها جاءت (تأييداً) لما ورد في كتابنا[3] هذا ، و (تخليداً) لمفاخر (أمتنا) العربية ، و (ملتنا) الإسلامية ، و (تأييداً) لحضارتنا الغابرة ، وتدل على أن العرب اكتشفوا أميركا قبل الرحالة المشار إليه .

---

(١) أوضح مثال لما ذكرناه هو « حجر رشيد » الذي اكتشفه العلامة (شمپوليون) .

(٢) م : الدكتور مصطفى مداره ، ويوسف الحمادي ، وابرهيم الترزي ، وابراهيم حسن .

(٣) راجع ما كتبناه في الصفحة الثامنة من هذا الكتاب .

السر المطوي في زوايا النسيان :

أما أن يكون الناس قد دخلوا أمريكا ، وسكنوها قبل كولمبوس ، وقامت لهم دول فيها اتسع عمرانها حتى فاق عمران الإسبانيين فاتحيها — فأمر لا مراء فيه ، وأما أن يكون العربُ قد دخلوا أمريكا ، وسكنوها قبل قصد كولمبوس إليها — فأمر قلما خطر ببال أحد ، وسر ظلّ مطوياً في زوايا النسيان دهوراً ، وآماداً طويلة .

ثم كان أن نشر في الربع الأول من هذا القرن كتاب كبير في ثلاثة مجلدات عنوانه « إفريقية وكشف أمريكا » للعالم الأميركي « ليووينر » أحد علماء (جامعة هارفارد) الذي أثبت ، بما لا يدع مجالاً للشك ، وجود كلمات عربية في لغات سكان أمريكا .

يعرف هذا المؤلف ستاً وعشرين لغة ، وقد عكف على دراسة لغات السكان في أمريكا ، ليرى ما فيها من الكلمات والتعبيرات التي قد يستدل منها على الشعوب الذين اتصلوا بهنود أمريكا في غابر الزمان ؛ وأكب « ليووينر » على هذه الدراسة ولم يأل فيها جهداً أو يدخر وسعاً ، حتى انتهت به إلى نتائج دقيقة باهرة ، فقد وجد في هذه اللغات كثيراً من الكلمات الانكليزية ، والاسبانية ، والافرنسية ، والبرتغالية ، وأقدم من هذه كلها كلمات عربية ، أو من أصل عربي[1] .

وقال ليو : إن أقدم الكلمات العربية يرجع الى سنة ١٢٩٠ بعد الميلاد ، أي الى قرنين قبل ما وصل كولمبوس[2] الى أمريكا ، وان أصحاب تلك الكلمات ربما اتصلوا بأمريكا قبل ذلك بقرنين آخرين .

* * *

(١) ارجع الى الصفحة (الثامنة) وانظر ما كنا كتبناه في هذا البحث قبل (٣٦) عاماً

(٢) اكتشف كولمبوس أمريكا في سنة ١٤٩٢ وتوفي سنة ١٥٠٦ ميلادية .

وقد ذهب بعض الباحثين الى ان عمران « الأزد والمـاية » عمران عربي محض ، وان « الأزد والماية » مقاطعتان عربيتان ، وجدتا في أمريكا بين سنة خمسين ومائة وألف ، وسنة مائتين وألف للميلاد .

وقد بلغ العمران العربي أوجه في إفريقية في القرن التاسع الميلادي ، وامتد جنوباً الى « مندنجو » في غربي إفريقية ، ومن هناك وصل الى « مداكان » على شاطىء خليج المكسيك .

والى « ميدنجو » ، والى « مداكان » تردّ كل الآثار العربية في لغات أمريكا ، وهذه هي الكلمات التي تبقى عادة من لغة الغالب في لغة المغلوب ، كالكلمات الطبية والسياسية .

ثم تقلّب الدهر بأهله ، وانقطع هذا الاتصال بأمريكا ، وذوى عمران « الأزد والماية » ، لأنه كان مبنياً على العرب ، وكان يتخذ دعـــامة من تجارتهم ونشاطهم الاقتصادي .

* * *

وتدور السنون ، وتمضي القرون ، وينطلق الانسان ليدور حول الأرض ثم يعود اليها سالماً ، فيتحدث الناس عن الرائد الأول [لأمريكا] ويقرنون به كولمبوس ، رائد الدنيا الجديدة ، ناسين أو متناسين فضل العرب في كشف امريكا ، ولكن الحقيقة لا تعدم لساناً مدافعاً ، وصوتاً مدوياً ، وحجة باهرة تعترف بالحق ، فيعلو على الباطل ويدمغه .

فقد طلعت مجلة « نيوزويك » الأمريكية على العالم - في ابريل سنة ١٩٦١- يؤكد فيها الدكتور « هوي لين » الصيني المولد ، وخريج جامعة هارفارد ،

وأستاذ علم النبات في جامعة « بنسلفانيا » أن الملاحين العرب عبروا المحيط الأطلنطي(١) قبل أن يعبره كولمبوس بثلاثة قرون .

* * *

وقد أعلن « هوى » نظريته هذه في المؤتمر الحادي والسبعين بعد المائة ، للجمعية الشرقية الأمريكية ، التي تضم عدداً كبيراً من أساتذة الدراسات الشرقية ، وأيده عدد من علماء المؤتمر .

وقد أنفق « هوى » زهاء ثمانية أعوام ، يتتبع انتشار السلع الزراعية والنباتات ، والفواكه ، وأنواع الحيوان في شتى انحاء العالم ، ليعرف الطرق التجارية القديمة ، وألوان التيارات الحضارية ، التي شقت طريقها الى الدنيا الجديدة.

* * *

ويقول هوى :

إن الملاحين العرب قد قاموا ـ قبل عام مائة وألف للميلاد ـ من الطرف الغربي للعالم الإسلامي ، ومن الدار البيضاء(٢) إذا أردنا تحديداً ، ورسوا بسفنهم في عدة مواضع على طول الساحل الشمالي الأمريكي .

* * *

وهكذا يكشف لنا البحث كل يوم عن جديد لمجد العرب ، وتسجل لهم يد التاريخ مأثرة بعد مأثرة ، وان ماضينا العريق ومآثرنا التليدة ، وحاضرنا الناهض المتوثب ، وخطواتنا في سلم المجد ـ لتحفزنا الى متابعة الجهود لبناء مستقبل أروع وأعظم .

* * *

صبري فريد البدوي

---

(١) انظر ما كتبنا في الصفحة (٨ و ٩) من هذا الكتاب .
(٢) الذي لعله وذكرناه أن رحلة السلطان محمد بسفنه الألفين ، كانت من غانه .
ص . ف . ب

من أنباء العلم

● **صورة في كتاب** في مجلة طبيبك (ذو القعده ١٣٨٥ وآذار ١٩٦٥)ما يلي:
قام طبيبان نفسيان خلال أربع سنوات بدراسة مختلف التأثيرات التي تؤدي إليها ملابس الممرضات وبنتيجة الإحصاء تبين أن ١٢ نتيجة تثبت أن الملابس ذات اللون الأزرق والأصفر والأخضر والأحمر تحرض شهية المرض.

السرطان : اضافت الجمعية الأميركية للسرطان الكتب المصورة الهزلية لقائمة الرسائل التى تستخدمها في نضالها ضد التدخين . . .

● **اسرار الشيخوخة** وقالت المجلة : يعتزم العالم السوفياتي الشاب جينادي بيرديشيف مدير مختبر لدارسات المحيط في مدينة فلادينوستول خرق أسرار الشيخوخة عن طريق دراسة بعض المواد العضوية البحرية ،ان توقف انقسام الخلايا يعتبر أول سبب من أسباب الشيخوخة ، وبما أنه توجد في أعماق المحيطات مخلوقات قديمه جدا لا تنقطع لديها عملية انقسام الخلايا فقد عمد برديشيف الى محاولة اكتشاف هذا السر وتطبيقه على الإنسان .

● **مرض خطير** وقالت : تهتم السلطات الصحية بألمانيا الغربية بمكافحة مرض خطير من أمراض تمثيل الغذاء في الجسم ، وهو يؤدي الى تسبيب البلاهة الدائمة للأطفال إذا لم يبادر الى معالجته في وقت مبكر .

● **استخدام الصواريخ** : في نشرة بلاد السوفييت العدد ٢١ مايلي :
ستستخدم الصواريخ ضد ... البرد في المستقبل القريب . هـذا هو رأي علماء معهد الأبحاث العلمية الجومانية في آسيا الوسطى .

ان ظهور غيوم البرد يسجل بواسطة الرادار . واثر ذلك يوجه العلماء الأمر الى الأجهزة الصاروخية الجوية المنصوبة في الوادي باطلاق النار فتنطلق الصواريخ الى مصادر البرد ، حيث ترش المواد الكيميائية الخاصة التي تحول دون سقوط البرد . وتتبدد الغيوم الكثيفة ، ويلوح الصفاء في السماء .

● **القلب الاصطناعي** : وقالت سيتحول القلب الاصطناعي ، في المستقبل القريب الى مرافق ملازم لكل طبيب يعمل في الاسعاف السريع . وقد أنشأ فريق من المهندسين والأطباء السوفيات في لينينغراد مايشبه هـذا « القلب » محفوظاً في حقيبة . ان الجهاز الجديد يهيء امكانية النضال في سبيل حياة الانسان ، أثناء حالة الهبوط الحاد في نشاط القلب والرئتين ، وعند الصدمات . ويمكن استخدام هـذا الجهاز في المنزل وفي السيارة وفي الطائرة وكذلك في الرحـلات البعيدة التي تقوم بها البعثات .

● **السمك في خدمة الانسان** : وفي العربي (تموز) ان السمك الذي يقوم بهذه الخدمة هو سمك الشبوط الصيني فهو يطهر الترع والقنوات بالتهام ما فيها من أعشاب .

وقد جربته روسيا فطهر لها ترعة من أعشابها طولها ١٦ من الكيلومترات وهذا السمك قد تبلغ السمكة الواحـدة منه في الوزن عند اكتمالها - بعد ٥ سنوات - [٥٠] رطلاً ويبلغ طولها [٥] اقدام ، و ١٥٠ سمكة منه تلتهم ١٩٠٠٠ رطل من العشب في شهرين .

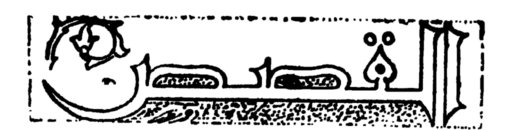
● **مخطوطات ابن الهيثم** : في الاتحاد البريدي (ايلول ٦٥) : طلبت روسيا من مكتبة الاسكندرية تصوير بعض مخطوطات العالم العربي (ابن

الميثم) التي يبحث فيها عن طبيعة البقع (الكلف) التي تظهر على سطح القمر .

● **جهاز جديد للكشف عن القلب** : في العربي (كانون ١ / ٦٥) :
هذا الجهاز الجديد ، لايعتمد على الكهرباء ، أو الأشعة السينية أو النبض ، ولكن على موجات من أمواج الصوت تخرج منه وتوجه الى القلب ثم ترتد عنه أصداء . فالصوت الذي يصل إلى القلب عبر الصدر يحدث أصداء ترتد عن جدار القلب الأعلى وعن جداره الخلفي ومن ذلك يعرف حجم مابينهما . وهذه الأصداء يمكن تصويرها جميعاً على الورق أو على شاشة التلفاز وبذلك يستطيع الطبيب أن يقرنها بالرسوم الكهربائية لنبضات القلب وقد استخدم هذا الجهاز فعلاً فكشف عن أمراض في صمامات القلب ومن تضخم في خزاناته ، وعن أورام موضعية ، وعن رواسب كلسية وعن حالة شريان الجسم الأكبر .

● **تحليل الأظافر لتشخيص مرض وراثي** : في العربي أيضاً (ايار ١٩٦٥)
أن مرضاً وراثي يصيب الأطفال المراهقين والراشدين ، هو مرض « التليف الكيسي » يؤثر في الغدد التي تصب افرازها الى الخارج ومنها الغدد المخاطية فتسوء عاقبتها . وبدلاً من تحليل بول أو دم المصاب تقص أظافر الولد ، أظافر يديه أو رجليه ثم تحلل ، وقد وجد أن أظافر هؤلاء الأطفال يتجمع فيهـــا من عنصر الصوديوم والبوتسيوم فوق المقدار العادي . ومن بحث حالة (١٤٩) طفلاً تحقق وجود هـذا المرض فيهم ، وفحص مقدار الصوديوم والبوتسيوم الذي بأظافرهم توجد عالياً في (١٤٧) طفلاً .

(قلم المجلة)



عدالة السماء

بشّر القاتل بالقتل

— ١ —

من سلسلة القصص الواقعية التوجيهية التي خص مجلتنا بها مشكوراً اللواء الركن محمود شيت خطاب [عضو المجمع العلمي العراقي] :



مُتَنفّذاً في قرية من قرى شمـاليّ العراق ، وكان يعيش برغدٍ في قريته الجميلة الرابضة على سفح جبل عـال تكلّل هامته الثلوج صيفاً وشتاء .

وكانت تلك القرية محاطة بالبساتين التي تمتد بعيداً إلى أميال وأميال وهي تؤتي أكلها مرتين ، وكانت العيون فيها كثيرة باردة الماء حلوة المذاق غزيرة الأمواه .

كانت تلك القرية جنة من جنات الله في أرضه : الثمر كثير ، والماء غزير ، والمناظر الطبيعية خلابة ، والخضرة تشيع في كل مكان !

— ٢ —

وتزوجت (سعاد) ابن عمها ، وكانت جميلة رائعـة الجمال ، وكان جمالها حديث القرية وحديث القرى المجاورة ، وكانت تخطر في ثوبها الأحمر غادية رائحة ، فتنافس ورود القرية جمالاً ، وتنافس أشجارها قداً واعتدالاً .

وكان ذلك الرجل المتنفذ يراها رائحة إلى العين الكبيرة مع لداتهـا تحمل جرة الماء على كتفها ، ويراها غادية إلى دارها تحمل المـاء العذب

الزلال ، وكان يراها عاملة في الحقل مع زوجها ، جانية للثمر ، فيزداد حبّه لها مع الأيام عمقاً ورسوخاً .

وراودها ذات يوم عن نفسها فاستعصمت ، وهددها فصمدت ، ولكنها لم تذكر سرّها لزوجها ولا لأهلها خوف الفضيحة وخشية سطوة غريمها الذي يحسب له أهل قريته ألف حساب .

— ٣ —

وبيّت الرجل في نفسه أمراً ، وصمّم على تنفيذه ...

كان زوجها يحصد زرعه أواخر أيام الربيع ، وكان عمله قد استغرق عليه يومه كله ، وكان زرعه قد بقي منه شطر قليل ؛ فتحامل على نفسه وحملها فوق ماتطيق ، ودأب يحصد بعد حلول الظلام .

وكانت زوجه في الدار تهيء له الطعام ، وكان قد أرسلها إلى الدار مساءً ليلحق بها بعد قليل ، وكانت معه النهار كلّه تعاونه في الحصاد ، وتحمل مايحصده إلى ساحة مجاورة لمزرعته فأشفق عليها بعد تعب طويل ، وأشفقت عليه بعد جهد جهيد .

وكانت تنتظره متلهفة للقائه ، وكان يسرع في عمله متلهفاً للقائها ، وكان طعامها جاهزاً ، فوقفت بالقرب من باب الدار ترقب طريق عودته .

وكان الرجل العاشق يترصّد زوجها وراء صخرة عاتية ، فلما رآه وحيداً بعد ساعة من غروب الشمس ، صوب بندقيته وأطلق النار عليه فأرداه قتيلا ... ثم تسلل إلى القرية مستوراً بظلام الليل البهيم .

وطال انتظار الزوجة ، فقصدت أهلها وأخبرتهم بأمره ، فلما ذهب إخوتها الى المزرعة ، وجدوه جثة هامدة وقد نزف دمه فغاص في بركة من الدماء .

- ٤ -

وكما كان يملأ الدار انشراحاً وفرحاً حين كان حياً ، فقد ملأها حزناً وترحاً بعد أن أصبح ميتاً .

واتشحت أرملته بالسواد ، وأصبحت أيامها أشد سواداً من ثيابها ، ودأبت على التطلع إلى سير التحقيق عن مقتل زوجها .

واهتم رجال الأمن بالحادث ، واهتم المحققون بالحادث أيضاً ، وتضخمت الملفات وكثر السؤال والجواب ، وأخيراً غُلقت القضية ، بعد أن توّجت تلك الملفات بالعبارة المألوفة : « الجاني مجهول الهوية ، ولم تعرف هويته على الرغم من التحقيق الدقيق » ، وهكذا نجحت العملية ومات المريض كما يقول بعض الأطباء ! !

والحق أنّ هذه القضية بالذات ، كانت قضية صعبة جداً : القتيل ليس له عدو ، وأهله لايشتبهون بأحد ، وحادث القتل جرى في جنح بالظلام والقاتل لم يترك أثراً لجريمته ، والجثة اكتشفت بعد ساعات من موتها .. ومكان حادث القتل بعيد عن القرية ..

وكان الناس يظنون أن القاتل نجا من العقاب إلى الأبد ، ولكن الله كان له بالمرصاد ؛ ويُقدّرُ الناس ، ويُقدّرُ الله ، ويد الله فوق أيديهم .

- ٥ -

بعد شهور من مقتل زوجها ، تنافس عليها المتنافسون يطلبون يدها وكان من بين المتنافسين عليها ذلك الرجل المتنفذ في قريتها .

وبذل الرجل المتنفذ جهداً من الجهد ومالاً من المال ، وسعى سعياً حثيثاً بالحسنى تارة وبالتهديد أخرى ، حتى استطاع التغلب على خصومه ، فزفت إليه حبيبته ، وأصبح محسوداً عليها يتربص به حاسدوه الدوائر .

ومضت الأعوام ثقيلة الخطى على قلب الحسناء التي لم تنس ابن عمها فزوجها الأول في يوم من الأيام .

وكان ثراء زوجها الجديد ، وكان نفوذه ، وكان مايغدق عليها من حب ورعاية ، كل ذلك لاينسيها أيام ابن عمها بما فيها من آلام وآمال ، وجهد وعرق .

وكانت علاقتها بزوجها الجديد علاقة لباس وثريد ، وكانت علاقتهـا بزوجها الأول علاقة دم وروح ، وكل مال الدنيا وكل ثرائها لايساوي لمحة من علاقة الروح بالروح والدم بالدم .

كان حباً من جهة واحدة مع الزوج الجديد ، وكان حباً من جهتين مع زوجها الراحل ؛ فكانت أيامهـا مع الجديد أعواماً ، وكانت مع الأول لحظات ..!

- ٦ -

وقصد الزوج الجديد صديقاً له في قرية مجاورة ، وأصر الصديق على إكرام ضيفه ، ومضت الساعات لإعداد الطعام ، حتى إذا مُدت الأطعمة وأقبل عليها الحاضرون ، كان قد مضي الشطر الأول من الليل .

وعاد الزوج إلى قريته في الهزيع الأول من الليل ، وفي طريق عودته بين منعطفات الوديان وسفوح الجبال ، سمع إطلاق النار ، وسمع أصوات استغاثات وحشرجة محتضر .

وسُقط من يده ، فسحب مسدسه ليدافع عن نفسه وأطلق منه بضع عيارات نارية ، وركن إلى حفرة وراء صخرة ضخمة ، ينتظر انجـلاء الغمة وتوقف صوت الرصاص .

وأقبل الناس من القرى المجاورة ومعهم رجـال الأمن والشرطة ، فوجدوا الرجل فوق جثة هامدة وثيابه ملطخة بالدماء ومسدسه بيده .

وقاده رجال الأمن متهماً بالقتل والسلب ، وكانت كل القرائن تدل على أنه هو القاتل : لا أحد في المنطقة غيره ، وقد وُجد في الحفرة التي وجد فيها المقتول ، وثيابه ملطخة بدماء القتيل ، والإطلاقات التي خرجت من مسدسه هي من نوع الإطلاقات التي استقرت في الجسد الهامد حسب تقرير الطبيب العدلي ! !

ولم يفده دفاعه أثناء محاكمته ، بأنه كان عـابر سبيل ، وبأنه لجأ إلى الحفـرة خوفاً من الرصـاص المنهمر عليه ، وأنه أطلق النار دفاعـاً عن نفسه وتخويفاً للآخرين ، ومن الصدف أنه استقر في حفرة القتيل نفسها .

والعجيب في الأمر ، أن تلك الحفرة التي لجأ إليها في هذا الحادث ، كانت الحفرة نفسها التي كمن فيها لاغتيال الزوج الشهيد ! ! !

— ٧ —

وانطلقت المحكمة الكبرى بالحكم عليه بالإعـدام شنقاً حتى الموت ، وصدقت محكمة التمييز هذا القرار ، واستكملت الدعوى شكلياتها الرتيبة بعد ذلك .

وجاء يوم تنفيذ حكم الإعـدام به ، وحضر أهله وزوجه لتوديعه الوداع الأخير ...

وسأل الرجل أن يختلي بزوجه لحظة من الزمان ، فأسر إليها بشيء وانهمرت من عينيه الدموع ، على حين وقفت زوجه جـامدة كالتمثال لاتتكلم ولا تنوح ..

جاء السجّان ليطلب إلى أهله وزوجه مغادرة السجن ، فتركوا الرجل إلى مصيره المحتوم .

ولم تتكلم الزوجة ، وكان سكوتها أبلغ من كل كلام .

وحين جاءوا بالرجل إلى قريته بعد تنفيذ حكم الاعدام به ليوارى في التراب إلى الأبد ، كانت زوجه هي الوحيدة من بين أهله لم تتشح بالسواد حداداً عليه ...

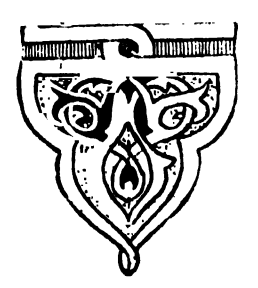
وعادت الزوجة إلى أهلها ومعها أولادها ، رافضة البقاء في دار أهله .. رغم الإلحاح والإغراء ..

وجاء أبوه يوماً إليها طالباً استعادة أولاد ابنه إليه ، فلما ألح عليها وألحف همست في أذنه : « إن ابنك هو قاتل زوجي الأول ..! لقد قال لي حين اختلى بي في زنزانته على مرأى منك ومن أهله : أرجو عفوك ، فقد قتلت زوجك الأول من أجلك لكي تكوني لي وحدي ، ولم أقتل الرجل الذي حكمت من أجله بالموت ، ولكنّ الله كان بالمرصاد ، فانتقم مني لزوجك بعد حين » .

وسكت الوالد ، وسكتت الزوج ، ونطق القدر :

« بشّـر القاتل بالقتل » .....

بغداد : محمود شيت خطاب



رحلة في لبنان

من بيروت الى الخرنوب(١)

يصف الأستاذ الداعية الجليل الشيخ صلاح الدين الزعيم في هذه الكلمة رحلة طريفة من رحلاته ، وقد اشتهر حفظه الله بالإكثار من الرحلات ، وتقديم الكثير من العظات ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .



الساعة التاسعة والنصف من يوم الأحد أول ذي القعدة سنة ١٣٨٥ عزمت والأخ المهذب المثقف السيد عدنان الطرابيشي (٢) وأولاده (السادة نسيب ووليد وعرفان) على رحلة إلى الخرنوب ، فخرجنا ساعتئذ بالسيارة من بيروت ومررنا بطريق الإمام الجليل الأوزاعي (٣) أحد رجال الاجتهاد في عصره ، فخلده

---

(١) الخرنوب أو الخروب كلاهما صحيح كما في القاموس .

(٢) والده التاجر المستقيم السيد حسن الطرابيشي طلب العلم عند المرحوم العالم الشيخ أبي الخير الطباع مؤسس (العلمية الوطنية) في أواخر دولة بني عثمان .

(٣) ولد ببعلبك سنة ٨٨ واسمه أبو عمرو عبد الرحمن بن محمد الأوزاعي أحد الأئمة المجتهدين وانقرض مذهبه بانقراض أتباعه في دمشق بعد أن كان قاضي الشام اوزاعياً وكانت وفاته سنة ١٥٧ ، وكان من المرابطين ، وموقفه مع عبد الله بن علي من المواقف المشهودة وهو حديثه مع عبد الله بن علي لما قدم الشام وقتل بني أمية فانه استدعاه وهو في جنده سيوفهم مسلولة وقال له ما تقول في دماء بني أمية ؟ قال قد كانت بينك وبينهم عهود وكان ينبغي أن تفوا بها . فقال عبد الله ويحك اجعلني وإياهم لاعهد بيننا ، فخاف على نفسه أولاً وكره القتل ثم تذكر —

فالناعمة . وفي الناعمة ـ حي إسلامي على رابية في الشرق الجنوبي من الجسر ـ ، ثم الدامور وهي بلدة معروفة بعلقة الدامور وكانت مشهورة باشتغال القز ودود الحرير .

والدامور نهر يخرج من جنوبيها في الوادي الفاصل بين اقليم الخروب واقليم الشوف ، ثم قصدنا زيارة سرايا فخر الدين المعني الثاني ، هو أحد أمراء لبنان في القرن العاشر ويظهر أنه اتفق مع بعض الأوربيين على حمايته ، وله وقائع مع الدولة العثمانية براً وبحراً استظهر فيها على الدولة غير مرة :

بحراً بمساعدة فرديناند الطسقاني استولى على ساحل الشام .

وبراً بمساعدة الأمير محمد الشهابي حاكم وادي التيم [1] .

ولما وصلنا إلى دير القمر قصدنا زيارة سرايا الأمير فخر الدين المعني وجامعه الذي هو شمالي السرايا يفصل بينهما الطريق العام ، فأخبرنا بأن المشرف على استقبال الزوار غائب يومئذ (الأحد) وهو من أيام العطلة .

فقصدنا بيت الدين وزيارة قصر الأمير بشير الشهابي أحد أمراء لبنان في عهد أحمد باشا الجزار ، فدخلنا الدار المخصصة للجند في عهد الأمير ، ودللتهم على الأماكن التي تقصد بالزيارة وانتظرتهم عند باب المدخل لعجزي عن متابعة المشي ، وفي الدار قاعات مزخرفة بالزخارف النفيسة أشبه بقاعات دار أسعد باشا العظم في دمشق وبها حمام مستحسن في داخل دائرة الحرم وحوله أشجار باسقة . والدار على شفا الوادي الفاصل بين بيت الدين

— خوفه من الله فقال : دماؤهم عليك حرام وذكر له الحديث (لا يحل دم امرئ مسلم إلا باحدى ثلاث : سيب زان ونفس بنفس وتارك لدينه) قال عبد الله ويحك أليس الأمر لنا ديانة ؟ فقال الأوزاعي كيف ذاك ؟ قال أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى لعلي ؟ فقال الأوزاعي لو أوصى له ما حكم الحكمين ، فسكت مغضبا وكان يتوقع قتله وأومأ باخراجه .

(١) (خطط الشام ج ٢ ص ٢٦٠) .

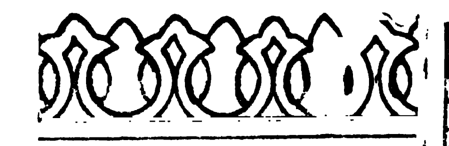
ودير القمر ، وما لبثوا إلا قليلاً حتى رجعوا خوفاً من الإطالة عليّ فركبنا سيارتنا وقصدنا عنبال فعريفة ومررنا بالوادي الذي قتل فيه فؤاد بك جنبلاط والد كمال جنبلاط قتل أوائل احتلال الفرنسيين لبنان .

ثم قصدنا حصروت ، فمانوت ، وبها اجتمعنا بإخواننا من آل عانوت وجلسنا جلسة خطيب في دار السيد منير كنعان ، ثم زارنا الحاج راشد كنعان ابن عم منير وهو من الكرماء ، ثم ذهبنا إلى شحيم ومررنا بها مرّ الكرام ، فمزبود ، فدلهون وبها حططنا رحالنا إذ كنا مدعوين إلى حفلة زفاف الأستاذ محمود احمد اسماعيل . ولا تسل عن الطريق وروعته وجماله حيث الجبال محرشة ومكتسية بالحلل السندسية والأزهار الجميلة والخمائل وقد لاقينا في دار الأخ محمود اسماعيل من الذوق والإنس والرقة ما أعجب به الإخوان وهو مجاز في الحقوق وأحد رجال المساحة العقارية في جونيا والجمهور ، فضلاً عن كونه ذا خلق كريم . ولما كان في وزارة المعارف كانت له منزلة عالية في قلوب اخوانه وطلابه إذ فرض عليهم محبته لوداعته وحبه للعمل .

وبعد الغداء وأداء الصلاة زرنا بعض الإخـوان في القرية ، ونزهنا نواظرنا في رباها وأشجارها وتناصحنا ، ثم قصد كفر ماية ، ووقفنا بهـا برهة قليلة ، ثم قصدنا الساحل بعد أن مررنا على سبلين ، ولما وصلنا إلى الجبية سألنا عن امام سبلين فوجدناه في داره فنزلنا وشربنا القهوة عنده بعد المغرب ، وتوجهنا نحو بيروت خوفاً من قلق العيال فوصلنا إليها بالسلامة بحمده تعالى ، وبها حططنا رحالنا ، ولله در القائل :

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى
كما قرّ يوماً بالإياب المسـافر

صلاح الدين الزعيم



عثمان بن عفان

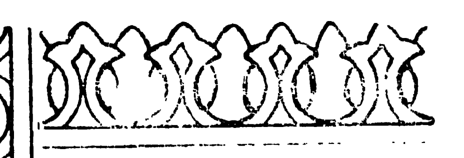
للأستاذ رشيد عالي جاسم

— ٥ —

ومن أعمال عثمان المجيدة الخالدة : جمعه للقرآن وتوحيده للمصحف على قراءة واحدة ونص حرفي واحد اجتمعت على قراءته الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، من ذلك الوقت حتى الآن ، فكان ذلك أعظمَ عمل قام به ذلك الخليفة المصلح وسجله له التاريخ الإسلامي بأحرف من نور ، وإليكم يا إخوتي خبر هذا الإصلاح العظيم :

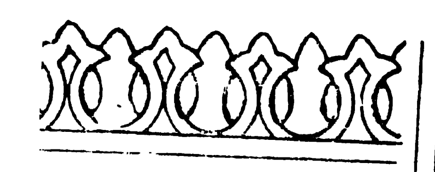
كان عثمان يجلس ذات يوم وهو يقاضي بين الناس فأقبل إليه أحد كبار الصحابة وأحد قواد عثمان للجيوش الإسلامية التي ذهبت لغزو أرمينية وأذربيجان ، أقبل حذيفة بن اليمان ، وما هي إلا لحظات حتى اختلى عثمان بحذيفة ، فقال : « يا أمير المؤمنين ! ادرك هذه الأمة قبل أن تختلف في قراءة كتاب الله اختلاف اليهود والنصارى » وذكر أنه فزع عندما رأى جنود الإسلام يختلفون في قراءة القرآن ويتنازعون فيما بينهم حول صحة هذه القراءة أو تلك !

واهتم عثمان بهذا الأمر أيما اهتمام ، فأرسل مَن يحضر المصحف الذي جمعه أبو بكر — إذْ بقيت صحفُه سابقاً عنده ، ثم عند عمر ، ثم عند حفصة أم المؤمنين — ولما أرسلت حفصة إلى عثمان



بالصحائف لكي تنسخ في المصاحف ألف عثمان لجنة موثوقة وأمرهم أن يكتبوا الصحائف ويجعلوها على هيئة كتاب واحد ، وان يكتبوا من ذلك الكتاب العظيم نسخاً ... ولما أتم اولئك الصحابة ما أمرهم به أمير المؤمنين ردّ الصحائف إلى السيدة حفصة ، وأرسل كل نسخة من نسخ القرآن العظيم إلى الأقطار الآتية : مكة ، والبصرة ، والكوفة ، والشام ، واليمن ، والبحرين ، وأبقى مصحفاً في المدينة ، وأمر الناس بالاعتماد على هذه المصاحف وأن يحرقوا كل مصحف سواها لئلا يختلف الناس وتعم بينهم الفرقة ... ولم يسترح عثمان حتى أحرق بيديه المصاحف المختلف على قراءتها (بسبب اتساع لهجات العرب ..) أو وثق بأنها أُحرقت ! وهكذا ترون معي أيها الإخوة عظم العمل الذي قام به عثمان والذي استفادت منه الأمة الإسلامية على مر الأجيال وحتى يومنا هذا ... فتوحيد الأمة الإسلامية على قراءة واحدة للقرآن لم يتم إلا في زمن ذلك الخليفة المؤمن !

ومن أعمال عثمان الجليلة الأخرى : توسيعه لمسجد الرسول ﷺ وبناؤه على صورة أفضل مما كان حتى غدا واسعاً يستوعب المصلين مهما كثروا بعد أن كان يضيق بهم !

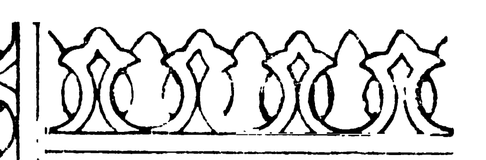


وهو الذي وهب الأراضي الزراعية الى المسلمين ليزرعوها ويستفيدوا منهـا ، وهو الذي فرض على الناس إخراج زكاتهم وتوزيعها على الفقراء وهو أول من أسس نظـام الشرطة لحماية المسلمين .

وكان (رض) لا تمر به ليلة جمعة دون أن يعتق رقبة أو أكثر حتى اشتهر عدله ، فحكم ست سنوات لم ينقم عليه أحد من الناس بل كان موضع محبة المسلمين .. كل المسلمين !

٨ـ الفتوحات في عهد عثمان

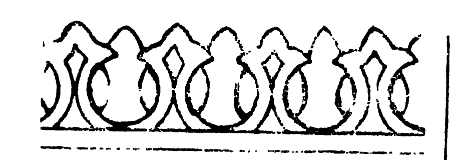
بلغت الفتوحات الاسلامية في عهد عثمان مالم تبلغه في زمن خلافة أبي بكر وعمر ، فقد توغل المسلمون في بلاد بعيدة وفتحوا أمصاراً لم يكونوا يحلمون بالوصول اليها .. ولكن الله وفقهم وأزال غشاوة الدنيـا وشهواتهـا عن أعينهم ، فاندفعوا خفافاً وثقالاً يريدون رضوان الله تعالى والفوز بجنته واعلاء كلمته ونشر نور هداية الإسلام في تلك البلاد النائية ؛ وبإيمانهم العميق وعملهم بأحكام الاسلام العظيم تمكنوا من تحقيق ما كانوا يبغون فانتشر الاسلام واقبل أهل



البلاد المفتوحة يدخلون في دين الله أفواجاً ويعلنون إيمانهم بعدما رأوه من تسامح المسلمين ورحمتهم ورأفتهم واحقاقهم الحق وازهاقهم الظلم على أي صورة كان !

وتوسعت فرق الجيش الإسلامي فكانت تعمل وفق نظام دقيق ، فيوكل كل عمل حربي إلى فرقة تختص بذلك العمل، فهناك الرماة والفرسان والمشاة وهناك أهل المنجنيق الخ .. والى جانب كل هذه الفرق البرية تشكلت – ولأول مرة في تاريخ الإسلام الحربي – قوة بحرية إسلامية ، فكانت نواة الأسطول الإسلامي الذي اشترك في معركة ذات الصوري فاثبت كفاية بالغة وجدارة كبيرة !

ولو أجلنا النظر – يا اخوتي الأكارم – في الفتوحات الإسلامية في البر والبحر في عهد عثمان (رض) لوجدنا أنها كانت بمقياس واسع، فقد تناولت طرابلس وبرقة (في ليبيا) ومراكش ، وايران ، وتركزت الأعلام الاسلامية على القسم الأعظم من بلاد الأفغان (أفغانستان) وخراسان (شمالي إيران) وفتحت إرمينيا واذربيجان ، ووصلت رايات الفتح حتى أركزت على جبال القوقاس (شمالي تركيا) ، وانتصر

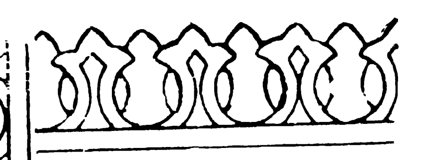


المسلمون على الرومان في أول معركة بحرية اسلامية وهي (ذات الصواري) دارت رحاها قرب الإسكندرية وكان اسطول الرومانيين يتشكل من أكثر من (٥٠٠) سفينة حربية تحطم أكثرها بفضل شجاعة المسلمين واستبسالهم فكنت لا ترى ماء البحر من كثرة الصواري الممزقة والمتناثرة هنا وهناك . . . ثم فتح هذا الأسطول الإسلامي جزيرة قبرص (في البحر الأبيض المتوسط) .

وبعد كل هذه الانتصارات الباهرة وانتشار الاسلام في الشرق فكر عثمان (رض) في فتح الأندلس (اسبانيا) بعد أن فتح شمالي إفريقية ، وأصبح مضيق جبل طارق بيديه فأمر قائد جيوشه في شمالي إفريقية عبد الله بن نافع أن يتوجه لفتح الأندلس ونشر الاسلام هناك والقضاء على ظلم الحكام للسكان .

غير أن تلك الحملة تأجلت بسبب الظروف القاسية التي مرت بها الخلافة الاسلامية في تلك الفترة ، فلم يتم فتح الأندلس الا في زمن الوليد بن عبد الملك .

وهكذا ترون أن هذا الخليفة المجاهد كان يسهر على

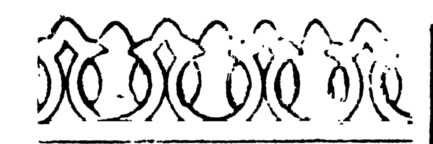


مصالح أمته بل ويسهر ويعمل ويضحي من أجل انقاذ الشعوب المظلومة المستعبدة ... وكل ذلك في سبيل الله .

... وعمل عثمان يا أخوتي على نشر الرسالة التي وهب لها نفسه وأرخص في سبيلها كل غالٍ عليه ، فقضى على الظلم وسير الجيوش لفتح البلاد الرازحة تحت ظلم الحكم الروماني والساساني ... تلك الدول العاتية التي كانت تستعبد أبناء البلاد الخاضعة لحكمها وتجعلهم عبيداً لها ولأرضها ولا تطلقهم حتى يواريهم تراب القبر ، فكان أهل تلك البلاد ليس لهم أي حقوق سوى الخضوع الكامل والتنفيذ لأوامر السادة الصارمة ، والموت لكل مخالفٍ أو ساخط على ذلك الظلم !

وجاء المسلمون فحرروا تلك البلاد وردوا لأهلها انسانيتهم وأشعروهم بحقهم في الحياة الحرة الكريمة ، فكانت عيون أبناء البلاد تطفر دمعاً وتهش بكاءً لعظم الرحمة والمواساة والتسامح الذي قابلهم به المسلمون والفرق الكبير بين عدل هؤلاء وظلم من سبقهم في الحكم .

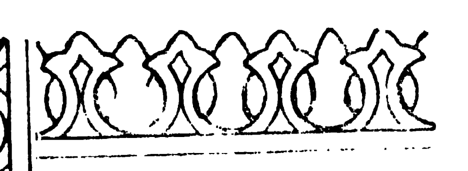
وبهذه الرحمة وبهذا التسامح ، توسعت رقعة الدولة الإسلامية في الشرق والغرب حتى امتدت من مراكش غرباً



حتى الهند شرقاً وضمت شعوباً كبيرة وأمماً متنوعة اتحدت أكثرها تحت راية واحدة وعقيدة واحدة لم تفرق بين الأمير والفقير وبين الحاكم والمحكوم ... الكل سواسية أمام الحق وأمام الشرع فلا فرق بين أي واحد منهم إلا في تقواه، وعمله من أجل الإسلام ونصرته ، وبهذه الأهداف انتصر المسلمون وبهذه القلوب المؤمنة تمكن المسلمون من الانتصار على قوى الشرك والكفر والالحاد وادخال أهل البلاد المفتوحة في حظيرة الحق والعدل والإيمان !

وهكذا ترون يا أخوتي عظمة الإسلام وجهاد المسلمين . فهكذا يكون البذل وهكذا تكون التضحية من أجل الجماعة وهكذا يكون الجهاد !

إن أي فاتح في التاريخ لم يكن له من غرض الفتح سوى غزو الشعوب المستضعفة ونهب ثرواتها وتسخيرها لخدمة الفاتح المغتصب ، أما العرب المسلمون فقد شذوا عن ذلك فلم يفتحوا تلك البلاد البعيدة من أجل مغنم مادي أو لأجل السيطرة على الشعوب وظلمها ... لم يكن غرض المسلمون من هذا الفتح سوى الهداية وتحرير هذه الشعوب من التسلط والظلم الروماني والفارسي ورفع الاضطهاد الذي كان يجثم على



صدور تلك الشعوب ، ورفع رأسـها عالياً بعد طول ذل واحتلال !

بل لم يكن هناك أي ضير على الذين دخلوا في رعاية الإسلام ولم يؤمنوا به ، وكان على القادرين منهم دفع جزية بسيطة (لقاء حمايتهم) تكاد تكون صورية . . . وهكذا كتب المسلمون جديدة في سجل الفتوحات . . . صفحة مشرقة بيضاء مليئة بالنور والتسامح والعدالة فسجلوا بذلك حدثاً هز العالم وأثار ضجة كبرى أطارت شهرة المسلمين وسهلت أمامهم مهمة هدى الشعوب وقيادتها الى شاطيء الصفاء والسلام !

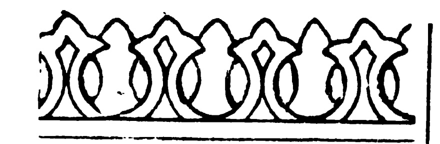
فاذكروا ذلك دائماً يا إخواني !

وتشبهوا بأجدادكم الهادين الفاتحين !

ولا تقنعوا براحتكم وسلامتكم ، فإن عليكم واجبات ثقيلة : واجبات نحو خالقكم سبحانه وتعالى ، ونحو نفوسكم وتزكيتها ، ومجتمعكم ، وأمتكم ، والإنسانية ؟ وإن دينكم أوضح لكم ذلك كله ، فاذكروه تذكركم أحكامه بواجباتكم لسعادتكم في الدنيا والآخرة .

رشيد عالي جاسم

* * *



أبو عبيدة بن الجراح

المقدمة

السلام عليكم أيها الشبان الكرام ورحمة الله وبركاته .

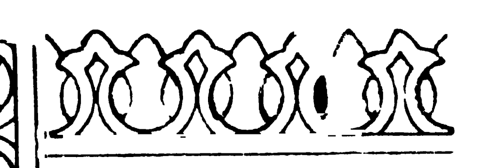
وبعد : فهذا كتيّب عن بطل من أبطال الإسلام ، وعلَم من أعلامه العظام ، وداعية من دُعاته الذين يفخر بهم المسلمون ويعتزون . إنه عامر بن عبد الله ، وكنيته (أبو عبيدة) واشتهر بالجراح نسباً إلى جده ، وواحدٌ من المهاجرين إلى الحبشة ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة (١) وقائدٌ

---

(١) جمع الحافظ العسقلاني أسماء العشرة المبشرين بالجنة بهذين البيتين :

لقد بشر الهادي من الصحب عشرةً
بجناتِ عدنٍ كلّهم قدرهم علي

عتيقٌ ، سعيدٌ ، سعدٌ ، عثمانٌ ، طلحةٌ
زبيرٌ ، ابن عوفٍ ، عامرٌ ، عمرٌ ، علي



من قواد الإسلام الذين فتحوا بلاد الشام .

ونحن إذ نقدم لك تاريخه كما قدمنا تاريخ بعض أبطال المسلمين من قبل ، نرجو أن تستفيد منه وتعمل بهدايته حتى تكون رجلاً صالحاً نافعاً لأمتك ، عاملاً لدينك ، والله تعالى يقول « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون . »

الموصل ١/٣/١٣٨٦ هـ و ١٨/٦/١٩٦٦ م

سالم سعيد الصميدعي

مدير المدرسة الغسانية



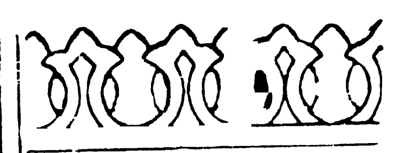
١ – أبو عبيدة والإسلام

هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب – ويقال (وهيب) – القرشي الفهري ، وأمه [أميمة] بنت غنم بن جابر بن عبد العزّى . أدركت الإسلام فأسلمت ، زوجته هند بنت جابر بن وهب ، وقد ولدت له ولدين هما : يزيد وعمير . إنه تاسع من أسلم على يدي الرسول عليه وآله الصلاة والسلام وذلك بدعوة من أبي بكر الصديق [رض] ، وقد أسلم معه عثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الأسد وعبيدة بن الجون ابن المطلب . وكان ذلك قبل دخول الرسول عليه السلام دار ابن الأرقم .

٢ – المهاجر أبو عبيدة

لما ازداد أذى قريش قريش أذن الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابه بالهجرة الثانية سراً إلى الحبشة ، وكانوا ثلاثة وثمانين رجلاً ولما سمعوا بعد حين بإسلام أهل مكة عادوا إليها ، لكنهم لما وصلوا وعلموا عدم صحة الخبر ، دخلوها مستخفين (١)

(١) مستخفين : خفية لا علنا .



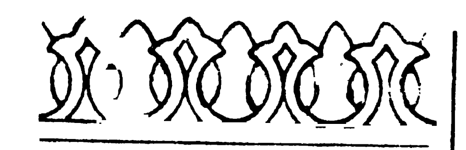
مستجيرين (١) وقد بقي أبو عبيدة في مكة صابراً على الأذى الذي يلاقيه مع اخـوانه المسلمين من كفار قريش حتى هاجر إلى المدينة .

وآخى الرسول ﷺ في المدينة بين أبي عبيـدة وبين سعد بن معاذ بن النعمان من (بني عبد الأشهل) ، وهذه هي القبيلة الوحيدة التي لم يكن فيها منافق أو منافقة من المنافقين الذين كانوا يتظاهرون بالإيمـان وحب المسلمين ويكمشون (٢) لهم الكره . وقد فضح الله المنافقين في القرآن الكريم إذ قال تعـالى : بسم الله الرحمن الرحيم « إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون » (٣) .

٣ ــ الأمين الرسول

كانت الوفود تأتي رسول الله ﷺ من مختلف البلاد معلنةً إسلامها وداخلة في دين الله الذي لم تر مثله حكماً

(١) مستجيرين : بحماية أحد العرب من ذوي الشأن .
(٢) يكمشون : يخبئون لايظهرون .
(٣) سورة (المنافقون) .



وعدلاً . ثم تعود إلى موطنها بعد أن يرسل الرسول عليه الصلاة والسلام معها من يعلمها أمور دينها ، وكان من جملة الوفود (وفد اليمن) الذي دخل في دين الإسلام طوعاً ورغبة . فلما أرادوا الرجوع طلبوا من الرسول عليه السلام رجلا يفقّهم في دينهم ويعلمهم آدابه فقالوا له يارسول الله ابعث معنا رجلا يعلمنا السنّة والإسلام ، فأخذ الرسول ﷺ بيد أبي عبيدة بن الجراح وقال ـ هذا أمين الأمة ـ فذهب معهم ليعلمهم أمور دينهم .

٤ ــ سرية الى ذي القصة

أجدبت بلاد ثعلبة وأنمار ، وكان ذلك في شهر ربيع الآخر من السنة السادسة للهجرة ، ثم هطلت سحابة مطر في قريتين على بعد ستة وثلاثين ميلا من المدينة المنورة ، فسارت بنو محارب وثعلبة وأنمار إلى موقع هطول تلك السحابة وأجمعوا أن يغيروا على سرح[1] المدينة وهو يرعى على بعد سبعة أميال منها ، فلما سمع بهم الرسول ﷺ أرسل أبا عبيدة في أربعين رجلا من المسلمين فسار بهم بعد صلاة المغرب إلى أن وصلوا إلى

(١) السرح : الماشية التي ترعى .



(ذي القصة) مع الصبح ، فأغاروا عليهم ، فهربوا من أمامهم واختبأوا في بطون الجبال ، وقد أمسكوا برجل منهم فأسلم ، ثم عادوا ومعهم الغنائم ، فخمسها (١) رسول الله ﷺ وقسم مابقي عليهم .

٤ — في غزوة أُحد

قال أبو بكر الصديق (رض) : أصيب الرسول عليه السلام في غزوة أحد في وجهه ، فأقبلتُ أسعى إلى رسول الله ﷺ لأساعده ، فرأيت إنساناً مسرعاً من قبل المشرق راكضاً نحونا ، فقلت اللهم اجعله طاعة ، حتى إذا وصل الينا قال : أسألك يا أبا بكر أن تتركني لأنزع من وجنة رسول الله ﷺ فتركته ، فأخذ بثنيته إحدي حلقتي المِغْفَر (٢) فنزعها وسقط على ظهره وسقطت معه ثنيتُه . ثم أخذ الحلقة الأخرى فسقطت ، فكان أبو عبيدة بعدها في الناس أثرمَ وقد شهد غزوة بدر من قبل وهو ابن احدى وأربعين سنة .

---

(٢) خمسها : جعلها أخماساً لمستحقيها شرعاً .

(١) المِغفر : زرد على قدر الرأس يلبس تحت القَلنسوة (الخوذة) .

٦ ـ قائد المهاجرين والأنصار

إن الجيوش الأولى التي سارت زمن الخليفة أبي بكر الصديق (رض) إلى الشام كانت تحت أربع قيادات هي :

١ ـ يزيد بن أبي سفيان » إلى دمشق

٢ ـ شُرَحبيل بن حسنة » الأردن

٣ ـ عمرو بن العـــاص » العقبة ففلسطين

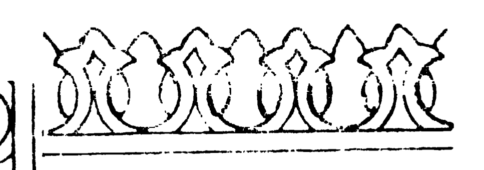
٤ ـ أبوعبيدة عامر بن الجراح » حمص

وكان جيشه مؤلفاً من المهاجرين والأنصار ولدى اجتماعهم لتوديع الخليفة أبي بكر الصديق (رض) قال لهم ناصحاً وموجهاً ومودعاً :

إذا اجتمعتم في قتالٍ أو لمشورةٍ فقائدكم أبو عبيدة . وقد أرسل مع كل واحـد منهم ثلاثة آلاف مقاتل ، ثم أخذ يمدهم بالإمدادات حتى صـــار لدى كل منهم حوالي (٧٥٠٠) جندي ليقووا على تحقيق الغـاية التي ذهبوا من أجلها وليكون التعاون بينهم وثيقاً .

٧ ـ قبل المناوشات

علم الخليفة أبو بكر الصديق (رض) من كتاب أرسله



اليه القائد عمرو بن العاص (رض) بأن أبا عبيدة قد أشرف على الشام وأنه لم يجسر على دخولها لسماعه أن جيوش الروم قد اجتمعت حول « أجنادين » ، وقد خاف على المسلمين من أن يتوسط بهم عدوهم . فلما علم بذلك الخليفة قال : إني أعلم بأن أبا عبيدة ليّن العريكة وغيره لا يصلح لقتال الروم ، وقرر أن يكتب إلى خالد بن الوليد (رض) ليوصله إلى الشام ، فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عتيق بن أبي قحافة إلى خالد بن الوليد سلام عليك ، وبعدُ فإني أحمد الله تعالى الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد ﷺ ، وإني قد وليتك على جيوش المسلمين ، وأمرتك بقتال الروم وأن تسارع إلى مرضاة الله عزّ وجل وقتال أعدائه . وكن ممّن يجاهد في الله حق جهاده .

ثم كتب : بسم الله الرحمن الرحيم « يا أيها الذين آمنُوا هَلْ أدلّكم على تجَـارةٍ تُنْجيكم من عذابٍ أليمٍ تؤمنون بالله ... » .

وقد جعلتك الأمير على أبي عبيدة ومن معه . وأرسل الكتاب مع نجم بن مقدم الكناني (رض) ، فأخذه وسار

حتى وصل إلى خالد ، فرآه قد أشرف على فتح القادسية ، فدفع إليه الكتاب . فلما قرآه ، قال السمع والطاعة لله وللخليفة رسول الله ﷺ ، وتهيأ للتوجه إلى الشام .

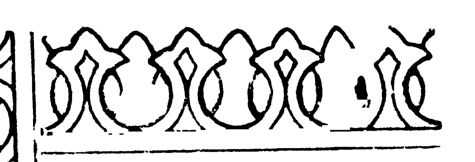
٨ - قبل وصول خالد

كتب خالد بن الوليد الى أبي عبيدة (رض) يخبره بكتاب الخليفة . وكان ممّا قاله : (لا تبرحْ مكانك حتى أقدم عليك ، والسلام .) وأرسله مع عامر بن الطفيل (رض) فلما وصل اليه فرح به وأخبر المسلمين بما فيه . وكان أبو عبيدة قد وجه شرحبيل بن حسنة (رض) - وهو أحد كتّاب الوحي - في أربعة آلاف الى (بصرى [1]) الـتي كان حاكمها (روماس) وصار بينهما حديث طويل أراد بعده عدم محاربة الإسلام .

وأظهر روماس حبّه للمسلمين ، وتعصّت جنده فتحارب الجيشان . وفي تلك الأثناء وصل خالد فاشترك معهم في المعركة . وهنا أعاد

---

(١) بصرى الشام من بلاد محافظة درعا (حوران) في سورية



الحديث معهم وأسلم مع أولاده، ثم أخذ يناوشهم حتى فتح لهم أبواب بصرى .

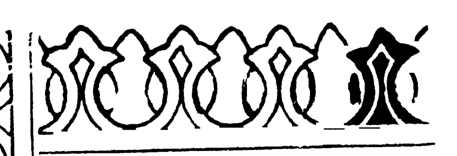
هذا وقد فتح خالد في طريقه من الحيرة الى بصرى (عين التمر . قراقر . تدمر) وبعد بصرى تقدم المسلمون الى طريق الشام حيث صادفوا جماعة (كاوس) الملقب (عزازير أو عزرائيل) مع خمسة آلاف جندي وقال هذا لخالد : رغم أن اسمي هو ملك الموت فاني أريد أسرَك لأقتلك ، وحتى يعلم الناسُ بأنك أسيري . لكنه لما تقدم للطعان معه لم يتمكن من الثبات أمامه ، اذ هرب الى داخل صفوف جيشه ، وخالد يتبعه حتى أسره .

٩ — بين القائدين العظيمين :

بينما كان المسلمون منشغلين في حرب مع جيش عزازير، جاء أبو عبيدة بمن معه ، فسأل عن خالد فقالوا له إنه في ميدان الحروب وقد أمر بطريق الروم . فلما توجه إليه ودنا منه قال : (يا أبا سليمان لقد فرحت بكتاب أبي بكر (رض) حين قدّمك وأمّرك وما حقدتُ في قلبي عليك ،

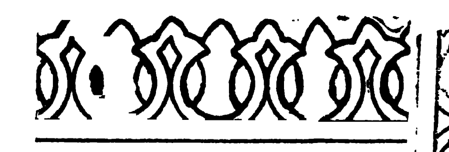


لأني أعلم مواقفك في الحرب . فقـــال له خالد (رض) : والله لا فعلت أمراً إلا بمشورتك ، والله لولا أمر الإمام طاعة لمـــا فعلت ذلك أبداً ، لأنك أقـدم مني في دين الاسلام ، وانك الذي قال فيك رسول الله (ص) : أبو عبيدة أمين هذه الأمه . فشكره أبو عبيدة وعادا الى مكانهما . وفي الطريق قال له : اعلم ايها الأمير ان القوم قد خذلوا ووقع الرعب في قلوبهم ، وأهينوا بأخذ عزازير وكلوس . حتى أتيا الدير ، فنزلا هناك ، وأقبل المسلمون يسلم بعضهم على بعض ، حتى اذا كان الغد تزيّنت المواكب وأخذ الرجـــال يتهيئون للحرب ، فحملوا على الروم حملة عظيمة وهم يكبّرون فارتج الروم منهم ومن تكبيرهم ، وقد جاهد المسلمون جهاداً عظيماً وقتلوا منهم الكثيرين ، إذ كان الواحد منهم يهزم العشرة والعشرين . وما لبثوا الاّ قليلا حتى ولوّا الأدبار ، واتجهوا الى المدينة ليدخلوها ، فلما رأى الناس ذلك أغلقوا الأبواب في وجوههم ، واضطر الباقون الى الاستسلام أو الفرار .



١٠ - بطولة مسلم

أرسل عمرو بن العاص (رض) كتاباً مع أبي عـامر الدوسي (رض) لأبي عبيدة يبشره بفتح فلسطين عـدا مدينة القدس ، ويطلب منه بيان رأيه في بقائه أو مجيئه مع الجيش . ولما قرأ الكتاب بشـر به المسلمين ، ففرحوا بذلك ، ثم أخذوا يسألون أبا عامر عن الذين استشهدوا وكان فيهم سعيد بن خالد وكان والده جالساً ، فلما علم باستشهاده دمعت عيناه وأخذ يترحـم عليه ، ثم قام الى فرسه وركبهـا وتوجه الى فلسطين لينظر قبر ولده . فقيل له لم تسير اليه ؟ قال أرجو الله أن الحق به . ثم كتب أبو عبيدة الى عمرو كتاباً سلمه الى خـالد حيث اتجه مع أبي عامر الى فلسطين ، ولمـا وصلا إليهـا وسلما الكتاب الى عمرو ، طلب خـالد معرفة قبر ولـده ، فلما وقف على قبره قال (رزقني الله صبراً عليك ، وألحقني بـك ، وانا لله وانا اليه راجعون ، ارجو الله أن يمكنني لأخذ ثأرك) وبقي يحارب في فلسطين ويقتل شجعانهم الواحد



تلو الآخر حتى أخذ الروم يوصي بعضهم بعضا بعدم الوقوف أمامه . ثم نصبوا له كمينا وقع فيه ، فقتلوه ، وهكذا استشهد في سبيل الله رحمه الله تعالى .

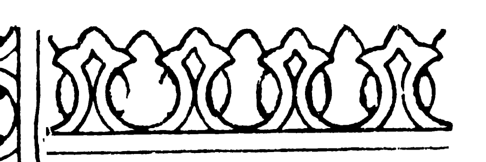
١١ — الى دمشق

قال خالد لأبي عبيدة : الرأي أن أنزل أنا على البـــاب الشرقي وتنزل أنت على باب الجابية ، وكان بجموع الجيش الإسلامي في ذلك الوقت حوالي (٣٥,٠٠٠) ألف مقاتل .

فلما رأى ذلك أهل دمشق خافوا وذعروا ، فأرسلوا شخصاً الى ملكهم في غسق[١] الليل بعد أن أدلوه في الليل بحبل من أعلى الأسوار ليخبره . حتى إذا نزل توجه الى انطاكيه حيث كان فيها . فلما دخل عليه وسلمه الكتاب قرأه فبكى وجمع البطارقة وقال : (يابني الأصفر ! لقد حذرتكم من هؤلاء العرب ، واخبرتكم أنهم سوف يملكون ما تحت سريري هذا فاتخذتم كلامي هزءاً وأردتم اغتيالي وهؤلاء قد خرجوا من بلاد الجدب والقحط وأكل الذرة

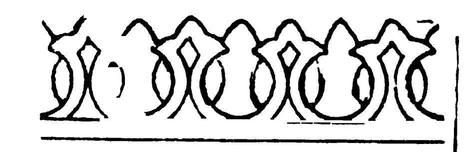
---

(١) الغسق : أول ظلمة الليل .



والشعير الى بلاد خصبة كثيرة الأشجار والأثمار والفواكه .
فاستحسنوا ما نظروه من بلادنا وليس يزجرهم شيء لما
هم فيه من العزم والقوة وشدة الحرب . ولولا أنه عار علي
لتركت الشام ورحلت الى القسطنطينية العظمى ، ولكن
هأنذا أخرج اليهم وأقاتلهم عن أهلي وديني) فقالوا له :ـ
إن قعودك أهيَب . فقال من نبعث اليهم ؟ قالوا (وردان)
صاحب حمص ، لأنه ليس فينا مثله في القوة وملاقاة الرجال
وقد ظهرت شجاعته في عساكر الفرس لمّا قصدونا ، فأمر
بإحضاره ، فلما حضر أخبره بأنه قدمه على كل قواده ،
وجهزه بـ (۱۲,۰۰۰) مقاتل ، وقال إذا وصلت إلى بعلبك
فأنفذ الى من (بأجنادين) ليتفرّقوا ولا يتركوا أحداً من
العرب يلحق بأصحابه ، فقال وردان : السمع والطاعة .

ثم قال سوف لا أعود إلّا برأسي خالد بن الوليد وأبي
عبيدة ، ومن معهما من القواد ، وأهزمهم حتى أدخل
الحجاز ، ولا أخرج حتى أهدم الكعبة والمدينة ، فقال له هرقل
وحق الإنجيل ان فعلت ذلك ووفيت بقولك لأعطينّك
ماتفتحه حرثاً وخراجاً ، وكتبت لك كتاب العهد انك



الملك من بعدي ، ثم سوّره وتوّجه وأعطاه صليباً من الذهب وفي جوانبه أربع يواقيت لايعادلها شيء ، وقال : اذا لقيت العرب فقدّمه أمامك .

أما المسلمون فإنهم لما توجهوا الى دمشق واصطدموا بأهلها - وقد دام حصارهم لها عشرين يوماً - جاءهم (ثاوي بن مرّة) وأخبرهم عن جموع الروم التي وصلت الى أجنادين .

١٢ — استشارة حرب ، وحرب

توجه خالد الى باب الجابية بدمشق ليخبر أبا عبيدة ويقول أرى أن نرحل عن دمشق إلى أجنادين ونلتقي من هناك مع الروم . فإذا نصرنا الله عليهم عدنا إلى قتال هؤلاء القوم . لكن أبا عبيدة أجابه : ليس هذا برأي لأنا إذا رحلنا عنهم يخرج أهل المدينة فيملكون مواضعنا ، فلما سمع خالد ذلك أعلمه بأنه يعرف شاباً لايخاف الموت خبيراً بلقاء الرجال ، مات أبوه وجده في الجهاد ، وأنه ضرار بن الأزور بن طارق ، فاتفقا على طلبه ، فلما حضر قال :

يتبع :　　　　　　سالم سعيد الصيرفي



نصوص حديثية في الثقافة العامة : جمعه وصنفه لطلاب الصف الأول من كلية الشريعة في جامعة دمشق الأستاذ الشيخ محمد الكتاني أستاذ الحديث في الكلية المذكورة ، ويقع الكتاب في (٧٠) صفحة ، وطبع في مطبعة الجامعة .

لقد سرني الكتاب كثيراً إذ قرأت عنوانه ، فموضوعه يلبي حاجة الشباب المثقف ، وخاصة طلاب كلية الشريعة إلى أحاديث نبوية صحيحة ، مخرّجة وفق قواعد علم المصطلح ، منتقاة لمناسبات شتى شاملة ، تبين شمول السنة النبوية نواحي الدين والدنيا ، ومعالجتها أموراً عديدة من شؤون الفرد والمجتمع ، وتوجيهها العاملين بها توجيهاً رشيداً سديداً .

وتصفحت الكتاب فبدت لي ملاحظات هامة ، رأيت لزاماً علي تبيانها بعد تمهيد عن مسألتين ، والحق أحق أن يقال ويتبع :

الأولى : أن الأستاذ الكتاني قال في مقدمة كتابه عن هذه النصوص « انتقيتها من الكتب الستة : صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وموطأ مالك ، والسنن الأربعة لأبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه » ومن المعلوم أن « الموطأ » ليس من الكتب الستة في الاصطلاح ، وقد غدت سبعة كما أوردها الأستاذ ، فهل كان هذا عن سهو أم أن لدى الأستاذ تعليلاً لذلك ؟

الثانية : أني افتقدت في الكتاب النهج العلمي الصريح لانتقاء الأحاديث وتخريجها ، وتطبيق قواعد علم المصطلح عليها ، وطالب الشريعة يجب أن يدرس دراسة عملية تطبيقية ، لا دراسة نظرية محضة كما هي الحال في أكثر

الكليات ، وتبعاً لدراسته النظرية يتخرج ولا يكاد يشعر بثمرة الفرق بين مصطلح وآخر ، بين قول المحدث مثلا « رواه البخاري » وقوله « رواه البخاري تعليقاً »[1] وقد يؤلف المتخرج كتاباً أو يضع رسالة ، يورد فيها ماشاء من الأحاديث وكثير منها ضعيف منكر أو موضوع لا يجوز روايته إلا مع بيان حاله ، ثم هو يكتفي في كل ذلك بأن يقول في التخريج « رواه أبو داود وفلان » أو « رواه النسائي وفلان » دون أن يرجع إلى إسناده ويدرس أحوال رجاله وما قد يكون فيه من علة تقدح في ثبوته كالانقطاع والتدليس والإرسال ونحوه ، والعجيب أن الأستاذ الكتاني صنع هذا نفسه في كتابه ، وهو يعلم أنه أستاذ مقتدى به ينبغي أن يعلم طلابه التحفظ الدقيق في رواية حديث رسول الله ﷺ بدليل قوله ﷺ : « كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ماسمع » رواه مسلم في مقدمة « الصحيح » بإسناد صحيح .

* * *

أعود الآن إلى صلب الموضوع ، فأورد أهم الملاحظات بخطوط عريضة :

١ - أورد الأستاذ الكتاني أحاديث كثيرة واهية ، سكت عنها ، ولم يبين ضعفها ، وبذلك يتوهم الطلاب صحتها ، على أن بعضها مما ضعفه المصدر نفسه الذي عزا إليه الحديث ، وهذا أبعد ما يكون عن الغاية من علم الحديث ، وفي كلية الشريعة .

٢ - أطلق العزو للبخاري في بعض الأحاديث ، فقال « رواه البخاري » وهي عنده معلقة ، وبعضها مما لايصح إسناده ، وبذلك يتوهم القراء أنها صحيحة على شرط البخاري في « الصحيح » وليست الحال كذلك ، وعكس

---

(١) التخريج الأول معناه أن الحديث صحيح ، والتخريج الآخر معناه أنه قد يكون حسنا ، وقد يكون ضعيفاً لا يحتج به .

ذلك في بعض آخر، فقال «رواه البخاري معلقاً» وهو عنده موصول!

ومن المقرر في علم الحديث أن أحاديث «صحيح البخاري» تنقسم إلى قسمين:

الأول هي التي يسندها البخاري إلى النبي ﷺ، أي بسوق أسانيدها متصلة منه إلى النبي ﷺ.

وهذا القسم كله صحيح عند العلماء إلا أحرفاً يسيرة جداً وهم فيها بعض الرواة.

والآخر: هي التي يذكرها بدون إسناد متصل إلى النبي ﷺ وله صور كثيرة، لا مجال لذكرها الآن، وهذا القسم يسمى بالحديث المعلق وقد اتفقوا أن فيه الصحيح والحسن والضعيف، ولا يمكن العلم بمعرفة رتبة هذا القسم من مجرد إيراد البخاري إياه في «صحيحه» بخلاف القسم الأول، اللهم إلا إذا صدر الحديث المعلق بصيغة الجزم مثل «قال و روى و ذكر» ونحوها، فإنه يدل على أنه صحيح عنده، وإذا صدره بصيغة التمريض، مثل «رُوي» و «ذُكر» ونحوهما، فإنه يدل على ضعفه عنده، على أن هذا ليس مضطرداً عنده، فكثيراً مايصدره بصيغة الجزم، ويكون ضعيفاً، وقد يصدره بصيغة التمريض وهو عنده صحيح لأسباب لامجال لذكرها الآن، وقد أوردها الحافظ ابن حجر العسقلاني في «مقدمة فتح الباري» فمن شاء الاطلاع عليها فليرجع إليه.

وإنما الطريق الوحيد لمعرفة ذلك الرجوع إلى سند الحديث الذي علقه البخاري، في كتب السنة الأخرى كالسنن وغيرها، فيدرس سنده ثم يعطي مايستحقه من رتبة.

إذا عرفنا هذا، فإن كثيراً من الناس ممن لاعلم عندهم بهذا التفصيل في أحاديث البخاري يتوهم أن كل حديث فيه صحيح، وعلى ذلك فهو ينقل منه بعض الأحاديث المعلقة، ثم يعزوها إليه عزواً مطلقاً، فيوهم الناس ماتوهمه هو نفسه أن الحديث صحيح، وقد يكون ضعيفاً، فيخطىء ويكون سبباً لخطأ غيره، من أجل ذلك اتفق علماء الحديث على أنهم إذا نقلوا من صحيح البخاري حديثاً من القسم الثاني أن يشار إلى ذلك

بمثله قولهم « رواه البخاري معلقاً » . أو « ذكره البخاري بدون إسناد » وذلك لئلا لايوهموا الناس أن الحديث من القسم الأول الصحيح !

وقد أخل بذلك كثير من المصنفين ، خاصـــة في المتأخرين ، مثل مؤلف كتاب « الجامع للأصول الخمسة » ، فكثيراً مارأيناه يقول في تخريجه لبعض الأحاديث « رواه البخاري » ، وهي عنده معلقة ! وجرى على نسقه الشيخ الكتاني ، فوجب التنبيه عليها ، مع ذكر الصحيح والضعيف منها .

٣ ــ عزى أحاديث إلى بعض « السنن الأربعة » بينما جــاءت في « الصحيحين » أو في أحدهما موصولة لا معلقة ، وهذا مما لايجوز ، لأن العزو للسنن لايفيد الصحة بخلاف العزو لـ « الصحيحين » أو أحدهما ، ففي ترك العزو إليهما إلى العزو إلى غيرهما ، مايوهم عدم إخراجهما إياه ، فضلاً عن تشكيك الطلاب في صحة الحديث ، لأن السنن فيها الصحيح والضعيف كما هو معلوم .

٤ ــ عزا أحاديث إلى « الصحيحين » وغيرهما من الستة ، وهي ليست عندهم على خلاف ماصنع في الفصل الســـابق ، وعزى إلى من ليس من « الستة » ولا من هو من الأئمة ، مع كون الحديث عند بعض أئمة الستة ، وعزى حديثاً آخر لصحابي وهو لغيره ! وساق زيادة في حـديث صحيح لايعرف لها أصل ، والمصدر الذي عزاها إليه مما لايوثق به .

٥ ــ ترجم لأحاديث كثيرة بما لاتدل عليه .

٦ ــ أورد أحاديث كثيرة لايترتب عليها اليوم كبير فائدة ، بل هي مما يستغله بعض ذوي الأهواء والبدع ، مع أن غالب تلك الأحاديث خاصة بالرسول ﷺ فلا يصح أن يقاس به أحد من المشايخ ، فإذا كان غرض الأستاذ صاحب الكتاب من إيرادها مجرد التعريف بها ومبلغ تعظيم الأصحاب الكرام لرسول الله ﷺ فكان من تمام التأليف التنبيه إلى ذلك .

(يتبع)　　　　　　　　　　　　　　　　ناصر الدين الألباني

المجلة : نرجو أن نقف على رأي الأستاذ الفضال الشيخ محمد الكتاني فكثيراً ما تكون الحقائق وليدة النقد والبحث .

من الشرق .. ومن الغرب

- في الحديث الشريف : في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : (آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف واذا ائتمن خان .)
- قال الأستاذ محمد الغزالي في (الإسلام والطاقات المعطلة) : حرّم الإسلام انواعاً من الأطعمة ، فقصده من التحريم صيانة الجسم لا مصادرة الطبيعة وتشريع الجوع .

وعندما حرم انواعاً من الوقاع فقصدة تهذيب النزوع الحيواني لا إبادة الجنس الإنساني وإشاعة الرهبانية . . .

وعندما حرم انواعاً من فنون الأثرة فليس ذلك لخلق إمّعات وفكرات تزحم البر والبحر ، وانما لإيلاف الجماعة البشرية أن تحيا متعاونة متعارفة لا متدابرة متناكرة . . . !!

- قال الشاعر التونسي المرحوم ابو القاسم الشابي :

ومن لا يحبّ صعود الجبال يعشْ أبد الدهر بين الحفر

قال علي رضي الله عنه: قصم ظهري رجلان : عالم متهتك وجاهل متنسك.

كان ابن عباس رضي الله عنه يأخذ بركاب زيد بن ثابت ويقول : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء .

قال عبد الرحمن بن أبي ليلى : أدركت في هذا المسجد مئة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماأحد ُيسأل عن حديث أو فتوى إلا ودّ أن أخاه كفاه ذلك .) ثم قد آل الأمر إلى إقدام أقوام يدعون العلم اليوم يقدمون على الجواب في مسائل لوعرضت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع أهل بدر واستشارهم .

قال وهب بن منبه في حكمة آل داود : حق على العاقل ألا يُشغل عن أربع ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يفضي فيها الى اخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه ، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ولايحرم ، فإن هذه الساعة عون على هذه الساعات وإجمام للقوة ، وهذه التي هو مشغول فيها بالمطعم والشرب لا ينبغي أن تخلو عن عمل هو من أفضل الأعمال وهو الذكر والفكر ، فإن الطعام الذي يتناوله فيه من العجائب مالو تفكر فيه كان افضل من كثير من أعمال الجوارح .

- ليس الحجاب إلا كالرمز لما وراءه من أخلاقه ومعانيه وروحه الدينية التعبدية وهو كالصدفة لا تحجب اللؤلؤة ولكن تربيها في الحجاب تربية لؤلؤية فوراء الحجاب الشرعي الصحيح معاني التوازن والاستقرار والهدوء والاضطراد ، واخلاق هذه المعاني وروحها الديني القوي .

(مصطفى صادق الرافعي)

- سرّ النجاح الدوام على تحقيق الهدف .

(دزرائيلي)

- عندما يطلب الناس أن ننقدهم فهم في الواقع لايريدون منا غير الثناء والمديح

(برناردشو)

- الشخص الوحيد الذي يحق له ان ينتقد . . . هو الشخص الذي لديه قلب مستعد للمساعدة .

(ابراهام لنكولن)

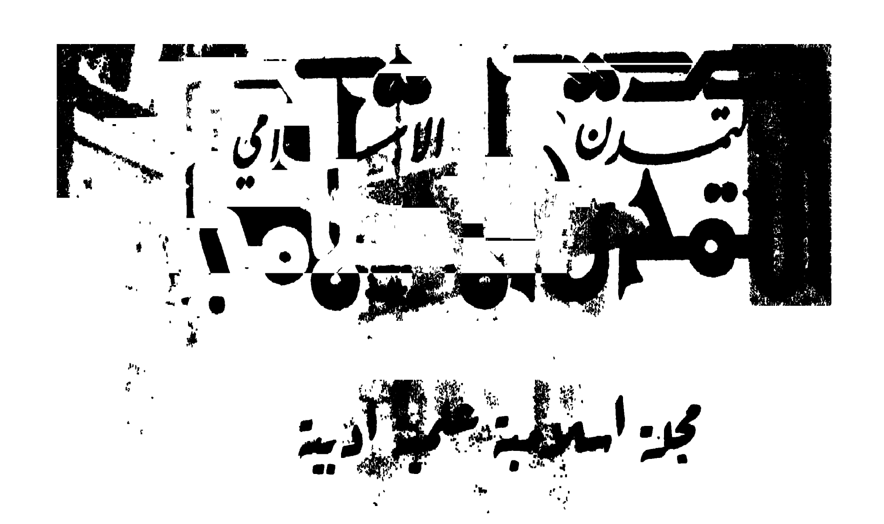
- اغفر دائماً لأعدائك . . . فلا شيء يضايقهم اكثر من ذلك ! .

(أوسكار وايلد)

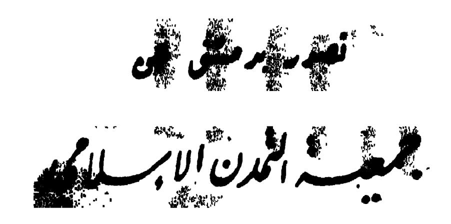
- مهما كانت قيمة الشيء الذي لديك . . فإنك إما أن تستخدمه أوتفقده .

(هنري فورد)

(قلم المجلة)



مجلة اسلامية علمية أدبية







إن ذكرى رسول الله ﷺ في ربيع الأول ، كذكرى الربيع النضير الجميل – بعد الشتاء الشديد الثقيل – ؛ يُفعم الأرض نضارةً وعطراً ، ويُترع المشاعر بهجة وبشراً ، ويملأ القلوب آمالاً عِذاباً وابتساماً صادقاً .

كيف لا ، وصاحبُ الذكرى المفدّى بالأرواح والمهج ؛ ذو الشرف الصاعد نسباً وعملا ، كان كما صاغه الله سبحانه أملَ الدنيا الذي تحقق هدايةً ورحمة وإنقاذاً ، وكأنها أبدت له صفحتها ، فعالج بفضل ربه أدواءها ، وحقق بعونه رجاءها ، بعد دم أهلها المسفوح من العذاب الأليم ، ودموعهم الذوارف من العناء المرير . فلا عجب إذا أصفت الدنيا اليه بقلوبها ، وأصفته بالمودة الغامرة والاحترام البالغ .

فهل من الوفاء إذا مرت القرون وتوالت الأحداث أن تغدو أكثر بلاد الاسلام خافية الضّوى من إشراق هدايته ، خافتة المنـار من توجيه شريعته ؟

وهل آن لشمس الإسلام أن تجنح مضطرةً للمغيب بعد عجزٍ ولغوب ؟

هل كان في تضاعيف كتاب الاسلام العظيم إلا الرشاد والسداد والعلم والإعجاز ، وما إلى ذلك من بدائع وروائع ؟

وهل كان في طيات سنته المطهرة إلا الخير والبر والحق والعدل ، وما يجري مجراها من مكارم ومآثر ؟

وهل كان في إنفاذهما إلا النعمة الضافية والرجاء المعطاء والثناء المعطار ؟

ألا فليذكر الغافلون أنه إذا غفت شعوب الاسلام غفواتها ، ثم ضنكها الجهل والفقر والاستعمار ، فلأنها اطمأنت إلى أفيون المخادعين من المبتدعين.

والظالمين ودعاتهم ، وفُتنت ببهارج الفاتنين من المستعمرين وأبواقهم ، مع أن للاسلام رأياً مضيئاً في دجى كل مشكلة كأنه بسمة النهار ، لو استشاروه لعلموه وأجلّوه ، ولأغناهم العمل به عن ضنك المريض ووهن المجتمع وذلة الاستعمار . وأن للمسلمين رباً هو ربُّ العالمين جعل حقاً عليه نصر المؤمنين ، فلو عجّوا إليه في الدعاء بعد أن أعدوا للمشكلات والملمات مايستطيعون من قوى الأجسام والأرواح والسلاح ؛ لاستجاب دعاءهم ، وفرّج كربهم ، ونصرهم على عدوهم نصراً مبيناً ، ولكنهم لبثوا على سوء معادلهم ومذموم مداخلهم ، فاستسعرت حاجاتهم ، والتاثت مطالبهم ، وظن بعضهم في دينهم الظنون .

لا يا قادة الرَّكب ، وذادة الاسلام ، لا تُدرجوا القرآن العظيم في طي النسيان ، فقد اشترط ربكم فيه للصلاح والنجاح إيماناً وعملاً ، فان من كريم آياته في سورة محمد : ٢ و ٣ :

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نُزّل على محمد وهو الحق من ربهم كفّر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم . ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم . »

وبيّن في الآية الرابعة عشرة أن ذلك هو مقتضى العدل الالهي الذي لايعرف المحاباة ، فلا يستوي الصالح والطالح ، والفوز والخسران :

« أفمن كان على بينة من ربه كمن زُيّن له سوء عمله واتبعوا أهواءهم » ؟!

فلا بد من طاعة لله وإطاعة لرسوله وإلا كان بطلان الأعمال الفظيع وخسران ذويها المبين :

« ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم» محمد :٣٣



أما الذين هم في ريب من صلاح الاسلام لبناء الفرد والمجتمع والدولة ، فعليهم إذا أرادوا أن يتخلوا عن عصبيتهم ويتحلوا بالانصاف والاذعان للحق مسفراً لعيونهم :

١ — أن يدرسوا مبادئ الاسلام دراسة موضوعية حقة ، ليبلغوا ما ليسوا ببالغيه الآن من عظمة الاسلام في مناحي الحياة جميعاً ، واستمداده لحل مشكلاتها أصلح حل ، وأسهله ، وأبعده عن التعنت والتعسف والخداع .

٢ — وأن ينظروا إلى تطبيق الاسلام بسياسة الرسول ﷺ .

حينما بنى المسلمين السابقين في مكة

وحينما ساس المهاجرين والأنصار في المدينة

وحينما دارى اليهود فيها ثم بطش بهم بعد مكرهم وأجلاهم

وحينما دارى المنافقين حتى تخلص من كيدهم

وحينما عمل على انهاء الخلاف بين المسلمين وقريش والمسلمين والعرب كافة ، والمسلمين والنصارى

وحينما بعث البعوث وكاتب الأمراء والملوك

وحينما أعد جيشه بقيادة أسامة لغزو الروم وهو من ملاقاة ربه قريب ...

قضايا هامة أنجزتها عظمة الاسلام على يد الرسول عليه الصلاة والسلام ، يوما التحق بالرفيق الأعلى ، حتى اطمأن الى تحقيق الهداية الحقة ، والوحدة الجامعة ، والعزة الرفيعة ، والدولة المنيعة ، والمجد العظيم ، وإلى رضوان من الله أكبر .

فان تلك الدراسة ، وهذا النظر قمينان بايقاف ذويهما موقف الايمان والحب والتقدير والاذعان من الاسلام ورسوله ، وكذلك تكون الحفاوة التي تجعل ذكريات الرسول ﷺ في كل يوم مرات مثمرات الثمرات اليانعة الدائرة ، لا مرة في العام عابرة ، وبذلك نأتسي بهديه ونقتدي بآثاره ، وأنعم بذلك من حفاوة وتقدير .

رئيس تحرير المجلة

احمد مظهر العظمة

الرسول يصبر أصحابه

عن خبّاب بن الأرتّ رضي الله عنه قال :

شكونا إلى النبي ﷺ وهو متوسد بُردةً (١) له في ظل الكعبة ، قلنا له : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو الله لنا ؟

قال : (كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض فيُجعل فيه ، فيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه ، فيشق باثنتين ، ومايصده ذلك عن دينه . ويُمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه من عظم أو عصب ، وما يصدّه ذلك عن دينه .

والله ، ليُتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون) .

ـ التاج : رواه البخاري في الاخبار بالمغيبات ، وأبو داود في الجهاد ـ

١ ـ راوي الحديث : خبّاب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي ، صحابي ، من السابقين ، قيل : أسلم سادس ستة ، وهو أول من أظهر إسلامه . كان في الجاهلية قيناً (٢) يعمل السيوف بمكة ، ولما أسلم استضعفه

(١) متوسد بردةً : متخذ له وسادة (أي مخدّة) .

(٢) القين : العبد .

المشركون فعذبوه ليرجع عن دينه ، فصبر ، إلى أن كانت الهجرة . ثم شهد المشاهد كلها ، ونزل الكوفة فمات فيها سنة ٣٧ هـ (٦٥٧ م) ، ولما رجع عليّ من صفين مرّ بقبره ، فقال : "رحم الله خباباً ، أسلم راغباً . وهاجر طائعاً ، وعاش مجاهداً . روى له البخاري ومسلم ٣٢ حديثاً [1] .

٢ — بين يدي الحديث : من الشجاعة حضور الذهن عند المكروه والتذرع بالصبر عند الحادثة ، والتفكير في العواقب لئلا يفلت (الموقف) من اليد ، وإذا لم يكن الشجاع متصفاً بذلك لم يغنه سيفه وإقدامه عن ضياع رشده في بعض المآزق ، فلا يحسن تدبير نفسه فيها ، وتدور الدائرة عليه ، والعالم والزعيم من أحوج الناس إلى تلك الصفات الغالية التي تحدو بذويها الى الثبات تلقاء العقبات ، وتصريف الأمـــور تصريفاً حكيماً يحقق الغاية المرجوّة [2] ، وتاريخ العلماء والفلاسفة شاهد بما قدموه وما بذلوه تحقيقاً لمقاصدهم .

كذا المعالي إذا ماجئت تطلبها فاعبر اليها على جسر من التعب

---

(١) الأعـلام للأستاذ خير الدين الزركلي ج ١ ص ٢٨٧ نقلاً عن الاصابة ١ : ١٤٦ .

(٢) حكي عن عبد الملك بن مروان أنه أتاه في يوم واحد خبر مقتل ابن زياد وهزيمة جيشه ، ودخول ابن الزبير فلسطين ، وثوران ثورة في دمشق ، ومسير ملك الروم الى الشام ، فماتزعزع ولا طاش ، وقد رئي في هذا اليوم ثابت الجنان غير مقطب الوجه ، ثم شغل ملك الروم بمال يؤديه اليه ، ووجه جيشاً لى فلسطين فاستردها ، وسار الى دمشق فأسكن فتنتها . (الأخلاق للمرحوم الأستاذ أحمد أمين ص ٤٤٤) .

وقد ضرب الرسل وأولو العزم خاصة منهم أروع الأمثلة وأقواها في الحزم والعزم وما اليهما من حضور الذهن وتصريف الأمور بالحكمة والوعي، وقد كان رسولنا محمد ﷺ :

يلاقي الأذى والضيق من كل جانب ويبقى رصيناً رابط الجأش كالصخر

كيف لا ، وهو يحمل أمانة الرسالة من ربه الى الناس كافة ، وعلى قدر الأمانة يكون التحمُّل صبراً وعزماً ، وعلى قدر العقيدة ورسوخها يكون الرجاء في الفوز ، فاذا كان من وراء ذلك تثبيت الله القوي ووعده الحق ، خلصنا الى الصبر الذي تماثله الجبال ، والعزم الذي لا يعرف الملال ، والرجاء الذي يلف جزيرة العرب ويطبق على الدنيا ثم يقف عند نعيم الآخرة المقيم ، ورضوان ربها العلي العظيم . وأمثلة التثبت والتصبر والرجاء والتبشير في القرآن كثيرة ، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الحجر ٦ - ١٥ : « وقالوا يا أيها الذي نُزِّل عليه الذكر إنك لمجنون . لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين . ما ننزّل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذاً مُنظَرين . إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون . ولقد أرسلنا من قبلك في شيَع الأولين . وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ، كذلك نسلكه في قلوب المجرمين . لا يؤمنون به وقد خلت سنةُ الأولين . ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا إنما سُكِّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون » .

ومن ذلك قوله سبحانه في سورة الروم ٦٠ : « فاصبر إن وعد الله حق ، ولا يستخفنَّك الذين لا يوقنون » . وقوله تبارك وتعالى في سورة الطور : « واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ، وسبح بحمد ربك حين تقوم . ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم » . وقوله جل جلاله في سورة الأحقاف ١٥ :

فصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولاتستعجل لهم ، كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعةً من نهار ، بلاغٌ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون » وقوله تعالى في سورة فاطر : ٨ « فلا تذهب نفسُك عليهم حسرات ، إن الله عليم بما يصنعون . » وقوله ـ ووعده الحق ـ في سورة الروم : ٤٧ « ولقد أرسلنا من قبلك رُسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبيّنات فانتقمنا من الذين أجرموا ، وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » . وقوله تبارك وتعالى في سورة الطور ٤٧ : « وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لايعلمون » .

٣ ـ شرح الحديث : شكا إلى النبي ﷺ الصحابي الصابر خبّاب ابن الأرتّ وجماعة من المؤمنين ، ما كانوا يعانونه من أذى المشركين ، ولم يفت هذا الصحابي المستضعف الصابر أن يصف في حديثه لدقته هيئةَ الرسول ﷺ : وهو متوسد ثوباً له ، وأن يعين موضع الشكوى : في ظل الكعبة .

أما الشكوى فلم تكن للتبرم والتذمر ، ولا جرم أن الرسول قد كانت تبلغه أنباء أذى المشركين لأصحابه ، كما كان يناله شيء من ذلك الأذى ، ولكن شكوى خباب وأصحابه لا لهذا ، بل لطلب النصر والعون بدعاء الرسول ﷺ .

ولم يرد هنا دعاء للرسول الكريم ، ولاشك أنه كان يدعو دائماً للنصر آناء الليل وأطراف النهار ، وللاستجابة من الله سبحانه الأوان الملائم من وجوه وحكم عديدة . ولكن الذي رواه خباب ضرب مثلين نبويين واعظين من الأمثلة المصبّرة الكثيرة من صبر المؤمنين الأقدمين في أممهم على ما كانوا يلاقونه في سبيل إيمانهم من عذاب شديد وبلاء عظيم .

قال : (كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه ، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين ، وما يصده ذلك عن دينه) وإن رواية المثل ليقشعر من هولها الفؤاد : منشار يعمل في الرأس فما دونه والمؤمن صابر في حفرته ، مؤثر للشهادة في سبيل الله على السلامة ، فلا توسل منه ، ولا استشفاع ، ولا إعلان ردّة ، ولا إظهار ندم ... بلاء يقابله ثبات لينتصر في عاقبة الجور ، الحقُ على الباطل .

(ويمشط بأمشاط الحديد) ليس فوق ثيابه ، كلا (مادون لحمه : من عظم أو عصب) ثم ماذا ؟ هل كان ثمة تخاذل وتبرّم وردّة ... ؟ كلا (مايصده ذلك عن دينه) .

وهكذا يكون الصبر في سبيل العقيدة الالهية الحقة ، وهكذا تكون أمثال الجهاد .

لقد انتصر أولئك الصابرون على الظالمين البطاشين ، الفتاكين ، الطاغين ، وستنتصرون أنتم : وكيف :

(والله ليتمن الله هذا الأمر) فينتصر الاسلام المستضعف أهله الآن ، ويسود الأرض ، فلا طغيان ولا عدوان ، ومن أمثلة ما سيكون : (حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت) في اليمن البعيدة عنكم ، وأمثالها من الأقطار التي سينتشر فيها الاسلام لا في مكة حيث يقوم المشركون بأذاهم الآن ، فحسب (لا يخاف إلا الله ، أو الذئب على غنمه) .

هكذا سيكون الأمر كذلك حين يتمّ الله هذا الأمر ، وأنتم تعملون لتمام أمر الدعوة ، ولا تعملون لسلامة أبدانكم ، وبقاء راحتكم ، ولكل شيء أوان ، فلا بد من تجرع الغصّة الآن ، والصبر على مضض الأذى ، حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا . ان البشارة سوف تتحقق ، والنصر

بالايمان ، وللباطل الخذلان .

(ولكنكم تستعجلون) فلا تستعجلوا واصبروا وصابروا الآن حتى يحين الأوان ، فالطغيان مهما عسعس ، فان الصبح سيتنفس ، وسيضحك النهار المشرق بعد ذاك الليل المدلهم العابس .

هكذا صبّر الرسول الكريم أصحابه وثبتهم وقوى آمالهم . . . وكانوا حقاً صبراً في الشدائد لا يترادون ولا يتخاذلون ولا يظنون في دينهم ونصر الله تعالى الظنون . وفي كتب التاريخ نماذج رفيعة تضرب لدعاة الحق الأمثال الدامية اللاغبة التي انكشفت عن فوز الحق وهزيمة الباطل . ذلك أن المشركين عادوا الرسول ﷺ وأصحابه بعد أن عاب آلهتهم المزعومة وسفه أحلامهم المتأثرة بما ألفوه واعتادوه من شرك ووثنية ، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر ... واشتد الأذى والطغيان حتى كان من المشركين مالم يكن بالحسبان .

وُطيء أبو بكر على مكانته من قريش وطئاً شديداً بالأيدي والأرجل لخطبته داعياً الى الله ورسوله ... (١)

وتفنن المشركون بتعذيب عمّار بن ياسر ، وأبيه ، وأمه سميَّة ، وأخيه عبد الله ، فكانوا يعذبونهم بالنار ، وبالضرب .. فمر بهم النبي ﷺ فقال : « صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة » ومات ياسر في العذاب ، وطُعنت أمه بحربة فماتت .

وكان خباب بن الأرت ـ راوي الحديث ـ تعذبه مولاته أم انمار بالحديدة المحمية فتجعلها على ظهره .

واشتد العذاب على الموالي فكان أبو بكر رضي الله عنه إذا مرَّ بأحد

---

(١) حياة سيد العرب : للسيد حسين عبد الله باسلامه ج ١ ص ١٤٧ .

من العبيد يعذب اشتراه وأعتقه ، فمن أولئك العبيد بلال بن رباح ، وأمه حمامة ، وعامر بن فهيرة ، وأبوه فهيرة ، وابيبة ، والنهدية ، و بنتهـا ، وزنيّرة ، وأم عبيس ، فكان أمية بن خلف مولى بلال مثلاً يخرج بلالا إذا حميت الظهيرة بعد أن يجيعه ويعطشه ليلة ويوماً ، فيطرحه على ظهره في الرمضاء إذا اشتدت حرارتها ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لاتزال هكذا حتى تموت ، أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى . فيأبى ذلك ويقول : أحد أحد . وكانوا يعطونه للولدان فيربطونه بحبل ويطوفون به في شعاب مكة وهو يقول : أحد ، أحد [1] .

ومن ذلك هجرة من هاجر من الصحابة الكرام إلى أرض الحبشة الهجرة الأولى والثانية بعد أن أذن لهم الرسول بذلك [2] .

ومن ذلك حصر قريش الرسول ﷺ وبني هاشم في الشعب لما بلغهم من اكرام النجاشي لجعفر وأصحابه ، وقطعهم عنهم الميرة ، فكانوا لايخرجون إلا من موسم إلى موسم ، حتى بلغهم الجهد ، وسمعت أصوات صبيانهم من وراء الشعب ... [3]

ثم الهجرة الشاملة تقريباً الى المدينة .

★ ★ ★

أما الرسول العظيم ﷺ فكان إماماً في صبره ورجائه ، مع شدة إيذائه وابتلائه ، آذاه المشركون في مكة بسوء المعاملة والجوار والتكذيب ،

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٨٨ - ١٩٢ ، وانظر حياة سيد العرب ص ١٦٢ - ١٧٠ .

(٢) حياة سيد العرب ص ١٤٨ - ١٥١ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ص ١٩٢ - ١٩٤ .

والجدال بالباطل الذي يمضّ النفس ويذهبها حسرات وهو صابر . وتوفي عمه أبو طالب وزوجة خديجة ، ونالت قريش منه مالم تكن تنال ، فخرج في شوال لسنة عشر من البعثة إلى الطائف ، ومعه زيد بن حارثة ، فأقام فيها عشرة أيام لايدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمه ، فلم يجيبوه ، وخافوا على أحداثهم ، فقالوا : يامحمد اخرج من بلدنا والحق بمُجابك من الأرض ، وأغروا به سفهاءهم ، فجعلوا يرمونه بالحجارة ، حتى ان رجلي رسول الله لتدميان ، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه ، حتى لقد شج في رأسه ﷺ (١) .

أوى ﷺ الى بستان ، فجلس في ظل كرمه يلتمس الراحة والأمن ، وانطلقت خواطره المعذبة المؤمنة تظهر في دعائه الخاشع الذي يشد العزم ويسترخص كل غال في سبيل الله :

(اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ياأرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ، أم الى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ! أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل عليّ سخطك . لك العتبى (٢) حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك) (٣) .

قال ابن سعد : (فانصرف رسول الله من الطائف راجعاً إلى مكة وهو محزون لم يستجب له رجل واحد ولا امرأة ، فقال له زيد بن حارثة :

(١) الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٩٥ و ١٩٥ .
(٢) الرضا .
(٣) سيرة النبي ﷺ لابن هشام ج ٢ ص ٣٠ .

كيف ندخل عليهم - يعني قريشاً - وهم أخرجوك ؟ فقال يازيد ، (إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجا ، وإن الله ناصر دينه ، ومظهر نبيه) . ثم انتهى الى حراء ، فأرسل رجلاً من خزاعة إلى مُطعم بن عدي (أدخلُ في جوارك) ؟ فقال : نعم ، ودعا بنيه وقومه فقال : تلبسوا السلاح وكونوا عند أركان البيت فاني قد أجرت محمدا ، فدخل رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة ، حتى انتهى الى المسجد الحرام ، فقام مطعم بن عدي على راحلته ، فنادى : يا معشر قريش ، إني قد أجرت محمداً ، فلا يَهجهُ أحد منكم ! فانتهى رسول الله ﷺ الى الركن ، فاستلمه ، وصلى ركعتين وانصرف الى بيته ، ومطعم بن عدي وولده مطيفون به .)[1]

هكذا بشر الرسول زيداً كما بشر - كما تقدم - خباباً وغيره في أحاديث عديدة ، وان لديه اليقين بانتصار الدين والمؤمنين ، وخذلان الشرك والمشركين ، والعاقبة للمتقين .

ولقد أجمع المشركون على قتله قبل هجرته ، فنجاه الله منهم ، وحاولوا في أحد قتله وأصابه ما أصابه منهم وهو صابر لا يضيع رشده ، ولا يضعف يقينه ، ولا يهن رجاؤه ، وما انتقل الى الرفيق الأعلى حتى كانت جزيرة العرب تردد كل يوم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وحتى كان العرب على أهبة فتح العالم لابلاغ رسالة الله للناس ...

★ ★ ★

يعلمنا الحديث صلابة الارادة وراء الايمان الدافع ، فهي عزم وتنظيم ، ورجاء ، وهي حينئذ ترفع (شخصية) صاحبها وتقوي تأمله وتبصره و (تخطيطه) ورجاءه . وإن هذه الارادة بكلمة جامعة : رغبة ملحة مبصرة تهزأ بالعقبات لبلوغ جليل الغايات .

أحمد مظهر العظمة

---

(١) الطبقات ص ١٩٦ .

الفلسفة اليونانية وضلالها

للأستاذ محمود مهدي استانبولي

لقد رغب إليّ الأستاذ وهبي الألباني في مقاله المنشور في هذه المجلة (في عدد المحرم ١٣٨٦) أن أبيّن خطل وفساد الفلسفة اليونانية كما بينت من قبل خطل وفساد نظرية فرويد، فسارعت إلى تلبية هذه الرغبة، وخاصة، وان هذه الفلسفة المسمومة قد لعبت دوراً خطيراً بين صفوف المسلمين وسببت لهم أفدح النكبات وجعلتهم شيعاً وأحزاباً بعد ما أبعدتهم عن إسلامهم العظيم الأمر الذي أدى إلى تفرقهم وضعفهم حتى غزام الأعداء من الصليبيين والتتار من كل جانب بعد ما بدلوا نعمة الله كفراً واحلوا قومهم دار البوار!

إن قصة المسلمين مع الفلسفة اليونانية قصة مليئة بالفواجع والنكبات. والغريب ـ والقريب جداً ـ أنه لايزال الكثير من مثقفينا يعتقد أن سبب نهضة المسلمين يعود إلى هذه الفلسفة، مع انها كانت من أعظم أسباب نزاعهم وضياع مجدهم، وقد تحقق فيهم تنبؤ أحد الأحبار:

وتفصيل الخبر ـ كما رواه العلامة الشيخ محمد السفاريني ـ «قال العلماء ان المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى ـ أظنه صاحب جزيرة قبرص ـ طلب منه خزانة كتب اليونان، وكانت عندهم مجموعة في بيت لايظهر عليه أحد، فجمع الملك خواصه من ذوي الرأي واستشارهم في

ذلك ، فكلهم أشاروا بعدم تجهيزها إليه إلا واحد ، فانه قال : جهزها إليهم ! فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا (١)أفسدتها وأوقعت بين علمائهـا !! »

ومن الجدير بالذكر أن أولئك النصارى قد طمروا هذه الفلسفة تحت الأرض تخلصاً من شرها لما لمسوه من فسادها وهدمها للدين وللفضيلة ؛

أجل قد تحقق في المسلمين تنبؤ الخبر ، فما كاد علماء المسلمين - بعد إن بلغ مجد الاسلام ذروته في القوة والفتح والعلم - يشتغلون بفلسفة اليونان ، حتى راحوا يؤولون نصوص الشريعة الاسلامية حتى تتفق مع هذه الفلسفة فمسخوا الاسلام وأخذوا يزعمون ان للاسلام ظاهراً وباطناً ظاهره للعامة ، وباطنـه للعلماء والحـكماء ، وأخذوا يشتغلون بعلم الكلام يسمونه ظلماً وعدواناً بعلم التوحيد، ولايكاديكون فيه من التوحيد الا الاسم، أما محتواه ، فهو الفلسفة - نفسها وقد حرم دراسته كبار علماء السلف وأئمة المذاهب أمثال مالكوالشافعي والحنبلي رضي الله تعالى عنهم.

قال شيخ الاسلام الامام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - « ما أظن الله يغفل عن المأمون ، ولا بد أن يعاقبه على ما أدخله على هذه الأمة! ».

وقد انبرى هذا الامام العظيمللفلاسفةالمنحرفين المتصفين بالمسلمين الذين نهلوا من حمأه الفلسفة اليونانية وأثبت زيفهم وضلالهم وانحرافهم في كثير من كتبه التي دخل فيها التاريخ ، وحق لكليات الفلسفة في البلدان العربية والاسلامية دراسة آرائه وردوده على الفلسفة اليونانية بشخص الذين اعتنقوها من المسلمين .

---

(١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضيئة في عقد الفرقة المرضية ج ١ ض ٩

قد يقول قائل : ان كتب الأوائل - أي كتب اليونان قد ترجمت قبل عهد المأمون ، ولم تسبب هذا الاختلاف ، فأجيب ان ماترجم قبله سواء في عهد الخليفة المنصور او من قبل خالد بن يزيد إنما كانت كتب الطب والكيمياء والرياضيات وهذه كتب مفيدة ، وليست موضع نزاع ، أما في عهد المأمون ، فكان ما كان بسببها من اختلاف الفلاسفة وانحرافهم واشتغالهم بسفساف لأمور والأساطير ...

ولم ينج من هذ الضلال والانحراف الا السلفيون من المستمسكين بهدي الرسول ﷺ الذين عصمهم الله سبحانه لتمسكهم بنصوص الشريعة الثابتة، فكانوا في وجه تيار الفلسفة الجارف وعاصفته الهوجاء كالجبل الأشم ، وكالصخرة الصلدة .

وكان يزيدها مرّ الليالي جدة وتقادم الايام حسن شباب ! فكانوا يمسكون بكتاب الله وسنة نبيه دون تأويل ولا تعطيل في أسماء الله وصفاته .

ومن قال إن الشهب أكبرها السنا

بغير دليل كذبته الدلائل !

وقد تحدث رسول الله ﷺ عن الاختلاف الذي سيقع بين المسلمين وعن طريقة النجاة منه فقال :

« ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة ! ! وهي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ! » - رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة بسند صحيح - .

إن أهل القرآن والحديث رحم الله موتاهم وبارك في أحيائهم وأمدهم بقوته وتوفيقه ، هم مصابيح الهدى والدعاة إلى الرشاد والتقى ، من عاداهم

هلك ، ومن تركهم ضل ، وهم المنصورون على خصومهم ، بشرهم بذلك النبي ﷺ فقال :

« لاتزال طائفة من أمتي ظـاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله ، وهم ظاهرون على الناس ! » - رواه البخاري ومسلم - ، وقد ذكر الامام احمد بن حنبل وابن المبـارك وسفيان الثوري وغيرهم من كبار العلماء بأن هذه الطائفة هم اهل الحديث الذين يتعاهدون مذهب الرسول ﷺ ويذبون عنه الظلم ، لولاهم لاهلك الناس المعتزلة وأهل الرأي !!

نعود بعد هذا التمهيد إلى الكلام على الفلسفة اليونانية وبيـان مافيها من انحراف وفساد .

ان أشهر فلاسفة اليونان الذين نهل منه الفلاسفة المسمون بالمسلمين هو ارسطاطاليس ، فانهم اعتنقوا جل آرائه وخدعوا بفلسفته وسعوا لتأويل نصوص القرآن والسنة لتتفق مع أقوال هذا الفيلسوف وقد لقبوه بالمعلم الأول ! وقال عنه ابن رشد : « إن ارسطو هو الذي كمّل الحق (١) وهو من الذين عناهم الله تعالى بقوله : يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا » .

ومن السخف أن يقبل هؤلاء الفلاسفة من المسلمين على فلسفة ارسطو ويحاولوا سريعـــا تأويل الشريعة من أجل التوفيق بينهما ، وقد بلغت هذه الفلسفة في سخفها حداً يعجز عنه الوصف ، قال شيخ الاسلام الامام ابن تيمية :

---

(١) « ابن رشد الفيلسوف . » تأليف محمد يوسف موسى ص ٧٣

« ولأرسطو أقوال يسخر منها العقلاء ، منها أن الله تعالى لا يعلم شيئاً من الموجودات ، لأنه لو علم شيئاً لكمل بمعلوماته ، كما حكاه عنه أبو البركات البغدادي الفيلسوف ، وحقيقة ما كان عليه من الكفر بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر . وقد درج على أثره غير واحد من الملاحدة المتسترين بالاسلام ويعظمونه فوق تعظيم الأنبياء (ع) ويسمونه المعلم الأول » (١)

وقال الامام ابن القيم أيضاً : حسبك جهلاً بالله تعالى من يقول : انه تعالى لو علم الموجودات ، لحقه الخلل واستكمل بغيره ، وحسبك خذلاناً إحسان الظن بهم ، وانهم ذوو العقول ! ! وحسبك من جهلهم ماقالوه في سلسلة الموجودات وصدور العالم من العقول العشرة والنفوس التسعة الى ان انهوا صدور ذلك الى واحد من كل جهة لا علم له بما صدر عنه ولا قدرة له عليه وإرادة !! وإنه لم يصدر عنه الا واحد ! قال الشيخ : (اي الامام ابن تيمية) وصرّح افلاطوم بحدوث العالم ، وخالفه تلميذه أرسطو ، وليس له حجة » (٢) .

ومن الغريب ان يتهافت الفلاسفة المتصفون بالمسلمين على حب أرسطو ، مع أنه لم يكن انسانياً ، إنما كان يحمل بين جنبيه - خلافاً لسقراط - روحاً عنصرية بشعة مبنية على التمييز بين اليوناني وغير اليوناني ، وكان يقول : ينبغي لليونان أن يعاملوا الأجانب بما يعاملون البهائم (!) وقد راجت هذه الفكرة الضيقة في الأوساط اليونانية وتغلغلت في الأحشاء ، حتى انه لما قال فيلسوف انه لا يخص مواطنيه بمواساته ، بل سيكون عاماً لجميع اليونانيين ، أستشرفه الناس عجباً ونظروا اليه شزراً (٣) » .

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ،

(٢) نقلاً عن كتاب جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ص ١١١

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٦١ ط ع للأستاذ ابي الحسن الندوي .

وتقطف فيما يلي شذرات من محاضرة ألقاها الأستاذ صلاح الدين السلجوقي مندوب الأفغان في مهرجان الغزالي، توضح فساد فلسفة ارسطو:
كان ارسطو يعتقد ان الجواهر بسيطة، ولكن اليوم يعتقد العلم انها تتركب وتتحلل ..

وكذلك حينما كان ارسطو يقول ان الله لا يعلم الجزئيات كان فكره متجهاً الى عام الطبيعة، ولم يكن يتصور ان هناك عالماً أشرف وأكبر وأشد وطئاً وأقوم نظاماً، اعني عالم الحياة والشعور والروح.

وايضاً حينما كان أرسطو يدرس ويكتب في الأخلاق، كان يفكر في أن يضع ضوابط وقوائم للمجاملات عند الملوك وعند الطبقة الاستقراطية، ولم يكن يستشعر بأنه كان يتعرض في طريقه الى علم ماوراء الطبيعة، أو الى علم النفس، لأن عصره ومدرسته كانا بدائيين !!

ولكن حينما جاء «عما نوئيل كانت» في عصرنا ضج، وشاء أن يكتب في علم الأخلاق الانساني، وعهد على نفسه أن يجتنب في كتابه عن علم النفس وعلم مابعد الطبيعة، صادف، بل اصطدم في طريقه ببرهان (أنتينوميا) فرأى فرضاً عليه أن يعتقد بالله وبخلود الروح وبعقبى الدار.

فعلم الأخلاق وفلسفته، لايمكن ان يتم أو يتحقق الا بالاعتقاد بالله وبخلود الروح وبالدار الآخرة، وبأن الله - تعالى - يعلم كل جزئي وكلي ويحاسب عليهما.

ان ارسطو كان يدين بدينين، دين يوناني وثني أساطيري، يتخيل له ولقومه ان الآلهة تتمثل في أبكر وأكمل فرد للنوع، وكانوا ينسبون الى آلهتهم الغرائز والنقمة والحسد والسكر والخلاعة !! ودين فلسفي يعتقد بالآلهة كاعتقاده بالأنواع، والأجناس، وإن شئت فقل جنساً فوق

الأجناس أو « الكلي الطبيعي » لأن الاله كان عنده المفهوم الأعلى الوجود الذي هو جنس فوق الجوهر والعرض (تعالى الله عما يقولون علوا كبير)

فاذا كان الاله جنساً فوق الأجناس والأنواع أو قوة فوق القوى (العياذ بالله) فلا حق له أن يكون مظهر حب أو مبدأ نظام او ناموس وهكذا إذا كان الاله فوق قمة الجبل ينازع الناس في حب زوجاتهم ويسلبهن من حجورهم . وهناك في الملأ الأعلى أو في سماء عقيدتهم سكر وعربدة وتحاسد على النساء الراقصات .

فهذه الالهة لايمكن أن تكون مصادر لمبادئ ومثل للأخلاق وللحقوق وللقوانين وللعلوم الاجتماعية . اللهم إلا أن تكون مظاهر للخوف والطمع ، وأن تقدم لها القرابين رشوة .

فلذا نرى أن أرسطو في كتابه (انيكانيكوماسيا) أي « علم الأخلاق النيقوماخية » الذي ترجمته في وطني وكتبت عليه مقدمة في مجلدين ،لايشير الى الآلهة بكثير ، ولا يتكيء عليها ولا يسندها ، وحتى انه بحث في السعادة يشير إلى أن الآلهة سعداء وأنها تعيش في بحبوحة السرور والحبور ، كما اعتقد بنفس العقيدة أبو علي ابن سينا في « الاشارات » .

وكذلك فردية أرسطو لم تكن لتهتم كثيراً بالفضائل الاجتماعيـة . ولذا كان أرسطو يستنكر التواضع والحياء (أو الخجل) باعتبارهما فضيلتين اجتماعيتين .

وكانت هناك معضلة أخرى ، وهي أن أرسطو ، كما قلت ، كان يدين بدينين ، دين يوناني لا يرتفع عرش آلهته عن قمـة جبل أولمبس ولم تكن فكرة مابعد الطبيعة هناك أكثر من سحابة عقيمة فوق ذلك الجبل،

ودين فلسفي يتخيل الاله ، في منطقه ، كجنس عال فوق الأجناس ، وفي علومه الطبيعية كقوة فوق القوى .

فالاله الذي ينتزع من الطبيعة اللاإرادية ، أو من الكليات اللاشعورية ولا يتجلى في الروح والنفس ، ينبغي ألا تكون له إرادة ولا شعور . وإذا تنسب إليه إرادة فليس معناها إلا اللاإرادية . وينبغي لاله كهذا أن يكون مجبوراً بالعمل ، فهو قوة طبيعية مجبولة ومجبورة على الفعل ، كما أنه كلي منفك بجوهره عن الجزئيات ، وينبغي إلا يعلم الجزئيات .

فاله من هذا النوع ينبغي أن يكون مسلوباً من الارادة والشعور والخير والحق والجمال .

وحينما كان إله أرسطو كهذا ، كان الشعب في أثينا أقل من مائة الف نسمة . ويقول أرسطو ان الأمة لايمكن أن تكون أقل من عشرة وأكثر من مائة الف نسمة . وكانت هناك حكومات بلديه تعتبر شعوباً وأمما .

وكانت قائمة الفضائل عند اليونان عبارة عن صفات مسرحية ، أمثال الغرام والمغامرة والتهور والبذل . وكانت قائمة الرذائل من أمثال البخل والجبن والدس والنميمة ، كما ترونها في آثار هوميروس وسوفوكليس .

وأيضاً كان هناك اختلاف فكري حول غاية الأخلاق وهدفها ومن اللذة والسعادة او الخير الكثير ، أو الخير المثالي . ولكن في مكتب أرسطوا والفارابي وابن سينا ، أي الذين كانوا معروفين عندنا بالفلاسفة ، كانت السعادة عندهم ، الهدف والغاية الأخلاقية ، مع أن السعـادة عند أرسطو كانت مجموعة شرائط من شتى العلل والظروف ، ولم تكن كلها مرتبطة بالفضائل الخلقية . ومثلا الشخص الذى ليس له أولاد أو يفقد

أولاده أو يرتد أولاده أشقياء أو يفقد ماله وجاهه ، مثل « بريام » لا يقال انه سعيد . وكانت السعادة عنده مستديمة إذا كانت تصحب صاحبها الى سرير الموت .

وبعد موت أرسطو ، اختفت آثاره لمدة قرن ، ولم يكن لها نشر وتوزيع . وحينما نزلت رسالات السماء على الأرض ، وجاء الأنبياء (ع) وجاء عيسى ابن مريم عليه السلام ، أصلح كثيراً من دنيا السجية ، وزاد كثيراً في الوعي الأخلاقي ، والقي الضوء على العدل والصبر والعفة . ولكن الكنيسة المسيحية حذت حذو أرسطو في دعم الفردية وعزلها ، وسلبت الحكم من الفرد ومن الكنيسة . وكان عين العمل قد انطبق من قبل عند الكلبيين والرواقيين ، وحتى في حديقة أبيقور...

فجاء محمد بن عبد الله عليه الصلاة السلام في وسط هذا الصراع الفكري والدموي ليتمم مكارم الأخلاق ويعممها على الفرد وعلى المجتمع ، حاكماً أو محكوما ، وأن يضع الفرد بين الفردية والجماعية ، حتى يكون فرداً منفرداً مع ربه وتعاونياً مع الخلق . فردياً في الفكر واجتماعياً في العمل ، فردياً في حق الكسب وتعاونياً في دفع الزكاة والصدقات والتبرعات ، فردياً في المحراب وتعاونياً في المنبر .

وجاء عليه الصلاة والسلام ليبني أمة بل وعائلة تزيد الآن على اربعمائة مليون نسمة من الاخوان أكبر من شعب أرسطو بأربعة آلاف مرة ، بل أكثر من ذلك .

وارتفع مقام ميتافيزيكا (من جهة الفكر) عن جبل أوليمبس ، وعن آلهة ذات غرائز جامحة الى حظيرة مقدسة كان سورها « الله نور السموات والأرض » وقفلها « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد

ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » . ولكن (من جهة القلب) تقرب وتنزل إلينا « وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان » .

وأما غاية الأخلاق عند متمم مكارم الأخلاق ، أعني سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، فكانت من أكمل وأتم مايكون ، لأن كل مفهوم إذا كنا نقابله من جانب العمل يسمى فناً ، وحينما توضع القوانين وتستنبط الكليات من الجزئيات يسمى « العلم » وإذا تقاس الأمور من المبادئ والمثل الميتافيزيكية وتعامل مع القدم والوجوب واللايتناهى يسمى الفلسفة .

ذلك لأن الأمة الاسلامية المترامية الأطراف تخلو من طبقة عامية لاتعرف الا فن الأخلاق ، ومن طبقة عالة لها أن تستنبط الكليات من الجزئيات ، والنتائج من المقدمات وأن تضع القوانين ، ومن جماعة عارفة راسخة في فهم حقائق الأشياء مقتدرة على أن تستفيد من المبادئ الخالدة الغائرة في أعماق الميتافيزيكا . فينبغي أن يكون عند مدرسة هي متممة للأخلاق كل مظاهر المفهوم الخلقي ، أعني فن الأخلاق كما في هذه الآيات البينات « ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا » . « ولا تقل لهما أف » . « واقصد في مشيك واغضض من صوتك » . وأمثالها .

وعلم الأخلاق كما في هذه الدساتير المقدسة « ان الحسنات يذهبن السيئـــات » ، و « الاثم ما حاك في النفس وكرهت ان يطلع النـاس عليه » .

وفلسفة الأخلاق كما في هذه الآية « إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا » اهـ .

وخلاصة القول في الفلسفة اليونانية انها فلسفة بدائية ، لاتؤمن إلا بالمحسوس ، ولا تعتقد إلا بالعقل ، فما لايدركه العقل ، يسقط من حسابها حتى الاله نفسه لاتؤمن به إلا بحدود إدراك هذا العقل، فنفت عنه الصفات وجردته من الاختيار والخلق والأمر ، بل راحت هذه الفلسفة البدائية الخرقاء تعتقد بعدة آلهة تتحارب وتتصارع بل تنزل إلى الأرض وتنافس الانسان، ونسج اليونانيون حول كل ذلك أساطير وأوهاماً وخرافات سموها تشريعاً لاضابط ولا وازع له ، فلا خشوع لله ولا طاعة إلا الخضوع لمطاليب الجسد ولحياة المتعة ، فانتشرت الفوضى الجنسية وعم الفساد مما أدى إلى انهيار الشعب اليوناني كما انهار بعده كل قوم سار على منواله .

هذه هي الفلسفة اليونانية وهذه مبادئها ، وقد بهرت بعض علماء من نسميهم فلاسفة المسلمين ، فأخذوها بعجرها وبجرها وبسخفها وحماقتها فهوت بهم من سماء الايمان إلى حضيض الالحاد .

ومن المؤسف أن يعتقد الكثيرون ان هذه الفلسفة هي التي مدنت المسلمين وشادت حضارتهم ، بل هي نفسها التي شيدت الحضارة الغربية الحديثة ، وهذا وهم سخيف ، إنما الذي شاد الحضارة الاسلامية هو العالم التجريبي الذي أوجد جذوره الاسلام وحض على النظر في السموات والأرض وأعلن أن الله سبحانه قد سخرهما للانسان فينبغي الافادة منهما جهد المستطاع ، والاعتماد على البرهان في كل شيء (قل هاتوا برهانكم) .

« ومن هنا نشأ في مجال الفكر العربي الاسلامي مايسمى بالبحث عن الدليل ، والنهي عن التقاليد ... » (١) .

---

(١) أضواء على الفكر العربي الاسلامي (ص ٢٢) .

وهذا المنهج هو الذي سلكه علماء الغرب بعد إن أخذوه من علماء المسلمين ، ويسمى مع الأسف بمنهج (ديكارت) مع العلم أن هذه الحضارة العربية تمت بأعظم الصلة إلى أصل إسلامي كما أعلن ذلك كثير من أقطاب علماء الغرب المنصفين ، بينما كانت الفلسفة اليونانية سبب جمود أوربا وانحطاطها خلال قرون سحيقة ، ولا غرابة في ذلك فقد رأينا بعض جهلها وانحرافها فيما سبق من الكلام ، وإن كنت آسف ، فأسفي شديد وأليم على مصير كثير من علماء المسلمين الذين اتحفوا العالم بمكتشفاتهم العظيمة في عالم الكيمياء والطب والرياضيات والصناعة ، لما جعلوا مبدأهم البحث والتجربة ، كيف انهاروا بعد ذلك في أوهام فلسفة أرسطو فضاعوا وأضاعوا .

اذا ما الجهل خيم في بلاد رأيت أسودها مسخت قرودا

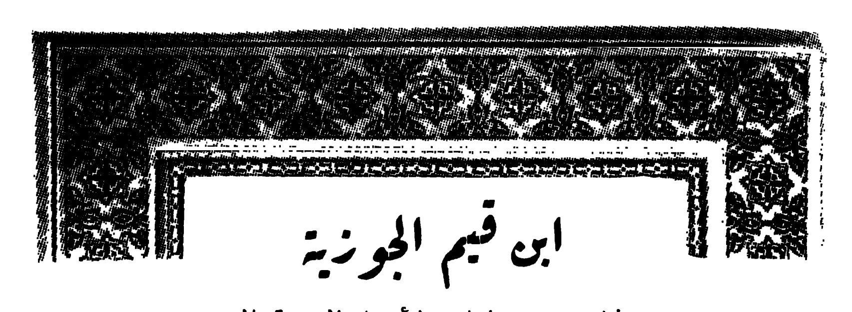
قال أحد أساطين العلم المعاصر (ستوارت ميل) :

« إن فلسفة أرسطو أداة جدل عقيم أو وسيلة لتنظيم معلومات موجودة أما الاتيان بجديد نافع ، فمنطق آخر يقوم على دراسة كتاب الكون المفتوح » وهل قبل القرآن من حض على دراسة هذا الكون العظيم ، فجعل من أفضل العبادة التفكر في السموات والأرض ! (١)

محمود مهدي استانبولي

---

(١) المجلة : لانوافق الأستاذ محمود مهدي على مبالغته في اتهام الفلاسفة المسلمين فقد كانت لبعضهم نظرات وتأملات تميز الخبيث من الطيب فلم يأخذوا بالفلسفة اليونانية على عواهنها ، ولم يتنكروا للاسلام بل كانوا في اجتهادهم الفلسفي من أنصاره ودعاته والحكمة ضالة المؤمن ...



ابن قيم الجوزية

هذا حديث اذاعى الأستاذ العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار في سيرة الامام المصلح شيخ الاسلام الثاني ابن القيّم ، وان في سير هذا الطراز من الرجال لنفعاً وتوجيهاً عظيماً للناس .

أحببت أن أجعل هذا الحديث شذرة من حياة العالم الرباني شيخ الاسلام الثاني محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (والجوزية احدى مدارس دمشق) وهو امام في لغة القرآن واسلوبه ، وفقهه وتشريعه ، وإيجازه واعجازه ، وحقيقته ومجازه ، وقد جُمع له جزء في التفسير طبع بمصر لآيات متفرقة من آي الذكر الحكيم ، من نحو سبعين سورة ، فمنها ماتوسع في الكتابة عنه كسورة الفاتحة التي بلغ تفسيرها اكثر من مائة صفحة وكالمعوذتين فقد فسرتا بنحو مائة صفحة أيضا ، وقد استغرق الكلام على « إياك نعبد » ما يقرب من خمسين صفحة ، وهل يستغرب القارىء من هذا من بعد أن يعلم أن هذا الامام يرى أن سر الخلق والأمر والكتب والشرائع ، والثواب والعقاب انتهى إلى « إياك نعبد وإياك نستعين » وانه قد شرح منازل السائرين إلى الله لأبي إسماعيل الهروي بثلاثة مجلدات كبار ، وسمي شرحه « مدارج السالكين » بين منازل : إياك نعبد وإياك نستعين ، ومن وقف على هذه المنازل ، ذكر قول القائل : لك يا منازل في القلوب منازل .

ولد ابن القيم بدمشق سنة إحدى وتسعين وستمائة ، وسمع من الشهاب النابلسي العابر . والقاضي تقي الدين سليمان ، وفاطمة بنت جوهر ، وعيسى

المطعم، وأبي بكر بن عبد الدائم، وجماعة، وتفقه في المذهب وبرع وأفتى.
ولازم الشيخ تقي الدين، وأخذ عنه وتفنن في علوم الاسلام، وكان عارفاً بالتفسير لايجارى فيه، وبأصول الدين، واليه فيهما المنتهى، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه، لايلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله، وبالعربية وله فيها اليد الطولى، وبعلم الكلام وغير ذلك، وعالماً بعلم السلوك وكلام أهل التصوف، وإشاراتهم ودقائقهم، له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى كما في طبقات الحافظ ابن رجب، وفي معناه ما سبقه اليه الحافظ الذهبي.

وكان رحمه الله ذا عبادة وتهجد وتأله، وشغف بالمحبة والانابة، والافتقار إلى الله، والاطراح بين يديه، لم اشاهد مثله في ذلك، ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرف بمعاني القرآن، وحقائق الايمان منه، وليس هو بالمعصوم، ولكن لم أر في معناه مثله، وقد امتحن وأوذي مرات، وحبس مع الشيخ تقي الدين في المدة الأخيرة بالقلعة منفرداً عنه، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ، وكان مدة حبسه مشتغلا بتلاوة القرآن بالتدبر، والتفكر، ففتح عليه من ذلك خير كثير، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف والدخول في غوامضهم، وتصانيفه ممتلئة بذلك، وحج مرات كثيرة وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة، وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه. قال الحافظ ابن رجب: ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة، وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة في السنة، وأشياء من تصانيفه وغيرها، وأخذ عنه العلم خلق كثير، من حياة شيخه وإلى أن مات، وانتفعوا به. وكان الفضلاء يعظمونه ويتلمذون له، كابن عبد الهادي

وغيره . وقال القاضي برهان الدين الزرعي عنه : ماتحت أديم السماء أوسع علماً منه . ودرس بالصدرية ، وأم بالجوزية مدة طويلة ، وكتب بخطه مالا يوصف كثرة ، وصنف تصانيف كثيرة جداً في أنواع العلم ، وكان شديد المحبة للعلم وكتابته ومطالعته وتصنيفه ، واقتناء كتبه ، واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره .

فمن تصانيفه كتاب تهذيب سنن أبي داود ، وإيضاح مشكلاته ، والكلام على ما فيه من الأحاديث المعلولة مجلد ، كتاب سفر الهجرتين وباب السعادتين مجلد ضخم ، كتاب مدارج السالكين ، بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين مجلدات ، وهو شرح منازل السائرين لشيخ الاسلام الأنصاري ، كتاب جليل القدر ، كتاب الكلم الطيب والعمل الصالح ، كتاب شرح أسماء الكتاب العزيز ، كتاب زاد المسافرين إلى منازل السعداء ، في هدى خاتم الأنبياء كتاب زاد المعاد في هدى خير العباد أربع مجلدات ، وهو كتاب عظيم جداً ، كتاب جلى الأفهام ، في ذكر الصلاة والسلام على خير الأنام ، كتاب بيان الدليل على استغناء المسابقة عن التحليل ، كتاب نقد المنقول ، والمحك المميز بين المردود والمقبول . كتاب أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ثلاثة مجلدات ، كتاب بدائع الفوائد مجلدان . الشافية الكافية في الانتصار للفرقة الناجية ، وهي القصيدة النونية في السنة ، كتاب الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة ، في مجلدات ، كتاب حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، كتاب صفة الجنة ، كتاب نزهة المشتاقين وروضة المحبين ، كتاب الداء والدواء ، كتاب تحفة الودود في أحكام المولود . كتاب مفتاح دار السعادة . كتاب اجتماع الجيوش الاسلامية ، على غزو الفرقة الجهمية . رفع اليدين في الصلاة ... عدة الصابرين ، كتاب الكبائر ، حكم تارك الصلاة . كتاب نور المؤمن وحياته . كتاب الفرق بين الخلة والمحبة ، ومناظرة الخليل لقومه . كتاب أمثال القرآن . شرح الأسماء

الحسنى، إيمان القرآن. المسائل الطرابلسية ثلاث مجلدات، الصراط المستقيم في مخالفة أهل الجحيم. هذا وقد اختصرنا كثيراً منها. ومعظم هذه المؤلفات مطبوع ولله الحمد، متداول بين الايدي.

توفي الامام ابن القيم رحمه الله ثالث عشر رجب سنة احدى وخمسين وسبعمائة وصلي عليه من الغد بالجامع عقيب الظهر، ثم بجامع جراح، وشيعه خلق كثير رضي الله عنه. ومن بدائع فصول أعلام الموقعين (أي القضاة) عن رب العالمين، وكل فصوله بدائع، مايأتي:

الخطبة البديعة، ثم الحث على اتباع الآثار النبوية. وأن أهلها هم ورثة الرسول حقا، ثم ذكر فصلا في الدعوة إلى الله والتبليغ عن رسوله، وانحصار أهلها في قسمين: حفاظ الحديث، وفقهاء الاسلام. ثم فصلا فيما يتعين على المبلغ عن الله سبحانه، ثم فصلا في أهل هذا المنصب الشريف، أولهم سيد الكائنات، ثم أكابر أصحابه المكثرون من الفتوى، ثم المتوسطون فيها، ثم المقلون، وعدتهم مائة ونيف وثلاثون نفساً، مابين رجل وامرأة، وسرد أسماءهم. ثم ذكر كتاب أمير المؤمنين الفاروق إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهم، وهو أصل في القضاء والأحكام، ثم شرع في شرحه بالبسط التام. وذكر في شرح قوله: البينة على المدعي: أن البينة مايبين الحق ويظهره أعم من الشاهدين، وأطال في الاستدلال، ومال إلى قبول شهادة الواحد ولو أصلا أو فرعاً أو امرأة، والحكم بقرائن الحال، ثم ذكر الأمثال التي في القرآن وشرحها. ورد على من قال: إن النصوص لا تحيط بأحكام الحوادث، وعلى من نفى الحكمة والتعليل والأسباب، وأقر بالقياس... ثم تمم شرح أثر الفاروق، وبه تم ثلث الكتاب. ثم ذكر تحريم الافتاء في دين الله بغير علم. ثم ذكر تفصيل القول في التقليد وانقسامه إلى ما يحرم القول به، والافتاء، وإلى مايجب المصير إليه، وإلى ما يسوغ من غير إيجاب:

ثم ذكر عقد مجلس مناظرة بين مقلد صاحب حجة نقض فيها صاحب الحجة المقلد من ثمانين وجهاً .. وبعد فصول قيمة ذكر فصلا عظيم النفع في تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والعوائد ، ومثل ذلك بعدة أمثلة . وذكر في أثناء ذلك كتاب الليث بن سعد إلى الامام مالك وهو طويل نفيس يستحق الشرح . ثم ذكر جملة من كلام الامام الشافعي في مقاصد الناطقين وشرحها . ثم ذكر فصلا عظيما في سد الذرائع واستدل عليها بتسعة وتسعين وجهاً . وأخيراً ختم الكتاب بسبعين فائدة جليلة فيما يتعلق بالفتوى والمفتين ، وذكر في أثنائها ذم التأويل عن جمهور السلف ، وجمع من أئمة الأشاعرة ثم أحسن الختام بذكر فتاوي المصطفى عليه وآله وصحبه أفضل الصلاة والسلام ، والتابعين لهم باحسان إلى يوم القيامة . جعلنا الله منهم بمنه وكرمه إنه ذو الفضل والانعام .

ونختم هذه الكلمة بأبيات من قصيدة طويلة من نظم الامام ابن القيم جاءت في أول كتاب صفة الجنة :

ولله ذاك العيش بين خيامها	وروضاتها والثغر في الروض يبسم
ولله أفراح المحبين عندما	يخاطبهم من فوقهم ويسلم
ولله أبصار ترى الله جهرةً	فلا الضيم يغشاها ولا هي تسأم
فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة	أمن بعدها يسلو المحب المتيم
فان كنت ذا قلب عليل بحبها	فلم يبق إلا وصلها لك مرهم
وكن مبغضاً للخائنات بحبها	فتحظى بها من بينهن وتنعم
وصم يومك الأدنى لعلك في غد	تفوز بعيد الفطر والناس نوَّم
وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها	ولم يك فيها منزل لك يعلم
فحيَّ على جنات عدن فانها	منازلك الأولى وفيها المخيم
فيا بائعاً هذا ببخس معجل	كأنك لاتدري ، بلى سوف تعلم
فان كنت لا تدري فتلك مصيبة	وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم



السلام والحرب

للأستاذ الجليل الشيخ صلاح الدين الزعيم

اطلعت على (الحرب العالمية) للأخ السيد عمر الديراوي الذي نشره في بيروت (دار العلم للملايين) فرأيته يقول في آخر مقدمته : (إن الحرب لعنة ، وأشد منها نكراً أن ندعو لها . أما السلام فنعمة وبركة فما أنبل الداعية إليه والسائرين على درب يسوع) .

وعجبت لهـذا الأطلاق في قوله ، وكان ينبغي أن تصحبه قيود واحترازات ، فالسلام هو أنشودة الانسانية التي لامراء فيها ، وإذ كان الاسلام دين الانسانية الخالد ، فقد جاء رافعاً لواء السلام أيضاً في زمن كانت فيه انواع الظلم والوان الاستبداد سائدة ، ولذلك حطم في فتوحاته الهادية اغلال الظلم والطغيان في كل مكان .

ولكن الحرب حماية للحق حين لايكون منها بدٌ أمرٌ لاجدال فى ضرورته وهو كالعملية الجراحية التي لامندوحة عنها والا تعرضت صحة المريض للخطر وتعرض المريض للهلاك .

وقد صدق من قال مؤيداً ذلك :

ولا خير في حلم اذا لم يكن له
بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له
حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

اني ياصاح من أنصار السلام ومحبذيه ، ولكني لاأنكر الحرب بالمعنى الاسلامي إنما انكره بالمعنى الاستعماري باذلال الشعوب لاستعمار أراضيهم وأخذ آموالهم وما حوته أراضيهم من الكنوز والخيرات ..

وقد جاء في القرآن المجيد مما أنزل على محمد ﷺ « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ٨ : ٦١

وأنزل عليه أيضاً « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم » ٨ : ٦١

فالحرب حماية للدعوة ونشر السلام في العالم لا لاذلال العالم، لهذا جاء عن غوستاف لوبون : ماعرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب .

ودر الشاعر اللبناني رشيد سليم الخوري في قصيدته العينية الشهيرة قولـــــه :

وان أحببت نصراً منه فاضرب

بسيف محمد واترك يسوعا

يعني أن (إدارة الخد الايسر) لم يبق لها محل، وان من الواجب لقاء المستكبر الظالم النضال وللجهاد ، ورحم الله أمير الشعراء إذ قال في (نهج البردة) :

الحرب في حق لديك شريعة ومن السموم الناقعات دواء

فكما أن للسم موضعاً في العلاجات ، فكذلك الحال بين الأمم حين يضطر بعضها الى الحرب اضطرارا .

صلاح الدين الزعيم

لغة العلوم

سبق ان نشرت مجلة المعرفة كلمة للعليم الطبيب الأستاذ بشير العظمة حول لغة التدريس الجامعي ، وذلك بمناسبة تقرير لجنة من الخبراء الأجانب يتعلق بالتدريس بكلية حلب بالانكليزية ، ولقد كان ردّ العليم العظمة بجعل اللغة أجنبيةً ردًّا علمياً وقومياً وواقعياً قوياً وتركت (المعرفة) الباب مفتوحاً للمناقشة ، وها نحن أولاء ننقل (عن المعرفة ع ٥٠) كلمة العليم الطبيب الأستاذ أحمد شوكة الشطي دعماً لزميله الأستاذ العظمة ، شـــاكرين للأستاذين العظمة والشطي غيرتهما ، وبحثهما .

نشرت المعرفة الغراء مقالاً ممتازاً للزميل الدكتور بشير العظمة عن اللغة العلمية في جامعات البلاد العربية وعلقت عليه دعية الى تبادل الآراء في هذا الموضوع الخطير ، فرأينا من الواجب الاستجابة الى هذه الدعوة ومعالجة بعض نواحي قضية اللغة الرسمية في جامعات البلاد العربية والتساؤل عن بعض مشاكلها والاجابة عنها حسب مايتراءى لنا .

أولاً — هل يجوز أن نأخذ بما قررته لجنة الخبراء الأجانب التي أوصت على مايقال بصراحة تامة وباجماع الآراء على ضرورة تعليم الطب في حلب باللغة الانكليزية ؟

الجواب — كلا . واننا نرى في ذلك ازراء باللغة العربية لا نستحقه آتياً من غريب، ونستغرب أن يحبذه أو يقول به مواطن أريب . إنها لا نستحقه

من غريب لأن على هذا يوم استُشير أن يرجع الى تاريخ هذه اللغة وسعة انتشارها في عهد ازدهار الحضارة العربية ، وتفضيلها من قبل روادها من غير العرب على لغات بلادهم ، وترجيحهم الكتابة بها والتأليف فيها على الكتابة والتأليف بلغتهم الأصلية ، ولقد كان من واجب هذا الغريب أيضا أن يتذكر ماشعته الحضارة العربية من أنوار أضاءت بها العالم كله حيناً من الدهر وأن يتذكر أيضاً أن الحضارة الحديثة في كثيرٍ من نواحيها نبت الحضارة العربية وبنتها ، اقتبسها الغربيون من الجامعات العربية ومن أساتذتها العرب دون أن يخطر في بال واحد منهم أن يُحل العربية ، محل لغة البلاد الأصلية مع ضيقها وبعدها عن محاكاة الروح العلمية في ذلك الحين ، كما أن تجربة التدريس باللغة العربية في كلية الطب الدمشقية في عصرنا الحاضر آتت ثمارها بتوزع متخرجيها في جميع البلاد العربية ، وإشغالهم فيها مناصب علمية سامية وثبوت مؤازاتهم متخرجي الجامعات الأجنبية، ان لم نقل افضليتهم على كثير منهم ، وتصنيف بعضهم في بلاد غربية ماسكة بكسب السبق في العلم ، فئة مختارة من نوعية ممتازة ، جديرة بتلقي الدراسات العليا للأبحاث ، قادرة على تحمل العمل المرهق الواسع المسؤوليات من أجل بلوغ هذا الهدف . يضاف الى هذا كله ان اللغة العربية لغة رسمية في بلاد شاسعة عظيمة ، تُشغل أرجاء واسعة في قارتين عظيمتين وانها موضع احترام وتقدير واعجاب لدى شعوبٍ تعدُّ مئات الملايين . وهكذا يبدو لنا أن تاريخ اللغة العربية لينبذ هذا التفكير ، وان ماضي الحضارة العربية ليأنف من هذا الاتجاه ، وان عمل كلية الطب الرائد في دمشق ليدحض الادعاء بعجز اللغة العربية عن استيعاب المصطلحات العلمية الحديثة ، وان انتشارها الواسع وتقدير مقامها الرفيع في كرتنا الأرضية ليحتم علينا الاستفادة

من قيمتها التي لا تحاكيها فيها لغات تنافسها في الذيوع والانتشار ، ولكن ليس لها من الأصالة ما للغة العربية الشريفة .

ثانياً — هل من مواطنين في سورية يقولون بتدريس العلوم ومنها الطب بلغة أجنبية ؟

الجواب — لاشك أن هذه الفئة موجودة ولكن أفرادها قليلون جداً في سورية . وهم فريقان فريق صاحب رأي يكابر فيه . وفريق مؤلف من أناسٍ لاتعادل خبرتهم اللغوية معارف مجازٍ بكفاءة أو مجتازٍ شهادة شهادة ابتدائية ، ولو كلف هؤلاء أنفسهم بعض العناء في التعرف على لغة بلادهم لتذوقوها وعادوا من أنصارها وأنصار التدريس بها .

ثالثاً — ما هو موقف العلماء المواطنين من هذه القضية في البلاد العربية الأخرى ؟

والواقع أن الأمر يختلف في سورية عما هو عليه في بلاد عربية أخرى ، فلقد وجدت في بعضها كلياتٌ فرض التدريس فيها بلغة انكليزية فنتج من ذلك وجود ُهيئَةٍ مدرسة ألِفت التدريس بتلك اللغة وأخذ فريق منها يلقن نفسه تلقائياً عدم استطاعة اللغة العربية لمسايرة الركب العلمي فأصبح خصماً للتدريس بها عاجزاً عن الإفلات من الأغلال التي قيد بها نفسه ، إنها خصومة غريبة وأمرها عجيب ، لأنها ليست وليدة سوء نية أو انحراف قصد ، إنها خصومة لاشعورية ترتد الى خوف من التجربة أو إلى جهل باللغة أو إلى أنانية مفرطة حالت دون تضحية الخصم بالوقت اللازم لسد نقائصه في معرفة لغة بلاده ، أو التوسع فيها ونبش كنوزها أو الى تقزز اعتراه من المزايدة أو المناقصة بهذا الموضوع وفقدان التنسيق فيه ، على أن فريقاً آخر يضم الأكثرية جرب فنجح وعاد من أنصار التدريس

باللغة العربية أو وقف ينتظر عملاً حاسماً تقوم به جهات مسؤولة عربيـة تضع الأمور في نصابها وتزيل البلبلة التي لحقت بالمصطلحات ، واختلاف الآراء في صلاحها وتفضيل بعضها على بعض .

رابعاً — هل للأجنبي من مصلحة في عزوف العرب عن التدريس باللغة بلادهم ؟

اني لا أشك في ذلك مطلقاً ودليلي المقاومة العنيفة التي لقيتها اللغـة العربية يوم تسلط الأجنبي على مصر ، فلقد كانت العربية لغة التدريس في مدرسة أبي زعبل — قصر العيني فيما بعد — أول كلية وجدت في مصر وأتقن أساتذتها الأجانب اللغة العربية وألفوا فيها وتحمسوا لها ، وكانت مصر في تلك الفترة سيدة نفسها ، وما أن تبدل الحال وتسلط الأجنبي عليها حتى رأى في دعم اللغة العربية ما يهدد كيانه فأحكم الخطة للقضاء على اللغة وسط مقاومة عنيفة انتصر فيها للغة الرجال والنساء بينهن مي زيادة فكانت لهم أقوال رائعة تميَّز من بينها قصيدتان إحداهما لشاعر النيل حافظ ابراهيم والثانية لخليل مطران ينعيان فيهما حظ العربية من أهلها وكان السبب في ذلك أن الأجنبي استمال بعض المواطنين لتنفيذ مآربه فسبقوا الأجنبي فيما يتطلع اليه وتفننوا في أساليب التملق له فتنكروا للغة العربية تنكراً تظهر بعض الأبيات صوره ، من ذلك قول حافظ ابراهيم على لسان اللغة :

أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

أرى لرجال الغرب عزاً ومنعـة وكم عزّ أقوام بعز لغـات

وقول خليل مطران :

سمعت الضـــاد قائلـة ألنعي وهذا موطني والأهل أهلي

بنيـات الحمي ، بيّن إني عزيزة أمتي لم ينس فضلي

ويا فتيـانه هبـــوا لنصري عقوق مساءة وعقوق جهل

وما أن تولى زمام ادارة الكلية الطبية في مصر مديرون أجانب حتى جعلوها بريطانية انكليزية أكثر مما هي عربية مصرية فساد التدريس باللغة الانكليزية مبدأ قنع به بعض الأطباء المصريين حتى عهد قريب . ولقد انقلبت الآية الآن وسوف لاتمضي سوى سنوات معدودة حتى تصبح لغة التدريس العالي في مصر عربية وكذلك الأمر في العراق . وأما بلاد المغرب العربي فانها تتمخض لاحلال اللغة العربية محل اللغات الأجنبية .

خامساً — ماهي أزمة المصطلحات العلمية العربية ولا سيما الطبية منها وما هي قضيتها ؟

صاحبت قصة المصطلحات العربية في الطب والصيدلة اليقظة الفكرية في البلاد العربية منذ مطلع القرن التاسع عشر ، والغريب في الأمر انها بدت بسيطة ثم أخذت تتعقد حينا بعد حين حتى جعلها كثرة البحث فيها محاطة بالأشواك لايمد لها الباحث يده دون أن يجد مايخزه منها ؛ مع أن تبسيطها يسير ، اذا صحت النية وحسن التخطيط وابتعد عن التفاصح وأبعدت اللجان العديدة وعهد الأمر الى أيد محدودة .

قلت انها بدت بسيطة ، لأن مدرسة قصر العيني استطاعت بعدد محدود جداً من المترجمين ، وبنخبة ممتازة من رجال اللغة الذين أحسن اختيارهم ليكونوا مصححين أو مراجعين فأخلصوا النية وعقدوا العزيمة فساهموا في تهذيب اللغة في عدد من الكتب بالآلاف ، تعد في زمانها اذا ماقورنت بمثيلاتها من الكتب الغربية معادلة لها اتقاناً في الطبع وحسنا في الايضاح وبساطة في اللغة مع فصاحة حقيقية .

وكان جهد أساتذة الكلية الأميركية الأول في بيروت أيضاً موفقاً في انتقاء المصطلحات العربية ، فقد كان لفان ديك ولابنه ورتبات معرفة

بدخائل اللغة العربية وتعمق فيها وولع بها يحا كي ولع اللغويين من أبنائها الذين عاشروهم وصادقوهم وتتلمذوا عليهم لا بل عايشوهم معايشة كاملة . وهكذا وضع هؤلاء الأساتذة كتباً باللغة العربية زودوها بالمصطلحات اللازمة .

ثم جاءت بعدئذ كلية الطب بدمشق فاحتضنت اللغة العربية العلمية وأنحت باللائمة على الجاحدين بها وكأنها خاطبتهم بقولها : « نسبوا اليك العجز عن الابداء والتقصير عن الافهام وما أنت العاجزة القاصرة وانما هم العاجزون القاصرون ، ليتهم أحبوك عشر ماأحبك البَيْروني الفارسي الأصل الذي يؤثر عنه قوله : « انه لأحب الي أن أهجى بالعربية من أن أمدح بالفارسية » .

لقد نمت اللغة العربية فيما مضى من الزمن ، بالاشتقاق والمجاز والتعريب والنحت والتركيب أفليس من الممكن أن تنمو اليوم بعد تطور العلوم بهذه الوسائل نفسها ؟

ولقد خدمت المجامع العلمية اللغوية في بلاد العرب اللغة العلمية خدمة تذكر ، على أن نُقاد هذه المجامع من اعضائها وغيرهم يرون أن خدمتها للغة العلمية ومنها الطبية لاتتناسب مع كفاءة العاملين فيها وما خصص لها من موازنات ماليه واسعة ، وما تستطيع أن تعمله لو وضعت تخطيطا تباشره وتنفذه . واننا على ضوء اختباراتنا في كلية الطب بدمشق ، وبحوثنا الشخصية نسمح لانفسنا بالقول ان اكثر ماوضع من الألفاظ صالح لاغبار عليه وقد فرضه استمرار استعماله . ولا يعني ذلك عدم جواز تبديله اذا وجد ماهو اصلح منه ، فان بين الألفاظ الموضوعة مالا بد من تبديله ، كما ان هنالك اعداداضخمة من التعبيرات الحديثة والألفاظ الجديدة ، تحتم اللجوء الى التعريب والتركيب لوضع مايقابلها على ان يكون التعريب منسجما مع الذوق

العربي ، وأن تكون نتيجة التركيب غير نابية على الأسماع ، لا تبتعد الكلمة المركبة عن أصلها أو أصولها ، فان لم يتحقق ذلك جاءت عبئاً جديداً على النشء واللغة .

ويبدو لي أن تنفيذ الاقتراحات الآتية يساعد على حل أزمة المصطلحات وشطط التفاصح فيها .

آ — تأليف لجنة من عدد محدود من المشتغلين بالمصطلحات الطبية وتوحيدها على أن ترتبط بجامعة الدول العربية .

ب — تعتمد هذه اللجنة المعاجم الطبية التي سبق وجودها في البلاد العربية .

ج — يطلب من المؤلفين في العلوم الطبية في البلاد العربية التقيد بما جاء فيها من ألفاظ عدا المركبة منها ، التي اشتط فيها شططاً أبعدها عن الذوق العربي وجعلها في نظرنا عبئاً على اللغة العلمية . ولا نقصد بذلك إغلاق الباب دون استعمال المؤلفين كلمات أفضل مما جاءت في المعاجم الموجودة لأن عدداً من الكلمات الواردة فيها جديرة بالنقد وفي اللغة ماهو أصلح منها .

د — لابد للجنة في نظرنا من اقرار الاستعانة بالتنقيط أو بالاشارات لتيسير لفظ بعض الكلمات التي شاع استعمالها وذاعت معرفتها بين جميع الناس بحيث لا يمكن لكلمة أخرى أن تحل محلها ونقصد بالتنقيط والاشارات إضافة نقطتين على حرف (ف) لضمان النطق بحرف (V) الافرنجي واضافة نقطتين على حرف (ب) لضمان النطق بحرف (P) الافرنجي وزيادة خط على حرف (ك) لضمان النطق بحرف (G) الافرنجي في بعض تراكيبه . إن الاجماع على تنفيذ اقتراح من هذا القبيل يسمح لنا بتعريب كلمات عالمية

ذائعة الشهرة مثل كلمة الفيتامين [1] واللفظ بها كما يجب ، وتلك الكلمة التي لن يعدلها ما اقترح لها من ترجمة سواء أكانت الكلمة المقترحة محرضات أم حافزات أم كلمة حيمينات التي لم تصحح الخطأ مع بعدها عما أصبح ذائعاً ومألوفاً وأعني بذلك كلمة الفيتامين التي عاد حتى الباعة المتجولون ينادون بها أثناء بيعهم بعض الحمضيات ، مرددين قولهم : غني بالفيتامين يا كريفون (غراب فروت ، كراب فروت) .

وقس على هذه الكلمة عدداً كبير من الكلمات العالمية التي يُنقذنا استعمالها من البحث عن بديل لها لا يمكن أن يعدلها بوجه من الوجوه .

هـ — تضع اللجنة معجماً جديداً للمصطلحات تجدد طبعه حيناً بعد حين وتثبت في كل طبعة جديدة جميع المصطلحات الحديثة كما تبدل فيه الكلمات التي تثبت وجود ماهو أفضل منها ، وتضمنه الكلمات التي ولجت باب العلم من جديد واقترحت لها مصطلحات مناسبة .

و — على جميع المؤلفين في الطب والصيدلة في البلاد العربية أن يتقيدوا بما يجيء في المعجم المعتمد الجديد وأن يُلحقوا بكتبهم العلمية الجديدة معجماً يبين الكلمات التي يريدون تبديلها مذيلة بشروح تبين أفضليتها لتستطيع لجنة عليا للمصطلحات دراستها فتقرر رفضها أو قبولها فاثباتها في طبعات المعجم المقبلة .

---

(١) لايخفى أن الفيتامينات ركبت من كلمتين فيتاس ومعناه الحياة واسيد آمينية ومعناها الحوامض الأمينية مع أنه تبين خطأ هذه التسمية فنا لأن الفيتامينات لاصلة لها بالحوامض الأمينية لتسمى باسم مركب يمزج بين الحياة والحوامض الأمينية كما هو الحيمينات .

ز — تؤلف لجان فرعية في كل بلد عربية تساعد اللجنة العليا بعملها وتجمع لها عناصر المواضيع التي تبحثها في مؤتمرات سنوية .

ح — تعقد مؤتمرات سنوية باشراف اللجنة العليا يحضرها مندوبون عن كل لجنة فرعية .

ط — يوسع نطاق الجامعة العربية الثقافي فتؤلف فيها لجان للمصطلحات العلمية تسير في عملها على هدى لجنة المصطلحات الطبية وتوحيدها ، أما أن يترك الحبل على الغارب ليتصرف كل مؤلف على هواه دون الرجوع إلى مرجع أعلى أو معجم معتمد ، يعاد طبعه المرة تلو المرة فأمر يحدث بلبلة وارتبا كاً بدأنا نشعر بها اليوم ، فقد كثر المشتغلون باللغة العلمية وزادت الاصطلاحات وأخذ العلم يبثنا في كل يوم بالجديد منها ، وأخذت لغة العلم تتدهور وبتنا نميل الى الاعتقاد بأن التأليف العلمي الذي لا يتقيد بتنسيق لغوي ، عامل في بلبلة اللغة .

لقد اتخذت خطوات إيجابية في موضوع التعريب في أقطار العروبة وأبرزها :

١ — جهود الاتحاد العلمي العربي .

٢ — جهود المجلس الأعلى للعلوم .

٣ — جهود مؤتمر التعريب ومكتبه الدائم في الرباط .

هذا بالاضافة الى جهود مجامع اللغة والجامعات والجمعيات والهيئات والأفراد في كل بلد عربي .

سادساً — يخشى بعض الغيورين على اللغة العربية من أن يؤدي التسامح بالتوسيع في أبجديتها ، لضرورات علمية إلى الانزلاق باللغة العربية في مزالق تضيع به أصالتها ، ومما لاشك فيه أن لهؤلاء وجهة نظر أصيلة أملاها عليهم حب العربية والعروبة ، ولكن هل يخشى على اللغة العربية من الوقوع

في مدارج الانزلاق ؟ الواقع أن للغة العربية من الأصالة والمناعة مايحميها ، ويضمن صفاءها ، فلم يستطع الأعاجم الذين سيطروا على البلاد العربية مسلمين كانوا أم غير مسلمين أن يسوها بشائبة ، لا بل هي أوقعتهم في حبها ، فأخلص كثير منهم لها إخلاصاً نتمنى أن يتحلى ببعضه القائلون بجعل اللغة العلمية في بلاد العرب اللغة الانكليزية بدلاً من العربية ، ولقد حاول العرب أنفسهم العبث بلغتهم فزادها ذلك منعة وقوة ، وإننا إذ نقول هذا القول نقصد به الدرك المنحط الذي بلغته بعض الموشحات وعدداً كبير من الموشحين الذين لم يكتفوا باهمال القيود والقوافي في الشعر بل استعملوا ألفاظ العامة وحطموا القواعد النحوية والصرفية ونذكر منهم ابن شهيد الذي قال عن الموشح انه ليس لسيبويه اليه سبيل أو عمل ، ولا للفراهيدي (١) اليه طريق أو محل . وقد نزلت الموشحات بعمل هؤلاء إلى أشعار هزيلة المعاني ، واهية المباني ، بها يتغنون ويتغزلون ويمدحون ويهجون ويصفون حتى وصف أحدهم وهو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن قزمان عمله في تحطيم لغة الموشح مفاخراً ، لقد جردت الموشح من الاعراب كما يجرد السيف من القراب . ومنها ماقيل ما على المطرب أن يعرب ، وقد صحب ذلك انحطاط في المستوى الأخلاقي يحاكي المستوى الذي بلغه شعراء التروبادور (٢) ، ومع ذلك اندثرت تلك الموشحات الذليلة ، وخلدت الموشحات الأصيلة التي نطرب لسماعها حيناً بعد حين .

(١) أديب أندلسي عاش في القرن الخامس .

(٢) تروبادور وتروبار أصلها من طرب أي يغني ويوقع أنغاماً موسيقية وذلك على رأي جوليان بيرا مؤلف كتاب تاريخ الموسيقى العربية .

إن مناعة اللغة العربية تأتيها من حماية القرآن الكريم لها ومبلغ إعجازه فيها ، ذلك الكتاب السماوي الذي يطيب لنا أن ننقل كلمات خليل مطران فيه وفي أثره على العرب :

(قال العرب في الجاهلية الشعر فما امتد النفس في جيده الى اطول من المعلقات ، وقالوا النثر فما يوشك المتخلف منه أن يملأ صحائف كراس صغير ، على الشتات بين المعاني والاغراض ، فلما أراد الله أن يبدي للعالمين آية من آيات قدرته ، أنزل كتابه المبين كتاباً عربياً . وممّ اتخذ مادته ؟ من أدوات تلك اللغة . لم يخلق معجماً جديداً ولم يقض قضاءً على السنن المتعارفة بل أخرج من مأثور ماألفه العرب واصطلحوا عليه وتفاهموا به تلك المثاني ، والمثات التي حيّرت الألباب ، وملأت النفوس بالعجب العجاب ، أنزلها في كلامهم ، والزمها حدود لسانهم ، ومعانيها وراء كل حد ، وهذا هو سر الانشاء وسحر الابداء .

(اخرج القرآن المجيد من اللغة العربية الجاهلية لغة استقل بها ، فلم تجار مافيها ، وهيهات ان تشبّه بها محاسن الشعر وعيون النثر في الجاهلية ، ولم يجارها مابعدها في البلاغة والفصاحة مكانها من الاعجاز ، ثم جاءت روائع الحديث معقبة من مكان دانٍ على ماهبط به الوحي ، ونور الوحي منحدر اليها كتحدر شعاع الشمس من قمم الجبال الشماء ، الى رؤوس الهضاب المتضامنه بجانبها ، فاتصلت به اسباب التأصيل والتفريع ، وانسعت وتشعبت ذرائع التحويل والتوسيع ، لغة جديدة تدفقت اليها جداول

الفصاحة القديمة من نواحيها المتعددة فاذا الحوض الذي افضت اليه بحر عذب يهيء الري والغذاء ، للحدائق الفيحاء التي ازدهرت بها الحضارة العربية . من هذه اللغة الجديدة استمار الخلفاء الراشدون — ناهيك منهم بالامام علي — جمال بيانهم وجلال تبينهم ، تكلموا بكلام هو من صميم مادة العربية ، لكنهم جاءوا بمعان بديعة في صور شائقة غير مسبوقة . فكانت هنيهة من الدهر ، سنوات معدودة ، تم فيها الانقلاب الأول ، والتحول الاعظم في لغة الضاد ، وطلع فجر جديد ، على البيان العربي في الحقبة التي تلت ظهور الاسلام الى ماناهز خمسة قرون ، وفي الضوء الساطع الذي اضاء ذلك الفجرُ به اممَ المشرق أخرجت القرائح اعاجيبها عقلا ونقلا وفقها وسياسة : وابدت السجايا في مختلف تلك الأمم ضروب زينتها باللهجات الفصحى كما أبرزت الألباب كوامن قواها في استصلاح تلك الجهات ، لكل شأن من الشؤون .)

فليطمئن بعد هذا القوم المغالون في الخوف على اللغة العربية من الانزلاق فان لها رسالة القرآن الخالدة حامية ، فهي خالدة بفصاحتها خلود القرآن حامي العرب والعروبة ، مهما جار عليها الزمان .

هذا واذا كنا نناهض بكل قوانا جعل اللغة الرسمية في كلياتنا لغة أجنبية فلا يعني ذلك امكان استغناء الطالب في الكليات العملية والنظرية حتى الشرعية عن معرفة كافية بلغة اجنبية وسوف نقدم في عدد مقبل السبل المؤدية الى بلوغ هذا الهدف .

أحمد شوكة الشطي

من ثمرات الكتب :

بين الحياتين المادية والروحية ★

أما وقد شهدت من مظاهر الحياة الروحية حيثما سرت في أثر النبي العربي ما شهدت ، ورأيت كيف فعل الايمان الأعاجيب في مواطن لولاه ماكان للانسان بها طاقة ، فما بالُ قوم في عصور وبلاد مختلفة جحدوا الحياة الروحية وكفروا بفضل الايمان ؟ أفكان ذلك عماية منهم وجهلا ، أم أنهم أضلهم هواهم وغرَّهم بالله الغرور ، ولولا ذلك لرأوا من آيات الله ومن فضله على عباده المؤمنين مالا يغيب عن تأمل في خلق الله ومن ألقى السمع وهو شهيد ؟ ! .

حق علينا أن نلتمس لهذا السؤال جواباً أن نذكر أمراً نعرفه جميعاً وينساه أكثرنا . فقلّ من الناس من ينكر وجود الله ، وأشد الملحدين غروراً وإمعاناً في الضلال يقولون بالطبيعة وسننها أو بالدهر وأحكامه . هؤلاء يمسكهم غرورهم حين تأملهم في الكائنات دون أن يحيطوا بالكون الذي لا يُعْتَرف للزمان ولا للمكان فيه بدء ولا نهاية ، وان عرف الناس جميعاً أن الكون يحول ويتطور إلى مانعرف أقله ، ومايغيب عنا أكثره . أما من خلا هؤلاء الطبيعيين والدهريين فأولئك يؤمنون بالله وان أقروا

(★) في منزل الوحي : للعليم محمد حسين هيكل ص ٦٦٥ .

كلهم مسلمين بأن عقلنا المحدود أضيق أفقاً من أن يدرك كنهه تعالى ، وسع كرسيه السماوات والأرض . من هؤلاء في عصرنا كثيرون يثورون بتعاليم أورثتنا إياها عصور الانحلال ، لانصراف الحظ الأوفر من هذه التعاليم إلى الجانب المادي من الحياة ، ولأنها تُلبس الجانب الروحي ثوب المادة وتنحدر لذلك به إلى حيث تأبى العقول التي تثقفت بالعلم فآمنت وزادها العلم إيماناً . هؤلاء جديرون بأن تسمو حياتهم الروحية فوق حدود المادة وقيودها ، وبأن يكونوا بذلك من أشد الناس إيماناً بالله ، لا يشركون به شيئاً ، ولا يلتمسون الثواب أو المغفرة إلا من فضله .

انصرف الحظ الأوفر من تعاليم عصور الانحلال إلى الجانب المادي من الحياة وإلى تنظيمه ، وإلى اعتبار هذا التنظيم من قواعد الايمان . فكيف نسير ، وكيف نستجم ، وكيف نأكل ، وكيف نشرب ، وكيف نلبس ، وما اللباس الحلال ، وما اللباس الحرام ، وكيف نعاشر أزواجنا ، وكيف نعالج مرضانا ، وكيف نعلم أولادنا ، وكيف ندبر أموالنا ؟ هذا وما اليه قد صار في هذه التعاليم مقدماً على الايمان وعلى الحياة . وهذه التعاليم تذهب إلى مخالفة ما جاءت به معصية يأثم مجترحها لأنها من أمر الله ، وليست رأياً لأصحابها ، ولا نصيحةً للناس من حق الناس أن يزنوها بالعقل وبما توجبه المنفعة في العصر الذي يعيشون فيه . وكأنما نسي الذين أورثونا هذه التعاليم أن الله يريد بالناس اليسر ولا يريد بهم العسر ، وأن الخلفاء الأولين والصحابة التابعين كانوا يختلفون في الأمر الواحد رأياً ثم لا يطعن هذا الخلاف في ايمان أحدهم ولا في عقيدته ؛ لأنه لا يمس جوهر العقيدة ولا يخالف ماجاء في كتاب الله .

والواقع أن المسلمين في عصور اجتهادهم وتقدّمهم وسيادتهم حضارةً

العالم لم يختلفوا إيماناً ولا عقيدة ؛ وإنما اختلفوا رأياً ومذهباً في شؤون الحياة الدنيا . هم جميعاً يؤمنون بالله وما جاء من عنده ؛ لكنهم اختلفوا في أحكام ما يجري بين الناس من معاملات ، لم يمنعهم من الخلاف رأيٌ رآه من سبقوهم في أمر هذه المعاملات .

فالناس تختلف أحوالهم من عصر الى عصر ، ومن مصر الى مصر ، وقد تختلف في العصر الواحد والمصر الواحد باختلاف طبقاتهم وأسباب كدهم وعيشهم فاذا اختلفت الأحكام في شأنهم فلا جناح في ذلك ولا عجب فيه . ولذلك اختلف الأئمة الأربعة مذهباً وهم مع ذلك الأئمة المؤمنون أولو الورع والتقوى . واختلف مع الأئمة أصحابهم في كثير من الرأي ؛ فأخذ أهل العصر في بعض الأمور برأي الصاحب وتركوا رأي الامام . وخالف الأئمة وأصحابهم مجتهدون لم يقيموا مذهباً وإنما عرضوا لمسائل بذاتها اجتهدوا فيها ، فلم يطعن ذلك في إيمانهم ولم يخرجهم من عالم البررة المتقين .

كان ذلك حين كان الناس يقدرون العلم ويحترمونه لذاته ، ويحترمون لذلك رأي صاحبه ما قصد به وجه الحق . وكان ذلك والأمة الاسلامية في أوج مجدها وعظيم سلطانها تدوي كلمتها في الشرق والغرب ويحسب العالم كله لها حساباً . فلما حلت بالأمة الاسلامية نكبات الشقاق وقام الثائرون في أنحائها يبتغي كلٌ مجدَ نفسه وسلطانها بدأ الجهل يفتك بالعقول والجمود يفتك بالأرواح ، وبدأ الناس يرتابون في مقصد صاحب الرأي ويحسبونه لا يدين به عن عقيدة حرصاً منه على خير اخوانه المؤمنين ، وإنما يبديه دعاية لنفسه ، ويتخذ من النداء به وسيلة الى السلطان . هنالك عم الناسَ الفزع من اجتهاد هؤلاء المجتهدين ، وقعد بهم هذا الفزع عن

تبين الحق في آرائهم ، فرموا الاجتهاد بالمنقصة وطرحوه وراءهم ظهريا وقالوا لا رأى إلا ما رأى الآباء ، انا وجدنا آبا نا على امة وأنا على آثارهم لمهتدون .

نشأ عن الجهل والجمود أن جهل الناس الحياة الروحية وغاب عنهم معناها . فصوروها صورة مادية لايزيد مداها عما يقع عليه الحس وينحصر في حداد إدراكه . وفي هذه الحدود أجروا عليها الأحكام التي أجروها على الحياة المادية وقضوا في أمرها بما يوجبه تصورهم للمادة وشؤونها . هذا مع ماهوى اليه تصورهم لشؤون المادة بما يتفق مع جهلهم حقيقة أمرها وسنة الله فيها .

دار الزمن دورته ، ولم يكن مفر من ان تنتج الأسباب نتائجها : خضعت الأمم الاسلامية لغيرها وأذعنت لسلطان من آتاهم العلم مفاتيح السلطان . وبدأ هؤلاء يعلمون الناس من مبادىء العلم في الحياة المادية نقيض ما اورثتهم عصور الانحلال . علموهم أن الأرض كروية ، وكانوا قد ورثوا من تلك العصور أنها مسطحة مستوية ، وعلموهم أن الأرض تدور حول الشمس ، وكانوا قد ورثوا أن الشمس تدور حول الأرض. تشرق من المشرق وتغيب في المغرب ، وتنخسها الشياطين حتى لا تقف سيرها وعلموهم أن كسوف الشمس وخسوف القمر من سنن الكون سببها تعرض القمر في دورته بين الشمس والأرض أو تعرض الأرض في دورتها بين الشمس والقمر ، وكانوا قد ورثوا أن الخسوف والكسوف من آيات رضا الله وغضبه ، وعلموهم أن لاشىء مما يقع في الكون إلا له سبب يدركه العقل اذا استوت لديه أسباب العلم لادراكه ، وكانوا قد ورثوا أن مايقع في الكون أبعد من أن يدركه العقل لأنه متعلق

بإرادة الله ، وأن ارادة الله لاتخضع لسنة يقع عليها ادراكنا . وعلموهم أن لصحة الأفراد والجماعات ولأمراضها أسبابا ، وأن التماس هذه الأسباب يطوع معالجة الأمراض والمتاع بالصحة ، وكانوا قد ورثوا أن الصحة والمرض من عند الله ، وأن من اسلام الأمر لله ألا نناقش قضاءه (كذا). هنالك بدأ كثيرون يتساءلون ما قيمة ما أورثتنا عصور الانحلال ؟ أولا يجب علينا لعقولنا أن نجادل فيه وأن نسأل أهل العلم عن أسبابه ودواعيه ؟

رأى جماعة ممن يعلمون الناس الدين في هذا العصر الأخير أن الناس يجب أن يخاطبوا بلغة زمانهم ، وأن ماكان الجاهل يقنع به من قبل لم يبق مقنعا لمن نال من العلم في عصرنا الحديث حظا . والأمر كذلك خاصة بعد أن أصبحت كلمة العلم الحديث صاحبة السلطان في الأمم التي توجه مصاير غيرها وتتحكم في شؤونها . أولئك رأوا حقا عليهم أن يلتمسوا حكمة الله في الأشياء ؛ وأن يلتمسوا حكمته في أوامره ونواهيه ؛ وأن يعلموا الناس هذه الحكمة ، وأن يجادلوهم بالتي هي أحسن لم يبق كافياً في نظرهم وفي نظر المتعلمين أن يقولوا للناس : ان الله فرض الصلاة والصوم والزكاة والحج ، وفرض العقاب على من لايؤديها ، بل رأوا أن يعلموا الناس لماذا فرض الله الصلاة والصوم والزكاة والحج ، وما هي الحجج العقلية الدامغة التي تقوم هذه الحكمة عليها ، ومن ثم يترتب الجزاء العادل لمخالفتها . ولم يبق حقاً عندهم أن الحكم في أمور هذه الحياة الدنيا ، ماجل وما دق منها ، قد نزل الوحي بصيغة الأمر فيها ، بل أصبح الحق عندهم أن ماجاء في كتاب الله من أمر لاريب في أنه الأمر القاطع ، لا النصيحة ولا التفضيل ، هو وحده الذي يجب أن يأخذه المسلمون على أنه الأمر . فأما ما وراء ذلك من منافع الحياة الدنيا فهم اعلم

بما يصلح لهم في العصر الذي يعيشون فيه . ولذلك وجب عندهم التفريق بين شؤون الحياة ما تعلق منها بالروح والايمان ، وما تعلق بالخلق ، وما تعلق بالحياة المادية ومعاملات الناس فيها مما يجري لهم في أمور دنياهم .

وهذا تقسيم يتفق مع مباحث العلم الحديث وما يقره . فهذا العلم يرى أن ميادين المعرفة الانسانية فسيحة لايكاد يحدها أفق ، وأنها مع ذلك ضيقة محصورة بالقياس الى الكون وما يترامى اليه الهامنا من مداه الذي يتجاوز الزمان والمكان ؛ وأنا لن نستطيع ، وأن بلغنا من العلم أبعد المدى ، أن نظفر بهذا الغيب الذي تتمثله أرواحنا وتتمثله أرواح البعض وتعجز أرواح الكثرة عن امتثاله . لذلك فرق العلم بين ماتقع عليه المعرفة العلمية وما لاتقع عليه ، وجعل ما وراء المادة مما لاتقع عليه هذه المعرفة العلمية . على أنه لم يحدد المادة التي تقع عليها المعرفة وان قسم العلوم الى بسيطة مستقلة بذاتها ، ومركبة تحتاج الى ماتقرره العلوم التي تسبقها من قواعد وسُنَن . وهو كذلك لم ييأس من أن يمتد يوماً الى بعض انحاء الحياة النفسية ، بل إلى بعض انحاء الحياة الروحية ، مع التسليم بأن ماسيظل غيبا لا يخضع لقواعده سيظل أفسح أمدا بمقدارٍ لاسبيل إلى الاحاطه به عن طريق الادراك ، وان سبق اليه الالهام الانساني في حرصه على أن يعرف مكان الانسان من هذا العالم في فسحة مداه ، اذ لا يُعرف للزمان ولا للمكان بدء ولا نهاية .

وكانت النظرية السائدة في العلم الى زمن غير بعيد تنكر حاجة الانسان الى ما وراء مقررات العلم ، وترى فيما لايمتد العلم اليه خيالا لا يستقيم مع تنظيم العلم الحياة . لكن اكثر العلماء في هذا العصر قد عدلوا عن هذا الرأي وأصبحوا يرون في مقررات الالهام مما لم يصل العلم بعد اليه

م - ٤

ما غنى للانسان عنه، ذلك بأنهم رأوا الحياة المادية وحدها أقصر من أن تبلغ بالانسان غاية ما تصبو الانسانية اليه من كمال ونعيم . فالحيـاة المادية وثنية بطبعها . والوثنية أنانيـة لذلك يغلب فيها الخوف والفزع . الوثني يخشى صنمه وهو يملكه ، ويخاله قديرا على نفعـه وضره وهو قادر على تحطيمه وإبادته ، وانما يمسكه الوهم والخوف وتقعد به الأنانية فلا يفعل.
والوثنية لا تقف عند عبادة الصنم الذي تصوره أيدينا ، بل تتناول كل عبادة المادة في أي مظهر من مظاهرها . فعبادة المال وثنية ، وعبادة السلطان وثنية ، وعبادة القوة المادية وثنية . وما تجر اليه الوثنية من أنانية ومن خوف وفزع قد كان مصدر شقاء العالم ومصـدر الحروب المدمرة التي تنشب فيه بين حين وحين . . فما لم تلتمس الانسانية في غير الحيـاة المادية وفيما وراء ما يقع عليه الحس وادراكه مثلا أعلى تصبو اليه ، فستظل فيها الحروب المدمرة وسيظل نصيبها الشقاء .
أما ولم يبق في ذلك ريب فلا مفر من تضافر مقررات العلم ومقررات الالهام لتنظيم الحياة ، ولا مفر من الاحاطة عن طريق العلم والالهـام جميعاً بحياة الكون الى غايه ماندركه من الزمان والمكان ، لنعرف موضع الانسانية منها وما تطيقه من نشاط فيها ، لتؤدي رسالتها في الكون على خير وجه ، بأن تبذل في الانتاج العقلي والروحي أخصب مجهود وأحكمه وأعظمه ؛ ولتؤدي هذه الرسالة عن ايمان بها هو الحافز الصحيح للعمل المثمر . وتعاليم الاسلام تقتضي صاحبها أن ينظر في خلق الله ليكمل بهذا النظر إيمانه . فواجب علينا أن نقف على كل ما بلغه العلم وان نحيط به احاطة معرفة وتدقيق ، لنرشد الناس عن بينة ولنميط لهم عن وجه الحق حتى يؤمنوا على علم وليكون علمهم هاديا لهم الى هذا الايمان ، اما ان نقول لهم ان الله أمر أن تؤمنوا به فآمنوا وليس لكم ان تناقشوا او تجادلو،

فذلك مالا يتفق مع ما قام الاسلام على أساسه من النظر في الكون ومشاهدة آيات الله فيه وتأمّلها والوصول من ذلك إلى الايمان به جل شأنه .

والاسلام صريح في هذا ؛ فهو يقتضي الناس جميعاً أن ينظروا في الكون ليؤمنوا على بيّنة ومن غير إكراه . لم يفرّق في هذا الأمر بين الرجل والمرأة ، ولا بين العربي والأعجمي ، ولا بين العبد والحر : ولم يجعل لأحد فضلاً في ذلك على غيره إلا بمقدار ما أوتي من العلم وما يطوع العلم من إرشاد إلى الحق والهدى . لا يعرف الاسلام نظام الكنيسة ولا يعرف الرؤساء الروحانيين ، ولا يعلّق إيمان أحد على كلمة غيره ، ولا يجعل المغفرة لغير الله . وهل كأبي بكر الصديق في حسن إيمانه ودقة معرفته بما جاء الرسول من عند الله به ، وهو يقول للمسلمين يوم اختاروه خليفة رسول الله : « أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ؛ فان عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم » ! .

الاحاطة بالعلم في أحدث ما وصل اليه واتخاذه وسيلة للنظر في آيات الله ، ذلك سبيل الهدى إلى الايمان الحق ، وذلك سبيل الحياة الروحية الصحيحة . فالروح تنكر العقل إذا قيّد النظر وقيّد العقل معه . من ثَمّ كان الجمود العقلي عدو الحياة الروحية ؛ لأن هذه الحياة لا تتفتح لتتمثل الكون إذا فُرض عليها قيد أياً كان نوعه . وهي لا تستطيع أن تتمثل الكون إلا أن يكون العقل حراً والحواس حرة في الالمام بكل ما فيه . وملاك حرية الحواس سلامتها . والحواس المريضة يضطرب ما تقع عليه ، فتنتقل منه إلى العقل صورة فاسدة . فاذا أسلمت الحواس السليمة ما تلم به إلى عقل سليم ينتظمه ليبلغ منه غاية ما تستطيع لمعرفة سنة الكون ، كان ذلك خير معوان للحياة الروحية في تطلّعها إلى آفاق أسمى من هذه

التي تحدُّه من حواسنا وإحساسنا . عند ذلك يتضافر العقل والقلب والوجدان وكل ما في الانسان من قوة مدركة ليمد الروح بعرفانه ، وليستمد من الروح ضياءه .

وضياء الروح يهدينا إلى وحدة الكون ووحدة الحياة فيه ، وإن تعددت المظاهر التي نحسبها مستقلة لنسبية إدراكنا . ومن ثَم كانت الحياة الروحية السليمة في تطلّعها إلى الحق تصبو دائماً إلى الوحدة : إلى الوحدة بالحب والوحدة بالرجاء في الله ونوره الذي يضيء الكون كله ، وإلى وحدة الزمان والمكان . وهذه الصبوة الروحية هي التي تصور لنا وحدة الخالق جل شأنه وتجعلها أمامنا حقيقة ملموسة نؤمن بها عن يقين إيمانَ كل إنسان بما يقع عليه حسه . أما الحياة المادية فانفصالية بطبيعتها . ومهما يعمل قانون الجاذبية لضمها وحدةً مؤتلفة الأجزاء ، فما فيها من طبيعة التوالد يدعوها إلى الانقسام والتقسيم . ولذلك جَعل التفكير المادي وجعلت الحياة المادية من الانقسام والتقسيم أساس الحياة وأساس السعي فيها . وعلى هذا الأساس صورت المثل الأعلى للطوائف والأمم والشعوب . والانقسام داعية النضال والحرب ، وهو من ثَم سبب الشقاء .

فأما صبوة الحياة الروحية إلى الوحدة فتجعل المثل الأعلى مثل تعاون وتضامن ومحبة . وهذا المثل لا يعرف النضال ولا الحرب . وكيف يعرفها والغاية التي يتوجه اليها ، وهي رضا الله ، تسع الجميع وتفيض عنهم على تعاقب أممهم وأجيالهم ! لا خوف من أن يضيق هذا الرضا بمن هو أهله ، كما تضيق الأرض بسكانها ، وكما تضيق المواد الأولية دون امداد الصناعة ، وكما تضيق أسباب الترف في العالم بمتاع أهله جميعاً بهذا الترف . ولذلك يدعو الداعي الى الحياة الروحية الناس كافة بلا تفاوت بينهم ، ويدعوهم

إليها في حمى السلام والاسلام والرضا ، لا فرق بين شرقي وغربي ، ولا فرق بين أبيض وأسود وملون ، ولا فرق بين أمة وأمة ، بل هم في هذا الحمى سواسية ، جزاؤهم بعملهم ، وعملهم بنيتهم ، وأحبهم إلى الله أشدهم حباً للناس ، وأمنهم إيماناً أكثرهم معرفة لخلق الله وعرفاناً لسنته في الكون وعلماً لكل مايهيء لنا الله من أسباب العلم به .

والناس يستجيبون بطبيعتهم الى الدعوة الروحية ، لأنهم يبتغون الحق بفطرتهم . ولولا ما يمد لهم فيه دعاة المادة من أسباب الضلال إذ يغرونهم بمتع الحياة ولذاتها لانهارت فوارق كثيرة ليس يبقيها إلا هذا الضلال ، ولآمن كلٌ بأن واجبه الأول أن يهدي غيره طريق الحق ، ولتقاربت الأمم بدل أن تتباعد ، ولأخلصت القصد في سعيها إلى الاسلام بدل أن تجعل من نُذُر الحرب هياكل عبادتها ، ولكانت خطا الانسانية في سبيل التقدم إلى ناحية الكمال أسرع وأهدى سبيلا . ولو أن الناس لم يتنكبوا طريق الهدى لنعموا اليوم بما يلتمسونه من سعادة . ولعلهم تنكبوا هذا الطريق لأنهم بعدُ في جهالتهم ، ولأن مابلغوا من العلم لايزال قاصراً دون هداهم ؛ والعلم الناقص داعية ضلال .

وحسبك لتدرك الحق في ذلك أن تصور لنفسك أن المسلمين الأولين لم يختلفوا بينهم شيعاً ، وأنهم تابعوا وثبتهم الأولى إلى غايتها ، وأنهم نشروا التوحيد في ربوع العالم كله على أساس من النظر في خلق الله ومن معرفة سنته ، وأن الناس جميعاً التمسوا العلم في حمى التوحيد ليزدادوا إيماناً ، وأن هذه الاثني عشر قرناً التي انقضت منذ خلافهم قضتها الانسانية في التماس حقيقة الكون ومعرفة أسراره . أية إنسانية كانت تعمر الأرض اليوم لو أن ذلك حدث ؟ إنسانية بالغة من السمو مالا أحسبنا نُدرك مداه ونحن

نحن فيه من فرقة وتنازع على أسباب العيش ، ومن حروب لاتهدأ نأثرتها منشؤها هذه الفرقة وهذا التنازع .

أليس جديرا بنا ، وذلك ما تدعونا الحياة الروحية اليه وما بلمه سلفنا في ظلالها ، أن ننهل من وردهـا وأن نشهد من آثارها في بلاد النبي العربي ومنزل الوحي اليه عليه السلام ، لعلنـا نعود سيرة السلف فنثب وثبتهم هدى لاخواننا بني الانسان ! لقد شهدت من ذلك ماسطرته في في هذا الكتاب . ويعلم الله أني أود لو أنهل من هذا الورد في كل حين وأن أقف حيث وقف الرسول وأن أسير حيث سار ، ملتمسا في سيرته وفي مواقفه الأسوة والعبرة . فانني لعلى يقين من أن التأمل في السيرة ومواقفها وفي التعاليم التي جاء بها الرسول خير مايهدي الانسانيـة سبيل الحق والخير والجمال ، وما ينهض بها من درك أمسكتها المادية فيه عن السمو الى مراقي الروح حيث العيش أخاء ومحبة وحرص على العالم بما في الكون ، ليضيء العلم بنوره اخاءنا ومحبتنا ، ويزيدهما انسانية وسمواً ، ويصل بنا في ظلها الى حمى السلام .

لقد حالت الحوائل دون مسيري في أثر الرسول إلى الشام حيث ذهب صبياً ، وإلى خيبر حيث ذهب نبياً . فلعل الله يهيء لي من بعد أسبـاب هذا السير فأستكمل به غرضاً هو اليوم أجل أغراض الحيـــاة عندي ، وازداد به ايماناً وتثبيتا ، وانعم به في ظلال الحياة الروحية الوارفة وأبلغ من ذلك ماسعدت به من الرضا حين جاورت البيت الحرام وحين زرت قبر النبي عليه الصلاة والسلام .

« إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » .

★ المجلة : قد يكون في المقال بعض الهنات مع قيمتة التوجيهية الظاهرة .

الشعر

أنا بين (أحلامي) أطوفُ
ولي (خواطـــرُ) حائرهْ
نامت عيونُ (الساهرين)
لكنّ (عيني) ساهره !
كم بتُّ أرتقبُ السـما
أرعى — النجومَ الزاهرهْ —
وأرى = طيوفَ الليل == أو
ألفي = الأماني = عابره ! !

★ ★ ★

لا == الحلمُ ، أجدى والمنى
وانهـــا — بي غادرهْ
ماكنتُ أحسبُ أنهـا
الا — أتتي زائره — !!!
يامشهد == الشغف البرىء =
على — الزهور الناضرهْ —
الليل يشهـــد أنّهُ

يطوي = الأماني الساحره = !

★ ★ ★

الليلُ يكتمُ = سرّنا =

وَ = طيوفَنا ، وسرائرَهْ =

عجلانُ — يسدل حولنا —

في الظلّ منه = ستائره = ! !

★ ★ ★

الليلُ يحجبُ دائمـــاً

هذي = النفوسَ الثائرهْ =

وهو الذي — في كنفهِ —

الروحُ — تسري خاطره — !!!

★ ★ ★

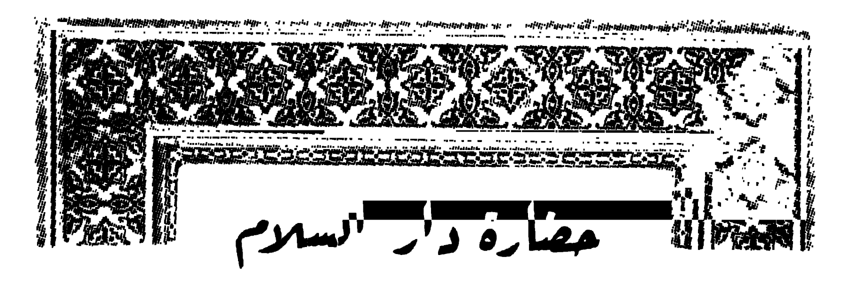
الليلُ = قبرُ الحالمينَ =

ذوي — الأماني الخاسرهْ —

فيه انطوتْ = أحلامُنا =

فيه = غدَتْ متناثره = !

شحيم (مزيد الخطيب)



حضارة الاسلام في دار السلام كتاب قصصي نفيس للأستاذ
جميل نخلة المدوّر طبع عام ١٣٢٣ ﻫ والمقال الطريف التالي
ـ لباب من ثمرات الكتب ـ جعل المؤلف تاريخ رسالته عام ١٥٦ ﻫ

قدومي الى العراق

أتيت مدينــــة السلام في السنة السادسة والخمسين بعد المائة من هجرة النبيّ ﷺ لأتخرّج في الفقه على لسان الشريعة يعقوب بن ابراهيم بن خنيس الأنصاري (١) وكان خليلا لأبي رحمه الله على صفاء بينهما لم يكن بين اثنين فركبت البحر من هرمز في ريح رخاء زجتْ مركبنا الى البحرين فأطراف العراق أهنأ تزجية فلما حاذينا الساحل مما يلي البصرة طلعت علينا ريح عاصف وانحدر بنا الموج الى منعرج في البر من البحر كله رمال ومهاوي ماء فبتنا ليلنا فيه على أشد مايكون من الخوف الى أن طلع الفجر فأقبلت علينا من صدر البحر سفينة حملتنا الى عبّادان وأرست بنا على مطلّ من خشبات تنتهي المراكب اليها ولا تتجاوزها خوفا

---

(١) هو أبو يوسف القاضي

من الجزر (١) لئلا تلحق بالارض وتغوص في الطين الذي يأتي دجلة به (٢) في انسيابه وهذا البحر في محاذاة العراق شديد على المسافرين ولا يحمد منه الا عمران سواحله بالناس لما فيها من مغاصات (٣) الدر والياقوت والعقيق والباديج وغير ذلك وهي باب واسع لطلاف الرزق وللغواصين عليها أخبار غريبة فيما سمعت حتى قيل انهم يشقون آذانهم للتنفس ويجعلون في آنافهم القطن ويصطنعون وجوها من الدبل كالمشاقيص ويدهنون أبدانهم بالسواد خوفاً من أن تبتلعهم دواب البحر ويصيحون عند الغوص مثل الكلاب لتنفيرها عنهم فاذا بلغوا القعر عصروا دهناً يضيء منه البحر ليروا الأصداف التي يتولد فيها اللؤلؤ وتكون مدفونة في أرض البحر رملا كانت أو طيناً. ومما يزعمون (٤) في هذا اللؤلؤ أن تولده من مطر نيسان اذ تكون الصدفة مفتوحة على وجه الماء فتقع عليها القطارات فتتربى فيها درراً رائقة الصفاء.

ولما أخذت نصيباً من الاستراحة انتقلت على سفين الى البصرة ونزلت بها في موضع (٥) يعرف بسكة بني سمرة بازاء دار الهيثم بن معاوية أميرها. وقد طاب لي فيها المقام بما وجدت من ائتناس أهلها الى الغريب حتى ينسى في جوارهم أهله (٦) بما يأنس عندهم من مظاهر الأنس والمودّة ووجدت لهم صبراً على طلب العلم يتخذون المكاتب (٧) لأولادهم وحلق العلم لأدبائهم وتشد اليهم رحال الطلاب من جميع الوجوه لأن لهم من الأدب المكان الذي لا يرقى غير أني لم أر فيهم الا وهن البنية سقيمها

(١) المسعودي ١ ★ ٥٠ (٢) تقويم البلدان ٣٠٩
(٣) ابن خرذاذبة ٦١ والمسعودي ١ ★ ٥٢ (٤) الدميري والقزويني والقرماني
(٥) ياقوت ١ ★ ٦٤٤ (٦) ابن بطوطة ٢ ★ ١٠ (٧) الابشيهي ١ ★ ١٧٧

وأصفر اللون كاسفه (١) وذلك ناشيء فيهم من عفونة الماء ووقوع إقليمهم في مهاب الرياح المختلفة التي تتبدل في اليوم الواحد ألواناً وضروباً فيجبرون على لبس القمصان مرة والمبطنات أخرى ولذلك سميت مدينتهم بالرعناء ، أنشد الفرزدق (٢) :

لولا أبو مالك المرجو نائله ما كانت البصرة الرعناء لي وطنا

ولقد لقيت فيها جماعة كثيرة من الأدباء مثل عبد الكريم بن أبي العوجاء والمؤرخ السدوسي الرواية والحسن بن هانيء الشاعر (٣) والنضر بن شميل تلميذ الخليل بن أحمد وواصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري لمخالفة في المذهب ثم سمي الناس ممن ذهب مذهبه بالمعتزلة (٤) لذلك وشهدت حلقة عتبة النحوي وأبي زيد الأنصاري ويونس النحوي وله أعظم (٥) حلقة في البصرة من حلق علمائها وسمعت الحديث عن سفيان بن شعبة الثوري وشعبة بن الحجاج العتكي غير أني ما اصطفيت منهم لمحادثات الأدب إلا الخليل بن أحمد لأني وجدته أوسعهم عقلا (٦) وأحضرهم رؤية لا يساميه في علو الخاطر إلا صالح بن عبد القدوس الشاعر ولكني تحاميت مجلسه لما يتهم به من الانحراف عن السنة (٧) وان كنت لا أبخس عقله حقه من التعظيم . وقد سمعت أنه يجهد نفسه في طلب الدنيا والتماس السعة منها ثم لا يحصل على القليل إلا بعد عصب الريق وفي قوله :

لو يُرزَقون الناسُ حسب عقولهم ألفيتَ أكثرَ من ترى يصدّق

---

(١) الأغاني ١٧ ★ ٧٨ (٢) ابن بطوطة ٢ ★ ١٦ (٣) هو أبو نواس ذكر الأغاني ٦ ★ ١٧٩ أنه كان مقيماً بالبصرة في صباه (٤) المستطرف ١ ★ ١٢٦ (٥) العقد ٣ ★ ١٣٧ (٦) ابن خلكان ١ ★ ٢١١ (٧) الأغاني ١٣ ★ ١٥٥

إشارة لما هو فيه وأن النعمة واقعة إلى غير أهلها بخلاف الخليل بن أحمد فانه متقلل من الدنيا راض منها باليسير والملوك تبذل له المال (١) ولا يقبل منها شيئاً مع مكانه من الحاجة اليه . وقد اشتهر فضله بين الناس بعلم العروض على دوائر خمسة تتجزأ منها الأبحر الخمسة عشر غير أن سموّه في العلم لا ينفرد بأدب الشعر وحده إذ له في اللغة كتاب سماه العين وأودعه من عيون العلم (٢) ماهو زينة وفخر لدولة الاسلام .

ذكر البصرة وأماكنها المشهورة

ولقد ظننت البصرةَ لاول وهلة أنها ليست بالمفرطة الكبر فلما طفت في ساحاتها ، وتجولت في أرباضها ومحلاتها ، بدا لي أنها متسعة البقعة كثيرة العمران ، قل أن يكون بها موضع غفلا من العمارة خلواً من السكان . ومبانيها غالباً من اللبن والطوب النيء إلا ماكان من المسجد الجامع فانه مبني بالصخر والجص على أتم إحكام وأبدع صناعة وأول من بناه عتبة بن غزوان أقامه من القصباء لأجل أن ينزعه متى شاء ثم يعيد إقامته فلما جاء أبو موسى الأشعري بناه باللبن وطلى جدرانه بالأصباغ . ثم جاء زياد فزاد فيه السقيفة التي في مقدم المسجد (٣) وحمل اليه العمدان المزخرفة من الأهواز ورفع جدرانه بالحجر والجص (٤) ثم لم تزل عناية الولاة به من بعده إلى أن تمت زينته وكثرت له الوقوف الواسعة . وفيه اليوم قاض يفرض النفقات ويحكم في مائتي درهم وعشرين ديناراً فما دونها (٥) تخفيفاً عن الدواوين التي تنظر فيما هو فوق ذلك من قضايا الناس .

---

(١) الشريشي ٢ ★ ٢٦٨ والابشيهي ١ ★ ١٦٨ (٢) المقدمة ٥٠٢ وابن خلكان ١ ★ ٢٤٣ (٣) الاغاني ١٧ ★ ٢٨ (٤) ياقوت ١ ★ ٦٤٢
(٥) الماوردي ١٢٣ .

ثم سرت من هذا الجامع إلى مسجد علي عليه السلام وإذا صحنه مفروش بالحصباء الحمراء وله أوقاف جزيلة مما أوقف له الفرس ومن يقول بخلافة أهل البيت وهم يجتمعون فيه ويتبركون بزاره كأن وعيد أبي جعفر لم يجد منهم نفوساً راجعة إلى غرضه فيما أوجد من الفرقة بين العلوية والعباسية . ووجدت في بعض مقاصيره مصحفاً عليه أثر دابغ مثل الدم الجاف يقال انه المصحف الذي كان يقرأ فيه عثمان حين قتل (١) وبعد أن قضيت زيارته المباركة تجولت في أسواق المدينة فرأيت التجارة فيها على أحسن ما يكون من الرواج ولا غرو فان هي إلا فرضة العراق والشام وخراسان وما اليها من البلدان العالية مما يكسبها حسن الموقع بحيث لا يصدر شيء من هذه البلدان ولا يرد اليها إلا من البصرة (٢) ولذلك استفحل فيها العمران وكثرت بها المصانع والصنائع إلى أن صارت واسطة العرب وقبة الاسلام .

ومما يذكر عن بنائها ما حدثني به الهيثم أميرها أن المسلمين افتقروا في صدر الدولة إلى منزل ينزلون به وإذا دهمهم عدو لجأوا اليه واعتصموا به فبعث عمر رضي الله عنه عتبة بن غزوان المقدم ذكره وأوعزوا اليه أن ارتد لنا موضعاً في جهة العراق قريباً من المرعى والماء والمحتطب فكتب له من البصرة اني وجدت أرضاً كثيرة القضة في طرف البر إلى الريف ودونها مناقع فيها ماء وفيها قصباء (٣) فكتب اليه عمر أن ينزلها بمن معه فوقع تمصيرها في السنة الخامسة عشرة من هجرة النبي ﷺ .

---

(١) ابن بطوطة ٢ ★ ١٠ (٢) المسعودي والقزويني

(٣) ياقوت وابن حوقل ١٥٩

ولما جلست الي الخليل العالم الأمثل ودار بيننا الحديث على أيام الناس الأوّل أخبرني ان البصرة انما اختطها العرب نكاية بالفرس لتحويل التجارة من سواحلهم اليها وذلك أنهم لما صالت منهم الأجناد واتسعت بين أيديهم أحبوا أن يبنوا هذه المدينة فرضة لجميع المشرق ففشت العمارة فيها ببرهة يسيرة حتى غصّت بالناس على مارحبت أرجاؤها . يقال انه كان فيها من مقاتلة العرب لأيام زياد ثمانون ألفاً (١) وأخبرني الهيثم أن أهلها يبلغون اليوم خمسمائة ألف من الرجال بدليل المال الذي فرقه فيهم أبو جعفر وكان ألف ألف درهم ما أصاب الرأس منهم الا درهمين (٢)

وتبعد البصرة عن عبادان حيث الشاطىء نحو ساعة زمانية وعندها تختلط مياه دجلة والفرات (٣) وتصب في البحر الملح بعد أن تفقد عذوبتها لأن المد يأتي الى مافوق البصرة بأميال فاذا امتزج به ماء دجلة صار ملحا (٤) ولقد يخال الرائي لأول وقوع المد أن البلاد صارت غديرا كما وقع لحمزة بن عبد الله أمير البصرة لعهد ابن الزبير وقد ركب يوما الى الفيض فقال ان هذا الغدير ان رفقوا به يكفهم صيفتهم هذه فلما كان بعد ذلك ركب اليه فوافقه جازرا فقال قد رأيته ذات يوم فظننت أن لن يكفيهم فقال له الأحنف بن قيس أيها الامير ان هذا الماءُ يأتينا ثم يغيض عنا ثم يعود فخجل حمزة وعاب عليه الشعراء ذلك في أبيات لهم يعرفها عامة الناس .

---

(١) ياقوت ١ ★ ٦٤٤ (٢) الشريشي ٢ ★ ٤٣٧ (٣) المقدمة ٥٥
(٤) القزويني والاصطخري والمسعودي .

ولقد تصفحت في البصرة كثيرا من قصورها المشرفة واستقريت أما كنها المشهورة بما وعيت عنها من الأنباء وأحسن مااستظرفت منها قصر لمحمد بن سليمان الهاشمي (١) وهو أوفر بني العباس مالا وأعطاهم لشاعر نوالا تغل ضياعه كل يوم مائة ألف درهم (٢) وقد بناه على بعض الأنهار واستفرغ في زينته جهده واتخذ في جنانه المهى والغزلان والنعام وأنواع السباع والطيور المغردة فجمع فيه محاسن الحضارة والبداوة وفيه يقول الشعراء :

زر واديَ القصر نعم القصر والوادي في منزل حاضر ان شئت أو بادي

ترقى به السفن والظلمان حاضرة والضب والنون والملاّح والحادي

الى آخر الأبيات .

وأما القصور التي بقيت بعد أربابها فانها لكثيرة في البصرة شاهدت منها قصراً لأوس بن ثعلبة (٣) الذي ولي العراق وخراسان في دولة الامويين وهو قريب من المربد (٤) وعليه قباب مرفوعة يغص الجوّ بها صعودا ومن حوله خمائل رائقة كأنّ الأيام تزيدها جدة ونضارة . وتلبسها من الخضرة حلة معطارة . ولله ابن أبي عيينة حيث يقول في وصفها هذه الأبيات :

بغرس كأبكار الجواري وتربة كأن ثراها ماء ورد على مسك

يذكرني الفردوس طوراً فأرعوي وطورا يواتيني الى القصف والهتك

وسرب من الغزلان يلعبن حوله كما استلّ منظوم من الدرّ من سلك

---

(١) ياقوت (٢) المسعودي (٣) الاغاني ٣ ★ ٣٦ وياقوت

(٤) الاغاني ١٣ ★ ١٠

وورقاء تحكي الموصليَّ اذا غدت بتغريدها أحبب بها وبمن تحكى
فياطيب ذاك القصر قصراً ونزهة بأفيح سهل غير وعر ولا ضنك

وشاهدت قصر الاحنف بن قيس (١) المقدم ذكره في رحبة المنجاب (٢) وداراً لأنس بن مالك (٣) خادم النبي ﷺ وايواناً للزبير ابن العوام (٤) تنزله التجار وأرباب الأموال وأصحاب الجهات من البحرين وغيرهم وآخر لعبيد الله بن زياد يسمى البيضاء (٥) وهو بمقربة من الموضع الذي خطب فيه أبوه خطبته البتراء (٦) التي أخذت بقلوب البصريين وقد تداعت جدرانه فلم يبق منه الا أثر دراس ورسم شاخص .

العرب البادية وتضامن أخبارهم :

واقد أتيت مربد البصرة عن طريق المهالبة (٧) فسكة الحديد (٨) فاذا هو ساحة كبيرة تنوخ فيها الجمال . وتحطّ بها الرحال . وتعلق فيها الأشعار التي يتناشدها العربان في أيام من الشهر معلومة ... الخ وأكرم ماوجدت فيهم من المحامد الموصوفة الكرم والسماحة حتى انهم ليضيفون نزلاءهم ضيافة يوجبونها على أنفسهم . . . الخ .

ومن زعم أن حاتماً الطائي أكرم العرب فقد ظلمهم جميعاً . وظني بأخذهم في هذه الضيافة الواجبة أنه أمر طبيعي عندهم . . . الخ .

---

(١) الاغاني ١٧ ★ ٥٦ (٢) محلة ذكرها الأغاني ١٢ ★ ٦٣
(٣) ياقوت ٤ ★ ١٠٩ (٤) المقدمة ١٧٨ والمسعودي ١ ★ ٣٣٣
(٥) القزويني ٢٠٦ (٦) سميت بذلك لأنه لم يفتحها بالحمد لله والثناء عليه
(٧) الاتليدي ١٠٧ (٨) الأغاني ١٢ ★ ٦٤



قادة فتح الشام : صدر هذا الكتاب النفيس عن (دار الفتح) للنشر في بيروت لمؤلفه اللواء الركن محمود شيت خطاب عضو المجمع العلمي العراقي.

وقع الكتاب في ٣٥٨ صفحة ، تلاها من ٣٢٩ ثبت المصادر والتصويبات والفهارس : للأعلام والأماكن والقبائل والملل والأعلام الذين وردت لهم ترجمة مختصرة في الهامش) والقادة وسيرهم في كتب قادة الفتح الاسلامي ، والخرائط ، والموضوعات وآثار المؤلف من كتب ومقالات .

إنه الكتاب الثالث من سلسلة (قادة الفتح الاسلامي) الميامين الذين حملوا أنوار الاسلام إلى الشرق والغرب ، انه الكتاب الذي يعرض سيرة أبطالنا الذين هدوا الضلال والطغيان المحتميين بسلطان الرومان في بلاد الشام (ومنها لبنان وشرقي الأردن وفلسطين) ومصر إنه وثائق وبحوث ، ونتائج وتوجيه. من سديد توجيه المؤلف قوله ص ٣٥١ بعد اشارته الى عناصر القوة في الاسلام وطاقاته التي لا تنضب :

(إن الاسلام كفاح لا يهدأ ، وجهاد لا ينقطع ، واستشهاد في سبيل الحق والعدل والمساواة ، فهو يبدأ في حتمية الفرد وينتهي في محيط الجماعة وهذا هو سر خلوده ! مادة وروح ، يسيطر عليه روح الحق الذي هو محل للعبادة وثكنة للجهاد ومدرسة للعلم ..) الى أن يقول بعد الاشارة الى الوحدة العربية والوحدة الاسلامية :

(إن الاسلام صخرة صلدة عاتية ، والذي يحاول تحطيمه برأســه أو بأفكاره أو بادعاءاته ، لن يفعل شيئا اكثر من ان تبقى الصخرة صامدة ولا يتحطم غير رأسه أو أفكاره أو ادعاءاته ! ولكن لمصلحة من نحاول إبعاد الاسلام عن ميدان التنظيم العقائدي ، ولولاه لما كان للعرب محمد ولا تاريخ ..! وأي معنى للعرب بدون اسلام ؟!) .

لقد بحث المؤلف ، وضع الروم ، ثم أرخ للأبطال : اسامة ، أبي عبيدة ، عكرمة، يزيد بن أبي سفيان ، سفيان بن مجيب ، شرحبيل عمرو، أبي أمامة الباهلي ، أبي الأعور السلمي ، معاوية ، الزبير ، عبد الله بن حذافة ، خارجة بن حذافة ، عمير بن وهب ، عقبة بن عامر ، عبــادة ابن الصامت . وجعل خاتمة ثمينة لكتابه : أثر الاسلام في العرب ، فجزاه الله الجزاء الأوفى .

● أبو موسى الأشعري : في ٨٠ صفحة من القطع العادي ، أصله مقال للواء الركن محمود شيت خطاب نشر في مجلة كلية الشريعة ببغداد في عددها الأول من عام ٩٦٥ ، ثم أفرد هذا المقال الثمين الجامع في هذه الرسالة التي جمعت مايلي : مع النبي ﷺ جهاده . الانسان . القائد . أبو موسى في التاريخ .

ومن قول المؤلف المفضال تحت هذا العنوان :

يذكر التاريخ لأبي موسى كثيراً من المآثر الخالدة ..

يذكره قائداً فاتحاً ضم الى البلاد الاسلامية مناطق واسعة جداً (فتح الأهواز ، والسوس ، وأصبهان ، والدينور ، وما سبذان ، وقم ، وقاشان) ونشر للاسلام بين أهلها . . . الخ .

(العظمة)

في المجتمع

حول فلسطين : ارسلت الهيئة العليا لفلسطين مذكرة الى وزراء الخارجية في الدول العربية حول صفقة الطائرات النفاثة القاذفة للقنابل التي زودت بها الولايات المتحدة الأميركية الصهيونيين في فلسطين المحتلة . وقد جاء في هذه المذكرة ان المساعدات العسكرية الضخمة التي تقدمها الولايات المتحدة للصهيونيين لا يمكن تفسيرها الا بالرغبة في تدمير مستقبل الأمة العربية . وهو اتجاه يضع الأمة العربية امام الخطر الداهم ويفرض عليها ان تجيل النظر في حقيقة مواقفها واوضاعها وتسلك السبيل التي تؤدي الى سلامة كيانها . ودعت الهيئة في مذكرتها الدول العربية الى وضع خطة محكمة لمواجهة تحدي الدول الاستعمارية وضرورة معاملتها على اساس مواقفها من قضية فلسطين ، والى اتخاذ الاجراءات السياسية والاقتصادية التي تفرضها خطورة الموقف .

● **مصرف للعقول** : اقترحت الرابطة الدولية للجامعات في مؤتمرها الذي عقد اخيرا في طوكيو انشاء « بنك للعقول » يمد المعاهد العليا في الدول النامية بأساتذة جامعيين . وشدد المؤتمر على الحاجة لتوفير المساعدة الثقافية لهذه الدول عن طريق تدريب الأساتذة المهرة . هذا وقد انتخب المؤتمر العلم قسطنطين زريق ـ استاذ شرف في الجامعة الأميركية في بيروت ـ رئيسا له .(الأخبار)

● **السياحة** : تسير السياحة بخطى حثيثة لتثبت مكانتها كاحدى الصناعات المتطورة في الولايات المتحدة . ويقول ماكس ادواردز ، مساعد وزير الداخلية ، ان المبالغ التي ينفقها المستهلك في هذا المجال اصبحت الآن تزيد على الـ ٥٠ الف مليون سنويا . اما المبالغ التي تفوق هذا المبلغ فهي تلك التي تنفق في مجالي الصناعة والزراعة . واضاف قائلا : « لقد بدأنا الآن فقط نرضي القابلية الأمريكية المتعطشة للتسهيلات السياحية » . (الأخبار)

● **مسجد في ميونيخ** : يُعمد في ميونيخ على انشاء مسجد ضخم يفي بالحاجة ، تبلغ تكاليف بنائه مليون مارك ألماني تم جمعها من التبرعات التي قدمها المسلمون في بلدان الشرق الأوسط وشمالي افريقيا .

وتبلغ مساحة المسجد ١٥٠ مترا مربعا وارتفاع مئذنته ٣٣ مترا ، وستلحق به مكتبة ومسكن لاقامة ٢٨ طالبا .

والجدير بالذكر أنه يوجد في ميونيخ ٧٢ ألف مسلم .(الدعوة)

● **الأدب المعاصر والفصاحة** : من حديث للأديب الشاعر الشهير أمين نخلة نشرته المعرفة ، في عدد كانون الثاني ١٩٦٦ بمناسبة حصوله على جائزة رئيس جمهورية لبنان التقديرية خلال مهرجان الكتب الذي أقامته رابطة أصدقاء الكتاب :

● ان الأدب المعاصر على العموم في تراجع عن الفصاحة العربية ، والتفات كثير الى آداب الأجانب وتقليد لأذواقهم . ويارب شعر أو كتابة أطالعها فكأني أطالع مثلاً شعراً لشاعر فرنسي ، أو كتابة لكاتب روسي . . لهم الله ! يلبسون ثياب الناس وهي غير مفصلة على قدهم ، واين روح لغتهم ،ولكل لغة روح ، واين ذوق بني قومهم ولكل قوم ذوق !

● وقال بمناسبة جمال الديباجة وقوة المعنى : (أما القرآن وبلاغته وطرب الفصاحة في فرائده وجمله فمن ولوعي بذلك حدّث ولا حرج !)

● **الصيد بالصقور** : يدعو الخبراء صيد الصقور ، أنبل أنواع القنص . لأن الصقر يترك الفرصة دائما للفريسة ، ويحاربه كما نقول محاربة رجل لرجل . وما زال الكثيرون من هواة الصيد في المانيا يستخدمون الصقور في القنص ، ويهتمون بتربيتها ورعايتها .

● **افتراءات مجلة (شتيرن) الالمانية** : جاءنا من ادارة الشؤون الاسلامية في وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، تعريب لما نشرته (شتيرن) في عددها ٤٩ في ٩٦٥/١٢/٥ من افتراءات وأكاذيب عن المرأة في الاسلام ، للاطلاع ، واتخاذ ماينبغي ، ونحن نورد الافتراءات حسب تسلل ورودها في المقال المسموم الذي حدت اليه الأحقاد الصهيونية والتبشيرية المضللة ، قالت :

١ — ان اكثر من نصف سكان العالم الاسلامي — تعني النساء — يعشن كالعبيد .

٢ — كل رجل يستطيع ان يتزوج اربعاً من النساء وان يمتلك ماشاء من الجواري .

٣ — على المرأة ألاّ تري وجهها إلا لزوجها .

٤ — المرأة محملة بالذنوب حقيرة الشأن .

٥ — عقلها أقل من عقل الرجل .

٦ — شهادتها أمام القضاء نصف شهادة الرجل .

٧ — تفرض عليها الصلاة ولا تزور المساجد ، حسبها ان تعبد الرجل وهو الصلة بينها وبين ربها .

٨ — دنسها كوسخ الكلاب والخنازير ، ولا يسمح للرجل أن يلمسها، فاذا ماأضطر للمسها فعليه أن يتطهر أو يغسل نفسه .

٩ — علماء المسلمين (كعلماء الأزهر) كأصحاب آراء القرون الوسطى .

١٠ — لايجوز منح دم لانقاذ حياة مفكر حر (تعني لا يؤمن بالله) .

١١ — لا يكفي تفكير المرأة لتتولى أعباء وظيفة عامة ، ولذلك تطورت الحال وصار الواقع خلاف ذلك .

١٢ — قامت ثورة العلماء في طهران حينما منحت المرأة حق التصويت .

١٣ — وقف العلماء في مصر الى جانب ختان النساء بعد أن قررت الحكومة منع ذلك .

١٤ — الحاكم الوحيد الذي تصدى لمقاومة العلماء هو حبيب بورقيبة، فقد منع : تعدد الزوجات ، ومنع علف النساء بالمكرونة لئلا يسمنّ ، وحجزهن في غرف مظلمة (بحجة تبييض جلدهن واستدارة أطرافهن) .

١٥ — المغاربة لا يعرفون وجه ملكتهم مع ان زوجها ملك شاب معروف .

١٦ — الجمعيات النسائية تكافح المتعصبين منذ عشرات السنين للحصول على حقوق المرأة ... ففتح المسؤولون للمرأة أبواب العمل في المدن على مصراعيها وجعلوا الزواج من واحدة هو الشائع في الطبقات الوسطى،ولكنْ صوت النساء في الريف غير مسموع .

١٥ — روت محاولات قتل نساء ، قتلاً فعلياً بسبب الحب .

١٦ — تمزيق العروس (العريس) بيده غشاء بكارة زوجته أمام نساء العائلة ، وخروج الزوجة بعدُ متلوية باكيةً تحمل ملاءة السرير

بنشوة المنتصر الى الضيوف المنتظرين للبرهنة على شرف العائلة ..

١٧ ـ الشباب المكبوت قبل ذلك وما إلى ذلك .

١٨ ـ استعباد المرابين الناس رغم تحريم القرآن الربا .

١٩ ـ تعاطي الحشيش في بعض البلاد للتوفق في العمل الجنسي بسبب ختان البنات .

٢٠ ـ شكوى امرأة المانية من غيرة زوجها المسلم .

٢١ ـ صور لنساء مسلمات تقويةً لبعض المفتريات المتقدمة .

وإذ كان معظم هذه الافتراءات أو الأقوال المجهولة القصد تتعلق بالمرأة ، فحسبنا التذكير بأن الاسلام رفع منزلتها في زمن الهجوم على كرامتها وحقوقها من كل جانب ، وفي القرآن الكريم : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » هكذا بلا تفريق .

وفي الحديث الشريف « إنما النساء شقائق الرجال » وتبعاً لذلك يحكم بإخائها ومساواتها مما لم تبلغه شريعة ولا قانون .

يمكن الرجوع لتفصيل ذلك الى بعض الكتب التي طرقت موضوع المرأة في الاسلام ككتاب المرأة بين البيت والمجتمع ، للأستاذ البهي الخولي .

ايضاح حول تسمية مشتركة :

سأل أحد السادة المشتركين بمناسبة مانشر في الصفحة ٨٥٣ من باب في كل شيء من الأجزاء ٣٧ ـ ٤٠ بعنوان : الأصول والفروع نقلاً عن كتاب صيد الخاطر :

سأل كيف روى أبو بكر الصديق نبأ في زمن العباسيين ؟

الجواب : أبو بكر هذا ليس الخليفة الراشد (رض) ، والمسلمون يلقبون بأبي بكر الصديق كما يلقبون ويسمّون بغيره ..

الفتـــاوى

● تحريم الصلح مع اسرائيل : جاءنا من الأستاذ حسني كنعان مايلي :

ألف صديقنا المرحوم عمر الطيبي الكاتب الاسلامي الغيور الذي كان جندياً مجهولا يجاهد في سبيل القضايا الاسلامية والعربية كتاباً هاماً بعنوان : الاسلام لايجيز الصلح مع اسرائيل ولا التعاون والتحالف مع من يؤيدها) يقع الكتاب في أربع وتسعين صفحة ، جمع فيه ماصدر عن علماء المسلمين في أقطارهم كافة من فتاوى تحرم الصلح مع اسرائيل الغاصبة المتجنية على فلسطيننا العزيزة المقدسة .

وبمناسبة الضجة التي أحدثها سابقاً بيان أحد رؤساء العرب المسؤولين القائل بوجوب التفاهم مع اسرائيل ، وموجة الاستنكار الشاملة لهذا البيان التي ظهرت من الدول العربية كرد فعل ، بدا لنا أن ننشر بعض هذه الفتاوى ليطلع عليها الرأي العالمي الاسلامي ، ويتجنب الانزلاق ، في إجابة نداء ذلك الرئيس ودعاة الخيانة المرجفين ، بديل العمل الحثيث على استرداد الأرض المقدسة السليبة أولى القبلتين ، وطرد الغاصب المتجنى وتسليمها إلى أهلها .

وهذه الفتاوى قسمت الى فصول سبعة ، كل فصل يحوي فتـاوى عديدة تكفر جميعها من يداهن اسرائيل ويهدف الى الصلح معها ولا يبتعد عن الدول المؤازرة لها والمدافعة عن باطلها .

ولكي يعلم القارىء شيئاً من خطورة هذه الفتاوى ويثق بها نذكر له بالاختصار مناصب السادة العلماء أصحابها :

فالفتوى الأولى لمشيخة الأزهر ، ويليها فتوى كبير علماء تركستان ، و فتوى مفتي الأردن ، وفتوى علماء المغرب ، وباكستان ، وغيرهم من العلماء المشهورين المعترف لهم بالفضل في دنيا الاسلام والعروبة .

وهناك في الكتاب فتاوى خاصة من عدة علماء جميعها على نمط واحد في تكفير القائل بالصلح مع إسرائيل .

وإذ كانت فتوى مشيخة الأزهر هي في طليعة الفتاوى وصادرة عن جهابذة العلماء الأزهريين ، رأينا أن نكتفي بنقلها هنا لما لها من الأهمية وهي تغني بما استندت اليـه من آيات وأحاديث عن بقيـة الفتاوى وهذا نصها :

لايجوز الصلح مع اسرائيل :

اجتمعت لجنة الفتوى بالجامع الأزهر في يوم الأحد ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٧٥ الموافق (أول يناير سنة ١٩٥٦) برئاسة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف عضو جماعة كبار العلماء ومفتي الديار المصرية سابقاً وعضوية السادة أصحاب الفضيـلة الشيخ عيسى منون عضو جماعة كبار العلماء ، وشيخ كلية الشريعة سابقاً (الشافعي المذهب) والشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء (الحنفي المذهب) والشيخ محمد الطنيخي عضو جماعة كبار العلماء ومدير الوعظ والارشاد (المالكي المذهب) والشيخ محمد عبد اللطيف السبكي عضو جماعـة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر (الحنبلي المذهب) وبحضور الشيخ زكريا البري أمين الفتوى ونظرت في الاستفتاء الآتي وأصدرت فتواها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابة أجمعين .

أما بعد فقد اطلعت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف على الاستفتاء المقدم اليها عن حكم الشريعة الاسلامية في إبرام الصلح مع اسرائيل التي اغتصبت فلسطين من أهلها ، وأخرجتهم من ديارهم ، وشردتهم نساء وأطفالاً وشيباً وشباناً في آفاق الأرض ، واستلبت أموالهم واقترفت افظع الآثام في أماكن العبادة والآثار والمشاهد الاسلامية المقدسة وعن حكم التودد والتعاون مع دول الاستعمار التي ناصرتها وتناصرها في هذا العدوان الأثيم وأمدتها بالعون السياسي والمادي لاقامتها دولة يهودية في هذا العصر الاسلامي بين دول الاسلام وعن حكم الأحلاف التي تدعو اليها دول الاستعمار (يعنون حينئذ حلف بغداد) والتي من مراميها تمكين إسرائيل من البقاء في أرض فلسطين لتنفيذ السياسة الاستعمارية ، وعن واجب المسلمين حيال فلسطين وردها إلى أهلها ، وحيال المشروعات التي تحاول إسرائيل ومن ورائها الدول الاستعمارية ان توسع بها رقعتها وتستجلب بها المهاجرين اليها ، وفي ذلك تركيز لكيانها وتقوية لسلطانها ، مما يضيق الخناق على جيرانها ويزيدها في تهديدها لهم ويهيىء للقضاء عليهم .

وتفيد اللجنة ان الصلح مع اسرائيل - كما يريد الداعون إليه - لايجوز شرعاً لما فيه من اقرار الغاصب على الاستمرار في غصبه ، والاعتراف بحقية يده على مااغتصبه وتمكين المعتدي من البقاء على عدوانه . وقد اجمعت الشرائع السماوية والوضعية على حرمة الغصب ووجوب رد المغصوب الى أهله وحث صاحب الحق على الدفاع والمطالبة بحقه . ففي الحديث الشريف

من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون عرضـه فهو شهيد) وفي حديث آخر (على اليد ما أخـذت حتى ترد) فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا أراضي فلسطين ، واعتدوا فيها على أهلها وعلى أموالهم ، على أي وجه يمكّن اليهود من البقاء كدولة في هذه البلاد الاسلامية المقدسة .

بل يجب عليهم أن يتعاونوا جميعاً على اختلاف السنتهم وألوانهم وأجناسهم لرد هذه البلاد الى أهلها ، وصيانة المسجد الأقصى مهبط الوحي ومصلى الأنبياء الذي بارك الله حوله ، وصيانة الآثار والمشـاهد الاسلامية ، من أيدي هؤلاء الغاصبين ، وان يعينوا المجاهدين بالسلاح وسائر القوى على الجهاد في هذا السبيل ، وان يبذلوا كل مايستطيعون ، حتى تطهر البلاد من آثار هؤلاء الطغاة المعتدين ، قال تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » ومن قصر في ذلك ، او فرّط فيه أو خذل المسلمين عنه ، او دعـا الى مامن شأنه تفريق الكلمة وتشتيت الشمل والتمكين لدول الاستعمار من تنفيذ خططهم ضد العرب والاسلام وضد هذا القطر العربي الاسلامي — فهو في حكم الاسلام — مفـارق جماعة المسلمين ومقترف أعظم الآثام ، كيف ويعلم الناس جميعاً أن اليهود يكيدون للاسلام وأهله وديارهم أشد الكيد منذ عهد الرسالة الى الآن !! وأنهم يعتزمون ان لا يقفوا عند حد الاعتداء على فلسطين والمسجد الأقصى ، وإنما تمتد خططهم المدبرة الى امتلاك البلاد الاسلامية الواقعة بين نهري النيل والفرات ، وإذا كان المسلمون جميعا — في الوضع الاسـلامي — وحدة لاتتجزأ بالنسبة إلى الدفاع عن الاســـلام فان الواجب شرعاً أن تجتمع كلمتهم لدرء هذا

الخطر والدفاع عن البلاد واستنقاذها من أيدي الغاصبين ، قال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » وقال تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » . وقال تعالى : « الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الظالمون فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا » .

وأما التعاون مع الدولة التي تشد أزر هذه الفئة الباغية ، وتمدها بالمال والعتاد ، وتمكن لها في هذه الديار ، فهو غير جائز شرعاً ، لما فيه من الاعانة لها على هذ البغي والمناصرة لها في موقفها العدائي ضدالاسلام ودياره، قال تعالى : « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » وقال تعالى : « لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » .

وقد جمع الله سبحانه في آية واحدة جميع مايتخيله الانسان من واقع الحرص على قراباته وصلاته وعلى تجارته التي يخشى كسادها بمقاطعة الأعداء وحذر المؤمنين من التأثر بشيء من ذلك واتخاذه سبباً لموالاتهم ، فقال تعالى : « قل إن كان آباؤكم وابناؤكم وإخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم

من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين ».

ولا ريب أن مظاهرة الأعداء وموادتهم يستوي فيها امدادهم بما يقوي جانبهم ويثبت أقدامهم بالرأي والفكرة وبالسلاح والقوة ، سرا وعلانية ، مباشرة وغير مباشره ، وكل ذلك مما يحرم على المسلم مهما تخيل من أعذار ومبررات .

ومن ذلك يعلم أن هذه الاحلاف التي تدعو لها الدول الاستعمارية وتعمل جاهدة لعقدها بين الدول الاسلامية ابتغاء الفتنة وتفريق الكلمة ، والتمكين لها في البلاد الاسلامية ، والمضي في تنفيذ سياستها حيال شعوبها لايجوز لأية دولة اسلامية أن تستجيب لها وتشترك فيها ، لما في ذلك من الخطر العظيم على البلاد الاسلامية ، وبخاصة فلسطين الشهيرة التي سلمتها هذه الدول الاستعمارية الى الصهيونية الباغية نكاية في الاسلام وأهله وسعيا لايجاد دولة لها وسط البلاد الاسلامية ، لتآزر تكأة لها في تنفيذ مآربها الاستعمارية الضارة بالمسلمين في أنفسهم وأموالهم وديارهم ، وهو في الوقت نفسه من أقوى مظاهر الموالاة المنهي عنها شرعاً والتي قال الله فيها : « ومن يتولّهم منكم فانه منهم » وقد أشار القرآن الكريم الى أن موالاة الاعداء إنما تنشأ عن مرض في القلوب يدفع أصحابا الى هذه الترلة التي تطهر بموالاة الاعداء . فقال تعالى : « فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ماأسرّوا في أنفسهم نادمين ».

وكذلك يحرم الله شرعاً على المسلمين أن يمكنوا إسرائيل - ومن ورائها الدول الاستعمارية التي كفلت لها الحمايه والبقاء - من تنفيذ المشروعات

التي لايراد بها إلا ازدهار دولة اليهود وبقاؤها في رغد من العيش وخصوبة في الأرض ، التي تعيش كدولة تناوىء العرب والاسلام في أعز دياره ، وتفسد في البلاد أشد الفساد وتكيد للمسلمين في أقطارهم . ويجب على المسلمين ان يحولوا دون تنفيذها ويقفوا صفاً واحداً في الدفاع عن حوزة الاسلام، وفي إحباط هذه المؤامرات الخبيثة التي من أولاها هذه المشروعات الضارة . ومن قصر في ذلك أو ساعد على تنفيذها أو وقف موقفاً سلبياً منها فقد ارتكب اثما عظيما.

وعلى المسلمين أن ينهجوا نهج الرسول عليه السلام ويقتدوا به وهو القدوة الحسنة في موقفه من أهل مكة وطغيانهم بعد أن أخرجوه ومعه أصحابه رضوان الله عليهم من ديارهم وحالوا بينهم وبين أموالهم وإقامة شعائرهم ودنسوا البيت الحرام بعبادة الأوثان والأصنام . وقد أمره الله تعالى أنَ يعدّ العدة لانقاذ حرمه من أيدي المعتدين وان يضيق عليهم سبل الحياة التي بها يستظهرون فأخذ عليه الصلاة والسلام يضيق عليهم في اقتصادياتهم التي عليها يعتمدون حتى نشبت بينه وبينهم الحروب واستمرت رحى القتال بين جيش الهدى وجيوش الضلال حتى أتم الله عليه النعمة وفتح على يديه مكة وقد كانت معقل المشركين ، فأنقذ المستضعفين من النساء والرجال والولدان وطهر بيت الله الحرام من رجس الأوثان وقلم أظافر الشرك والطغيان. وما أشبه الاعتداء بالاعتداء مع فارق لابد من إذاعته وهو أن مكة كان بلدا مشتركا بين المؤمنين والمشركين ووطنا لهم أجمعين . بخلاف فلسطين فانها ملك للمسلمين وليس لليهود فيها حكم ولا دولة ومع ذلك أبى الله تعالى إلا أن يظهر في مكة الحق ويخذل الباطل ويردها الى المؤمنين ويقمع الشرك فيها والمشركين فأمر سبحانه وتعالي نبيه بقتال المعتدين ، قال تعالى :

« واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم » والله نبه المسلمين في رد الاعتداء بقوله : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » .

ومن مبادىء الاسلام محاربة كل منكر يضر العباد والبـــلاد وإذا كانت إزالته واجبة في كل حال فهي في حالة هذا العدوان أوجب وألزم ، فان هؤلاء المعتدين لم يقف اعتداؤهم عنـد اخراج المسلمين من ديارهم وسلب أموالهم وتشريدهم في البـــلاد فحسب بل تجاوز ذلك إلى أمور تقدسها الأديان السماوية كلها وهي احترام المساجد وأماكن العبادة وقدجاء بذلك قوله تعالى : « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين. لهم فيالدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم » اه .

★ ★ ★

قال الأستاذ كنعان : فهذه هي الفتوى التي اخترناها من كتاب المرحوم عمر الطيبي المدونة بين الفتاوى الكثيرة التي تحرم الصلح مع اسرائيل والمداهنة مع الدول المساندة لها ، رأينا أن ننشرها في هذه المجلة الاسلامية ليعلمالمسلمون ماهو العقاب الالهي العظيم الذي ينتظر من تحدثه نفسه من العرب باجراء صلح مع تلك العصابة الغاصبة .

وان شأن تلك العصابة شأن لصوص اقتحموا منزلاً من المنازل وسرقوا جميع محتوياته وتوسلوا بالوسائل العديدة لاجراء الصلح مع صاحبه ونسيانالسرقة وغض النظر عما لحقه من الأذى بفقد أمواله ومتاعه . فان نحن أجزناهذا الصلح مع الغاصب نكن كالذي اعترف للص بشرعية هذه السرقة ، وهذا لن يكون مادام في الأمة الاسلامية عزة وكرامة .

● نداء عمر بن الخطاب (رض) سارية ..

ج : سألت عن حقيقة نداء عمر بن الخطاب (رض) سارية، واليك هو كما في (أخبار عمر) للأستاذ علي الطنطاوي (ص ٤٥١) نقلا عن (تهذيب الأسماء واللغات) ٢ : ١٠ وأسد الغابة ٤ : ٦٥ وتاريخ الخلفاء ٤٩

كان يخطب يوم الجمعة بالمدينة فقال في (خطبته : ياسارية بن حصن ! الجبل الجبل ، من استرعى الذئب ظلم .

فالتفت الناس بعضهم الى بعض فلم يفهموا مراده .

فلما قضى صلاته قال له علي : ماهذا الذي قلته ؟

قال : وسمعته ؟

قال : نعم ، أنا وكل من في المسجد .

قال : وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا وركبوا أكتافهم وأنهم يمرون بجبل ، فان عدلوا إليه قاتلوا من وجدوه وظفروا ، وإن جاوزوه هلكوا ، فخرج مني هذا الكلام .

فجاء البشير بعد شهر ، فذكر أنهم سمعوا في ذلك اليوم وتلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتاً يشبه صوت عمر بقوله : ياسارية بن حصن الجبل الجبل ، فعدلنا إليه ففتح الله علينا . اه وهذه كما يبدو كرامة لعمر رضي الله عنه فيها إلهام إلهي صادق وفيها إبلاغ عنه ، وهذا غير الغيب الذي عناه الله تعالى بقوله (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول ...) الجن ، ٢٦ و ٢٧ اذ يظهر الله رسوله على بعض الغيوب المتعلقة برسالته !

ولعلنا نزيد هذه القضية شرحاً حين وصولنا في تفسير سورة لقمان الذي ننشره في المجلة الى الآية الأخيرة منها « إن الله عنده علم الساعة ...»

طرفة

للأستاذ حسني كنعان

● قصتي اليوم للطرفة والمتعة لا للثقافة والتوجيه ،وقد يكون فيها شيء من أسرار الصناعة القصصية .

مررت بالأمس بقنطرة باب توما التاريخية لحاجة عارضة ... فوجدت معالمها قد تغيرت وقام حولها البناء من كل جهة ، وبقيت وجوها معلقة بين قوسين أثريين ...

فخطر ببالي حادث طريف وقع في هذا المكان قبل أربعين عاماً ، وكنت عزباً أقطن هذا الحي عند اسرة نصرانية عفّة ، وكان يقيم تحت القنطرة حلاق لا يتجاوز طوله الذراع والربع ، وعرضه يساوي نصف طوله ، اسبل شاربيه فنهما ورفعهما الى اعلى الصدغين حتى قاربا شحمتي أذنيه ، حشا برجليه جزمة طويلة غمرت القدمين الى أعلى الفخذين ، تزنر بشالة من الحرير الشامي لف بها وسطه من الثديين الى ماتحت السرة ، له عينان تبرقان بمحجريها بريقا يشبه بريق عيني النسر الأشهب ...

ينبئك مظهره أنه من رجالات عجائب الف ليلة وليلة جلس على كرسي تحت القنطرة وامامه (طاولة) نثر فوقها هنوات حلاقته من ماكينة وموسى

ومقرض ، وتحت الطاولة وضع سطل ماء وفي جانبه صابونة ومنشفة ومرآة قديمة العهد منقوشة بفضلات الذباب ، وعلق فوق رأسه قطعة جاء فيها هنا مكان الحلاق ... (حلاق الفنطرة) يستقبل زبائنه بهذه الفجوة، واكثر زبائنه من القرويين من الغوطة . وكانت داري على مقربة منه ، وكلما مررت من أمامه يصبحني ويمسيني ويدعوني للحلاقة عنده ، فأشكره وامضي بطريقي دون ان اقيم له وزناً ، وكان يبالغ بتحيتي ليوقعني بحبائله ، ولما طال وعدي له بالحلاقه عنده ويئس من الوفاء قبض علي يوماً ورجا مني ان اجبر خاطره ولو مرة واحدة فأقصّ شعري وأحلق لحيتي بزاويته ، فخجلت منه وأسلست قيادي له وجلست أمامه على الكرسي استقبل عملية الحلاقة كما يستقبل المحكوم بالاعدام (حبل المشنقة) .

فبرقت اسارير وجهه وسر سروراً عظيما بالنزول على ارادته واهتم بي اهتماماً أخجلني آملاً ان اكون داعية له اذ لاحلاق بدمشق ارخص منه ثمناً ، يحلق الذقن والرأس (بأبي الخمسين) فملق المنشفة على صدري واخذ يجاملني بقوله انه لشرف عظيم لي أن أخدمك هذا اليوم ، وكانت المنشفة المعلقة على عنقي شبيهة بتقرير الاعدام على عنق المجرم ، فقلت :

— ياأبا ... هذه منشفة قذرة ، قد علاها الوسخ والغبار وزرقات الذباب ، الا يوجد لديك غيرها ؟

— قال عجيب امرك ياافندي قد وضعت هذه المنشفة على صدر تسعين زبوناً ، ولم يعترض أحد منهم مثل اعتراضك ! فسكت ولم أحر جواباً ...

وبعد ان استقرّ بي المقام على الكرسي قبض على الماكينة بيده وهوى بها يجرها على رأسي فكشط جلدة منــــه فصحت وأمسكت يده

فقال عجيب امرك ياافندي ألا يوجد عندك صبر وجلد ، فان الكثيرين من زبائني يسيل الدم من رؤوسهم ، وما رأيت منهم أحداً تألم مثل تألمك ...

نرجو منه برفق أن يحلق شعري بالمقص دون الماكينة ففعل ، وكان مقصه أشبه بالجلم الذي تجز فيه أصواف الأغنام والجمال ، وكان ألمي عظيما في طريقة حلاقته ، ولما انتهى من حلاقة الرأس وأتى دور حلاقة الذقن غمس الصابون بالسطل وأخذ يمررها على خدي ولما أدرك أن الشعر طري أجرى الموسى على خدي فسلخ جانباً منه فاستأنفت الصياح وامساك اليد، فأخذ يجري الموسى على جانب جزمته بدلا من جره على الجلد الخاص، ولما سألته عن فعله أجاب ان الجزمة تجعل الموسي أحد من الشفرة ، فجرحني جرحا بليغاً بجانب اخر من خدي فبادرني بوضع القطن فوق الجراح ، ثم مضى هكذا يجرح هناك جرحاً بالخد ويترك آخر حتى غدا وجهي كأنه مزرعة قطن ، وتمت الحلاقة على هذه الكيفية ، ومكثت على اثرها اسبوعاً كاملا بالبيت محتجزاً عن الناس حتى زال أثر الحلاقة في رأسي وفودي وقذالي ... وذات يوم حل بضيافتي ضيف ثقيل الظل ، فأتعبني واتعب الجيرة بسكره وعربدته وشدة وطأته ، وكانوا يلحون علي بصرفه عنهم ، وكنت أخجل أن أصرفه عني للحمة وآصرة بيني وبينه ، وفي صبيحة من الأصباح طلب مني أن أدله على حلاق قريب من الحي فأخذته فوراً الى صاحب قصتي، فعامله معاملتي نفسها وكان كلما تململ أو صاح متألماً من جراحاته قال له صاحب قصتنا اسأل ابن عمك التي أتى بك الى هنا كيف اني (حلاق ماهر) يحلق عندي الكثيرون ولم يتألموا مثل تألمك ، فعملية الحلاقة ياأخي أمر ليس بالسهل ، وكثيرون من أهل المنطقة والأرياف الأخرى يؤمون

زاويتي ، ولا يهمهم امر الدماء التي تسيل من رؤوسهم وخدودهم اذ انها تغنيهم عن عملية الحجامة ، فهذا دم فاسد الذي يسيل منك ، فاحمد ربك عليه ، فأفلت قريبي الضيف من يد صاحبي ، وانطلق صائحاً : ياناس ياعالم انقذوني مما أنا فيه ، فسمعت صياحه في غرفتي ، وبادرت الى نجدته ، واذا به يشتمني قائلا الم تجد غير هذه الوسيلة لتطردني بها ياظالم..؟

وكانت هذه الحادثة آخر عهدي به .

تذكرت كل ذلك وأنا مارّ بالأمس أمام القنطرة التي تحمل اسم هذا الحي ، فأردت أن اطرف القراء بها لأنني لاأزال أذكرها ، ولا يزال الذين يعرفونها يضحكون منها كثيراً ، وهي ان دلت على شيء فانما تدل على جانب من العصر الذي كنا نعيش فيه ، بتلك الأيام . وكان عصر الغرائب والعجائب في كثير من مرافق حياتنا التي كنا نعيشها ، بأماكن الحلاقة وفي الحمامات وفي المقاهي ... ولا جرم بأن للزمان وتقدمه أثره في هذا الموضوع في هذه النواحي (١) فلقد تغيرت امثال هذه المعالم الآن ، واصبحت مثل هذه الأقاصيص تروى كذكرى من ذكريات الماضي الطريفة الكفيلة بتسلية القراء الذين قد يجدون بعض العناء والتعب بمطالعة البحوث الدقيقة التي تشغل الفكر وتحوجه الى الاستجمام والراحة والتسلية والترفيه .

حسني كنعان

(١) المجلة : المقال للطرفة لا لدراسة ذاك العصر ، ولا نكران ان من صور الحمامات وغيرها مايعدّ في عصره مثلاً طيبا ، كما ان (لصاحبنا) الحلاق الذي (فلفل) الأستاذ كنعان قصته أمثالا في بعض الأوساط.. وماهو بالنموذج الممثل لعصره .

من أنباء العلم

● **النخر السني** : أجري تحقيق في مدارس إحدى المقاطعات السويسرية على ١٤٢٠ ولداً بين السادسة والعاشرة فتبين أن فرط التغذية ، والمبالغة في التعقيم والوسوسة في تنقية الأغذية وتصفيتها ، وبكلمة : الالحاح في مطاردة الجراثيم وشن حرب الاثارة عليها ! ! كل ذلك سبب رئيسي في في زيادة نسبة النخر السني عند الأولاد .

● استنتج بحاثة أمريكي أن الحدقة تفضح العقل الباطن ، فهي تتسع بالنظر إلى مايسرها . . . (مجلة طبيباك ع ١١٧)

● **عملية جراحية بتفريغ الشحنة الكهربائية** : ابتكر أطباء ومهندسو كييف جهازاً الكترونياً اسمه « أورات » يستطيع أن يحطم بسرعة ودون آلام حصاة المثانة بواسطة تفريغ الشحنة الكهربائية .

تفتت الحصاة في العادة بطريقة آلية لتخليص المريض من آلامه دون اللجوء إلى عملية جراحية . ولهذا تدخل في المثانة آلة السيستوسكوب وقطرها ٩ ميلّيمترات . ويوجد في طرفها جهاز للتفتيت مسنن .

ولا تأتي الطريقة الآلية دائماً بالنتيجة المطلوبة لأن الحصاة تكون متفاوتة الصلابة . وأثناء عملية تفتيت أصلب أنواع الحصى ، وهي الاكسالات فمن المحتمل أن تنكسر .

لقد أجريت عملية تحطيم الحصاة بتفريغ الشحنة الكهربائية بواسطة الجهاز « أورات ـ ١٠ » في المستشفى الاكلينيكي لأمراض المسالك البولية

لدى معهد الطب الأول وفي المستشفى الاكلينيكي لمعهد الطب في كييف واتضح أن هذه الطريقة بسيطة ومضمونة .

تدخل آلة السيستوسكوب في المثانة وتكتشف الحصاة ، ومن ثم يقرب القطب الكهربائي لهذا الجهاز من القناة عبر قناة السيستوسكوب . وتحطم الشحنة الكهربائية بسرعة أية حصاة ومهما كانت صلابتها الي قطع صغيرة . وتفرغ المقطع عبر السيستوسكوب نفسه .

وتشغل كل عملية تحطيم وابعاد الحصاة فترة تتراوح بين ٢٠ و ٢٥ دقيقة والجدير بالذكر أن هذه العملية أجريت في امكانيات المستوصف . وابتداء من سنة ١٩٦٣ عالج الأطباء ١٧٠ مريضاً بهذه الطريقه في المستشفى الاكلينيكي لأمراض المسالك البولية لدي معهد الطب الأول .

● **حول دوران الأرض** : هل تعرفون أن دوران الأرض خلال أربع وعشرين ساعة هو شيء غير منتظم : فأحياناً يكون اليوم طويلا ، وتارة قصيراً .

إن البحاثين السوفييت طرحوا فرضية عن أسباب هذه التغيرات ، ذلك أنه يبدو أن سحب البلازما الشمسية تملك حقولا مغناطيسية ذاتية تتفاعل مع حقل كوكبنا المغناطيسي .

وتستطيع هذه السحب التحليق قرب الأرض اما « أمامها » أو « خلفها » وتؤدي الحالة الأولى إلى حدوث تلك القوى التي تؤخر دوران الأرض ، أما الثانية فانها تعجل منه .

وتدل التقديرات الأولية لأصحاب الفرضية الجديدة على أن طاقة الحقل المغطيسي في السحب ، كافية بأكملها لاستحداث تغييرات ملحوظة في سرعة دوران الأرض اليومية .

● **دم لا لون له** : كان يظن ، حتى وقت متأخر ، أن ما يروى عن الأسماك التي لا لون لدمها ، إنما هو محض خرافات صيادين عادية . فلكل الحيوانات دم أحمر اللون ، ومعروف أن الحديد الذي يحتويه (الهيموغلوبين) هو الذي يضفي اللون على الدم . وإذا ما تصورنا وجود دم أبيض فان هذا يعني أن لا وجود للحديد فيه ، وبالتالي فلا توجد إمكانية تشبع الجسم (بالأوكسجين) .

غير أن العلماء السوفييت يعرفون الآن ١٥ نوعاً من الأسماك ذات الدم الأبيض التي تعيش في مياه المحيطات .

فهل ظهر عنصر آخر في جسمها ، بدل الحديد ، خلال الوف السنوات ؟ إن علماء الكيمياء الحيوية السوفييت يعملون الآن لحل هذه القضية .

(السوفييت ٧ ع ٧)

● **البصل** : أجرى الدكتوران (فيلاتونا) و (ثوود بستبيف) الأستاذان بجامعة (تومسك) الروسية تجربة لاختبار مقدرة الأبخرة المتصاعدة من البصل على قتل الجراثيم ، فمرضا جراحاً مختلفة ملوثة بالبكتيريا ، لأحد عشر مريضاً لأبخرة البصل مدة عشر دقائق ... وكان بين هؤلاء المرضى اثنان أحدهما بترت ذراعه والآخر بترت ساقه وتلوثت جراحها فأصيبا (بالغنغرينا) وكانا يعانيان ألماً شديداً ، فلما تعرضت جراحها لأبخرة البصل في اليوم الأول زال الألم ، وفي اليوم الثاني تقدما سريعاً نحو الشفاء ... أما بقية الجراح البسيطة فقد تطهرت تماماً من كل أثر للبكتيريا .

(صوت الاسلام ٢٨/٦/٨٥)

قلم المجلة

روّح عن نفسك

● في جمع الجواهر : دخل بعض أبناء الملوك على المبرّد ، وعنده سلّة حلوى قد أعدّها لبعض إخوانه ، فوجد ابنه الفرصة في اشتغال أبيه فأقبل يأكل منها . فنظر إليه المبرّد فأنشد :

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن

● ودخل أبو الحارث حِمير على بعض الملوك فرأى بين يديه سلّة حلوى ، فقال : مافي هذا أيها الأمير ؟ قال : باذنجان ، وكان ابو الحارث يكره الباذنجان كراهيةً شديدة .

● وأصلح محمد بن يحيى بن خالد دعوةً ، وأمر الطباخ أن يجعل الباذنجان في جميع الطعام ، وحضر أبو الحارث فكلما قدم لون وهمّ بالأكل منه ماراه ، إلى أن ضاق ، فأقبل يأكلُ بدُقّةِ (١) المائدة ، فعطش ، فقال: اسقوني ماء لاباذنجان فيه .

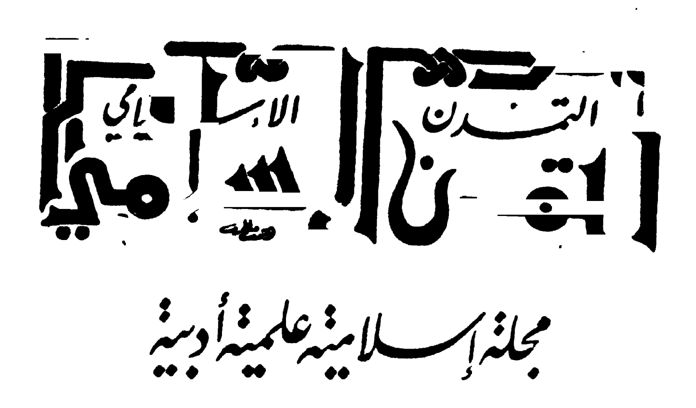
● ودخل على محمد بن يحيي وبين يديه (مزورات) وكان محمياً ، فأكل معه وخرج من عنده ، فلقيه بعض إخوانه ، فغطى رأسه واستخفى ، فقالوا : مالك ياأبا الحارث ؟ قال : أكلت عند محمد بن يحيى بقولاً كثيرة ؛ قالوا : فما تخاف ؟ قال : أخاف أن يمرّ المسّاح فيمسَحني خضراء، فلا يقبلوا مني مظلمة .

(قلم المجلة)

---

(١) الدُقة: التوابل من الأبزار، والملح مع ماخُلط من به أبزار، أو الملحُ الدقيق.

الأجزاء ١٣ - ١٦ من المجلد ٣٣



مجلة إسلامية علمية أدبية

تصدر بدمشق عن

جمعية التمدن الإسلامي

دمشق : سورية

ربيع الثاني ١٣٨٦ هـ
آب ١٩٦٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

من هدى الله

«ألم ترَ أن اللهَ يُولجُ[1] الليلَ في النهار ويُولج النهار في الليل وسخّر الشمسَ والقمرَ كلٌّ يجري إلى أجل مُسمًّى وأن الله بما تعملون خبيرٌ . ذلكَ بأن اللهَ هوَ الحقُ وأن ما يدعونَ منْ دونهِ الباطلُ وأنّ اللهَ هو العليُّ الكبير . ألم ترَ أنّ الفُلكَ[2] تجري في البحر بنعمة الله ليُريَكمْ من آياته ، إنّ في ذلك لآياتٍ لكل صبّارٍ شكور . وإذا غَشِيَهم[3] موجٌ كالظُّلَلِ[4] دَعوُا اللهَ مخلصينَ له الدينَ فلما نَجّاهُم إلى البرِّ فمنهم مقتصدٌ[5] ، وما يَجحدُ بآياتنا إلا كلُ ختارٍ[6] كفور .»

لقمان : ٢٩ ـ ٣٢

---

(١) يولج : يدخل .
(٢) الفُلك : السفينة أو السفن (مفرد أو جمع) .
(٣) غشيهم : علاهم .
(٤) الظُلل : الجبال (جمع ظلة) .
(٥) مقتصد : معتدل (قصد واقتصد : اعتدل وتوسط) .
(٦) ختار : غدار .

مجمل المعاني :

- ألم تعلم أن الله يدخل الليل في النهار ، ويدخل النهار في الليل فينقصان ويزيدان ، وذلّل الشمس والقمر لمنافعكم ، كلٌّ منهما يجري إلى موعدٍ مقدر ، وأن الله خبير بما تعملونه ، فمن يقدر على ذلك سواه ؟
- ذلك - الذي وصفته الآيات الكريمة من عجائب القدرة ودقائق العلم والحكمة - بسبب أن الله هو الحق الثابت ، وأن ما يعبده المشركون من دونه هو الباطل ، وأن الله هو العليّ وليس غيره ، - من الأوثان ... - الكبير ولا كبير سواه .
- ألم تعلم - أيضاً - أن السُّفن تجري في البحر بفضل الله وإحسانه - وفق ما أعدّ من سنن كالرياح - ليريكم من دلائل قدرته ووحدانيته ، إن في ذلك لدلائل لكل مؤمنٍ : راضَ نفسه على الصبر وما يقتضيه من تأمل وتفكّر في آلاء الله ، شكورٍ له على نعمائه . - سبحانه وتعالى -
- وإذا علا المشركين وهم في البحر موج عظيم كالجبال فدهاهم خطره المحيط بهم ؛ دعوا الله أن ينجيهم مخلصين له الدين - ولم يدعوا أوثانهم - فلما استجاب لهم فنجاهم إلى البرّ إذا هم بين موحدٍ مقيمٍ على الفطرة والاعتدال ، وجاحدٍ للوحدانية بشركه ، وما يجحد بآيات الله إلا كل غدّار ناقضٍ لمستوجبات الفطرة النقية ، كفور للنعم .

المعاني المفصّلة :

١ - ٢ (٢٩ - ٣٠) تقدم في تاريخ السورة أن ثلاث آيات منها مدنية النزول : الآية السابعة والعشرون (التي أنهينا بتفسيرها الكلمة السابقة والتي حلّت محلّها من ترتيب السورة بتبيانها أن أمر بعث الناس جميعاً هين على الله تعالى الذي لا تنفد كلماته) .

والآيتان الثامنة والعشرون والتاسعة والعشرون ، وفيهما ذكرٌ للخاصّ بعد العامّ زيادةً في الالتفات إليه والاعتبار به ، وفي ذلك تنويع في إقامة الأدلة الحسّيّة على وحدانية الله تعالى نبذاً للشرك وما إليه .
قال الفخر الرازي هنا : (يحتمل أن يقال إن وجه الترتيب هو أن الله تعالى لما قال : « ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض » ـ الآية ٢٠ ـ على وجه العموم ذكر منها بعض ما هو فيهما على وجه الخصوص بقوله « يولج الليل في النهار » وقوله « وسخّر الشمس والقمر » إشارة إلى مافي السموات . وقوله بعد هذا « ألم تر أن الفُلك تجري في البحر بنعمة الله » إشارة إلى ما في الأرض .

ويحتمل أن يقال : إن وجهه هو أن الله تعالى لما ذكر البعث وكان من الناس من يقول « وما يهلكنا إلا الدهر » والدهر هو بالليالي والأيام ؛ قال الله تعالى هذه الليالي والأيام التي تنسبون إليها الموت والحياة هي بقدرة الله تعالى فقال : « ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » الخ[1] .

ننتقل بعد هذه المقدّمة إلى المشهدين اللذين لفتَ الله تعالى النظر إليهما ليعتبر الناس بهما :

(آ) « ألم تر[2] أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » ؟ إنه أمر واضح .

---

(١) التفسير الكبير للامام محمد الرازي ج ٦ ص ٥٠٠ .

(٢) ذكر الإمام الرازي هنا رأيين : أحدهما أن الخطاب مع النبي (ص) وعليه الأكثرون ، وكأنه ترك الخطاب مع المشركين لإصرارهم ، والوجه الثاني أن يقال المراد منه الوعظ ، والواعظ لا يعين أحدا . . (ص ٥٠١) وعلى كلٍ فالمقصود العموم .

إنه مشهد رائع حقا، ومخشّع حقا، مشهد يكاد يكون ناطقاً بقدرة الله ووحدانيته، بل هو ناطق بلغة الإشارة الحسّية القوية المتكررة، والتي هي أبلغ دلالةً من لغة العبارة القاصرة، فلا يكابر فيها أحد، ولذلك ورد تعبيرها اللغوي بهذه الصيغة (ألم تر) !

ألم تعلم أن الله تعالى يدخل الليل في النهار ويدخل النهار في الليل باستمرار، فلا استقرار لأحدهما منذ تسييرهما، فيكون الضياء في حينٍ معيّن آخذاً بالزيادة، كما يكون الظلام آخذاً بالنقصان، ويكون الضياء في حين معين آخر هو الآخذ بالنقصان، والظلام الآخذ بالزيادة، وقد يكون في قطر نهار، وفي آخرَ ليل، تبعاً لكروية الأرض ودورانها.

إن للتنبيه إلى إدخال الله تعالى الليل في النهار، والنهار في الليل، أو لاختلافهما لشأناً عظيماً مذكراً بالقدرة الإلهية العظيمة الفذّة التي لا تجارى، والمنافع المعاشية العديدة التي لا يستغنى عنها، ولذلك اقترنت هذه الظاهرة في الآية بتسخير الشمس والقمر، واقترنت في سورٍ عديدة بآثار القدرة الإلهية الضخمة العديدة لعلاقة بعضها ببعض ولعظمتها جميعا . . .

ففي سورة البقرة ١٦٤ مثلاً : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض لآياتٍ لقوم يعقلون . »

وفي سورة آل عمران ١٩٠ : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . »

وفي سورة الأعراف ٥٤ - « إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يُغشي الليل النهارَ يطلبه حثيثا والشمسَ والقمر والنجومَ مسخراتٍ بأمره، ألا له الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين . »

وفي سورة المؤمنون : ٧٨ ـ ٨٠ « وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة ، قليلاً ما تشكرون . وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تُحشرون . وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار ، أفلا تعقلون . »

وفي سورة الجاثية ٣ ـ ٥ : « وفي خلقكم وما يبث من دابة آياتٌ لقوم يوقنون . واختلافِ الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آياتٌ لقوم يعقلون . »

ويلاحظ أن هذه الآيات وفواصلها محركة ومثيرة للعقول دفعاً للتفكير والتدبر والتأمل والإيمان والإذعان .

ولننظر كيف امتن الله تعالى على عباده في سورة القصص ٧١ و ٧٢ بفضله العظيم بإيجاد الليل والنهار فقال : « قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً[1] إلى يوم القيامة مَن إلـٰه غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة مَن إلـٰه غير الله يأتيكم بليلٍ تسكنون فيه أفلا تبصرون . » ؟

إن تعاقب الليل والنهار يدل ـ كما قال المرحوم رشدي العابري[2] دلالة صريحة على حركة الأرض حول نفسها ، وقصرهما وطولهما في المواسم المختلفة يؤديان إلى اختلاف الفصول ، وعوامل هذا الاختلاف هي :

(١) دورة الأرض حول الشمس (٢) وميل المحور (٣) واتجاه المحور الثابت. فالأرض تدور حول محورها ، وباندفاع في الفضاء حول الشمس بسرعة تزيد على مئة ألف كيلو متر في الساعة[3] . وان سرعتهـــا في دورتهـا

---

(١) سرمداً : أي دائماً (من السرد وهو المتابعة) .

(٢) بصائر جغرافية للأستاذ رشيد رشدي العابري ص ١٢٣ ـ ١٢٩ وآيات الخالق الكونية له أيضاً ص ٤٣ و ٤٤ وقد مر على الأرض منذ تجمدها نحو ٢٠٠٠ مليون سنة وهي في حركتها ودورانها (النجوم في مسالكها للسير جيمس ص ٧٢ فتأمل)

(٣) تستغرق دورة الأرض حول الشمس ٣٦٥،٢٥ يوم تقريبا .

اليومية حول محورها تبلغ ألف ميل في الساعة عند خط الاستواء ، ولو كانت مئة ميل لبلغ طول الليل والنهار عشرة أضعاف طولهما الآن ، ولأحرقت الشمس زروعنا ، وتجمد منه ما سلم في الليل .

وميل محورها يبلغ ٢٣,٥° درجة ولو كان المحور عمودياً على مستوى مدار الأرض كما هي الحال في بعض الكواكب السيارة الأخرى لكانت عمودية الشمس لا تنفك عن خط الاستواء ، وقت الزوال ، ولتساوى الليل والنهار في العالم دائماً ، ولامتنع حدوث الفصول الأربعة في المنطقة المعتدلة ، وتعسّرت الحياة في المنطقة الحارة من فرط الحرارة . . .

(ب) « وسخّر الشمس والقمر كلٌّ يجري إلى أجل مسمى » إنه تذليل إلهي أفاد العالم ضياء ونوراً وجمالاً ومنافع لا تحصى ، وهما يجريان جريانهما حول نفسهما وإلى منتهى يعلمه الله وحده .

وماذا نتحدث عن تسخير الشمس والقمر بلغة العلم ولغة المنافع المعاشية ؟ إنه لحديث يحار الباحث كيف يطرقه لخطورته البالغة :

● فالشمس تذكرنا بمجوعتها أو بأسرتها العظيمة وأرضُنا من عداد أعضائها ، كما أن الاسرة الشمسية ليست إلا فرداً من أفراد مجموعة المدن النجومية التي في الفضاء (١) .

أندري كم هو وزن الشمس التي يزيد طول قطرها على ٨٦٠٠٠٠ ميل والتي تدور حول نفسها في خمسة وعشرين يوماً والتي سخّرها الله تعالى وامتنّ على الإنسان بهذا التسخير ؟ إن لغة الأرقام لتقرّب الإيضاح بالموازنة ، فقد أمكن حساب وزن الأرض من جذبها القمر ، فكان وزنها حوالي ٦,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ طن . وكذلك أمكن حساب وزن الشمس من جذبها الأرض أو أي سيار آخر لتمنعه الإفلات منطلقاً

(١) النجوم في مسالكها للسيد جيمس جينز تعريب العليم أحمد عبد السلام الكرداني ص ١٤٤ .

في الفضاء[1] فبلغ وزنها قدر وزن الأرض ٣٣٢٠٠٠ مرة ، فكل أوقية من المادة في الأرض لها نظير في الشمس يقرب جداً من الطن[2] .

أما بعدها عنا فيقرب من ٩٣,٠٠٠,٠٠٠ من الأميال[3] ويصل نورها إلينا حسب سرعة الضوء بعد ثماني دقائق وهي مدة يسيرة ، إذا قيست بالمدة التي يقضيها الضوء ليصل إلينا من الشِعرى ، وهي مدة ثماني سنوات[4]

قال المرحوم العابري : (إن الشمس على بعد معين من الأرض ، فهذا البعد جعل حرارتها (نارها الخالدة) كافية لنا لا تزيد ولا تنقص عما نحتاج إليه ، فلو كانت أبعد مما هي عليه الآن لضربنا الجمد ولما كانت حياة على وجه الأرض ، ولو كانت أقرب مما هي عليه الآن لأنضجت الحرارة جلودنا ولما بقيت حياة على سطح الأرض .)[5]

حسبنا هذا للتذكير ـ لا للتفصيل ـ بفضل الله علينا بتسخيره الشمس وأشعتها وخواصها وجمالها لمنافعنا وحياتنا . والمؤمن يغنم من مظاهر الطبيعة الخشوع لله والخضوع لأحكامه والاستقرار عليها لا يتبدل ولا يتردد ولا يرتاب تلقاء البرهان، وإذا كان ذلك من شأن العلماء المنصفين، فالمسلم أجدر منهم باغتنام الحكمة الإلهية والسلوك القويم . قال سبنسر ـ العالم الإنكليزي ـ ليس الغرض من الطبيعة ، معرفة تلك الظواهر الطبيعية ، وإنما الغرض الأسمى أن يشرف الإنسان على ذلك السر الباهر ، ويستطلع تلك العظمة الإلهية وراء تلك الحدود التي ينتهي إليها علم الطبيعة)[6] .

---

(١) ساعدت فلطحة الأرض من جهة قطبيها على عدم إملائها .
(٢) النجوم في مسالكها ص ٧٧ .
(٣) النجوم في مسالكها ص ٧ .
(٤) النجوم في مسالكها ص ٨٤ .
(٥) آيات الخالق الكونية ص ٤٢ .
(٦) مجلة الأزهر م ٦ ج ٦ ص ٣٩٩ .

● والقمر (تابع الأرض) كوكب بارد ـ منطفىء ـ يبعد عنا ٢٣٩٠٠٠ ميل ، في حين أن اتجـاهه يتغير على الدوام وهو يسير حول الأرض فيما يقرب من دائرة فيطوف حولها مرة في الشهر ، وهو أقرب جار لنا في الفضاء ، وتربطه بالأرض قوة الجاذبية كما تربطنا به .

يبدو أكبر الأجرام في السماء غير الشمس مع أنه من أصغرها ، فإن قطره لا يتجاوز ٢١٦٠ ميلاً أي أنه أكبر قليلاً من ربع قطر الأرض ، وهو لا يبعث من نفسه نوراً كما تبعث الشمس ، وإنما يعكس ضوء الشمس ، كأنه مرآة عظيمة معلقة في السماء[١] .

وهو يتحرك فوق رءوسنا بسرعة تبلغ ٣٠٠٠ ميل في الساعة ، فلو لم يكن منجذباً نحو الأرض لاستمر يتحرك في اتجاهه نفسه وبسرعته المذكورة ولانتهى به سفر سنة إلى مكان في الفضـاء بعيد من الأرض بنحو عشرين مليون ميل ، لكنه بدلاً من هذا يدور ثم يدور حول الأرض : ينحني مسارُه نحوها باستمرار[٢] .

أفليس هذا مما يحمله الوصف القرآني « وسخر الشمس والقمر » ؟ وإذ كان للشمس ضياؤها وجمالها وفضلها . . فللقمر عدا نوره المنعكس مشاركة الشمس بالجاذبية وأثره في حدوث المدّ والجزر ، ولا يخفى ما لهما من منافع صحية وزراعية وتجارية وصناعية .

وثمة ناحيتان خطيرتان من حكمة الله تعالى في هذا الموضوع هما المسافة والكتلة ، قال الأستاذ العابري : (إن القمر على بعد معين من الأرض (٢٤٠٠٠٠) ميل ، فلو كان أقرب مما هو عليه الآن لبلغت الموجة المدّية مبلغاً هائلاً

---

(١) النجوم في مسالكها ص ٥ .

(٢) النجوم في مسالكها ص ٧٤ .

تكفي معه أن تغمر القارات حتى مرتفعاتها بمياه المحيطات كل يوم مرتين ، أي لكان طوفان عام يتناول سطح اليابس مرتين من كل يوم ولقضى على الحرث والنسل . ولو كان القمر أبعد مما هو عليه الآن لما حصل المدّ والجزر المعتدلان اللذان لهما فوائد صحية وتجارية وزراعية وحتى صناعية ، ولما تمتعت الأرض بنوره الفتان .

وكذلك لو كانت كتلة القمر على بعده الراهن أصغر أو أكبر مما هي عليه الآن (أي أكثر من $\frac{1}{80}$ من كتلة الأرض) لمـــا حصلت الظواهر المذكورة آنفاً من حيث عدم وجود المدّ أو طغيانه . فهل المصادفة والنظام التلقائي هما اللذان وضعا هذه الموازنة المتقـابلة لهذا البعد وهذه الكتلة ؟ كلا ! إن الله سبحانه وتعالى قدر ذلك بعلمه وحكمته ، (سنريهم آياتنا في الآفاق . . .) فصلت : ٥٣ (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر . .) فصلت : ٣٧[1] .

ويأتي قوله تعالى « وأن الله بمـا تعملون خبير » قارناً العلم الإلهي الدقيق بما يعمله الناس ، ملحقاً هذه الخبرة العميقة بالقدرة الكونية ، وزمان أعمال الناس كلها الليل والنهار المتعاقبان ، وهكذا تبدو الوحدة الكونية والإنسانية في شمول وانسجام .

بعدما تقدم من عجائب القدرة والحكمة والخبرة الإلهية . . . جاءت الآية الثلاثون مسجلة للحجة الدامغة التي تقطع قول كل مشرك اتخذ الأوثان آلهة ، وتمحو كل محاولة لنصرتها . . . :

« ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه البـاطل ، وأن الله هو العليّ الكبير » .

---

(١) آيات الخالق الكونية ص ٤٣ وانظر تفصيل ذلك في (بصائر جغرافية) ص ١٠٥–١٠٦

فالحق هو الذي صدرت عنه تلك القدرة والحكمة والخبرة لا سواه . وأن الأوثان التي كان المشركون يدعوها من دون الله هي الباطل الصريح وأن الله لا سواه مهما كان شأنه هو العلي الشان وهو الكبير السلطان !!

إنها جذبة قوية وهزّة عنيفة تبلغ الأعماق من وعي وشعور لتستقرّ وتقيم ويقيم معها الإيمان بالله وحده والإذعان لله وحده .

٣ ـ ومع روعة ما تقدم وقوة عبرته الإلهية السماوية تأتي الآية الحادية والثلاثون على أثره بآية إلهية أرضية قوةً إلى قوة وعبرة إلى عبرة :

« ألم تر » أيضاً « أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ... »

إن جريان السفن في البحار متوقفٌ على فضل الله سبحانه وإحسانه على ما أعده من آيات قدرته وبالتالي وحدانيته ، متوقف على ما أعدّ من سنن جريانها العديدة المُحسّنة ، فموصلٌ إلى الغايات التجارية والحيوية المختلفة ، فهي بفضل الله تعالى وحده تسير ، فلو سكنت الريح إن كانت شراعية مثلاً وقفت ، كما قال تعالى في سورة الشورى : ٣٢ و ٣٣ « ومن آياته الجوارِ في البحر كالأعلام[١] . إن يشأ يسكنِ الريح فيظللن رواكدَ على ظهره إن في ذلك لآياتٍ لكلِ صبار شكور . » وإذا اختلّت سنّة من سنن سيرها الأخرى كأن تجمد الماء ، أو جاوزت السفنُ ثقلها . تعذر سيرهـــا ، وتوقفت الغاية المرجوّة منها .

إن في ذلك لآيات لكل صبّار في الضراء ، شكور في الرّخاء ، وهذه حال المؤمن حقاً ، فمن لم يكن كذلك لا تلفته الآيات إلى الخالق العظيم .

والحق إن تسخير البحر كتسخير البرّ نعمة كبرى امتن الله بها على عباده ، وقد يفوق الأول الثاني ، وتعتمد عليه التجارات الضخمة لمزاياه الكثيرة ،

---

(١) كالجبال جمع علَم .

فإن قوة الاحتكاك فوق الماء أضعف بكثير من قوته فوق الأرض ، وهذه المزية تقلل تعرض السفينة للخلل ، وان السفن تجري في طرقها البحرية دون تعبيدها أو مدّ سكك حديدية عليها ، واندفاعها بالرياح ونحوها يقلل الإنفاق عليها، ويمكن توسيع حجمها حتى تغدو كالأعلام[1] كما تقدم وصفها كذلك في الآية ٣٢من سورة الشورى . . .

وهكذا سهُل بنعمة الله تعالى هذه اتصالُ العالم بعضه ببعض ، وسهّل ذلك مصالحه الحيوية الكثيرة .

وبعد ، فإن في الآية تذكيراً بسنن الله ، لنشكر ، وندرس ، ونغنم ، ونسبق الأمم . . وماذا ندرس ؟

ندرس السنن ، وندرس البحار ، ونهتدي إلى الطرق البحرية الملائمة بمسافاتها وتياراتها ومهابّ رياحها وملابساتها العديدة ذات العلاقة .

ولقد مرت الآية ٢٧ من السورة ، ولفتت بالبحر المتأمّلين إلى قدرة الله العزيز الحكيم ، وهذه الاية ٣١ تلفت بالبحر أيضاً كل صبار شكور إلى الله العلي الكبير .

وإن في البحار المحيطات ، والأنهار ولا سيما الكبيرة منها لآياتٍ وخيرات وعجائب ، حسبنا أن نذكر أن أحدها وهو المحيط الهادي تقدر مساحته بثمانية وستين ألف ألف ميل مربع ، وأن عمق إحدى جهاته ـ جنوبي جزيرة فيرِندلي ـ هو ثلاثة وثلاثون وأربعمئة وتسعة آلاف متر (٩٤٣٣)[2] ، وأن نذكر أن مقدار سطح الماء في الكرة الأرضية بالنسبة إلى اليابس منها يبلغ ثلاثة أمثال ، ومعلوم أن الماء مصدر الرطوبة والأمطار[3] .

٤ ـ وتأتي الآية ٣٢ متممة المنّة الإلهية في البحر ، مذكرة بما ينبغي أن يؤخذ منها :

---

(١) الجغرافية العمومية المستر رور اسمزارد ٥٦٤ .

(٢) ص ٢١ .

(٣) راجع (بصائر جغرافية) للأستاذ العابري ص ٨٨ و ٨٩ .

« وإذا غشيهم موج كالظُلل دعوا الله مخلصين له الدين ... »

إنها تتجه اتجاه الآية ٢٥ المتقدمة التي انتزعت إقرار المشركين انتزاعاً وطوعاً، إذ أقروا بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض ، والآية ٣٢ تجعل غير المؤمن الصبار والشكور مقراً بفضل الله في الأزمات ، لاجئاً إليه في الملمّات:

وإذا ركبوا البحر وثار موجه وعلا حتى كأنه الجبال الشوامخ ، وتوقعوا الخطر على حياتهم ، وشحبت الوجوه ، وارتعدت الأعصاب ، والفلك تتقاذفها الأمواج ، وتعلو بها تارة إلى ذرا تلك الجبال ، ثم تهوي بها تارة أخرى ؛ انهارت الريب والظنون ، وتوارت العصبية العمياء ، وزال العناد والاستهزاء ... وعادت النفوس إلى فطرتها النقية الصافية المتّصلة بخالقها المعظم ، فانطلقوا يدعون الله تعالى وحده الذي لا يعجزه شيء ، من قلوب حرّى ضارعة تملي على الألسنة الكلم الطيب ، انطلقوا يدعون مخلصين لله وحده الدين : يا ربنا السلامة ، يا ربنا (لئن أنجيتنا من هذه لنكوننّ من الشاكرين) ٦٣:٦ ، فلا أوثان حينئذٍ ولا كهان ، ولكنّ المسئول والمستعان هو الرحيم الرحمٰن . ألا ليتهم بقوا جميعاً على هذا الصّفاء وهذا الإخلاص إذا لبقوا مؤمنين حقاً .. ولكنّ الكفران يعاود أهله في الأمن والرّخاء ، فيعودون بعد بلوغ السلامة إلى ضلالهم القديم ، لهم قلوب لا تفقه وآذان لا تسمع ضلالا وعناداً ، بينما سواهم يبقون موحدين يقيمون على طريق القصد غير منحرفين ولا منجرفين ، فأين خشيتكم وعظتكم أيها الجاحدون ، أليس واجباً عليكم أن تقابلوا الإحسان بالإيمان لا بالكفران . « وما يجحد بآياتنا إلا كل ختّار كفور » ومكارٍ شديد الغدر ، شديد الكفر ، ينسى بهذه السرعة فضل الله أو يتناساه فلا يذكره ، فكأنه لم يقاس كُربة فرجها الله ، ولا خطراً نجاه منه الله ، وإنما يذكر ذلك دائماً كل صبّار شكور في السرّاء والضرّاء .

إن في الآية دعوة إلى الثبات على الحق ، وهذا شأن الواعين ، والمؤمنون في مقدمتهم ، فلا يكونون مقلدين في العقيدة والسلوك ، تقليداً أعمى للناس ومجاراة للأهواء ، وبذلك ترتفع قيمة الإنسانية أصالةً وسموا .

لننظر إلى الثروة اللفظية والسبك المحكم الأخّاذ الذي تتغلغل آثاره تصحبها النشوة في الفكر والروع ، فيهز الشعور هزا .

لننظر إلى الصور الفنية الروائع على أنواعها في الآيات الأربع : (ألم تر ...) (يولج الليل في النهار ...) (سخّر الشمس والقمر ...) (وأن الله بما تعملون خبير) إذ جمع بها القدرة إلى القدرة (ذلك ..) في إشارتها الدقيقة في موطن إقامة الحجة (ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ...) مع ملاحظة زيادة قيمة الصورة بوضعها من الترتيب (وإذا غشيهم موج كالظلل ...) في تعبيرها عن أقوى وأشف ما يجيش في النفس عند الرّوع الرهيب التي تطير فيه النفوس .

إنها صور أوفت أصدق إيفاء على الغاية في تصويرها الجميل السريع .

* * *

الأحكام والقيم :

- تدل الآيات الكريمة على تنويع القرآن أدلة التوحيد ، ومنها أدلة القدرة البالغة .
- وتدل في الوقت نفسه على عناد المشركين ولجاجهم ، وأن انتصار الدعوة كان بعد نضال طويل .
- وتدل أن القرآن الكريم كان جذباً بيانياً وجذباً فكرياً ومنطقياً للناس .
- وأن المشاهد التي مررنا بها تدعو حقاً إلى التأمل العلمي العميق آناء الليل وأطراف النهار ، كما تدعو إلى دوام العظة والاعتبار .
- وأن القرآن العظيم يعرض الدليل الضخم عرضاً جميلاً حسّياً مفهوماً بيُسر دونما عنت ولا تكلف ، فيدركه الناس جميعاً ويتوغل في فهمه العلماء على مرّ الأزمان وتقدم العلوم .
- وتدلّ الآيات المدنية أنها أطول نسبياً في الغالب من الآيات المكية (١) .

---

(١) يظهر الفرق جلياً بالموازنة في الطول بين لآيات المدنية وبين الآيات المكية كسور أجزاء عم : وللمقاصد والمعاني أثرها في الطول والقصر .



النصيحة في الإسلام

ركن من أركان الإيمان ودعامة من دعائم الإصلاح

روى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه كأنه منذر جيش ، ويقول : صبحكم مساكم .

أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله وان أفضل الهدي هدي محمد رسول الله ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار » .

هذا الحديث الكريم يرسم محمد ﷺ للانسانية مخطط حياتها وعزتها ، ويخط لها طريق هدايتها وكرامتها ، ويضع لها منهاج سعادتها وسيادتها ، ويقيم دعائم بنائها على أساس من الإيمان الصادق ، المنزه عن البدع والشهوات والأهواء والخرافات ، المستمد ضياؤه الصادق أولاً : من كتاب الله تعالى الذي :

« لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير »

« كتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم »

كتاب لم تنته اليه الجن اذ سمعته أن قالوا « إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا » فهو نور الله المبين وحبله المتين .

من قال به صدق .

ومن حكم به عدل .

ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم .

ثانيا : من هدي محمد رسول الله الذي :

« لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » .

« وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم » .

وقال صلى الله عليه وسلم « إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا : كتاب الله وسنة نبيه » .

وعن عبد الله بن مسعود قال « ان هذا القرآن شافع مشفع ، من اتبعه قاده الى الجنة ، ومن تركه أو أعرض عنه (او كلمة نحوها) زج في قفاه الى النار .

وعلى العموم فمن كتاب الله ومبادئه ، ومن سنة رسول الله وهديه تستمد الإنسانية وجودها وحياتها ومجدها وقوتها ، وان من المبادئ الأساسية التي وضعها الله في كتابه وأرشد اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بهديه ضمانا لسعادة الإنسانية وصلاحها « النصيحة » .

النصيحة كلمة وجيزة وهي على وجازتها لم يعرف في كلام العرب قديمه وحديثه أجمع منها ، فقد جمعت معاني الخير بأصوله وفروعه ، فالدعوة الى عبادة الخالق ونبذ عبادة المخلوق نصيحة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نصيحة ، والحث على الإخلاص وترك الرياء نصيحة ، والحض على التحلي بالفضيلة والتخلي عن الرذيلة نصيحة ، والعمل على نشر العلم والقضاء على معالم الجهل نصيحة ، والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله وطمس معالم الكفر نصيحة و و و . . .

وبعبارة أعمّ وأوضح ، النصيحة ركن من أركان الإيمان ودعامة من دعائم الإصلاح ينعم بخيرها ويسعد بفضلها الملك والمملوك ، الحاكم والمحكوم ، السيد والمسود ، الغني والفقير ، الوجيه والحقير ، حتى الإنسان والحيوان على حد سواء ، فهي كالشمس المشرقة تنشر أشعتها على الكون كله فيحيا بها كل شيء الأنسان والحيوان والنبات ، وقد بالغ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جعلها الدين كله إذ قـــال « الدين النصيحة » وهذا يفيد الحصر ، لأن هذا الحديث جملة معرفة الطرفين ، ومن القواعد البلاغية أن الجملة المعرفة الطرفين ، تفيد الحصر ، وعليه فيكون الدين بأصوله وفروعه محصورا في « النصيحة » وهذا كقوله عليه الصلاة والسلام « الحج عرفة » .

النصيحة جزء من رسالة السماء وركن من أركان الدعوة الى الله ، وهي من الأسس التي ارتكزت عليها رسالة الأنبياء والمرسلين ، ودعوة الحكماء والمصلحين ، وقد قصّ الله علينا في كتابه الكريم قصص بعض

أنبيائه ورسله وذكر لنا فيه بعض مقالتهم لأقوامهم ، فقال نوح لقومه « يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم » الأعراف ٦١ - ٦٢ وقال هود لقومه « يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربي وأني لكم ناصح أمين » الأعراف ٦٧-٦٨ وقال صالح لقومه « ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين » الأعراف ٧٩ ومؤمن آل فرعون قال لموسى لما تآمر عليه الملأ ليقتلوه « فاخرج إني لك من الناصحين » / القصص ٢٠ / .

هذا بالإضافة الى أن القرآن الكريم اعتبر « النصيحة » احدى القواعد الثلاث المتماسكة المتحدة التي لاتقبل التجزئة ولا الانقسام ولا تنفصم عرى الواحدة عن الأخرى ضمانا لسلامة الإنسان ونجاته من الهلاك والخسران فقال تعالى « والعصر إن الإنسان لفي خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » هذه السورة القصيرة تبين للانسانية منهاج حياتها كما يحب الله ورضي ، وتعلن أن سبيل النجاة واحد لا يتجزأ وأن طريق النجاح واحد لا يتعدد ، فإيمان بلا عمل مردود ، لأنه « لا ايمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » ، والعمل بلا ايمان مهدور لقوله تعالى « وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » ، والتواصي بلا عمل ممقوت ، لقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » ، والجمع بين الإيمان والعمل الصالح والتواصي هو المفروض والمحمود ، لقوله تعالى « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين » .

ولمكانة النصيحة في الإسلام ، واعتبارها ركنا من أركان الإيمان ، ودعامة من دعائم الإصلاح ، وعاملا من عوامل الهداية ، كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يبايع الناس عليها كما كان يبايعهم على الإسلام ، روى مسلم في صحيحه عن جرير بن عبد الله قال « أما بعد فإني أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ابايعك على الإسلام فشرط عليّ « والنصح لكل مسلم » فبايعته على هذا ، ورب هذا المسجد اني لكم لناصح . وفي رواية : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم » متفق عليه ، وفي رواية لأبي داود والنسائي « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة وأن أنصح لكل مسلم » مع العلم أن النصح صفة المؤمنين البررة ، والغش صفة الكافرين الفجرة قال عليه الصلاة والسلام « المؤمنين بعضهم لبعض نصحة وادون وان بعدت منازلهم وأبدانهم ، والفجرة بعضهم لبعض غششه متخاونون وان قربت منازلهم وابدانهم » ، وقال تعالى « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وقال « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف » .

إن الأحاديث الآنفة الذكر التي رواها لنا الصحابي الجليل جرير بن عبد الله رضي الله عنه لا يفهم منها حصر النصح على جرير وحده ، ولا على من كانوا صببها ، فالحديث يشير بوضوح وصراحة أن النصح فرض على كل مسلم ، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ومن القواعد الأصوليه ، أن خطاب الشارع لواحد خطاب وتشريع لجميع الأمة ، حاضرها بالمشافهة وغائبها بحكم التبع ، وحكمه على الفرد حكمه على الجماعة ، وبناء على هذه القاعدة الأصولية ، فإن على كل مسلم يرى مبتلى في دينه على معصيته أن ينصحه بالتي هي أحسن أولاً ، وبذل الجهد وتحري الإخلاص في اصلاحه ثانيا ، وأن يكون النصح ضمن دائرة الشروط والآداب التي جاء بها الإسلام ثالثا ، لأن في النصح المشروع الفائدة والصفاء وثبوت

المودة والوفاء ، ولا يحق للمسلم أن يترك نصح أخيه في أي حال من الأحوال ، فقد روى مسلم في صحيحه « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان هذا الحديث دعوة صريحة الى كل مسلم يرى المنكر أن يعمل على تغييره وجوبا لا تطوعا ، بالوسيلة التي يستطيعها وله الأجر ، ومن لم ينه عن المنكر ويعمل على تغييره ولم يحدث بذلك نفسه الذي هو أضعف الإيمان ؛ فعليه الوزر وحق عليه لعنة الله وعذابه ، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا . عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أول ما دخل النقص على بني اسرائيل ، أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم تلا قوله تعالى « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » وقال عليه الصلاة والسلام « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » رواه الترمذي ، وقال أيضا « لا اله الا الله تنفع من قالها وترد عنه العذاب والنقمة ما لم يستخفوا بحقها ، قالوا يا رسول الله وما الاستخفاف بحقها ؟ قال : يظهر العمل بمعاصي الله فلا ينكر ولا يغير » رواه الأصبهاني ، وعن أبي هريرة أنه قال : كنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل وهو لا يعرفه ، فيقول له مالك الي وما بيني وبينك معرفة ؟ فيقول : كنت تراني على الخطأ وعلى المنكر فلا تنهاني » .

اذا كان هذا الوعيد والتهديد لمن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر وهما جزء من النصيحة ، فما رأي المسلمين اليوم وقد تركوا النصيحة وأهملوها جملة وتفصيلا ؟ فلم يأمروا بالمعروف فحسب ، بل نهوا عنه وكرّهوا فيه ، ولم ينهوا عن المنكر فحسب ، بل أمروا به وحببوا فيه ، ولم يتحلوا بالفضيلة فحسب ، بل نفروا منها وزهدوا فيها ، ولم يتخلوا عن الرذيلة فحسب ، بل دعوا اليها ورغبوا فيها ، ولم يصلحوا بين المتخاصمين فحسب ، بل أفسدوا بين المتحابين بالغيبة والنميمة ، وأشعلوا نار الفتنة بين الأخوة بالدس والوقيعة ، أقفرت المساجد والمعابد من النساك والعبّاد ، وامتلأت دور الملاهي بالزوار والرواد ، خلت المنازل والبيوت (مصانع التربية) من المؤمنات القانتات ، وغصت الشوارع والمسابح « المذابح ، مذابح الأخلاق والفضيلة » بالكاسيات العاريات ، والعالم من أقصاه الى أقصاه يموج ويضطرب من الشرور والآثام ، ويئن من الآلام والأحزان ، يتلفت ذات اليمين وذات الشمال ينشد الهدى والنور ، والحق والحياة ، والأمن والسلام ، فلا يهتدي الى ذلك سبيلا ، ولا يجد له وليّا ولا نصيرا ، لأن أمة الإسلام وأتباع محمد صلى الله عليه وسلم ساهون لاهون ، وعن أوامر الله معرضون ، وعن قوله تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » غافلون « الا من عصم ربك وقليل بهم » شغلتهم أموالهم ودنياهم عن المسؤولية التي كلفوها ، وعن الأمانة التي حملوها ، متجاهلين قول الله تعالى « قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن « اتبعني » وسبحان الله وما أنا من المشركين » كل هذا فلا نصح ولاتذكير . ولا وعظ ولا توجيه .

لقد آن لأمة الإسلام وأتباع محمد صلى الله عليه وسلم وخلفاء الله في أرضه أن يعقلوا حديث نبيهم الكريم « الدين النصيحة »ويعملوا به ليكونوا من الفائزين الناجين في يوم عظيم « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم »

على أن النصيحة تكون ضمن اطار الآداب والشروط التي جاء بها الاسلام ، ولنا في توجيه الله لموسى وهارون عليهما السلام ، لما أرسلهما الى الطاغية « فرعون » أسوة حسنة ، فقال تعالى « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » لأننا ندرك باللين مالا ندركه بالقسوة ، وقال « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ومن الحكمة في النصيحة أن تكون في السر والخلوة ضمانا لحصول النفع والفائدة ، ففي توبة عبد أجر عظيم لا يعلمه الا الله تعالى ، جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال لعلي لما أرسله الى اليمن « لئن يهدي الله على يديك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » وفي رواية « خير لك من حمر النعم » .

قال بعض العلماء : اذا أراد الله بالعبد خيرا ساق الله اليه جليس خير يذكره اذا غفل ، وينصحه اذا أخطأ ، واذا أراد الله بالعبد شرا ساق اليه جليس سوء ينهاه عن الأخذ بالموعظة والنصيحة ، وقد جاء في الخبر أنه لما تولي هارون الرشيد الخلافة جلس للناس مجلسا عاما فدخل عليه أحد العلماء وقيل انه بهلول ، فقال يا أمير المؤمنين : احذر جلساء السوء واتخذ جليسا صالحا يذكرك بمصالح قومك اذا غفلت ، والنظر فيهم اذا لهوت ، فإن هذا أنفع لك وللناس وأعظم في الأجر لك ولهم .

يا أمير المؤمنين : لا تكن كما قال الله فيه : « واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد » . فقال له أمير المؤمنين زدني ، فقال : ان الله تعالى قد أفاد لك الناس وجعل أمرك فيهم مطاعا وكلمتك فيهم نافذة ، وأمرك فيهم ماضيا ، وما ذلك الا لتأمرهم وتنهاهم عن المنكر ، وتعطي من هذا المال الأرملة واليتيم ، والسائل والمسكين . يا هارون : تفكر قليلا كيف يكون جوابك عندما تسأل عن أمور

العباد في ذاك الموقف الرهيب اذا حضرت ويداك مغلولتان الى عنقك وجنهم بين يديك والزبانية محيطة بك تنتظر ما يؤمر بك .

فلما سمع هارون هذه النصحية الخالدة الجامعة بكى بكاء شديدا ، فقال بعض الحاضرين كدرت على أمير المؤمنين مجلسه ، فقال لهم هارون : قاتلكم الله ان المغرور من غررتموه والسعيد من بعدتم عنه . فكان لهذه النصيحة الأثر العظيم في نفس الرجل العظيم .

وفي قصة مطولة قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأعوانه عندما وقفوا ذاك الموقف الفظ الغليظ مع الأعرابي الذي وعظه ونصحه : دعوه فلا خير فيكم ان لم تقولوها ولا خير فينا ان لم نقبلها

وبعد فالأمانة عظيمة والمسؤولية جسيمة والمسلم على مفترق طريقين اثنين لا ثالث لهما ، إما الى نعيم مقيم ، واما الى عذاب اليم ، فطوبى لمن تفرغ لعبادة الله تعالى والعمل الصالح ، واستعمل علمه ولسانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح لكل انسان . روى الحاكم عن أنس رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال : « اذا أراد الله بعبد خيرا استعمله ، قيل : كيف يستعمله ؟ قال يوفقه لعمل صالح قبل الموت » « ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . »

هذه حكم ومواعظ ونصائح في النصيحة ، وانه لجدير بالمسلم أن ينتفع بها ويستفيد منها ، لأن انتفاعه دليل ايمانه ، قال تعالى « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » فمن لم تنفعه الذكرى فليتهم نفسه في ايمانها ، لأن الله سبحانه وتعالى صادق وقد أخبر وقرر أن الذكرى « تنفع المؤمنين » وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين والصحب والآل أجمعين .

طرطوس : محمد سليمان تدمري



الحجرة النبوية المطهّرة

قلت : وكنيته أبو حفص الجاري وقد أخرجه البيهقي في « الشعب » وقال عقبه :

« عمر بن راشد هذا شيخ مجهول من أهل مصر يروي مالا يتابع عليه » ولهذا قال المناوي متعقباً على السيوطي الذي أورد الحديث في « الجامع الصغير »:

« لم يصب في إيراده » . قلت : وله طريق أخرى عن ابن أبي ذئب أخرجه ابن عدي (٣٢١/ ١ – ٢) : حدثنا أحمد بن داود بن أبي صالح ثنا أبو مصعب المديني يلقب مطرف حدثني محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب به . وأحمد هذا قال ابن حبان وابن طاهر : يضع الحديث .

٥٨١ – ﴿ من دفع غضبه دفع الله عنه عذابه ، ومن حفظ لسانه ستر الله عورته ، ومن اعتذر إلى الله قبل عذره ﴾ .

رواه أبو نعيم في « أخبار اصبهان » (١١١/٢) معلقاً عن عبد السلام ابن هاشم ثنا خالد بن برد عن أبيه عن أنس بن مالك مرفوعا .

قلت : وهذا إسناد مكذوب ، المتهم به عبد السلام بن هاشم هذا قال فيه عمرو بن علي الفلاس :

« لا أقطع على حدٍ بالكذب إلا عليه » .

وقد تساهل الهيثمي في تضعيفه فقط فقال في « المجمع » (٨/٦٨) بعد أن ساق الحديث دون الجملة الأخيرة منه :

« رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد السلام بن هاشم وهو ضعيف »

ومن رواية الطبراني أورده السيوطي في « الجامع » وتعقبه المناوي بكلام الهيثمي الذي نقلته آنفاً ، إلا أنه وقع في نقله « ابن هلال » بدل « ابن هشام » وهو موافق لما ذكره الهيثمي في مكان آخر (٨/٧٠) وكأنه وهم منه ، أو تحريف من بعض النساخ ، إذ ليس في الرواة من يدعى عبد السلام بن هلال . والله أعلم .

والحديث أشار المنذري (٣/٢٧٩) لضعفه أو وضعه .

٥٨٢ - « لا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة إلا أمروا عليهم أحدهم » .

ضعيف ، رواه أحمد (رقم ٦٦٤٧) من طريق ابن لهيعة قال : حدثنا عبد الله بن هبيرة عن أبي سالم الجيشاني عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً في حديث .

قلت : وهذا سند ضعيف من أجل ابن لهيعة فإنه ضعيف لسوء حفظه . والذي صح في هذا الباب ما أخرجه أبو داود (١/٤٠٧) وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ :

« إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم » .

وسنده حسن ، وله شواهد انظرها إن شئت في « المجمع » (٥/٢٥٥) وكلها بلفظ الأمر ليس في شيء منها « لا يحل » فهذا مما تفرد به ابن لهيعة فهو ضعيف . أقول هذا تحقيقاً للرواية ، وبياناً للفرق بين ما صح

من الحديث وما لم يصح . فإنه يترتب على ذلك نتائج هامة أحياناً ، وذلك لأن لفظ : « لا يحل » نص في حرمة تركِ التأمير ، وأما لفظ الأمر فليس نصاً في ذلك بل ظاهر ، ولذلك اختلف العلماء في حكم التأمير فمن قائل بالندب ، ومن قائل بالوجوب ، ولو صح لفظ ابن لهيعة لكان قاطعاً للنزاع .

أقول هذا مع أنني أرى أن الأرجح الوجوب لأنه الأصل في الأمر كما هو مقرر في علم الأصول ، وممن قال بوجوب التأمير الغزالي في « الأحياء » (٢/٢٢٣) فيراجع كلامه فانه مفيد .

٥٨٣ ـ ﴿ من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف ﴾ .

ضعيف جداً ، رواه أبو العباس الأصم في « جزء من حديثه »(١/١٩٣) (رقم ١٢٩ من نسختي) وعلي بن الحسن بن اسماعيل العبدي في « حديثه » (١/١٥٦ ـ ٣) والضياء في « المنتقى من مسموعاته بمرو » (١/٤٢) عن سلم بن ميمون الخواص ثنا زافر بن سليمان عن المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا .

قلت : وهذا سند ضعيف جداً لما يأتي ، واقتصر السيوطي في عزوه على البيهقي في « الشعب » . وقال المناوي :

« وفيه سلم بن ميمون الخواص أورده الذهبي في « الضعفاء » وقال : قال ابن حبان : بطل الاحتجاج به ، وقال أبو حاتم : لا يكتب حديثه . عن (زافر) قال ابن عدي : لا يتابع على حديثه ، ووثقه ابن معين ، عن المثنى ابن الصباح ضعفه ابن معين ، وقال النسائي متروك »(١) .

قلت : ومع هذا سكت الحافظ العراقي على الحديث في « تخريج الاحياء » (٢/٢٩٢) !

---

(١) في عبارة المناوي أخطاء مطبعية كثيرة صححتها من كتب الرجال .

٥٨٤ - ﴿ من صلى ركعة لم يقرأ فيها بأم القرآن فلم يصل إلا وراء الإمام ﴾ .

ضعيف ، رواه القاضي أبو الحسن الخلعي في « الفوائد » (١/٤٧)[١] عن يحيى بن سلام ثنا مالك بن أنس عن وهب بن كيسان عن جابر مرفوعا .

قلت : ويحيى بن سلام ضعفه الدارقطني كما في « الميزان » ، ونقل الزيلعي (١/١٠) عنه أعني الدارقطني أنه قال في « غرائب مالك » :

« هذا باطل لا يصح عن مالك » .

قلت : والصواب أنه موقوف كذلك أخرجه الخلعي أيضاً عن القعنبي والبيهقي (٢/١٦٠) عن ابن بكير كلاهما عن مالك عن وهب عن جابر من قوله غير مرفوع ، وقال البيهقي :

« رفعه يحيى بن سلام وغيره من الضعفاء عن مالك ، وذلك مما لا يحل روايته على طريقة الاحتجاج به » .

قلت : والحديث صحيح بدون قوله : « إلا وراء الإمام » يشهد له قوله ﷺ :

« لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » رواه الشيخان عن عبادة ابن الصامت ، وقوله ﷺ لـ « المسيء صلاته » بعد أن أمره بقراءة الفاتحة في الركعة الأولى :

« ثم اصنع ذلك في صلاتك كلها » رواه البخاري وغيره .

لكن في معنى هذه الزيادة : « إلا وراء الإمام » قوله ﷺ :

« من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة »

وهو حديث صحيح عندنا له طرق كثيرة جداً وقد ساقها الزيلعي

---

(١) جزء (٢٠) من مخطوطة الظاهرية (مجموع ٥٣) .

(٢/ ٦ ـ ١١) ثم خرجتها في « الإرواء » رقم (٤٩٣) وهي وان كانت لا تخلو من ضعف ، ولكنه ضعف منجبر ، وقد صح اسناده عن عبد الله بن شداد مرسلا ، والمرسل إذا جاء متصلًا فهو حجة عند الإمام الشافعي وغيره فاللائق بأتباعه أن يأخذوا بهذا الحديث إذا أرادوا أن لا يخالفوه في أصوله !

وهذا الحديث من المخصصات لحديث عبادة بن الصامت ولكنه يخصصه بالجهرية فقط لا في السرية لأن قراءة الإمام فيهما لا تكون قراءة لمن خلفه إذ أنهم لا يسمعونها فلا ينتفعون بقراءته فلا بد لهم من القراءة فيها وبذلك نكون عاملين بالحديثين ولانرد أحدهما بالآخر ، وهو مذهب مالك وأحمد وغيرهما أن القراءة فيها مشروعة دون الجهرية . وهو أعدل الأقوال كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في « الفتاوى » ومن أراد التفصيل فليرجع إليها .

٥٨٥ ـ « أسست السموات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد » .

موضوع ، رواه أبو الحسن الخلعي في « الفوائد » (٢/٥٣) والدينوري في « المجالسة » (١/٣/٣٦) عن موسى بن محمد بن عطاء قال : ثنا شهاب ابن خراش الحوشبي قال : سمعت قتادة يقول حدثني أنس بن مالك به مرفوعا .

قلت : وهذا إسناد موضوع موسى بن محمد هذا هو الدمياطي المقدسي قال ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (١٦١/١/٤) :

« قال أبي : كان يكذب ويأتي بالأباطيل . وقال موسى بن سهل الرملي : أشهد عليه أنه كان يكذب ، وقال أبو زرعة : كان يكذب » . وقال ابن حبان : « كان يضع الحديث » وقال العقيلي (ص ٤١٠) : « يحدث عن الثقات بالبواطيل والموضوعات » .

وبالجملة فهو ممن اتفقت كلمات الأئمة على تكذيبه واطراح حديثه ولذلك قال الذهبي إنه أحد التلفاء ثم نقل تكذيب أبي زرعة وأبي حاتم له وقول ابن حبان فيه ثم ذكر له أحاديث موضوعة هذا منها ، ومع ذلك ووضوح حال هذا الرجل لم يستحي السيوطي فأورد له هذا الحديث في « الجامع الصغير » الذي صانه بزعمه مما تفرد به كذاب أو وضاع ! وقد أورده من رواية تمام عن أنس . وتعقبه المناوي بأنه فيه الدمياطي هذا ونقل التكذيب المذكور عن أبي زرعة وأبي حاتم . ومما يدل على كذبه أن الحديث رواه ابن الضريسي في « فضائل القرآن » (٣/١١٠/١) من طريق أخرى عن كعب الأحبـــار من قوله ، فرفعه هذا الكذاب باسناد من عنده ألصقه به !

ومن موضوعات هذا الكذاب :

٥٨٦ـ « الجنة تحت أقدام الأمهات ، من شئن أدخلن ، ومن شئن أخرجن » .

موضوع ، رواه ابن عدي (١/٣٢٥) والعقيلي في « الضعفاء » عن موسى بن محمد بن عطاء : ثنا أبو المليح ثنا ميمون عن ابن عباس مرفوعا . وقال العقيل : « هذا منكر » نقله الحافظ في ترجمته « موسى بن عطاء » وهو كذاب كما سبق بيانه في الذي قبله .

والشطر الأول من الحديث له طريق أخرى ، رواه أبو بكر الشافعي في « الرباعيات » (١/٢٥/٢) وأبو الشيخ في « الفوائد »[1] وفي « التاريخ » (ص ٢٥٣) والثعلبي في تفسيره (١/٥٣/٣) والقضاعي (١/٢/٢) والدولابي (١٢٨/٢) عن منصور بن المهاجر عن أبي النضر الأبار عن أنس مرفوعاً به .

---

(١) مخطوط في ظاهرية دمشق (حديث ٣٥٧)

ومن هذا الوجه رواه الخطيب في « الجامع » كما في « فيض القدير » للمناوي وقال : « قال ابن طاهر : ومنصور وأبو النضر لا يعرفان ، والحديث منكر . انتهى . فقول العامري على شرحه : « حسن » غير حسن » .

ويغني عن هذا حديث معاوية بن جاهمة جاء إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك ؟ فقال : هل لك أم ؟ قال نعم : قال : فالزمها فإن الجنة تحت رجليها . رواه النسائي (٢/٥٤) وغيره كالطبراني (١/٢٢٥/٢) وسنده حسن إن شاء الله وصححه الحاكم (٤/١٥١) ووافقه الذهبي ، وأقره المنذري (٣/٢١٤) .

٥٨٧ ـ « هدية الله إلى المؤمن السائل على بابه » .

موضوع ، رواه تمام في « الفوائد » (٩/١٦٧/٢) والضياء في « المنتقى من مسموعاته بمرو » (٢/٦٢) عن أبي أيوب سليمان بن سلمة الخبائري : ثنا سعيد بن زيد الأزدي : ثنا مالك عن نافع عن ابن عمر مرفوعا . وعزاه السيوطي في « الجامع » للخطيب فقط في « رواة مالك » عن ابن عمر وتعقبه المناوي بأن الخطيب قال :

« وسعيد مجهول ، والخبائري مشهور بالضعف » قال المناوي :

« قال في « الميزان » : قلت : هذا موضوع ، وسعيد هالك اه وأعاده في محل آخر وقال : هذا كذب اه وقال ابن الجوزي : حديث لا يصح ، وسعيد بن موسى اتهمه ابن حبان بالوضع » .

قلت : ولم يتفرد به سعيد بن زيد بل تابعه عند تمام سعيد بن أبي مريم ، لكن الراوي عنه عبد السلام بن محمد الأموي قال الدارقطني : « ضعيف جداً » وقال : « منكر الحديث » . وقال الخطيب : « صاحب مناكير » .

(يتبع) ناصر الدين الألباني

ابن القيم ينفي الاعتذار بالقدر

نشرنا في الأجزاء (٩-١٢) من هذه المجلة نبذة عن ترجمة الإمام محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية بقلم العلامة الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار وها نحن أولاء ننشر شذرة من شرحه لمنازل السائرين الى الله في القدر ، قال الأستاذ البيطار :

يحتج بالقدر ، أهل الكسل ، لا المجدون في العمل ، ولا المعتقدون أنهم ملاقو ربهم على عجل ، وأنهم مجازون على أعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى ورضي الله عنه والجواب من وجوه :

أحدها أن يقال : العذر إن لم يكن مقبولا لم يكن نافعا ، والاعتذار بالقدر غير مقبول ، ولا يعذر أحـــد به ولو اعتذر فهو كلام باطل لا يفيد شيئا البتة ، بل يزيد في ذنب الجاني ويغضب الرب عليه ، وما هذا شأنه لا يشتغل به عاقل .

الثاني : أن الاعتذار بالقدر يتضمن تنزيه الجاني نفسه ، وتنزيه ساحته وهو الظالم الجاهل ، والجهل على القدر نسبة الذنب اليه ، وتظليمه بلسان الحال والمقال ، بتحسين العبارة وتلطيفها ، وربما غلبه الحال فصرح بالوجد ، وما قال بعض خصماء الله (١)

---

(١) قال في هامش الأصل : هذا الخصم هو الحسين بن منصور الحلاّج . وذكر ملخص ترجمته في ابن خلـكان .

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

وقال خصم آخر :

وضعوا اللحم للبزا ة على ذروتي عدن

ثم لاموا البزاة أن خلعوا عنهم الرسن

لو أرادوا صيانتي ستروا وجهك الحسن

وقال خصم آخر :

أصبحت منفعلًا لما تختاره مني ، ففعلي كله طاعات

وقال خصم آخر :

اذا كان المحب قليل حظ فما حسناته الا ذنوب

ولخصماء الله ههنا تظلمات وآيات ، ولو فتشوا زوايا قلوبهم لوجدوا هناك خصما متظلما شاكيا عاتبا يقول : لا أقدر أن أقول شيئا ، اني مظلوم في صورة ظالم ، ويقول بحرقة ويتنفس الصعداء مسكين ابن آدم لا قادر ولا معذور . وقال آخر : ابن آدم كرة تحت صولجانات الأقدار يضربها واحد ويردها الآخر ، وهل تستطيع الكرة الانتصاف من الصولجان ويتمثل شاعر آخر بقول الشاعر .

بأبي أنت وإن أسرفـــــت في هجري وظلمي

فجعله هاجراً بلا ذنب ، ظالما ، بل مسرفا ، قد تجاوز الحد في ظلمه .

ويقول آخر :

أظلّت علينا منك يوما سحابة أضاءت لنا برقا وأبطا رشاشها

فلا غيمها يجلو فييأس طالب ولا غيثها يأتي ، فيروي عطاشها

ويقول آخر :

يدنو اليك ونقص الحظ يبعده ويستقيم وداعي الجبن يلويه

ويقول آخر :

واقف في الماء ظمآ ن ، ولكن ليس يُسقى

ومن له أدنى فهم وبصيرة ، يعلم أن هذا كله تظلّم وشكاية وعتب . ويكاد أحدهم يقول : يا ظالمي لولا ، ولو فتش نفسه كما ينبغي لوجد ذلك منها ، وهذا ما لا غاية بعده من الجهل والظلم ، والإنسان كما قال الله تعالى ٣٣:٧٢ « إنه كان ظلوما جهولا » وقال ٣٥ :١٥ « والله هو الغني الحميد ».

ولو علم هذا الظالم الجاهل أن بلاءه من نفسه ومصابه منها ، وأنها أولى بكل ذمّ وظلم ، وأنها مأوى كل سوء و١٠٠ : ٦ « إن الإنسان لربه لكنود » قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : كنود جحود لنعم الله ، وقال الحسن : هو الذي يعدّ المصائب وينسى النعم ، وقال أبو عبيدة هو قليل الخير ، والأرض الكنود التي لا تنبت فيها . وقيل التي لا تنبت شيئاً من المنافع ، وقال الفضل بن عباس : الذي أنسته الخصلة الواحدة من الإساءة الخصال الكثيرة من الإحسان . ولو علم هذا الظالم الجاهل أنه هو القاعد على طريق مصالحه يقطعها من الوصول اليه ، فهو الحجر في طريق الماء الذي به حياته ، وهو الشكر الذي قد سكر مجرى الماء الى بستان قلبه ، ويستغيث من ذلك العطش ، وقد وقف في طريق الماء ومنع وصوله اليه ، فهو حجاب قلبه عن سر غيبه ، وهو المقيم المانع لإشراق شمس الهدى على القلب ، فما عليه أضر منه ، ولا له أعداء أبلغ في نكايته وعداوته منه :

ما تبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

فتبا له ظالما في صورة مظلوم ، وشاكيا والجناية منه ، قد جدّ في

الإعراض وهو ينادي : طردوني وأبعدوني ، ولـّى ظهره الباب ، بـل أغلقه على نفسه وأضاع مفاتيحه وكسرها ويقول :

دعاني وسـّد الباب دوني فهل الى دخولي سبيل بينوا لي قصتي

يأخذ الشقيق بحُجزته عن النار ، وهو يجاذبه ثوبه ويغلبه ويقتحمها ، ويستغيث وقد قدموني الى الحفيرة وقذفوني فيها . كم صاح به الناصح ، الحذر الحذر ، إياك إياك ، وكم أمسك بثوبه ، وكم أراه مصارع المقتحمين وهو يأبى إلا الاقتحام :

وكم سقت في آثاركم من نصيحة وقد يستفيد الظنة المتنصح

ياويله ظهيراً للشيطان على ربه ، خصماً لله مع نفسه ، جبريّ المعاصي ، قدريّ الطاعات ، عاجز الرأي مضياع لفرصته ، قاعد عن مصلحه ، معاتب لأقدار ربه ، يحتجّ على ربه بما لا يقبله من عبده وامرأته وأمته إذا احتجوا به عليه في التهاون في بعض أمره ، فلو أمر أحدهم بأمـر ففرّط فيه ، أو نهاه عن شيء فارتكبه وقال : القدر ساقني الى ذلـك لما قبل منه هذه الحجة ، ولبادر الى عقوبته ، فإن كان القدر حجة لك أيهـا الظالم الجاهل في ترك حق ربك ، فهلاّ كان حجـّة لعبدك وأمتك في ترك بعض حقك ؟ بل اذا أساء اليك مسيء ، وجنى عليك جـان ، واحتج بالقـدر لاشتد غضبك عليه وتضاعف جـرمه عندك ، ورأيت حجته داحضة ثم تحتج على ربك به ، وتراه عذرا لنفسك ؟ فمن أولى بالظلم والجهل ممن هذه حاله ؟

أيها الإنسان ، أزاح سبحانه عنك الجهل ، ومكنك من التزود الى جنته ، وبعث معك الرسل ، وأعطاك مؤونة السفر ، وما تتزود به ، وما تحارب به قطاع الطريق عليك ، فأعطاك السمع والبصر والفؤاد وعرفك الخير الشر ، والنافع والضار ، وأرسل إليك رسوله ، فأنزل اليك كتابه ، ويسره للذكر

والفهم والعمل وأعانك بمدد من جنده الكرام يثبتونك ويحرسونك ، ويحاربون عدوك ويطردونه عنك ، ويريدون منك أن لاتميل اليه ولا تصالحه ، وهم يكفونك مؤونته ، وأنت تأبى الا مظاهرته عليهم ، وموالاته دونهم ، بل تظاهره وتواليه دون وليك الحق الذي هو أولى بك ، قال الله تعالى ١٨ : ٥٠ « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ، كان من الجن ، ففسق عن أمر ربه ، أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ، وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا » طرد ابليس عن سمائه ، وأخرجه من جنته ، وأبعده عن حزبه ، اذ لم يسجد له ، فعاداه وابعده ، ثم واليت عدوه وملت اليه وصالحته ، وتتظلم مع ذلك ، وتشتكي الطرد والإبعاد وتقول :

عودوني الوصال والوصل عذب ورموني بالصد والصد صعب

أمره الله بشكره لا لحاجته اليه ، ولكن لينال به المزيد من فضله ، فجعل كفر نعمه والاستعانة بها على مساخطه ، من أكبر أسباب صرفها عنه . وأمره بذكره ليذكره بإحسانه ، فجعل نسيانه سببا لنسيان الله له ، قال تعالى « نسوا الله فنسيهم » وقال « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » أمره بسؤاله ليعطيه فلم يسأله ، بل أعطاه أجل العطايا بلا سؤال فلم يقبل ، يشكو من يرحمه إلى مَن لا يرحمه ، ويتظلم من لا يظلمه ، ويدع من يعاديه ويظلمه ، إن أنعم عليه بالصحة والعافية والمال والجاه ، استعان بنعمه على معاصيه ، وإن سلبه ذلك ظل متسخطا على ربه وهو شاكيه ، دعاه إلى بابه فما وقف عليه ولا طرقه ، ثم فتحه له فما عرّج عليه ولا ولجه ، أرسل إليه رسوله يدعوه إلى دار كرامته فعصى الرسول وقال : لا أبيع ناجزا بغائب ونقدا بنسيئة ، ولا أترك ماأراد لشيء سمعت به ، ويقول :

خذ ما رأيت ودع شيئاً سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

فإن وافق حظُّه طاعة الرسول أطاعة لنيل حظه ، لا لرضي مرسله ، لم يزل يتمقّت اليه بمعاصيه حتى أعرض عنه ، وأغلق الباب في وجهه . هذا فلم يؤنسه من رحمته ، بل قال متى جئتني قبلتُك ، إن أتيتني ليلاً قبلتك ، وإن أتيتني نهارا قبلتك ، ومن أعظم مني جودا وكرما ، ويقول : خيري الى عبادي نازل وشرهم إلي صاعد ، أتحبب اليهم بنعمي وأنا الغني عنهم ويتبغضون إليّ بالمعاصي ، وهم أفقر شيء إلي . من أقبل إلي تلقيته من بعيد ، ومن أعرض عني ناديته من قريب ، ومن ترك لأجلي أعطيته فوق المزيد ، ومن اراد رضاي أردت ما يريد ، ومن تصرف بحولي وقوتي ألنت له الحديد . أهل ذكري أهل مُجالستي ، وأهل شكري أهل زيارتي ، وأهل طاعتي أهل كرامتي ، وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبهم ، فإني أحب المتطهرين ، وإن لم يتوبوا الي فأنا طبيبهم ، ابتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب . من آثرني على سواي آثرته على سواه . الحسنة عندي بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، والسيئة عندي بواحدة ، فإن ندم عليهـــا واستغفرني غفرتها له ، أشكر اليسير من العمل ، وأغفر الكثير من الزلل ، رحمتي سبقت غضبي ، وعفوي سبق عقوبتي ، أنا أرحم من الوالدة بولدها ، وقد ورد « لله أشدّ فرحا بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته بأرض مهلكة دوّية ، عليها طعامه وشرابه فطلبها حتى إذا يئس من حصولها ، نام في أصل شجرة ينتظر الموت ، فاستيقظ فإذا هي على رأسه ، قد تعلق خطامها بالشجرة ، فالله أفرح بتوبة عبده من هذا براحلته » وهذه فرحة إحسان ولطف وبر ، لا فرحة محتاج إلى توبة عبده منتفع بها . وكذلك موالاته لعبده إحسانا اليه ومحبة له وبرّاً به ، لا يتكثر به من قلة ، ولا يتعزز به من ذلة ، ولا يتضرر به من

غلبة ، ولا يعده لناقبة ، ولا يستعين به في أمره ، قال تعالى ١٧:١١ « وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا » فنفى أن يكون له ولي من الذل والله ولي الذين آمنوا وهم أولياؤه .

(أما الأخوة) : فهذا شأن الرب وشأن العبد ، وهم يقيمون أعذار أنفسهم ، ويحملون ذنوبهم على أقدامه ، ويقولون :

استأثر الله بالمحامد والمجـ ـد وولّى الملامة الرجلا

وما أحسن قول القائل :

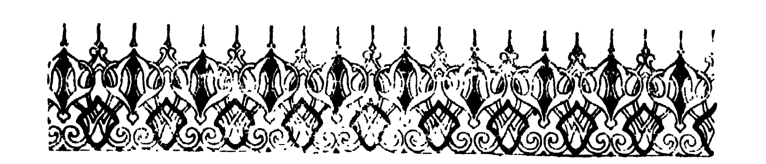
تطوي المراحل عن حبيبك دائبا وتظل تبكيه بدمع ساجم
كذبتك نفسك لست من أحبابه تشكو البعاد وأنت عين الظالم

في هذا القدر كفاية لمن وعى وتدبر ، والحمد لله رب العالمين .

النقص الأدبي

قال الأستاذ محمد الغزالي (في الإسلام والأوضاع الاقتصادية ص ٥٧) :

النقص الأدبي لا يحسّ به صاحبه إحساسه بالنقص المادي ، بل ربما أحاطت به أحوال تشعره بالكمال والعظمة ، وتهون في ناظريه القيم المعنوية ، ولو أن كل محروم من وسائل المعرفة والفضيلة ، يتألم لذلك ألم الجوعان لفقدان ما يزحم معدته من وقود ، لاستراح الناس واسترحنا من لوثات الأغبياء والأدعياء .



مفاهيم سليمة

من الاتفاقات الموفقة أن يكون هذا البحث للأستاذ الجليل الشيخ محمد علي الزعبي ، والبحث الذي قبله ، والبحث الذي بعده متقاربة في موضوعها العام ، قال الأستاذ الزعبي :

أولع الاستشهاد بالآيات مبتورة ، ديدن الذين ضلوا على علم ، أو استعذبوا الحياة في ديجور جهل ، وقلبوا الدواء داء عضالاً .

١ — قد يتلو الجبري قوله تعالى :

(إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) ويعلق عليها قائلاً :

« إن الله اختار منذ الأزل فريقاً للجنة وفريقاً للنار ، ولذا سيذهب سعي الساعين وعمل العاملين عبثاً ، إذ السعادة قبل الولادة ، وليس الإنسان إلا ريشة في الهواء إذ الله عمل بيد الإنسان خيراً أو شراً وقال بلسان الإنسان صدقاً أو كذباً » .

هذا مايفهمه الذين يصدرون الأحكام المرتجلة مستندين لتلاوة الآيات مبتورة ، لقد فاتهم أن الآية مسبوقة بهذا النص :

(إنكم وما تعبدون من دون الله ، حصب جهنم أنتم لها واردون ... إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) .

وواضح أن القرآن يصور الأصنام محروقة أمام عابديها تحذيراً لهم وتبكيتاً وتنبيهاً إلى أن المحروق لا يعبد !

وقد توهم بعضهم حين نزول الآية ، أن كل معبود من دون الله يحرق وادخلوا في هذه الكلية الرسل والأنبياء والحكماء الذين عبدهم الغلاة ، ولكن الوحي صحح هذا المفهوم بقوله (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) يعني أن الرسل والأنبياء والحكماء والعظماء الذين عُبدُوا ، سواء أكانت فلسفة عبادتهم قائمة على الحلول أو الإشراق أو الانبثاق أو التجلي أو التجسد أو التأنس .. ليسوا مسؤولين عن انحراف الغلاة الذين عبدوهم لأنهم (الرسل والأنبياء والعظماء) لم يأمروا الناس بالانحراف .

٢ — وقد يستشهد بعض الناس بشطر من الآية مثل :

(أتريدون أن تهدوا من أضل الله) ؟؟

وفاتهم أن القرآن سبيل للهداية وعصمة من الضلال (فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى) لأنهم خالوا الله يرسل شمس الهداية لقوم ويحجبها عن آخرين دون حيثيات .

فاتهم هذا فلم يقرأوا الآية بنصها الكامل :

(فمالكم في المنافقين فئتين ، والله أركسهم بما كسبوا ، أتريدون أن تهدوا من أضل الله ؟؟) .

إذ لو قرأوها كاملة لرأوا المنافقين راسبين بسبب أعمالهم ، لأنهم ضلوا طريق الهداية ، ومن يتنكبه عمداً واختياراً ، فقد طلب طريق الضلال فوجده أو تخلى عن الله فتخلى الله عنه ، وهذا معنى (أضل الله) .

٣ — ... وإن يردك بخير فلا راد لفضله .

هذه الآية يتخذها بعضهم دليلاً على أن الله يعطي ويمنع ارتجالاً ، ولو راجع القارىء الآيتين ١٠٧ و ١٠٨ من سورة يونس لرآهما في معرض التنبيه على أن الأصنام لاتنفع عابديها ولا تضرهم أي لاتكشف عنهم ضرراً ولا تحول دون إيصال النفع .

٤ — قل كل من عند الله

يذكر الجبريون هذه الفقرة مبتورة من الآيات حين محاولاتهم التنصل من الشر رداً على كلمة (الخير من الله والشر من الناس) يحاولون التنصل غير عالمين أن يهود المدينة كانوا إذا أصيبوا بقحط قالوا لرسول الله ﷺ : (القحط بسبب قدومك المدينة ، ولكن الله رد عليهم بقوله (قل كل من عند الله) أي اقبال الزراعة والثمار وقحطها من عند الله ، ليس لقدوم رسول الله شأن في ذلك كله .

٥ — فألهمها فجورها وتقواها

من الفهم الملتوي ، وقوف الجبريين طويلاً عند آية (فألهمها فجورها وتقواها) يرددونها دون فهم ليضعوا تبعة أعمالهم على الله — لأنه طبعاً بفهومهم — ألهم الإنسان الشر !

أواه ! لو علموا أن (الهم) بمعنى عرّف لا بمعنى أرغم وأجبر ، إذ لا يتفق الجبر والشر ، ويستحيل أن يلهمنا — يجبرنا الله على مانهانا عنه !

لقد عرّفها ماينبغي أن تأتي أو تذر من خير أو شر أو طاعة أو معصية لتمييز رشدها من غيها ، إذ النفس قطعة بيضاء نستطيع المحافظة عليها نقية ناصعة ، ونستطيع غمسها في مستنقع الضلال ، وقد علق الله فلاحنا على التزكية

وخيبتنا على عكسها فقال (قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دسّاها) أي أي لوثها ، ولا يعلق الفلاح والخيبة ، إلا على مانستطيع تحقيقه ، إذ (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) .

الا لقد بين الله للانسان طريقي الخير والشر فهداه النجدين ، أي أوقفه في الطريق ذي المفترقين (إما شاكراً وإما كفوراً) وقدره على التمييز بينهما ومتعه بنعمة الاختيار .

٦ — الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر

هذا موضوع تحدث فيه القرآن عن ثروة قارون التي دفعته للغطرسة وأفضت للخسف والدمار ، وقد صور القرآن الذين (أوتوا العلم) بعدم تمني مثلها وصور محبي العاجلة بالجشع والتمني ، ثم قال بلسان حال أهل العلم :

(ويكأنّ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر)[1] والآية هنا تعرض موضع العبرة ، لنعلم أن وجود المال بيد شخص ما ليس دليلاً على أن الله يحبه ويكرمه وتجريد شخص ما من المال ليس دليلاً على أن الله لا يحبه إذ المال حطام لا يحجبه الله عمن سار في طريقه سواء أكان الطريق مستقيماً أم ملتوياً عملاً بناموس الاختيار الذي استلزمه نظام التكليف .

٧ — وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله

هذه جاءت بعد (لو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً) أي لو شاء لجعل الإنسان مرغماً على الهداية والإيمان ، ولكنه لم يشأ إذ منحه حرية الاختيار وهي والجبر لا يلتقيان .

لقد علم سبحانه أن فلانا سيعطي حرية الاختيار ولا يستفيد منها مختاراً

(١) راجع الآيات ٧٦ ـ ٨٤ من سورة القصص .

وبذا يعرض عن الإيمان مختاراً ، ولو شاء الله لأرغمه ، ولكنه تعالى لم يشأ !!
ولو أرغمه لأبعده عن دائرة المكلفين وألحقه بنظام الكون !! [1]

٨ — فريق في الجنة وفريق في السعير

لا يعني أن الله صنف عباده منذ قرر ايجادهم بل يعني أنه علم أن قوماً منهم يستفيدون من الحرية والاختيار ويعبدون طريقاً يفضي الى الجنة ، مع قدرتهم على الانحراف ، وبعضهم يهمل الحرية والاختيار ويسير في طريق ملتوية زاعماً أن الله كتبه في الفريق الهالك ، فينحرف مع قدرته على الاستقامة .

ذلك لأن باب رحمة الله (الإيمان به والوقوف عند حدوده) مفتوح ، أما الذين أعرضوا عنه ، فإعراضهم باختيارهم ، لقد أعرضوا وهم قادرون على عدم الاعراض !! [2] .

٩ — لا يفتأ الجبريون من الاستشهاد بالآيات مبتورة ومن ذلك استشهاد ؟ بآية :

(والله خلقكم وما تعملون) يريدون أن الله خلقهم وخلق مايصنعون من أعمال منحرفة ، متناسين أن أولها [أتعبدون ماتنحتون ؟ والله خلقكم وما تعملون] إذ الآية تقص علينا جهاد سيدنا ابراهيم حين قال لقومه : الله خلقكم وخلق ماتقشمون من أصنام ، فهلاّ عبدتم أيديكم التي نقشت هذه الأصنام المنحوتة ؟

---

(١) راجع الآيتين ٩٨ و ٩٩ من سورة يونس .
(٢) راجع آية ٦ و ٧ من سورة الشورى .

١٠ - أما آيات (يخادعون الله - الله يستهزىء بهم ، زينا لهم أعمالهم - أغويناهم ...) إذا عاد ضميرها لله أو أضيفت له ، فينبغي أن نفهمها على الوجه الآتي :

* * *

تطلق كلمة (يحاربون الله) على قطاع الطريق ، أي يحاربون العزّل من عباده ، فكأن الحرب موجهة له تعالى ، وكذا (يخادعون الله) أي يخدعون المساكين والشعوب الضعيفة ، وقد هددهم الله بأنه سيخدعهم أي يحبط ما يبيتون من خداع .

يؤيد هذا قوله (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) أي وهو كاشف ما بنفوسهم من خداع .

وهكذا قوله (الله يستهزيء بهم) و (والله خير الماكرين) تعني كشف ما بنفوسهم من الاستهزاء والمكر ، من باب مقابلة الكلمة بمثلها لكن مع الفارق بالمعنى .

نعم إن كثيرين من الذين أحبوا الخروج بجديد وقفوا عند حدود الحرف ونسوا قاعدة تفسير القرآن بالقرآن (أعوذ بالله متى عرفوها لينسوها) ولم يكلفوا أنفسهم شرف التنقيب ، بل زعموا أن الله أرسل رسلًا وأنزل كتباً تنفيذاً لصفة المكر وفاتهم أن كلمة (مكر) الواردة في القرآن لا تعني إذا أضيفت لله ما تعنيه حين إضافتها للانسان ، إذ المكر من الإنسان دهاء وحيلة وختل ومراوغة ، وهي صفات يستعين بها الضعفاء المقهورون أو الأقوياء الخداعون ، ولكن إذا أضيف لله لا يعني إلا إحباط مكر الماكرين ، إذ للمكر معان تفرضها القرائن ، كما فرضت معاني الأفعال الناقصة إذا أضيفت له .

فقولنا مثلًا (كان فلان حيًّا) تعني عدم استمرار حياته لكن (كان الله عزيزاً) تعني استمرار عزّته .

وقد راجعنا كلمة (مكر) لغة فرأينا في المنجد ما نصه :

(مكر الرجل ، ومكر به إذا خدعه ومكر الله فلاناً أو مكر به إذا جازاه على المكر) كما راجعنا مادة (مكر) في التفاسير واخترنا من تفسير صفوة البيان هذه الشذرات . قال في آل عمران تعليقاً على الآية ٥٤ :

« والمكر محمود إن تحرى به الفاعل الخير والجميل ومنه مكر الله إذ نجى رسوله (المسيح) من اليهود ، أي يراد بحقه تعالى المعنى اللائق بكماله .

وقال تعليقاً على الآية ٣٠ من سورة الأنفال :

يمكر الله يرد مكرهم ويحبط كيدهم ويجازيهم على مكرهم .

وقال تعليقاً على الآية ٢١ من سورة يونس :

« قل الله أسرع مكرا » أعجل عقوبة وأشد أخذا) .

فإذا سمعنا قوله تعالى « زينا لكل أمة عملهم — زينا لهم أعمالهم » تحققنا أن الله لا يزين للناس إلا ما ينفعهم ودعمنا هذا بقوله « حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ، وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان » .

أي تحققنا أنه لا يقصد بالتزيين الإغواء بل يقصد التخلي عن المنحرفين والجزاء على ضعفهم تجاه حملة الشيطان الذي يزين ويغري ذلك لأن الله هدد الشيطان وسامعي توجيهه ، هددهم بقوله : « من اتبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً » . لا سيما وكلمة (زينا لهم أعمالهم) جاءت تتوسط مرضين من أمراض المنحرفين هما عدم الإيمان بالآخرة والعمه ، فإذا قال الله عنهم (زينا لهم أعمالهم) عنى — وهو أعلم — احباط المؤامرة التي أقاموها على دعائم التزيين .[1]

---

(١) حول هذا الموضوع راجع ص ١٦٨ ، ٣٣٣ ، ٣٧٣ ، ٤٠١ ، ٤٠٤ و ٧٣٨ من التفسير الميسر للشيخ عبد الجليل عيسى .

إذن فالله لا يخدع ولا يمكر ولا يزين سوءاً ولا يغوي ولا يبدأ أحداً بحروب بل يحبط - ويأمرنا أن نحبط - مؤامرات الخدّاعين والماكرين ومزيني السوء والمغوين والمغررين .

وعلى هذا فينبغي أن نحذر الفهم السقيم حين نمر بآيتي (زيّنا) كما نحذر حين نمر بآية « إن كان الله يريد أن يغويكم » إذ ندرك أن الإغواء هنا بمعنى الجزاء أي يجازيكم والدليل على هذا قوله : « فسوف يلقون غيّا » أي جزاء .

أما بقية ضمائر زيّن ، سواء أكانت معلومة أم مجهولة فمفهومة من سياق الآية فقد يكون الفاعل شيطان جن أو إنس أو جاهلي أو غرائز منحرفة أو أنانية أو تجار دين أقاموا أنفسهم وسطاء بين الله والناس .

١١ - (لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) :

نصر الله المسلمين يوم نصرهم فكان ذلك شجى في حلق سدنة الأصنام، كما كان تقهقرهم عيداً لدى أولئك السدنة .

أما الآيات الكريمة فنزلت تثبت من قلوب المسلمين وتقول لرسول الله (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله) أي لا يهمنا حقد عبّاد الأصنام ولا أفراحهم لأن الله يكتب النصر للجديرين به إذ لا تدخل الهزيمة إلا من نوافذ عدم الامتثال ولا يكتب الله نصراً للمتخاذلين أو هزيمة للساهرين .

هذا ما يفوح من أريج الآية ، ولكن الجبريين المتواكلين لا يحبون إدراك هذه الحقائق فلا يكادون يرون الكوارث حتى يضعوا التبعة على عاتق الأقدار - لا على تصورهم وتفريطهم - ويقولون (لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) !!

١٢ — (قل إن الهدى هدى الله ...) :

وهذه فقرة من آية كريمة يتخذها المتواكلون دريئة ومن أجمل التعاليق التي رأيتها ما كتبه الشيخ إبراهيم الجبالي بهذا النص[١] :

(وليس هذا بمقنع للاختيار الذي منحه الله الانسان ، فإن الكافر ما كفر قهراً ولكنه اختار الكفر على الإيمان ، وكل يعمل باختياره ، وذلك تنفيذاً لإرادة سابقة أزلية لا تعلم الناس ولا يشعرون بها ولا يبنون أعمالهم عليها ، ولكن بعد حصول الشيء نعلم بالبرهان أن هذا الذي حصل في الكون ما كان مجهولاً للمكوِّن ولا كان قهراً عن المدبِّر ، فلا يقع في ملكه إلا ما يشاء ومن ضمن ما يشاء أن يقع إيمان هذا المؤمن عن إرادة ورغبة منه ويقع كفر هذا الكافر عن إرادة ورغبة منه .

١٣ - (... ما كان لهم الخِيَرة ..) :

الجبريون فريق نفذ صبره وتبعثرت قواه ، فأخذ يحاول التمسك بمطلق خيط واهٍ .

سمعت شخصاً يدافع عن آخر ساءت ، وما كدت ألفت نظره برفق حتى قال (إن الخِيرَة لله وحده وقد سلبها من جميع عباده فقال : (ما كان لهم الخِيَرة) فإذا اختار الله أمراً لا يستطيع الإنسان أن يختار سواه ، وقد اختار لي هذا الواقع (يعني الارتكابات والجرائم) فهل أختار أنا ما لم يختره الله لي ؟ وهل هذا داخل في نطاق قدريّ ! ؟

أواه ، لقد فات هذا الجبري المسكين أن كلمة الخيرة جاءت في القرآن بموضعين :

١ — في الآية ٦٨ من سورة القصص بهذا النص (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيره) .

---

(١) راجع مجلة نور الإسلام ج ٩ مجلد ٣ ص ٦٣ رمضان ١٣٥١ .

وهي هنا تعني التركيب التكويني للإنسان أي لا يستطيع الإنسان أن يعدّل شكل عينيه أو طول أو قصر قامته مثلاً ، كما قال أبو العلاء :

وقل للغراب الجون إن كان ناطقاً أأنت على تغيير لونك قادر ؟؟

٢ - في الآية ٣٦ من سورة الأحزاب وهي في معرض القضاء على عادات الجاهلية التي ترى زواج الفقير الضعيف العشيرة من ثرية قوية العشيرة ليس جائزاً أي بمناسبة زواج زيد بن حارثة من زينب بنت عاتكة بنت عبد المطلب .

هذه نماذج من مفاهيم سليمة ، تدفع خطر الفهم السقيم الذي يضع تبعة أخطائنا على عاتق القضاء والقدر والعلم السابق وإبليس والشيطان والغرائز والبيئة والوراثة والنفس والهوى والتقاليد والحق والعصبيات .

نماذج تربنا الاحتجاج بالقدر مصيبتنا الأولى والأخيرة ، وتطرد سفسطة الجبرية التي اجتمعت بعصور طويلة وشكلت غيمة حالت بيننا وبين رؤية شمس الحقيقة .

نماذج أرتنا دعاة الجبرية عمياناً يقودون عمياناً ، وأرتنا المعاني السليمة الكامنة في الآيات الكريمة لا تنكشف إلا بمراجعة وجهد واطلاع على تفاسير محترمة .

نماذج تربنا تقهقرنا جزاء غفلتنا وتفريطنا ، تربنا استئناف المجد داخلاً في إطار مقدرتنا .

قال عبد الله بن العباس : (ما كان من نكبة فبذنبك والله قدّرها) أي سبق بعلمه وتقديره أنها ستصيبك بسبب ذنب اقترفته مختارا .

نماذج تغلق الطريق بوجه الذين يحاولون التفلت من تبعة أعمالهم ويتمسكون بمطلق خيط واهٍ ، كخصم ضاع صبره وهزمت حجته ودنت إدانته فشرع يهرف بما لا يعرف .

فقد سمعت شخصاً من هؤلاء يدافع عن قبيح أعماله بقوله (لم أعمل الشر بل عمله الله بيدي واختار ما أنا فيه) .

نماذج ترينا نهراً واحداً يخيفنا ويقلقنا ولكنه تشكل من روافد ذنوبنا .

نماذج ترينا الإيمان بالله والوقوف عند حدوده ، ترياقاً يدفع سموم الأفاعي الناطقة والشياطين المتأنسة .

نماذج لا تحملنا على إنكار تأثير الغرائز والوراثات مثلا ، ولكنها تذكرنا بالكلمة النبوية (كل بني آدم خطّاء ، وخير الخطائين التوّابون) .

نماذج تنادينا : اضمن انتصارك على عفريت الأنانية والحمق والتسرع ، أضمن لك حياة فردية لا يشوبها الألم .

بيروت :

محمد علي الزعبي

مدرّس الجامع الكبير

كتابة للتسلية

قال الأستاذ الجليل البهي الخولي مؤلّف (تذكرة الدعاة) في الكتّاب الذين تهمهم التسلية دون التوجيه الروحي :

... أما إذا قرأت فلم تجد إلا إنساناً يتحدث ليسليك ، أو ليعرض عليك بالقلم ما يصح ان تراه في السينما أو الصحف المصورة ، أو ليطلعك على نوع ثقافته ، وكثرة معارفه ؛ إذا قرأت فلم تجد إلا هذا ، فاعلم أن صاحبك ببغاء مطموسة ، لأن علمه لم يفتح له بصيرة ، ولم يفقهه بحقيقة ما نحتاج إليه في النهوض والإصلاح ...



الرد على الجبرية !

للأستاذ محمود مهدي استانبولي

هل لله تعذيب الطائع ؟ !

وهل له تكليف عباده ما لا يطيقون ؟ !



القرآن الكريم آيات عامة فهمها الكثيرون فهماً لا يستقيم مع مبادئ الإسلام العامة ، ولا مسلمات العقل السليم .

ونذكر فيما يلي بعض هذه الآيات ونشرحها شرحاً كافياً يقنع أولي الألباب الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ! وهو ما يوافق المسلّمات العامة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، أما المعاندون والمصرون ، والمخدرون ، فليس علينا هداهم ، وحسابهم على الله ، ولا شك أن الله – سبحانه – سيحاسبهم حساباً عسيراً وسيعاقبهم عقاباً شديداً إذا أصروا على ضلالهم .

١ – « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم » البقرة ٧ – ٨

لقد فهم من هذه الآية كثير ممن ليس لهم فقه أن الكفار مجبرون فلن يستطيعوا أن يؤمنوا ما دام الله تعالى قد ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم . . . ولن يفيد فيهم انذار ، والجبر باطل عقلاً وشرعاً . أما

عقلاً ، فلأنه لا يستطيع انسان مهما انحط تفكيره - إلا إذا عاند - أنه يقول إن الله سبحانه يجبر عباده على الضلال ويختم على قلوبهم ابتداء فلا يستطيعون الإيمان ثم يكلفهم ويعاقبهم على عصيانهم !! وأما شرعاً ، فهناك آيات كثيرة تثبت الحرية والاختيار للإنسان فهو مسؤول عن عمله ومجازى عليه إن خيراً فخير وإن شراً فشر كقوله تعالى : (وأنْ ليس للإنسان إلا ما سعى) (كل امرىء بما كسب رهين) (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها . . .)

وملخص القول في تفسير آيتي البقرة اللتين نحن بصددهما أن الله سبحانه عاقب الكفرة بالختم على قلوبهم والطمس على أبصارهم بنتيجة إصرارهم وعنادهم ، يدل على ذلك قوله تعالى (في قلوبهم مرض ، فزادهم الله مرضاً) (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم !) فهم مصرون مستكبرون لا ينفع معهم انذار !

والآية الآتية أعظم دليل على ما ذهبنا اليه بأن الختم والطبع لا يكونان إلا بعد عناد الكفار واصرارهم : (فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنـــا غلف ! بل طبع الله عليها بكفرهم ! فلا يؤمنون الا قليلا (النساء ١٥٥)

٢ ـــ يضل من يشاء ويهدي من يشاء) (لا يُسأل عما يفعل ، وهم يسألون) (إن الله يفعل ما يشاء) .

ذكرنا فيما سلف نوعا آخر من الآيات فهم منها من لا فقه له أن لله تعالى تعذيب الطائع من غير جرم سابق وإثابة الكافر من غير ثواب لاحق ، فهو - سبحانه - متصرف في ملكه كيف يشاء ، ولا يعد ظالما بعمله السابق ، لأن الظلم عبارة عن التصرف في ملك الغير بغير إذنه ،

وهو محال على الله تعالى ، فإنه لا يصادر ملكا لغيره حتى يكون تصرفه فيه ظلماً . وقد يفصلون القول فيقولون إنه تعالى يفعل ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده وهؤلاء الجبرية يستدلون على زعمهم بالآيات السابقة ، ثم يؤيدون ذلك بالبهائم قائلين : فإن ذبحها ايلام لها ، وما صب عليها من أنواع العذاب من جهة الآدميين لم يتقدمها جريمة ! ونرد عليهم بقولنا أما الآيات فلا دليل لهم بها فإن الله سبحانه حكيم ، والحكيم يضع الأشياء في محلها فلا يتصرف الا بالعدل والحكمة . يقول سبحانه (وما ربك بظلام للعبيد) (ولا يظلم ربك أحداً)

وأمّا الأمثلة التي ضربوها ، فإن الإنسان ولو تصرف بملكه ، فظلم عبيده فهو يعتبر ظالماً ، وذبح الحيوانات غير وارد وليس فيه دليل ، فقد انقضى أجلها بالذبح . والإنسان نفسه ـ حتى المؤمن ـ قد يعذب على فراش الموت . . . كل ذلك قد يكون من طبيعة الأشياء ، وهو عذاب آني ، لا يقاس بعذاب الكافرين والعصاة !

٣ ـ (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به . . .)

وقد استدل الجبريون بهذه الآية أنه يجوز على الله سبحانه أن يكلف الخلق ما لا يطيقون (!)

ومن تأمل في هذه الآية لا يجد لهؤلاء الجبريين حجة فيها ، جاء في تفسير الإمام ابن كثير : وقوله (ربنا ولا تحملنا مالا طاقه لنا به) أي من التكليف والمصائب والبلاء ، لا تبلنا بما لا قبل لنا به . وقد قال مكحول في قوله (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقه لنا به) : العزبة والغلمة ـ رواه ابن أبي حاتم ـ .

وأول الآية حجة على الجبرية لا لهم : لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) قال الإمام ابن كثير أي لا يكلف

أحداً فوق طاقته وهذا من لطفه تعالى ورأفته بهم وإحسانه اليهم وهذه (أي الآية) هي الناسخة الرافعة لما كان أشفق منه الصحابة في قوله (وإن تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) أي هو وإن حاسب وسأل لكن لا يعذب الا بما يملك الشخص دفعه أما ما لا يملك دفعه من وسوسة النفس وحديثها، فهذا لا يكلف به الإنسان !! ..

وقوله (لها ما كسبت) أي من الخير (وعليها ما اكتسبت) أي من شر، وذلك في الأعمال التي تدخل تحت التكليف، ثم قال الله تعالى مرشداً عباده الى سؤاله، وقد تكفل لهم بالإجابة كما أرشدهم وعلمهم أن يقولوا (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) أي وإن تركنا فرضاً على وجه النسيان أو فعلنا حراماً كذلك، أو أخطأنا أي الصواب في العمل جهلاً منا بوجهه الشرعي. وقد تقدم في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: «قال الله نعم!» اهـ باختصار.

ولا أدري كيف يزعم الجبريون أن لله تكليف ما لا يطاق وقد درسوا الآية السابقة وسمعوا بمثل قوله ﷺ: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»

قال الأستاذ الشيخ عبد الفتاح الإمام — رحمه الله تعالى رحمة واسعة — في تفسيره، وقد كان يحمل حملات عشواء على القائلين بالجبر وبتكليف مالا يطاق وبجواز تعذيب الطائع وإثابة الكافر قال:

«... ومن العجيب قول بعضهم بالجبر وتكليف ما لا يطاق، وكأنهم لم ينتبهوا الى قوله تعالى (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) فهؤلاء الفاتنون كفروا وكفروا غيرهم، ومع ذلك فتح لهم باب التوبة سبحانه وتعالى،

ولو انتبهنا الى قوله تعالى : (وقولهم قلوبنا غلف) مغلقة بغلاف عما تقول ، فأجاب تعالى مكذبا لهم بقوله : (بل طبع الله عليها بكفرهم) فإذا زال السبب وهو كفرهم ، زال المسبب وهو الطبع . فالمعنى طبع الله على قلوبهم ما داموا كفاراً وقد تقدم ان الكفر إنما هو ستر الحق ، فاذا أرادوا الحق اهتدوا . وقد حصل لكثير من الكفار الجاهرين بكفرهم أنه قد أصابهم مصاب في اجسامهم أو غيرها فزال عنادهم ورجعوا عن كفرهم وآمنوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ! » .

أما بعد فقد ذكرنا فيما سبق حجج القائلين بالجبر ، وبتكليف ما لا يطاق وبأنه يجوز على الله سبحانه تعذيب الطائع وإثابة الكافر مع بقائه على كفره ، وأوضحنا عن طريق النقل والعقل سخف هذه الحجج وبطلانها وضلالها .

ومما يحز في القلب ويبعث على الأسى أنه كان لنظريات هؤلاء الجبرين أسوأ الأثر في تخدير العالم الإسلامي واستسلامه للأوهــام وقعوده عن العمل ، وارتمائه في هوة من الظلمة والكسل في عصوره المتأخرة لما فهم المسلمون آيات الله تعالى فهماً معكوساً .

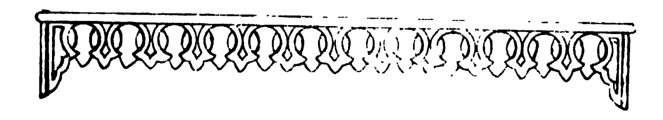
ويؤسفني أن يقوم بعض الكتاب اليوم بنبش نظريات الجبرين من مخابئها العفنة ويعلن أن الله تعذيب الصالحين واثابة العصاة مما لا يصدر عن أقسى الظلمة وأشد العتاة ، ويترفع عنه حتى عقلاء المجانين ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

وهذه بعض أقوالهم :

« هب أن الله تبارك وتعالى ، لم يشأ إلا أن يسوق قسما من عباده بسياط القسر والإكراه فيقذفهم فيها عنوة وابتداء (!!) ولم يشأ الا أن يسوق القسم الآخر بنفس الوسيلة إلى جنة خلده ، فيكرمهم فيها منحة وابتداء (!!) أفيوجد في هذا الملكوت كله من يستطع أن ينــاقشه الحساب ويقول له لِمَ ؟ » !!

أين هذا الكاتب من قوله تعالى : (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون)
(وما يلقاها الا الذين صبروا . . .)
أين هذا الكاتب من قوله تعالى : (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) وقوله سبحانه (قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا ، لهم ما يشاؤون خالدين ، كان على ربك وعداً مسؤولاً)
وقد ردّ الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - على مثل ذاك القول الباطل في معرض كلامه في تضمين سورة الفاتحة ، الرد على الجبريين وذلك من وجوه : :
أحدها : من إثبات عموم حمده سبحانه ، فإنه يقضي ألا يعاقب عبده على ما لا قدرة لهم عليه ، ولا هو من فعلهم ، بل هو بمنزلة ألوانهم وطولهم وقصرهم ، بل هو يعاقبهم على نفس فعلهم بهم فهو الفاعل لقبائحهم في الحقيقة ، وهو المعاقب لهم عليها ، فحمده عليها يأبى ذلك أشد الإباء ، وينفيه أعظم النفي . فتعالى من له الحمد كله عن ذلك علواً كبيراً . بل هو يعاقبهم على نفس أفعالهم التي فعلوها حقيقة ، فهي أفعالهم لا أفعاله . وإنما أفعاله العدل والإحسان والخيرات !
الوجه الثاني : إثبات رحمته ينفي ذلك . إذ لا يمكن اجتماع هذين الأمرين قط : أن يكون رحمانا رحيما ويعاقب العبد على ما لا قدرة له عليه ، وهل هذا الا ضد الرحمة ونقض لها وابطال ؟ ! وهل يصح في معقول أحد : اجتماع ذلك والرحمة التامة الكاملة في ذات واحدة ؟!
الوجه الثالث : إثبات العبادة والاستعانة لهم ونسبتها إليهم بقوله : (نعبد) (نستعين) وهي نسبة حقيقية لا مجازية . والله تعالى لا يصح وصفه بالعبادة والاستعانة التي هي أفعال عبيده . بل العبد حقيقة هو العابد المستعين ، والله المعبود المستعان به ا هـ

محمود مهدي استانبولي



نظرة عامة

في سورة الإسراء

للأستاذ عبد الرحمن الباني

أما بعد(١) فإني أقدم فيما يلي نظرة عامة في سورة « الإسراء » تساعد على فهمها والشروع في تفسيرها إن شاء الله .

هذه سورة مكية . تبدأ بذكر الإسراء ، وقد حصل في مكة قبل الهجرة . وأرجح الأقوال أنه حصل قبلها بسنة أو سنة وزيادة .

ومقصد السورة العام هو مقصد القرآن كله ، وخاصة ما كان ينزل منه في مكة قبل الهجرة .

ومقصد القرآن الأساسي هو ايجاد نوع جديد مـــن الإنسان تبرز فيه الصفات الثلاث الآتية :

١ ـ العبودية الخالصة لله وحده .

٢ ـ استخدام النعم التي خولها الله تعالى بني آدم في كونه كله ، مع استشعار المسؤولية عن التصرف والسلوك يوم القيامة بين يدي الله .

٣ ـ الاهتداء في شؤون الحياة كلها بهدى القرآن والنبوة المحمدية .

وطريقة القرآن الأولى في ذلك كله هي معالجة هذا الإنسان من حيث هو مخلوق مفكر متميز ، كرمه الله وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا .

---

(١) المجلة : بدئت هذه الكلمة في الأصل بالبسملة ثم بخطبة الحاجة : إن الحمد لله . . .

وليس الذي يتجه اليه القرآن هو الفكر الفلسفي المجرد الجامد بل هو الكيان الإنساني كله الذي يلمع فيه الفكر المتأمل الواعي غيرَ منفصل عن الشعور والعاطفة ، عن الإحساس والخبرة والتجربة ، عن الإرادة والعزيمة والهمة .

فالقرآن ـ وخاصة القسم المكي ، ومنه هذه السورة ـ

أ ـ يوجه الإنسان بفكره وشعوره الى آيات الله الماثلة القائمة من حوله الشاهدة على وجود الله وكماله وصفاته وأسمائه الحسنى . فهي تدعو الى الإيمان به ، الإيمان الذي يؤدي الى الانقياد له وحده ، والانقياد هو (الاسلام) لغة ، والانقياد لله وحده هو لب (الإسلام) وجوهره . وخلاصة ذلك : الإيمان بالله ، والانخلاع من عبادة الطاغوت.

وكلمة ـ (لا اله الا الله)ـ وهي شعار الإسلام وأساسه ـ : نفي وإثبات . نفي لعبادة الطاغوت وإثبات لعبادة الله وحده .

فلا بد إذن من نقاش لمن أشرك ، ونضالٍ ضد الشرك وإبطالٍ له وإقامة براهين التوحيد .

ب ـ والقرآن المكي ـ ومنه هذه السورة ـ يبين بجلاء أن هذا الكون هو كون خلقه الله بيده ، وأجراه على سننه ، وأن الإنسان مخلوق ، مكرم ، مسخر له هذا الكون بأرضه وسمائه وشمسه وقمره ونجومه وأنهاره . . . .

فعلى هذا الإنسان أن يستخدم هذا الكون عالماً بهذه الحقيقة غير غافل عنها ولا متنكر لها ، أعني أن الله هو الخالق له ، مستشعر مسؤوليته عن تصرفه في هذا الكون وهذه الحياة بين يدي خالقه وخالق الكون المسخر له ، وذلك في يوم آخر ، يوم يقوم الناس لرب العالمين

وهذه السورة تقرر مبدأ المسؤولية وتنافح عـن هذه الفكرة . مسؤولية كل فرد عن نفسه ، مسؤوليته عندما ينتسب لجماعة ، بل من حيث هو بطبيعة الحال فرد في جماعة ، وهي تتناول فكرة المسؤولية والآخرة بتنويع وتوسع .

وهي تناقش الذين يتنكرون للمسؤولية وينكرون الآخرة ، وتبين ضعف موقفهم ، ووهن حجتهم ، وتبرهن على صدق عقيدة اليوم الآخر .

ج ـ والقرآن يعرض علينا « الهداية القرآنية » عرضاً جيلاً محبباً ، ويؤسس لها بإقامة الحجة على صدق الرسول ، صلوات الله عليه وسلامه وصدق القرآن .

فلولا صدق الرسول ولولا صدق القرآن لكانت الدعوة الى اتباع الرسول عبثاً ؛ فهذا القرآن كلام الله ، وهذا الإنسان ، هذا العبد من عباد الله ـ أعني محمداً صلوات الله وسلامه عليه ـ هو نبي الله ورسوله إلى خلقه . وهو في الذروة العليا من الكمال الإنساني . هو ذروة بني آدم الذين كرمهم الله في تكريمه تكريم لهم . فلا عجب أن يذكر في هذه السورة ما أكرم الله به عبده من « الإسراء » وأن يذكر فيها تقرير الله للكرامة الإنسانية : (ولقد كرمنا بني آدم ...) عدا ما في معجزة الإسراء من الشهادة له بصدق نبوته ورسالته .

إذن في هذه السورة :

أ ـــ بيان لعظمة القرآن الكريم وإقامة الأدلة على صدقه والتذكير بإعجازه ، والتحدي به . . . وفيها آية التحدي المشهورة : (قل : لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو

كان بعضهم لبعض ظهيراً) « الآية ٨٨ من هذه السورة » . وقد تكرر ذكر القرآن في هذه السورة (١١) مرة[1] .

ب ـ وفيها إشارة برسول الله ﷺ وعرض لبراهين الصدق في نبوته والشواهد على رسالته وفيها ردٌّ على الذين أنكروا نبوته وعاندوا وسلكوا طريقاً غير الطريق التي تؤدي إلى معرفة نوع من البراهين التي هي بطبيعتها الشاهد على نبوته . فالتمسوا البراهين ـ مع اغماض أعينهم عن البراهين الحقيقية ـ التمسوها في أمور ليست من شأنه ، وإنما هي من شأن من أرسله .

وما أعظم هذا الرسول الذي يؤكد بأمر ربه صفته البشرية في كل مجال ، ويأبى أشد الإباء أن يوصف بغير صفتي البشرية والرسالة : (قل : سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً) « الآية ٩٣ من الإسراء » .

ج ـ وفي هذه السورة عرض لأخلاق القرآن ومبادئه ، بل لجانب هام من الاخلاق والمبادئ التي تدعو إليها النبوة المحمدية . وهو عرض حي محبب ـ كما قلنا ـ وقد امتزجت فيه الأحكام بالحكم والأخلاق والأعمال بالنتائج الدنيوية والأخروية . وهذا ينسجم مع فكرة المسئولية وارتباط الأعمال بنتائجها .

د ـ وفي هذه السورة ـ عدا ما ذكرنا ـ أمران وهما غير منفصلين عما سبق :

أولهما : القصص .

ثانيهما : التحليل بطبيعة النفس الإنسانية نفس الإنسان فرداً ونفس الإنسان في جماعته ، بل نفس الجماعة الإنسانية .

---

(١) واحدة منها بلفظ « قرآنا » : (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث . .) الآية ١٠٦ من هذه السورة .

فبالقصص يوسّع القرآن مدى الإدراك والنظر ليلف الماضي والحاضر في وحدة متجانسة يضمها القانون الواحد الذي يشمل الكل ، ويعرف أن الجزء ليس وحده هو العالم ...

وهذا ما يضعنا أمام قوانين الله الكونية والاجتماعية ، أمام سنة الله ، بل سنته .

وبالتحليل النفسي يعمّق معرفتنا بالإنسان ، ويساعد على تعميق الإدراك للقضية التي يُدعى اليها الإنسان ، ويخالف فيها الإنسان أو أو يتنكر لها أو ينكرها ، فنعرف سر إنكاره ونعرف ما وراء مخالفته وعناده ... وقد تكرر ذكر (الإنسان) في هذه السورة (٧) مرات

وهو في القصص من هذه السورة يذكر بني اسرائيل بوجه خاص . ولهذا أسبابه التي تلتمس في تاريخهم الطويل منذ وجدوا حتى الآن ، بل التاريخ البشري الذي يقف شاهداً لهم أو عليهم منذ أصبح في البشرية هذا النوع من البشر .

ولا تزال البشرية تعاني منهم ما تعاني في كل أطراف العالم .

فمن الطبيعي أن تنبه الأمة الجديدة التي تحمل خاتمة الرسالات وترث هداية النبوة وتحمل مشعلها وتقيم حضارتها في الأرض ، حتى تكون على بينة من الطريق ، ولتكون واعية لهذا العدو الألد لها ولكل البشرية ، منذ أولى الخطوات .

ترتيب أقسام السورة حسب ورودها

	الآيات	العدد
١ ـ فاتحة السورة : تنزيه الله والإسراء بالرسول ﷺ	١	١
٢ ـ موسى ، وكتابه ، وبنو اسرائيل	٢ ـ ٨	٧
٣ ـ القرآن	٩ ـ ١٢	٤
٤ ـ المسؤولية وارتباط الأعمال بنتائجها	١٣ ـ ٢١	٩
٥ ـ من هداية القرآن وأخلاق الإسلام	٢٢ ـ ٣٩	١٨

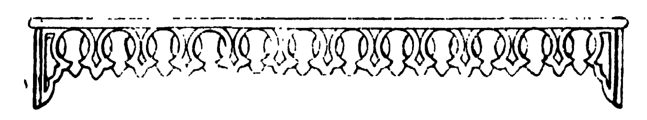
٦ ـ التوحيد ، والقرآن	٤٠ ـ ٤٨	٩
٧ ـ البعث	٤٩ ـ ٥٢	٤
٨ ـ توجيه للرسول ﷺ والمؤمنين إلى الموقف الواجب من المنكرين	٥٣ ـ ٥٨	٤
٩ ـ والخوارق . وقصة آدم	٥٩ ـ ٦٥	٥
١٠ ـ في التوحيد ، وتقرير كرامة الإنسان	٦٦ ـ ٧٢	٨
١١ ـ توجيه للرسول ﷺ الى الموقف من محاولات قومه الكيدية	٧٢ ـ ٨٥	١٣
١٢ ـ الوحي القرآني ، الإعجاز ، مقترحات القوم العنادية	٧٦ ـ ٩٦	١١
١٣ ـ الآخرة ومنكروها .	٩٧ ـ ١٠٠	٤
١٤ ـ موسى عليه السلام .	١٠١ ـ ١٠٤	٤
١٥ ـ القرآن الكريم	١٠٥ ـ ١٠٩	٥
١٦ ـ ختام بتنزيه الله	١١٠ ـ ١١١	٢

هذا ومن المفيد أن ننظر في تقسيم السورة الإجمالي الذي عرضه الأستاذ سيد قطب في ظلال القرآن . فقد قسمها خمسة أشواط نلخصها على النحو التالي (١) :

١ ـ الشوط الأول : يبدأ بالإسراء	١ ـ ٢١	٢١
٢ ـ « الثاني : « بالتوحيد . . .	٢٢ ٣٩	١٨
٣ ـ « الثالث : في ذكر أوهام الوثنية الجاهلية . . .	٤٠ ـ ٥٨	١٩
٤ ـ « الرابع : يتحدث عن الخوارق . . .	٥٩ ـ ٧٢	١٤
٥ ـ « الخامس : يذكر كيدهم ويتحدث عن القرآن	٧٣ ـ ١١٠	٣٨
وتختتم السورة بحمد الله . . .	١١١	١

---

(١) يحسن الرجوع الى تفسير سيد قطب في ظلال القرآن .



مشاهد وخواطر

« قل سيروا في الأرض فانظروا ... »



أشك يوماً في كروية الأرض ، ومن أدلة ذلك القرآنية العديدة قوله تعالى : « والأرض بعد ذلك دحاها ، أخرج منها ماءها ومرعاها » ماء ونبات أخضر من نار ؟! ولكن الله تعالى شاء أن يرسلني على نفقة منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة لأشاهد ماوصلت إليه الصناعة والمدنية في معظم أقطار العالم بعد التقدم العلمي والجد والعمل « وان ليس للإنسان إلا ماسعي » فحلقت بالنفاثات الكبيرة فوق القارات الكبيرة والمحيطات العظيمة التي تدل على عظمة خالقها — وشاهدت مختلف الأمصار وألوان البشر وسمعت مختلف اللغات — [ومن آياته اختلاف ألسنتكم وألوانكم] ومن عجيب قدرته تعالى : أن أعيش في صيفين وشتاءين بظرف أربعة شهور ، فقد بدأت جولتي في شهر كانون سنة ٩٦٦ إذ شاهدت الأمطار والثلوج تغمر شمالي أوروبا وأميركا الشمالية .

وحينما انتقلت في نهاية الشهر نفسه إلى اوستراليا في النصف الجنوبي من كرتنا الأرضية خلعت ثياب الشتاء الغليظة بسبب حر الصيف الشديد فيها فشاهدت العنب والبطيخ والقثائيات ومعظم الفواكه قد نضجت وصنعنا من العنب زبيباً فاخراً ، صدرته المعامل الى أوروبا في حين لم تكن تنبت أوراق العنب

في سورية بعد ولم تزهر عناقيده — سبحان الله أصيف وشتاء في وقت واحد وكانت تردني الكتب من سورية عن شدة البرد ونحن نقاسي حر شمس صحراء اوستراليا حيث نشاهد الشمس فوق رؤوسنا ، وحينما كنا ننهض للعمل صباحاً في اوستراليا وأميريكا كان مذيع لندن يقول لعرب الشرق الأوسط « تصبحون على خير » نرجو لكم نوماً هادئاً وأحلاماً لذيذة ، ليل ونهار في وقت واحد سبحانك رب المشارق والمغارب — يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل ؟ . ورغم أنني بدأت جولتي من دمشق باتجاه الغرب فقد انتهى طوافي حول الأرض ووصلت الى دمشق من الشرق ؟! لأن الأرض كروية — وكنت كلما مررنا عدة ساعات غرباً بالطائرة نكسب ساعة أو ساعتين من الوقت حتى كانت حصيلة كسبنا لما وصلت الى اوستراليا يوماً كاملاً لأن الأرض تدور من الغرب الى الشرق . [وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله ...]! وتفادياً للأخطار كانت طائرتنا تحلق عالياً فوق السحاب المسخر حيث نرى الشمس ساطعة والغيوم تحتنا أشبه بقطن مندوف فيه جبال فيها أمطار وثلوج وبرد ، وحينما هبطنا تحتها في ألمانيا في رابعة النهار شاهدنا ظلاماً كظلام الليل — حتى انهم ينيرون المصابيح في رابعة النهار لشدة الظلام ! وحينما زرنا روما شاهدنا على حائط من آثارها عدة خرائط لدولة روما القديمة المنتشرة حول البحر الأبيض المتوسط ، وقد حرر الإسلام تلك البلاد الغربية وأعاد تلك الامبراطورية الى جزمة ايطاليا — الضيقة — ، وفي نيويورك صعدنا بناء يتألف من ١٠٤ طوابق — وفي بناء الأمم المتحدة أصحبوني حيناً دليلة تتكلم الافرنسية نظراً لجهلي اللغة الانكليزية ويظهر أنها يهودية هولاندية وقد أمتدحت اسرائيل لأنها أهدت أحجار حوض (بحرة) من الرخام الى الأمم المتحدة في

حين لم يهد العرب ولو أثراً واحداً رغم وفرة الآثار في بلادنا • ومن الغريب أنني لم أجد متجراً واحداً لبيع المصنوعات العربية في بناء الأمم ، في حين وجدت معظم المصنوعات الشرقية والنحاسية تباع في المتجر الاسرائيلي في القبو ، والأغرب من ذلك أنني شاهدت صورة (بعض زنوج التوغو يصلون على الأرض وأمامهم أحذيتهم وبجانبهم امرأة بائعة الذرة وبجانبها قدر الذرة وقد رفعت يديها الى السماء كأنها تدعو أو تنادي على بضاعتها ، وقد كتبوا تحت هذه الصورة المعروضة في لوحة الإعلانات والصور والأخبار في بناء الأمم المتحدة — كتبوا تحت الصورة المستصغرة — هذه صورة مسلمي التوغو يقومون بطقوسهم الدينية ؟! وبجانبها وفوقها صور البابا الملونة في كنيسة الفاتيكان المزركشة ، ولم يحتج على هذه الصور ولا واحد من مندوبي العرب والمسلمين في الأمم المتحدة ، وقد سألني مرافقي الاوسترالي : هل هذا هو دينكم ؟ قلت له لقد عرفت ديننا — وقال ولماذا تسمحون بنشر هذه الدعاية في هذا المكان ؟ أقول هذا بعد أن زرت بعض المؤسسات اليهودية في سان فرنسيسكو، زرت بناء ضخماً للإخوان البنائين فيه معرض من زجاج وقد حفظ فيه مصغر لهيكل سليمان المذهب الذي يريدون بناءه في القدس الشريف على أنقاض المسجد الأقصى اولى القبلتين ومسرى الرسول العربي عليه الصلاة والسلام ، وإنني أقول هذا لأن اليهود والصهيونية العالمية تحاربنا بالدين اليهودي ، وأقسم أنني لم أدخل غرفة في جميع فنادق أوروبا وأمريكا واوستراليا إلا وجدت في درج الطاولة كتاب التوراة المجلد والمصور بأجمل الصور الملونة ، ونحن نهمل القرآن ونشذ عن تعاليمه وقد نحاربها منا من يحاربها مع العلم أن العرب قبل الإسلام كانوا أميين جهلاء متأخرين متقاطعين ... فجاء القرآن فوحد العرب وعلمهم

وجعل منهم أساتذة العالم ، وانتشر ملك العرب من المحيط إلى الهند والصين ، وتلك آثارهم في الأندلس تشهد على مدنيتهم . إن اليهود يحاربوننا بالدين وينشرون التوراة بين النصارى ، ونحن ، يحارب بعضنا ديننا لنعود كعصر الجاهلية قبائل وشعوباً متقاطعين .

من حرر سورية من الرومان والفرس ، ومن حرر مصر والمغرب من الرومان غير الإسلام ؟ من علم الهنود والصينيين والبربر والترك والعجم اللغة العربية غير القرآن ؟ إن القرآن يشهد بنبوءة موسى وعيسى عليهم السلام ويمتدح مريم العذراء البتول ، في حين يكفر اليهود برسالة عيسى ويكذبونه ويذمون أمه العذراء ... ، ورغم ذلك ورغم ادعاء اليهود بصلب المسيح عليه السلام فالنصارى يحبون اليهود وتساعد الدول النصرانية دولة اسرائيل المجرمة !! لقد قال المسيح أحبوا أعداءكم ولم يقل أكرهوا أحباء المسيح وأمه أصدقاءكم المسلمين ، وامتدح القرآن جميع الأنبياء ، وأمرنا بالإيمان برسالتهم وبجميع الكتب المنزلة عليهم من عند الله — وقد جاء محمد ﷺ لإتمام البناء الذي أمر الله المرسلين ببنائه .

شاهدت في أوستراليا فرقة عسكرية تسمي نفسها أنصار المسيح عليه السلام ولها موسيقاها التي تصدح في الساحات العامة مساء كل سبت وأحد ، فكنت أجلس على مقاعد الحدائق القريبة منها واستمع إلى الموسيقى ، وقد اقترب مني أحد ضباط تلك الفرقة المؤلفة من النساء والرجال وسألني عن جنسيتي ، ولما علم بأنني عربي مسلم واننا نحب المسيح عليه السلام وأمه العذراء عجب كثيراً ، وصار يقترب مني كل أسبوع ويحادثني ويسألني عن العرب والمسلمين وزال من نفسه ما كان عالقاً فيها من دعاة اليهود التي ينشرونه عن العرب بأنهم زنوج متوحشون يأكلون لحوم البشر — وأن المسلمين — كعصابة (علي بابا

والأربعين حرامي) لا هم لهم سوى سرقة الأموال ، والتمتع بعشرات النساء ، وذبح المسافرين ، وقتل النـاس ... هذه أفلامهم السينمائية في أمريكا واوستراليا كلها دعاية ضد العرب والمسلمين .

وفي اوستراليا مجالات واسعة للاستثمار ، لأنها بلاد مفتوحة حديثاً وأرضها بكر ، وقد استغلها اليهود فأسسوا المعامل الضخمة والمتاجر العظيمة والمصارف المتعددة ، وكل مايربحه الأوستراليون بعرقهم وكدهم يسرقه اليهود بالربا عن أموالهم — وبضائعهم الفاحشة الثمن — وهنالك جمعيات يهودية في اوستراليا تسهل على المهاجرين اليهود أمورهم ، وتوجد لهم أعمالاً وتقرضهم أموالاً ، في حين يجد العرب صعوبة وعراقيل — رغم مؤهلاتهم — لأن المستعمر وأبناء (الست) البريطانية أو الأوربيين البيض يفضلون بالمعاملة ، ويجدون أمامهم التسهيلات كافة ، رغم تساوي المؤهلات والشهادات مع أبناء العرب ! أنا لا أدعو إلى هجرة العرب الى اوستراليا ، وأرضنا أخصب من أرضهم ، ومناخ بلادنا معتدل ، وهواؤنا عليل ، وماؤنا غير ، ومجال العمل أمامنا فسيح ، ولا ينقصنا غير الجد والاجتهاد والعمل المبني على العلم الصحيح . وانه وإن كانت أجور العمال كبيرة هنالك في أوستراليا غير أن نفقات المعيشة وأسعار الحاجيات مرتفعة أيضاً بالنسبة نفسها ، أنا لا أنكر حسن الوفادة وكرم الضيافه وطيب المعاملة التي لقيتها من الأوستراليين الذين عشت معهم وبين ظهرانيهم ، وأشكرهم ، ولكني أحذرهم من استغلال اليهود لهم وسلب أموالهم بالأساليب اليهودية . ولعل في حديثي هذا عبراً للمعتبرين .

أحمد ياسر نصري

كوكب علمي أفل

هوى في صباح ١٣٨٦/٣/٧ (١٩٦٦/٦/٢٤) كوكب علمي هو الأستاذ عز الدين علم الدين التنوخي شيخ السروجية ، فانهار بأفوله ركن من أركان العلم والأدب والشعر في الديار الشامية ، وانك لتعجب من هذه الألقاب التي يذكر بها اسمه الكريم ، فقد كان له في كل لقب من هذه الألقاب فلسفة خاصة يبديها للسائلين عن هذه الألقاب ، وكان يقول إن أباه أسماه (عز الدين) تفاؤلاً بأن ابنه سينشأ نشأة دينية يعتز بدينه ، وكان يقول عن لقب التنوخي إن قبيلة بني تنوخ هي من القبائل اللبنانية التي كان فيها الأمراء والزعماء وأصحاب السلطان والوجاهة كقبيلة بني جنبلاط ، وآل ارسلان ، وآل حماده ، وغيرهما من القبائل التي آلت اليها أمارات الجبل ، وكان أحب الألقاب اليه لقب جده شيخ السروجية وكان يقص علينا قصة جده كيف انتخب رئيساً لنقابة صانعي السروج الدمشقية يوم كان لهذه الصناعة قيمتها وشهرتها ، ويوم كان للخيل عز وسلطان ، وتاج وصولجان ، قبل عهد العربات والسيارات ، وسبب شهرة جده الذي يعتز به يرجع لقصة طريفة ذات عبرة بالغة ، ذلك أنه دخل حمام الناصري في صبح من الأصباح ليستحم وكان معه (صرة) من المال حمراء حشر فيها ثلثمئة ليرة ذهبية عثمانية ، واتفق أن كان جاره في الحمام يحمل صرة بلون صرته ، فداعب هذا صديق من أصدقائه فأخفى عنه صرته ، وبعد الفراغ من الاستحمام خرج شيخ السروجية وجاره الى قاعة الاستجمام من الاستحمام ، وبعد أن لبسا ثيابهما افتقد جاره صرته فلم

يجدها فأهاب بصاحب الحمام وعماله أين دراهمي ؟ فعادوا الى البحث عنها بين ثيابه فلم يجدوها ، فقالوا لعلها اختلطت مع ثياب جارك شيخ السروجية فبحثوا عنها فوجدوها في ثياب الجار فسلموها اليه وجاره شيخ السروجية استحياء وخجلاً ، لم يمانع في أخذها بل اعتذر لجاره قائلاً لا تؤاخذني يا عم . . . ثم انصرفا دون أن يعلم أحد بسر الصرة ...

وفي اليوم التالي جاء الصديق المداعب ورد الصرة الى صاحبها ، فعجب من هذا الأمر وعاد الى الحمام ليعلن أن صرة أمس ليست له ولما علموا أنها لشيخ السروجية ردوها اليه مع الاعتذار وسألوه لماذا لم تقل إنها لك ؟ قال خشيت أن لا يصدقني أحد فاشتريت كرامتي وجاهي بهذا المبلغ .. وهذه من الأسباب التي كانت تجعل فقيدنا يفاخر بجده .

ولد الفقيد في دمشق سنة (١٣٠٧) هـ - الموافق (١٨٠٩١) م ثم رحل مع والده الى يافا واشتغل معه بالتجارة ثم دخل مدرسة (الفرير) بعد رجوعه الى دمشق ونال شهادتها وكان في تلك البرهة يؤم حلقات التدريس التي كان يعقدها في داره علامة الشام المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمي وكان أنبغ تلامذته على حداثة سنه ، وكان يقرأ عليه كتاب (اللمع) هو وبعض التلاميذ ولم يوجد مـــن هذا الكتاب سوى نسخة واحدة فكتب الى مصر يطلب نسخة مـــن هذا الكتاب فتأخر ورودها ولم ينتظر الفقيد قدوم هذه النسخة فنسخ الكتاب ومقدار صفحاته ثلثمئة لئلا تغيب عنه الفائدة ، هذه رواية رواها الشيخ حامد التقي صديق المرحوم وزميله في الدرس لدى المرحوم القاسمي . ومما ذكره الشيخ حامد التقي أنه صديق للمرحوم عز الدين بتعيينه معلما في المدارس في عهد وزارة ساطع الحصري الذي كان من أعماله اقصاء أرباب العمائم من المدارس . ثم ذهب فقيدنا الى القاهرة ، ودخل جامعة الأزهر الشريف وأتم فيها الدراسة العلمية ونال شهادتها ، وكان بذكائه ومقدرته حديث أهل دمشق لاسيما بعد عودته من القاهرة متوجاً بالعمامة ، بيد أن أمر

العمة لم يدم طويلا إذ عاد الى عهد الطربوش . وكان خطيبا ومحدثا وشاعراً فجعلت له هذه المواهب شهرة عند وجهاء البلاد وزعمائها .

رأى المرحوم عبد الرحمن باشا أن تستفيد البلاد من نبوغه فبعث به الى فرانسا على نفقته الخاصة وكان ميالاً الى الزراعـة فدخل معهداً من معاهدها الزراعية ونال شهادتها بتفوق ، وعاد الى بلاده يفيد المزارعين بمعلوماته القيمة . لاسيما عمال مزارع الباشا المرحوم ، واشترى مـن ماله الخاص مزرعة في حوش (بلاس) وتعهدها بمعلوماته القيمة . فكانت خيراتها معوانا له على الحياة الحرة التي كان يتمتع بها .

ولما رأى أن هذه المزرعة ستشغله عن رسالته العلمية أدخل ولده المرحوم (معن) المدرسة الزراعية بدمشق (خرابو) وسلمه شؤون المزرعة بعد نيله الشهادة ، وفي أثناء الحرب العالمية الأولى سيق الى خدمة العلم سنة ١٩١٤ م وكان ضابطاً موفقاً في الجيش العثماني ، واشتغل بالقضايا الوطنية وله في المجالات الثورية والانتفاضات العربية صولات وجولات

وكان عضواً من أعضاء الجمعيات الثورية عاملا ، محكم عليه بالإعدام في عهد الطاغية جمال باشا مع من حكم عليهم ، بيد أنه أفلت من براثن الطاغية وفر من حبل المشنقة ونجا بأعجوبة وكان إذ يحدثك عن مغامراته بهذه الناحية ، يقف شعر رأسك من شدة هول ما لاقى في طريق نجاحه في الوقت الذي وقع أصحابه في شراك الطاغية ودغدغت اعناقهم حبال المشانق ، وبعد الحرب عـــاد الى بلاده سنة ١٩١٨ م وتفرغ للتأليف وانتدبه رئيس المجمع العلمي المرحوم محمد الكرد علي سكرتيراً للمجمع العلمي ، فقام بوظيفته حق القيام ، فكان بجهوده ونشاطه مثالا يحتذى به ونبراساً يستضاء بنوره ، ولما ذهب الحصري الى العراق ، وعهدت اليه حكومتها تسيير شؤون المدارس وتنظيم طرق التعليم انتدبه الحصري ليكون مدرساً في دور معلمي ومعلمات العراق للغة العربية ، وكان هناك

موضع التقدير والتكريم ، وانتدب بعد عضواً في المجمع العلمي العراقي .
مكث في العراق مدة ثم عـــاد الى دمشق التي أحبته وأحبها وعشقته
وعشقها يضفي على مجمعها العلمي ومدارسها أضواء علمه وأدبه وهديه .

ولما تأســـت كلية الآداب في الجامعة السورية ، انتدب المرحوم
استاذاً للغة العربية فيها ، ولا يزال تلاميذه الكثيرون وتلميذاته يذكرون
بيض أياديه وغزارة علمه ، وسعة اطلاعه . وفي عهد حسني الزعيم انتدبه
وزير المعارف المرحوم عادل ارسلان لمديرية معارف جبل العرب ، وكان
هناك موضع الإجلال والتقدير ، لأنه خدم معارف الجبل خدمات جلّى
ستظل ساطعة على مر السنين . ثم انتدب نائباً لرئيس المجمع العلمي بدمشق ،
وتوفي وهو في هذا المنصب في ٢٤/٦/١٩٦٦ م ودفن بمقبرة الباب الصغير .
وقد صنّف وألف الفقيد كثيراً من الكتب في اللغة العربية ، وترجم من
اللغة الفرنسية كثيراً من الكتب القيمة التي كانت تحتاج إلى مثلها المكتبات
العربية ، وكان شغوفاً بالرياضة ، يفخر ويتباهى بأنه من تلاميذ الشيـخ
طاهر الجزائري في التوجيه والعـلم والسير على الأقدام مسافاتٍ طويلة .
وكنا نصعد وإياه في بعض الأيام ذروة قاسيـون ، فنقف هنـــاك على
صخرة مطلة على الربوة ، ويجري فوقها التمارين الرياضية العنيفة وكنـــا
انا وصديقي الأستاذ سعيد الافغـــاني نجره من يده خشيةً عليه مـن
الإهواء في قاع الوادي ، حتى أنني انا شخصياً ، كان يصفر وجهي ،
وارتعد من شدة الهول والفزع عليه ، ولكنه كان لا يبالي لنصحنا . أصيب
الفقيد بعد موت ولده (معن) وزوجه بنكسة أثرت هذه النكسة في
نفسه وهدّت من كيانه ، وحدت من عزمه ونشاطه ، فهزل جسمه
وتغير لونه ، وفتر نشاطه ، فكنت لا تلقاه إلا حزيناً كئيباً مغتماً .

فكأنــه في عالم غير عالمنا ودنيا غير دنيانا ، تحدثه فلا يجيبك إلا متكلفاً ،
فجزع عليه عشاق أدبه وعلمه جزعاً شديداً من هذه الظواهر التي كانت

تبدو على محياه في ايامه الأخيرة ، حتى أصبحت قصة مرضه شائعة بين محبيه يتحدثون عنها ويبتهلون الى الله أن يصرف عنه الضر والأذى .

بيد ان الله تعالت قدرته الذي قدّر للناس آجالهم شاءت إرادته ان تنطفيء هذه الشعلة الوهاجة وأن يهوي هذا النيزك كما هوت في دمشق نيازك كثيرة مماثلة .

فهذه هي الدنيا لا تدوم على حال له شأنه . وترجع معرفتي بالفقيد الى أكثر من ثلث قرن ، يوم كان ولده البكر قيس تلميذاً من تلاميذي في مدرسة البحصة ، وكان قيس يومئذٍ يملك صوتاً شجياً واستشارني بالانزلاق في مهاوي الفن ، فجنبته الانزلاق ، ولما علم والده المرحوم بذلك شكرني شكراً جزيلا ، وكان سبب توشج أواصر الصداقة بيننا ، وكانت تجمعنا أواصر الأدب ، فيقرأ عليّ ما يكتبه من مقالات ونتذاكر فيها كما كنت أقرأ عليه كثيراً من مقالاتي ، وآخذ رأيه فيها ، وهذه عناوين ماألف أو ترجم أو حقق من كتب :

الفتح المبين في شرح عينية ابن سينا الرئيس دروس في صناعة الإنشاء مبادىء الفيزياء جزءان . (قلب الطفل) جزءان تحقيق المنتقى من أخبار الأصمعي ، تحقيق تكملة إصلاح ما تغلط به العامة تحقيق بحر العوام فيما أصاب به العوام ، شرح الإيضاح للقزويني . احياء العروض ، تحقيق كتاب (الإبدال) ، تحقيق كتاب (المثنى) ، تحقيق كتاب (الإتباع) . تحقيق مقدمة في النحو لخلف الأحمر . شارك في وضع (المعجم العسكري) بقسميه الفرنسي والعربي ، والإنكليزي — العربي .

فرحمك الله يا أبا قيس بقدر ما لك على وطنك من خدمات علميةٍ وأدبيةٍ وفكريةٍ وسياسيةٍ ، فلقد افتقدنا بفقدك قبساً لامعاً ، وفكراً ثاقباً وصديقاً وفياً ، وعوضك الجنة التي اعدت لأمثالك من المؤمنين الصالحين المجاهدين الراشدين ، وعزاء لدمشق ولأولادك البررة ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

حسني كنعان

أبو عبيدة بن الجراح

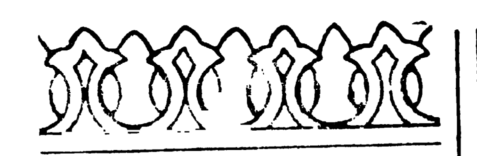
- ٢ -

يابن الأزور ، إني أريد أن أقدمك على خمسة آلاف قد باعوا أنفسهم لله عز وجل تسير بهم الى الأعداء ، فإن رأيت فيهم مطمعاً فقاتلهم ، وإن رأيت أنك لاتقدر عليهم فابعث الينا رسولك ، قال ضرار وافرحتاه يابن الوليد ! مادخل قلبي مسرة أعظم من هذه . ثم سار بجيشه حتى وصل الى (بيت لهيا) - وهو محل لعمل الأصنام - فرأوا محل تقدم الروم ، فهجموا عليه ، ودارت بينهم معركة شديدة تشيب لها الولدان ، وقد أبدع ضرار في الكر والفر ، إذ قتل أبطالهم وجندلهم ، ووقع الصليب من رأس قائدهم وردان ، (عندما أراد الهرب) ثم تضافرت الروم على ضرار من كل جانب ، وهو ينشد وسطهم :

الموتُ حقٌ أينَ لي منه المفرْ ؟ وجنةُ الفردوس خيرُ المستقرْ

هذا قتالي فاشهدوا يامن حضر وكلُّ هذا في رضا رب البشرْ

كما كان يقرأ القرآن ويقول : « بسم الله الرحمن الرحيم » « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص . » وبينما هو على هذه الحال رماه همدان بن وردان بسهم أصاب عضده الأيمن فأوهنه ، فحمل على همدان



ليطعنه برمحه فطعنه وأصاب فؤاده ووصل السنان إلى ظهره ، ثم جذب الرمح فلم يخرج منه لأنه أصاب عظم ظهره ، فلما سحبه بقوة زائدة خرج دون سنان . فلما رأى ذلك الروم طمعوا فيه فأخذوه أسيراً . فلما وصل الخبر إلى خالد . سأل عن عدد العدو فقيل له (١٢٫٠٠٠) مقاتل ، وعلم باسم قائدهم وردان ...

أرسل خالد الى أبي عبيدة يستشيره ، فقال : اترك على الباب الشرقي من تثق به وسر أنت اليهم مع من تريد . ثم سار خالد مع من سار وأبقى (ميسرة بن مسروق العبسي) وقال له : احذر أن تنفذ من مكانك . فقال له السمع والطاعة .

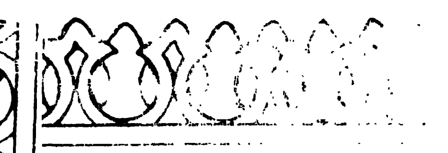
١٣ ـــ حميَّةُ أختٍ : خولة

سار خالد بجيشه الى جمع الروم ، حتى إذا وقف يترقبهم على حصانه ويقول أمام جنده :

اليومَ يومٌ فاز فيه من صدقْ
لا أرهبُ الموتَ إذا الموتُ طرق
لأُرَوِّيَنَّ الرمحَ من ذوي الحدق
لأهتكنَّ البيض هتكاً والدرَق (١)

---

(١) جمع درقة وهي الترس من جلد والبيض يعني بها السيوف .

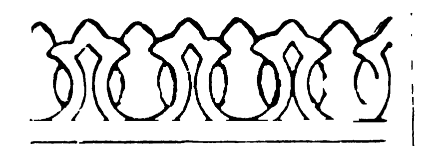


عسى أرى غـدا مقام مـن صدق
في جنةِ الخـلدِ وألقى مـن سبق

وبينما هو على هذا الحال ، فوجىء بفارس لا يبين منه إلا الحدق (١) وعليه ثياب سودٌ ، معممٌ بعمامة خضراء مسحوبة على رأسه ، وقد سبق الناس ، وكان هذا (خولة بنت الأزور) أخت ضرار ولم يعرفها المسلمون حتى (رافع بن عمرة الطائي) الذي كان يحارب الروم ويحاول إنقاذ ضرار ، الى أن جاءه خالدٌ لينجده . وقد أنقذ ضرار من الأسر إذ أنفذ رافع مئة فارسٍ معهم أخته الى كمين يسمى (وادي الحياة) ، فرأوا فيه قوماً من الأعداء فهجموا عليهم ، فإذا بضرار معهم ، ففكوا أسره بعد أن قتلوا من قتلوا وأسروا من أسروا ، وهرب الباقون ثم عادوا الى خالد يبشرونه . ولمّا وصل ضرار الى خالد هنأه وأثنى على رافع ، ثم رجعوا الى دمشق بعد أن تفرق جيش وردان .

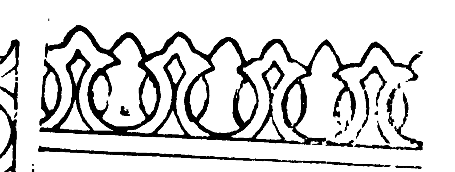
---

(١) حدقة العين : سوادها (ويقصد بها العين كلها) والجمع حدَق .



١٤ — معركة في الطريق

علم المسلمون بأن الروم أخذوا يتهيأون ، لمحاربتهم ، وقد عزموا على السير اليهم ، فأرسل خالد الى عمرو بن العاص يطلب منهم المجيء الى أجنادين ، كما كتب الى جميع الولاة بذلك . ثم قال لأبي عبيدة : قد رأيت رأيا : أن أكون أنا على السّاقة ، مع الغنائم والأموال والولدان ، وكن أنت في المقدمة ، مع أصحاب رسول الله (ص) ، فقال أبو عبيدة : بل أنا أكون على الساقة وأنت في المقدمة من الجيش ، فإن وصل اليك جيش الروم مع وردان يجدوك على أهبة فتمنعهم من الوصول . فقال خالد لست أخالفك فيما ذكرت . فبقي أبو عبيده في الفين من المسلمين . وبينما هم سائرون إذ خرج عليهم (بواص) مع جماعته الذين أقسموا له بدين المسيح بالثبات الى المسلمين ، وذلك بعد أن ولاه أهل دمشق عليها . فلما نظر أبو عبيدة الى ما فاجأه قال : والله لقد كان الصواب مع خالد حيث قال دعني في الساقة فلم أدعه . وقد اشتد بينهم القتال ، وقصد بواص أبا عبيده ، واشتدت



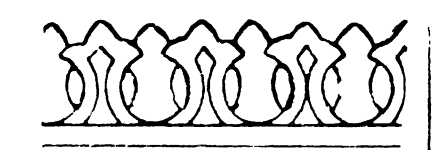
بينهما الحرب ، وكثر الطعن بين الجيشين . وقد صبر أبو عبيدة مع جيشه القليل ، كما ذهب أحدهم وهو (سهل ابن صباح) ليخبر خالداً بالأمر . ولما وصل اليه قال رافع ابن عميرة : الحق أبا عبيدة لأن نفير دمشق قد وصل اليهم ، وقد أخذ معه الفا من المجاهدين ، ثم أرسل عبد الرحمن بن أبي بكر على الفين وأرسلهم من طريق أخرى ، وسار خالد مع بقية الجيش حتى وصلوا ، وحملوا على أعداء الله . وكان ممن حمل على بولص ضرار بن الأزور نفسه ، فهرب من أمامه لكنه لما رأى نفسه مقتولا طلب الأمان ، فأخذه أسيراً.

١٥ — قبل فتح دمشق

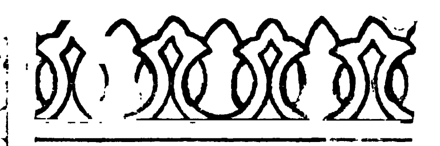
لما انكسر الروم في (مرج الصفر) وانسحبوا الى دمشق دخلوا الحصون وأغلقوا الأبواب . أما الغوطة (١) وقراها فإن المسلمين المنتصرين أخذوها عنوة ، ثم تفرقوا حول أبواب المدينة مع قوادهم وهم يفكرون بما يشاهدونه من الحصون المنيعة والطريقة التي يتمكنون بها من فتحها . وكان أبو عبيدة على

---

(١) ضواحي لدمشق فيها قراها وبساتينها ونضرتها ..



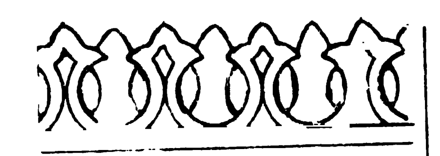
(باب الجابية) من الجهة الغربية كما كان خالد على باب (دار صليبا) من الجهة الشرقيه . ولكي يأمن المسلمون شر المهجمات من الشمال بعثوا بأبي الدرداء (عامر بن عويمر الخزرجي) الى طريق بعلبك و (ذي الكـــلاع الحميري) الى طريق حمص و (علقمة بن حكيم) و (مسروق العبسي) الى طرق فلسطين . أما حالة دمشق الداخلية فمن سوئها حينئذ ان اختلافا كامناً كان بين القائد (باهان) وحاكم المدينة (منصور بن سرجون) الذي دفع مئة الف دينار حتى يبقى في منصبه ، وكان يعتبر بالنسبة للأهالي من المواطنين الذين يريدون أن يتخلصوا من حكم البيزنطيين ، كما كان يفكر بتسليم المدينة إلى المسلمين لما سمعه من أنباء عدلهم ، ولا نكران أن بعضهم كان ينظر اليهم على أنهم جهلة فقراء جاءوا لينهبوا ثم يعودوا الى جزيرتهم . أما العرب فكانوا ينظرون إلى جيش الروم كثرةً في العَدد وفي العُدد ، وجودةً في الملابس والقلانس والمظاهر المنتظمة الفاخرة الخلّابة ، وكانوا مع هذا يوقنون ويقولون من أعمـــاق قلوبهم إن النصر مع الصبر ، وإن الظفر مع الكر والثبات في



ميدان الحرب . وكانوا ـ كما هو معلوم ـ يحاربون في سبيل دعوة كبرى ، يحاربون في سبيل الله ويجب الا ننسى أن بعض الإمدادات كانت تأتي إلى دمشق ، لكنها ما كانت تستطيع أن تصل اليها لتصدي الشجعان وجماعاتهم اليها كما أسلفنا . كما أن الحصار لما طال ولم تتمكن الامدادات من الوصول اليهم أقبل فصل الصيف ، فقال الأعداء عن العرب : إذا جاء الشتاء ببرده رجعوا . لكن الشتاء جاء وانقضت أيامه وبقي العرب مقيمين ، لأن الإيمان حليف النصر ، حينئذ انقطع رجاؤهم وندموا على دخول دمشق . ولما شعر المسلمون بذلك ازدادوا طمعاً فيهم ، ولكن جهودهم في فتح أسوار المدينة وخرقها لم توفق ، فاضطر المسلمون الى الحيلة معهم ، فأخذوا يشترون منهم الأرزاق ويشيعون بين الناس أنهم قد فتحوها ليؤثروا في غيرهم من أهل المدن والقرى .

١٦ ــ مسألة قيادة الجيش

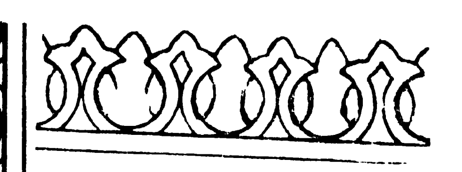
بعد انتصار العرب في موقعة أجنادين التي تسمى معركة اليرموك الأولى بوقت قصير توفي الخليفة أبو بكر الصديق (رض)



فقرر الخليفة عمر (رض) توحيد الجيوش تحت قيادة واحدة لكي يسود النظام وتتوحد الأعمال ، كما انسحبت جيوش هرقل الى دمشق واستدعي (تيودوروس) وحل محله (ماهان أو باهان) لا سيما بعد أن وقع أهل حمص على المعاهدة مع العرب ،فأخذ الروم يتخذون بيسان مركزاً لهم ، فأخذها منهم العرب ، فاضطر الروم الى الاتجاه الى دمشق ، فدخلوها وأغلقوا أبوابهــا أمام المسلمين الذين وصلوا اليهــا بعد أسبوعين . ولننظر لنرى مــاذا سيكون قرار الخليفة عمر بن الخطاب (رض) حول توحيد قيادة الجيش .

١٧ — أبو عبيدة وقساوسة الشام

قال للروم شيخ منهم قرأ الكتب القديمة بأنه قد قرأ الأخبار والملاحم ، وانه ينصحهم بالتسليم حقنا للدماء ولما هو متأكد منه من عدالة المسلمين . ثم قالو له إن الذي نعلمه هو أن الذي على الباب الشرقي سفاك الدماء ، فقال لهم دونكم باب الجابية فامضوا اليه . وإن كان فيكم من يعرف العربية فليقل بصوت رفيع : يا معاشر العرب الأمان حتى ننزل اليكم ونتكلم مع صاحبكم . فلما أرسلوا رجلاً منهم وسمعه المسلمون



الذين كانوا يترصدون الباب ، أسرعوا الى أبي عبيدة فبشروه فقال لأبي هريرة صاحب رسول الله (ص) بشر القوم ، فلما بشرهم ، نزل القوم وفتحوا الباب وكانوا مئة من كبرائهم وعلمائهم . فلما وصلوا الى عسكر أبي عبيدة أخذوا منهم الصلبان ثم أدخلوها على أبي عبيدة ، فرحب بهم وأجلسهم وقال : أوصانا رسول الله ص قائلا (إذا أتاكم عزيز قوم فأكرموه) . ثم تكلموا في أمر الصلح ، فقالوا إنا نريد منكم أن تتركوا لنا كنائسنا ، فقال لهم أبو عبيدة جميع الكنائس لا يؤمر بهدمها ، وكتب لهم كتاب الصلح والأمان ولم يسم فيه اسمه ، ولم يثبت شهوداً ، وذلك لأنه لم يكن بأمير الجيش . ثم قاموا وتوجهوا الى السور ، حتى إذا وصلوا إليه قال لهم أريد منكم رهائن حتى ندخل معكم ، فأتوه برهائن .

١٨ ـ كيف دخل المسلمون دمشق ؟

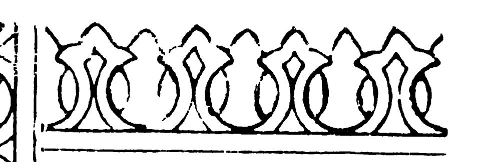
دخل أبو عبيدة دمشق من باب الجابية ، وسارت القساوسة والرهبان رافعة الإنجيل والمباخر ، وذلك قبل أن يعلم بذلك خالد بهذا الصلح ، إذ أنه كان على الباب الشرقي ، وقد



اتخذ المسلمون حبالا كهيئة السلالم حصلوا عليها من دير مجاور ، فتسلقوا الحصون ، وقالوا لجماعاتهم إذا سمعتم تكبيرنا على السور فارقوا[1] . وصادف أن أسلم أحد الروم واسمه (يونس بن مرقص) وكانت داره ملاصقة للسور ، فنقب داره لتكون طريقـا لدخول المسلمـين ، بينما كان القعقاع بن عمرو ومذعور بن عدي وغيرهما من الأبطال على أعلى الحصن . هنا كبروا ودخل المسلمون من دار يونس وفتحوا الأبواب ؛ فزع أهل دمشق مما رأوا إذ أخذ أبطال الفتح يقتلون من يقاومهم من الرومان ، بينما كان ابو عبيدة يسير بجيشه وسط القساوسة والرهبان ، حتى التقيا قرب كنيسة مريم ، فوقفا يتساءلان عن كيفية دخول دمشق ؟ وهنا قال أبو عبيدة لخالد يا أبا سليمان لقد أمّنت أهل دمشق وقد رضي من معي من المسلمين ، والغدر ليس من شيمنا : وهنا اجتمع حولهم الشجعان من أمثال معاذ بن جبل ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة وربيعة بن عامر وعبد الله بن عمرو (رضى الله عنهم جميعاً) ،

---

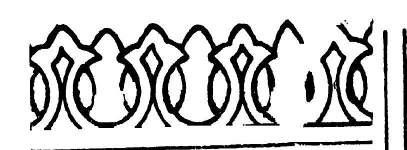
(١) أي فاصعدوا .



وقالوا الرأي أن نقبل الصلح الذي أمضاه أبو عبيدة . لاسيما وأن هرقل في انطاكية وقد علم معها أهل المدن بأنكم صالحتم ، وإن غدرتم لم تفتح لكم مدينة صلحاً . بينما أخذ الجانب الشرقي عنوة . تم ذلك في شهر رجب سنة ١٤ ه الموافق آب ٦٣٥ م . ثم كتب القائدان الى الخليفة الصديق (رض) يبلغانه ما حصل ، وكان رسولهما اليه عبد الله ابن قرط . فلما وصل الى المدينة ، علم أن أبا بكر قد مات وأن عمر قد صار خليفة بعده .

١٩ — وصف دمشق

دمشق مدينة قديمة ، تمتاز بجودة موقعها الجغرافي ، وتحيطها الجبال من جهاتها الثلاث عدا جهة البادية ، وتتدفق فيها المياه من عيونها الكثيرة فتروي بيوتها وتسقي بساتينها ، وفي شرقيها وغربيها الغوطتان الخضراوان النضارتان . أكسبتها المروج الجميلة والرياض رونقاً جميلاً حتى سميت (جنة الأرض) . كانت دمشق ولا تزال مركزاً شهيراً للتجارة بين الشرق والغرب . لم تكن دمشق كبيرة ابان الفتح الإسلامي بقدر ما هي عليه الآن . كان حصنها بسمك خمسة عشر

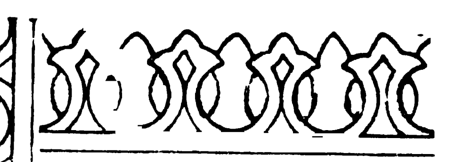


قدماً وكان ارتفاع سورها عشرين قدماً ، بنيت بحجارة ضخمة يرجع عهدها الى العصر اليوناني ، دون الاستعانه بالطين ، تناولتها أيدي الاصلاح والتجديد مراراً . وكان حول السور خندق مملوء بمياه نهر (بردى) لتسهيل صدّ هجمات العدو على المدينة . وكان فوق أسوارها وعلى أبواب المدينة محلات مخصصة لحراستها .

ولما فتحها العرب وجدوا بها سبعة أبواب ثقيلة مصفحة بالحديد ومزدوجة الانطواء يتعذر على العدو اقتحامهـا ، ولا تزال هذه الأبواب وغيرها حتى الآن .

٢٠ ــ قيادة أبي عبيدة

كتب الخليفة عمر بن الخطاب (رض) الى أبي عبيدة كتاباً أرسله مع عبد الله بن قرط قـال فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى أمين الأمة أبي عبيدة عامر بن الجراح ، سلامٌ عليك . . وبعد فقد وليتك أمور المسلمين ، فلا تستح لأن الله لا يستحيي من الحق . وإني أوصيك بتقوى الله الذي يبقى ،

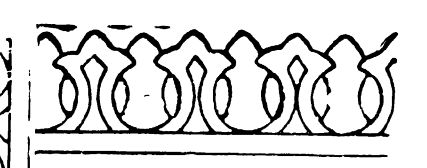


ويفنى ما سواه ، والذي استخرجك من الكفر إلى الهدى وقد استعملتك على جند خالد . فاقبض جنده واعزله عن إمارته ، ولا تُنفذ المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ، ولا تنفذ سرية إلى جمع كثير ، ولا تقل إني أرجو لكم النصر فإن النصر يكون مع اليقين والثقة بالله . وغضّ عن الدنيا عينيك وألهِ عنها قلبك ، وإياك أن تهلك كما هلك من كان قبلك ، فقد رأيت مصارعهم وخبرت سرائرهم . وإن بينك وبين الآخرة ستر الخيار وقد تقدم فيها سلفك ، وأنت كأنك منتظر سفراً ورحيلاً من دار قد مضت نضرتها ، وذهبت زهرتها . فأحزمُ الناس فيها الراحلُ منها إلى غيرها ويكون زاده التقوى، وراعِ المسلمين ما استطعت ، وأما الحنطة والشعير الذي وجدت بدمشق فهي للمسلمين ، وأما الذهب والفضة ففيها الخمس والسّهام . وأما اختصامك مع خالد في الصلح أو القتال فأنت الوليّ وصاحب الأمر . وإنْ صلحك جرى على الحقيقة أنها للروم ، فسلّم اليهم ذلك . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته عليك وعلى جميع المسلمين . ثم وقع الكتاب

وطواه ودعا بعامر بن أبي وقاص وسلمه الكتاب وقال له : إذهب به الى أبي عبيدة مع عبد الله وأخبره بوجوب قراءة الكتاب على الناس وأنت حاضر . ثم نادى شداد بن أوس وبايعه ، وقال له إذهب مع عامر الى الشام ، فإذا قرأ أبو عبيدة الكتاب اأمر الناس أن يبايعوك لتكون بيعتك بيعتي . ولما وصلوا الى الشام طبقوا ما قاله لهم أمير المؤمنين ، ومعلوم أن الطاعة لأولي الأمر المؤمنين الناصحين فريضة لا تُخالف .

٢١ — خالد والكتاب

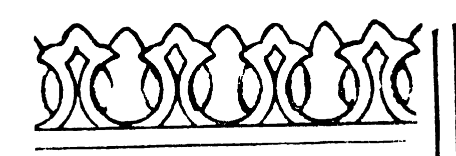
سمع خالد الكتاب كما سمعه غيره من المسلمين . فتقدم الى أبي عبيدة قــائلًا : يا أبا عبيده والله لو أمّر عليّ طفل صغير لأطعته فكيف أُخالفك وأنت أقدم مني ايمانا وأسبق إسلاما ؟! سبقتَ بإسلامك مع السابقين ، وسارعت مع السارعين وسماك رسول الله (ص) الأمين ، فكيف ألحقك ؟ أو أنال درجتك ، والآن أشهدك بأني قد جعلت نفسي حبأ في سبيل الله تعالى ، ولا أخالفك أبدا . وهكذا يا أبنائي أطاع هذا القائد العظيم الشهير أمر الخليفة ، ولم



ولم يبيّت شراً ، بل أضمر مثلما أظهر من خير وجهاد في سبيل الله سواء أكان قائداً أو جنديا ، وهو يعلم أن لأمير المؤمنين وجهة نظر صدرت عن اخلاص ورفق بالرعية .

٢٢ ـ هرقل يرحل من الشام

خرج هرقل من الشام حتى وصل إلى (الرها) فاستتبع معه أهلها فقالوا له : نحن هٰهنا خير لنا مما نكون معك ، وأبوا أن يتبعوه وتفرقوا عنه وعن المسلمين ، لأنهم كانوا لا يريدون قتالهم . وقد سأل هرقل رجلا من الروم كان أسيرا في أيدى المسلمين فأفلت منهم : كيف كان حالك في الأمر ؟ قال أحدثك كأنك تنظر اليهم : فرسان بالنهار ورهبان في الليل ، ما يأكلون في ذمتهم إلا بثمن ، ولا يدخلون الا بسلام . يقفون على من حاربهم حتى يأتوا عليه . فقال هرقل اذا صدقتني ليرثُنّ ما تحت قدميّ هاتين . ولما وصل نحو أرض الروم ، علا على شرفٍ والتفت ناظراً الى سورية وقال : عليكِ السلام يا سورية ، سلاماً لا اجتماع بعده ، ولا يعود اليك رومي أبداً الا خائفا ! لقد سلمت عليك تسليم المسافر ، فأما اليوم فعليك السلام يا سورية ، تسليم المفارق . ومضى حتى وصل الى القسطنطينية .



٢٣– قبل فتح بعلبك

سار أبو عبيدة على طريق البقاع حتى اذا وصل قرب حمص ، بعث خالد بن الوليد اليها وتوجه هو الى بعلبك ، وبينما هو في الطريق إذ ورد عليهم جوسيه ومعه الهدايا والتحف ، وصالح المسلمين سنة كاملة . ثم واصل سيره الى بعلبك وكان عليها بطريق يسمى (هربيس) ، فلما سمع بمجيء العرب أمر الجنود بلبس السلاح وخرج بهم الى أن انتصف النهار ، وكانوا اكثر من سبعة آلاف فارس ، فلما رأى جيش المسلمين ونظر الى مقدمتهم باشر بتعبئتهم للقتال . فاعترضه بعض بطارقته وقالوا : — الرأي الآن نقاتلهم لأن أهل دمشق ما قدروا عليهم ولا ردتهم عساكر أجنادين ولا جيوش فلسطين ، والصواب أن ترجع سالما فقال الذي علمته أن عسكرهم الكبير على حمص ، وهذه غنيمة سيقت الينا ، فقال له البطريق المعارض (أنا لا أقاتل العرب) فرجع ورجع معه كثير من القوم .

يتبع : سالم سعيد الصحيرعي

الشعر

وأد البنات

للسيد محمد مأمون عابدين

ألفرحةٍ قد أدمعت عيناهُ أم أن حزناً يصطلي بلظاهُ

عجباً ، يسير كتائه في البيد لا يدري لأين تسوقه قدماهُ

متعثراً في دربه فنهارهُ رغم الضياء كليله بأساهُ

ما للبنيّة زهرة مزدانة تسعى وراه وتهتدي بخطاهُ

تمشي الهوينا حين تتعب ، ثم تعدو حينا ترتاح كي تلقاهُ

ذاك الثرى يدري بما ينوي لتلك البنت والدها وما أخفاهُ

وتوقف الرجل الكئيب عن المسير وقال في صوت يرنُّ صداهُ :

« أنا سوف أحفر ههنا يا طفلتي هيا اجلسي قربي هنا .. بنتاهُ »

قالت له : « هلاّ أعينك يا أبي ؟» فأجابها : « لا .. » بمعناً بدهاهُ ..

وأتمَّ حفرتهُ فناداها فقالت : « ها أنا .. لبيك يا أبتاهُ »

لم تدرِ ما سيصيبها لكنها جاءته واعجباً لأمر بكاهُ

قالت له : « ويلاه تبكي .. هل إذنْ سوءٌ أصابك يا أبي ؟ .. ويلاهُ »

وبكفها مسّتْ بمسح جبينه فرمى بها .. فتعلقت برداهُ

وبقوةٍ أودت بها وبعنفوا نٍ أودعتها في الثرى رجلاه
صاحتْ من الأعماق : « ما ذنبي أنا ؟ ومضت تنادي الكون : « وا غوثاه »
فرمى عليها من تراب الأرض حتى لم تعدْ تدري بها أذناه
ومشى يردّد بابتهاجٍ : « قد غسلتُ اليوم هذا العار » ما أقساه
ومضى النهارُ وجاء ليلٌ دامسٌ فردّى طواها والظلامُ طواه
ومن الظلام الحالك انبثق المدى فتحطم الطاغوت في مثواه
سطعت شموس النور فاندك الضلال وزال عهد الجهل من دنياه
حلوٌ لعمري ذلك الفجر الذي قصَفَ الليالي السود .. ما أحلاه
قد حُطّمت لبزوغه الأوثان واندثر الذي كان الظلامُ بناه
« الله أكبر » جلجلت أصداؤها في الأرض إذْ هتفت بها الأفواه
الله ربّ العالمين فما لغير الله تخفض للأنام جباه
وتنزل القرآنُ هدياً بيناً للناس فرقاناً لمن قد تاهوا
فأشاد منه الناس صرح المجد والا أخلاق واستهدوا بنور هداه ،
يا فلذةَ الكبد التي وُئدت بلا ذنبٍ ولا سببٍ له معناه
قد رقّ قلبُ أبيكِ بعد فظاظةٍ وصفا بهدي الله . ما أصفاه
وغدا يردّد : « قد غسلتُ اليوم عا ر الجهل . . فاغفر لي أيا رباه »

محمد مأمون عابدين



جزء ١٧ - ٢٠ من المجلد ٣٣



مجلة إسلامية علمية أدبية

تصدر بدمشق عن

جمعية التمدن الاسلامي

جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ
أيلول ١٩٦٦ م



معراج المصطفى

صلى الله عليه وآله وسلم

كما رواه أنس بن مالك وغيره من الصحابة رضي الله عنهم

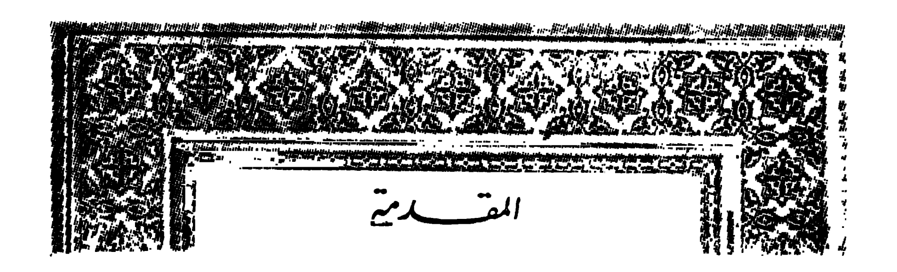
للأستاذين

محمود مهدي استانبولي   خير الدين وانلي

١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م

المطبعة الأموية بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

الحمد لله الذي جعل الإسراء والمعراج معجزة لهذا النبي الأمين ، ورفع مقامه إلى أعلى عليين ، فأراه من آياته الكبرى ، مايعجز عنها الوصف ولا تحيط بها العقول ، وخصه بالآيات الباهرات والمعجزات الواضحات رفعاً لشأنه وتكريماً . وحشر له الأنبياء فصلوا خلفه فكان لهم إماماً . فيالها من كرامة عظمى وخصوصية كبرى لهذا النبي الكريم الذي اصطفاه الله وأرسله للناس كافة بشيراً ونذيرا .

أسرى به الله ليلاً وعرج به إلى السموات العلى فكان ـ كما هو في الأرض ـ السراج المنير والمصطفى المجتبى . وأطلعه على عجائب الملك وأسرار الكون ورقى به إلى حيث سمع صرير الأقلام . فصلاة الله وسلامه على هذا النبي العظيم والمرشد الأمين والمبعوث رحمة للعالمين .

وفي ذلك يقول أمير الشعراء :

أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكه والرسل في المسجد الأقصى على قدم

لما خطرت به التفوا بسيدهم كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم

صلى وراءك منهم كل ذي خطر ومن يفز بحبيب الله يأتمم

آية الإسراء والمعراج

قال الله تعالى :

« سُبحانَ الذي أسرى بعَبْدِهِ ليلاً مِن المسجدِ الحرامِ إلى المَسجدِ الأقصى الذي بارَكْنا حولَهُ لِنُرِيَهُ من آياتِنا إنَّه هو السميع العليم » .

تنزَّه الله عما يصفه المشركون فهو البعيد عن النقائص والعجز والمتصف بجميع صفات الكمال .

تنزهت وتقدست ذات الله العلية التي أسرت بهذا الرسول الكريم الذي مهما سمت منزلته وارتفعت لا يخرج عن كونه عبداً لهذا الرب العظيم الذي لا إله غيره .

إنها العبودية في أجلى صورها وأرقى مراتبها . إن هذا التعبير « بعبده » كما صرح بذلك المفسرون يضع حداً لكل من تسول له نفسه أنه يرفع النبيّ فوق مقامه أو يضعه في غير موضعه فلن يستنكف مخلوق مهما عظم أن يكون عبداً لله رب العالمين « وَمن يستنكِف عن عبادِته ويَستكبرْ فسَيحشُرُهُمْ اليه جميعاً . فأما الذين آمنوا وعَمِلوا الصّالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم مِن فضلِهِ وأما الذين استَنكفوا واستكبروا فيُعَذِّبهُمْ عذاباً أليما ولا يجدون لهُم وَليّاً ولا نَصيرا » .

لقد حصل هذا السُّرى وقطع الرسول المسافة بين مكة والقدس في ليلة واحدة ، بل في جزء من هذه الليلة المباركة ، فما أعظم قدرة الله وما أجل تقديره !

أسرى الله بهذا النبي الكريم من مكة المكرمة ، من البلد الحرام إلى

المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الذي لا تشدّ الرحال بعد المسجد الحرام ومسجد المدينة المنورة إلا اليه كما جاء في الحديث الصحيح. ذلك المسجد الذي بارك الله ما حوله من بلاد الشام وجعل البركة لسكانها في معايشهم وفي هدايتهم بوحي الأنبياء المتقدمين. هذا المكان الذي درج الايمان في ربوعه منذ القديم وكان مهد الأنبياء ومهبط وحيهم وموضع تجلي معجزاتهم. هذا المسجد الذي في حمايته حماية للايمان وحماية لكل المقدسات.

كان هذا الاسراء بعد أن لاقى الرسول ﷺ من قومه الأهوال والشدائد، وبعد أن لقي من إيذائهم مالقي حتى اضطر الى الذهاب إلى الطائف لعله يجد عند أهلها العون والنصرة، ولكنه لم يجد منهم إلا الأذى والبلاء، فعاد الى مكة حزيناً، بل لم يستطع دخول مكة إلا بعد جهد كبير. ولئن كان قد فقد حماية عمه أبي طالب ورعاية زوجه خديجة فان الله لن ينساه فهو في حفظ الله وحياطته.

ها قد أسرى به ليريه علامات قدرته وعجائب صنعه وليمسح عن نفسه الأحزان ويسليه عن همومه ويرفعه إلى مقام لم يبلغه غيره.

لم تكن هذه المعجزة إجابة لاقتراح أبداه المشركون كما كانت بعض معجزات الرسل السابقين، وإنما كان هذا الاسراء محض تكريم لهذا الرسول الكريم وهو في منتصف الطريق في دعوته بعد أن مضي عليه قرابة اثني عشر عاماً يجاهد الكفار بهذا التوحيد الخالص، ويجبه شركهم بهذا الاسلام الحنيف.

وها هي ذي قصة هذه المعجزة العجيبة معجزة الاسراء والمعراج كما روتها الأحاديث الصحيحة واعتمدها المحققون من العلماء. وكم فيها من عظات لمن يتعظ وعبر لمن يعتبر.

ولله درّ أمير الشعراء إذ قال :

جبت السموات أو ما فوقهن بهم | على منوّرة درّية الأُلجم
مشيئة الخالق الباري وصنعته | وقدرة الله فوق الشك والتهم
حتى بلغت سماء لا يطار لها | على جناح ولا يُسعى على قدم

ويقول البوصيري صاحب البردة :

سريت من حرم ليلاً إلى حرم | كما سرى البدر في داج من الظلم
فبتّ ترقى الى أن نلت منزلة | من قاب قوسين لم تُدرك ولم ترم

الإعداد لهذه الرحلة المباركة :

بينما كان رسول الله ﷺ مضطجعاً - وهو في مكة - [فُرج عنه سقف بيته (١)] ونزل جبريل فشق صدره وغسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً فأفرغه في صدره ثم أطبقه .

الرسول ﷺ يمتطي البراق

وبعدها أتي بالبراق وهو دابة أبيض طويل يقع حافره عند منتهى طرفه وكان مسرجاً ملجماً ، فاستصعب على الرسول ﷺ حين أراد ركوبه فقال جبريل للبراق : [ما يحملك على هذا ؟ فوالله ما ركبك أحد أكرم على الله منه ، فارفض البراق عرقاً (٢)] . وركبه رسول الله ﷺ حتى أتى بيت المقدس فربطه بالحلقة التي تربط بها الأنبياء (٣) بعد أن [خرق جبريل الحجر بأصبعه وشد به البراق] (٤) .

---

(١) متفق عليه من روايته ابن شهاب عن أنس .

(٢) رواه أحمد والترمذي وابن حبان وإسناده صحيح . راجع مسند أحمد وصحيح ابن حبان بتحقيق أحمد محمد شاكر .

(٣) صحيح مسلم .

(٤) مستدرك الحاكم (٢ : ٣٦٠) وقد صححه ووافقه الذهبي . وقد رواه ابن حبان في صحيحه .

الرسول ﷺ في المسجد الأقصى

ثم دخل رسول الله ﷺ المسجد فصلى فيه ركعتين (١) وخرج بعدها فجاءه جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاختار اللبن فقال جبريل : هديت الفطرة ولو أخذت الخمر غوت أمتك (٢) .

العروج الى السماء

وأخذ جبريل بيد رسول الله ﷺ فعرج به إلى السماء (٣) فلما جاء

---

(١) لم يصل النبي ﷺ خلف الصخرة كما يزعمون . وقد قال ابن تيمية رحمه الله في تفسير سورة الاخلاص : « الذي يرويه بعضهم في حديث الاسراء أنه قيل للنبي ﷺ : هذه طيبة انزل فصل فنزل فصلى . هذا مكان أبيك انزل فصل . . كذب موضوع لم يصل النبي ﷺ تلك الليلة إلا في المسجد الأقصى خاصة ـ كما ثبت ذلك في الصحيح ـ ولا نزل إلا فيه ».

قلت : وكان مصلى النبي ﷺ في مقدم المسجد الأقصى وقد أخبر بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما كان بالجابية وذكر فتح بيت المقدس إذ قال لكعب الأحبار أين ترى أن أصلي ؟ فقال : إن أخذت عني صليت خلف الصخرة (فكانت القدس كلها بين يديك) فقال عمر : ضاهيت اليهودية ، لا ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ فتقدم فصلى . (رواه الامام أحمد في مسند عمر ، راجع كتاب الاسراء والمعراج للشيخ جمال الدين القاسمي) .

(٢) مسند أحمد بسند صحيح وهو في الصحيحين بلفظ : هي الفطرة أنت عليها وأمتك ورواه مسلم في صحيحه باللفظ الأول ايضاً .

(٣) متفق عليه من رواية ابن شهاب عن أنس .

إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازنها: افتح. قال: من هذا؟ قال: جبريل. قال: هل معك أحد؟ قال: نعم معي محمد ﷺ فقال: ارسل إليه؟ قال نعم. فلما فتح علا النبي ﷺ السماء الدنيا فاذا رجل قاعد، على يمينه أسودة (١) وعلى يساره أسودة إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى. فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح. فسأل النبي ﷺ جبريل من هذا؟ فقال: هذا آدم. وهذه الأسودة التي عن يمينه وعن شماله نسم (٢) بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى.

الرسول ﷺ يجتاز السموات

ثم عرج بالنبي ﷺ إلى السماء الثانية فاستفتح كما في المرة الأولى فاذا يحيى وعيسى (وهما ابنا خالة (٣)) فسلم عليهما فقالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. وقد وصف عيسى بأنه رجل أبيض أحمر كأنه خرج من ديماس يعني من حمام، مربوع الخلق سبط الرأس عريض الصدر حديد البصر (٤)).

ثم عرج بالرسول ﷺ إلى السماء الثالثة وفيها يوسف وقد أعطي شطر الحسن فرحب به ودعا له بخير (٥).

---

(١) جمع سواد وهو الشخص لأنه يرى من بعيد أسود.

(٢) واحدتها نسمة وهي الروح أو النفس.

(٣) متفق عليه من رواية قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة.

(٤) مسند أحمد باسناد صحيح وكذلك هو في صحيح ابن حبان برقم ٥١.

(٥) رواية مسلم عن ثابت البُناني عن أنس.

وفي السماء الرابعة رحب به ﷺ إدريس ، وفي الخامسة هارون ، وفي السادسة موسى وكلهم يقول : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . فلما جاوز النبي ﷺ بكى موسى قيل ما يبكيك ؟ قال : أبكي لأن غلاماً بُعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ، وقد وصف موسى بأنه رَجْل (١) الشعر جسيم (٢) طُوال آدم (٣) .

ثم صعد رسول الله ﷺ إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث اليه ؟ قال نعم قيل : مرحباً به فنعم المجيء جاء . فلما خلص إليه إذا بابراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كلَّ يوم سبعون ألف ملك لايعودن إليه . قال جبريل : هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه . فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح . وقد وصفه الرسول ﷺ بقوله أنا أشبه ولده به (٤) ،

الرسول ﷺ عند سدرة المنتهى

ثم رفع النبي ﷺ الى سدرة المنتهى فاذا ثمرها مثل قِلال (٥) هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة واذا هي يسير الراكب في الفنن (٦) منها مئة

(١) أي لم يكن شعره شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما .

(٢) طُوال : أي طويل . وهذه الأوصاف أوردها الامام أحمد في مسنده باسناد صحيح وكذلك ابن حبان في صحيحه وفيه قصة بكاء موسى في الحديث رقم ٤٧ وإسناده صحيح كما قال الأستاذ أحمد محمد شاكر .

(٣) آدم أي أسمر .

(٤) مسند أحمد وسنده صحيح كما قال محققه أحمد محمد شاكر .

(٥) القلال جمع قلة وهي إناء كالجرة . وهجر : اسم بلد .

(٦) الغصن .

سنة يستظل بالفنن منها مئة راكب (١) فلما غشيها من أمر الله ماغشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها (٢) .

الرسول ﷺ يسمع صريف الأقلام

وهكذا رفع النبي ﷺ إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام (٣) أي أقلام القدر ، وغشي السدرة ماغشيها من فراش من ذهب (٤) ورأى محمد ﷺ جبريل على صورته التي خلقه الله عليها وله ستمئة جناح ، ورآه في حلة من ياقوت قد ملأ بين السماء والأرض (٥) . ورأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق . كما رأى نهرين ظاهرين ونهرين باطنين فسأل جبريل فقال : أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات (٦) .

النبي ﷺ في الجنة

وأدخل النبي ﷺ الجنة فإذا فيها جنابذ (٧) اللؤلؤ وإذا ترابها المسك فسمع في جانبها صوتاً خفياً فقال ياجبريل : ما هذا ؟ قال : هذا بلال المؤذن .

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) متفق عليه من حديث أنس .

(٤) صحيح مسلم .

(٥) مسند أحمد الحديث رقم (٣٩١٥) وصحيح ابن حبان برقم ٥٨ .

(٦) متفق عليه من حديث مالك بن صعصعة . ومعنى الحديث أن أصلها من الجنة لا أنهما ينبعان الآن منها فقد يقال مثلاً عن ماء في كأس : هذا الماء من السماء ، وقد يقصد المعنى اللغوي .

(٧) الجنابذ : القباب . والحديث في الصحيحين .

لذا كان النبي ﷺ يقول : قد أفلح بلال رأيت له كذا وكذا(١) .

ماشطة بنت فرعون

ومرت برسول الله ﷺ رائحة طيبة فقال : ماهذه الرائحة ؟ قال : ماشطة بنت فرعون وأولادها سقط المشط من يدها فقالت باسم الله . فقالت بنت فرعون : أبي ؟

قالت : ربي وربك ورب أبيك .

قالت : أولك رب غير أبي ؟

قالت : نعم . ربي ورب أبيك الله .

فدعاها فرعون وقال : ألك رب غيري ؟

قالت : نعم . ربي وربك الله عز وجل ، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم أمر بها أن تلقى في النار . قالت : إن لي إليك حاجة قال : ماهي ؟ قالت : تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا . قال ذلك لك لما لك علينا من الحق .

فأمر بهم فألقوا بين يديها واحداً واحداً إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها رضيع وكأنها تقاعست من أجله فقال : ياأمه اقتحمي فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة (٢) .

قصر عمر في الجنة

ورأى رسول الله ﷺ قصراً من ذهب فقال لمن هذا القصر ؟ فقالوا : لفتى من قريش فظن ﷺ أنه له . فقال : من هو ؟ قيل : عمر بن

---

(١) رواه الامام أحمد باسناد صحيح كما قال المحقق أحمد محمد شاكر

(٢) رواه البيهقي وقال ابن كثير في تفسيره (٣) إسناد لا بأس به .
وهو في مسند أحمد برقم (٢٨٢٢) باسناد صحيح .

الخطاب . فكان ﷺ بعد ذلك يقول : لولا ما أعلم من غيرتك لدخلته . فكان عمر رضي الله عنه يقول : بأبي وأمي يا رسول الله . أعليك أغار (١)

الرسول ﷺ يرى المغتابين في النار

ورأى رسول الله ﷺ مالكا خازن جهنم فابتدأ الرسولَ ﷺ بالسلام.(٢)

ونظر الرسول ﷺ في النار فاذا قوم يأكلون الجيف قال : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس (٣) .

عاقر ناقة صالح

ورأى ﷺ رجلا أحمر أزرق جعداً شعثاً فقال من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا عاقر الناقة (٤) .

الدجال

ورأى رسول الله ﷺ الدجال (٥) وهو أقمر هجان (٦) إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب وكأن شعر رأسه أغصان شجرة .

الواقعون في أعراض الناس

ومر ﷺ بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقال: من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في

---

(١) صحيح ابن حبان بتحقيق احمد محمد شاكر وهو في الصحيحين وفيه أن النبي ﷺ رأى جارية بفناء هذا القصر . (٢) رواه مسلم عن أبي هريرة .

(٣) رواه أحمد وإسناده صحيح كما قال ابن كثير في تفسيره ج٣ ص١٤

(٤) رواه الامام احمد في مسنده باسناد صحيح .

(٥) رواه الامام أحمد في مسنده باسناد صحيح . الحديث رقم ٣٥٤٦ بتحقيق أحمد محمد شاكر . (٦) هجان : أي أبيض .

أعراضهم [1] .

خطباء السوء

ورأى رجالا تقرض شفاههم بمقاريف من النار فقال : من هؤلاء ياجبريل ؟ فقال :الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون [2] .

افتراض الصلاة :

وبعد ذلك فرض الله على أمة محمد ﷺ خمسين صلاة كل يوم فرجع الرسول ﷺ فمر على موسى فقال بما أمرت ؟ قال : أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال : إن أمتك لاتستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك . فرجع فوضع عنه عشراً . فرجع إلى موسى فقال مثله وهكذا مرات حتى أمر بخمس صلوات كل يوم . فرجع إلى موسى فقال بما أمرت؟ قال : أمرت بخمس صلوات كل يوم . قال : إن أمتك لاتستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف . قال : سألت ربي حتى استحييت ، ولكني أرضى وأسلم . فلما جاوز رسول الله ﷺ نادى مناد : أمضيت فريضتي وخففت على عبادى [3] . وقال رب العزة في المرة الأخيرة :

يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة . من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فان عملها كتبت له

( ) رواه أحمد وأبو داود وإسناده صحيح .

(٢) صحيح ابن حبان بتحقيق أحمد محمد شاكر رقم ٥٢

(٣) متفق عليه

عشراً ، ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئاً [1] ، فان عملها كتبت له سيئة واحدة .

الرجوع إلى بيت المقدس :

وبعد أن اجتمع النبي ﷺ بالأنبياء عليهم السلام في السموات نزل بيت المقدس وهم معه وصلى بهم فيه .

المرور بقافلة قريش :

ثم خرج الرسول ﷺ من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس ، وفي طريقه مر بقافلة لقريش قد أضلت بعيراً لها فلما أتى أصحابه قبيل الصبح بمكة حدثهم بمسيره وبعلامة بيت المقدس وبعيرهم ، فقال ناس: نحن لانصدق محمداً بما يقول فارتدوا كفاراً . وقال المشركون انظروا إلى ابن أبي كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة ! فقال لهم الرسول ﷺ إن من آية ما أقول لكم أني مررت بعير لكم في مكان كذا وكذا وقد أضلوا بعيراً لهم فجمعه لهم فلان ، وإن مسيرهم ينزلون بكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل آدم [2] عليه مسح [3] أسود وغرارتان [4] سوداوان . ولما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حين كان قريباً من نصف النهار حتى أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه [5] رسول الله ﷺ.

قال أبو جهل ساخراً : يخوفنا محمد بشجرة الزقوم هاتوا تمراً وزبداً فتزقموا [6].

مؤامرة أبي جهل :

وفي رواية [7] أن رسول الله ﷺ لما أصبح وعرف أن الناس يكذبونه

---

(١) رواه مسلم (٢) أسمر (٣) المسح : البلاس (٤) الغرارة : الجوالق .

(٥) رواه البيهقي من طريقين عن أبي اسماعيل الترمذي وقال : اسناد صحيح ووافقه ابن كثير في تفسيره ج ٣ ص ١٤

(٦) رواه الامام أحمد باسناد صحيح (٧) للامام أحمد وإسناده صحيح .

ند معتزلا ، فمر به عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس اليه فقال له
المستهزيء : هل كان من شيء ؟ فقال له رسول الله ﷺ : نعم . قال :
ماهو ؟ قال : إني أسري بي الليلة . قال : إلى أين ؟ قال : إلى بيت
قدس . قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم . فلم ير أن يكذبه
نافة أن ينكر الحديث ويجحده إن دعا قومه إليه . فقال : أرأيت إن
عوت قومك أتحدثهم بما حدثتني ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم . فقال :
معشـــر بني كعب بن لؤي . فانفضت إليه المجـــالس وجاءوا حتى
لـوا إليهما فقال : حدث قومك بما حدثتني ، فقال رسول الله ﷺ
ني أسري بي الليلة . فقالوا : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس ، فقالوا :
م أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم . قال راوي الحديث : فمن بين
صفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً للكذب . قالوا : وتستطيـع
ن تنعت لنا المسجد ، وفيهم من سافر الى ذلك البلد ورأى المسجد . فقال
سول الله ﷺ : فما زلت أنعت حتى التبس النعت علي قال : فجيء
لمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع دون دار عقيل فنعته وأنا أنظر اليـه
ال الراوي : فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب فيه [1] .

الصديق أبو بكر

وروى البيهقي [2] أن ناساً من قريش ذهبوا إلى أبي بكر فقالوا : هل
ك في صاحبك يزعم أنه جاء إلى بيت المقدس ثم رجع إلى مكة في ليلة
احدة فقال أبو بكر : أوقال ذلك ؟ قالوا : نعم . قال : فأنا أشهد لئن

---

(١) رواه أحمد في مسنده رقم ٢٨٢٠ وإسناده صحيح . وحديث رفع بيت
لمقدس ونظر الرسول إليه وتحديث قومه عنه ذكره مسلم في صحيحه (١٠٨/١) .

(٢) إلا أن الحديث مرسل لأنه من رواية ابن شهاب عن سلمة بن
عبد الرحمن لكن له شاهداً عند البيهقي من حديث عائشة يقويه .

كان قال ذلك لقد صدق . قالوا فتصدقه أن يأتي الشام في ليلة واحدة ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح ؟ قال : نعم أنا أصدقه بأبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء . قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : فبها سمي أبو بكر الصديق .

خواطر حول

الإسراء والمعراج

١ — الإسراء بالروح والجسد

كان الاسراء والمعراج بروحه وجسده ﷺ وفي اليقظة لا في المنام، والأدلة على ذلك كثيرة منها أن التسبيح في قوله تعالى : (سبحان الذي أسرى بعبده) إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة فدل على أنه بالروح والجسد.

ثم إن كلمة (العبد) يطلق على الجسم والروح أي على الشخص بجملته ولم يُعهد في لغة العرب إطلاقه على الروح فقط . وأيضاً لو كان مناماً لما بادر كفار قريش إلى التكذيب به والاستبعاد له إذ ليس في ذلك كبير أمر ، فدل على أنه أخبرهم بأنه أسري به يقظة لا مناماً [١] .

ولو كان الحديث عن الاسراء حديثاً عن رؤيا منامية لكان يسيراً على القرآن أن يقول « سبحان الذي أسرى بروحه »أو « أرى عبده في المنام » فدل باختياره لفظ « أسرى » على أنه سَيْر حقيقي وانتقال بحركة مادية إذ السرى في اللغة هو السير ليلاً . هذا إلى أن الآية الكريمة جاءت للتنويه بشأن الرسول والاشعار برفعته وسمو مكانته والتنويه بعظم ما أجراه الله على يديه من الأمر العظيم، وعظم هذا الأمر يكمن في أنه لم يكن شيئاً يألفه الناس ويعهدونه . ولو كان بالروح فقط لم يكن ثمة ما يقتضي

---

(١) البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير ١١٤/٣ .

هذا لا استعظام (١) وذلك العجب إذ الرؤيا في المنام أمر يقع لكل أحد بل قد يرى الانسان في منامه رب العزة والجنة والنار والملائكة والسموات دون أن يكون في هذه الرؤيا أمر خارق يستدعي تفضيلاً أو مكرمة.

ثم إن في قوله تعالى في سورة النجم: « أفتمارونه على مايرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى مازاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى » في هذه الآيات إشارة الى أن العروج كان بالروح والجسد، وأنه ﷺ رأى جبريل عند سدرة المنتهى ورأى عندها من آيات ربه الكبرى. فالمراء والجدال الذي سلكه المشركون لا يمكن أن يكونا من أجل رؤيا منامية بل لعلمهم أن النبي ﷺ إنما يخبرهم عن أمر حصل في اليقظة وهو أمر غير معهود عندهم فجابهوه بالمراء والشك.

وهذه الرؤية الثانية تشبه الرؤية الأولى التي رأى النبي ﷺ فيها جبريل في غار حراء في صورته التي خلقه الله عليها قد سد الأفق، ولم يقل أحد في الرؤية الأولى إنها بالروح. ثم تأمل قوله تعالى (مازاغ البصر وما طغى) وهل فيها مايشير الى أنها كانت رؤيا منامية ؟ وهل تكون الرؤيا المنامية فتنة واختباراً للناس ؟ والله سبحانه يقول (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس).

لقد ارتد بعض الذين سمعوا بهذه القصة بعد إسلامهم وقامت قيامة المشركين وهاجوا وماجوا لسماعهم هذا النبأ، فهل كان ذلك كله لأجل رؤيا منامية ؟ ولقد سألوا النبي ﷺ عن قافلتهم ومكانها فأجابهم فهل طرحوا كل تلك الأسئلة عن عيرهم وعن بيت المقدس وأقسامه وما يتصل به وهم

---

(١) راجع المصباح الوهاج في الاسراء والمعراج لعمر عبد الوهاب القاضي.

يعتقدون أنها رؤيا منامية ؟

ثم إن فرض الصلاة عليه فوق السموات العُلى وهي عمود الاسلام ، هل يصح أن تكون في المنام مع أن غيرها من الفروض التي هي أقل منها رتبةً كانت في اليقظة ؟

والذي يشك في أن يكون الاسراء بالروح والجسد قد يؤدي به ذلك إلى الشك في قدرة الله وأنه على كل شيء قدير ، يقول للشيء كن فيكون خلق الكون وقوانينه وميز عناصره وطبيعته ، فطبيعة النار الاحراق وقد جعلها برداً وسلاماً على إبراهيم . وطبيعة الماء الاغراق وقد جعل لموسى طريقاً يبساً في البحر ، وجعل بطن الحوت ليونس سكناً وغذاء وكساء ، وسخر الرياح لسليمان (غدوها شهر ورواحها شهر) . فقدرة الله التي خلقت النواميس غير مقيدة بهذه النواميس . وإذا جاز أن يخرقها الله لأنبيائه السابقين فلماذا يستبعد خرقها لسيد الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ ؟

يقول بعضهم إن الاسراء والمعراج مخالف للنواميس الطبيعية .

ونقول لمن يدعي أن هذا مخالف للنواميس الطبيعية : نقول له : ماذا فهمنا بعد من النواميس الطبيعية ؟ إن فلاسفة الطبيعة يقولون : إنا لم نزل في درس هذه العلوم على ساحل البحر .

إن وجودنا ـ نعم وجودنا ـ مخالف للنواميس الطبيعية المعروفة الآن باتفاق جميع الطبيعيين . وبماذا يجيب هذا المدعي إذا قلنا له إن وجوده مخالف للنواميس الطبيعية وكذلك وجود كل إنسان وكل حيوان وكل نبات ؟ لأن أرضنا هذه شعلة نارية كما يقول علماء الطبيعية ولم يكن على ظهرها نبات ولا حيوان . فمن أين جاءت الحياة ؟ إن النبات ذا البذور لا بد له من بذور ، فمن أين جاءت حبة القمح الأولى ؟ و ن البيضة من الدجاجة والدجاجة

لا توجد الا من البيضة فوجود البيضة الأولى محال وخارق للنواميس الطبيعية ، ووجود الدجاجة الأولى محال وخارق للنواميس الطبيعية . إن الحيوان لايكون إلا من الحيوان فمن أين جاءت الحيوانات الأولى ؟ وكيف كُوّن الانسان الأول ؟

إن كل ماعلى وجه الأرض من نبات وحيوان مخالف في وجوده للنواميس الطبيعية بصورة هي أشد من مخالفة المعجزات لأن أصل هذه النباتات والحيوانات جمادات ، والطبيعيين جميعاً معترفون باستحالة وجود النبات أو الحيوان من الجماد (١) .

والذي حارت البرية فيه   حيوان مستحدث من جماد

إن أصل الحياة مسألة لم تحل حتى الآن . والهوة التي بين الجمادات والأحياء لم تزل كما كانت (قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) .

فلا بد من خالق يبعث الحياة في الأحياء . وهذا الخالق لاحدود لقدرته (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) .

٢ — محمد ﷺ لم ير ربه في هذه الليلة

أما عن رؤية الله تعالى ليلة الاسراء فلم يصح شيء في ذلك عن الرسول ﷺ بل قال الله تعالى : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » . وقال تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي باذنه مايشاء إنه عليٌ حكيم » وهاتان الآيتان استشهدت

---

(١) راجع التفسير العصري القديم الجزء الخامس عشر للشيخ عبد الفتاح الامام رحمه الله .

بها السيدة عائشة أم المؤمنين (ر) في الرد على من ظن أن محمداً ﷺ رأى ربه تفسيراً لقوله تعالى : (ولقد رآه بالأفق المبين) فلقد بينت لمسروق [(١)] أنها سألت عن هذه الآية رسول الله ﷺ فقال : إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين ؛ رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه مابين السماء الى الأرض . وذلك هو التفسير الصحيح لقوله تعالى في سورة النجم : « ثم دنا [(٢)] فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ماأوحى ماكذب الفؤاد مارأى أفتمارونه على مايرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى » ولذلك كانت السيدة عائشة تقول : من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية [(٣)] .

وأخرج مسلم عن ابن مسعود في تفسير قوله تعالى : « ماكذب الفؤاد مارأى » قال : رأى جبريل عليه السلام له ستمئة جناح . وأخرج عنه أنه قال في تفسير الآية (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) قال : رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح .

وهكذا يتبين أن معنى قوله تعالى « ولقد رآه نزلة أخرى » أي مرة أخرى غير المرة التي كانت في مبدأ البعثة وهو راجع من غار حراء والتي قال الله عنها (ولقد رآه بالأفق المبين) وقال عنها : « علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى » . إن المرة الثانية كانت عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى . هنالك رأى محمد جبريل على صورته التي خلقه الله عليها مثلما رآه في المرة الأولى عند غار حراء . أما في سائر الأوقات الأخرى فكان يأتيه في صورة الرجال .

قال البيهقي : إن قول عائشة وابن مسعود وأبي هريرة في حملهم

---

(١) كما في صحيح مسلم (٢) راجع الشفاء للقاضي عياض (١٦٦/١)

(٣) وتمام قولها كما في صحيح مسلم : « ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً فقد أعظم على الله الفرية ... ومن زعم أنه يخبر بما يكون فقد أعظم على الله الفرية . »

هذه الآيات على رؤيته ﷺ جبريل أصح ... فقد سأل أبو ذر رسول الله ﷺ : هل رأيت ربك ؟ فقال ﷺ : نور أنى أراه ؟!.

قال : وقوله ثم دنا فتدلى إنما هو جبريل كما ثبت ذلك في الصحيحين عن عائشة وعن ابن مسعود وكذلك هو في صحيح مسلم عن أبي هريرة ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بهذا (١) .

٣ — حكمة الاسراء والمعراج

أما رؤية المؤمن الله تعالى في الآخرة ، فليس مجال بحثها هنا .

١ — إن تلك الرحلة الأرضية (الاسراء) والرحلة السماوية (المعراج) حدثتا في ليلة واحدة قبل الهجرة بسنة (٢) ليمحص الله المؤمنين ويبين منهم صادق الايمان ومن في قلبه منهم مرض أو شك فيكون الأول خليقاً بصحبة رسوله الأعظم إلى دار الهجرة والانضواء تحت لوائه وجديراً بما يحتمله من أعباء عظام وتكاليف شاقة وإنشاء دولة عمت الدنيا .

٢ — إن الله أطلع رسوله ﷺ على ما في هذا الكون أرضيه وسماويه من العظمة والجمال ليكون ذلك درساً عملياً لتعليم رسوله بالمشاهدة والنظر فان التعليم بالمشاهدة أجدى أنواع التعليم .

---

(١) تفسير ابن كثير ج٣ ص٣ .

(٢) اختلف في سنة الاسراء وليلته والراجح ماذكرناه من أنه كان في السنة الثانية عشرة من البعثة أي قبل الهجرة بعام تقريباً . أما شهره فقيل كان في شهر ربيع الأول وقيل في شهر ربيع الآخر وقيل في شهر رمضان وقيل في شوال وقيل في شهر رجب . وأما ليلته فاختلف فيها أيضاً فقيل ليلة السابع والعشرين وقيل ليلة السابع عشر والله أعلم .

ولم يخص الشارع ليلة الاسراء والمعراج بصلاة خاصة او دعاء مخصوص . كما لم يصح في فضل صيام رجب أي حديث وما تذكره دواوين الخطب المنبرية من الأحاديث في ذلك فلم يصح منها شيء .

٣ ـــ إن هـذه المعجزة وقعت عقيب اشتداد أذى قريش للنبي الكريم والمؤمنين به، فكأنما جاءت رمزاً للفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر اذ كانت نقلا له ﷺ من هذا الجو العدائي الرهيب إلى جو آخر مملوء بالمحبة والتقريب والحنان والتكريم والترحيب حيث أسري به إلى بيت المقدس وفيه لمس مكانته بين الأنبياء والرسل حينما أمهم في الصلاة ـ والله أعلم بكيفية ذلك ـ وحينما عرج إلى أعلى المنازل وسما حتى سمع صرير الأقلام وناجى ربه فوق السموات العلى فأي مقام أرفع وأي تكريم أروع من ذلك ؟ لقد كان ذلك العلو الذي وصل اليـه ﷺ رمزاً الى العلو المعنوي وإقصاء عن العالم المادي ليتهيأ لمناجاة العلي الأعلى دون شواغل دنيوية أو علائق مادية . ولقد فرضت عليه ـ في هذا العروج ـ الصلاة وهي في روحها وجوهرها خضوع وخشوع وتبتل ومناجاة واستحضار لعظمة الله واستغراق في جلال الله .

وإذا كان العلو الحسي إلى جانب هذا رمزاً لارتفاع مكانة الرسول ﷺ عند ربه فانه من جهة أخرى يوحي إلى اتباعه جميعاً ان هذه الدنيا تحت أيديهم وان هذا العالم طوع يمينهم . أوليس الذي سخر الطبيعة لنبيه ورفعه فوقها بقادر على أن يسخرهـا لأتباعـه (١) ويجعلهم أسبق من غيرهم في كشف أخبارها ومعرفة قوانينها واسرارها والاستيلاء على كنوزها وخيراتها؟!.

٤ ـــ ان ماجاء في قصـــة المعراج من أن الرسول ﷺ قد أمّ الأنبياء والمرسلين في الصلاة يرشدنا إلى أن محمداً ﷺ جاء بشريعة هي

---

(١) قلت للأسف الشديد إن أعداء المسلمين هم الذين يعملون ليل نهار ليسخروا الطبيعة ويجوبوا آفاق السموات مع أن قائدنا قد أرشدنا إلى أن نكون السباقين كما كان هو صلوات الله عليـه . وكان معراجـه تذكيراً لنا بأن الله سخر السموات كما سخر الأرض لقوم يعقلون .

خاتمة الشرائع السالفة كلها وهي الجديرة بالبقاء والخلود (١).

٤ ـ أهمية الصلاة

لابد من التنويه أخيراً بقيمة الصلاة وأهميتها ولذلك كانت العبادة الوحيدة التي أوجبها الله بنفسه بينما نجد من بقية الفروض قد أوجبها بالواسطة، وذلك لما لهذه الفريضة من قيمة في تصفية النفس وتهذيبها وجعلها في يقظة مستمرة ومراقبة دائمة فتكون بالنسبة للمسلم كالنهر الذي يغتسل فيه المرء خمس مرات في اليوم فلا يدع من الدرن (٢) شيئاً وهذا هو مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا كما مثله رسول الله ﷺ.

٥ ـ أهمية المسجد الأقصى وفلسطين

كما لابد من التنويه بقيمة المسجد الأقصى الذي اختاره الله ليكون مصلى للأنبياء ومجمعاً لهم فهو قلب العالم الاسلامي النابض لذا كان من أولى واجبات المسلم أن يحافظ عليه ويحميه من عبث العابثين ويدفع عنه غارة المغيرين.

٦ ـ قصص المعراج المتداولة

وفي الختام نذكر بأن معظم الكتب التي ألفت وكتب فيها مؤلفوها عن الاسراء والمعراج قد اشتملت على أشياء لم تثبت عن النبي ﷺ ونخص بالذكر منها المعراج المتداول بين العامة والمسمى بمعراج ابن عباس، وابن عباس منه براء لما حواه من الكذب الصراح على ابن عباس وعلى ابن عمه محمد ﷺ فمثل هذه الكتب غير الصحيحة السند وغير الثابتة نسبتها

(١) عن كتاب المصباح الوهاج في الاسراء والمعراج لعمر بن عبد الوهاب القاضي مع شيء من التصرف.

(٢) أي الأوزار.

إلى من نسبت اليهم لايجوز تعاطيها وقراءتها إلا للاعتبار بكذب الـكاذبين، وأنهم سيتبوؤون مقعدهم من النار لأنهم كذبوا متعمّدين على رسول الله ﷺ وقد ظنوا بهذا التهويل أنهم يعظمون رسول الله ﷺ وهو أسمى وأشرف من أن يسمى الانسان لتعظيمه بافتراء القصص وتلفيق الأقوال فهو ﷺ في غنى عن هذا الاطراء، وفيما صح من سيرته ومن إسرائه ومعراجه غنى عما لم يصح. وهو بعد كل ذلك سيد ولد آدم ولا فخر وآدم ومن دونه تحت لوائه يوم القيامة . . . فلنصفه بما صح نقله عنه وبما وصفه به ربه ولندع الخيالات والأوهام جانباً .(*)

دعاء

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . اللهم صلّ على محمد المصباح الوهاج صاحب الاسراء والمعراج وعلى آله الرافعين أعلام الهدى والجهاد وسلم تسليماً كثيرا .

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم .

ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين .

ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين .

ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير .

ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار .

ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الـكافرين .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

(*) نذكر بأن معظم بحوث الأجزاء ٢١-٢٨ من مجلة التمدن الاسلامي في مجلدها الحادي والثلاثون خاصة بالاسراء والمعراج، وفي بعضها تفصيل لما جاء هنا موجزاً .

في ذكرى الاسراء والمعراج

فوق الآدمية

من أعجب ما اتفق لي أني فرغت من تسويد هذا المقـال ثم أردت نقله فتعسر علي وصُرفت عنه بألم شديد اعتراني ، ونالني منه ثقلة في الدماغ ثم[١] كشفه الله بعد يوم فراجعت الكتابة ، فاذا قلمي ينبعث بهذه الكلمات:

كيف يستوطيء المسلمون العجز وفي أول دينهم تسخير الطبيعة ؟

كيف يستمهدون الراحة ، وفي صدر تاريخهم عمل المعجزة الكبرى ؟

كيف يركنون إلى الجهل ، وأول أمرهم آخر غايات العلم ؟

كيف لا يحملون النور للعالم ، ونبيهم هو الكائن النوراني الأعظم ؟



قصة الاسراء والمعراج هي من خصائص نبينا محمد ﷺ هـذا النجم الانساني العظيم ، وهو النور المتجسد لهداية العالم في حيرة ظلماته النفسية فان سماء الانسان تظلم وتضيء من داخله باغراضه ومعانيه ، والله تعالى قد خلق للعالم الأرضي شمساً واحدة تنيره وتحييه وتتقلب عليه بليله ونهاره ، بيد أنه ترك لكل إنسان أن يصنع لنفسه شمس قلبه وغمامهـا وسحائبها وما تسفر به وما تظلم فيه ولهذا سمي القرآن نوراً لعمل آدابه في النفس ، ووصف المؤمنون بأنهم « يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم »

---

(١) مقتطفات من مقال للأستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله تعالى، عن (وحي القلم)

وكان ثمر الايمان والتقوى في تعبير القرآن الكريم أن يجعل الله للمؤمنين نوراً يمشون به .

وقد حار المفسرون في حكمة ذكر « الليل » في آية « الاسراء » وفي قوله تعالى « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا » فان السُّرى في لغة العرب لا يكون إلا ليلاً .

والحكمة هي الاشارة إلى أن القصة قصة « النجم » الانساني العظيم الذي تحول من إنسانيته إلى نوره السماوي في هذه المعجزة ، ويتمُّ هذه العجيبةَ ان آيات « المعراج » لم تجيء إلا في سورة « النجم » .

وعلى تأويل أن ذكر (الليل) إشارة إلى قصة النجم ، تكون الآية برهان نفسها وتكون في نسقها قد جاءت معجزة من المعجزات البيانية ، فاذا قيل إن نجماً دار في السماء أو قطع ما تقطعه النجوم من المسافات التي تعجز الحساب ، فهل في ذلك من عجيب ؟ وهل من شك أو نظر أو تردد ؟ وهل هو الا من بعض ما يسبح الله بذكره ؟ وهل يكون إلا آية اتصلت بالآيات التي نراها اتصال الوجود بعضه ببعض ؟

وانا ما يكاد ينقضي عجبي من قوله تعالى « لنريه من آياتنا » مع أن الألفاظ كما ترى مكشوفة واضحة يخيل إليك ان ليس وراءها شيء ووراءها السر الأكبر ، فانها بهذه العبارة نص على إشراف النبي ﷺ فوق الزمان والمكان يرى بغير حجاب الحواس مما مرجعه إلى قدرة الله لا قدرة نفسه بخلاف مالو كانت العبارة « يرى من آياتنا » فان هذا يجعله لنفسه في حدود قوتها وحواسها وزمانها ومكانها فيضطرب الكلام ويتطرق اليه الاعتراض ولا تكون ثم معجزة .

وتحويل فعل (الرؤية) من صيغة إلى صيغة كما رأيت هو بعينه اشارة لى تحويل الرائي من شكل إلى شكل ... وهذه معجزة أخرى يسجد لها العقل ، فتبارك الله منزل هذا الكلام .

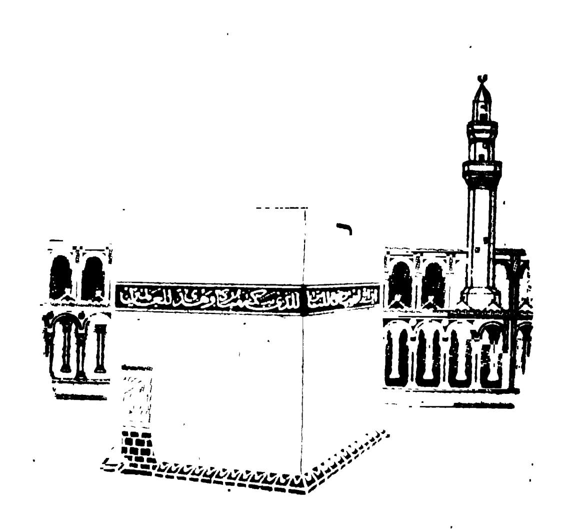
وفي علماء عصرنا من يفكر في الصعود إلى القمر وفيهم من يعمل للمخاطبة مع الافلاك وفيهم من تقع له العجائب في استحضار الأرواح وتسخيرها وكل ذلك أول البرهان الكوني الذي سيلزم العلم فيضطره في يوم ما إلى الاقرار بصحة الاسراء والمعراج .

ونحن على الرأي الذي عليه جمهور العلماء : من أن الاسراء والمعراج كانا بالجسم والروح معاً على التأويل الذي سنبينه ، ويثبت ذلك قوله تعالى في سورة (النجم) : « إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى » فلا يكون البصر يزيغ ويطغى إلا في الجسم ، ولا ينتفي عنه ذلك إلا وهو في الجسم ، ولم ينتبه أحد من المفسرين إلى المعنى المعجز العجيب في قوله : (وما طغى) ، فذلك نص على أنه كان يرى بجسم قد تحول عن الطبيعة الآدمية المحدودة فليس فيه منها شيء إذ لا يكون طغيان البصر إلا من تسلط الخيال عليه بأهواء الجسم التي لا يستقيم بها حكم على حقيقته ، فما زاغ البصر بكونه مقيد الحاسة ، ولا طغى بكونه مطلق الخيال ، بل كما يريد الله من آياته أي كان حقيقة كونية في غير حالتها الأرضية الناقصة .

والقصة بعد ذلك تثبت ان هذا الوجود يرق وينكشف ويستضيء كلما سما الانسان بروحه . ويغلظ ويتكاثف ويتحجب كلما نزل بها ، وهي من ناحية النبي ﷺ قصة تصفه بمظهره الكوني في عظمته الخالدة .

كما رأى ذاته الكاملة في ملكوت الله تعالى . ومن ناحية كل مسلم من أتباعه هي كالدرس في أن يكون لقلب المؤمن معراج سماوي فوق هذه الدنيا ، ليشهد ببصيرته أنوار الحق ، وجمال الخير ، وتجسد الأعمال الانسانية في صورها الخالدة ، فيكون بتدبره القصة كأنما يصعد إلى السماء وينزل فيستريح إلى الحقائق الأساسية لهذه الحياة ، فيدفع عن نفسه بذلك تعقد الأخيلة الذي هو أساس البلاء على الروح .

ومتى استنار القلب كان حياً في صاحبه ، وكان حياً في الوجود كله ومتى سلمت الحياة من تعقيد الخيال الفاسد لم يكن بين الانسان وبين الله إلا حياة هي الحق والخير ، ولم يكن بينه وبين الناس إلا حياة هي الرحمة والحب .



الإسراء والمعراج (★)

للاستاذ عبد الحكيم جبران

شرُفَ الزمان بليلة الاسراء فغدا بها قبساً من الأضواء
وتجمعت فيها الحياةُ كأنما جُمِعَ الزمان فكان خير مساء
من حجر إسماعيل خفَّ محمدٌ كالطيف يطرُقُ بابَ كل سماء
ورفيقهُ جبريلُ يحدو ركبَه والركب يرفُل في سنىً وسناء
وعنايةُ الرحمن ترعى سامياً في الكون نحو السدرة العلياء
ياليت شعري . إن ذاك لمنزل فوق العروش وصَولة الأمراء

في كنف الاله

ضاقت بدعوتك البسيطةُ كلُّها وتنكرت لك أمَّةُ الخلطاء
وثقيف آذتْ فيك كل مشاعر صبَّت عليك مراجلَ البغضاء
فدعتْك دعوتَها السماءُ مضيفةً وأرتْك رحمتَها وميض رجاء
من كان في كنف الاله فحسبهُ تلك الرعايةُ فوق كل عداء

مكرومة

الرُّسل في الأقصى غدوت إمامهم فمُنِحت مكرمة على الكرماء
كالجند حولك ، أنت فيهم قائدٌ ومن البنود عليك خيرُ لواء
لم تتخذ لك في الفضاء سفينة تحميك من شهب ومن افناء
فتخِذْت من هذا البراق سفينة بذَّت سفينَ العلم والعلماء
في الكون أجراها الحكيم لحكمة لم تبقَ خافيــة على العقلاء
بمشيئة الرحمن أُطلق سهمُها وبأمره ركنت إلى الارساء
عجبت لرحلتك القرون ولم تزل بالسحر تلهمُ السُّن الشعراء

(★) عن (الوعي الاسلامي) الزاهرة .

أعرق أمة

فلقد بعثتَ وللجهالة سطوةٌ ... باتت تسوق مواكب الضعفاء
فبكل أرض للخصومة فتنةٌ ... وبكل ناحيـة مسيل دماء
ماذا جنته عليهمُ مـوءودةٌ ... لم يُجدِها أبداً ذليل بكاء
وجدتْ لديك الأمن لم تظفر به ... من قبل إذ هي في حمى الآباء
والجهل من فوق الخليقة مطبقٌ ... فكأنهم في ليلة ظلماء
خرّوا لأصنام برَوْها سجداً ... ثم انثنوا بضراعة ودعاء
فأتيت بالتوحيد خيرَ عقيدة ... ونبذْتَ كل ضلالة عمياء
وبعثْتَ بالاسلام أعرقَ أمة ... رفعت من الأمجاد خير بناء

لو أشرق الايمان

يا أمة الاسلام هـذا ديننا ... خلقٌ بما نطويه من بغضاء
ما ضرّ لو صفت النفوس وأصبحت ... في الله مثل سمائك بيضاء
صدئت نفوسُ الناس يوم تعلقت ... بحطام تلك الدار في استجداء
ما أجمل الدنيا إذا هي أصبحت ... والناس قد برئوا من الأهواء
يا أيها المتنكرون لرحلة ... سطعت أدلتها كضوء ذكاء
لِمَ يادعاة الحق كانت عندكم ... بعداً كرقْم فوق سطح الماء ؟
أن قال «جاجارين» طفت بأرضكم ... مائتين ، كأن مصدقَ الأنباء
وتكذبون – مع الوضوح – محمداً ... هل بعد آي الله أيُّ جلاء ؟
لو أشرق الايمان في أعماقكم ... ما كان في الاسراء طيف مراء ؟

لله المجد

لله لا للمجد والعلياء قد ... صغت القريضَ مطرّزاً بثنائي
لم أبغ مدحاً للرسول فانما ... شرف القصيد بصاحب الاسراء
هيهات أن يفيَ القصيد بحق من ... هو فوق دنيا الشعر والشعراء
حسبي إذا قصرت عن إيفائه ... حقَّ الثناء عليه – حسنُ وفائي

خواطر في الاسلام *

للأستاذ محمود جبر

وفي جلوة الاسراء طوّفت بالدّنا ... وطافت بي الذكرى لشعب تحطما

فمن حول بيت الله أحداث أمة ... ومن حول بيت القدس شرٌ تحكما

ومن حولنا نلقي بقايا لأمة ... بها أيّم تسمى وطفل تيتما

تطالعنا الأحداث في كل ساعة ... وتُسمعنا الأخبار كم أهدروا دما

إلا للدم المطلول ياصاح قومة ... تنير لنا جوا من الليل أظلما ؟

وهل لأولاء اللاجئين .. أخو وفا ... يعيد هناك العيش أرغد أنعما

بني العرب .. دين العرب بذلٌ وعزة ... وكل ذليل .. لا أسميه مسلماً

بني العرب . هل يدعو الى السلم ظالمٌ ؟ ... إذا لم يكن يرجو من السلم مغنما

إذا ملك الباغي فلا العدل قائم ... ولا أنت ترجو في حماه التقدما ..

ولن تصلح الدنيا إذا بات أمرها ... على عاتق « الصهيون » نهباً مقسماً

وسوف نرى فيها الدماء غزيرة ... وسوف نرى فيها البلاء المجسما

أحبّاء قلبي هل إلى الله رجعة ... تزيل سحاباً في العروبة خيما ؟

فلاالرقص ممنوع.. ولا المنكرَ حرموا ... ولا شارب الخمر البغيضة أحجما

ولا وازع للدين يُرهب فاجراً ... ولا صولة القانون تردع مجرما

جعلنا كتاب الله فينا تمائماً ... وأصبحت الآيات .. لحناً منغما

ولا زال بين القطر والقطر حاجز ... فواصل أملاها العدو وحتما

أخلاي ما أمري سوى أمر شاعر ... ومن قبل عاش الشاعر الفذ ملهما

فان صغت أوراداً فقد بت زاهداً ... وإن ثرت يا صحبي فللدين والحمى

أخلاي عهد الفاتنات قد انقضى ... فهاتوا .. لهذا الشرق نسراً وضيغما

(*) عن (الوعي الاسلامي) الزاهرة .

يا تلاميذ محمد ﷺ

للاستاذ خير الدين وانلي

حطموا ظلم الليالي — واسبقوا ركب المعالي
وابذلوا كل الغوالي — وارفعوا دين محمد ﷺ

لا تلينوا للأعادي — لا تهونوا للعوادي
أعلنوا في كل نادِ — أنكم صحب محمد ﷺ

لستمُ عباد مال — لستم طلاب قال
أنتم مجد الليالي — أنتم جند محمد ﷺ

في دياجير المبادىء — في أعاصير المساوىء
أفهموا كل مناوىء — أنكم جند محمد ﷺ

أنتم نور الهدايه — أنتم للحق رايه
حطموا قيد الغوايه — وانشروا نور محمد ﷺ

إن تخاذلتم فشلتم — أو تخليتم ندمتم
أو تعاديتم خذلتم — يا تلاميذ محمد ﷺ

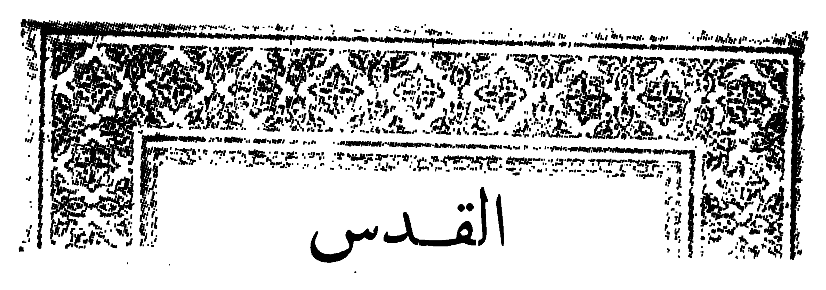
دعوة الحق لديكم — وهدى الكون عليكم
أرسل الله اليكم — قدوة الكون محمد ﷺ

لا تميلوا عن هداه — لا تقادوا لسواه
تحشروا فيمن حماه — مع أصحاب محمد ﷺ

ينظر الكون اليكم — يطلب البرء لديكم
فاعلموا ما ذا عليكم — نحو تشريع محمد ﷺ

ليس في الاسلام ذل — ليس فيه ما يُمل
كل ما فيه يجل — إنه دين محمد ﷺ

إنما الاسلام قوه — وجهاد وفتوه
ونظام وأخوه — واتباع لمحمد ﷺ



القدس

ياقدس لبيك العروبة أجمعت !!! ...

للأستاذ مزيد الخطيب

صمدت لأحداث الدهور ، وشاهدت زحف الغزاة ، وكل علج أمرد
وتعاقدت أرواح (يعرب) حولها وتألبوا فيها باسم (محمد) !

★ ★ ★

وقفوا على (حطين) وقفة ظافر لم يثنهم جمع (الفرنج) الحشد
بطشوا بهم بطشاً له ما بعده فذا بهم مثل الظباء الشرد
وجلوهم من كل أرض عنوة ملكوا الحصون - برغم كل مؤيد -
ضربوا بهم (للقدس) ضرباً حامياً برجالهم ، بعديدهم ؛ بالسؤدد ! !

★ ★ ★

قهروا (العداة) وطهروا القدس التي اقيت صنوف المكر ، كل مهدد
قهروا (الصليبيين) دكوا صرحهم هزوا على الأعداء كل مهند
واستأصلوهم من ديار (مسيحنا) و (نبينا العربي) طه الفرقد

★ ★ ★

خلوا البلاد (لأهلها) وتفرقوا (ابلادهم) في يوم روع أسود
فاذا (الحروب) تكشفت عن خيبة ابني (الفرنج) ومن هزيمة (موفد)
واذا البلاد بقدسها ، وبمدنها قد أصبحت مهداً لأمن سائد
وغدت (محج) الوافدين ، وقبلة لازائرين ، لكل ليث أصيد !

فيها (الجوامع) وُزّعت بتناسق للمؤمنين لغير أهل المعبد
فيها (القبور) تناثرت وتألقتْ للبعض من مشهدٍ وممجد
وبها (القيامة) للنصارى كعبة وَ (المسجد الأقصى) لأمة (أحمد)
المسجد المرموق في أوساطنا في (المسلمين) وكل ليث حاقد

★ ★ ★

هذا الذي شاء (الفرنج) خرابه وتصرّفوا فيه تصرّف ملحد
(بيت) له أسرى (الرسول) بليلة بركانها انصلت بكل (موحد) !!

★ ★ ★

يا (قدس) لبيك (العروبةُ) أجمعت أن تفتديك بكل ليث مُنجد
لن يملكوا (الأردنّ) قط فدونه خرط القتاد غداً بيوم الموعد
ولسوف تزحف دونه أبطالنا ونثيرها حرباً بدون تردّد
حرباً يسيل (الدم) في أعقابها وخراب كل معمرٍ ، ومشيّد !

★ ★ ★

ياقدس ، إن تكُ شمس مُجدك ووريت ستعود تلك الشمس رغم (العربد)
ستعود تشرق في سمائك للمدى ويزول كل مسيطر ، ومؤيد
تلك (السواعد) في خلاصك وُحدّت ولقد أعدت لانتشالك في (غد)
ولقد أعدّت همةً وشجاعةً من مسلم أو يعربي رائد ! !

★ ★ ★

ستخرّ أعناق (العداة) وهامهم وتعود راجعة جموعُ (الشُرّد)
وتذوب (صهيون) الخبيثة رُهبة ويزول مكر الماكرين الحُسّد
وتجوس أبطال (العروبة) صرحها وتسير فيها فوق كل مصفّد ! ! !

★ ★ ★

يا (قدس) ما هي غير وثبة جندنا ونسورنا ، فتريثي ، وتجلدي
قولي لذاك (الحب) في أوكاره ستبيد رغم (حديدك) المتعدد
ستبيد رغم (مؤيديك) وما لهم وسلاحهم ، وصنائع (المستعبد)
قولي (صهيون) الدخيل وجنده ومؤيديه على شريعة (أحمد)

★ ★ ★

قد غرّكم أنا تفرق شملنا وتوقفت عنكم سيوف (محمد)
فغداً ستحفز كل يعرب صيحة يثبون فيها دون أي تردد
يثبون فيها كالأسود غوازياً وَ (الثأر) يدفعهم بكل مهند
والثأر يدفعهم لتطهير الحمى من كل باغ غاصب متسانـد
من كل رجس كاسح متمدد من كل (شرك) ماحق متمدد
من كل (كفر) عاث فيك ملوّث من كل شر قابع مترصد ؛ ؛

★ ★ ★

ما (القدس) إلا موطن متمرد للعرب ، ليس لغاصب أو حاقد
لا للذي صلب (المسيح) بزعمه أو شابهُ (بالقتل) بين (الهمّد)
سترون (أحمد ، والمسيح معاً غداً وكذاك (موسى) ناظرين إلى غد
سترون أبطال العروبة فوقكم من (عيسوي) من جنود (محمد)
سترونهم حول (القيامة) عصبة للثأر ترتع في فناء (المسجد)

★ ★ ★

يا ويلكم إنّ طن صوت جهادنا وعلا ، ودوّى في ربوع (الشُرّد)
يا ويلكم من شوس (يعرب) ويلكم الويل للباغي الدخيل الحاشد
البحر يا (صهيون) قبر جنودكم أو (قبركم) تحت الركام الأسود

تبيين للناس

للأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار

قال الله تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ، لتُبيّننّه للناس ولا تكتمونه ، فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا ، فبئس ما يشترون . لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويُحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب ، ولهم عذاب أليم . ولله ملكُ السموات والأرض ، والله على كل شيء قدير » ٣ : ١٨٧ — ١٨٩ .

في قوله سبحانه : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننّه للناس ولا تكتمونه » في هذا أمران : العلمُ بالكتاب على غير وجهه ـ وهو نتيجة عدم البيان ـ وعدمُ العلم بالمرة ـ وهو نتيجة الكتمان ـ .

ثم إن البيان أو التبيين على نوعين : أحدهما تبيينه لغير المؤمنين به لأجل دعوتهم اليه ، وثانيهما تبيينه للمؤمنين به لأجل ارشادهم وهدايتهم ، بما أُنزل اليهم من ربهم . وكلٌ من النوعين واجب حتم لا هوادة فيه .

وقوله « فنبذوه وراء ظهورهم » النبذُ الطرح ، وقد جرت كلمة نبذه وراء ظهره ، مجرى المثل في ترك الشيء وعدم المبالاة به ، والاهتمام بشأنه ، كما يقال في مقابل ذلك جعله نُصب عينيه ، أو ألقاه بين عينيه ، أي اهتم به أشد الاهتمام ، بحيث كأنه يراه في كل وقت ، فلا ينساه ولا يغفل عنه ؛ وفيه تنبيه إلى كون هذا هو الواجب الذي كان عليهم أن يقوموا به ، فيجعلوا الكتاب إماماً لهم ، ونصب أعينهم ، لا شيئاً مهملاً ملقى وراء الظهر ، لا يُنظر اليه ، ولا يفكر في شأنه .

« واشتروا به ثمناً قليلا » أي أخذوا به فائدة ومثوبة قليلة لا توازي عشر معشار فوائد بيان الكتاب والعمل به ، فكانوا مغبونين في هذا البيع والشراء .

وهذه الآية بمعنى آية البقرة « إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلا ، أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار » الآية .

والمعنى : إن الذين يكتمون ما أنزل الله في الكتاب المنزل عليهم من وصف النبي ﷺ وبيان زمانه ، مما يشهد بصدق نبوته ، وكمال رسالته ، فعلوا هذا حرصاً على رئاسة كاذبة ، وعرض زائل ، تراهم باعوا الخير والهدى بثمن بخس قليل لا ينفع ، أولئك البعيدون في الضلالة لا يأكلون في بطونهم إلا ماهو موجب لدخولهم النار .

وفي معناها قوله تعالى : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » .

كان النبي ﷺ وأصحابه شديدي الحرص على دخول اليهود في ساحة الدين الجديد ، طامعين في انضوائهم تحت لوائه ، لأن دينهم أقرب الأديان الى دينهم في تعاليمه ومبادئه وأغراضه ، فهم يشاركونهم في الاعتقاد بالتوحيد والتصديق بالبعث والنشور ، وكتابهم مصدق لما معهم ، فقص الله في هذه الآيات على المؤمنين من أنبائهم ما أزال به أطماعهم ، وأيأسهم من إيمانهم بذكر ما كان يحدث من أسلافهم مع نبيهم موسى صلوات الله عليه ، بين آن وآخر من تمرد وعناد وجحود وانكار ، فتأتيهم الآية تلو الآية ، ويحل بهم من العقاب ماهم له بأهل ، فيطلبون من موسى أن يدعو الله ليدفع عنهم العذاب ، ويستجيبوا لدعوته ، التي إذا ما رفعه عنهم عادوا سيرتهم

الأولى معاندين جاحدين .

فلا عجب إذاً في إعراض الحاضرين عن هدى الله الذي جئت به ، فالاعراض والاستكبار دأبهم ، ورثوهما من أسلافهم الذين كانوا يحرّفون ويبدلون ويكابرون ، وهم يشاهدون الدلائل الحسية تترى بين يدي موسى عليه السلام . فأحر بهم أن يجحدوا ديناً دلائله عقلية ، وآيته الكبرى معنوية ، وهي القرآن الكريم بما اشتمل عليه من تشريع فيه سهولة وتيسير للناس ، وفيه فصاحة أعجزت فصحاء العرب عن محاكاته ، فلجئوا الى السيف والطعان ، بعد أن أعجزتهم الحجة والبرهان . ومنها في خطاب بني اسرائيل : « ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا وإياي فاتقون . »

الآيات : هي الأدلة التي أيد الله بها نبيه ﷺ وأعظمها القرآن الكريم ، أي لاتُعرضوا عن التصديق بالنبي وما جاء به ، وتستبدلوا بهدايته هذا الثمن القليل الذي يستفيده الرؤساء من مرؤوسيهم من مال وجاه ، ويرجوه المرءوسون من الحظوة باتباع الرؤساء ، ويخشونه من سطوتهم إذا هم خالفوهم .

« وإياي فاتقون » بالايمان واتباع الحق ، والاعراض عن لذات الدنيا متى شغلت عن أعمال الآخرة

وقوله تعالى في ختام الآية التي نفسرها : « لبئس ما يشترون » أي هو ذميم قبيح ، لأنهم يجعلون هذا العرض الفاني بدلاً من النعيم الباقي في الآخرة

ثم قال تعالى : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ، ولهم عذاب أليم » روى الشيخان وغيرهما عن طريق حُميد بن عبد الرحمن بن عوف أن مروان قال لبوابه : اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل : لئن كان كل امرىء منا

فرح بما أتي ، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبن أجمعون ، فقال ابن عباس : ما لكم وهذه ؟ إنما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب ، سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره ، فخرجوا قد أروه بأنهم قد أخبروه بما سألهم عنه ، واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أتوا من كتمان ما سألهم عنه . وأخرج الشيخان أيضاً من حديث أبي سعيد الخُدري أن رجالا من المنافقين كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ الى الغزو تخلفوا عنه ، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ فاذا قدم اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فنزلت هذه الآية ، ولا مانع أن تكون نزلت في الفريقين معاً ، قال الحافظ ابن حجر : وحكى الفراء : أنها نزلت في قول اليهود : نحن اليهود نحن أهل الكتاب الأول والصلاة والطاعة ، ومع ذلك لا يقرون بحمد الله .

بين الله تعالى هذه الحال بأسلوب عجيب ، بين فيه حكماً آخر ، وهو أن هؤلاء الفرحين المحبين المحمدة الباطلة قد اشتبه أمرهم على الناس ، فهم يحسبون أنهم أولياء الله وأنصار دينه وعلماء كتابه ، وأنهم أبعد الناس عن عذابه ، وأقربهم من رضوانه ، فبين الله كذب هذا الحُسبان ، ونهى عنه ، وسجل عليهم العذاب .

لولا أن حب المحمدة بالحق على العمل النافع من غرائز الفطرة التي يُستعان بها على التربية العالية لما قيد الله الوعيد على حب الحمد بقوله « بما لم يفعلوا » . فهذا القيد يدل على أن حب الثناء على العمل النافع غير مذموم ، ولا متوعَّد عليه ، وهذا هو الذي يليق بدين الفطرة ، بل جاء في الكتاب الحكيم ما يدل على مدح هذه الغريزة كقوله تعالى لنبيه : « ورفعنا لك ذكرك » وقوله في القرآن : « وإنه لذكر لك ولقومك » .

نعم ، إن هناك مرتبة أعلى من مرتبة من يعمل الحسنات ليحمد عليها ، وهي مرتبة من يعمل حباً بالخير ذاته ، وتقرّبا به الى الله تعالى . على أن المدح بالحق لا يخلو في بعض الأحوال من ضرر في الممدوح ، كالغرور والعجب وفتور الهمة عن الثبات والمواظبة على العمل . الذي حُمد عليه ، وقلَّ من يسلم من الاغترار بالمدح ، ولا سيما إذا كان إطراءً ، وقلما يكون الاطراء حقاً ، وقلما يلتزم المطرون الحق ، ولذلك قال ﷺ : (إذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب) - رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي من حديث المقداد بن الأسود - ثم إن المدح بالعمل من شأن المغرورين ، وليس المراد به هنا ارتياح نفس العامل وانبساطها لما يأتيه من العمل الذي يرى أنه محمود كما فهم مروان ، وإنما هو فرح البطر والغرور الذي يتبعه الخيلاء والفخر ، وهو ما نبه عليه القرآن الكريم في شأن المصائب تصيب المؤمنين بقوله عز وجل : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور » ومنه قوله تعالى : « إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين » ثم قال تعالى : « ولله ملك السموات والأرض واليه ترجع الأمور » . في هذا التذليل حجة على كون الخير في اتباع ما أرشد اليه تعالى ، وتسليةٌ للنبي ﷺ والمؤمنين ، ووعدٌ لهم بالنصر ، وفيه تعريض بذم أولئك المخالفين الذين سبق وصفهم في الآيات التي قبل هذه الآية ، وهو أنه لا يؤمنون بالله تعالى إيماناً صحيحاً ، يظهر أثره في أخلاقهم وأعمالهم ، وإلا لما تركوا العمل بكتابه ، وآثروا عليه ما يستفيدون من حطام الدنيا ، فان هذا لا يكون إلا من عدم الثقة بوعده تعالى والخوف من وعيده ، واليقين بقدرته وتدبيره . جلّت حكمته ووسعت كل شيء رحمته .

قرية ظالمة

للأستاذ: محمد كمال الخطيب

« وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة ، وانشأنا بعدها قوما آخرين ، فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون ، لاتركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون ، قالوا : ياويلنا إنا كنا ظالمين ، فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين » (٢١:١١- ١٥)

حياة الانسان وموته مثار اهتمامه ، ومدار فلسفته وإيمانه ، وهو فرد أيقن أن لا مفر من «مصيبة الموت» ، وكانت بنظره أعظم حدث في الحياة إذ يكون لها مع سر البدء والولادة احتمال سوء الخاتمة ، فيقف الانسان مبهوراً حيال الخاتمة متوجعاً متألماً ، وإذا اجتاح الموت (مدينة) بوباء أو طوفان أو زلزال أو صاعقة كانت الكارثة أفدح ، وربما اخذها على مقياس حياة الفرد ، واكتفى بالعلة الظاهرة سبب النكبة ، وتجاهل العوامل التي وراء هذا السبب الظاهر ، وفاته أن من وراء الطبيعة واسبابها من طبعها وقدر أمورها واحكم نظامها .

وإذا كان الطب يبحث عن علة موت الفرد أو يمتد الى السبب فتكون من ورائه جريمة يبحثها قانون العقوبات أو اسباب باعثة يبحثها علم آخر كالتربية والاقتصاد .. لينظر إلى الأسباب الخفية التي كانت الباعث من وراء الأسباب المباشرة ، فان (موت قرية) وهلاك مدينة ، موطن الأمن ، ومجمع التراث ، ومظهر الحضارة ، وعنوان القدرة في الأمة ، إن المدنية التي تمثل أبعد مدى للحيوية الاجتماعية ، إنما يتناول علم الاجتماع بحث مولدها ومكانتها فان المجتمع سنناً طبيعية أعلنها الاسلام بقوله تعالى : « سنة الله في الذين خلوا

من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلا ، فان لحيوية الامة بمولدها واستبحار عمرانها بقوتها ومظاهر حياتها وبنائها ومصانعها ومزارعها وتجارتها وما إلى ذلك ، إنما تقوم على أسس متواشجة الأسباب تبدأ من الفرد وتمتد إلى بناء المجتمع ولهذا قال أمير الشعراء شوقي رحمه الله :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فكانت بذلك نظرته إلى المجتمع بنظرته إلى الفرد بقوة تماسكه ومتانة شخصيته ومدار ذلك على الخلق وسلوكه . والخلق فضيلة راسخة وحب للخير وبذل وتضحية وشهامة وكرامة ومروءة ..

ولمثل هذا أوجز الرسول الأعظم ﷺ رسالته قائلا : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

ومن كان نظره إلى الخير وطريقه وكان الاحسان والتجمل رأيه ، صان كرامة إنسانيته وعرف للغير كرامته ، فأحب الناس وأحبوه ، ولم يؤذ احداً ، ولم يعتد على حق أبداً ، فيكون ظالماً .

ومن هذه الزاوية الخلقية ينتقل النظر من موازين الخير والحق إلى وشائج الانسان وعلاقته بأخيه الانسان في معاملته ومرافق حياته وبناء مجتمعه ، فترتبط الأسباب الاجتماعية بالاقتصادية ونظام المجتمع ، وترتبط الاخلاق بتربيتها مع الأنظمة العامة بأدابها واحكامها كما ترتبط بالوضع العام بسلطانه وسياسته فاذا فسد وضع من ذلك الفساد عقيدة أو خلقا امتد أثر هذا إلى أوضاع المجتمع كله فبرز من الظلم معناه بدءاً من السبب غير المباشر وامتد إلى ما نرى أسباب مباشرة .

وإن حيوية المدينة (صغيرة أم كبيرة) حيوية جسم استقام عوده ، وقوي ظهره بدعائم بنائه وقوة غدائه ونضارة عيشه ، فاذا أصاب المرض

الـكائن هذه القوى ونخر السوس في البناء ، ولم يبصر هذه العلل غير المباشرة كانت الفجاءة من هذه الغفلة قصمة للظهر بسبب ما خفي من أسباب الظلم وما انتشر دعم المجتمع صالحه وطالحه حين نقيس هـذا الصلاح والطلاح بمقياس أفراد المجتمع .

وهذا ما حذرنا منه تعالى بقوله : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » فان ألم الجسم لا يقتصر على العضو المصاب ، وإن موته لا يكون لآفة أصابت جميع أجهزته ، فان الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهرة والحمى ، وإن إصابة جهـاز رئيسي تميت الانسان بجميع أجهزته لمــــا بينها من ترابط وتعاون وتكامل بناء ، إن الظلم بهذه النظرية الاجتماعية هو الذي يسبب هلاك الأمم ، ولهذا ورد (لعن الله قوما ضاع الحق بينهم) ، وكانت الفرائض الأساسية فرائض كفاية يسأل أبناء المجتمع عنها جميعاً حتى ينهض بها من ينهض فيسد حاجة المجتمع.

وإذا كان هلاك الأمم بظلمها سبباً فان الصراع بين ظالم ومظلوم هو الأساس لمعارك الحياة والموت في المجتمع بالدرجة الأولى ، هذا إن لم يكن باعث التأديب بتسلط الغير مثل الحروب فتحل أمة فاتحة محل أمة مغلوبة أو تكون عقوبة الخالق لمسيء الخلق بمثل الطوفان والصاعقه والزلازل .

وإن انشاء قوم في مقام أمة قصَم الله قريتَها وهدم بنيانها ، مدار نظر ايجابي آخر يرينا بعث الحياة في موطن الموت ، انبحث عن الأسباب لهذه الحياة وهذا الموت فلا نكتفي بالنظرة البلهـاء السطحية وننسى من وراء الحادث أسبابه ، فنلصق الأسباب بالطبيعة وعوارضها بديل أن نبحث عن الظلم وما يقابله ، من أسباب الموت والحياة في الأمم .

وان العلل الاجتماعية لتبدو اعراضها المرضية فيحس بها زوو الاحساس ـ

يحسون ببأس الله بعد يسر الحياة وصفائها ، وهذا يفر منه من التمس مواقع الغيث وابتعد عن مواقع شح الخير والامساك وعسر الحياة . . . على مثل ما نرى هجرة الأمراء والجماعات بلد ساء حاله إلى غيره التماساً للخير ونعم الحياة .

لا لا يامن أحسستم بالبأساء لا تفروا من أرضكم فليست هنا العلة الكامنة لا تتركوا قريتكم فان المكان بالسكان ، والعلة منكم وفيكم « ففروا إلى الله » من أنفسكم بالبحث عن مفاسدكم وظلمكم لأنفسكم فان سنة الله في خلقه كما قال سبحانه : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

ارجعوا إلى الظلم بأسبابه ومظاهره فأصلحوا ذلك من أنفسكم ، فان مدار المجتمع على محوريه من أعمالكم ومكاسبكم وبذلكم ، مداره على ما أترفتم فيه ، والمحور الثاني مساكنكم بتربيتها وأوضاعها ، فان الترف ينجز مفاسده في هذه الحجيرة الحية من بناء المجتمع .

« وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم » فهنا مدار السؤال والبينة . فعالجوا داء المجتمع بمكامنه ، فان خراب البيت بترفه وفساد المجتمع وتهدمه من هذا الوضع بأسبابه عقيدةً وخلقاً ومعاملة وكسباً وبذلاً وحياة . . .

فاذا وقفتم على العلة وأطلتم التساؤل عنها قولاً بغير عمل بقي الفساد وضاعت الحجة وفاتتكم المهلة والنظرة ، وحينذاك تتربص بكم فجأة قاصمة الظهر فان الله (يمهل ولا يهمل) ويقيم بذلك عليكم الحجة وله سبحانه الحجة البالغة.

إن النقد باللسان . ومعرفة أسباب فساد الأسرة والترف في المجتمع . . لا يغني عن رفع « متفجرات الظلم » من تحت بنائه ، فاذا بقي هذا الظلم في المجتمع كانت القاصمة ضربة مفاجئة قاتلة تموت بها أمة لتحل محلها أمة أخرى أجدر منها بالحياة .

إن من شاهد مظاهر الظلم في المجتمع وعرفه بملته من الترف ومكاسبه وما يجر اليه فركن اليه ، ورأى فساد الأسرة وسكت عن اصلاحه ستفجؤه القاصمة ، كما فاجأت امماً أهلكها الله مع الدهر الغابر ، وتلك علة من ابصر ولم يصلح « فما زالت تلك دعوام حتى جعلناهم حصيداً خامدين » وكانوا بحيويتهم وبنائهم كالزرع الأخضر والربيع الناضر فاذا بالنهاية منجل هلاك وخمود حصيد ، يحصدون ثمرة مفاسدهم . إن هذه الآيات الكريمة تكشف عن داء ودواء ، ونحن قوم تعتمت علينا الدنيا في كثير من اقطارنا فكفرنا بأنعم الله وظلمنا وأفسدنا في المكاسب المشروعة ولم نلتزم جادة العقيدة والخلق والمكاسب المشروعة ، والانفاق المشروع ولم نحفظ بناء الأسرة الحية الفاضلة ليقوم عليها بناء المجتمع ، وها نحن أولاء اليوم نتساءل وتلك دعوانا ، فمتى نسلك طريق الاصلاح والعمل .

المحامي : محمد بن كمال الخطيب

الديمقراطية

.. كانت في جزيرة العرب ممالك اقوى من هذه الممالك الصغيرة ، قامت في جنوبها وشمالها فجمعت في وقت واحد بين أسوأ انواع الحكم المطلق وحكم الاقطاع ، ولم تعرف شيئاً من الديمقراطية العملية ولا من الديمقراطية النظرية التي تقوم بحقوقها الشرعية أفراداً وجماعات .

أما حكم الحجاز حيث ظهرت الدعوة المحمدية فقد كان على نظام المشيخة الارستقراطية ... فكانت الحكومة في جملتها مزيجاً من الثيوقراطية والأوليجاركية ، فلم تكن على شبه بالديمقراطية في مضامن معانيها العملية والنظرية ...

(الديمقراطية في الاسلام)　　　　عباس محمود العقاد

نار من ماء

للأستاذ ياسر نصري

يقولون عن النبات المسكين إنه لايحس ولا يتحرك ، مع أنه يرى أنواع المعادن واملاحها في أعماق التراب بغير عيون ، وينتقيها بغير مصباح ، ويركب من ذوبها مع غاز فحم الهواء سكراً ونشاء ودهوناً وزيوتاً وبروتئينات مغذية ، يصنع من الفوسفور السام والبوتاس والكلس القلويين والازوت الخانق جميع أنواع أغذية الحيوانات والانسان ، يصنع من نشادر البول عطوراً ومن الزبل والأقذار اوراداً وازهاراً ورحيقاً واريجاً فواحاً ، خذ نباتين من أسرة واحدة واسقها من ماء واحد ، يثمر أحدهما ثماراً حلوة والآخر حامضة ، أو خذ عدة اشجار واسقها بماء واحد تجدها تثمر ثماراً مختلفة الحجم واللون والطعم ، فمن علم النبات ذلك ، وهو عديم الدماغ والتفكير ، وهل باستطاعة الانسان العاقل العالم المفكر ان يجاري النبات بصنع المواد الهيدر وكاربونية كالنشاء والسكر والدهون والبروتينات في معامله الضخمة هل بامكان الانسان أن يصنع الفيتامينات بالسهولة التي يصنعها النبات ؟ الانسان يستخدم النار والبخار والكهرباء والاشعاع الذري في معامله ، والنبات لايستخدم سوى نور الشمس والماء ، فأيها أبرع ؟ مسكين أيها النبات لو بخلت علينا بثمارك وعطائك فماذا نأكل ؟ هل نفتت الصخور بأسناننا ونحفر أعماقها الصخور بأنيابنا لنتحرى بذلك عن غذائنا — وكيف نستطيع أن نسلب الهواء آزوته وفحمه ونحن ننفث فيه كل يوم أمتاراً مكعبة من غاز

بلا ماء حامض الفحم CO^2 ؟ اجبني أيها الانسان العاقل هل تستطيع وانت المخلوق الجبار أن تأكل حبة قمح أو ثمرة أو زيتاً أو لحماً بدون النبات ؟ تصور أيها الانسان المغرور كيف تكون حياتك بدون نبات ؟ هل تعيش ؟ هل تجد أغناماً وأبقاراً ؟ هل تجد لبناً وجبناً ، وهل تجد فاكهة وعسلاً ؟ لذلك خلق الله آدم في الجنة ولعل ذلك بعد خلقه النبات بملايين الأعوام .

يقولون في التاريخ الطبيعي ان الهواء كان في بدء الخليقه مليئاً بغاز الفحم الخانق وفي خلال ملايين السنين استطاع النبات أن ينقص هذه النسبية إلى ٣ في العشرة آلاف جزء حتى نستطيع العيش في الدنيا ، ولا يزال إلى اليوم رغم أننا ندفع بزفيرنا كميات كبيرة من غاز الفحم إلى الهواء كما تدفع مداخن المعامل والأفران كميات هائلة ، ولكن النبات غير العاقل ، يستخلص هذه الكميات من الهواء في عملية التمثيل الكلوروفيلي أي طبخ غذائه المعدني وتحويله إلي أغذية عضوية كالنشاء والسكر والبروتينات والدهون . من علّم النبات غير العاقل هذه الأعمال الجبارة التي يعجز عن مجاراتها أعظم المعامل الكيمياوية في العالم بارشاد العقل البشري الجبار ؟ إن العقل البشري يصنع القنابل الذرية المدمرة ، والنبات غير العاقل يفتت ذرات المعادن والأملاح ويركب منها مع غاز فحم الهواء زيتوناً وعنباً وفاكهة وأبا وخضاراً وحباً ، فأينا أعقل ؟ الانسان العاقل يقطع الأشجار ويحرمنا الثمار ويدمر الحراج ، والنبات العاقل عديم الحس والحركة يصنع من الماء والمعادن اخشاباً وناراً « أرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون » ؟ النبات ينمو فيغذي أغنامنا وابقارنا وطيورنا لنأكل منها لحماً طرياً ونشرب لبناً زكياً ونصنع الجبن والزبدة والقشدة .

فمن منا العاجز المحتاج إلى غيره : الانسان الجبار أم النبات الجاهل ؟ « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي » ؟ تأمل أيها الانسان العاقل في قدرة الله العظيم ؟ النبات الجاهل يحلل ويركب من المواد الكيمياوية ويصنع منها مركبات وثماراً واغذية وفيتامينات يعجز عن صنعها الانسان ، فمن علم النبات ومن خلقه وارشده وعلمه هذه الصناعات بدون معامل وهو الجاهل وانت العاقل ، « ترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير » ٢٢ : ٥ و ٦ هذا النبات يعلمنا بعمله ولسان حاله قدرة الله ونحن ساهون غافلون من أهتده لذلك إلا تعالى ؟

ياسر نصري

● دين علم وعمل ●

الاسلام دين علم وعمل ، ولما ضلت الممالك الاسلامية الكبرى سواء السبيل وجهلت العلوم الكونية والعقلية لم يصلوا لهداية العالم المتمدن ، عنبذهم الاسلام ، فلم ينصروا على أعدائهم من الأوربيين ، واصبح المسلمون يلتمسون العلوم من الأمم الأوربية ويستضيئون بأنوارهم ويهتدون بهديهم ...

(القرآن والعلوم الوجودية) طنطاوي جوهري

من روائع إقبال — ٢ -

أسرار الحياة في معاني الطبيعة

للشاعر الفيلسوف إقبال

ترجمها ومهّد لها : الأساتذة : الأعظمي ، وشملان ، وإبراهيم

مرة أخرى شارع النور في الجبال وفي الغابات ، من تألق مصابيح الشقائق ، ماذا أرى . مرة أخرى تحرضني على النغم والشدو الطيور . لست ادري في الصحراء حور ام زهور ، صفوف خلف صفوف والوان خلف الوان : أزرق ، أصفر ، أبيض . . . قد سكب الطل اللالىء فوق الورود ، لتزيد أشعته الشمس لماناً . . . هذه الدراري وهذا الجمال الذي لا يبالي لماذا فر من المدن جمال بلا نقاب وحسن سافر بلا قناع . تعمد واغرق في اعماق روحك ايها المؤمن ونقب عن سر الحياة .

هناك دنيا القلب ودنيا الجسم : فدنيا القلب احتراق واشواق واما دنيا الجسم فهي تجارة ، أرباح ، رياء ، مكر ، حيلة ، خداع ، اذا فزنا بدنيا القلب فهي دنيا غير زائلة اما دنيا الجسم فظل حائل . المال يأتي ويمضي ، ما رأيت في دنيا الروح شيئاً لحكومة المستعمرين . وما أنس لا أنس وقد قال لي شيخ الطريقة : عندما صرت عبداً لغيرك لم يبق فيك روح ولا جسم .

اسرار الحرية في معالي الطبيعة

اذاعت في الربى سر الجمال	مصابيح الشقائق في الجمال
طلائــع نورهـا نور لقلبي	ونفح عبيرها مسرى خيالي
وفي الوانها الياقوت يزهق	على حلل الزمرد في اختيال

ترى الازهار صفاً بعد صف ... مسبحة بقدرة ذي الجلال

يحار لها الفؤاد وقد تجلت ... فنون الحسن في تلك الجبال

عرائس من حسان الورد تحكي ... قوام الحور في ثوب الدلال

وقد نظمت يمين الطل فيها ... عقوداً من لآليها الغوالي

ومن شمس الصباح بدا شعاع ... يسيل بها النضار على اللآلي

وفي الغابات اسراب القماري ... سمت بين النسائم والظلال

تحرضني أغانيها فأشدو ... ليفصح عن معانيها مقالي

أطارحها الهوى شدواً بشعر ... فتسبقني إلى السحر الحلال

وجدت الحسن في الصحراء حراً ... طليقاً كالنسيم فما يبالي

يطالعني بجلوته صباحاً ... ويذهب ضوؤه ظلم الليالي

كمثل النيرات بلا نقاب ... كسحر العيش وهو بلا احتلال

يفر من المدائن وهي قيد ... وينشد في الربى رحب المجال

أكان يعلّم الانسان سمياً ... الى حرية ونعيم بال

تعمق في ضمير الكون واشهد ... صنوف الحسن باهرة الجلال

وعش في عالم الروح انطلاقاً ... تر الامكان يأتي بالمحال

فدنيا الروح فيها ربح مجد ... ودنيا الجسم فيها ربح مال

وان المال قد يأتي ويمضي ... وانت وما ملكت إلى ارتحال

ودنيا الجسم افساد وختل ... واغراء يصير الى ضلال

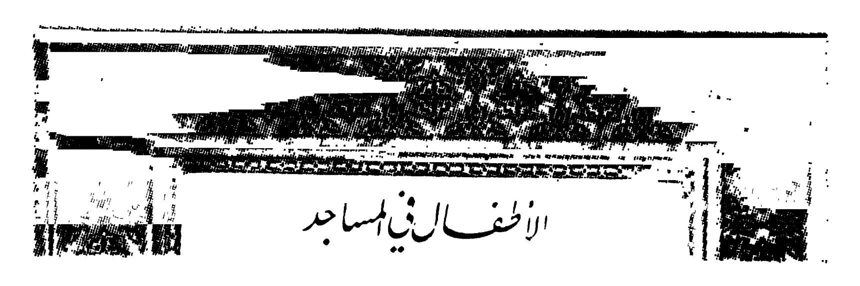
ودنيا الروح سكر بالمعاني ... وصحو بالرقي وبالمعالي

فعش للروح في دنيا واخرى ... تفز بالعالمين بلا زوال

وإن أمسيت للأغيار عبداً ... فقدتهما معاً في كل حال

وان اصبحت في الأكوان حراً ... فأنت من الكمال الى كمال

وكسب المال للمخلوق حق ... ولكن لا تبع شرفاً بمال



للأستاذ : محمود مهدي استانبولي

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثير الاهتمام بتوجيههم فأمر بالتبكير في تدريبهم على الصلاة ليعتادوا تأديتها منذ نعومة أظفارهم ويشبوا عليها ، فان من شب على شيء شاب عليه فقال عليـه الصلاة والسلام : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليهـا وهم أبنـاء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع » . رواه أبو داود وغيره باسناد حسن .

وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يجعل لهم صفاً مستقلاً في مسجده بين الرجال والنساء وكان الصحابة رضي الله تعـالى عنهم يضعون في المسجد قنو التمر (أي غصنه) ليأكل منه الأطفال وغيرهم .

وكان رسول الله ﷺ يخطب يوماً على منبره فدخل المسجد الحسن والحسين يتعثر بثيابه ، فقطع النبي الخطبة وتلا قوله تعالى : (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) .

وبينما رسول الله يوماً في سجوده في المسجد اذ امتطاه احد حفيديه ، فأطال السجود ، حتى فرغ الولد من امتطائه !

وسمع رسول الله ﷺ وهو يصلي في المسجد ، صوت طفـل رضيع فخفف من قراءته رحمة به وبأمه .

ومن المؤسف — والمؤسف جداً — ان بعض الائمة والخدم يسيئون

معاملة الأطفال في المساجد ويطردونهم منها ، وخاصة اذا بدرت منهم بادرة صبيانية كضحك ولعب . وهذا خطأ فادح لايقدم عليه الا جاهل ؛ لأن من الواجب تحبيب الأطفـال بالصلاة وبالمساجد لا تنفيرهم منها ! ! وقد رأينا سابقـاً كيف امتطى الحسن او الحسين رسول الله ﷺ نفسه فـأطـال السجود بجماعة الصحابة من أجل ادخال السرور الى قلبه . ومن المضحكات المبكيات أن بعض الجهلة والمغفلين يعتمدون في طرد الأطفال من المساجد على كلام سخيف يزعمون انـــه حديث نبوي وهو : « جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم » جاء في فيض القدير للمناوي (٣/٣٥٢) رواه ابن ماجه من روايـة الحارث بن نبهـان عن عتبـة عن أبي سعيد عن مكحول عن واثلة بن الأسقع ، قـــال الزين العراقي في شرح الترمذي : والحرث بن نبهان : ضعيف . وقال ابن حجر في المختصر : حديث ضعيف . واورده ابن الجوزي في الواهيات وقـال : لايصح ، وقال ابن حجر في تاريخ الهداية له طرق واسانيد كلها واهيه . وقـال عبد الحق : لاأصل لـه !

وقد علمت ان بعض الجهلة أخذوا يطبعون هذا الحديث الباطل ويوزعونه على المسلمين لمنع أولادهم من المساجد وهذا من الحماقة التي ليس بعدهـا حماقة ! ! بل لعلها مؤامرة على الاسلام ! مادام الأطفال هم عمدة الاسلام والمسلمين في المستقبل ! ! وتنفيرهم من المسجد ومن العبادة معناه إضاعة معالم الاسلام .

وكم كان لهذا الحديث الباطل من أثر سيء في توجيه المسلمين وابعاد الأولاد عن المساجد . ومثـله في البـطلان حديث « لاتعلموهن — أي لاتعلموا البنات — الكتابة ولا تسكنوهن الغرف » وقد أخبرني احد الائمة في احد مساجد قرى حلب انه سعى في اغلاق مدرسة للاناث في قريته

بحض القرويين على عدم ارسال بناتهم إليها ، استناداً الى هذا الحديث الذي ظنه صحيحاً ، فرأى من الواجب العمل به ، والقضاء على واقع يخالفه . فأخبرته انه حديث باطل ووبخته على عمله الاجرامي .

وكم نـأمل من الأوقاف أن تذيـع البلاغات على خطباء المساجد تحثهم فيه على أمر المسلمين باحضار ابنائهم الى المساجد وبلفت انتباه أئمتها وخدامها الى حسن استقبالهم والصبر على أذاهم اذا صدر عنهم شيء من أعمـال الصبينة . كما نأمل من الأوقاف ايضاً تخصيص وعاظ وموجهين من الشباب المشتغلين بالتربية الدارسين لنفسيات الأطفال لاستقبال هؤلاء الأولاد والقاء القصص الاسلامية البطولية عليهم بدلاً من ضربهم وتخويفهم من دخول المساجد .

واذكر على سبيل النكتة والطرفة ان جماعة من الأولاد دخلوا يوماً الجامع الأموي بدمشق على حين غفلة من (الحسكي) ، فحمل عصاه وصاح بهم صيحة مخيفـة بصوته القبيـح ففروا من المسجد راكضين مسرعين ، وصادف انه كان فيه جماعة من السائحين ، فذعروا من الصياح ، خاصة وقد رؤوا الأولاد يركضون ويهربون فظنوا أن هناك أمراً وقـع ففروا معهم إلى خارج المسجد .

كما نتمنى ان يختار أرباب الشعائر دائماً من أهل العلم والفطنة والاخلاص ليحسنوا القيام بمهمتهم الخطيرة ويحضوا الآباء على إحضار أبنائهم الى المسجد ويحسنوا معاملتهم فيها حتى يجذبوهم اليها ويحببوها إليهم ويرغبونهم وفي العبادة .

هذه كلمة موجزة في هذا الموضوع الخطير ، ألا ليت المسؤولين يهتمون بمـا تضمنه ، و :

« ياليت قومي يعلمون ! »

محمود مهدي استانبولي

تلاميذ القاسمي

للأستاذ حسني كنعان

تلاميذ العلامة الكبير المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمي في دمشق كثيرون وهم صفوة علماء البلاد الشامية وفضلائها ...

منهم من قضى نحبة ومنهم من ينتظر ، وهم إذ يتحدثون عن شيخهم يتراءى لك مقدار اعجابهم به وتقديرهم له ، والأحاديث التي يروونها عنه فيها عبر وعظات ...

كنت بالأمس أزور أحدهم وهو الشيخ محمود العطار المقيم بالمزة ... فاستفاض الحديث بيننا عن حلقة الفقيد الشيخ وتلاميذه وتأثير دروسه الاصلاحية وما عانى في سبيلها من عنتٍ ونصبٍ ومشقة ، وهي مثل العقبات التي عاناها من قبله رجال العالم الاسلامي المصلحون اضراب الامامين الجليلين الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني والشيخ رشيد رضا ، فقال فيما قاله :

كنت فتىً في حدود الخامسة عشرة وأنا أسمع بشهرة الشيخ جمال الدين وتأثير دروسه في الطبقة العليا من مثقفي أبناء عصره ، وكان يلقي عليهم الدروس الاصلاحية في بيته وفي جامع السنانية — فتولدت في نفسي رغبة للتعرف عليه ، فيممت وجهي شطر المسجد بعد صلاة العشاء ، فاذا بي

أراه غاصاً بأعلام البلاد الشامية وقادة الفكر والاصلاح من المستمعين ،ولم يك بالمسجد موطيء قدمٍ لانسان ، فرنوت الى حلقته المعقودة حوله فلمحت فيها فرجةً فجئتها ، وأخذت أصغي لأحاديثه الشائقة في تفسير بعض آي من الذكر الحكيم ...

ففسر يومئذ آيتين أحداهما من سورة النجم والثانية من سورة الكهف ، أما آية النجم فهي « وكم من ملك في السموات لاتنفع شفـــاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » فجاء في تفسيره قوله :

ان بعض الناس يتشفعون بالأنبياء والأولياء والملائكة على أن هؤلاء لاتجوز شفاعتهم إلا باذنٍ من الله ، فالشفاعات والأدعيـة والنذور لاتجوز لغيره .

وأما الآية الثانية التي فسرها من سـورة الكهف « أفحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني أولياء إنا جعلنا جهنم للكافرين نزلا » فجاء في تفسيره قوله :

هنالك ناسٌ قد اتخذوا من الأنبياء والملائكة ورجال الدين أولياء من دون الله على ان الولاية لله الحق ولا تجوز لغيره . فالاستغاثة والاستعانة والشفاعة لاتكون إلا له .

ثم روي حديث النبي عليه الصلاة والسلام :

يافاطمـة بنت محمد ، سليني من مالي ماشئت فاني لا اغني عنك من الله شيئاً ...

وهناك آيات كثيرة في القرآن تحذر من الاستغاثة والقسم والتشفع بغير الله ...

قال الشيخ العطار فأعجبت بهذا التفسير أيما اعجاب ولزمت حلقـة

الشيخ منذ تلك الليلة وأصبحت أتبع له منذ ظله ...

فوشى الواشون الى والدي أني ملازم لدروس الشيخ وفيها التضليل والزيغ والالحاد على زعمهم ...

فحاول والدي ان يقطعني عن الدرس فلم انقطع ، ثم خيرني ما بين الدرس وما بين بقائي في داره ، فرغبت في الدرس وانقطعت عن دار أبي وبقيت بعيداً عن أهلي إلى أن زار والدي شيخي وحضر درسه فأعجب به ورضي عني ...

قلت للشيخ العطار : قصتك هذه تشبه قصة القاضي أبي يوسف يوم كان في حداثة سنه يتيماً معدماً لم يترك له أبوه في البيت لا سبداً ولا لبداً ، وأملق وعضه الجوع ووالدته ، فاضطرت أن تضمه أخيراً في دكان قصار لقاء نصف درهم باليوم .

وكانت المقصرة على مقربة من المسجد الذي يدرس فيه أبو حنيفة النعمان ، فجاوز المقصرة وغشي المسجد وانتظم في حلقة الشيخ يصغي إلى دروسه ، فاستهواه واستماله ولزم درسه وفي المساء رجع إلى والدته فسألته عن الأجر فنفى أن يكون أخذ شيئاً من معلمه ولما تكرر منه ذلك تعقبته صبيحة يوم من الأيام إلى المقصرة فتنحى عنها وغشي المسجد فلحقت به ولما شاهدت رواد الحلقة وشيخها سألت عنه فقيل لها هذا أبو حنيفة. فقالت والله لأسمعنه ما لا يرضيه ، وفي المساء أحضرت إلى ولدها جفنةً فيها أوراق ممزقة ومغمورة بالحبر فقالت لولدها :

كل من هذا الطعام الأسود الذي تجنيه كل يوم ...

فبكي ونام على الطوى وفي اليوم التالي قص على شيخه قصة امه فقال : اصبر يا بنيّ انك ستأكل من وراء علمك الفالوذج بالفستق المقشر في بيوت الخلفاء . . .

ولما كبر أبو يوسف ودرج في افياء العلم والهدى أمسى قاضي قضاة المسلمين في عهد الرشيد ، وكان يجله ويحترمه وفي وليمة من ولائم قصره التي دعي اليها أبو يوسف قدم على الخوان من أصناف الطعام ، فالوزج بالفستق المقشر ، فبكى أبو يوسف حتى اخضلت لحيته فسأله الرشيد عن سبب بكائه فقص عليه قصة والدته فقال الرشيد : بالعلم تدرك الغايات وتنال أعلى المراتب ...

فضحك الشيخ العطار وقال في الحقيقة انها قصة تشبه قصتي إلا اني لم آكل حتى الآن الفالوج بالفستق المقشر حتى ولا اللوز ينج ...

أما تلميذه الخاص الشيخ حامد التقي الذي لازمه خمسة عشر عاماً فانه روى لنا ان خصوم الشيخ منعوه يوماً من التدريس فلزم داره طوال شهر ، بيد أن تلاميذه جاءوا به إلى المصلى بالقوة فتابع التدريس بدون أن يجرؤ أحد على منعه ...

فالروايات عن هذا المصلح كثيرة وحسبك أن تعلم من تلاميذه كلاً من الأفاضل الشيوخ محمد بهجة البيطار والمرحومين الشيخ جميل الشطي ومحمد كرد علي وعبد الرحمن الشهبندر وعز الدين علم الدين والأمير شكيب أرسلان ونصوحاً البخاري ، ومن الأحياء محب الدين الخطيب ولطفى الحفار وأمثالهم من رجال الاصلاح الذين ناصروه وآزروه في نشر تعاليمه ومحاربة البدع والضلالات وأخص من بينهم العالم السلفي المرحوم الشيخ عبد الفتاح الامام صاحب التآليف الاسلامية العديدة كانت حياة هذا العالم الفذ يتلقفها عشاق علمه وفضله ، من أفواه تلاميذه وهم كثر كما رأيت ، الى ان قام ولده النجيب الظافر البار بجمع شتات ما تفرق من سيرة حياته وآثاره العلمية وتفرغ للكتابة عنه ، بأمانة وحب واخلاص ، فألف فيه كتاباً

يقع بسبعمائة صفحة جمع فيه سيرة حياته وما قاساه من المتاعب بالدعوة الى الاصلاح واورد بالكتاب بعض تآليفه والشروح الوافية والتعليقات المفيدة التي دونها على هامش الكتب الكثيرة التي قرأها على اختلاف أنواعها ومكتبته العامرة بدمشق التي هي من المكتبات الكبيرة التي تحوي آلاف المجلدات بشتى العلوم، وذكر المؤلف بمقدمة كتابه انه مات والده وهو بالسنة الأولى من سني حياته لايعرف شيئاً عنه ، واستعان على تأليف كتابه بمذكرات عمه المرحوم الشيخ قاسم ، واستعان بعمته وبتلاميذ والده ، أورد بصدر الكتاب نبذة عن تاريخ حياة والده مطرزة بخط يده جاء فيها قوله :

ان اسمه محمد جمال الدين أبو الفرج بن محمد سعيد بن قاسم بن صالح ابن اسماعيل بن أبي بكر المعروف بالقاسمي وهو الامام الفقيه الصالح المشهور بالشيخ قاسم المعروف بالحلاق ، ولا يعرف من أجداده من خدم العلم مثل خدمة جده هذا ، وكان أبوه محمد سعيد فقيهاً أديباً غلب عليه شعر اهل زمانه اشتغل ببدء حياته بالتجارة بالمصرونية ثم اعتزلها وانقطع للعلم والدراسة وله ديوان سماه ابنه جمال الطالع السعيد بديوان الوالد السعيد وله كتاب قاموس الصناعات ، وكان عصبي المزاج له نزعة خاصة الى الموسيقا ، وأولع بجمال الصوت ، وكان كثير الحنين لتلاوة القرآن مرتلاً بالنغمات السبع المعروفة ...

ولد الشيخ الدين جمال بزقاق المكتبي من باب الجابية على مقربة من قصر الحجاج، وكان بيته قبلة الرواد ، يدرس بالبيت ، وبجامع السنانية، وداره ذات فناء واسع كثيرة الغرف أنشئت على الطراز الدمشقي القديم ، أحيطت جنباتها بالأشجار الحمضية والأزهار والرياحين ، وفي وسطها حوض ماء واسع،

دفاق ينحدر الماء من (شاذروانه) انحدار الشلالات الهادرة ، وكانت ولادته بتلك الدار ضحوة يوم الاثنين لثمان خلت من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ومئتين والف ...

وفور ولادته احتضنه الشيخ قاسم جده بحجره ، ودعا له بالخير والبر والتقوى والصلاح وكان جده هذا فقيه الشام وصالحها الشهير ، في هذا الجو وهذه البيئة العلمية نشأ الشيخ جمال وترعرع ، ودرج على حب العلم والميل إلى سماع الموسيقا الرزينة ، تسرب إليه هذا الميل من صديقه المرحوم الشيخ عبد الرزاق البيطار وكان من فطاحل الفن الموسيقي بهذه الديار ، تربى القاسمي بحجر والده تربية صالحة ، وقرأ القرآن على الحافظ المعمر الشيخ عبد الرحمن بن علي بن شهاب المصري نزيل دمشق ، وكان يعلم الأطفال بكتّاب على مقربة من جامع الشابكلية بمحلة القنوات ، وبعد وفاة والده اتصل بحلقات علماء دمشق التي يعقدها شيوخ الشام بالمساجد أمثال الشيخ محمود بن مصطفى القوصي ، والشيخ رشيد قزيها ، والشيخ أحمد الحلواني القارىء الشهير وغيرهم من فطاحل العلماء الشهيرين بعصره وكان يقر بالفضل عليه للشيخ بكري العطار والشيخ محمد بن الشيخ محمد الخاني النقشبندي .

توفي الشيخ القاسمي بدمشق سنة الف وثلثمئة واثنتين وثلاثين هجرية بعد ان ملأ الدنيا شهرة ، وشغل أهل زمانه ، وترك لنا من مؤلفاته مئة وعشرة مؤلفا بأنواع العلوم والآداب والفقه وبينها سبعة عشر مجلداً من تفاسير القرآن ، وتمتاز مؤلفاته التفسيرية بشدة التقصي وروعة الأسلوب وسهولة الفهم . وكان جواداً كريماً على قلة ذات يده لا يكون تلاميذه بداره وقت الغداء أو العشاء الا ويطعمهم مما يأكل . ومن طرائفه التي

رواها تلميذه الخاص الشيخ حامد التقي انه خجل منه ذات يوم عندما دعاه لمشاركته بالفطور وأدعى انه قد افطر بداره ، فنظر اليه الشيخ رحمه الله نظرة الأب الشفوق وقال له :

يا شيخ حامد لاتجمع بين خلتين ذميمتين الكذب والجوع ، فـــأني قرأت بتقاسيم وجهك انك تخفي عليّ أمرك استحياء وخجلاً مني ، فتقدم وكل ، فالملهم والمطعم هو الله ، قال الشيخ حامد عندئـذ شمرت عن ساعدي وباشرت الأكل معه ، وليست هذه اللفتة مقتصرة على الشيخ حامد وحده ، وانما كانت لتلاميذه كلهم على السواء ، ولهذا مـات فقيراً ولم يتمكن لفقره من اداء فريضة الحج التي كان يتمنى نوالها .

انتشرت كتبه بالهند والعراق ومصر وفلسطين وفي المغرب ، وكان بينه وبين الشيخ محمد عبده مكاتبات تدل على صلة العلم التي كانت بينهما ، وكان كل منهما يعرف منزلة صاحبه العلمية ، ومن كتابات الشيخ محمد عبده اليه (علامة الشيخ الأوحد الشيخ جمال الدين القاسمي ، اني أقرأ جميع ماتكتب وتؤلف ، وأنا معجب بغزارة علمك ، وسعة اطلاعك ، وكنت كلما عزمت على الكتابة اليك أتهيب فكأني أحاول أن أفتتح قلعة أو أمحو بدعة، وأعلم أنك تعاني بدمشق من عنت الجهالة وأصحاب البدع والضلالات ما أعانيه بمصر فأعاننا الله كلانا على مانعانيه من جهاد في سبيل الاصلاح) ومما كتبه اليه الأمير شكيب أرسلان (ومني الآن السلام على الأستاذ الكبير الذي فضائله بعدد الحصى ، وعلى صاحبي الشهبندر والعظم أي ، رفيق العظم، وسائر الأحباب وأشواقي إلى عموم اخوتكم الألباد ، وتلاميذكم أصحاب الحلقة الأمناء) .

فهذه نبذة عن تاريخ حياة القاسمي أوردتها بهذه الكلمة الموجزة للذكري

دفعني اليها ما اسمعه من تلاميذه الأبرار أمثال التقي والعطار والبيطار وهي ان دلت على شيء فانما تدل على العصر الذي عاشه القاسمي والجو الذي نشأ فيه وترعرع، ويوم وفاته بالذات ـ رحمه الله ـ شمت به أعداؤه وظنوا أن دعوته الاصلاحية ستطوى بعد طي حياته فانتضى لهم أحد تلاميذه الأمناء المرحوم الشيخ جميل الشطى (مفتي الحنابلة) وخاطبهم قائلاً :

مهلاً عداة المصلحين عدمتكم إني لكم والله غير مسالم
إن مات منا اليوم قاسميٌ سيكون منا كل يوم قاسمي

وولده الأستاذ الأديب ظافر القاسمي محام كبير وتولى حيناً نقابة المحاماة بدمشق .

حسني كنعان

المكافأة

قدم نصيب الشاعر ـ وكان أسود اللون ـ على عبد الله بن جعفر الطيار ، فأنشد :

ألفتَ نعم حتى كأنك لم تكن عرفت من الأشياء سوى (نعم)
وعاديت (لا) حتى كأنك لم تكن سمعت بلا في سالف الدهر والأمم

فسأله عن حاجة ، فقال : هذه رواحلي تخيرني عليها ، فأوسقها له براً وثواباً وثياباً ، وعشرة آلاف درهم ! فقيل له : أتعطي هذا كله لهذا الصبي الأسود ؟ فأجاب إن كان هو أسود فان شعره لأبيض .

من ثمرات الكتب

أنشودة رمزية

من كتاب (شروط النهضة)للأستاذ مالك بن نبي انتقاها السيد محمد سلام

أي صديقي : لقد حانت الساعة التي ينساب فيها شعاع الفجر الساحب بين نجوم الشرق . وكل من يستيقظ بدأ يتحرك وينتفض من خدر النوم وملابسه الرثة ، ستشرق شمس المثالية على كفاحك الذي استأنفته ، هنالك في السهل ، حيث المدينة التي نامت منذ أمس ومازالت مخدرة ،ستحمل اشعاع الصباح الجديد ، وظل جهدك المبارك ،في السهل الذي تبذر فيه ، بعيداً عن خطواتك، وسيحمل النسيم الذي يمر الآن البذور التي تنثرها يداك ... بعيداً عن ظلك ، إبذر ياأخي الزارع ،من أجل أن تذهب بذورك بعيداً عن حقلك ، في الخطوط التي تتناءى عنك ...

في عمق المستقبل ، ها هي بعض الأصوات تهتف ، الأصوات التي أيقظتها خطواتك في المدينة،وانت منقلب إلى كفاحك الصباحي ، وهؤلاء الذين استيقظوا بدورهم ، سيلتئم شملهم معك بعد حين ، غن ! ياأخي الزارع! لكي تهدي بصوتك هذه الخطوات التي جاءت في عتمت الفجر ، نحو الخط الذي يأتي من بعيد ،وليدو غناؤك البهيج ، كما دوى من قبل غناء الأنبياء ، في فجر آخر ، في الساعات التي ولدت فيها الحضارات . وليملأ غناؤك أسماع الدنيا ، أعنف وأقوى من هذة الجوقات الصاخبة التي قامت هنالك، هاهم ينصبون الآن على باب المدينة التي تستيقظ في السوق وملاهيه ، لكي يميلوا هؤلاء الذي جاءوا على اثرك ، ويلهوهم نداؤك، وهاهم قد أقاموا المسارح والمنابر للمهرجين والبهلوانات ، لكي تطغى على نبرات صوتك ، وهاهم قد أشعلوا المصابيح الكاذبة لكي يحجبوا ضوء النهار ، ولكي يطمسوا بالظلام شبحك ، في السهل الذي أنت ذاهب اليه ، وهاهم قد جلوا الأصنام ليلحقوا الهوان بالفكرة ، ولكن شمس المثالية ستتابع سيرها دون تراجع وستعلن قريباً انتصار الفكرة ، وانهيار الأصنام كما حدث يوم تحطم هبل في الكعبة .

من أحسن القصص

الرصاصة العادلة

بقلم اللواء الركن محمود شيت خطاب

— ١ —

في أيام الصيف ، وعلى ساحل البحر ، تحدث مآس وأحداث ، تعمل عملها المدمر في تخريب البيوت ، وفي انهيار الأخلاق والفضيلة .

قبل خمسة أعوام ألحّت عليه زوجه ، وطالبته بالسفر الى المصيف البحري : تستنشق نسيمه الطلق ، وتستحمّ في أمواهه ، وتخالط الغادين والرائحين عارية متهتكة متمتعة بحريتها الحمراء تقليداً للغربيات دون رادع أو دين .

وكان ما كان مما هو معروف ومألوف . . . !

تعرفت العائلة بعائلة أخرى ، وكان في العائلة شاب مفتول العضل ، جميل الطلعة ، له هامة وقامة ، ويملك سيارة فارهة .

وعرض الشاب خدماته وأريحيته من أجل الشيطان ، فكان وعد ولقاء ، وكان استحمام في البحر ، وكان غزل بين الشاب والزوجة ، وكان الرجل الزوج في شغل شاغل عن زوجه وولدها الطفل في رؤية لحوم البحر البشرية كاسية عارية ، وكان له موعد ولقاء حرام . . .

— ٢ —

كان الشاب يتطوع كل يوم لنقل العائلة : الزوج وزوجه وطفليها

بسيارته صباحاً ومساء إلى البحر ، وكانو يستحمون جميعاً في مكان واحد ، وكانت الزوجة لاتحسن السباحة ، فتطوع صاحبنا لتعليمها السباحة ، وكان زوجها يبتعد عنها ليلاقي من يلاقي بعيداً عن أنظار زوجه ، وكان ينشر شباكه متصيداً أعراض الناس ، تاركاً عرضه لذلك الشاب كما يترك الراعي الغنم للذئب .

وابتدأ الأمر بين الزوجة والشاب إعجاباً بالأريحية ، ثم تطور الأمر إلى الاعجاب بالجسد ، ونام الحارس فرتع اللص ، فكان لابد للنار أن تشتعل فتحرق الاخلاص الزوجي وتحرق الطهر والعفاف .

وكانت الزوجة تحب زوجها ولاتطيق عنه صبراً ، فأصبحت تكره لقاءه وتحسب الدقائق والساعات للقاء حبيبها الجديد .

وأراد الشاب ان يتخلص من الزوج نهائياً . فبيت في نفسه أمراً . . .

— ٣ —

أظهر إخلاصه وتفانيه للزوج ، وأبدى إعجابه بمواهبه ورجولته ، وكانت زوجه لاتنفك تطري شهامة الشاب وتحببه لزوجها ، فوثق به الزوج وسلمه مقاليد أمره كله .

وفي يوم من الأيام تمارضت الزوجة ، فعكفت في شقتها ومعها طفلها ، فأستأذن الزوج أن يصاحب صديقه الشاب فجراً ليستحم في البحر .

وعاد الشاب بعد ساعتين ليعلن للزوجة أن زوجها قد غرق في البحر ، وأنه حاول انتشاله فباءت محاولاته بالفشل .

لقد كان البحر خالياً من الناس فجر ذلك اليوم ، وكان البحر مائجاً صاخباً ، وكان الموج يرتفع كالجبال ويهبط كما تهبط الشهب من السماء ، وكان الزوج لايحسن السباحة ، ولكن الشاب استدرجه الى السباحة بعيداً

عن الشاطىء ، ثم تركه طعمة للأمواج يستغيث فلا من مجيب ، ثم ابتلعته الأمواج الى الأبد .

— ٤ —

كانت الزوجة يتيمة لامعيل لها ، وكان الشاب وحيداً في شقته بعيداً عن أهله .

وعرض عليها الشاب بحنان ولهفة أن تشاركه شقته ومصيره ، وأبدى لها استعداده لاحتضان طفلها من أجلها ومن أجل حبها غـــير المقدس ، ووعدها بالزواج .

واستكانت الزوجة للشاب ، فآوت الى شقته واستقرت فيها ، وكان طفلها في الرابعة من عمره ، يظن أن الشاب أبوه ، فيناديه من كل قلبه : بابا .

وطالبته الزوجة بالزواج فماطل اولاً بلطف وتودد ، ثم بقسوة وعنف ، وبعد أشهر تبدل الشاب اللطيف الى صلٍ خبيث ، فأظهر تذمره منها ومن طفلها ، وتعلق قلبه بغيرها من النساء ، فأصبح في شقته حاضراً كالغائب يأوى اليها في الهزيع الأخير من الليل .

وفي ضحى يوم من أيام الشتاء ، كان الشاب يتناول فطوره ، وكانت تلك الزوجة تعاتبه وتطالبه بالزواج بها ، فأظهر أنيابه السامة ، وكشف عن حقيقته التي كان يسترها من قبل ، وطالبها بالجلاء عن الشقة لأنـــه اعتزم الزواج والاستقرار .

وانهمرت دموعها غزيرة وذكرته بالماضي الحلو الجميل ، ولكنه كان كالصخرة الصماء قسوة وعنفا .

وكان الطفل البريء لايعرف للدموع معنى الدموع ، ولا يفهم مايدور حوله من أحداث .

وتوسلت الزوجة الى الشاب طويلاً بدموعها وبذكرياتها دون جدوى .

وكان الطفل يلاعب مسدس الشاب الذي كان إلى جانبه ، وكان الشاب في شغل شاغل عنه ، وكان يعلم يقيناً أن المسدس خال من العتاد ، لأنه كان قد اخرج منه عتاده بعد عودته الى شقته في الهزيع الأخير من ليلة أمس .

ولكنه كان ثملا لايفرق بين النور والظلام ، بعيداً بعقله في تيار الخمر والرذيلة . . .

وفجأة انطلقت رصاصة من مسدسه واستقرت في الجزء الأسفل من قلب الشاب ، فتلوى لحظات ثم سقط عن كرسيه فاقد الوعي .

في هذه اللحظات نطق الشاب بكلمات قليلة كانت آخر مانطق في حياته ، وكان الجيران قد تجمعوا حوله فور سماع إطلاق النار ، فقال مخاطباً الزوجة : « لقد أغرقت زوجك في البحر ليصفو الجو لي معك وحدي » .

وجاء الطبيب على عجل ، فوجد أن امر الشاب قد انتهى وأنه فارق الحياة .

طلقة القدر ، أطلقها بيد الطفل الصغير ، الذي لايعي ، وسيرها مباشرة الي قلب الشاب .

وما رمى الطفل ، ولكن الله رمى . . . واسدل الستار على نهاية شاب مجرم ذهب ضحية أيام الصيف على ساحل البحر العباب ، فكانت قصته عبرة لكل منحرف ، ولكن هل من معتبر ؟ ! !

بغداد : محمود شيت خطاب

من الضلالة إلى الهداية

الأستاذ محمد سليمان تدمري

اتفق في إحدى المدن — بعد انتهاء فحوص العام الدراسي الحالي — اربعة من الطلبة على القيام بنزهة بحرية وقضاء عدة أيام في احدى الجزر الهادئة بعيدين عن حو المدينة الصاخب وضجيجها الرهيب ، وطلباً للراحة والاستجمام ، فأعدوا لهذه النزهة عدتها ، وهيئوا لهم ما يصلح شأنهم ويحقق رغباتهم خلال فترة إقامتهم في الجزيرة التي اختاروها ، دون أن يكون لأرواحهم وقلوبهم أي نصيب من غذاء أو زاد ، متجاهلين قول الله تعالى : « فان خير الزاد التقوى » ذلك لأنهم « اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة » فضل سعيهم في الحياة الدنيا « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً » .

وفي اليوم المحدد للنزهة المتفق عليها استقل هؤلاء الطلبة زورقاً شراعياً ينقلهم إلى الجزيرة بعد جولة في عرض البحر ، فالطقس جميل ، والبحر هادئ ، والوقت ضحى لا حرّ ولا حرور ومن جميل الصدف أن ركاب الزورق ممن حبب إليهم الفسوق والعصيان ، فهم عبيد الأهواء والشهوات ، والملاح ممن حبب اليه التقوى والايمان فهو عبد الله رب الأرض والسموات .

وقد جمع هذا الملاح بين قوة الجسم وقوة الايمان ، إنه شاب عظيم البنية ، أسمر اللون ، طويل القامة ، عريض المنكبين ، واسع الصدر ، على جبينه إشراقة الأمل والرجاء ، وفي عينيه دمعة الخوف والحياء ، وعلى شفتيه ابتسامة الرضا بالقدر والقضاء ، وعلى لسانه ذكر الله رب الأرض والسماء ، وفي قلبه صلابة العقيدة ، وقوة الايمان ، وإلى جانب هذا كله شعوره بالمسؤولية كخليفة لله في أرضه ، هدفه في هذه الحياة الدنيا الفانية ،

أن يخلد له ذكراً كريماً يرفعه الله به درجات في الحياة الآخرة الباقية ، إنه حريص على هداية كل ضال الى الطريق القويم ، وإرشاده الى الصراط المستقيم ، فهو على صلة دائماً بحديث رسول الله ﷺ الى سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي عنه : « ياعلي لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » .

بعد أن أصلح الشراع ورفع القلاع ، وجرى الزورق بأمر الله تعالى بريح طيبة ، وشق طريقه في بحر هادئ صافٍ تتلألأ الحصى والرمال في قاعه كأنها اللؤلؤ والمرجان لشدة صفائه ، جلس هذا الملاح على مؤخرة الزورق وأمسك بيده الدفة « المقود » ضبطاً للاتجاه وحفظاً لخط السير .

لقد جرى الزورق بأمر الله تعالى حاملاً على ظهره ، اليقين والايمان ممثلاً بالملاح ، والشك والكفران ممثلاً بالركاب ، لقد جلس الملاح على مؤخرة السفينه يفكر في آلاء الله تعالى ، فتارة يحمده ويسبحه ، وأخرى يقدسه ويوحده ، ثم أخرج من جيبه مصحفه الصغير ، الذي يعتبره أنيسه في وحدته ، وجليسه في غربته ، وزاده إلى آخرته ، وقائده في سفره ورحلاته ، وبدأ يرتل ماتيسر له من كلام الله تعالى بصوت رخيم جميل ، فاذا ما أتى على آية تصف القيامة وأهوالها ، أو النار وسعيرها ، ذرف الدمع خشية من الله ورهبة ، سائلا المولى سبحانه النجاة والسلامة من هول يوم القيامة ، « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » ، وهو على هذه الحالة يرتل كلام الله بصوته الرقيق العذب ، وبنغماته الساحرة الجذابة ، تألب حول الزورق سمك البحر وحيتانه تسمع الى كلام الله خاشعين لجلاله وبهائه ، في حين أن ركاب الزورق ، الذين أوتوا حظاً وافراً من العلم والمعرفة ، والذين أكرمهم الله بالعقل والبصيرة ، وفضلهم على كثير

من خلقه ، جلسوا في زاوية أخرى من الزورق في هرج ومرج ، وبحث من القول دون أن تخشع قلوبهم القاسية لذكر الله وما نزل من الحق ، فهي كالحجارة أو أشد قسوة ، وصدق الله العظيم « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله » .

وكان ركاب الزورق بالاضافة إلى هرجهم ، يلمزون الملاح في عبادته ويسخرون منه ، منكرين عليه عزلته واشتغاله بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ، فقرروا في بينهم أن يفسدوا عليه عبادته وقراءته ، فاقتربوا منه وجلسوا اليه يحدثونه ، ثم (استجوبه) أحدهم سائلا عن اسمه ، ودخله ، وهدفه ، وثروته ، وأسعد أيامه ، والمدرسة التي تخرج منها ، وكيف قضى أوقاته ، وكان يتلقى أجوبة مؤمن واثق بربه معتمد عليه مطيع له ...

وكأن هذه الأجوبة لم ترقهم ، ولم ترو غليلهم فقهقهوا ساخرين مستهزئين وقالوا له : ما نفقه ماتقول ، لقد درسنا مختلف العلوم ، ووصلنا إلى درجة رفيعة في العلم والمعرفة ، فلم نعقل من هذا كله إلا أن الدنيا لعب ولهو ، وان العزيز من كثر ماله وعلا جاهه ومنصبه ، وان الذليل من قلَّ ماله وحرم المنصب والجاه ، والمثل العامي « يقول معك قرش بتسوى قرش ، ما معك شيء ما بتسوى شيء » قال لهم الملاح : وقد حرص على هدايتهم ، مستعيناً بالله على ذلك ، أيها الركاب : لقد تعلمتم القليل وجهلتم الكثير « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » ان العلم والمال والجاه ، إذا لم يقرن كل منهم بالايمان والعمل الصالح ، كان وبالا وحسرة على صاحبه في الدنيا ، ولعنة وعذابا عليه في الآخرة ، واليكم هذه الأمثلة :

١ — إن ابليس كان من ملائكة الله المقربين ومن اعلمهم ، فلما عصى ربه وخالف أمره لم ينفعه قربه من الله ولا علمه ، فطرد من رحمة الله

تعالى وحقت عليه لعنة الله إلى يوم الدين ، وهو في الآخرة من الخاسرين ، وفي جهنم من الخالدين .

٢ — ان فرعون ادعى الألوهية والربوبية فقال : ما علمت لكم من إله غيري ، وقال : « أنا ربكم الأعلى » كان له ملك مصر ، والأنهار تجري من تحته ، منصب لم يصل اليه انسان ، وملك لم ينله مخلوق ، فلما كفر بالله وطغى لم تنفعه ألوهيته « المزعومة » ولم ينقذه ماله وملكه من غضب الله ، « فكان من المغرقين » وله في الآخرة عذاب اليم مقيم .

٣ — « إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، وآتاه الله من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة » ، فلما كفر بأنعم الله تعالى ، وبغى وطغى ، لم تنفعه كنوزه ، ولا أمواله ، فخسف الله به وبداره الأرض ، وله في جهنم عذاب الحريق .

٤ — إن القرآن مثل حملة العلم من بني إسرائيل ، الذين لم يعملوا بعلمهم بالجحد ، فقال تعالى « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » والعبرة بعموم اللفظ .

٥ — إن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، خرج من بلاده فارس مشياً على الأقدام ، لا مال عنده ، ولا جاه له ولا منصب ، ينتقل من راهب إلى آخر سعياً وراء الايمان وبحثاً عن الحقيقه حتى وصل إلى امنيته ، وقد نال في الاسلام ، درجة رفيعة ، رغم فقره ، فقال ﷺ « سلمان منا أهل البيت » ثم أردف الملاح قائلا : أيها الأخوة :

بعض آيات من كتاب الله تعالى اسمعوها وتدبروها ، ولا تجعلوا على قلوبكم أكنة وفي آذانكم وقرا ، قال تعالى :

١ : يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل

لتعـــارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير (الحجرات ١٣) .

٢ — وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ، يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ، ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين ، ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ، إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون، ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ، ومن آياتـه ان تقوم السماء والأرض بأمره ، ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ، وله من في السموات والأرض كل له قانتون . (الروم ١٨) .

٣ — أفرأيتم ما تمنون ، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ، نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على ان نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون ، ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ، أفرأيتم ما تحرثون، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ، لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون، انا لمغرمون بل نحن محرومون ، أفرأيتم الماء الذي تشربون ، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ، لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون ، أفرأيتم النار التي تورون ، أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ، نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين ، فسبح باسم ربك العظيم . (الواقعة ٦٤).

٤ — ياأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب

ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلقة لنبين لكم ونُقرّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم، ومنكم من يُتوفّى ومنكم من يُردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ... (الحج ٥) .

٥ — قد جاءكم بصائر من ربكم ، فمن أبصر فلنفسه ، ومن عميَ فعليها ، وما أنا عليكم بحفيظ » (الأنعام ١٠٤) .

أيها الركاب : هذه آيات من كتاب الله تعالى يجدر بكم أن تتدبروها وتفقهوا أحكامها ، وتعقلوا تفسيرها ، ولا تكونوا كمن وصفهم الله بقوله « ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه ، انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا ، وان تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبدا » (الكهف ٥٨) .

ثم تابع الملاح كلامه ، فكشف لركاب زورقه عن علم لم يصلوا اليه ولم يحيطوا به ، وليدركوا عجزهم وضعفهم في مجال العلم والمعرفة ، أمام علم الله تعالى الذي أحاط بكل شيء علما ، فقال :

١ — هل تعلمون أن عدد أصناف الكائنات الحيه الموجودة في هذا البحر أكثر من عدد الموجود على الأرض ، وتختلف هذه الكائنات اختلافا واسعاً ، وأنها مازالت تتزايد في عدد تصنيفها .

فمنها : قريص البحر ، هذه الكائنات الصغيرة يبلغ عدد الموجود منها في الميل المكعب الواحد ما يزيد على الملايين .

ومنها : الدوركال الذي يبلغ طوله ١٢٠ قدما .

ومنها : الحوت الذي يطوف المحيط طولا وعرضاً وله قدرة تمكنه من تحطيم المراكب .

ومنها : نجم البحر الذي يشبه النجمة في شكلها ، وهذا الحيوان يوجد في جميع البحار ، وقد زود جسمه بأعضاء صغيرة تشبه الملقط يحافظ بها على نظافة جسمه.

إلى غير ذلك من ملايين الأصناف من الكائنات البحرية ، كالأخطبوطية والحيوانات الضفدعية والحوتية ، وينضوي تحت كل صنف آلاف الأنواع وملايين الأفراد .

٢ ــ هل تعلمون ان للسمكة كيساً مستطيلاً في الجزء الظهري ، ممتلئاً بمقدار من الهواء ، وهـــذا الكيس يسمى كيس الصوم ، ومن الأجهزة العجيبة في السمك الخيشوم الذي يتنفس به ، إذ يفتح الحيوان فمه فيدخل فيه الماء ثم يقفله فيمر الماء في الفتحات الجانبية للفم الى الخيشوم الذي يحصل على الاكسجين من الماء ويطرد ثاني اكسيد الكربون .

٣ ــ هل تعلمون ان بعض أصناف السمك الذي يعيش في الأعماق السحيقة ، ينبعث منه أشعة قوية براقة ، تشبه أشعة النجوم في شـــدة تألقها وجمال بريقها ، وهذه الأشعة بمثابة اشارات ضوئية تتحد في أشكالها وتتشابه في نظامها وطريقة اشعاعها ، ليعرف كل نوع أليفه ليتم التناسل.

٤ ــ هل تعلمون ان سمك السالمون عندما يبلغ طور النضج الجنسي وتكون له القدرة على التناسل يرحل الى الأنهار ذات المياه المذبة لتضع الاناث البيض ، وتصب الذكور حيواناتهـــا المنوية عليها وعندما تخرج الاجنة وتمضي فترة من حياتها في ماء النهر ترجع بعدها الى البحر ومتى أصبحت قادرة على التناسل تعود إلى النهر الذي فقست فيه بالذات . كما أنه يوجد في الأنهار نوع من السمك ، عندما يكتمل نموه يهاجر إلى

البحار قاصداً الأعماق حيث يتزاوج وتضع الاناث البيض وتنتهي بذلك حياتها ، وبعد مدة تخرج الصغار وتتهيأ للعودة الى الأنهار التي عاش فيها آباؤها دون أن تضل الطريق مهما بعدت المسافة .

٥ — وهل تعلمون أن في بعض أنهار الشرق الأقصى نوعاً من السمك ويسمى « السمك المتسلق » وأنه يعيش في حياة عرضة للجفاف ، فعندما تجف المياه التي يعيش فيها ، يغادر مكانه الى حيث يوجد الماء ، ويستعين عند ذلك بغدد لاتوجد إلا في هذا النوع من السمك ، وهذه الغدد تفرز سائلا رطباً لتظل خياشمه رطبة حتى يعثر على الماء ، وإذا لم يجد الماء تسلق الأشجار حيث يعيش في قممها الرطبة ، وعندئذ تتحول الغدد التي ترطب الخياشيم الى أجهزة تنفس ، إذ يتنفس هـــذا النوع من السمك كغيره من الانسان أو الحيوان .

وقد أيقن الركاب أنهم أمام عملاق من عمالقة العلم ، وعلم من أعلام المعرفة ، وليس أمام ملاح جاهل يتقن الملاحة فحسب ، لقد كشف لهم هذا الملاح عن علم لم يسمعوا به ولم يصلوا اليه ، وقد أدركوا أن قدرة الله لا تحد ، وآياته في خلقه لا تعد ، وأنه أحاط بكل شيء علماً ، ورغم هذا كله مازال في نفوسهم بقية كبر وغرور ، فقالوا : هذه علوم لسنا بحاجة اليها ، فقال لهم الملاح : هل تجيدون السباحة ؟ قالوا : لا ، قال لهم الملاح : الزورق يجري بنا الآن بريح طيبة كما نحب ، فكيف تقدرون على النجاة والخلاص من غرق مؤكد ، إذا ماهبت علينا رياح عاتية حطمت الزورق ومزقت القلاع ، وأصبحنا في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج لاحول لكم ولا قوة ؟

قالوا : لا مجال لهذه التكهنات والأراجيف ، فالطقس جميل ، والبحر

هادي ، والسماء صافية ، ولا أثر ولا إشارة لما تخوفتنا به .

قال الملاح : لقد علمتم هذا وجهلتم أو تجاهلتم أن الله إذا أراد شيئاً فانما يقول له كن فيكون ، قال تعالى « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » . وما أن أتم الملاح كلامه حتى أرعدت السماء وأبرقت ، واكفهر الجو بالسحب السوداء ، وحجبت الشمس بالغيوم المتكاثفة ، وهبت عليهم ريح عاتية حطمت القلاع ، ومزقت الشراع ، وجاءهم الموج من كل مكان ، وجرى بهم الزورق في موج كالجبال ، فخيم على الركاب الخوف والفزع ، وأصابهم الرعب والجزع ، وعلت وجوههم الكآبة ، وغشيها الكلوح ، وظنوا أنه أحيط بهم ، وأنه لاملجأ من الله إلا إليه .

والركاب على هذه الحالة المفزعة المرعبة ، ونفوسهم قلقة مضطربة ، وقلوبهم خائفة وجلة ، والموت أحيط بهم من كل مكان ، كان الملاح المؤمن ناضر الوجه ، باسم الثغر ، على شفتيه ابتسامة الرضا بقضاء الله ، وعلى لسانه ذكر الله الذي « يجيب المضطر إذا دعاه » ، يصارع البحر بزورقه ، ويكافح الأمواج بمجذافي الزورق الخشبيتين بقوة ونشاط ، متمثلاً قول الشاعر المسلم والصحابي الجليل والشهيد المؤمن الصادق سيدنا خبيب بن عدي :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

لسانه يلهج بذكر الله ، ويسأله العون والهداية والتوفيق ، والفرج القريب ، والنجاة من هذا الكرب العظيم .

وفيما هم على هذه الحالة القاتمة المظلمة ، والزورق تتقاذفه أمواج البحر الزاخرة ، ويتجاذبه تياره الرهيب ، والركاب على ظهره قد استسلموا للموت وأيقنوا بالهلاك ، وأن البحر سيبتلعهم بما لهم وما عليهم ، وأنهم سيصبحون بعد قليل طعاماً للسمك والحيتان ، والملاح يصارع البحر بمجذافي زورقه ،

ولسانه رطب بذكر الله ، وبأمر من الله الذي يقول للشيء كن فيكون هدأت العاصفة ، وسكنت الرويح ، وهدأ البحر ، وخف الموج ، وزال القلق والاضطراب ، واطمأنت قلوب الذين بحثوا عن أمر ربهم وقالوا : الحمد لله نجانا من الكرب العظيم « سبحان ربنا انا كنا ظالمين » .

قال لهم الملاح ، وقد أشرق وجهه : الله « ينجيكم منها ومن كل كرب « ثم أنتم تشركون » .

فطأطأ الركاب رءوسهم خجلا ، وقالوا : « آمنا بربنا ليغفر انا خطايانا » وذرفوا دموع التوبة والانابة الى الله العلي القدير ، وقفلوا راجعين تائبين بعد ان ألقوا ماحملوه معهم من زاد وشراب محرم في اليمّ ، وقالوا : « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » « عسى ربنا ان يدخلنا مع القوم الصالحين » .

فذرف الملاح عند ذاك دمعة الفرح والشكر إلى الله تعـــالى الذي أنقذهم من الظلمات الى النور وهداهم اليه صراطاً مستقيماً .

طرطوس　　　　　　　　　　　　　　**محمد سليمان تدمري**

كهرباء والغيرة

... أحزنني ، أو أفزعني ، أن أرى أناساً آخرين نمت في نفوسهم الأهواء كما تنموا الأشواك في حقل لا صاحب له ، ثم هم بجهد قليل من المهمة ، والشموف ، يفرضون أنفسهم على الدين ويزعمون أنهم سينفعون به العالمين !

إن الدين إذا لم يسر في النفوس كما تسري الكهرباء في الأسلاك ، فتضيء بسريانها مصابيح ، وتتحرك آلات ، يصبح وهماً أو زعماً لا تغني فيه العناوين والشارات ...!!!

محمد الغزالي

رقص الأحباش :

● سأل السيد م . ع (الجزيرة) عن حديث رقص الأحباش . وعن الدركلة

الجواب : أولاً ـ مما جاء في التراتيب الادارية ، للمحدث الشيخ عبد الحي الكتاني ج ٢ ص ١٤١ :

في ترجمة أنس من مسند أحمد : كانت الحبشة يزفنون بين يدي رسول الله ﷺ ويرقصون ويقولون : محمد عبد صالح ، فقال رسول ﷺ ما يقولون ؟ قالوا : يقولون محمد عبد صالح . (انظر ص ١٥٢ من ج ٤٣)

وفي جامع الترمذي بلفظ : قام ﷺ فاذا حبشة تزْفن ترقص والصبيان حولهم ، فقال ياعائشة ، فانظري ، فجئت فوضعت نحري على منكب رسول الله ﷺ ، فجعلت أنظر اليها أي إلى الحبشة ما بين المنكب إلى رأسه ، فقال لي : أما شبعت أما شبعت ؟ فجعلت أقول : لا ، لا ـ وقال حسن صحيح غريب .

قال الزرقاني في شرح المواهب ص ٣١١ من ج ٤ : لعله أراها لعبهم لتضبطه وتعلمه فتنقله بعد للناس هـ . وأصله لابن بطال قال : يمكن أن يكون تركها لتنظر اللعب بالحراب لتضبطه السنة في ذلك وتنقل الحركات المحكمة الى بعض من يأتي من أبناء المسلمين وتعرفهم بذلك هـ ـ نقله عن شارح الاحياء ـ .

وقال القاضي عياض : فيه أقوى دليل على إباحة الرقص [1] ، إذ زاد

---

(١) المجلة : إباحة الرقص : يعني الذي جرى هذا المجرى وهو أشبه بتمرين عسكري ، لا الرقص الذي يجمع الجنسين ...

النبي ﷺ على إقرارهم أن أغرارهم هـ ـ نقله المواق في سنن المهتدين والونشريسي في المعيار — وأقره —.

وإذا علمت — كما سبق عن — مسند أحمد — أنهم كانوا يرقصون ويقولون محمد عبد صالح ظهر لك أن تسميته لعباً تجوز ، وإلا فذكر المصطفي لايكون معه اللعب وإنما يكون في الجد الخ..»

ثانياً — في (النهاية) في غريب الحديث والأثر للامام ابن الأثير (ج ٢ ص ١١٤ ط . البابي الحلبي) : (هـ) (★) فيه« أنه مر على أصحاب الدركلة »... وهي ضرب من لعب الصبيان ، قال ابن دريد : أحسبها حبشية وقيل هو الرقص .

[★] ومنه الحديث « أنه قَدِم عليه فتية من الحبشة يُدرقلون » أي يرقصون .

ثالثاً — وفي القاموس المحيط الدركلة : لعبة للعجم أو ضرب من الرقص ، أو هي حبشية .

● **رؤيا الشيخ أحمد** : تنشر بين حين وآخر رؤيا مزعومة للشيخ أحمد (؟) المدعى أنه خادم الحرم النبوي الشريف ، يزعم فيها أنه رأى في المنام الرسول ﷺ ، وقال له ان الساعة قربت وخرجت النساء من دون إذن أزواجهن وستظهر في السماء علامة مثل بيض الحمامة وستغيب الشمس

(★) أشار المؤلف في مقدمته إلى أنه جعل (هاء) بالحمرة ، على ما كان من كتاب الهروي (يعني أبا عبيد أحمد بن محمد الهروي صاحب كتاب السائر في الجمع بين غريبي القرآن العزيز والحديث) .

ثلاثة أيام ... ويعود الاسلام كما كان غريباً الخ ... إلى القول بأن هذه الوصية منقولة بقلم القدرة من اللوح المحفوظ ومن يكتبها ويرسلها من بلد إلى بلد ومن محل إلى محل يبنى له قصر في الجنة ، ومن لم يكتبها ويرسلها حرمت عليه شفاعتي الخ ...

سئلنا عن هذه الرؤيا المزعومة التي نشرتها — اخيراً — في هذا الصيف الماضي المطبعة التجارية بدمشق ، فنقول ان هذه الرؤيا تردّد وتنشر منذ نصف قرن ، وليس لها أصل كما سبق ان بينا ذلك . (العظمة)

● مقام ابراهيم وتأخيره عن موضعه :

سأل السيد فيصل الشطي عن هذا الموضوع بمناسبة حديث دار في مجلس بعض الحجاج إذ وسع الحرم ومطافه ، فأصبح مقام إبراهيم حائلاً دون حاجة المطاف إلى التوسعة في زمن ازداد فيه الناس وكثر اقبالهم على الحج بسبب يسر المواصلات والأمن وما إلى ذلك .

ونقل عن أحد أعضاء المؤتمر الاسلامي في مكة المكرمة أن البحث دار في المؤتمر فكانت تجمع على ذلك الكلمة ، وأن مفتي الاردن الاستاذ الجليل الشيخ عبد الله القلقيل عارض ذلك بحجة تاريخية لا بحجة دينية .

وطلب السيد الشطي من المجلة أن تعالج هذا الموضوع .

وكان من أبرز من عالج هذا الموضوع الأستاذ عبد الرحمن بن يحيى العلي اليماني (أن مكتبة الحرم بمكة) فألف رسالة قدمها إلى المؤتمر بعنوان « مقام إبراهيم » .

ونحن نجمل من بحثه القيم مانعرضه عرض إيضاح وإجما ...

أولاً — مقام إبراهيم :

هو الحجر الذي قام عليه عند ارتفاع البناء للكعبة المشرفة وعليه أثر قدميه الشريفين ثم أذن بالحج عليه : « فيه آيات بينات مقام إبراهيم ».

وإن بقاءه من آيات الله البينات كأثر خالد يدل على الكعبة وبنائها ومن بنى عليها ومكانها إذ كانت أول بيت وضع للناس ، يحجون اليه ويقبلون على طاعة الله بالاقبال عليه ، وقد بوأ الله لابراهيم مكان البيت وجعل مكانه في أم القرى لتكون عاصمة الدنيا وتتجه قلوب المؤمنين اليه يذكرون الله في كل صلاة واقبال عليه ، فيذكرون الاسلام وسيرة أبيهم إبراهيم وسيرته ذكرى وأسوة « هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب ».

— وقيل يشمل المقام الحجر وموضعه فهو من العالم لا يقدم ولا يؤخر ، وتسن صلاة ركعتي الطواف خلفه .

— وقيل يشمل المقام مناسك الحج كلها بقوله تعالى : « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » ، وإن ذلك دلالة على شرع العبادة في كل موضع قام فيه إبراهيم في حجه ونساكة ، ، وإن اتخاذه مصلى إنما يكون باتخاذه قبلة للصلاة (باتجاه الكعبة) .

ثانياً — مكانه وتأخيره إلى محله :

اختلفت الروايات في مكانه إذ ثبت أنه كان لصيق الكعبة المشرفة ، وثبت أنه نقل إلى مكانه الحاضر ، وإنما اختلف في سبب ذلك وأوليته أكان جانب الكعبة عهد إبراهيم عليه السلام أم في المكان الموجود فيه اليوم ، وهل نقله رسول الله عليه الصلاة والسلام أم عمر ، ونجمل ذلك بما يلي :

— قال الفاسي : ذكر الفقيه محمد بن سراقة العامري في كتابه « دلائل القبلة » : هناك (بجنب الكعبة) كان موضع مقام إبراهيم عليه السلام ، وصلى النبي ﷺ عنده حين فرغ من طوافه ركعتين ، ثم نقله

ﷺ الى الموضع الذي هو فيه الآن ، لئلا ينقطع الطواف بالمصلين خلفه ، أو يترك الناس الصلاة خلفه لأجل الطواف حين كثر الناس ، وليدور الصف حول الكعبة ، ويروا الامام في كل وجه .

وقال المحب الطبرني القرى (ص ٣٠٩) قال مالك في المدونة : كان المقام في عهد إبراهيم عليه السلام في مكانه اليوم .

— وكان أهل الجاهلية ألصقوه خلف البيت خيفة السيل ، فكان موضعه هذا لصق الكعبة في عهدي النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه فلما ولى عمر رضي الله عنه رده إلى مكانه الاصلي بعد أن قاس موضعه بخيوط قديمة قيس بها ، هذا مع العلم بأن عمر هو الذي نصب معالم الحرم كلها بعد أن بحث عن ذلك .

— وقيل بسبب نقله ان سيلا نقله من مكانه اليوم إلى بعيد أسفل مكة فكتب بذلك إلى عمر (وهو في المدينة) فجاء بعمرة في رمضان واستثبت من مكانه ورده اليه على المقياس الذي كان المطلب بن أبي وداعة السهمي قد اخذ قدره على موضعه إلى ركن وإلى باب الحجر وإلى زمزم بمقاط حفظها في بيته واحضرها لعمر من ارسله فمدها فوجدها مستوية إلى موضعه المعروف اليوم وسأل الناس وشاورهم بعد ما استثبت ذلك وحق عنده وحينئذ اعلم ببناء ربضه تحت المقام ثم حوله إلى مكانه اليوم .

— وقال ابن حجر في الفتح (ج ٨ ص ٢٩) اخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عينية قال : (كان المقام في سقع البيت في عهد رسول الله ﷺ ، فحوله عمر ، فجاء سيل فذهب به فرده اليه) .

— وذكر ابن كثير في تفسيره وصححه ان البيهقي أخرج من طريق ابن ثابت (وهو من شيوخ البخاري) عن الداوردي عن هشام بن عروة

عن عائشة رضي الله عنها ، ان المقام كان زمان رسول الله ﷺ وزمان أبي بكر رضي الله عنهملتصقاً بالبيت ثم أخره عمر رضي الله عنه .

وعلى هذا اقوال أئمة مكة عطاء ومجاهد وابن علنيه .

ثالثاً — حاجة الناس « ان ضرورة توسعة المطاف حول الكعبة للطائفين بها قد دعت لبحث تغيير مكان هذا المقام .

١) للضرورة (مع اقبال الناس وازديادهم في عصرنا بسبب المواصلات واسباب الحج من يسر وما إلى ذلك) .

٢) لتقديم أمن الحجاج بطوافهم على العاكفين والمصلين حول الكعبة حسب ترتيبهم بقوله تعالى « وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السُّجود » (الحج) ، وتكرار ذلك توكيد له بقوله : « وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » .

٣) وان من مقتضى التطهير رفع كل عائق يمنع الحجاج اليهم من أداء عبادتهم ، ويلزم عند التعارض بين مصلحة الطواف والعكوف والقيام والصلاة ان يقدم النظر بحسب مراتب التقدم في هاتين الآيتين الكريمتين ، وان مصلحة الطواف هي المقدمة أولاً بتوسعة المطاف منعاً للزحام واضراره مع ازدياد الحجيج عاماً فعاماً .

٤) لأن المقام كان لصق الكعبة عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ثم نقل إلى مكانه اليوم .

رابعاً (شروط نقله) - ولهذا يجري الحكم نفسه مع ملاحظة شروط لا بد منها : أن يبقى في المسجد أقرب مايمكن إلى الكعبة المشرفة وعلى سمت موضعه الأول فهو مصلى ركعتي الطواف ويصلي الامام ندباً أمامه أو خلفه كما جرى العمل على ذلك ، غير أن كثرة الناس وتضايق ما خلف المقام أبقي العمل على اختيار وقوف الامام قدام المقام ، ويظل في حال التوسعة على مثل ذلك ويظل بهذا ميسراً لانتقال من يطوف إلى صلاة ركعتيه .

ولا نكران أن حاجة التوسعة لامفرّ منها ، وهي جائزة فوق الأرض وتحتها .

في المجتمع

رحم الله عبد الله عبد اللطيف العثمان

● عرفته في السنوات الأخيرة من حياته ، بخلق سمح ومجلس رصين وبما أفاء الله عليه فعرف للنعمة حقها شكراً وبذلاً وكرماً .

وكان له من خلق التجارة صدق ، وحساب دقيق ، حتى إذا كان موطن للعطاء والكرم تخطى الظنون وبلغ شأوه ، وكم أثار ذلك عليه نفوساً ظنت به مطاولتها ومغالبتها في عنفوان بغيظ وسلطان ، فلم يأبه لما أصابه ، لأنه كان مؤمناً بأنه يؤدي حق الله تعالى ، فيبلغ ذلك سنوياً (كما سمعت) مليوني ليرة سورية وصدقات وبذل وعطاء يستشعر لها بواجب المروءة .

وكانت لذة البذل عنده كلذة الربح كلاهما عنده مغنم وله في ذلك موازين وبصر ، وما ازداد ببذله إلا غنى وما ازداد بماله إلا مضاعفة ولمثله يرجى ما عند الله إن شاء الله وهو خير وأبقى .

وكان في مجالسه يذكر من نعم الله نشأته واستخدامه للغير .. كما يذكر وجوب القصد في الفقر والغنى دون البذل والعطاء .

وكانت له نشأة تصله بالامامة والخطابة فلما وسع الله عليه جعل بناء المساجد الجامعة أنشودة أحلامه ، فبنى بناء يضارع ماخلده الملوك والأمراء في بلده وحيثما حل في مصيفه في بحمدون بلبنان وفي المزرعة بدمشق وحيثما يسر الله له بذلاً .

وكم اشترى عقاراً ليتقلب من موطن فساد وفسق وكفر بأنعم الله وهدايته ليجعله موطن نعمة وشكر وعبادة .

لهذه المبادىء والأخلاق والسيرة بكته قلوب وأثنت عليه السنة وأقلام ، طيب الله ذكره وأجزل مثوبته ، وغفر زلته ورفع درجته وحشرنا وإياه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً وجعل في ذريته من يخلفه في مكارمه ، ولذويه وعارفيه أجمل العزاء ، إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الخطيب

حول الشريعة الاسلامية

● صرح السيد محمد ظفر وزير العدل وشؤون البرلمان بـــأن معهد الأبحاث الاسلامية بباكستان سيباشر قريباً إصدار سفر شامل حول الشريعة الاسلامية . وسيكون هذا السفر بمثابة مرجع أساسي للشريعة الاسلامية في المستقبل . كما سيساعد هذا السفر على صياغة القوانين طبقاً للشريعة فضلا عما سيؤديه من خدمات للمحاكم أثناء نظرها في القضايا الشرعية التي لاتوجد لها قوانين محددة في البلاد حتى الآن ...

معرض عالمي حضاري

اشتركت الجمهورية العربية السورية في المعرض العالمي المتنقل للحضارة العربية ، وكانت جامعة الدول العربية قد اتخذت قراراً باقامة هذا المعرض الذي سيطوف حول العالم على مراحل تستغرق عامين ، ويضم نماذج أثرية وفنية من كل قطر عربي ليمثل الوجه الحضاري والوحدة الحضارية للوطن العربي .

وقد اختارت المديرية العامة للآثار والمتاحف مجموعة كبيرة من الآثار الهامة ارسلتها إلى القاهرة لضمها إلى المعرض المذكور في مقدمتها نماذج

من الفرع العربي والاسلامي ونسخة من أبجدية رأس شمرة ، ونماذج من الفن الشرقي القديم ، ونماذج من الفرع اليوناني - الروماني للآثار ، ومجموعة من الأزياء الشعبية والصناعات اليدوية يضاف اليها صورة فوتوغرافية عن التطور الحديث للقطر السوري .

وقد توجه الى القاهرة العليم نادر العطار محافظ متحف دمشق لمرافقة الآثار السورية والاشتراك في تنسيقها وعرضها ضمن المعرض المتنقل ولمرافقتها خلال الرحلة الأولى من جولة المعرض عبر العالم ، وعلم ان المديرية العامة للآثار والمتاحف ستوفد في كل مرحلة من هذه الجولة احد الموظفين المختصين لمرافقة المجموعة الأثرية لاتاحة الفرصة امام أكبر عدد منهم للاطلاع على أحدث طرق العرض الاثري والاحتكاك مع المتاحف العالميـــــة .

وتجمع في القاهرة القطع الاثرية الواردة من الاقطار العربيـة برسم الاشتراك في المعرض ، وبعد ذلك تجري تجربة عرضها مجتمعة في مقر الامانة العامة لجامعة الدول العربية ودراستها من النواحي الفنية والعلمية لتقويم المعرض واستكمال أسباب نجاحه . قبل بدء رحلته في تشرين الأول ١٩٦٦ انطلاقا من القاهرة .

المركز الاسلامي في واشنطن

نشرت الأخبار في عددها ٢٥ مايلي :

● انهى العليم علي حسن عبد القادر ، عضو المجلس الأعلى لجامعة الأزهر والمدير الحالي للمركز الاسلامي بواشنطن عامه الحافل الأول في هذا المنصب .

فقد ركز العليم عبد القادر اهتمامه وانتباهه خلال ذلك العام على مشروعين كان يعتبرهما بمنتهى الأهميه بالنسبة لحياة المركز ونموه ، وهما : اصدار نشرة ربع سنوية تحتوي على دراسات اسلامية ، وكذلك انشاء معهد للدراسات الاسلامية في المركز .

وقد قطع هذان المشروعان أشواطاً بعيدة تجاوزت مرحلة التخطيط ، فسيصدر العدد الأول من المجلة في أواخر عام ١٩٦٦ ، كما سيتم تدشين المعهد الاسلامي المقترح انشاؤه خلال عام ١٩٦٧ . وقد كان العليم عبد القادر خلال هذه الفترة على اتصال بعدد من الجامعات الأمريكية للوقوف على وجهة نظرها وشعورها حيال المعهد المقترح ، كمركز للبحوث والدراسات العليا وسينظم هذا المعهد حلقات دراسية ومحاضرات يشترك فيها علماء من العالم الاسلامي واخصائيون من الجامعات الأمريكية . وخلال عامه الأول - كمدير المركز الاسلامي بواشنطن — قام العليم عبد القادر بجوله في انحاء الولايات المتحدة .

ويقول العليم عبد القادر ان مفهومه للدور الذي يلعبه المركز الاسلامي في واشنطن هو ليس فقط دينياً بل وثقافيا أيضا ، ولذلك فان أحد أهدافه الرئيسية كمدير للمركز هو رفع المستوى العلمي فيه كمركز للثقافة الاسلامية في الولايات المتحدة . وهو يعتقد أنه بهذه الطريقة سيتمكن المركز من الاسهام مساهمة فعالة في ايجاد تفاهم مشترك بين الولايات المتحدة والعالم الاسلامي .

أثرياء اليهود : ان هؤلاء الذين يمدّون الفساد ودولة العصابات يبلغون في الولايات المتحدة — حسب بعض الاحصاءات — ربع أصحاب الملايين فيها ، وان في ذلك ما يحدو بأثرياء العالمين الاسلامي والعربي إلى السخاء في مقاومة الصهيونية وما اليها . (قلم المجلة)

رحلات الفضاء

● نشرت (الأخبار) في العدد ٣٣ خلاصات هامة عن رحلات سفن الفضاء قالت :

لقد أظهرت الرحلات الأمريكية على متن السفن الفضائية من نوع جيمني جميع الخطوات الفنية الصعبة لانزال رجل على سطح القمر .

فالرحلات العشر التي تمت حتى الآن - اثنتان منها لم يقدها ملاحون، والأخرى قاد كلا منها ملاحان - قد حققت جميع أهداف برنامج جيمني . كما أنها قد تعدت الحدود الضيقة لتوفير معلومات عملية وخبرة حول الرحلات الفضائية التي يقودها ملاحون واللازمة لرحلة القمر المقرر تنفيذهـا في في عام ١٩٦٩

فرحلة جيمني ١٠ ، مثلا ، حققت انتصارات كان من شأنها ان قربت يوم إقامة « محطات فضائية للوقود » و « محطات فضائية للقوى الكهربائية » التي من شأنها أن تساعد في دفع السفن الفضـائية خارج المدار الأرضي إلى الكواكب البعيدة . كما أثبتت أيضاً المنشآت الفضائية الكبرى التي كانت قد أطلقت أجزاءها على حدة ، انه من الممكن جمعها في المدارات .

أما أهداف برنامج جيمني التي أعلنت في عام ١٩٦١ فهي : ١ — لقاء وارساء السفن الفضائية أثناء دورانها ، ٢ — رحلات فضائية يقودها ملاحون وتستغرق وقتاً طويلا .

وبحلول شهر آذار (مارس) ١٩٦٦ تم تحقيق هذه الأهداف . فرحلات جيمني الست (الثالثة حتى الثامنة) قد أثبتت انه بمقدور الانسان القيام بمناورة

على متن سفينة فضائية ، وتحويل خط دورانه ، والسير خارج السفينة الفضائية ، وتحديد مكان وملاحقة وربط سفينة بأخرى ، وتحمل رحلات طويلة ، يبلغ طولها ضعف رحلة الذهاب والاياب الى القمر ، دون أن تحدث أي تأثير مرضي على الملاحين .

فيما يلي بعض المنجزات التي حققتها رحلات جيمني التي تفوق متطلبات أبولو ، أي مشروع الرحلة الى القمر :

— إطلاق صاروخين توءمين في أوقات محددة بشكل دقيق . ان مشروع أبولو لا يتطلب مثل هذه العملية الدقيقة حيث يحمل الصاروخ ساتورن ٥ الجبار كل شيء لازما لرحلة القمر .

— رحلة فضائية استغرقت ١٤ يوماً دون حدوث أية اثار فعل سيئة على صحة الانسان أو على مقدرته في العمل . وفتره الرحلة الى القمر ذهاباً وإياباً والتي تستغرق سبعة أيام .

— تحقيق موعد لقاء دون استخدام الرادار أو أية اجهزة ملاحية . فالسفينة القمرية ستكون مزودة كلياً بأجهزة خاصة وجهاز الكتروني مطور لقيادتها وبمقود ملاحي لتسييرها تلقائياً ، مما يتيح المجال امام الملاحين للقيام بأعمال أكثر أهمية .

— السير في الفضاء بما في ذلك القيام بأعمال مفيدة . أما رحلة القمر فلن تتطلب السير خارج السفينة .

وخلال تحقيقهم لأهداف برنامج جيمني تمكن الملاحون الأمريكيون من جمع ثروة هائلة من المعلومات . أما الاختبارات الثانوية التي تمت على متن السفن من نوع جيمني فقد كان من شأنها ان حسنت المعلومات حول الفضاء وافتتحت حقولا جديدة في مجال التصوير .

فالصور الفضائية التي التقطها ملاحو الفضاء كان من شأنها أن وفرت المعلومات الجديدة حول التكوين الجيولوجي للأرض. وحددت التصدعات الجيولوجية التي لم تكن اسبابها معروفة، وأماطت اللثام عن المصادر المعدنية وغيرها . وأوضحت صفات قاع المحيطات العميقة، وكذلك وضعت مخططا لأنواع الطقس .

أما السفينة الفضائية جيمني ١٠ فكانت الرائدة في التصوير الكوكبي بحيث أرسلت صورا للنجوم « الحارة » (وهاجة وصغيرة) التي تنبعث منها الأشعة فوق البنفسجية، وبما أن هذه الأشعة يمتصها جو الأرض فلم تتمكن أية آلات للتصوير أرضية من تسجيل اية معلومات عن هذه النجوم .

وفيما يلي قائمة برحلات جيمني الفضائية التي قادها ملاحون فضائيون :

جيمني ٣ بقيادة الملاحين فيرجيل جريسوم وجون يونج وهي أولى الرحلات الفضائية الأمريكية التي يقودها ملاحان وتمت في ٢٣ اذار (مارس) ١٩٦٣ ودارت ثلاث دورات حول الأرض .

جيمني ٤ قام الملاحان جيمس ماكديفت وادوارد هوايت بأول المناورات الفضائية خلال هذه الرحلة، وقام هوايت بأول نزهة فضائية، تمت خلال رحلة ٣ - ٧ حزيران (يونيو) ١٩٦٥ .

جيمني ٥ استغرقت الرحلة ٨ أيام — ٢١ — ٢٩ آب (اغسطس) ١٩٦٥

هبوط — كبسولة السفينة الفضائية جيمني ١٠ وداخلها الملاحان جون يونج ومايكل كولنز تهبط بواسطة المظلة نحو مكان ما في المحيط على بعد ٨٠٠ كيلو متر شرقي ولاية فلوريدا. وقد تم هبوطها على بعد بضعة كيلومترات من سفينة الانقاذ جواديلكانال وذلك بعد رحلة استمرت ثلاثة أيام قامت جيمني خلالها بـ ٤٣ دورة وحققت نزهة فضائية وعمليتي ارساء ولقاء الخ . (قلم المجلة)

جزا



مجلة إسلامية علمية أدبية

تصدر بدمشق عن

جمعية التمدن الاسلامي

جمادى الآخرة ١٣٨٦ هـ

تشرين الأول ١٩٦٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

بمناسبة ذكرى الإسراء

من الخير أن يحتفل المسلمون بذكريات الاسلام ، وفي مقدمتها معجزات الرسول عليه وآله الصلاة والسلام ، ولكن من المفضّل أن تكون احتفالاتهم بالذكريات ذاكرةً حقائقها . واعية توجيهاتها ، متسائلةً ـ بالمناسبة ـ كيف يعالج على ضوئها الواقع الأليم الذي يحياه المسلمون في كثير من جوانب . حاضرهم المرير ، وبذلك تصبح الحفاوة يقظة ، ويغدو الماضي الموّجه حاضراً جديداً لا يعيش في الكتب بل يعيش في الحياة ، فينبذ التقليد الحضاري الأعمى الذي تأخذ به بعض الشعوب حيناً ، ويُفرض عليها حيناً آخر ، لا لأنه الأفضل حتماً ، ولكن لأنه في حقيقة أمره تعبير عن نزوع الضعيف الغافل ـ الذي لا يعرف رصيده لحياته من عقيدته وتاريخه وإمكانياتها ـ إلى تقليد القوي المسيطر في حياته الخاصة وما اليها بغير علم ولا هدًى ولا كتاب منير .

أرأيت إلى الطفل أو الشخص البدائي كيف تستميله المظاهر البراقة ولو كانت جمراً محرقاً فيؤثرها على مافيه غذاؤه ووقاؤه ودواؤه ؟ كذلك شأن المقلد الأعمى فرداً كان أو جماعة إذا كان لا ينفذ الى أعماق القضايا فيما يأخذ وفيما يدع من شؤون الحضارة ، ولا يقدر على طرح مشكلاتها على مائدة التشريح ليعمل مبضعه في أنحائها بحثاً ودرساً ، ويقف من بعدُ على أبعادها وأغوارها ، وخصائصها ، ومحاسنها أو مساوئها وعلاجاتها ...

هذه هي أظهر مساوئ المسلمين في نهضاتهم الحضارية ، نجد من عواقبها الخلط ـ فيما يُؤخذ غروراً وجهلاً وتقليداً ـ بين صناعي مثلاً صالح للانتقاء ، وروحي أو خلقي أو اجتماعي جدير بأن ينبذ نبذاً ويطرح طرحا .

أحمد مظهر العظمة

فوائد العبادات

للأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار

قال لي قائل : لايخفى أن هذا العصر هو عصر مادة وقوة ، فما فائدة العبادات في معترك الحياة العملي ، والجهاد القومي ؟

فأجبته بأن من سبر غور الاسلام ودرس حكمة العبادات علم أن جميع التكاليف الشرعية ، من روحية وبدنية ، ومالية مبني على درء المفاسد وجلب المصالح :

فالصلاة الروحية البدنية التي هي فرض عام على كل مكلف ، تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وأشد الفواحش والمنكرات فتكاً وهتكاً ، هي الخمر والميسر والزنا والربا والانتحار ، فكثير ممن أضاع الصلاة واتبع الشهوات وقع في هذا التيار الذي أسلمه إلى الجنون أو المنون ، فكان ذاك من أشدّ المصائب على الوطن .

والصيام الذي يدعو إلى إمساك المعدة عن الطعام ، وسائر الأعضاء عن الآثام ، وصرف جميع القوى والمواهب فيما خلقت له ، يُعلِّم الثبات على خُلق (مبدأ) قويم لامحيد عنه ، فالصائم الذي يغلب عقله شهوته ولا يخون دينه بالأكل نهاراً ، سراً أو علانية ، لايمكن أن يخون وطنه أو يُخدَع في أمره فيبيعه بثمن بخس من غير أهله .

والزكاة إعطاء نصيب معلوم من المال ، للفقراء والمساكين الذين أقعدهم

العجز عن العمل ، دون الكسالى المتسولين القادرين على الأكل من كسب يدهم ، فاذا حرمنا هؤلاء الأقوياء ، من أخذ الصدقات ، واضطررناهم إلى الاكتساب ، كثرت الأيدي العاملة في البضاعة والزراعة والتجارة ، التي هي مواد الثروة الأهلية ، وحفظت الزكوات والوصايا لمستحقيها ، ووزعتها عليهم جمعيات التعاون على البر والتقوى ، ذات الاختصاص بتمييز المستحقين من غيرهم ، وهذه أفضل طريقة تجمع بها الأموال من المحسنين وتنفق على الفقراء والمساكين لاطعامهم وإيوائهم وتعليم أبنائهم .

والحج أكبر مؤتمر إسلامي حر ، وأكبر نقابة في الدنيا تبحث في شؤون المسلمين ومصالحهم . وتوازن بين ماضيهم وحاضرهم . وتدافع عن حقوقهم وحرياتهم ، وتؤلف بين شعوبهم وقبائلهم ، ثم هو فريضة الاسلام والركن الاجتماعي العام الذي يربط أفراد الأمة الاسلامية بعضهم ببعض ويشده أواصر التآخي والتراحم بينهم ، وينتزع الضغن والحقد من نفوسهم فيصبحون بنعمة الله إخوانا .

مايجب على المصلحين

يجب أن يكون المنصفون من رجال الدين ، ودعاة المدنية حلقة اتصال بين المتهورين والجامدين ، ونقطة اعتدال بين الغالين والمقصرين ، فيتحرون من أساليب النصح والارشاد ما هو أدنى إلى إقناع الطرفين ، وأقوى في جذبهم إلى الحق ، وفي اطراح الجمود والتهور على حد سواء ، فانهما أهلك الأمة مثل جهل دهمائها ومتفرنجة أبنائها ، بأن دينها دين ملك وسلطان واجتماع وعمران ، وعزة وثروة وقوة ، وعلوم وفنون وصناعات ، وإني أورد شواهد قصيرة تدل على ذلك كله . مما يذكره شراح الأحاديث النبوية في كتب السنة ، وجميع كتب المذاهب في بابي الزكاة وإحياء الموات.

عن ابن عباس قال : أقطع رسول الله ﷺ بلال بن الحارث المزني معادن (القبلية) جلسيها وغوريها ، وحيث أن يصلح الزرع من (قدس) ولم يعطه حق مسلم . ـ أخرجه أحمد وأبو داود البخاري ومسلم أيضاً من حديث عمرو بن عوف المزني ـ (١) .

وفي الصحيحين والسنن من حديث أبي هريرة (ر ض) أن النبي ﷺ قال : (وفي الركاز الخمس) (٢) .

عن جابر أن النبي (ﷺ) قال : (من أحيا أرضاً ميتة فهي له) ـ رواه أحمد والترمذي وصححه ـ (٣) .

وروى أبو داود في سننه ، حدثنا محمد بن بشار ، حدثني عبد الحميد ابن عبد الواحد حدثتني أم جنوب بنت نحيلة عن أمها سويدة بنت جابر عن أمها عقيلة بنت أسمر بن مغرس ، قال : أتيت النبي (ﷺ) فبايعته فقال : (من سبق إلى ما لم يسبق إليه مسلم فهو له) أي صار ملكاً له، قال : فخرج الناس يتعادون ويتخاطون . أي كل منهم يسبق صاحبه بالخط على الأرض التي اختارها لنفسه .

هذا الحديث الذي أوردته بسنده من سنن الامام أبي داود يوضح لنا كيف كانت المسلمات محدثات راويات وكيف كانت الفتاة المسلمة تحفظ السنة

---

(١) الاقطاع : تعيين قطعة من الأرض لغيره . وليس هو الاقطاع بنظامه الاقتصادي والاجتماعي والسياسي المعروف في أوربا ، والقبيلة ناحية من ساحل البحر ، والجلسي والغوري : المواضع المرتفعة والمنخفضة من من معادن القبيلة ، وقدس : الموضع المرتفع الذي يصلح للزرع .

(٢) الركاز : مايجده المنقب في موات أو أرض لا يعلم لها مالكا .

(٣) الأرض الميتة هي التي لم تعمر شبهت عمارتها بالحياة ، وتعطيلها بالموت.

وترويها عن أمها وجدتها ، وبهذه العلوم النافعة ، كانت تعنى النساء والفتيات في عصور الاسلام الزاهية . فهل نجدد بذلك عهداً ، ونعيد لنسائنا وفتياتنا ومافقدته من تراث ديني وأدبي .

روي في شرح السنة أن النبي ﷺ أعطى عبد الله بن مسعود الدور بالمدينة ، وهي بين ظهراني عمارة الأنصار من المنازل والنخل . فقال بنو عبد الله زهرة (نكّب عنا ابن ام عبد) فقال لهم رسول الله ﷺ (فلم ابتعثني الله إذن ؟ إن الله لايقدس أمة لايؤخذ للضعيف فيها حقه) وبنو عبد الله بن زهرة حي من قريش سألوا الرسول أن يسترد من ابن مسعود ما أقطعه له ، استهانة بقربه وسآمة ، فقال الرسول : (فلم الله إذن ...) أي إذا لم أسو بين الضعيف والقوي ، وقد بعثني الله لاقامة العدل والتسوية بين الناس ، فاذا مات قوي يذبون الضعيف عن حقه ويمنعونه ، فما الفائدة من انبعاثي ؟ إن الله لايقدس أمة - أي لايذمها إذا كان لا يؤخذ للضعيف فيها حقه .

أيها الاخوة : أليست هذه الشواهد التي أوردناها لكم من كتب الحديث النبوي ، والفقه الاسلامي حججاً قاطعة على أن جميع مايقوم به جميع علماء طبقات الأرض من الحفر والتنقيب عن المعادن ، في بطن الأرض والجبال والتلال هو داخل في عموم ما أرشد الاسلام إليه ، وحث أهله عليه ، وأن مايقوم به جميع علماء الآثار والعاديّات من نبش الأرض واستثارة دفائنها ، واستخراج كنوزها التي خلفتها الأجيال الماضية والقرون الخالية ، هو ماندب الدين إليه ، وعلق وجوب إخراج الخمس عليه ، وأن علم الزراعة ، وفن الري ، وإقامة الجسور والمعابر وتشييد الدور والقصور وانشاء السكك الحديدية ، والحصون والقلاع ، هو عين ما يذكره الفقهاء في باب إحياء الموات ، ومطابق لنصوص الآيات والأحاديث السابقة كقوله تعالى : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » والحمد لله رب العالمين .

محمد بهجة البيطار

معاملة الناس التجارية

للأستاذ الشيخ محمد أمين الطاهر ★

الحمد لله رب العالمين ، أستغفره وأستعينه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد سيد الأولين والآخرين ، وعلى صحبه وآله والتابعين .

أما بعد ، فقد قال الله رب العالمين ، (وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله) في هذه الآية يحل الله تعالى لعباده كسب المعاش ويحثهم عليه .

فالكسب ضرورة فطرية وفريضة دينية ليعف المرء نفسه وعياله عن الحاجة والتطلع إلى أموال الناس ، ويحوز شرف العمل ، ولئلا يكون عالة على غيره ، ذليلا في مجتمعه ، غير ان الناس بسبب حاجتهم إلى الكسب أعرضوا عن المثل العليا الواجب الأساسي وآثروا كسب المادة بأي سبيل وبيء منحط قذر .

أخرج الطبراني عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال ، مر على النبي ﷺ رجل فرأى أصحاب رسول الله من جلده ونشاطه ، فقالوا يارسول الله لو كان هذا في سبيل الله فقال رسول الله (إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله ، وإن كان يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله ، وإن كان يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان) .

★ المجلة : هذا خطاب ألقاه على منبر الجامع الصلاحي بنابلس ، وقد بسط الموضوع ليفهمه العامة ، وما أحوجهم إلى مثل هذا التوجيه الالهي والنبوي.

وأن أفضل أنواع الكسب التجارة وهي تبادل السلع بالبيع والشراء ، ولئلا تضيع جهود المرء ، ولا يكون مؤاخذاً ، فلا بد من مراعاة آداب التجارة المشروعة .

فيجب أن يكون رأس مال التاجر والصانع وأدوات العامل والمزارع وبذاره حلالا ، فلا يحل البيع والشراء بأموال مكتسبة بطرق غير مشروعة كالأموال المغصوبة والمسروقة ، ولا يحل البيع والشراء بالنجاسات والميتات والتماثيل وما إلى ذلك ، ولا يحل صنعها ، وكل ما حرم أكله حرم بيعه ، وكل ما حرم بيعه حرم ثمنه .

ولا يحل أن يقع في البيع والشراء والصنعة غش بأي لون ، سواء أكان الغش بالجنس أو النوع أو القدر أو الثمن أو الجودة والرداءة ، فلا يغتنم البائع جهل المشتري فيكتم ما في المبيع من العيوب ولا يغتنم المشتري غفلة البائع فيكتم ما في الثمن من العيب أو النقص ، وكل ما يقع من غش فهو كسب خبيث ، ومنه حرام مهما كان يسيرا .

أخرج الطبراني عن رسول الله ﷺ (من غشنا فليس منا ، والمكر والخداع في النار ويحرم تطفيف الكيل والوزن ، ويحرم نقص المذروع والعدد في المعدود ، فكما يأخذ الثمن كاملا يجب عليه دفع الحق كاملا ، فمن حاد عن العدل فله العذاب والويل .

قال تعالى: ﴿ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ ، ويندب للبائع أن يقبل رد المبيع من المشتري ان رده ندما .

مثلا اشترى رجل شيئاً ما بثمن معتدل بلا عيب ولا غش ، وبما

أنه فقير أو تبين أنه غير محتاج اليه ندم على شرائه فرده للبائع فليس للبائع استرجاعه ولا يجب عليه وهذا مايسمى إقالة .

أخرج ابن حبان عن رسول الله ﷺ قال (من أقال مسلماً بيعته أقال عثرته يوم القيامة) .

أما إذا كان رد المبيع لعيب وغش فهو واجب شرعاً ، وإن كان الثمن فيه غبن فاحش فالمشتري في الخيار بين أن يرد المبيع ويسترد الثمن وبين أن يبقى المبيع ويسترد الزيادة التي أخذها البائع .

ويسن للبائع أن يقصد بتجاوزه الربح للتعفف والاستغناء عن الغير والتيسير على الناس وسد حاجاتهم ، ولا ينبغي أن يقصد الاستكثار من المال واستغلال الآخرين .

كما يجب على المشتري ألا يبخس في ثمن المبيع ولا يحل له أن يخترع العيوب للمبيع للتنفير منه ويسن له ألا يتشدد في المساومة والفصيلة كما يفعله أكثر الناس ، ويكذبون على الرسول الكريم وينسبون إليه كذباً فافصل حتي يعرق جبينك . وقد روى البخارى عن رسول الله ﷺ قال : (رحم الله عبداً سمحاً اذا باع سمحاً إذا اشترى سمحا إذا اقتضى) .

ولا ينبغي للتاجر والعامل والمزارع أن يشغله معاشه عن معاده فيفرط في الواجبات فيتركها ويستبيح المحظورات فيكون عمره ضائعـــاً وصفقته خاسرة ، قال الله تعالى (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلوات وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) ويسن للمرء أن يكتب ويسجل المعاملات المؤجل ثمنها ، ويجب أداء الدين عند حلول أجله ، ولا يحل تأجيله لمن كان قادراً عليه .

أخرج الشيخان عن رسول الله ﷺ قال (مطل الغني ظلم) أما

إذا كان المدين معسراً فيسن أن يقبل الميسور ويؤجل الباقي وجوباً ، وإن لم يتيسر شيء مع المدين فيجب على الدائن إنظاره لوقت اليسار ، ولا يحل تعنيفه وتقريعه إن كان صادقاً ، وإن سامحه كلا أو بعضاً فهو المسنون وهو الخير ، قال تعالى : (وان كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون) .

كما يسن للمدين أن يكون حسن القضاء لايكلف الدائن السعي ليتقاضى منه دينه ، وأن يؤدي ماعليه قبل حلول الأجل إن كان ميسوراً تبرئة لذمته قبل الموت الذى قد يطرأ عليه .

ويسن المدين أن يؤدي خيراً مما عليه ، ويزيد الدائن جزاء على معروفه ، وليس هذا من قبيل الربا لأن الربا زيادة مشروطة عند العقد ، وهذه زيادة غير مشروطة ، وإنما تبرع مقابل معروف الدائن وديننا دين شهامة ومروءة ، فقد اشترى رسول الله ﷺ من جابر بن عبد الله ابن حرام بعيراً في تبوك بمثقال من ذهب ، وشرط جابر على رسول الله أن يركبه إلي المدينة ، فلما بلغها ربط البعير على باب المسجد ودخل إلى رسول الله ﷺ ليسلم البعير ويقبض الثمن ، فأمر رسول الله خادمه أنس بن مالك أن يدفع له مثقالا ويزيده نصف مثقال ، ثم وهب له البعير أيضاً .

ويجب الوفاء بجميع العقود المشروعة ويجب العمل بمقتضي الشروط المتفق عليها إن كانت مشروعة ، ولا يحل الغدر وعدم الوفاء مهما ارتفعت الأسعار وانخفضت ، ومهما عرضت للمرء عقبات ، فليس ذلك كله مبرراً للغدر وعدم الوفاء ، قال الله تعالى : « ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها » وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وقال عليه الصلاة والسلام

« المؤمنون عند عهودهم » فالغدر يولد الفساد والشر ويقطع التعاون ويضيع الثقة ويحط المكانة ، والوفاء ثمرة الأمانة والمروءة والصدق والاخلاص ، قال الله تعالى : « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا » وأما قول بعض الناس ألف قلبه ولا غلبة ، فهذا من شأن المنافقين ، لا من شأن المؤمنين .

فاتقوا الله معشر المسلمين ، واسلكوا في حياتكم وكسبكم سبيل الصدق والاخلاص والأمانة لتسلموا من الشر والعذاب .

أخرج الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وأخرج الطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ (أخبركم بمن يحرم على النار ومن تحرم النار عليه ؟ على كل قريب هين سهل لين) قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم »

نابلس : محمد أمين الطاهر

عالم شيطان

إن كان العالم ... يدعو إلى الشر ويفتح للعامة أبواب التأويلات والرخص ، ويلقنهم المخادعات والحيل التي يخرجون بها من الحقوق التي عليهم ، ويتوصلون بها إلى أخذ حقوق الناس ، فهو شيطان مارد وفاجر معاند لله ورسوله . فقد استخلفه الشيطان وجعله نائباً عنه في الفتنة والضلالة والاغواء ..

(النصائح الدينية) ص ٥٥ للامام عبد الله الحضرمي

القرآن الكريم ودوران الأرض

للأستاذ ياسر نصري

في القرآن العظيم آيات كثيرة للمتدبرين المتأملين، تلفت الأنظار إلى حقائق علمية قبل أن يكتشفها العلماء، ومن ذلك مما يتعلق بالأرض ودورانها قوله تعالى : (ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وان الله بما تعملون خبير ؟!!) (٣١ : ٢٩) .

(ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) (٣١ : ٣١) صدق الله العظيم ...

واقد ثبت من القرآن ان الأرض كروية ، قال تعالى : (والأرض بعد ذلك دحاها ، أخرج منها ماءها ومرعاها) (٧٩ : ٣٠ و ٣١) وهذا التعبير والوصف القرآنيان هما أصدق نعت لوصف لشكل الأرض وعوامل الحياة فيها ...

أما دوران الأرض فيثبته بالاضافة إلى الأدلة الجغرافية حدوث الليل والنهار، ومما في القرآن الكريم وقوله تعالى : (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) (٢٧ : ٨٨) فضلاً عن آيات تصرح بمشرقين ومغربين ومشارق ومغارب.

وإذ ثبتت كروية الأرض فمن البدهي مع دورانها حدوث الليل والنهار فاذا عرضت كرة لنور الشمس يبقى نصفها البعيد مظلماً وينار القسم المواجه للشمس أي النهار . وإذ لا يبقى الليل ليلاً والنهار نهاراً فان دخول أرض الليل في أرض النهار صباحاً وولوج أرض النهار في القسم المظلم

من الليل مساءً يدل على دوران الارض ، ويثبت ذلك قوله تعالى الذي تقدم (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر) لينير أرض الليل والنهار ، وقوله تعالى : (كل يجري إلى أجل مسمى) فتحدث الأشهر والفصول الأربعة وتعلمون عدد السنين والأيام . أي جعل الشمس ساعة وتقويماً والقمر قدره منازل ، ليعلمنا عدد الشهور . وهذه الساعة مضبوطة بحيث لاتفرق مدة دورانها دقيقة واحدة في العام . وإذا كانت الارض تدور دورة رحوية من الغرب إلى الشرق لحدوث الليل والنهار فانها تدور دورة سنوية حول الشمس في كل عام واحد كامل ، وكما ان القمر يدور دورة كاملة حول الأرض كل شهر قمري ، فان الشمس تسير نحو البرج الجاثي على ركبتيه بمدة ستة أشهر ذهاباً وستة أشهر إياباً إلى أجل مسمى ، قد يكون الساعة ، إذ قال إبراهيم الخليل إلى النمرود وهو يحاوره :

« إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر » (٢ : ٢٥٨).

وإذا كان القرآن قد علمنا كروية الأرض ودورانها منذ ١٤ قرناً ونيف فانه علمنا قانون ارخميدس منذ نزوله على قلب حبيبنا محمد عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى منبها فينا الاستقراء وحب الاستطلاع : « ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله . . ؟ »

فالهواء الذي يدفع شراع السفن هو نعمة الله . كما أن الهواء الذي يضغط على مياه البحر ويثقلها لتحمل على سطحها آلاف أطنان الحديد الذي تصنع منها السفن والبواخر والبوارج وحاملات الطائرات وناقلات البترول ، فلولا الجاذبية الأرضية وثقل الماء وثقل الهواء (الضغط الجوي) الذي

يعادل ثقله على سطح كل سنتيمتر مربع من مياه سطح البحر كيلو غرام و ٣٣ غرام وباستطاعته رفع عمود من الماء ارتفاعه ١١ متراً في تجربة توريشللي كما يرفع مياه الآبار في أنابيب المضخات المائية: كل هذه الفوائد سببها نعمة الله الهواء النسيمي وضغطه الجوي (ثقله) وقال تعالى في نهاية آيه (ألم تر أن الفلك ... ليريكم من آياته ، إن في ذلك لآيات (براهين) لكل صبار شكور) صدق الله العظيم .

(ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى وانه على كل شيء قدير) (٣٩:٤)

ما أجمل هذه الآية الكريمة .. فهي تثبت ان الماء أساس الحياة ، وجميع التفاعلات الكيمياوية (وجعلنا من الماء كل شيء حي) الأرض ميتة : تراب يحوي معادن صلبة وأملاحاً وجراثيم النترجة ، فاذا هطل عليها ماء المطر أو جرى فوقها ماء النهر أو البئر سقيت من ماء ، اهتزت ، أي تحركت ، أي دبت فيها الحياة والحركة فذابت الأملاح وانتفخت بذور النبات وشربت غذاءها الذائب فأنبتت رشيماً يتحول إلى مختلف الأشجار والزرع من كل زوج (ذكر وأنثى) بهيج الشكل والأزهار والثمار، ونشطت جراثيم الأرض والنترجة لتحويل الفضلات المضوية إلى أغذية مفيدة للنبات وسلبت جراثيم النترجة آزوت الهواء وقدمته هدية للنبات لقاء إطعامها بعض غذائه على شكل تعاوني قبل أن يفكر فيه الانسان . والنبات يقدم لنا الغذاء بشكل عجيب . نعطيه زبلاً فيعطينا سكراً وثماراً ونشاء ورحيقاً وعسلا ، نقدم له نشادر البول فيحوله إلى أريج الأزهار الفواحة وعطراً ، وهذا يثبت لنا ان الذي أحيا الأرض بالماء بعد موتها وأحيا البذور والجراثيم بالماء لقادر على إحياء الموتى دون ريب .

أحمد ياسر نصري

المهلبيون

للأستاذ احسان النمر

قبيلة الأزد ومهاجرها :

الأزد قبيلة يمنية تنتمي إلى كهلان الفرع الثاني من قحطان ، كانت في اليمن تنزل السراة ، وبعد تصدع السد هاجرت وانقسمت إلى ثلاث فرق : فرقة نزلت في عمان ظلت تحتفظ باسمها والثانية يثرب ، (الحجاز) ، وقد عرفوا بأبناء قيلة (الأوس والخزرج) وقد عرفوا في الاسلام بالأنصار ، وثالثة نزلت على ماء غسان فعرفوا بالغساسنة ، ثم نزحوا فنزلوا في الشام وقال شاعرهم :

إمّا سألت فإنا معشر نُجب الأزد نسبتُنا والماء غسّان

نزولهم في العراق ومكانتهم :

ولما استنجد المثنى بن حارثة واستنفر الخليفة عمر بن الخطاب قبائل العرب ففريق منهم أتى إلى المدينة ، وفريق ذهب إلى العراق رأساً ، وكان من هذا الفريق قبائل عمان ومنهم الأزد فاشتركوا بالفتوح بقيادة عرفجة ابن هرثمة وباختطاط مدينة البصرة وأصبح لهم شأنهم بحيث يقفون مع أحلافهم من ربيعة بوجه بني تميم وأحلافهم من عبد القيس ، وكان منهم فرقة في الكوفة أيضاً ، ولما كان يوم الجمل كانوا عن يسار الجمل بقيادة رئيسهم صبرة بن شيمان .

وبعد تصفية يوم الجمل انضموا إلى جيش الامام علي (رض) الزاحف على صفين ، وكان رئيسهم مخنف بن سلمة الأزدي ، وقد انضمت إليه

بجيلة وخثعم وأنمار ، فأبلوا مع الامام علي كرم الله وجهه في موقعة صفين بلاء حسناً .

وفي سنة ٤٥ هـ ولى معاوية الحارث بن عبد الله الأردي على البصرة .

وقوع العداء بينهم وبين الخوارج :

كانت الأزد تساند عبيد الله بن زياد ، فلما ضويق وانسحب إلى الشام عهد بالولاية على البصرة لمسعود بن عمرو الأزدي واصطحب معه إلى الشام مائة من الأزد للحراسة . إلا أن بني تميم أبت الانقياد ، وكذلك الخوارج فقتلوا مسعوداً سيد الأزد ، فكان الأزديون يتهمون الخوارج ثم بني تميم ، إلا أن الأحنف وبعض رجال قومه حلفوا لهم وتبرءوا من دم مسعود بعد قتال ، ثم تحالفوا على قتال الخوارج . فحاربهم قبيصة بن أبي صفرة الأزدي عشرين سنة ، ثم ظهر أخوه المهلب بن أبي صفرة فتولى هو وأولاده حربهم .

ظهور المهلب واشتهاره :

كان أول ظهور أمره أنه خرج مع الحكم بن عمرو لمحاربة المرتدين في جبال الغور من بلاد الترك ، فغنموا كثيراً ، إلا أن الترك سدوا عليهم الشعاب ومنافذ الوادي ولم يمكنوهم من الخروج ، فولى الحكم الأمر المهلب ، فما زال يتربص ويحتال حتى أسر عظيماً من عظماء الترك ، فأنذره بالقتل أو إرشاده إلى حيلة تنقذهم ، فقال له التركي : أوقد ناراً حيال طريق من هذه الطرق وسير الأثقال نحوها ، فانهم سيجتمعون فيه ويخلون ما سواه من الطرق ، فبادرهم إلى طريق أخرى فما يدر كونكم حتى تخرجوا منه ، ففعل المهلب بهذا الرأي فخرج الجيش سالماً غانماً وقد غزا السند واستولى على نبتة عاصمتها ، فغنم وسلم فقال أحدهم في ذلك :

ألم ترَ أن الأزد لما بيتوا   بنبتة كانوا خير جيش المهلب

وبهذا اشتهر أمر المهلب وقدرته .

البصريون يجمعون على تولية المهلب قيادتهم لقتال الخوارج :

لما اشتغل التميميون والأزد وأحلافهم بالقتال بسبب اغتيال مسعود بن عمرو الأزدي المار الذكر ، قوي أمر الخوارج ، فانتقلوا من الأهواز إلى برية البصرة ، فتذاكر شيوخ القبائل الأمر ، وكان فيهم الأحنف بن قيس سيد بني تميم ومالك بن مسمع سيد ربيعة فأجمعوا على تولية الأمر المهلب ، فاشترط أن يكون له الغنم وأن يسندوه فلا يتأخر عنه أحد ، فقبلوا واشتغل هو وأولاده بمحاربة الخوارج المعروفين بالأزارقة الذين أباحوا قتل النساء والأطفال وتكفير سائر المسلمين . وكان المهلب متأنياً قد درس أساليبهم في الحرب فاحتاط لها جميعها ، فما زال يعمل حتى أبعدهم عن البصرة ثم قتل قائدهم نافع بن الأزرق وقطري بن الفجاءة الشجاع المشهور وتبع آثارهم في كل مكان فأبادهم .

طرق وأساليب المهلب وصبره في قتال الخوارج :

كان صبره في محاربة الخوارج من الأعاجيب ، فبعد أن أنقذ البصرة طاردهم فلجئوا إلى الجبال شماليّ العراق – معاقل الأكراد اليوم – فتحصنوا فيها وقد بايعوا قطري بن الفجاءة بالخلافة وأصبحوا يخاطبونه بأمير المؤمنين وقد ضرب النقود باسمه فتوجه عليهم المهلب بجيشه فحاربهم في سولاف ثمانية عشر شهراً لم يفز منهم بطائل . إلا أنه أثناء ذلك كان يدس الدسائس بينهم . فاختلفوا ، فظفر بهم وقتل خليفتهم قطري بن الفجاءة ثم قضى عليهم .

ومن الأساليب التي كان يتبعها في قتالهم أنه كان يعرف أساليبهم في

الحرب أنها مجرد الكر والفر ، فاذا كروا لم يتزحزح ، وإذا فروا تبعهم إلى حد ولم يتوغل فيأمن ارتدادهم . كان لا يأمنهم بحال ، فكان يحفر حول جيشه خندقاً ويمسي على تعبئة ولا يغفل عن الحراسة ليلاً لعلمه بغدرهم ومباغتاتهم ، وكان يتولى الحراسة بنفسه . وكان يجتهد في التجسس عليهم والوقوف على أخبارهم .

وكان يعتقد بأن المكيدة خير من النجدة ، فيدبر من المكايد مالا يخطر ببال ، فمن ذلك أن جيشه هزم مرة أمام الخوارج فسبق الجيش ونادى فجمع ثلاثة آلاف فأمرهم بأن يأخذ كل واحد منهم عشرة أحجار وأغار بهم على الخوارج ، وكانوا قد ألقوا سلاحهم وهم في استراحة ، فرشقوهم ألف حجر التي كانوا يحملونها فهشموهم ، ثم هجموا عليهم بالرماح والسيوف فقلبوا نصرهم كسراً ، وقد قتل في هذا الهجوم أحد قوادهم . ونهب معسكرهم فاضطروا إلى الخروج من العراق والنزول في الأهواز ، فطاردهم فخرجوا إلى كرمان ثم طبرستان وهو يتبعهم إلى أن قضى عليهم .

موقف المهلب من الخلفاء :

كان هدف المهلب القضاء على الخوارج وباشتغاله بهم انقضت جميع الفتن فنجا منها فقد اقتصرت صلته بالزبيريين على استكفائهم منه بمحاربة الخوارج لأنهم كانوا على وئام معهم ، ثم انقلبوا عليهم ، فلما قتل مصعب بايع عبد الملك بن مروان وهذا أيضاً اكتفي منه بمحاربة الخوارج وقد أمده بالأسلحة .

الحجاج يجدد الامداد والعون للمهلب :

بعد قتل مصعب ورجوع عبد الملك إلى الشام ، تراخى الناس عن إمداد المهلب وتراجعوا عنه ، فلما جاء الحجاج إلى العراق وخطب خطبته

المشهورة ختمها بقوله : « ألا وان أمير المؤمنين أمرني باعطائكم أعطياتكم واشخاصكم إلى محاربة عدوكم مع المهلب ، وقد أمرتكم بذلك ، وأجلت لكم ثلاثاً وأعطيت الله عهداً ، يؤاخذني فيه ويستوفيه مني أن لا أجد أحداً من بعث المهلب بعدها إلا ضربت عنقه وانتهبت أمواله » .

فلما كان اليوم الثالث جلس الحجاج بنفسه بعرض الناس فمر به عمير ابن ضابي التميمي وكان من أشراف الكوفة وكان من بعث المهلب فقال : « أصلح الله الأمير إني شيخ كبير زمن عليل ضعيف ولي عدة أولاد فليختر الأمير أيهم شاء مكاني أشدهم ظهراً وأكرمهم فرسا » . قال الحجاج : « لا بأس بشاب مكان شيخ » ، فلما ولى قال له عنبسة بن سعيد ومالك بن أسماء : أصلح الله الأمير ، أتعرف من هذا ؟ قال : لا ، قالا : هو عمير بن ضابي التميمي الذي وثب على أمير المؤمنين[1] عثمان وهو مقتول وكسر ضلعاً من أضلاعه ، فقال الحجاج علي به ، فأتي به ، فقال له : « أيها الشيخ ، أنت الواثب على أمير المؤمنين عثمان بعد قتله والكاسر ضلعاً من أضلاعه ؟ » فقال : « إنه كان حبس أبي شيخاً كبيراً ضعيفاً فلم يطلقه حتى مات في سجنه » . فقال الحجاج : « أما أمير المؤمنين عثمان

---

(١) لقد افتروا كثيراً على الحجاج في كتب الجمهور ونسبوا له القتلى الكثيرة بسبب أو بلا سبب وبعد دراستي لكثير من سيرته وجدت أنه ما كان يقتل إلا المفسدين وأصحاب السوابق الخطيرة الذين كانوا يفسدون في الليل ويظهرون في النهار كما شاهدنا من العصاة والثائرين الذين كانوا سبب ضياع فلسطين فليته كان لنا حجاجاً يستأصلهم ، أما القراء فقد ثبت أن لهم مطامع ، وهذا أمر يحتاج إلى تفصيل ليس هنا مقامه .

فتغزوه بنفسك ، وأما الأزارقة فتبعث إليهم بالبدلاء ، أو ليس أبوك الذي يقول :

همت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله

أما والله إن في قتلك أيها الشيخ اصلاح المصرين [1] . ثم أقبل يصعد بصره اليه ويصوبه ويعض على لحيته مرة ويسرحها أخرى ، ثم أقبل عليه فقال . « ياعمير سمعت مقالتي على المنبر ؟ » قال نعم ، قال : والله إنه لقبيح بمثلي أن يكون كذاباً ، قم إليه ياغلام فاضرب عنقه ففعل . فلما شاهد الناس قتله ركبوا كل صعب وذلول وخرجوا على وجوههم يريدون المهلب ، فازدحموا على الجسر حتى سقط بعض الناس في الفرات فأمر بعقد جسرين . وخرج بقي الناس إلى السواد وأرسلوا إلى أهليهم أن زودونا ونحن بمكاننا ، فم أتت على المهلب عشرة أيام حتى ازدحموا عليه فقال المهلب : « من هذا الذي استعمل على العراق ؟ هذا والله الذكر من الرجال . فويل والله للعدو إن شاء الله تعالى .

اصطدام المهلب بالحجاج :

واستأنى المهلب ليدرس أحوال الخوارج ويدس بينهم الدسائس إلا أن الحجاج لم يصبر فكتب إلى المهلب يستبطئه ويضعفه ويعجزه ويتهمه فقال المهلب لرسوله قل له : « إنما البلاء أن الأمر إلى من يملكه ، لا إلى من يعرفه ، فان كنت نصبتني لحرب هؤلاء على أن أدبرها كما أرى فان أمكنتني الفرصة انتهزتها ، وإن لم تمكني فأنا أدبر ذلك بما يصلحه ، وإن أردت مني أن أعمل برأيك وأنت غائب فان كان صواباً فلك ، وإن كان خطأ فعلي ،

---

(1) يعني الكوفة والبصرة .

فابعث من رأيت مكاني » .

وكتب من فوره الى عبد الملك فكتب اليه عبد الملك : « لا تعارض المهلب فيما يراه ولا تعجله ودعه يدبّر أمره » .

العهدة للمهلب بقيادة الجدود الشرقية بقية حياته :

ولما فرغ المهلب من الخوارج وقضى عليهم ولاه الخليفة قائداً للجهة الشرقية لمحاربة أتراك ماوراء النهر فأبلى في قتالهم ، وقد أطلق عليه لقب قائد قواد الأمويين . وقد صالب صاحب كش فتمكن من فتح بخارى وبلاد الأفغان حتى بلاد السند ثم عاد إلى خراسان مقر ولايته فمات في مرو سنة ٨٢ هـ . فقال نهار بن توسعة التميمي يرثيه :

ذهب المعروف والغزو والغنى	ومات الندى والجود بعد المهلب
أقام بمرو الروذ رهن ضريحه	وقد غاب عنه كل شرق ومغرب
إذا قيل أي الناس أولى بنعمة	على الناس ؟ قلنا هو ، ولم نتهيب

شهرته وصفاته :

نال المهلب شهرة عظيمة عن كفاءة حتى تجاوزت الحجاج ، وكان كريماً قصده الشعراء ، فقالوا فيه ماحسده عليه عبد الملك الخليفة ؛ فيقول للشعراء تشبهوني مرة بالأسد ومرة بالبازي ومرة بالصقر ، ألا قلتم كما قال كعب الأشعري في المهلب وأولاده :

براك الله حين براك بحراً	وفجّر منك أنهاراً كبارا
بنوك السابقون الى المعالي	إذا ما أعظم الناس الخطارا
كأنهمو نجوم حول بحر	دراري تكمل (؟) فاستدارا
ملوك ينزلون بكل ثغر	من الشيخ الشهائل والنجارا
نجوم يهتدى بهمُ اذا ما	أخو الظلمات في الغمرات حارا

وللمهلب أقوال حكيمة ذهبت مذهب الأمثال ، فمن ذلك قوله : « ما يكون السيف الصارم بيد الملك الشجاع بأعزّ من الصدق » . ومنها : « أناة في عواقبها فوت خير من عجلة في عواقبها درك » . ومنها : « الحياة خير من الموت ، والثناء الحسن خير من الحياة ، لو أعطيت ما لم يعطه أحد لأحببت أن تكون لي أذن أسمع بها مايقال فيّ اذا مت » « يابني أحسن ثيابكم ما كان على غيركم » .

وهو صاحب المثل الحكمي العملي الذي ضربه لأولاده ، فقد أمرهم باحضار رماحهم ثم أمرهم بضمها بعضها لبعض وقال لهم : أتكسرونها مجتمعة ؟ قالوا : لا ، قال : أتكسرونها متفرقة ؟ قالوا : نعم . قال : هكذا أنتم ان اتحدتم لن تغلبوا وان تفرقتم غلبتم .

غلطته تغضب الحجاج على المهلبيين :

أوصى المهلب بالولاية لولده يزيد على كره منه ، لأنه كان غير راض عن سلوك يزيد لما هو عليه من الكبر والحماقة ورغم علم الحجاج بذلك ، فانه أيد وصية المهلب ، وكذلك عبد الملك ، إلا أن الحجاج أنكر على يزيد أشياء بلغته عنه ، فأراد صرفه فخاف أن يمتنع عليه فتزوج هنداً أخته وكتب له أن يقدم بها عليه ويستخلف أخاه الفضل بن المهلب فقدم يزيد فكتب الحجاج إلى الفضل بولاية خراسان مكان يزيد أخيه ثم عزل الفضل وولى مكانه قتيبة بن مسلم .

الحجاج يحبس المهلبيون فيفرون إلى سليمان فيشفع لهم :

عزل الحجاج المهلبيين لأنهم أشاروا على يزيد باطلاق اليمينيين وإرسال غيرهم للقتل اثر ثورة . ولم يكتف الحجاج بل حبسهم ثم احتالوا فهربوا إلى الشام فنزلوا على سليمان بن عبد الملك وقد أصبح ولي عهد لأخيه الوليد فشفع لهم .

يزيد بن المهلب يحمل عن موسى بن النصير :

ولما أتى موسى بن نصير كان الوليد قد مات وأصبح الخليفة سليمان ابن عبد الملك وقد بلغته تهم على موسى بن نصير فغرمه ولم يتمكن من إيفاء الغرامة فدفعها يزيد بن المهلب وأنزله ضيفاً عليه لصداقة كانت بينهما، فهذه مبرة مذكورة ليزيد .

يزيد بن المهلب في عزة سليمان بن عبد الملك :

وظل يزيد مقرباً عند سليمان إلى أن ولي الخلافة ، فزاد اعتماده عليه وصار يوليه أمر عمال الحجاج وأعوانه يعذبهم حتى يخرجوا عن الأموال التي حصلوا عليها في عهد الحجاج .

ولما قتل قتيبة بن مسلم ولي سليمان يزيد بن المهلب على العراق وخراسان فحارب الديالم والترك زمناً طويلاً ، وقد ولي ولده مخلدا واخوته أبناء المهلب الولايات وهم مخلد سمرقند ، ومدرك بن المهلب بلخ ، ومحمد ابن المهلب مرو ، ووجه سليمان بن عبد الملك حبيباً على السند فاستولى عليها وأهان محمد بن قاسم الثقفي وكان عاملا للحجاج عليها .

يزيد في سجن عمر بن عبد العزيز :

وجه عمر كتاباً من يزيد إلى سليمان بن عبد الملك يعلمه فيه أن قد اجتمع لديه عشرون مليون درهم ، فطلبه عمر وأعلمه بالكتاب ، فأنكر وطلب إرجاعه إلى خراسان ، فقال له عمر تريد أن تعيد جمعها منهم ، لا والله لاترجع ، وأبقاه سجيناً في قلعة حلب حيث بقي سجيناً إلى أن مرض عمر بن عبد العزيز ، فرشى الحراس وعامل حلب وهرب على ميعاد مع مواليه ، أذ أعدوا خيلا وابلا ، فهرب راجعاً إلى العراق .

نكبة بني المهلب :

كنا ولا نزال نقرأ عن نكبة البرامكة من هارون الرشيد العباسي، ولم نسمع عن نكبة المهلبيين من يزيد بن عبد الملك الأموي ، ذلك فعل الدعايات . لأن البرامكة كانوا فرساً وكانوا متآمرين مع الطالبيين ، فاستغل الشيعة نكبة البرامكة لتشويه العباسيين .

أما المهلبيون فلم يكن لهم مثل هذا الوضع ، فلم تذكر نكبتهم مع أنها لم تكن تقل عن نكبة البرامكة ، إذ هذه اقتصرت على قتل جعفر وحبس ذويه ، أما نكبة المهلبيين فكانت أعظم من ذلك ، إذ قتل جميع رجالهم ما عدا ثلاثة ، فبلغ المقتولون خمسة وعشرين رجلا .

وسببها أنه كان بين يزيد بن المهلب ويزيد بن عبد الملك عداء شديد لأمور يطول شرحها ، فلما اشتد مرض عمر بن عبد العزيز خاف يزيد بن المهلب العاقبة . لأنه سيلي الخلافة يزيد بن عبد الملك ، وعمد إلى الهرب وذهب تواً إلى البصرة ، وقد التف حوله كثيرون من أتباعه ومواليه ، فاستولى على البصرة وحبس عاملها عدى بن أرطأة وأعلن خلع يزيد بن عبد الملك ، واستحكم سوء التفاهم بينهما ، فوجه الخليفة يزيد جيشاً بقيادة مسلمة بن عبد الملك ، ومساعده العباس بن الوليد بن عبد الملك ، وكان الجيش سبعين ألفاً ، فلما وصلوا إلى البصرة كانت جموع يزيد قد بلغت مئة وعشرين ألفاً ، إلا أنه وقع بما وقع به الطالبيون والزبيريون قبله من اضطراب في الرأي وفتن من الأتباع والجموع العراقية التي اعتادوها ، فغلبه مسلمة إذ انهزمت جموعه وقتل .

وتتبعهم جيش مسلمة يقتلونهم فقتلوا أبناء المهلب وأحفاده وجميع من هم في سن البلوغ فما فوق ، فكانت نكبة المهلبيين عظيمة ، وقد صودرت

أموالهم وأملاكهم . وقد رثاهم الشعراء المراثي الطويلة لاسيما يزيد.

بعث المهلبيين في عهد العباسيين :

يقول المؤرخون إن المهلبين لم يمت من صبيانهم أحد ، وقد نموا فيما بعد وظهروا فقربهم العباسيون وصاروا يولونهم الولايات ، فولى المنصور يزيد ابن حاتم المهلبي على مصر وولى المهدي روح بن حاتم المهلبي على السند والزط ، ثم لم يقم طويلا ، فرجع وولى الرشيد داود بن يزيد المهلبي على مصر إلى أن توفي .

ثم ولي الرشيد روح بن حاتم على افريقية فثارت عليه فرجع .

ثم ضعف شأنهم فلم يتولوا بل صرنا نقرأ عن بعض شخصياتهم وبينهم فترات طويلة في مواقف خاصة ، فظهر مهلبي مع صاحب الزنج ، وظهر منهم الوزير أبو محمد المهلبي وزيراً لمعز الدولة ، وقد توجه بجيش إلى عمان ليفتحها سنة ٣٥٢ فاعتل ومات ، ومنهم البهاء زهير الشاعر ، ثم لم نسمع بذكرهم .

نابلس　　　　　　　　　　　　　　　　**إحسان النمر**

التخطيط

... لئن استطاعت حركة بني العباس القضاء على الدولة الأموية في معركة الزاب ، فان هذا الانتصار لم يكن إلا بفضل التنظيم والتخطيط ، ولو كان الأمر مثل ذلك عند الخوارج أو مثيري الفتن أكثر مما هو عند بني العباس ، لآل الأمر إلى هؤلاء قبل بني العباس ...

(مروان بن محمد) ص ١٦　　　　　　　　　　سعدي أبو جيب

من روائع اقبال – ٣ – للشاعر الفيلسوف اقبال رحمه الله



ترجمة الأساتذة الأعظمي وشعلان وابراهيم

« فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية، وما أدراك ماهيه ، نار حامية . »

حتى الجحيم تشكو من وطـــأة ازحام ركام يلتحفه ركام ، وأناس وقودهم أناس، صرخاتهم المفزعة تنطق بالخوف الأكبر ، طعامهم من زقوم وظلتهم من يحموم ، وسُقوا ماء حميما وعذاباً أليما ، وإذا نظرت فلن ترى إلا سعيرا .

ويل مدبر للقاسية قلوبهم من ذكر الله وويل لمرضى الضمائر الشامخة أنوفهم رياء ، والغافلين والمتظاهرين بالتقى لخداع الأغرار الجاهلين والجاحدين حقوق الناس ، والحاجبين مواهب المعرفه عن الطالبين .

الويل لمن باع أخراه واتخذ إلهه هواه وحرم الجنة بسيئات دنياه وسدت بالخطيئة أدناه بعد ما غفت عن الحق عيناه ، حزب الشيطان وأعداء الرحمن الذين يحملون للفتنة حطب الوقود ، ويرصدون للأذي لعاب الأفاعي أذناب الاستعمار وعبيد طاغوته ، ومروجو دعايات الذين لانت ألفاظهم وقست فعالهم ، وابيضت وجوههم واسودت قلوبهم، الذين يراءون الناس ويمنعون الماعون .

هُمَزة لمزة بلغت العيون ، الذين يفرون من الدين فرار الأبرار من الذنوب ، قد هاجروا بالاثم ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله،

إذا ما أمسك الناس ثناءهم ظنوا الحياة بلا نهاية ، فكانت لهم شر بداية،
وسحروا من حديث المذكر ودعوة الأجل حتى حطم صدورهم القبر ،
ولرغم أنوفهم الحساب الوشيك يوم الحشر ، « وما ربك بظلام للعبيد » .
ظنوا جهلهم علماً ، وظلمهم نورا ، وحقهم رشدا ، وقصورهم حصونا ،
وافكارهم تنزيلا ، وخرافات قولهم إبداعا وخلقاً، وكنوزهم شفاعة الشافعين،
نسوا أن دنياهم قبرهم ، وان جباه الطغاة ستدوسها الأقدام ، وان العمائر
والدور ظلال أجداث وقبور « فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم
إلا قليلا » .

فالى « الذين هم عن صلاتهم ساهون » .
وإلى الذين تجهزوا من حياتهم بزاد المجون .
وإلى الذين ارهقوا الحياة جريا وراء عرض الحياة .
وإلى الذين أضاعوا العمر خلف سراب الأماني ، وقطعت المنايا عليهم
طريق التمني .

إلى الذين عرفوا مكانهم قرب الخراب بعد إن وهن العظم واشتعل
الرأس شيبا .

وإلى الذين استغنوا عن مثوبة الرحمن بثناء الانسان .
وإلى الذين اتخمت كلاب قصورهم المدللة ، بينما يرتفع أنين المسغبة
واللغوب من جيرانهم بل من ذوي قرباهم .

وإلى الذين سخرت مغانيهم البلوريه من أكواخ المحرومين وتشامخت
ابراجهم العاجية لتعيد إلى دنيا المظالم صرح هامان وقصر الخورنق والسدير .

لم يشقى هؤلاء ويشيدون؟ « أتبنون بكل ريع آية تعبثون» «وتضحكون
ولا تبكون » لقد شق فرهاد الجبل من أجل معشوقته « شيرين » وأسال

لها نهراً للبن ، ولكنه مات ظمآن :

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول .

إن الذين خلقوا الرزايا يوم خلقوا الألوان البراقة ليحجبوا خلفها مآربهم وأطماعهم .

إلى العلم الذي يخطو بسرعة الصوت ، وعلى أجنحة الذرة والنواة يبلغ خاتمة المطاف ، كأنما يحاول أن يسبق الأجل بسيره التقدمي .

إليهم جميعاً نوجه هذه الصرخة من حشيث جهنم وحيفها ، عسى أن يتخلصوا من نار شرورهم قبل نارها ، وليصغ الجميع إلى تلك الصرخة في غضبة اقبال .

صرخة من جهنم

هاهنا معبد يضيق زحاماً بضحايا الأطماع صرعي الأماني

ذكروا الله عند ما فقدوا الأوثان في ظلمة الوجود الفاني

ليس بدعا تعذيب من عبدوا الأصـ ـنام في مارج من النيران

انما حيرتي لهذا المصلي ماله حاد عن طريق الجنان

عله عاش بالرباء غنياً عن ثواب المهيمن الديان

وفقير يستنزف العين تسكاباً وفيضاً من النجيع القاني

يأكل الهم قلبه وهو طاو ويعاني مرارة الأشجان

ما القصور التي بدت كالرواسي تصحب الذيل في ذرا كيوان

ما القلاع التي تطاول ركن الـ ـشمس قدرا وروعة في المباني

فغرور يمحو الزمان بقاياه ويروي حديثه الملوان

وبشير العمران في هذه الدنيا نذير الخراب للعمران

شق فرهاد نهره العذب لكن عاد منه بلوعة الظمآن

هذه الحكمة التي تجمع الشهد إلى السم من فم الثعبان
والسياسات حين تطوي الرزايا خلف ستر من زخرف الألوان
والعلوم التي بها يحفر الانسان قبر الهلاك للانسان
كلها حرفة الطغاة التي لم تبتكر مثلها يد الشيطان
ليس في أرضيَ انتداب ولا استعمار أرض ولا تحكم جان
لا ولا الغادرون من دول الغرب ولا السارقون للاكفان
إنما يصلح الفرنج وقودا يا المني فاملأ بهم نيراني

الغرام في الاسلام

من العاطفة المرتفعة والعقل المرتفع ينشأ الانسان الكامل . . من لمسات الحب الهادئة وأشواق الروح العالية تتحقق إنسانية الانسان . . ولا يزال الايمان في معناه الصحيح ارتفاعاً بالروح والجسد إلى آفاق عليا فوق نوازع الأرض وغرائز الهبوط وسيظل الحب ما بقيت الانسانية شعلة وضيئه ناصعة تأخذ بيد الانسانية إلى الآفاق اللائقة بها وبكرامتها .

إن الحب طاقة نفسية ضخمة تستطيع أن توازن بين عنصري الصراع في النفس ، الخير والشر ، فتخفف حدته والحياة بدون هذا الحب لا يمكن إلا أن تكون سوقاً للتجارة أو ميداناً ضخماً للحروب ...

والاسلام حين جاء إلى هذه الدنيا لم يحاول تحويلها إلى ميدان يتحكم فيه العقل وحسب وإنما حاول أيضاً خلق نوع من التعاطف والحنان والحب و الرحمة والاحسان وتقضي الشريعة بحكمها الحق . .

البريد الاسلامي ـ رجب ـ عبد الحليم عبد الفتاح عويس

ابن خلدون

للأستاذ عبد الرحمن الباني

إن الكلام عن ابن خلدون أديباً — كاتباً وشاعراً — غير مشتهر في الأوساط العامة فقد اشتهر على انه مؤرخ وباحث جتماعي ، فلعل من الانصاف أن نذكر بهذه الناحية من هذا الرجل العظيم .★

لاجرم أن ثقافة بن خلدون ثقافة جامعة واطلاعه على اللغة العربية وأدابها واسع . ولكن عصره كان عصر تأخر في اللغة العربية ، وجدير بنا أن نرجع إلى مقدمته وإلى رسائله الرسمية الاخوانية المنشورة في مواضع شتى من تاريخه وغيره لنعرف (ابن خلدون الكاتب) ولنعرف أسلوبه الكتابي ، وأن نرجع إلى تعريفه بنفسه وما روي عنه من شعر لنرى شعره .

كانت المقدمة في أوائل القرن التاسع عشر هي الأسلوب المحتذه عند رجال النهضة الحديثة ، وهذا يرجع إلى سببين أولهما أسلوب ابن خلدون نفسه وثانيهما انه لم يطبع من الكتب العلمية والأدبية قبل طبع المقدمة إلا ما لا خطر له .

فأسلوب ابن خلدون سهل لاتكلف فيه ، يبين عن الفكرة بشكل بسيط ساذج ، كأنه يقلد ابن المقفع وإن كان بينهما البون الشاسع ، يميل في بعض الأحيان للتبسط والاسهاب ولكن كتابته مهما ارتفعت لاترتقى

★ سنتكلم في هذه الكلمة عن أدبه وأسلوبه باختصار ، أما الكلام عن آرائه فله مناسبة خاصة .

إلى كتابة القرن الثالث (كما قد يفهم من رأي صاحبي الوسيط ، وممن يطري أسلوبه كالأمير شكيب) ولا القرن الرابع ، كما أنها لا تنحط جملتها انحطاطاً شديداً كما ادعى بعضهم وبرهن على دعواه بقطعة من المقدمة ، فما استشهد به وهو الأقل لا يُحكم به على سائرها وهو الأكثر .

والرأي الحق في أسلوب ابن خلدون أقرب مايكون إلى رأي العليم طه حسين فيه إذ يقول :

« ليس ابن خلدون ذا أسلوب كتابي خاص به ... وهو يجيد التعبير عما في نفسه ... ويستطيع أن يفهم ما يقصده » .

ويجب ألا نجحد فضل ابن خلدون في مقاومته أسلوب عصره المثقل المتكلف . يقول الأستاذ الزيات : « ظهر ابن خلدون في عصر كسدت فيه العلوم ودرست الآداب ، وأزهقت الصناعة روح الكتابة فهداه طبعه إلى الرجوع بالانشاء إلى أول عهده والوقوف به عند حده فرغب عن السجع وزهد في البديع وسار باللفظ وراء المعنى » .

وسنرى رأي ابن خلدون في نفسه في أكثر (السجع والمرسل) .

وقد رأيت مما سبق أن الأدباء فريقان مختلفان أو أكثر في الحكم على أسلوب ابن خلدون فلندرس خصائص أسلوبه الكتابي لنستطيع حكماً قريباً من الصواب :

خصائص أسلوب ابن خلدون : يجب أن نفرق بين كتبه ورسائله الرسمية ورسائله الخاصة .

أسلوب ابن خلدون في كتبه خاصة أسلوب علمي لازخرف فيه . نستطيع أن نصفه في بعض الأحيان بأنه أسلوب المساواة (مساواة اللفظ مع المعنى) . لا يقصد إلى الايجاز ولا يستطيعه وإن كان يرنوا إليه ويراه

من مزايا لغة العرب ، ولكنه يتبسط تبسط العالم في إيضاح حقيقة جديدة أو دقيقة أو تبسط المعلم في بيان فكرة ولو لم تك دقيقة ولا جديدة ، وابن خلدون زاهد في التكلف ، إلا في بعض رسائله الخاصة ومقدمة كتبه ، راغب - والحمد لله - عن الصناعة اللفظية عموماً والسجع خصوصاً وله رأيه في السجع والزينة اللفظية وانتقاده إدخال أساليب الشعر في النثر .

ولذلك فأسلوبه يجري مع الطبع أكثر مما يعارضه (ولو أنه التزم السجع في كتابه لكان أتى بشيء سمج) .

ويرى الأستاذ كرد علي (أنه سيد من ترسل في المتأخرين) .

وهذه الأحكام (وأكثرها على مافي المقدمة) تسمح لنا بأن نسمي أسلوبه أسلوباً علمياً . وهو على أي حال فذ في عصره لرقي أسلوبه عن أسلوب أهل عصره ، ولخروجه عن تصنعهم وتكلفهم ، وإعلانه الثورة على ما كانوا يعملون ، وما خروجه عن عصره وثلاثة قرون قبله وثلاثة بعده بقليل بل هو عظيم وبذلك كانت مقدمته صالحة للبقاء من الوجهة الأدبية وصلة خير بين الأسلوب القديم في العهد الزاهر وبين الأسلوب الحديث في الحاضر .

أما أسلوب رسائله الخاصة (مثال ذلك رسالته إلى ابن الخطيب وأولها : أسلم عليك سلام القدوم على المخدوم ، والخضوع للملك المتبوع ، لا بل أحييكم تحية المشوق للمشوق .) شيء من الاحتفال والسجع والصنعة .

أما رسائله الرسمية فهي بين أسلوبه في كتبه وبين أسلوبه في رسائله الخاصة .

شعر ابن خلدون : أما شعره فجيد بالنسبة إلى شعر زمانه، ومتوسط

بين الإجادة والقصور — كما يقول هو — بالنسبة إلى شعر الشعراء بصورة عامة . ويعجبك من ابن خلدون أن يدرك قيمة شعره ولا يفتن به ثم يعترف بذلك ويزيدك إعجاباً أنه يتفطن إلى السبب ويضع نظرية سنتكلم عليها حين نعرض انظرياته في الأدب .

ومن جيد شعره قصيدة أنشدها سلطان المغرب ليلة الميلاد النبوي ٧٦٣ افتتحها بقوله :

أسرفن في هجري وفي تعذيبي	وأطلن موقف عبرتي ونحيبي
وأبين يوم البين ساعة وقفة	لوداع مشغوف الفؤاد كئيب

ومنها :

ياسائق الأظعان تعتسف الفلا	وتواصل الآساد بالتأديب
متجافياً عن رحل كل مذلل	نشوان من أينٍ ومسٍ لغوب
تتجاذب النفحات فضل ردائه	في ملتقاها من صبا وجنوب
إن هام من ظمأ الصبابة صحبه	نهلوا بمورد دمعه المسكوب . .
أو تعترض مسراهم سدف الدجى	صدعوا الدجى بغرامه المشبوب
هلا عطفت صدورهن إلى التي	فيها لبانة أعين وقلوب
فتؤم من أكناف يثرب مأمناً	يكفيك ما تخشاه من تثريب
حيث النبوة آيها مجلوة	تتلو من الآثار كل غريب

ويبدو لنا من هذه القصيدة أنه يؤثر الأسلوب القديم من النسيب والوقوف على الأطلال ووداع الأحباب ... وليس فيه جديد فمعناه معنى قديم (إذا عطش أصحابه شربوا من مورد دمعه المسكوب ...) ولكنه يمتاز بعاطفة صادقة إذ يقول :

(فتؤم من أكناف يثرب مأمناً . . . حيث النبوة آيها مجلوة . . .)

وفيه رقة الشاعر .

ولعل الرقة الشعرية تبدو في قصيدة أخرى هنأ بها (أبا حمو) صاحب تلمسان بعيد الفطر قال :

هذي الديار فحيهن صباحا	وقف المطايا بينهن طلاحا
لاتسأل الأطلال إن لم تروها	عبرات عينك وكفاً ممتاحا
فلقد أخذن على جفونك موثقاً	أن لا يرين مع البعاد شحاحا
إيه على الحي الجميع وربما	طرب الفؤاد لذكرهم فارتاحا

وجميل قوله : فلقد أخذن على جفونك موثقاً ...

كلمة عامة على أدب ابن خلدون : وأخيراً نستطيع أن نصف أدب ابن خلدون (شعراً ونثراً) بأنه أدب وسط لا يرتقي إلى أدب عظمائنا ولا ينحط إلى السفساف من الأدب . ولكن موضوعاته والحقائق التي أودعها أدبه تجعله خالداً على أي حال

أنهينا الكلام على ابن خلدون ـ كاتباً وشاعراً ـ والذي ارتأينا أن نجعله تمهيداً لما بعده .

أما آراؤه الأدبية فهي موضوع كلمة أخرى .

عبد الرحمن الباني



الزوجية في الإسلام

للأستاذ الشيخ محمد البشير النيفر

سبق أن نشرت (الهداية الاسلامية) هذا البحث الجامع للاستاذ النيفر المفتي المالكي بتونس) الجزأين الخامس والسادس من المجلد ٢١ كان فيها تناوله الاسلام بالاصلاح نظام الأسرة « العائلة » من ناحية الزوجية ، وانتظام الحياة الزوجية صلة متينة بنظام المجتمع .

وقد أقام الاسلام للزوجية نظاماً هو أحسن النظم وأكملها وأضمنها لسعادة البيوت ، يتجلى هذا لمن يتدبر القرآن الحكيم ، ودقق النظر فيما هدى إليه النبي ﷺ بقوله وفعله .

وموضوع الزوجية في الاسلام موضوع طويل الأذيال واسع الأودان ، وعسى الله أن يوفق إلى الكتابة فيه تباعاً حتى يتبين ما للزوجية من عناية في نظر الدين .

وكلمتنا الآن في هذا الموضوع من نواح ثلاث هي :

١ — السكون غاية الزوجيه .

٢ — بم ينتهى إلى هذه الغاية .

٣ — سعادة الحياة الزوجية .

السكون غاية الزوجية :

أرشد القرآن إلى أن السكون غاية الزوجية إذ يقول : « هو الذي

خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها » ويقول :
« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزوجاً لتسكنوا إليها » فهدى إلى
أن حكمة الله في جعل الأزواج وخلقها منا أن نسكن إليها ، لأن الانسان
يسكن إلى من كان جنسه مالا يسكن إلى من ليس منه ، وفيه ما فيه
من الارشاد إلى مكان السكون من الزوجية ، وقد فسر السكون
بالميل والأنس .

نبه القرآن على أن السكون غاية الزوجية ، ولتحقيق هذه الغاية
شرع ماشرع من أحكام :

(١) فمن ذلك أنه حرم نكاح المشركات تحريماً صريحاً يتلى علينا في
قوله تعالى : ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » وذلك أن مسافة الخلاف
بين الموحد والمشركة متسعة فالسكون الذي هو غاية الزوجية
ميئوس منه .

وإنما اتسعت مسافة الخلاف بينهما لوجوه :

أهمها أن المشركة ليس لها شريعة سماوية تدين بها وتقف عند حدود
أوامرها ونواهيها ويكون لها منها آمر بالفضائل وزاجر عن الرذائل ،
وقد غلب على المشركين إنكار البعث والجزاء ، ولذا كثر في السور المكية
محاربة أهل هذه النزعة الالحادية ، والاعتقاد الصحيح بالبعث والجزاء
يفعل - بتوفيق - الله فعله في الحمل على الخير والصد عن الشر سراً وجهراً ،
والمرأة التي تفقد هذا الوازع لايرجى منها الخير في الحياة الزوجية فلا
تسكن النفس إليها ، وقد نبهت آية البقرة الناهية عن نكاح المشركات
على أن المؤمنة خير منها « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ، ولأمة
مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم » أي ولو أعجبكم حسنها الصوري ،

لأن هذا الحسن لاينبغي أن يكون في نظر الشرعة الحكيمة ، والفطرة القويمة ، هو الغاية المقصودة في الزواج ، لأن السكون الصحيح إنما يكون لذات التربية العالية والأخلاق الفاضلة .

( ) ومن ذلك أنه حرم نكاح المتعة ، وهو أن يتزوج الرجل المرأة إلى أجل مسمى فاذا انقضت المدة فليس له عليها سبيل ، وقد حرم هذا النكاح القرآن الحكيم نفسه على ماتراه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والقاسم بن محمد ، وذلك أنه قال : « والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم » وليست المتعة من هذين في حل ولا حرم ، كما أنها لاتتفق هي والغاية المقصودة من الزوجية وهي السكون .

(٣) ومن ذلك أنه شرع الطلاق بعوض مالي تبذله المرأة ، فانها قدترغب في الفرقة لا لضرر نالها من زوجها ، وهي الحالة التي قال فيها الله تعالى: « فان خفتم أن لايقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به » بعد قوله : « ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله » ومعنى هذا أن يظن كل واحد منهما أن لايقوم بحق الزوجية لصاحبه ، فان المرأة متى كرهت الرجل حالت الكراهة بينها وبين إقامة الواجبات الزوجية ، وقصر الزوج فيما يجب عليه أيضاً فاختل نظام الحياة الزوجية بما ساءت به العشرة ، ولذلك كان الفراق خيرا « وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته » .

وقد ندب النبي ﷺ إلى الافتداء بالمال في مثل هذه الحال .

روى البخاري من حديث أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت : يارسول الله : ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين ، ولكن لا أطيقه ، فقال رسول الله ﷺ

أتردين عليه حديقته ؟ قالت : نعم .

وفي رواية ابن ماجه : والله ما أعتب على ثابت في دين ولا خلق ، ولكن أكره الكفر في الاسلام لاأطيقه بفظ .

وفي الحديث من العبرة مبلغ تأثير الاسلام في نفوس الصحابة ، فهذه جميلة بنت سلول كانت لاتطيق زوجها وتكره الكفر في الاسلام ، أي نعمة العشير ، فأفضت بأمرها إلى رسول الله ﷺ ولم تكتم شيئاً وتهيبت أن تكفر نعمة العشير وهي مسلمة ينهاها دينها عن ذلك .

بم ينتهي إلى هذه الغاية : السكون ؟

سكون الزوج إلى زوجه ، كسكون كل إنسان إلى غيره ، أقوى دعائمه التناسب بينهما في التربية والأخلاق ، وقد أشارت إلى هذا آية النور « الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات » بناء على المراد والخبث والطيب في الرجال والنساء ، وهي طريقة جمع من المفسرين ، ومن درس احوال البيوت والأسر « العائلات » وما يكون من اضطراب حبل الزوجية في كثير منها ، عرف أن من أكبر أسباب هذا الاضطراب فقدان التناسب بين الزوجية في ترتيبهما وأخلاقهما .

قد يظن أن الجمال الصورة أثراً في الميل والسكون ، ولكن من ذكر أن الجمال عارض يزول ، علم أن الميل الذي يكون بالجمال يزول بزواله ، وقد أرشد القرآن إلى أن لحسن الصورة الكفة المرجوحة إذا قوبلت بالحسن المعنوي : « ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم » .

ولكن السكون الدائم هو الذي يثمره التناسب في الأخلاق التي هي وليدة التربية ، وقد امتنّ الله كما في سورة الأنبياء على زكريا عليه الصلاة والسلام أن أصلح له زوجه فقال : « وأصلحنا له زوجه » ذهب جماعة من

المفسرين إلى أنها كان في خلقها شيء فأصلحه الله ، فلولا ما لصلاح الخلق من الصلة بهناءة العيش وسعادة الحياة لما امتن الله به على زكريا .

وقال في شأن أزواج نبينا ﷺ : عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا » فذكر من أوصافهن القنوت والتوبة والعبادة والسياحة ، وفسرت السياحة بالصيام ، وفي الحديث : سياحة هذه الأمة الصيام » .

فانظروا ما وصف الله به الأزواج اللائى يستبدل بهن أزواج النبي ﷺ ومنه الصيام ، وصلته بتهذيب الأخلاق معروفة ، ولم يذكر الثيوبة والبكارة إلا آخرا ، وقدم عليها الصفات التي أثرها في الأخلاق فحسب .

سعادة الحياة الزوجية :

وضعت الشريعة للحياة الزوجية قواعد تكون بها أسعد حياة وأطيبها ويتجلى هذا بما سنبينه مما هدى إليه القرآن تفصيلاً وإجمالا ، وضمته السنة التي تبين للناس ما أنزل الله في الذكر على رسوله ﷺ .

قرر القرآن أن للنساء من الحق مثل ما عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة ، فقال : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » قال ابن عباس رضي الله عنهما : لهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهن مثل الذي عليهن من الطاعة ، وقريب منه قول بعضهم : إن لهم على أزواجهم ترك مضارتهن ، كما كان ذلك عليهن لأزواجهن - نقلها القرطبي - .

وأدخل ابن عباس فيما للمرأة من الحق على الرجل أن يتزين لها فقال: إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي ، وما أحب أن أستنظف كل حقي الذي

لها علي وتلا الآية الشريفة ، ومعنى وما أحب أن أستنطف كل حقي أن آخذه كله .

فهذا حبر الأمة وإمام المفسرين يفهم من حق المرأة على الرجل ما سمعت بيانه ، ويكره أن يستنطف عامة حقوقه على زوجه حذر أن يكون منه تقصير فيما لها عليه من حق فيخرج عن هداية الآية الكريمة .

وأما الدرجة التي للرجال عليهن ، فمن أحسن ماقيل فيها قول الحافظ ابن كثير رحمه الله إنها الدرجة في الفضيلة في الخلق والمنزلة وطاعة الأمر والانفاق والقيام بالمصالح .

وقد وضح هذا المعنى بعض حذاق المفسرين بقوله : الحياة الزوجية حياة اجتماعية ، ولا بد لكل اجتماع من رئيس ، لأن المجتمعين لا بد أن تختلف آراؤهم ورغباتهم في بعض الأمور ، ولا تقوم مصلحتهم إلا إذا كان لها رئيس يرجع الى رأيه في الخلاف لئلا يعمل كل على ضد مصلحة الآخر فتنفصم عرى الوحدة الجامعة ويختل النظام .

والرجل أحق بالرياسة لأنه أعلم بالمصلحة وأقدر على التنفيذ بقوته وماله ، ومن ثم كان المطالب شرعاً بحماية المرأة والنفقة عليها ، وكانت هي مطالبة بطاعته في المعروف أهـ.

وقد بين هذه الدرجة قوله تعالى في سورة النساء : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم » وهي توضح للناس أن قيام الرجل على المرأة كان بأمرين :

الأول : مـــا فضل الله بعضهم على بعض ، ومن أحسن ما قيل في بيانه : مافضل به الرجال من رجاحة العقل وحسن التدبير .

قال بعض المفسرين : والحكمة في هذا التعبير أي التعبير بفضل الله

بعضهم على بعض ، دون التعبير بما فضل الله الرجال على النساء ، مثلا : إفادة أن المرأة من الرجل ،والرجل من المرأة بمنزلة الأعضاء من بدن الشخص الواحد ، فالرجل بمنزلة الرأس والمرأة بمنزلة البدن ، فلا ينبغي للرجل أن يبغي قوته على المرأة ، ولا للمرأة أن تستقل فضله وتعده خافضاً لقدرها فانه لا عار على الشخص ان كان رأسه أفضل من يده وقلبه أشرف من معدته مثلا ، فان تفضيل بعض الأعضاء على بعض بجعل بعضها رئيساً دون بعض إنما هو لمصلحة البدن كله ، لا ضرر في ذلك على عضو ما ، وإنما تتحقق وتثبت منفعة جميع الأعضاء بذلك ، اهـ من تفسير القرآن الحكيم ص ٦٨ و ٦٩ طبع مطبعة المنار جـ ٥ .

والأمر الثاني : ما أنفقوه من أموالهم .

فآية البقرة قررت أن لكل من الزوجين حقاً ، وأن الرجال على النساء درجة ، وآية النساء بينت أمر هذا التفضيل .

الا إن الحياة الزوجية تقوم على الشعور بأن لكل حقا وعليه حقا فيقوم كل بواجبه ، وعلى معرفه المفضول بما للفاضل من درجة عليه فلا يعدو طوره ، ولا يتطاول إلى ما ليس له بحق ، إن حياة كهذه الحياة لحياه سعيدة .

ومن أحسن ما يؤثر عن مفسري السلف في الدرجة التي للرجال على قول ابن عباس رضي الله عنهما : الدرجة إشارة إلى حض الرجال على حسن العشرة ، والتوسع للنساء في المال والخلق ، أي أن الأفضل ينبغي له أن يتحامل على نفسه . اهـ من تفسير القرطبي ص ١٣٥ ج ٣ طبع دار الكتب المصرية .

أي إن ذكر القرآن هذه الدرجة لا ليطغى الرجل على المرأة ،ولكن

ليتسامح ويتساهل ، وقد جمعت الآية العشرون من سورة النساء بين الوصاية بالاحسان في العشرة ، وندب الرجال أن يتحملوا من نسائهم ، وتذكيرهم أنهم قد يكرهون الشيء وهو فيه خير كثير ، قال جلت حكمته : وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » .

نهى الرجال أن يحتالوا على النساء فيأكلوا أموالهن بغير حق ، وأن يسيئوا عشرتهن .

أما أكل أموالهن بغير حق فمنه مايكون بترك الأقساط في صداق اليتيمة وهو الذي نزل فيه قوله تعالى « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء » .

فقد روى الأئمة واللفظ لمسلم عن عروة بن الزبير عن عائشة في هذه الآية ، قالت : يا بن أختي : هي اليتيمه تكون في حجر وليها تشاركه في ماله فيعجبه ما لها وجمالها فيريد أن يتزوجها من غير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره ، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن من الصداق .

ولا ريب أن الاقساط في صداق اليتيمة مما يكون له الأثر الطيب في نفسها ، وترك الاقساط مما يكون له الأثر السيء في نفسها ، ويشعرها بالضعة وسقوط القيمة في نفس الزوج وأنها عنده كالشيء الذي يتجر به ، فتسوء العشرة ، ويحل الشقاء في الحياة محل السعادة .

ومنه مايكون باسترجاع الرجل مابذل لزوجه من المال إذا عقد العزم على طلاقها لا لداع من ناحيتها من نشوز وإساءة عشرة ، ولكن لداع من قبله كأن يريد استبدال زوج مكانها ، وفي هذا جاء قول الله تعالى : « وإن أردتم

استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً ، تأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً ، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » .

نهى القرآن الحكيم أن يأخذوا شيئاً مما بذلوا من قبل وإن كان قنطاراً من الذهب ، وقبح أخذه ، والرجوع فيه ، فجعله بهتاناً وإثماً مبيناً ، وذكر الأزواج بما يصدهم عن هذا ويرغبهم عنه ، هو إفضاء بعضهم إلى بعض وما أخذ النساء منهم من الميثاق الغليظ ، ولم يأذن القرآن للرجال أن يسترد شيئاً مما بذل لزوجه إلا ما تطيب به نفساً إما في غير مقابل وهو ما أذن بأكله هنيئاً مريئاً ، وجاء فيه قوله تعالى : « فان طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » .

وأما في نظير الطلاق إذا رغبت فيه المرأة لا لضرر نزل بها من زوجها وهي الحالة التي عبر عنها بحالة أن يخافا أن لا يقيما حدود الله ، وقد مضى القول فيها .

وأما النهي عن إساءة العشرة فقد أمر الله باحسان العشرة في مثل قوله : « وعاشروهن بالمعروف » وقال : وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه » ومن الحديث : تقوا الله في النساء فان المرأة خلقت من ضلع أعوج » .

حسبنا هذا التذكير بما وضع الاسلام من القواعد لسعادة الحياة الزوجية ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ؟



الأشهر الحرم(*)

جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة إثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات : ذو القعدة وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان».

السنة اثنا عشر شهراً ، وهي السنة الشرعية المقدرة بسير القمر وطلوعه ، لا بسير الشمس وانتقالها كما يفعل أهل الكتاب ، وهذا الحديث قاله النبي ﷺ في خطبة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة ، وذكر بعده قول الله عز وجل «إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم» والمقصود من استدارة الزمان كهيئته ، أن الأشهر الحرم قد عادت إلى مواضعها على ما كانت عليه في بدئها ، وأن أسماء الشهور قد رجعت إلى أصلها وزال عنها ما قد فعله العرب بها من تأخير حرمة شهر المحرم إلى شهر آخر غير المحرم أو تسمية شهر بغير اسمه، وذكرت الآية الكريمة أن من شهور السنة أربعة حرماً بينها الحديث ثلاثة متواليات هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب، وأضاف الحديث إليه مضر لأن هذه القبيلة كانت زيد في تعظيمه واحترامه.

★ عن البريد (الاسلامي) الزاهرة رجب ١٣٨٦

وجاء في حرمة هذه الشهور أسباب كثيرة منها لحرمة الذنب فيها ولتحريم القتال فيها ، فهي كهدنة تروج فيها التجارة ، ولأنه تؤدي فيها مناسك الحج ففي ذو القعدة للسير إلى الحج وذو الحجة يقع الحج فيه ويعود الحجاج في المحرم وحرموا شهر رجب للاعتمار فيه في وسط السنة ، وان كان تحريم القتال فيها قد أبيح في غير أرض الحرم لأن الصحابة اشتغلوا بعد النبي ﷺ بفتح البلاد ومواصلة الجهاد ولم ينقل أنهم توقفوا عن القتال في أي من هذه الشهور .

كما نهى النبي ﷺ عن صيام رجب كله حتى لايكون في ذلك ابتداع أو تخصيص لم يأمر به الشرع ، كما أن بعض الناس اعتادوا اخراج الزكاة في رجب .

وهذا خطأ فالزكاة تحل عند تمام الحول على النصاب في رجب أو غيره ، كما لم يأمر الشرع بصلاة مخصوصة في رجب وعموما لم يصح في فضل رجب الا ماروي أنه ﷺ قال : اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان » وهذا دلالة استحباب الدعاء بالبقاء الى الأزمان الفاضلة ، لادراك الأعمال الصالحة فيها ، فان المؤمن لايزيد عمره الا خيراً وخير الناس من طال عمره وحسن عمله . ندعو الله أن يرزقنا حسن التبصر في شهورنا وأعوامنا ونتعظ بما انقضى من أعمارنا ونعمل صالحا فيما بقي منها ، فالآية الكريمة تنهانا عن الظلم وتوجهنا الى اتباع ديننا الحنيف « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم » .

ويتحدد الشهر العربي بظهور هلاله ، وفي كل شهر يمر ذكريات وذكريات ففي شهر المحرم حدثت أكبر حادثة عرفها التاريخ ألا وهي هجرة الرسول

ﷺ هل درسناها ؟ هل علمنا مالاقاه المسلمون قبلها من عنت ومشقة حتى أمروا بالهجرة ؟

وكيف خرجوا من مكة الى المدينة ؟

وكيف استقبلوا فيها الى أن جاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وفي العاشر منه يوم عاشوراء وهو يوم كان يعظمه الناس في الجاهلية .

وقد رأى النبي ﷺ صيام التاسع والعاشر منه . وفي كل شهر ترى مناسبة للعمل الصالح وموسماً للخير والسعادة. وكل هذه المناسبات على تعددها مشاعل على الطريق لتقوى عرى العلاقات الاجتماعية وتربط هذا المجتمع بخالقه باعتباره مصدر الحياة، وحسبك بها نعمة تستأهل البر والخير والحق وهي دعائم شريعة الاسلام الحنيف . وفقنا الله للخير دائماً وهدانا الى طريقه القويم .

مالك لا مملوك

قال الوليد بن عتبة لأبيه :

إن أمير المؤمنين أسرّ إلى حديثاً ، أفلا أحدثك به ؟ قال :

يابنى من كتم سرّه كان الخيار له ، فلا تكن مملوكاً بعد أن كنت مالكاً .

صرخة فلسطين

للاستاذ مزيد الخطيب

وتلك (القرى) في كنيف (صهيون) تشر — وفتيانُها – في خارج الدار – بُعثروا
لقد تردتهم صيحة (أجنبية) — وأيدي القوى، والظلم حتى تغيروا
أقاموا على أرض المضيفين شرّداً — ويا ويل من يلقي السلاح، ويعثر (١)
بالدون من عيشٍ ضئيلٍ وتافهٍ — رضوا، واستهانوا بالمبادي وأقتروا (٢)
وعاشوا بأكواخ، وتحت مهلهلٍ — خيامٍ على تلك الحواشي وسيروا (٣)
تدغدغهم في كلّ حينٍ عواصف — لها في نفوس القوم وقع مؤثر . .
تطيش بألباب (الشيوخ وفتية) — يمادوهم ذاك الحنين ليزأروا ! !
أصيخوا بني قومي لصوتٍ محرر — على الربوة القعساء (٤) يعلو، وينشر
من الوطن الأسمى عرين أسودنا — يحرك من ناموا، وهاموا، واسمروا
أترضون بالأدنى وتلك ربوعكم — تنادي وترجو من يرد، ويثأر ؟
ويرفع في آكامها البغي (٥) راية — ومن بينها يبدو (المشير) ويأمر ؟!!
لقد جبلوا (بالدم) أطيب تربهـا — وعاشوا عليها بعدكم وتنمروا (٦)

---

(١) كل أرض عربية شقيقة نزحوا إليها (٢) عاشوا بالتقتير بما ينالونه
(٣) لم تكن الخيرة في أمرهم الا بقدر مايوحى اليهم (٤) القعساء : الثابتة، المنيعة
(٥) العدو، ومن هم وراء العدو (٦) تشبهوا بالنمرة

وعاثوا فساداً (بالخدور) وهيمنوا … على كل شر واستقروا ، وشهروا (١)

فحيفا ، ويافا ، والجليل ، ورملة … ولدّ ، وعكا ، والقرى الشم كدّروا

وقدس وما يبدو على الهول حيالها … وما في الروابي من (فلسطين) حقّروا

رموها بأعلاج صعاليك اعسروا(٢) … وما جوا . وهاجوا فوقهن وزمجروا

رموها بشذاذٍ من الفضل جردوا … ومن صفة (الانسان) راوا ، وزوروا

بها غدروا والغدر ، والخفر شيمة … بهم ليس غير الوغد في الناس يغدر

وما الغدر إلا طبع قوم أراذل … له لجأوا حتى يحلوا ويوسروا (٣)

أقاموا حصون (الحكم) شادوا بروجها … ومن فوقها يرنو غضوب وجائر ! !

وكم هدموا (من قرية عربية) … ولم يبق الا الرسم ، والرسم داثر (٤)

وكم فوق أرض العرب فيها تمرغت … جباه ، وكم خدا على الأرض عفروا (٥)

أقاموا بفضل الغدر ، والقار . والأذى … وكل عميل بيننا يتنكر

وبالمدد الآتي من (الغرب) جهرة … وما لبني صهيون من عون أحضروا

وأعجب من قوم يحلون أمة … تهكمها التاريخ عنها يخبر

أقاموا بها سداً منيعاً بوجهنا … وقاعدة من قلبها الغزو يصدر ! !

رويداً بني صهيون إن لكم [illegible] … مع العرب يوما سوف لا يتغير

أقامكم الدولار بالرغم بيننا … وشجعكم منهم سلاح وعسكر

فلا تأمنوا للدهر ، والعرب إنما … تربصنا حين ويمضي ، ونظفر

تحوم عليكم كل آن سيوفنا … ويشملكم منا دبيب وخاطر

وأرواحنا تهوي على مسرى الحمى … وإن هي إلا جمرة الغيظ تكبر !

---

(١) أطلقوا ألسنتهم بلاذع القول وكل ما يشين (٢) أعسروا : ضيقوا عليها ، وجعلوا أمورها عسيرة وعيشها صعبا ممقوتاً (٣) يثرون على حساب العرب المشردين (٤) داثر : امحت آثاره (٥) مرغوه بالتراب

ألم تشعروا يا عرب بالذل بعدها ... ألم تستفيقوا للحساب وتشعروا ؟
ألم تسمعوا بالعرب فوق جبالها ؟ ... تساموا ، وبالخصم الغريب يقهقر ؟
ألم تسمعوا أبطالنا كيف دوخوا ... أجانبها من قبل حتى تحيروا ؟
وعادوا عن الأوطان بين مجندل ... وبين جريح هارب يتعثر ؟
وبين أسير خلفوه ، وأسرعوا ... إلى البحر والناجي على البحر يمخر ؟
يفر من الأبطال أبطال يعرب ... وأبطالنا في الشط تعلو وتخطر ؟
لقد فجروا في أرضنا كل طاقة ... وأبطالنا بالذود ، والدفع فجروا
وخطوا على التاريخ سطراً مذهباً ... وقد صنعوا التاريخ قسراً (١) وغيروا
وكانوا إذا الهيجاء قامت ليوثها ... وإن خمدت قد بشروا ثم يسروا (٢)
هم منذ فجر الكون عاشوا أعزة ... هم القوم من كل الأضاليل حرروا
أباة على الأيام ماضيم جارهم ... وأفياؤهم بالمجد تعلو ، وتزخر
أناروا طريق الناس ، بثوا علومهم ... شادوا حضارات لها الناس تبصر
لقد ذكروا بالخير ، والحلم والوفا ... وبالفضل ولاحسان والدهر يذكر
وبالجود ، والبأس الشديد ونجدة ... وغوث وما على الدهر غرروا (٣)
وعفوا وكانوا أشرف الناس غاية ... وأطيبهم خلقاً ، وقلباً واجدر (٤)
فأين ليوث العرب والأرض لوثت ... وعاش عليها الغير يلهو ، ويسمر (٥)
واين نسور العرب والدار اقفرت ... من العرب هل ناموا ولم يتفكروا ؟

---

(١) قسراً : قهراً بالقوة ، وبالرغم من كل مكابر ومعاند (٢) بشروهم بحسن الاقامة والاطمئنان ويسروا امامهم كل عسير (٣) ام يغرروا بأحد بوسائل التضليل والارهاق (٤) اجدر : احق والزم بهذه المحامد والفضائل لانها من سجيتهم ومنبتهم ومعدنهم (٥) السمر : سهر الليل ، سهر الليل واحاديثه ، وهو لمن صفا لهم الجو واستقروا واطمأنوا .

فليس التغني بالجدود بنافع إذا لم نقم مثل الجدود نباشر

ونقحم كالليث الهصور (١) على المدا ونهبط كالنسر القوي ، ونصبر

ونترك أنواع الكلام وشكله ونمتشق السيف الذي فيه يفخر

ونقضي على السلاب في حملة لها دوي على الأيام ، فيها تناحر

ونمحو الذي أملوه أيام ضعفنا وما كدبوا فيه ، وما فيه قرروا!!

فهيا أعدوا واستعدوا لشنها وكالسيل من فوق التلال تحدروا

أحيلوا العدا ناراً ، وخلوا ديارهم براكين مامن هولها قط معبر

إلى وطن الأقصى بني العرب انفروا إلى الوثبة الحمراء في الغدر شمروا

إلى حيث إخوان لكم سامهم به أبالسة ماء العروبة كدروا

ولا تتركوا من رهطهم قط ظالماً فقد طمحوا واستنسروا ، وتكبروا

بدار بني قومي وللعرب نخوة لهم وثبات لا تلين ، وتذكر ...

فما العيش بالاذلال من طبع يعرب وللموت اشهى إن عرانا وأستر

سلام على أهل العروبة قادةً شعوباً إذا هم بالميادين زمجروا

فلسطين تدعوكم وتستصرخ القنا فلبوا نداها واسحقوا الخصم وانحروا

فهيا وهبوا كلكم لخلاصها أحيطوا بها من كل صوب وحرروا

ومن يتخلف (٢) في الجهاد فلا يكن مع الواثبين الشوس (٣) فهو مقصر

---

(١) : الهصور : الأسد الشديد الذي يهصر فريسته أي يكسرها كسراً.

(٢) يتخلف : يتأخر ، أو يبطي عن عمد وتصميم .

(٣) الشوس : الجريئون ، الأشداء في القتال أصحاب النخوة ، والشوس أيضاً : الطوال .

هو العق (٤) للاوطان يخذل أهلها　　هو النذل وهو المرتشي المتآمر

ففيكم أيا أبناء يعرب فتية　　ايوث إذا ماجد جد تضافروا ! !

فيا عرب لاتلقوا السلاح على المدى　　ففي حده حد وحق وجوهر

هو الحق في وجه الظلوم وانه　　لحسم لداء منه نشكو ونزفر

فما من ضمير في نفوس خسيسة　　وليس لأهل البغي إلا البواتر (٥)

بها منطق غير الكلام ووقعه　　بها لغة أجدى وفيها زواجر

بها ينجلي الليل الذي طال عهده　　وينبثق الفجر الجميل وينشر

بها نستعيد الحق فيها اعتبارنا　　بها نتحدى الظالمين ونقدر !!!

لمن تتركون الأرض والأرض خصبة　　وأجدادكم في مرجها الرحب شجروا ؟

لمن تتركون النور والماء جارياً　　على مهمط الوادي ؟ لمن يتحدَّر ؟

لمن يهدر الشلال في القاع صاخباً　　وعند الشطوط اليم يعلو ويهدر؟

لمن تتركون الدور والدوح حولها　　وبيتاً سمرتم فيه والليل مقمر ؟

لمن بقيت تلك المساجد خلفكم ؟　　ومن بعدكم تلك الكنائس تعمر ؟

أللغاصب العاتي البغيّ وسربه ؟　　أليس بكم آلاءها الزهر مبصر ؟

فهبوا لأخذ الثارُ واحموا تراثكم　　وردوا الذي احتلوه لاتتأخروا

فسوق المنايا المغاوير بيننا　　وبالبذل منا كل حين تقرر

بها قد شرينا ثم بعنا نفوسنا　　وما خاضها إلا أبي موقر ! !

---

(٤) العق ، والعاق : العاصي المستخف ، والمتسق عن الجماعة ، الذي لايشفق عليهم ولا يحسن إليهم والسائر على هواه .

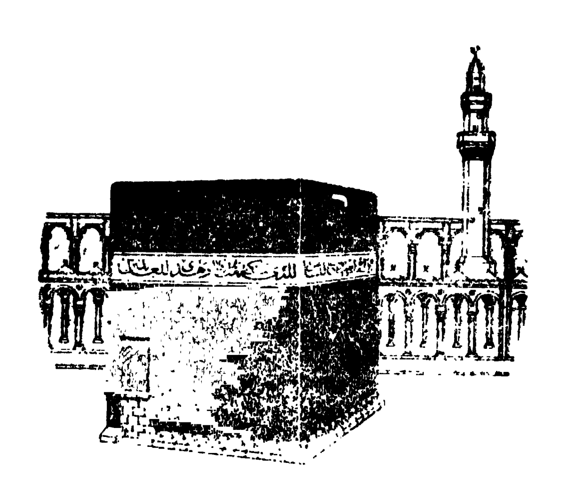
(٥) البواتر : السيوف الماضية القاطعة .

(٦) شجروا : جعلوا ارضها بكدهم أشجاراً وحدائق وساتين ، وكل نبات مختلف .

ستعلم صهيون الخبيثة أننا نرد لها العدوان والموت أحمر
ففي الشرق بركان يثور ليفتدي بيوم اللقا ناراً تهب وتسعر
تحركه أيدٍ من الوهن طهرت وأفئدة بالعزم ، والحزم تزخر
يحبون أن يحيوا كراماً بأرضهم ويورث في قوم من الغير حرروا
على أرض هذا الجزء من أرض يعرب أغيروا بالنصر المؤكد أبشروا
فان عيون الخلق ترنو ليومكم وإن إله الخلق لليوم ناظر
وإنا تطوعنا له بعديدنا جنود وأشبال خطيب وشاعر
إذا أنتم وحدتم الصف للوغى وما في صفوف العرب من يتأخر
قدرتم وكان الله فيكم وفوقكم فقولوا لدى الغارات : الله أكبر

شحيم

مزيد الخطيب



من ضحايا الكأس

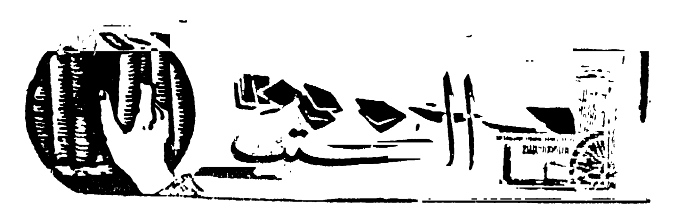
للأستاذ بديع المعلم

لا . لستَ وحدك ملهم السمار ... ياليل لو تصغي إلى أشعاري
كم قصة خفقتْ بحركِ وانتهتْ ... فمحا ملامحها ضياءُ نهار
تلهو بها في لحظتين إذا بها ... ضاعتْ ، وما ضاعتْ هنا افكاري
لولا قوافي الشعر ليس يؤودها ... حفظاً غدتْ سراً من الأسرار
سيجف زهركَ كالهشيم مبعثَراً ... تذروه ريح من وراء بحار
وتظلُّ رغم يد الخريف حديقتي ... أهديك من روضي ومن أزهاري
هل أنت تذكر قصة لم تُبق من ... أطيافها حتى ولا آثار
هي ليلة طويتْ ، وانتَ نسيتهَا ... كانتْ ضحيتّها اصطدام قطار
عبر القطار يروم شطر مدينة ... غابت معالمها عن الأنظار
مدتْ ذراعيها معاً لتلفه ... كالأم حول الصبية الأبرار
لترى الحبيب ، وقد أطال غيابه ... لتضمه من بعد نأي مزار
ولعلَّ سراً كان يكمن ها هنا ... كم تحت جنح الليل من أسرار
أتراك تدري ما تتمة قصتي ... لتصوغ منها أعمق الأفكار
لو لم يكن ثملاً مدير (محطة) ... يزجي لياليه بكأس عقار
قد راح من سفه ليسفح ليلة ... حمراءَ بل سوداءَ يا للعار . .
أتراه ينحر كالذليل وقاره ... عجباً على قدم الخنا المنهار
ويعفّر الشرف الذبيح معربداً ... مع بائعات الحب بالدينار
هل كان يحدث ذلك الرزء الذي ... قد راح يترك أفجع الآثار
أعطى المدير إشارة مغلوطة ... ـ والخط مشغول ـ بلا استفسار

عفواً ، ولكن أذهلته مدامة ... لعبتْ برأس الأحمق المهذار
وانسابت الأقدار وفق مرامها ... فجرى قطار باتجاه قطار
هذا يسير إلى الجنوب ميمماً ... أرضاً ، وذاك إلى شمال ساري
وتلاقيا بالمصاب كلاهما ... في الليل ما الحصان عند شجار ؟
أنى تلين الخيل بعد جماحها ... أين الزمام ، ولات حين قرار ؟
وتخاطفته يد المنون بعاصف ... كسفينة غرقتْ وراء بحار . . .
والمرء مهما احتاط جهلاً إنه ... كرة تَقاذف في يد الأقدار
وانقضت العربات تأكل بعضها ... وانهال تيار على تيار
أتعانقا يا للفجيعة بغتة ... فاذا هما خبر من الأخبار
تعلو استغاثات النداء إلى السما ... ويد الردى محمرّة الأظفار
ولئن تصبْك مصيبة ، فبما لقد ... كسبتْ يداك، فدعْك من اوزار
والمرء ينسى الله إما مسّه ... فرح دعا أو همّ باستغفار
وتفجرتْ أشلاؤه ، وتمزّقتْ ... لمّا هوى بدويّه الجبار
متضرجاً متدحرجاً متوهجاً ... كالرعد يقصف مؤذناً بدمار
وكأن أرضاً زلزلتْ زلزالها ... أو قد طغى البركان بعد سعار
فالريف من رمم العظام مقابر ... والليل من شرر اللظى كنهار
عجنت بأنقاض الحديد لحومهم ... بالماء أو بالفحم أو بالنار
حيث الضحايا كالشظايا بعثرتْ ... كقنابل تنقضّ بالإعصار
فتناثرت بيد البلى ، وتطايرتْ ... وتساقطتْ كتساقط الأمطار
وجماجم الركاب تسقط من عل ... كسقوط منهار على منهار
فكأنهم قطعان شاء أزهقتْ ... لكنها نحرتْ بلا جزّار
وقضوا شباباً هم دروع للحمى ... وتساقطوا في زهرة الأعمار

أضحى فداء الكأس ألف مجندل | تباً لكأس الخمر والخمار
ويسجل المأساة أنـــة راحم | وبكاء عين أو نحيب جاري
أتموت أحلام العذارى بغتـــة | وتجف مثل براعم الأزهار ؟
كم في الاباحة من معاول صلبة | تتهدد الأخلاق بالأخطـــار
وأسف من هذا غبي يدعي | أن التحلل غايـــة الأوطار
ويرى الحضارة إن نقوص ديننا | وعلى رؤوس دعاتـــه الأحرار
ويرى الحضارة أن نكون أذلة | مستسلمين لدعوة الأشرار
ويرى الرذيلة إن تكن غربية | ام الفضائل بل كتاج فخار
فيكون ذيلاً ليت شعري قل له : | افلا يخص الذيل غير حمار ؟
افلا يـــدل على انحطاط اتهم | وا سوءتا حفضوا مكان « البار »
وبنوه تحت الأرض حتى يشهدوا | ان اللصوص تلوذ بالأوكار
هل يدرك النخاس ، وهو بطبعه | رضع المذلة من لبان جواري
ما الفرق بين دميمة قبطـــية | أمـــة وبين عرائس ابكار
ايبيعنا دراً بنقـــد زائف | ومـــع العدو يكون كالسمسار
اخلاقنا الغرر الحسان قلائد | قد نام عنها اعين الأغرار
يا صاحبي هذى نتيجة خمرة | فحذار من خل الشقاء حذار
قل الذين تبجحوا بتقـــدم | ومشوا هناك على شفير هاري
ايكون تحريم الطلى رجعيـــة | ام في تعاطي خمرة وقمار ؟
وادرأ سفاهتهم ببسمة ساخر | قلها بلهجـــة صارم بتـــار
انتم بنو رجعيـــة منحطة | رغماً لكل مكابر ومماري
هل حرم الاسلام في تشريعه | الا لدفـــع معرة وضرار ؟

ادلب : بديع المعلم



ضوابط المصلحة في الشريعة الاسلامية

للعلم محمد سعيد رمضان البوطي

ذكر مؤلف هذا الكتاب في أوله:

« نال هذا البحث درجة (الدكتوراه) في أصول الشريعة الاسلاميه من كلية القانون والشريعة بجامعة الأزهر ...

وحاز لأول مرة على رتبة « ممتاز » مع الوصية بالطبع على نفقة الجامعة والتبادل مع الجامعات المختلفة اهـ.

وقد أحببت دفاعا عن حديث الرسول ﷺ أن اسارع في هذه العجالة فأتحدث عن الناحية الحديثية في الرسالة فقط (١) ، بل في جزء من هذه الناحية.

جاء في الأحاديث:

اولاً : صح عن رسول الله ﷺ من رواية ابن عباس : « ادرءوا الحدود بالشبهات » وفي لفظ آخر من رواية عائشة : « ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فان وجدتم للمسلم مخرجاً فخلوا سبيله ، فان الامام لأن يخطىء في العفو خير من أن يخطىء في العقوبة » فهذا الحديث مخصص لكافة الآيات (٢) التي شرعت الحدود ، ومنها حد السرقة اهـ

---

(١) المجلة : ليت الاستاذ محموداً عرف قبل هذه الناحية بالكتاب تعريفاً إجمالياً ، وبين الصحيح من مزاياه.

(٢) ص ١٠٥ — ١٤٦

ان هذا الحديث بلفظيه لا يصح عن الرسول ﷺ والعجيب من الأستاذ سعيد انه عزاه الى الترمذي واحمد مما يوهم الصحة ! كأن ما جاء عندهما مسلم بصحته ، كما يسلم بصحة أحاديث البخاري ومسلم ، مع العلم أنه لا بد من التحقيق في احاديث الترمذي واحمد وابي داود والنسائي وابن ماجه وكل كتب السنن والمسانيد ، فان في أحاديثها الصحيح والضعيف.

واعجب من ذلك ان الترمذي نفسه قال عن الحديث بلفظه الثاني : « قد روي عن عائشة ولم يرفع » – اي لم يرفع عن الرسول ﷺ وهو أصح ! » فهو موقوف !

فكيف لم يلاحظ العليم سعيد عبارة الترمذي ؟ ! بل وكيف يخصص بكلام الصحابية الآيات كافة ، التي شرعت الحدود ومنها حد السرقة ؟

وكان يحسن به ان يقول ان هذا الحديث الموقوف بيان لآيات الحدود لا تخصيص لها !

ثانيا – ساق الأستاذ البوطي قول الحباب بن المنذر لرسول الله ﷺ حينما اختار لهم مكاناً يتخذونه في غزوة بدر « أرأيت هذا المنزل ، امنزلا أنزلكه الله ، ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، ام هو الرأي والحرب ؟ ! فقال : بل الرأي والحرب ، فأشار الحباب إلى مكان أليق فتحول اليه (١) اهـ

وقد عزا الأستاذ هذا الحديث الى سيرة ابن هشام كأنه قد ملك القلمة كما تقول العامة . وقد غفل ان هذه السيرة كسائر السير النبوية فيها ما هب ودب.

قال استاذنا الألباني في تحقيقه على فقه السيرة (٢)

رواه ابن هشام (٢ / ٦٦ ؛ عن ابن اسحاق قال : فحدثت عن رجال

---

(١) ص ١٦٩ (٢) ص ٢٤٠

من بني سلمة أنهم ذكروا ان الحباب ... » وهـذا سند ضعيف لجهالة الواسطة بين ابن اسحاق والرجال من بنى سلمة . وقـد وصله الحاكم (٣ / ٤٢٦ — ٤٢٧) من حديث الحباب ، وفي سنـده من لم أعرفـه . وقال الذهبي في « تلخيصه » : « قلت حديث منكر وسنده » كـذا الأصل ولعله سقط منه « واه » او نحوه . ورواه الأموي من حديث ابن عباس كما في « البداية » (٣ / ٢٦٧) وفيه الكلبي وهو كذاب !!

ولعل هذا الحديث من وضع اليهودية والشعوبية للحط من قيمة الرسول الحربية — وهو القائد العظيم الذي يستبعد بل يستحيل اختيـاره لموضع لائق بعيد عن الماء .

وكم كنا نـأمل من الأستاذ البوطي زيادة التريث ، وخاصة في مثل هذا الحديث والحديث الذي قبله الذي زعم انه خصص لجميع الآيات التي شرعت الحدود

ثالثاً : روى ابو هريرة عن النبي ﷺ انه قال : الجهاد واجب عليكم مع كل أمير ، براً كان أو فاجراً ، وإن هو عمل الكبائر . والصلاة واجبة عليكم خلف كل مسلم براً كان او فاجراً ، وإن هو عمل الكبائر (١) اهـ

وقد عزا الأستاذ الحديث الى ابي داود والبيهقي . اهـ

قال المناوي في فيض القدير (٣ / ٤٦٥) رواه ابو داود وابو يعلى وكذا البيهقي في السنن كلهم من حديث عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن العلاء بن الحرث عن مكحول عن ابي هريرة . قال في المهذب

---

(١) ٣٢٧

وهذا منقطع . وفي الميزان بعد ما ساقه من مناكير عبد الله بن صالح كاتب الليث هذ مع نكارته منقطع اه

وتقدمه للتنبيه عليه الدار قطني وقال : مكحول لم يلق ابا هريرة . وقال ابن حجر لا بأس برواته الا ان مكحولا لم يسمع من أبي هريرة. وفي الباب عن أنس اخرجه سعيد بن منصور وابو داود وفي اسناده أيضاً ضعيف .

رابعاً الخلق كلهم عيال الله ، فأحبهم الى الله أنفعهم لعياله

وعزاه الأخ البوطي الى الطبراني في المعجم وابو يعلى في مسنده ، وذكر السخاوي عدة طرق (١) له اه

جاء في فيض القدير ٣/٥٠٦ رواه ابو يعلى في مسنده وكذا البيهقي في الشعب (عن أنس) قال الهيثمي فيه يوسف بن عطية الصفار ، وهو متروك انتهى ومن ثم قال المصنف في الدرر كالزركشي سنده ضعيف ورواه الطبراني وكذا الديلمي عن (ابن مسعود) قال ابن الجوزي حديث لا يصح وقال الهيثمي فيه موسى بن عمير ابو عبيدة وهو ابن هرون القدسي متروك انتهى . وفي الميزان يوسف ابن عطية البصري الصفار قال النسائي متروك . وقال البخاري منكر الحديث ومن مناكيره هذا الخبر !

خامساً : ان المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ذكره الغزالي في الاحياء بلفظ ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فان المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى قال الوافي في تخريجه : رواه احمد من حديث أنس والبيهقي من حديث جابر (٢)

---

(١) ص ٧٨

(٢) ص ١١٠

قال صاحب « أسنى المطالب » قال الدارقطني ليس فيه حديث ثابت ورجح البخاري في تاريخه ارساله عن ابن المنكدر .

وقال المناوي في فيض القدير (٢/٥٤٤) وقد ساق الحديث السابق وزاد في أوله : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق » (البزار) في مسندة عن (جابر) قال الهيثمي : وفيه يحيى بن المتوكل أبو عقيل ، وهو كذاب انتهى ورواه البيهقي في السنن من طرق ، وفيه اضطراب روي موصولاً ومرسلاً وموقوفاً . واضطراب في الصحابي أهو جابر او عائشة او عمرو ورجح البخاري في التاريخ إرساله .

ولاشك إن اول الحديث : « ان هذا الدين متين ، فأوغلوا فيه برفق » في مسند أحمد عن أنس وهو صحيح .

سادساً : « لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » ذكر الاستاذ سعيد انه رواه الديلمي ، وذكره المناوي في كنز الحقائق (١) اه

جاء هذا الحديث في مشكاة المصابيح برقم ١٦٧ رواه في « شرح السنة » عن عبد الله بن عمرو . وقال النووي في « الحجة » باسناد صحيح .

قال استاذنا الألباني في تحقيقه المشكاة : هذا وهم فالسند ضعيف ، فيه نعيم بن حماد وهو ضعيف ، واعله الحافظ بن رجب بغير هذه العلة ، متعقباً على النووي تصحيحه اياه . فانظر كتاب « جامع العلوم والحكم » ثم ان عزوه الى المذكورين يوهم أنه لم يخرجه من هو أعلى طبقة منها . وليس كذلك فقط اخرجه الحسن بن سفيان في « الأربعين » له ق ١/٦٥ وهو من الآخذين عن أحمد ، وابن معين (توفي ٣٠٣) ورواه القاسم ابن عساكر في (اربعينه) ، وقال : « حديث غريب » اي ضعيف !

---

(١) ص ٥٦

وقد خفي على اخينا البوطي ان من المتعذر اذا لم يكن من المستحيل ان تحكم لانسان بخواطر النفس وهواها ، لذلك كان لايحاسب المسلم على ذلك ، بل يحاسب على الهمّ والفعل ...

سابعاً : اخرج البيهقي في سننه والطبراني وغيرهما بسند صحيح (!) ان عائشة بنت الفضل كانت عند الحسن بن علي ، فلما بويع بالخلافة هنأته . فقال لها الحسن : انظهرين الشماتة بقتل أمير المؤمنين أنت طالق ثلاثاً ، ومتعها بعشرة آلاف ثم قال : لولا اني سمعت رسول ﷺ جدي او سمعت أبي يحدث عن جدي ﷺ أنه قال : إذا طلق الرجل امرأته ثلاثاً عند الاقراء او طلقها ثلاثاً مبهمة لم تحل له حتى تنكح زوجاً غيره ، لراجعتها (١) اهـ

ايما رجل طلق أمرأته ثلاثاً عند الاقرار ، أو ثلاثة مبهمة ، لم تحل له حتى تنكح زوجاً غيره أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٣٣) والبيهقي (٧\٣٣٦) من طريق محمد بن عمير الرازي ناسلة بن الفضل عن عمرو بن أبي قبيس عن ابراهيم بن عبد الأعلى عن سويد بن غفلة قال :

كانت عائشة الخثعمية عند الحسن بن علي (ر) فلما قتل علي (ر) قالت : لهتك الخلافة قال تقبليين علي تظهرين الشماتة اذهبي فأنت طالق يعني ثلاثاً قال فلفت ثيابها ، وقعدت حتى قضيت عدتها ، فبعث اليها بقصعة بقيت لها من صداقتها ، وعشرة آلاف صدقة . فلما جاءها الرسول قالت : متاع قليل من حبيب مفارق ، فلما بلغه قولها بكى ثم قال : لولا اني سمعت جدي او حدثني أبي انه سمع جدي يقول (فذكره) لراجعتها

---

(١) ص ١٥٤

قلت : وهذا اسناد ضعيف جداً ، وله علتان :

الأولى : سلمة بن الفضل ، وهو الابرش القاضي : قال الحافظ صدوق كثير الخطأ

والأخرى : محمد بن حميد الرازي الحافظ : « حافظ ضعيف » . وكان ابن معين حسن الرأي فيه .

قلت : بل هو ضعيف جداً ، كما تبين لم يراجع أقوال ائمة الجرح فيه . ولهذا قال الذهبي في « الضعفا » . وقال أبو زرعة كذاب وقال صالح : ما رأيت أحذق بالكذب منه ومن الشاذكوني »

قلت : ولا يتقوى هذا الاسناد بقول البيهقي عقبه : وكذلك روي عن عمرو بن شمر عن عمران بن مسلم وابراهيم .

وذلك لأن عمر بن شمر منهم . قال البخاري « منكر البخاري » وقال النسائي والدارقطني وغيرهما « متروك الحديث » وقال ابن حبان رافضي يشتم الصحابة ويروي الموضوعات من الثقات .

قلت اذا تبين ذلك . فمن العجب ما نقله الشيخ زاهد الكوثري في كتابه « الاشفاق على أحكام الطلاق » ص ٢٤ عن الحافظ ابن رجب الحنبلي عقب هذا الحديث فقال بعد أن ساق هذا الحديث في كتابه (بيان مشكل الأحاديث الوارده في أن الطلاق الثلاث واحدة »

فان صح هذا النقل عن رجب فانها زلة فاحشة منه ، وإلا فالكوثري معروف لدى المحققين من أهل العلم باتباعه لهواه في كثير مما ينقل او يحكم .

ثامناً : روى ابو داود والترمذي وابن ماجه والدارقطني والشافعي ، ان ركانه طلق زوجته ألبتة . فقال له النبي ﷺ آ لله ما أردت إلا واحدة ؟

قال آ لله ما أردت إلا واحدة ، فردها إليه (١) ... اه

إننا نبشر الأستاذ البوطي ان هذا الحديث الذي بنى عليه قاعدة خطيرة وهدامة كالحديث السابق ، انه ضعيف !:

جاء في نيل الأوطار للامام الشوكاني ٦/ ٢٤٠ بعد ان ذكر الحديث السابق .

الحديث أخرجه ايضاً الترمذي (بعد ان ذكر رواية من قبل الشافعي وابي داود والدارقطني) قال الترمذي (نفسه) لايعرف الا من هذا الوجه .

وسألت محمداً عنه يعني البخاري فقال : فيه اضطراب !! انتهى

ثم قال الامام الشوكاني :

وفي اسناده الزبير بن سعيد الهاشمي ، وقد ضعفه غير واحد !! وقيل إنه متروك . وذكر الترمذي عن البخاري أنه يضطرب فيه . تارة يقال ثلاثاً وتارة قيل واحدة . وأصحها أنها طلقة النية . قال ابن كثير : لكن قد رواه أبو داود من وجه آخر ، وله طرق أخر فهو أحسن ان شاء الله

وقال ابن عبد البر في التمهيد تكلموا في هذا الحديث انتهى . وهو مع ضعفه مضطرب ومعارض . أما الاضطراب فكما تقدم . وقد أخرج احمد : انه طلق ركانه امرأته في مجلس واحد ثلاثاً ، فحزن عليها » وروى ابن اسحاق عن ركانه انه قال : يا رسول الله اني طلقتها ثلاثاً . قال : قد علمت : أرجعها ثم تلا : — اذا طلقتم النساء — الآية ، أخرجه أبو داود ... اه كلام الامام الشوكاني عن اضطراب هذا الحديث وسنتكلم على حسب رأيه في معارضته الأحاديث الصحيحة في عدد مقبل إن شاء الله تعالى .

(١) ص ١٥٤

ولم يكتف الأستاذ سعيد بتصحيح الأحاديث الضعيفة ، انتصاراً لمذهبه في وقوع الطلاق الثلاث ، بائناً ، بل راح كذلك للغاية نفسها يضعف حديث مسلم عن ابن عباس :

« كان الطلاق الثلاث على عهد رسول الله ﷺ وابي بكر وسنتين من خلافة عمر ، طلاق الثلاث واحدة » فقال : عمر بن الخطاب ان الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ، فأمضاه »

قال الأستاذ البوطي بعد أن اورد هذا الحديث : ان حديث ابن عباس هذا ضعفه كثير من رجال الحديث ، وفي مقدمتهم ابن عبد البر ، فقد انكر رواية طاوس لهذا الحديث وقال : روايه طاوس وهم وغلط ...

لقد سها الأستاذ الشيخ سعيد عن ان طاووس إمام وثقه جميع رجال الحديث ، ومع ذلك فانه لم ينفرد وحده بهذا الحديث ★

دمشق محمود مهدي استانبولي

٢ — قادة فتح المغرب العربي الجزء الأول :

حلقة من سلسلة (قادة الفتح الاسلامي) التي يؤلفها تباعاً اللواء الركن محمود شيت خطاب عضو المجمع العلمي العراقي ، وإنه كتاب جديد ضم مأثرة جديدة الى مآثر هذا المؤلف البحاثة المفضال الذي جمع الى الخبرة

---

(١) ص ١٥٦

★ المجلة : ترحب المجلة بالمقالات المقرونة بالحجج لمن شاء الكتابة في هذا الموضوع بعد مراجعة الكاتبين ما ألف وما كتب فيه .

العسكرية العالية ـ اختصاصاً وممارسة ـ خبرة تاريخيه وغيره إسلامية ، فجاءت كتبه مستوفاةً علماً وتوجيهاً ، ولقد أسدى إلى العربيه يداً بيضاء بهذه الهدية تلو الهدية من الكتب التاريخية العسكرية التحليلية السديدة التي تفخر بها ثقافتنا و (مكتبتنا) — طبع الكتاب في دار الفتح للطباعة والنشر ببيروت فوقع في ٣٥٢ صفحة — . عرّف المؤلف كتابه باعلانه على غلافه ما يلي :

● هذا الكتاب هو الجزء الأول من : « قادة فتح المغرب العربي » ، الذين حملوا رايات الاسلام الى المحيط الأطلسي .

● مقدمة عن « البلاد والسكان والتاريخ قبل الفتح الاسلامي وفي أيامه » ، لاعطاء صورة واضحة عما عاناه الفاتحون قادة وجنوداً في جهادهم وجهودهم لاستكمال الفتح .

● وفي الكتاب قصة القادة العامين الذين فتحوا المغرب العربي : عبد الله ابن سعد بن أبي سرح العامري ، ومعاوية بن حديج السكوني ، وعقبة ابن نافع الفهري ، وأبو المهاجر دينار ، وزهير بن قيس البلوي ، وحسان ابن النعمان الغساني ، وموسى بن نصير اللخمي .

● ومن خلال سير هؤلاء القادة الفاتحين الأبطال ، يظهر بوضوح كيف غرسوا في المغرب العربي لغة القرآن ومبادئ القرآن في جهاد استمر من سنة اثنتين وعشرين الهجرية الى سنة ثمان وثمانين الهجرية ، فأصبح المغرب جزءاً لا يتجزأ من مكة والمدينة وبغداد ودمشق والقاهرة الى الأبد .

● كيف انتشرت العربية لغة والاسلام ديناً في المغرب العربي ؟ كيف صاول المغرب العربي الحروب الصليبية في القرون الوسطى والاستعمار الحديث في القرن العشرين دفاعاً عن عروبته واسلامه ؟ لماذا كان هتاف

المغاربة في ثوراتهم بالاستعمار : العربية لغتنا والاسلام ديننا ؟

ماهي التضحيات الذي بذلها الفاتحون لجعل كلمة الله هي العليا في المغرب العربي ؟

● ذلك ماستقرأه في هذا الجزء من الكتاب وفي الجزء الثاني الذي سيصدر قريباً باذن الله .

المؤلف

وبعد فنذكر الأخ المؤلف بملاحظة تبدو لنا صحيحة ـ بمناسبة اهداء الكتاب الى عثمان بن عفان (رض) ـ ذلك بأن الأعمال الطيبة كلها إنما ترفع إلى الله تعالى وهو الذي يتقبلها ، ولا مانع مع هذا من الاشارة الى ذكرى عثمان (رض) أو غيره وأعماله الجيدة .

٣ — طريق النصر في معركة الثأر للمؤلف نفسه

وهو كتاب يدل عنوانه على موضوعه موضوع الساعة للخلاص من إسرائيل ، وقد لخصت بحوث المؤلف الناشرة (دار الفتح ببيروت) ص . ب ٤٢٩٥ فقـــالت :

● ما هي أسباب هزيمة العرب عام ١٩٤٨

● ما هي حقيقة إسرائيل ؟ وما هي عوامل قوة إسرائيل ؟ وما هي عوامل ضعف إسرائيل ؟ .

● ما حقيقة محاولة إسرائيل انتاج القنبلة الذرية ؟ .

● ما هي أسباب النصر ؟ ما هي أسباب النصر للفلسطينيين ؟ ما هي أسباب النصر للدول العربية ؟ ما هي أسباب النصر للدولة العربية ؟ .

● ما العمل للقضاء على إسرائيل ؟ .

الفتـــاوى

سئلنا مراراً عن الحكم شرعاً حين يتعارض نصان احدهما عام والآخر خاص .
ان تفصيل ذلك في أصول الفقه . وخلاصته أن يخصص الخاص العام
اذا اتحدا في التاريخ مثال ذلك قوله تعالى : « وأحل الله البيع وحرم الربا »
٢ : ٢٧٥ فقد قيد الحكم الخاص بالربا حكم البيع المتقدم في الآية نفسها .
أما إذا تأخر الخاص بتاريخه فانه ينسخ من حكم العام ما يتناوله كقوله
تعالى : « وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن » ٦٥ : ٤ فحكمها خاص
بالنسبة لحكم عام في قوله تعالى : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً
يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً » ٢ : ٢٣٤ .
وإذا جهل تاريخ العام والخاص حملا على المقارنة فترجح الحال لما تقدم
من تخصيص الخاص العام . وفي ذلك تفصيل يراجع (أصول الفقه الاسلامي)
للمرحوم الأستاذ شاكر الحنبلي .   (المظمه)

● ستقرأ جواب ذلك ، بصراحة نادرة ، وبأسلوب علمي رصين ،
بعد تجربة عملية في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، ودراسة واعية استمرت
من سنة ١٩٤٨ حتى اليوم

● يكتبها اللواء الركن محمود شيت خطاب مؤرخ التاريخ العسكري
للعرب ، بما عرف عنه من صدق واستقامة ، وعلم وتجربة ، ووطنية
وإخلاص ، وحب عميق لبلاده وقومه ، وإيمان راسخ بدينه ومثله العليا .

● نعلّ في الكتاب ما يدل على الطريق السوي الذي يقود العرب
الى النصر ؛ ويستثير الهمم لاستعادة الحق المغتصب في أرض فلسطين .

والكتاب يقع في ٤٩٦ صفحه من القطع الوسط .   (المظمه)

رحلات الفضاء — ٢ :

وأثبت ملاحا جيمني٥ جوردن كوبر وتشارلز كونراد خلال دورانها مقدرة الانسان على العمل في الفضاء خارج السفينة .

جيمني ٧ — حقق الملاحان فرانك بورمان وجيمس لوفيل أطول رحلة فضائية يقودها ملاحون اذ استمرت من ٤ حتى ١٨ ك ١ (ديسمبر) ٩٦٥

جيمني ٦ — حقق الملاحان والتر شيرا وتوماس ستافورد أول لقاء فضائي مع جيمني ٧ وذلك في ١٥ كانون الأو . (ديسمبر) ١٩٦٥

جيمني ٨ — حقق الملاحان نيل أرمسترونج وديفيد سكوت أول عملية ارساء فضائي في رحلة ١٦ آذار مارس ١٩٦٦

جيمني ٩ — حقق الملاحان توماس ستافورد ويوجين سيرنان ثلاثة لقاءات منفصلة مع سفينة الهدف ، كما وضع سيرنان رقماً قياسيا في السير في الفضاء إذ بقي خارج السفينة مدة ١٢٨ دقيقة ، وذلك خلال الرحلة التي استمرت من ٣ حتى ٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٦

جيمني ١٠ — حقق الملاحان جون يونج ومايكل كولنز أول لقاء ثنائي فضائي في العالم مع سفينتي هدف من نوع أجينا .

كما عمل كولنز في مناسبتين مختلفتين في الفضاء خارج السفينة وذلك خلال الرحلة التي استمرت من ١٨ حتى ٢١ تموز (يوليو) ١٩٦٦

وشهدت جيمني ١٠ أول استخدام لصاروخ مداري لزيادة امكانات سفينة فضائية يقودها ملاحون .

واستعملت جيمني ١٠ صاروخ اجينا ١٠ لدفعها الى ارتفاع أعلى في الفضاء لم يسبق لأية سفينة فضائية أخرى أن حققته من قبل ، كما سمحت

وراء سفينة هدف أخرى من نوع أجينا كانت قد اطلقت إلى مدارها في آذار (مارس) ١٩٦٦ وفقدت قوتها الفضائية الدافعة .

أما رحلتا جيمني ١١ و ١٢ المتبقيتان فمن المنتظر القيام بهما قبل نهاية عام ١٩٦٦ والهدف منهما تحسين فنون عمليتي اللقاء والارساء.

هذا وفي مطلع العام القادم ستبدأ الرحلات التدريبية حول الأرض للسفينة القمرية ابوللو التي سيقودها ثلاثة ملاحون ، وستؤدي هذه التمارين الى القيام برحلة إلى القمر قبل نهاية عام ١٩٦٩

قبة هائلة تفيض بالنجوم: من مقال (في بلاد السوفييت) لرائد الفضاء الكسي ليونوف:

ماهي أهمية خروج الملاح الكوني من السفينة بالنسبة لغزو الفضاء لاحقا وما هي المهمات التي ينبغي القيام بها ؟ انها مهمات عديدة .

إنها قبل كل شيء مختلف الأعمال الصناعية في الفضاء ، كتركيب أقمار صناعية كبيرة تدور حول الأرض ومحطات فضائية للسكن والمختبرات ومراصد ، نعم هذه التجربة تخص استكشافات القمر العتيدة ذلك انه إذا لم يكن فيه ثقل كامل فان قوة جاذبيته تعادل مع ذلك سدس الجاذبية الأرضية .

أما الظروف الأخرى :

الفراغ الكوني ، مختلف الاشعاعات تغيرات، معدل الحرارة ، فهي تشبه كثيراً تلك الظروف التي يحس بها الملاح الكوني عندما يخرج من السفينة على مدار حول الأرض .

والفضاء الكوني غني بالألوان ، وقد حاولت بعض رسومي التي رسمتها بعد التحليق ، أن أنقل المناظر الكونية الخارقة .

هنا كانت المعرفة بالرسم مفيدة لي ! ومما له كل الدلالة ، على وجه

العموم أن يكون اختصاصيون في ميادين معينة أيضاً ، لا ملاحون كونيون وحسب ، قد اشتركوا في الغزوات الكونية .

فان ك . فيوكتستيتوف عالم و ب . ايغوروف طبيب ، ومن المرجح في المستقبل أن يذهب ملاحون كونيون من اختصاصات أخرى في رحلات بعيدة .

وأنا اعتقد أن الوقت سيحين عندما يتوجب على الملاحين الكونيين أن تكون لديهم عدة اختصاصات في وقت واحد .

والا فمن الصعب السير على طرقات الكواكب الأخرى والقيام بأبحاث معقدة في الفضاء البعيد ، واعتقد أن هذه التحليقات ستجري خلال حياة جيلنا ...

وإذا احتيج في أحد التحليقات إلى رائد رسام مثلا وجيولوجي في الوقت نفسه فأنا مستعد للدخول فوراً في كلية لدرس الجيولوجيا . . . أنا أمزح ولكن من يعلم ، فقد يصبح الجيولوجي ضرورياً للتحليقات القادمة .

جريدة « ترود » عدد ١٢ حزيران ١٩٦٦

جهاز الكتروني : نشرت الأخبار ٣٣٤ من المجلد ١٧ عن بعض ما تختاره الأبحاث العلمية من النماذج العلمية ، ومن ذلك جهاز الكتروني باستطاعته أن يحلل كيمائياً الجزء من المليون من الغرام من أية مادة . وذلك بأن تقوم الشرارات الكهربائية بحفر الفوهات الصغيرة التي تتبخر منها المادة التي يجري فيما بعد تصنيف ذراتها وتعرف حسب دورانها ...

مضخة قلبية : ومن ذلك مضخة تربط إلى الأوعية الدموية إثر نوبة قلبية للتخفيف من كمية عمل القلب (قلم المجلة)

في المجتمع

● **بيان الهيئة العربية العليا لفلسطين**

منذ ما يقارب نصف قرن من الزمان عقد الاستعمار البريطاني مع الصهيونية العالميه حلفاً عدوانياً — عرف بوعد بلفور — استهدف سلخ فلسطين من الوطن العربي الكبير واقامة قاعدة صهيونية على البحر الأبيض المتوسط تخلف قواعد الاستعمار في المنطقة وتخدم مصالح المستعمرين .

ويهم الهيئة العربية العليا لفلسطين ان تؤكد ما سبق لها ان اعلنته مراراً ان اغتصاب فلسطين التي هي الخط الأمامي للأمة العربية ما هو الا خطوة اولى على طريق المطامع الاستعمارية والصهيونية في الوطن العربي . وان مصير الأمة العربية بأسرها مهدد ببقاء السرطان الصهيوني في اخطر جزء من وطنها يقع على ملتقى القارات الثلاث ويقوم مقام الجسر الواصل بين جناحيها الاسيوي والافريقي .

ويجدر بالأمة العربية ان تقف عند هذه الذكرى الأليمة لاستخلاص العبر والعظات ، وتحديد موقفها الحازم على ضوء سلسلة التجارب والاخطاء تصحيحاً الأوضاع التي ادت الى نكبتها الكبرى عام ١٩٤٨ .

والهيئة العربية طالما نادت بأن الأسلوب الأمثل لتحرير فلسطين هو تعبئة الأمة العربية على المستوى الشعبي تعبئة شاملة تجنباً للوقوع في الخطأ مرة اخرى كما حدث عندما انتزعت قضية فلسطين من ايدي اصحابها وعولجت على المستوى الرسمي المقيد بالالتزامات الدولية مما ادى إلى اغتصاب فلسطين وتشريد شعبها الخ .

الى ان قالت :

وتغتنم الهيئة العربية العليا لفلسطين مناسبة ذكرى وعد بلفور لتناشد الأمة العربية والاسلامية نبذ اختلافاتها وحشد امكانياتها وتوحيد كلمتهـــا والوقوف صفاً واحداً امام العدو المشترك الذي يستهدف القضاء على مستقبلها وحضارتها .

بيروت في ٢ تشرين الثاني ١٩٦٦ — الهيئة العربية العليا لفلسطين

● **باكستان مع العرب: في نشرة السفارة الباكستانية في ٣٠/١٠/٦٦** انباء تفيض غيرة صادقة وإخاء :

أدلى السيد شريف الدين بيرزادا وزير خارجية باكستان بتصريح للصحافة العراقية حول موقف باكستان فيما يتعلق بالمؤامرات الاستعمارية التي تدبرها اسرائيل ضد الجمهورية العربية السورية فقال : —

ان موقف باكستان معروف للجميع الا وهو التأييد المطلق للعرب ، ولقد ذكرت ذلك بكل وضوح في البيان الذي القيته في الأمم المتحدة .

واجاب السيد وزير الخارجية عن سؤال حول التهجم الصهيوني الغادر على مقر الوفد السوري في الأمم المتحدة فقال : —

لقد كان هذا العمل العدواني صدمة لي ، ولقد طالبت بتوقيع أقصى العقوبات على مدبري هذا الحادث المؤلم الذي وقع في المنظمة العالمية .

● **حول القضية الفلسطينية**

أكد وزير خارجية باكستان عند مروره في بيروت في الشهر الحالي لرجال الصحافة الآراء التي قد عبر عنها سابقاً في بيانه في الأمم المتحدة .

قال الوزير : —

لا تزال قضية فلسطين آخذة في التدهور ، دون وضع حد لمرأى البؤس الذي يفتت الأكباد والذي يعانيه مليون من البشر — حرموا من حقوقهم في وطنهم — رغم قرارات الأمم المتحدة ، التي تستمر اسرائيل في خرقها بتحد صارخ ودون خوف من عقاب ، ولقد برهنت الحوادث في شهر تموز الماضي على أن الهدنة في فلسطين محفوفة بالمخاطر وذلك عندما اخترقت القوات الجوية الاسرائيلة الأجواء السورية واعتدت على حرمة الاراضي السورية

ورغم ان مجلس الأمن كان قد انتقد هذا العدوان الغاشم بالاجماع ، فمن المؤسف ان المجلس أخفق في اتخاذ قرار يندد باسرائيل لهذا العدوان .

وفي رأي باكستان ، ان الأمم المتحدة لا يمكنها ان تتنصل من مسؤولياتها تجاه هذا الأمر وان على هذه المنظمة اتخاذ الخطوات الكفيلة باعادة الحقوق الشرعية لشعب فلسطين .

الجمهورية العربية السورية تؤيد حق شعب كشمير

الأمم المتحدة (١٩ تشرين الأول ١٩٦٦)

أيدت الجمهورية العربية السوريه بشدة حق شعب كشمير في تقرير مصيره . وقد جاء ذلك في البيان الذي ألقاه الدكتور جورج طعمة ، ممثل سورية في الأمم المتحدة — وقد قارن الدكتور طعمة حق شعب كشمير بحقوق كل من شعب عدن وروديسيا ، وأنغولا وعمان .

وقال الدكتور طعمه في بيانه « ان رياح الحرية تهب في كل مكان ، وستكتسح كل من يقف في طريقها » — واستطرد الدكتور طعمة قائلا :— وفي هذا الصدد فان موقف حكومة الجمهورية العربية السورية كان ولا يزال مؤيداً للقرارات المتعلقة بمسألة كشمير والتي تهدف الى اتاحة الفرصة لهذا الشعب في ممارسة حق تقرير مصيره .

حول قضية جنوبي غربي افريقيا

طالبت باكستان الامم المتحدة بان تضع على الفور جنوبي غربي افريقا تحت اشرافها التام وان تتخذ الخطوات الكفيلة بالسماح لشعب المنطقة بممارسة حقوقه في تقرير مصيره .

وقد جاء ذلك في البيان الذي ألقاه السيد شريف الدين بيرزادا وزير خارجية باكستان امام الجمعية العمومية للأمم المتحدة بتاريخ ٢٣ آب الماضي وقال السيد بيرزادا —

انه على الأمم المتحدة ان تتحمل مسؤولياتها في جنوبي غربي افريقيا وذلك لاعداد شعبها للاستقلال . » وحذر السيد شريف الدين بيرزادا بأن أي تأخير في هذا الصدد سيكون له عواقب وخيمة .

واستطرد السيد بيرزادا قائلاً : —

ان حكومة جنوبي افريقيا ارتكبت عدة مخالفات لنصوص الحماية التي منحتها اياها عصبة الأمم وذلك في حكمها لجنوبي غربي افريقيا . كما ان سياسة التفرقة العنصرية التي تمارسها حكومة جنوبي افريقيا تعتبر تهديد خطيراً لا للانسانية والأخلاق فحسب ، بل للسلام والأمن في العالم .

واشار السيد بيرزادا للحكم الذي أصدرته محكمة العدل الدولية بالنسبة لقضية جنوب غرب افريقيا فقال : —

ان هذا الحكم كان بمثابة صدمة لهؤلاء الذين يؤمنون بالأمم المتحدة وكانوا يتوقعون منها ان تؤدي دورها الخلاق في تقدم وتطوير القانون الدولي .

واضاف السيد بيرزادا قائلاً : —

اما يتعلق بمسألة الحمايه على المنطقة والتي منحتها عصبة الأمم لجنوبي افريقيا فانه لم يكن المقصود بها ضم المنطقة لجنوبي افريقيا وانما عني بها

المسؤولية وايس الحق .

هذا وقد رحبت جميع الوفود الافريقيه بحماس بالغ بالخطاب الذي ألقاه السيد بيرزادا كما علق أحد وفد عرب افريقيا بان خطاب السيد بيرزادا ان دل على شيء فانما يدل على مدى تضامن شعوب آسيا وافريقيا ضد سياسة التفرقة العنصرية. وقال أحد وزراء الخارجية وهو من الافريقيين بأن اقتراح بيرزادا وهو من غير الافريقيين يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار .

باكستان وتركيا تطالبان بايجاد حل سريع لمشكلة كشمير

قال الرئيسان التركي والباكستاني في بلاغ مشترك صدر بتاريخ ١٢ تشرين الأول بأن مشكلة كشمير يجب ان تحل باسرع وقت ممكن وذلك طبقا لقرارات الأمم المتحدة ورغبات الشعب في كل من جامو وكشمير . وقد صدر هذا البلاغ اثر المحادثات التي دارت بين الرئيسين التركي والباكستاني .

وقد أكد الرئيسان ضرورة العمل على حظر انتشار الأسلحة النووية وذلك لصالح السلام العالمي عامة والأمن الدولي بصفة خاصة . كما أكد الرئيسان تأييدهما لمسألة نزع السلاح ووضعها تحت الاشراف العالمي الفعال كأساس لمتطلبات السلام .

واكد الرئيسان تصميم الحكومة والشعب في كل من باكستان وتركيا على مساندة النظام العالمي القائم على الأخلاق والحرية والعدالة والسلام .

هذا وكانت الجولة الأخيرة لمحادثات الرئيسين ايوب خان وصوناي قد انتهت بالامس (١٢ تشرين الأول) واستمرت زهاء الساعتين ، غادر بعدها الرئيس التركي صوناي كراتشي بعد زيارة استمرت ستة ايام لباكستان .

وقال البلاغ المشترك الذي صدر اثر الزيارة ان الرئيسين تناولا في

المحادثات التي جرت بينهما الوضع العالمي بصفة عامة والتنمية الاقتصادية بينهما بصفه خاصة . وقد دارت المحادثات في جو تام من الود والفهم المتبادل . كما عبر الرئيسان عن اعتقادهما الجازم بأهمية منظمة التعاون الاقليمي ومستقبلها واعلن الرئيسان عن تصميمها على العمل الدائب لدعم التعاون الوثيق بينهما ، وذلك لتحقيق الأهداف السامية للمنطقة ولصالح البلدين والمنطقة ككل .

وقال البلاغ ان الرئيس الباكستاني عبر عن عرفان حكومه وشعب الباكستان بالجميل وذلك للتأييد التام الذي قدمته تركيا لشعب باكستان اثناء ازمة العام الماضي . كما أثار الرئيس التركي ببطولة ووطنية القوات المسلحة الباكستانية وروح التضحيه والفداء التي قدمها الشعب الباكستاني .

واضاف البلاغ بأن الرئيس التركي عبر عن عرفانه بالجميل للرئيس الباكستاني لتأييد الباكستان المستمر لتركيا بالنسبة لمشكلة قبرص كما عبر الرئيسان عن أملهما في نجاح المحادثات الثنائية الجارية الآن بين كل من تركيا واليونان ، والتي ستؤدي إلى السلام ولايجاد حل المشكلة . وابدى الرئيس التركي اعجابه وتقديره العميق للتقدم الاقتصادي والثقافي والاجتماعي الذي أحرزته باكستان تحت قيادة زعيمها الرئيس ايوب خان . كما قدم الرئيس التركي والسيدة حرمه خالص شكرها لشعب وحكومة باكستان على الاستقبال الحافل وكرم الضيافة التي قوبلا بها اثناء زيارتها لباكستان.

اسرائيل عميلة الاستعمار

نشرت صحيفة الجهاد الواسعة الانتشار والتي تصدر باللغة الأردية في راولبندي وبتاريخ ٢١ تشرين الأول تحت عنوان تحذيرات اسرائيل ما يلي :

مرة ثانية تجاسرت اسرائيل العميلة القذرة للاستعمار على تهديد الدول

العربية بالحرب ، وذلك لأن من يؤيدون اسرائيل قلقون من الثورات العارمة التي تجتاح الوطن العربي . فالاستعمار يعرف تماماً انه اذا اتحدت الدول العربية فلن يبقى مكان في الوطن العربي لاسرائيل . فمنذ ان خلق الاستعمار اسرائيل وهو يعمل جاهداً على تفتيت وحده الدول العربية وليس هنـاك شك ان الاستعمار قد نجح في الماضي في تفتيت هذه الوحدة ، اما الآن فقد تغير العالم تماماً ولم يعد للاستعمار مجال لتفتيت هذه الوحدة كما ان المؤامرات التي تحيكها اسرائيل والعدوان المخفق الذي تشنه على الحدود العربية لن يحل من مشكلات إسرائيل .

وبما أن وجود إسرائيل يمثل مصالح الدول الاستعمارية : لذلك فان إسرائيل لا تجد امامها سوى المضي في سياستها ونشاطها الاستفزازي لتفتيت وحدة الشعوب العربية .

ومن ثم فقد عمدت إسرائيل مؤخراً بتهديد سورية بالحرب . وفي مجلس الأمن طالبت إسرائيل المجلس أن يعمل على وقف حوادث الحدود بين سورية وإسرائيل . فمن ناحية تقوم إسرائيل بنشاطها التخريبي ضد وحدة العالم العربي ، ومن ناحية اخرى فان إسرائيل تحاول الظهور أمام الرأي العام العالمي بمظهر رسول السلام في المنطقة .

وفي يوم الثلاثاء بتاريخ ١٨ تشرين الأول الماضي أدلى رئيس وزراء العصابات الصهيونية امام البرلمان الاسرائيلي ببيان قال فيه : — انه إذا لم توقف الحكومة السورية الأعمال العدوانية على الحدود الاسرائيلية فانـــه ستكون هناك حرب بين اسرائيل وسورية . وأضاف رئيس الوزراء الاسرائيلي . لا نحب أن نبدأ الحرب ، اما ان لم توقف سورية الأعمال العدوانية على الحدود فستجد اسرائيل نفسها مضطرة للحرب .

روّح عن نفسك

● في العقد الفريد : لما حُلقت لحية ربيعة كانت امرأة من المسجد تقف كل يوم في حلقته وتقول : الله لك يا أبا عبد الرحمن من حلق لحيتك ؟ فلما أبرمته (أضجرته) قال لها : يا هذه ، إن ذلك حلقها في جزّة واحدة وأنت تحلقينها في كل يوم .

● قال رجل من بني أبي لهب لوهب بن منبّه : ممَّن الرجل ؟ قال : رجل من اليمن ، قال : فما فعلت أمكم بلقيس ؟ قال : هاجرت مع سليمان لله رب العالمين . وأمكم حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد .

● قال رجل لابن شبرمة : من عندنا خرج العلم إليكم . قال : نعم ، ثم لم يرجع إليكم .

(قلم المجلة)

إن هذا التحذير لرئيس الوزراء اليهودي إن دل على شيء فانما يدل بوضوح على أن إسرائيل تستعد مرة ثانية لمحاربة الدول العربية وذلك لخلق المشاكل والفوضى هناك .

وفي هذه الظروف فانه ينبغي للدول العربية ان تعرف جيداً أن الواجب يحتم عليها أن تتحد ، وفي حالة أي عدوان من جانب اسرائيل يجب القضاء على إسرائيل مرة واحدة .

هذه الحرب ستكون حاسمة بين الدول العربية واسرائيل ، ولذلك فانه على الدول العربية الاستعداد بكل قوة للقضاء على اسرائيل المنافقة ومحوها تماماً من الوجود .



منظر (الواجهة الأمامية) لكنيسة ديسبيري في مانشستر (انكلترا) التي اشتراها المغتربون المسلمون ولا سيما الدمشقيون ، وجعلوها جامعاً بعد ترجيح المجلس الكنسي ذلك على أن تصبح ملهى . وتبلغ مساحتها خمسة آلاف متر مربع تقريباً .



منظر البناء الكامل لها (الكنيسة والمدرسة ، ودور السكن ، والمكتبة والحدائق المحيطة) . إن بيعها للمسلمين ليجعلوها جامعاً دليل تسامح ناطق للمجلس الكنسي هناك الذي رأى صيرورتها للعبادة خيراً من صيرورتها للهو ولو زاد أصحابه في الثمن .

عوامل ضعف اسرائيل ★

١ — من عوامل ضعف إسرائيل كثرة الأحزاب فيها .

في إسرائيل أنواع كثيرة من الأحزاب تبلغ سبعة عشر حزباً أو أكثر بعضها أحزاب متطرفة شعارها الذي لاتحيد عنه : « من النيل إلى الفرات » ودعوتها التي لاتحيد عنها هي الحرب ! .

وبعضها أحزاب معتدلة ، شعارها الذي ترفعه هو :

« التعايش السلمي بينها وبين العرب » ، ودعوتها التي تدعو اليها هي : « إحلال السلام في ربوعها لتنطلق بكل طاقاتها للاستحواذ على الاقتصاد في العالم » .

بعض أحزاب إسرائيل يمينية في أقصى اليمين ، تدعو إلى التمسك بأهداب الدين اليهودي نصاً وروحاً ، وإرخاء اللحى والتزمت الشديد .

وبعضها أحزاب يمينية معتدلة ، تدعو إلى التصنيع والاقتصاد الحر .

وبعض أحزاب إسرائيل وسط تدعو الى مزج الاقتصاد الحر بالاقتصاد الموجه ، وتدعوا إلى الصلح مع العرب .

وبعض أحزاب إسرائيل يسارية ، منها المتطرف الذي يدعو إلى الشيوعية ومنها الذي يدعو إلى الاشتراكية المعتدلة كاشتراكية حزب العمال في انكلترا .

★ شطر من بحث من كتاب (طريق النصر) للواء الركن محمود شيت خطاب الذي قرظناه في باب الكتب .

في إسرائيل عدد ضخم من الأحزاب يحوي نماذج من كل أحزاب العالم ، تتقاذفها التيارات السياسية المختلفة ، ويدين بعضها بالولاء لدول أجنبية : منها لروسيا والدول الشيوعية التي تواليها ، ومنها للصين والدول الشيوعية التي تسير في فلكها ، ومنها للولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول الاستعمارية .

وفي أيام الانتخابات لمجلسها النيابي (الكنيست) والمجالس البلدية وللجمعيات العمالية الخ ... يظهر التناقض الواضح بين أحزابها الكثيرة في الصحافة والاذاعة وأجهزة الاعلام الأخرى .

بل إن هناك تكتلات حزبية داخل الحزب الواحد ، كما هو ظاهر في حزب الأكثرية (حزب الماباي ، حيث انشق إلى قسمين ، أحدهما يؤيد (بن غوريون) ، والثاني يؤيد خصومه وعلى رأسهم رئيس الوزراء الحالي ليفي أشكول .

وحكومات إسرائيل كلها ائتلافية ، لأن أي حزب من أحزابها لا يستطيع أن يحوز الأغلبية المطلقة في (الكنيست) .

إن كثرة أحزاب إسرائيل وتناقض مبادئها وأهدافها ، عامل من عوامل عدم الاستقرار في ربوعها .

٢ — ومن عوامل ضعف إسرائيل تفشي التردي الخلقي بين أبنائها .

إن مباذل باريس ، متأخرة كثيراً عن مباذل اسرائيل .

وأكثر السياح الذين يزورون إسرائيل من أرجاء العالم . إنما يزورونها للترفيه عن أنفسهم ولقضاء ليالي حمراء في أحضان بناتها .

وسواحل إسرائيل ، وغاباتها الكثيفة ، ونواديها الليلية ، وشوارعها وحاناتها ، ودور السينما والبيوت ، تشهد أخزى أنواع الخلاعة والتهتك

والفسق والفجور .

حتى جيش إسرائيل ، له مؤسسة خاصة ، مسؤولة عن ترفيه منتسبيه بفتيات خاصات .

ولقد وجد الجيش العراقي ، بعد معركة (جنين) ١٩٤٨ في خنادق جنود إسرائيل مع الأسلحة والعتاد أسلحة وعتاداً من نوع آخر هي : قطع الوقاية من الأمراض الجنسية التي تستعمل للجماع .

البكارة في إسرائيل نادرة ، والقاعدة في البنات هي عدم البكارة .

والتفسخ الخلقي واضح حتى في الأسر ، وقد بات الرباط العائلي مهدداً بالتفسخ في إسرائيل .

البنت هي التي تعطي المهر للزوج ، وهو ما يطلق عليه عند يهود تعبير (الدوطة) ، وهذا المهر تجمعه البنت في أكثر الاحيان من بيع نفسها لمن يقدم لها المال .

والزوج يفضل غالباً من تقدم له مهراً أكبر ليبدأ به حياته الزوجية في التجارة أو الزراعة أو الصناعة ، دون أن يسأل عن مصدر ما استلمه من نقود !

أما أن يسأل الزوج عن عفاف زوجه ، وأما أن يعرف قصة حياتها قبل الزواج ، فهذا نادر في عرف أبناء إسرائيل .

والأولاد غير الشرعيين ، واللقطاء ، وحوادث الاعتداء على الأعراض أمور طبيعية ، وقد أصبحت مألوفة في إسرائيل .

والأفلام الخلاعية ، والقصص الداعرة ، والصور العارية ، وكتب الجنس ، كلها رائجة .

كتب (اندريه موروا) في كتابه عن : أسباب انهيار فرنسا في الحرب

العالمية الثانية ، تجاه الزحف الألماني بسرعه وبدون مقاومة تذكر : أن من أهم أسباب هذا الانهيار عاملان : كثرة الأحزاب ، والانهيار الخلقي في فرنسا ، وهذان العاملان تفوقت إسرائيل بما هو متيسر فيها على ما هو متيسر في فرنسا نفسها .

وأين تهتك أبناء وبنات إسرائيل من تهتك أبناء وبنات نهر السين ؟

لقد تفوّقت إسرائيل في تهتكها على فرنسا تفوقاً ساحقاً ، وقد نافست بنات إسرائيل من بائعات الهوى بنات باريس في عقر ديارهن .

إن إسرائيل لا تحتفظ بفسادها الخلقي داخل حدودها ، بل تعمل على نشره في أرجاء العالم كله ..

وويل للعالم من تفشي الانهيار الأخلاقي الذي ينتقل إليـــه بالعدوى وبالتصدير من إسرائيل .

٣ — ومن عوامل ضعف إسرائيل هي المادية الطاغية على أبنائها .

إن من أهم مميزات يهود أنهم ماديون ، فهم تجار بالفطرة يحبون المال حباً جماً .

واليهودي لا يعيش إلا لثلاث : لفرجه وبطنه وماله .

إنهم يبذلون قصارى جهودهم في جمع المال من أي جهة وفي أية ناحية وبأي أسلوب .

والمال يُسَخِّرُ اليهودي ليفعل أي شيء ويؤدي أية خدمة .

والذين ينصتون الى أحاديث يهود فيما بينهم ، لا يسمع إلا كلمات الجنيه والدولار والدرهم والدينار .

رأيت رجلاً كهلاً في (جنين) يمشي مطرق الرأس بأسماله البالية ، يستجدي الصدقات من الناس .

وقال صاحبي الفلسطيني يحدثني عن أمر هذا الكهل المسكين فقال :
« كان هذا الرجل يمتلك بيارة للحمضيات تدر عليه عشرة آلاف جنيه كل عام ، وكان يمتلك ما يزيد على الألف دونم من الأرض الخصبة المباركة التي فيها بعض العيون . وكان في بيارته أجير يهودي له ابنة حسناء في السادسة عشرة من عمرها ، وكانت تحضر الطعام لوالدها ظهر كل يوم . وفي يوم من الأيام اختلى بها هذا الرجل فراودها عن نفسها فامتنعت فشغف بها حباً . وفي اليوم الثاني عادت إليه ، فأعاد الرجل مراودتها ، فقالت له : لا أسلم لك نفسي إلا بأن تكتب باسمي دونماً من أرضك ! ووافق الرجل ، واستسلمت له الفتاة ، ثم صارت تمتنع عليه إلا إذا كتب باسمها دونماً جديداً ! واستمر حالها على هذا المنوال حتى أصبح هذا الرجل أجيراً في بيارته وأرضه التي أصبحت ملكاً للفتاة اليهودية الحسناء ، وكان أبوها يعلم ما جرى وما يجري لابنته وهو فرح مرتاح ، حتى إذا أصبح لليهود دولة طرد هذا الرجل من عمله ، فأصبح حاله كما ترى يستجدي أكف الناس » .

ومثل هذه القصص كثيرة ، تسمعها في كل مكان في فلسطين !

واليهودي مقتصد غاية الاقتصاد في النفقة على غيره على الناس ، ولكنه ينفق بسعة على مأكله ومشربه ولهوه غير البريء .

واليهودي مترف في بيته ، ولكنه مقتر في خارجه .

وقد يبلغ من تقتير اليهودي على غيره ، أنه لا ينفق حتى على أهله إلا إذا كانت لهم أعمال ينتفع بها ، فتتعاون العائلة كلها على نفقات الدار .

ومن المألوف جداً أن يطرد اليهودي ابنته الشابة من بيته أو ابنه الشاب ، لأنهما لا يقدمان المال ، فتعيش ابنته الشابة في مكان آخر على

هواها تفعل ما تريد .

هذه المادة الطاغية تجعل اليهودي يحرص على ما له ، ويحسب لضياعه أو دماره ألف حساب .

وهذا يجعل اليهودي لا يصبر على تهديد ماله أو ممتلكاته بالخطر من جراء قصف القنابل والتخريب .

وهذا يجعل اليهودى إذا كان جندياً ، أن يقاتل وكل قلبه وفكره فيما خلّفه وراءه من مال ومتاع ...

وهذا ينتهي إلى إمكان شراء ذمم يهود بالمال ، فيتجسسون بالمال على إسرائيل أو على غيرها ، ويبيعون أسرارها للأعداء ... وهذا ما حدث فعلاً وما سيحدث في المستقبل القريب أو البعيد .

إن أكثر علماء الذرة الذين باعوا أسرارها في الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا كانوا يهوداً ، وقد أثبتت المحاكمات أن تلك الأسرار باعوها للروس لقاء المال .

والخلاصة ، ان الذي يحب المال ويعيش من أجله ، لا يمكن أن يكون جندياً مقاتلاً يضحي بحياته من أجل مثله العليا .

٤ - ومن عوامل ضعف إسرائيل جبن أبنائها الأصيل .

وعوامل الجبن ودواعيه ترتكز على سببين مهمين : الأول التفسخ الأخلاقي ، والثاني حب المال وهذان السببان يمكن جمعهما في سبب واحد، هو : حب الدنيا وكراهية الموت .

ومن سمات يهود الثابتة ، بل من أول سمات يهود أنهم جبناء .

وأرجو ألا يقول أحد ، أن يهوداً قد تبدلوا ، وان الزمان قد تبدل ، فيهود لم يتبدلوا منذ كانوا حتى اليوم .

عندما اشترك لواء يهودي في الحرب العالمية الثانية ، حدثت معه بعض الحوادث المضحكة المبكية في آن واحد ، ورويت عن شجاعة هذا اللواء المآسي والنكات .

لم يشترك هذا اللواء في الحرب عن طيبة خاطر أو كرهاً بالألمان وهتلر ، أو حباً بالحلفاء ، أو دفاعاً عن الديمقراطية ، أو شغفاً بالحرية ، أو لاقرار السلام ، كما كان يدعي زعماء الوكالة اليهودية .

لقد اشترك هذا اللواء في الحرب ، لأن الوكالة اليهودية - وهي حكومة يهود المؤقتة قبل ولادة إسرائيل - أرادت أن يكون لها يد على الحلفاء أولاً ، ورغبت أن يكون لها جيش علني ثانياً ، وأمّلت أن يتدرب هذا الجيش على فنون القتال العملية ثالثاً ، وطمعت في استلام السلاح والعتاد والمعدّات من الحلفاء لجيشها أخيراً .

وكان الحلفاء في حينه في أشد حالات الضيق ، وكانوا لذلك يرحبون بكل من يتطوّع لمعاونتهم في الحرب ، وقد رأينا كيف سار رجالهم شرقاً وغرباً يطوعون الرجال لخدمتهم بالرواتب الضخمة وبالاغراء الثمين .

وكان الحلفاء حينذاك يبذلون السلاح بدون حساب لكل من يتطوع لخدمتهم في القتال .

وكانوا يرضون من المتطوعين تحمل واجبات حراسة مستودعاتهم وخطوط مواصلاتهم الطويلة ، لتفرّغ رجالهم تفرغاً كاملاً لمصاولة الأعداء .

لقد كلف اليهودي بالواجبات الادارية : حراسة الثكنات الخالية ، وحراسة المطارات ، وحراسة المستودعات ، وحراسة المذاخر ، وحراسة المستشفيات ، وحراسة القواعد ، وحراسة المنشآت الخ ...

وكان في كل مكان من تلك الأمكنة جماعة حرس كبيرة من يهود ،

وجماعة حرس صغيرة أخرى من غير يهود ، لحراسة الحراس من يهود ! ! .

وقد حاول الحلفاء تكليف اللواء اليهودى باستلام منطقة قتال ثانوية ، فامتنعوا أولاً ثم وافقوا بشرط تأمين الحراسة اللازمة لهم في حلهم وترحالهم . . .

وحين كانوا يشغلون موضعاً معيناً من مواضع القتال ، كان الحلفاء يعتبرون هذا الموضع فراغاً عسكرياً .

وحين تردهم معلومات عن اقتراب جيش المحور منهم — وخاصة الألمان — كانوا يطلقون أرجلهم للريح .

ولما جرى نقلهم بالطائرات من مطار (اللد) في فلسطين ، كان مع كل طائرة جماعة حرس صغيرة من غير يهود ليذهبوا عنهم الفزع والروع .

وعندما كان الجو يخلو لهم في أحد مستودعات السلاح أو العتاد أو البنزين أو التجهيزات ، كانوا يسرقون من تلك المستودعات ويبيعونها حتى الأعداء أو يهربونها إلى فلسطين .

وقد بذلت الوكالة اليهودية جهوداً جبارة لإكمال تطوع هذا اللواء ، فقد كانوا يدفعون رواتب خيالية للجنود والمراتب والضباط . . . ومع ذلك وبعد أن أكملوا تدريب منتسبي اللواء على استعمال السلاح ، أراد ضباط وضباط صف وجنود ذلك اللواء أن يتمردوا على الوكالة اليهودية فلا يغادروا فلسطين .

ولم تفد مع بعض أفراد اللواء كل الاغراءات وكل أنواع الوعيد حين جاء موعد نقلهم إلى خارج فلسطين ، فانسلوا من ثيابهم العسكرية وفروا إلى أماكن مجهولة بجلدهم .

وكانت أجهزة الاعلام اليهودية تطبل وتزمر لهذا اللواء أثناء الحرب العالمية الثانية ، مدعية البطولة لرجاله مضفية عليهم شتى النعوت .. دون جدوى .

وكان الحلفاء يعرفون حق المعرفة مبلغ سيطرة يهود على أجهزة الاعلام العالمية ، فأرادوا أن يفيدوا منها بصورة غير مباشرة لنشر الدعاية ضد قوات المحور .

كما أرادوا أن يفيدوا من تلك الأجهزة الاعلامية الضخمة ذات الصوت البعيد في دعم قوات الحلفاء معنوياً .

وحمل يهود في مختلف أرجاء العالم رايات النضال المقدس ضد المحور وخاصة ضد الألمان ونظامهم النازي وحكامهم النازيين وعلى رأسهم أدولف هتلر .

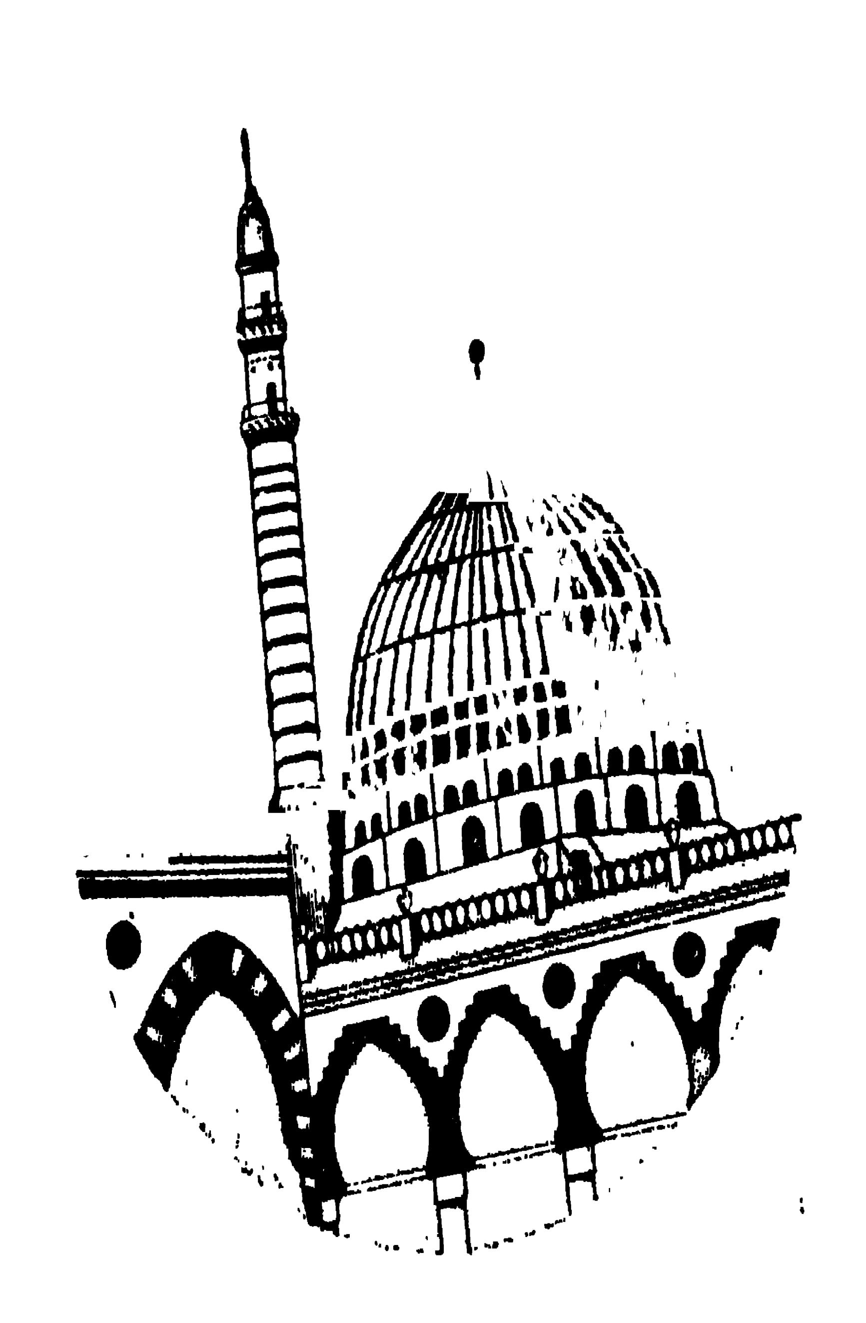
كما أن مصارف يهود دعمت حكومات الحلفاء بالقروض من أجل إعطائهم الوعود لخلق إسرائيل ...

كان بعض حراس يهود في مطار الحبانية وقاعدة الشعيبة ، قد باعوا للعراقيين من السلاح والعتاد والتجهيزات والأرزاق والدخائن والأدوية والمشروبات الروحية التي كانوا يحرسون مستودعاتها بثمن بخس دراهم معدودات .

تلك هي حقيقة أعمال لواء يهود في الحرب العالمية الثانية ، فلا تأبه لما سجّله لهم الحلفاء من شكر وتقدير فذلك أمر (روتيني) يقولونه لكل إنسان .

وبالامكان أن نتحدى يهوداً ايظهروا حقيقة أعمال لوائهم في الحرب العالمية الثانية ، ونتحداهم أن يبرهنوا على بطولة واحدة لرجل واحد من منتسبي لواء إسرائيل الخ .

ثم تحدث المؤلف عن التمييز العنصري الذي تعانيه إسرائيل .. وتحدث عن موقعها الجغرافي – بقعة صغيرة نسبياً بين الدول العربية – ثم تكلم حول عامل الوقت فبين أنه ليس في جانب إسرائيل بل هو بجانب العرب إذ لايكفي تزايد استعدادها لحمايتها ، ثم بين ما يكمن فى جيش إسرائيل على رغم مظهره الخارجي من نواقص ومحاذير ، وقد أجملنا ذلك إجمالاً مراعاة لنطاق المجلة .



أجزاء ٢٩ - ٣٢ من المجلد ٣٣



مجلة إسلامية علمية أدبية

تصدر بدمشق عن



١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الصوم المثمر

إن لرمضان شرفاً صاعداً ، وفضلاً سائداً ، وإن للصوم منزلة عظيمة وآثاراً كريمة . وما أجل وأجمل وأحمد أن يتجارى المسلمون في اكتساب الطاعات ، ويتباروا في سبل المبرات ، اغتناماً للتقوى وعواقبها الطيبة الرضيّة في الدنيا والآخرة . ولذلك فرض الله تعالى الصيام كما فرضه على من قبلنا فقال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كتبة على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » ٢ : ١٨٣[١] .

وليذكر التائبون الموقنون أن سيرة رمضان الحميدة ليست قميصاً يلبس في هذا الشهر ويُخلع بعده ، إنما سيرة دائمة تصحب المؤمن الواعي الذي يأبى القناعة بالصلاح الموقت ، وان الشريعة والفلسفة الخلقية لتصرّان على التوبة الصادقة والسلوك القويم الدائم ، وتؤكدان سبيل ذلك .

أ ـ قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نصوحا عسى ربكم أن يكفّر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم .. » ٦٦:٨

قال العلامة المرحوم جمال الدين القاسمي في تفسير « نصوحا » : أي توبة ترفع الخروق ، وترتق الفتوق ، وتصلح الفاسد ، وتسدّ الخلل

(١) كتبنا في التقوى بمناسبة تفسير الآية ٢٣ من سورة لقمان ، ونقلنا ما قاله فيها الإمام الغزالي (راجع مقدمة الأجزاء ٢٥ ـ ٢٨) .

من « النصح » بمعنى الخياطة . او توبة خالصة عن شوب الميل الى الحال الذي تاب عنه ، والنظر اليه بعدم الالتفات ، وقطع النظر عنه . من (النصوح) بمعنى الخلوص [1] .

وقلنا : أمر المؤمنون بالتوبة النصوح التي ينصحون بها أنفسهم ، وهي التوبة النادمة الجازمة بالعزم على ترك المنكرات .

قال الإمام أحمد : حدثنا . . عن عبد الله بن مغفل قال : دخلت مع أبي عبد الله بن مسعود فقال : أنت سمعتَ النبي ﷺ يقول : [الندم توبة] ؟ قال : نعم :

قال ابن جرير : ثنا . . عن سماك بن حرب : سمعت النعمان بن بشير يخطب ، سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : « يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا » قال يذنب الذنب ثم لايرجع فيه .

وقال العلماء : التوبة النصوح هي أن يقلع عن الذنب في الحاضر ويندم على ماسلف منه في الماضي ، ويعزم على ألا يفعله في المستقبل . ثم ان كان الحق الآدمي ردّه اليه بطريقه .

وبعد أن أمر المولى سبحانه وتعالى بالتوبة النصوح قال : « عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار . . » عسى تفيد الترجّي ، وهي من الله سبحانه تفيد الوجوب ، فكأنه قال سبحانه توبوا هذه التوبة يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لايخزي الله النبي والذين آمنوا معه . . فالله لايخزيهم كما لايخزي النبي يوم القيامة ، فهم المؤمنون ، وهم المستجيبونَ لما دعا اليه .

قال الله تعالى في سورة الرعد : « مثل الجنة التي وُعد المتقون تجري

---

(١) تفسير القاسمي ج ١٦ ص ٦١٨ .

من تحتها الأنهار ، أكلها دائم وظلهـا ، تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ١٣ - ٣٧ « نورهم يسعى بين أيديهم » على الصراط كما يسعى الرجاء أمام صاحبه فيحمله فرحاً آمناً ، ألا ما أجمل النور ساعياً بين أيديهم وبإيمانهم ، انه نور الأعمال الصالحة والرضوان ، فاز به المؤمنون فكانت لهم تلك الصورة الرضية ، وكان دليل الاطمئنان بالفوز والجنان « يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير » فهم يسألون إتمام ذلك النور الساطع الى الجنة ، بينما غيرهم من الكفار والمنافقين لانور لهم يهديهم سواء السبيل وهم في أشد الحالات حاجة اليه [1] .

ب ـ قال العلامة المرحوم أحمد أمين [2] .

إن معرفتنا كيف تكون العادة يعيننا على فهم كيفية التخلص منها ، فالتخلص منها يجب أن نعمل عكس مايكونها وقد ذكرنا قبل أنه لتكوين عادة يجب الميل إلى الشيء وإجابة الميل وتكرير كل من الميل والإجابة تكراراً كافياً ، فالتخلص منها يجب أن نقاوم الميل الى العمل وكلما ملنا إليه لانجيب الميل ، فنستطيع أن نميت العادة بإهمالها كما نستطيع أن نحييها بالميل وإجابته . ويجب لتغيير العادات السيئة مراعاة القواعد الآتية [3] :

(القاعدة الأولى) أعزم عزماً قوياً لايشوبه تردد ، وضع نفسك في المواضع التي لاتلتئم مع العادة القديمة التي تريد التخلص منهـا ، وارتبط ارتباطات كثيرة منافية لها ، ولا تأت ماكان من الأعمال مناسباً لها ، وإذا رأيت أن إعلان عزمك على تركها مما يبعدك عن العودة اليها فافعل .

---

(١) تفسير جزء قد سمع للأستاذ مظهر العظمة ص ١٢٨ .

(٢) الأخلاق للأستاذ أحمد ص ٣١ ـ ٣٤ .

(٣) وضع هذه القواعد الأستاذان (بين) و (جيمس) وترجمها المرحوم عاطف باشا بركات بتصرف .

وبالاختصار يجب عليك أن تحوط عزمك الجديد بكل شيء تعلم أنه يقويه فإن حياطته بذلك من دواعي النجاح . وكلما مضى يوم واحد من غير رجوع إلى العادة القديمة ثبتت العادة الجديدة وتمكنت .

(القاعدة الثانية) لاتسمح لنفسك بمخالفة العادة الجديدة مطلقاً لأي سبب من الأسباب إلا بعد أن تتمكن جذورها من نفسك وحياتك ، فإن كل مخالفة لها تبعد الإنسان بعداً كبيراً عن النجاح ، ويكون مثله مثل من يطوي خيطاً على بكرة فإذا سقطت البكرة منه مرة واحدة انحل من الخيط مايحتاج لإعادة طيه إلى عشرات من اللفات ، وإن استمرار التربية والتمرين هو أكبر واسطة في جعل المجموع العصبي يفعل في طريق مخصوص على الدوام ، لأن في تربية الخلق عاملين متضادين : الفضيلة والرذيلة ولا تتمكن الفضيلة من الإنسان تمام التمكن إلا إذا غلبت الرذيلة في كل معركة تحدث بينهما ، وإن تغلب الرذيلة مرة واحدة قبل جفاف البناء وثبوته يهدم مابنته الفضيلة في كثير من مرات تغلبها . إذا ثبت هذا كان من اللازم أن يضع الإنسان هاتين القوتين بحيث يستمر تغلب الفضيلة حتى يتم بنيانها ويقوى قوة لاتؤثر فيها الرذيلة في أي حال من الأحوال .

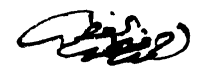
اتفق أهل الخبرة على أن أولى الطرق في التخلي عن عادة مذمومة أن يتركها الإنسان مرة واحدة ، فيتألم لذلك ويلاقي من تركها المشاق مدة محدودة من الزمن ، ثم تزول المشقة ويتحرز من رق تلك العادة . قال عليه الصلاة والسلام : « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » .

وإن رجلا يغيّر عزمه في كل يوم ولا ينفذه ، إنما هو كمن يريد أن يثب قناة فيجري لها من بعيد حتى إذا وصل إليها غيّر عزمه وعاد ليجري من جديد ، وهكذا ، فلا هو يثب ولا هو يريح نفسه .

(القاعدة الثالثة) انتهز أول فرصة لتنفيذ ماعزمت عليه واتبع كل انفعال نفسي يعين على ذلك التنفيـذ ، فإن الصعوبة ليست في العزم ، وانما هي في تنفيذه ، ومهما حفظ الإنسان من الحِكَم وكانت رغباته صالحة فلن تتحسن أخلاقه وتقوى الا اذا انتهز كل فرصـة تسنح له ، وليس هناك أحقر من رجل ممتلىء بالأحلام يصرف حياته في احساسات وانفعالات من غير أن يعمل بمقتضاهـا . وان كل من أحس منا أو انفعلت نفسه بأن عمل كذا خير ولم يفعل شيئاً على مقتضى ذلك الإحساس قد أمات في نفسه خلقاً من أكبر الأخلاق وهو قوة العزم وتنفيذ الرأي .

(القاعدة الرابعة) حافظ على قوة المقاومة واحفظها حية في نفسك وذلك بأن تتبرع بعمل صغير كل يوم لا لسبب الا لمخالفة نفسك وهواك لأن هذا يعينك على مقاومة المصائب اذا حان حينها ، ويكون (مثلك مثل رجل يدفع في كل سنة مبلغاً صغيراً تأميناً على بيته ومتاعه) اهـ .

إن المؤمنين ليسهل عليهم أن يبدلوا سيئـاتهم حسنات بمراعـاة لمثل ماتقدم ، وبتقديمهم حكم الإيمان الحق والعلم الصحيح والعقل السليم على العادة الخبيثة والغريزة الخسيسـة ، وإن الصيام ـ أو مدرسة الثلاثين يوماً ـ كما نعتها الموحوم الفقيد الرافعي ـ خير مدرسـة تتخرج منها نفوسهم وأفكارهم وعواطفهم فتحمل شهادة التوبة النصوح التي تثمر ثمرة الصيـام الغالية ألا وهي التقوى وفضائلها ، كإقامة الشعائر والاستقامة والعفة والصدق والرحمة والعدل والسخاء وبيع النفس والمال في سبيل الله .



السنة

حب الدنيا

للأستاذ محمد كمال الخطيب

روى أبو داود في سننه ، عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها » قال قائل : ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : (بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن) ، قال قائل : يارسول الله وما الوهن ؟ قال : (حب الدنيا وكراهية الموت) .

الكلمة :

قالت العرب « تكلموا تعرفوا » فإن الكلمة (بمعناها ومبناها ، بموضوعها وأسلوبها) ترجمان المشاعر والأفكار والمنازع والرغائب .

من سمات النبوة وأغراضها :

وقد أوتي الرسول عليه الصلاة والسلام جوامع الكلم التي تحيط بالحياة بنظرات مبصرة ، تصل الماضي بالحاضر ، وتتطلع إلى المستقبل ، وتستشرف إلى الآخرة ، وتلك أهداف النبوة وأبرز سماتها ، تظهر بأغراضها وهدايتها التي ترسم الطريق المستقيم ، وهي ترى أن (مع اليوم غداً ومع الدنيا آخرة .

النبوة المحمدية :

وإن رسالة محمد ﷺ التي ختمت بها الرسالات ، وانقطع بها وحي النبوءات ، قد امتازت بشمول النظر لما يبدأ بأدق دقائق الحياة وأخفى خفاياها وأصغر أجزائها إلى أبعدها مرمى على حد سواء ، فإذا تحدث رسول الله ﷺ عن الفرد بنيته وطويته ، وإيمانه وعقيدته وعبادته وأركان إسلامه ، ومعاملاته مع غيره في سلوكه وأخلاقه ومكاسبه ، فإنه لم يقف وقفته هذه دون النظر إلى حاجات مجتمعه بجميع ملابساته وما يحتاج إليه تربية وقيادة ، وإدارة وسياسة وتشريعاً ، وبذلك تكاملت حلقات الإسلام واتزنت فيه شخصية الفرد وانسجمت مع شخصية المجتمع .

سنن اجتماعية :

وكان من أبرز مانبه إليه القرآن الحكيم في أقاصيصه وعبره ما انتهى إليه من بيان نظمه وسنن الاجتماع قائلا : « سنة الله التي قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » (سورة الفتح : ٢٤) وأكد هذا في موطن العظة الزاجرة قائلا : « فهل ينظرون إلا سنة الأولين ؟ فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا » (سورة فاطر ٢٤) .

المصالح الاجتماعية :

وكان من أساليب القرآن الحكيم والسنة النبوية أن يتحدث إلى الناس ومؤمنيهم بلغة الجمع في كل مايتصل بالمجتمع بآثاره ونتائج أحكامه ، وكان من أدق النظر وصف المجتمع الإسلامي بأنه (كالجسد الواحد) بحيويته (كالبنيان المرصوص) بتماسكه وتضامنه .

نبوءة الغد ونظام المجتمع :

وإن نظرة نبوية الى بناء المجتمع الإسلامي عبر الغد المجهول كشفتها كلمات من وصفه تعالى بقوله : « وما ينطق عن الهوى » ، فهي لم تأخذ بالظنون ولم تخدع بالحاضر والأمل وشأن الإنسان الضعيف وزعاماته وانما أبصرت المدى البعيد من الغد المجهول ، فحدثت عن الأمة الإسلامية وصراعها مع الأمم ، وتدانى المشهد أمامها حتى (أوشك) أن يبصره السامع مع الرسول الأعظم ﷺ ، فقالت الحديث الشريف الذي توجنا به هذه المقالة .

معركة التاسبغ :

إنها معركة غنائم وهزائم تتداعى لها الأمم على اختلاف رقاعها ولغاتها ، وألوانها ، وعقائدها ، شرقاً وغرباً ، تتداعى تداعي المطامع والعداء (كما تتداعى الأكلة) بنهمة وجوع وشهوة (الى قصعة) تراها (قصعتها) لاتحتاج الا أن تمد اليها اليد فتأكل منها ، لأنها مغنم ناضج لا يحتاج الا الى آكل ، فيتداعى الأكلة بلغة التنافس والتعاون على اختلاف الفروق والمصالح .

وهذا منتهى الضعف من جانب الأمة الإسلامية ومنتهى القدرة والمطمع والتنافس والتعاون على اقتسام الغنائم من المسلمين من جانب الأمم الطاغية المعادية . وها نحن أولاء اليوم نراها وقد تداعت حتى لحماية مغانم المشردين المستذلين في الأمم أبناء من غضب الله عليهم من بني اسرائيل قتلة الأنبياء كبراً وعلواً وفساداً في الأرض .

علم وتعلم :

وقد أحس الصحابي بإحساس أمته بأجيالها المتلاحقة فتحدث مع رسوله عن نفسه حديثه عن أمته فتساءل : « ومن قلة نحن ؟ » وكان العرب

(منذ الجاهلية) أمة بطولة وحرب وتضحية ، فلم يخطر لهـذا المخضرم (بين عصري الجاهلية والإسلام) سبب يسأل عنه غير قلة هذه الأمة الى جانب الأمم بعديدها وكثرة مقاتلتها الطامعين بها ..

وكان هذا الأسلوب المرشد الذي يتجـاوب به الشعور والفكر بين الرسول عليه السلام ومن يسمع منه ، مدار هذا السؤال ، وكان الجواب بتصوير أخطاء أمتهم في مستقبلها ، كأنها أخطاؤهم هم أنفسهم يخاطبون بها عما يرسم وحدة الأمة في بطونهـا فيقول : (بل أنتم) ، ويعني بذلك من سيخلفهم وتكون الفتنة المقبلة في عهدهم ، (بل أنتم يومئذ كثير) وهنا يرسم لهذه الكثرة صورتها المتاوجة المضطربة بالفتن ، تطفو في مظاهر من الحياة كما يطفو الغثاء على سيل جارف أقبلت به الأمم اقبال عدائها ومطامعها ، وهنا ينفذ البصر النبوي إلى مواطن الداء ويكشف عن العلة الخبيثة في الفرد والجماعة ، فيخاطب بلفظ المجمل خطاب من يستثير السؤال ثانية ليعطي الجواب معلماً مرشداً كما يبصر ذلك القلب الكبير ، قلب قائد الخير وإمامه ، يحذر من الفتنة وأخطائها في معركة هي من أدق معارك الحياة الاجتماعيـة وهو « النذير » فيصور الموقف في الأمـــة تصوير « انتزاع » (وقذف) ، انتزاع « المهابة » التي تكون للأمة الكثيرة القوية ، وقذف (الوهن) .

إن المهابة في مغارسها صفة قوية طبيعية ، وان الوهن الذي يســائل عنه السائل فتصوره البلاغة النبوية بأدق أسبـــابه في الفرد والمجتمع من (حب الدنيا وكراهية الموت) .

حب الدنيا :

إن للدنيا محبة تبلغ من النفس أعمق جذورهـا حتى قالت العامة في أغنيتها :

مهما شقينا ، مهما لقينا قلبي يحبك يا دنيـــا

وإن للدنيا لزينة ، وهي تملك على الناس ألبابهم بالحق وبالباطل ، وإن للموت لكراهية طبيعية ، فإذا كانت « مصيبة الموت » (كما عبر عنها بيان القرآن الحكيم) فـ (إن العين لتدمـع ، وان القلب ليحزن) كما صرح بذلك النبي الكريم .

ميزان الحب والكراهية :

وإن لهذه المحبة للدنيا والكراهية للموت ميزاناً عدلاً من أهداف الحياة ونظامها وما تستقيم به شؤونها ، وهي تقوم على دعامتين من الحق والخير أو تفسد الأرض ، وبذلك تختلف النظرة ، فإذا (حب الدنيا رأس كل خطيئة) وإذا بكراهية الموت إيثار للباطل والشهوات ومفاسد الحياة ، وهذا مصدر الوهن والضعف والانحلال في الأمة تقذف به وهي تهوي في منحدر الفناء ، وكلما هوت ازداد بها الطامعون وتداعت عليها الأمم حتى تكون في الهالكين عبرة لمن يعتبر .

زينة محبوبة :

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا » ، فإذا زينت لنا وأحببناهـــا الحب الطبيعي ، وذكرنا قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله » ، وعرفنا واجبنا في الحياة تجاه واهب الحياة وأدينا حق العبودية له طاعة وتقرباً وتسبيحاً وتنزيهاً ، فإننا بذلك نتمتع بالحياة ، ونحب فيها الحق ونجتنب منها الباطل وما يؤدي الى التهلكة ، وبمثل هذا نعرف مانحب من الحياة ومانكره ، وما نحب له الموت ونكره .

مفسدة الحياة :

إن حب الدنيا ولو ذلت ، وفسد الحق فيها ، وضاع الخير فيها ،

واتخاذها غاية لذاتها ، فإنه حب فاسد تحكمت به الغريزة العمياء والشهوة الرعناء والذلة والمفسدة ، والزور والآثام ، وهي مزالق الهوى في الحياة وموطن رجها وقذفها بالوهن وأسباب الفناء .

ميزان الحب للحياة :

ورأس الأمر أن نعرف أنفسنا بوجودنا وموجودنا وكلمة الله فينـا وفي إيماننا ومـا تستقيم به الحياة طيبة عزيزة كريمة ، فنحب من ذلك ما أحب الله ، ونكره لأنفسنا ما كره الله وحذرنا منه ، وحرمه علينا ، فنختار مايرضيه ، ونسلم الأمر اليه ، ونلتزم في الحياة طاعة نظامه ونعتصم من المزالق بحبله المتين وعروته الوثقى ، التي لا انفصام لها .

حب الموت جهاد :

وإن من ذلك أن نصارع في الحياة مايفسد عيشنا ويقودنا مقاد الضلالة والهلاك ، ونعرف في الحياة معركة تضم الإيمان وأهله ، والكفر وأهله وبين ذلك يتلون النفاق والشقاق والخذلان ، ويميل حيث مالت الأهواء والمصالح ، ونتخلق لذلك بأخلاق الأمة المؤمنة المجاهدة التي تحب الموت فتوهب لها الحياة وتتبوأ مكانتها بين الأمم .

حكمة النبوة :

إن النبوة التي أرشدتنا الى العلل قبل وقوعهـا ، إنما أرادت منا ما أراده « النذير » من مجابهة الأخطار ، فنكون منهـا على بصيرة بعلة ودوائها فنختار لأنفسنا مانريد لها ، فهلا وعظتنا بنبوءة منذرة وقد تداعت علينا الأمم ، فنرجع إلى الله ؟ !

تناحر وانتحار :

إن تداعي الأمم علينا قد تجسم مابين الحربين العالميتين ودقت أساليبه الفنية وحروبه الماكرة من بعد ذلك ، ولا نزال نتقلب من ذلك على جمر يذيقنا في بلاد العروبة والإسلام ألواناً من السم والصاب والعلقم وقد درس تاريخنا وعرف نفسياتنا ، ونظم مدارس المستشرقين ومناهج الساسة وفرق الأمة فرقاً وجعل التناحر بأيدي أبنائها عنوان ضربة تصيب الإيمان ، وتمتد الى المصلحة وحربها العوان ، وبذلك فتح لنا معارك في آفاق مجتمعنا حتى لم يدع حجراً على حجر قائماً أو كاد ، ويفسر لنا قول الله « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » وزينوا لنا هذا الصراع والتناحر ، وكنا بذلك على أنفسنا وأمتنا أعواناً .

مقاتل الأمة المجاهدة :

وإن من أبرز سمات الأمة المجاهدة أن تكون مؤمنة بمثل أعلى ، متماسكة يسودها روح البذل والتضحية ، وان كل عنصر من هذه العناصر التي يرتكز الجهاد عليها قد أديرت من حوله المعركة ، فزلزل الإيمان بنظرات ، وثورات ، ومدارس ، قامت عليها ، ومناهج تربوية رسمت لها ، حتى ضاع صوت القرآن بين هذه الجلبة أو كاد في الأمة المسلمة ، فالشك والريب ونسبية الحقيقة وتطور الزمن وما الى ذلك كفيلة بأن تجعل الإيمان وهما من الأوهام الحقيقية ، والفضيلة ، بهذه الأساليب الدائرة والمعركة الماكرة !

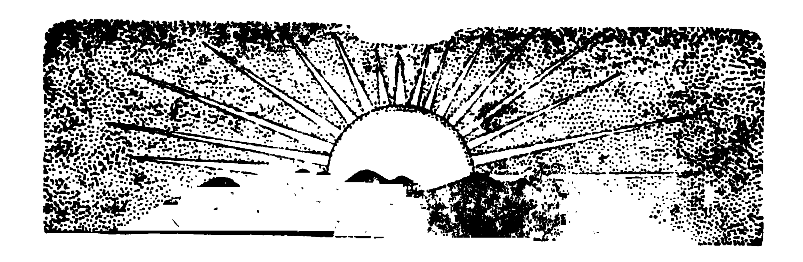
وإن المبدأ الراسخ لزلزلة نظرات من الأخذ بفرق (التجربة) تلعب بكل رأس فارغ يلهو بالأمة وتلهو به ، لأنها (تريد) أن يلعب دوره ويقوم بتجربة الحياة ... كأنه أول البشرية ، ولا نبوة تهديه ولا عاصم له

الا أن يبدا طريق الحياد من أول خطوة ، فلا يخطو على أثر غيره ، وذلك بـ (إعجاب كل ذي رأي برأيه) وغروره بنفسه ، واتباع الظن والهوى « ان تتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس » وبه هلاكهم « ولقد جاءهم من ربهم الهدى » بأركان ايمانهم وتربية اسلامهم ، وفي ذلك نجاتهم .

معركة الجهاد الأكبر :

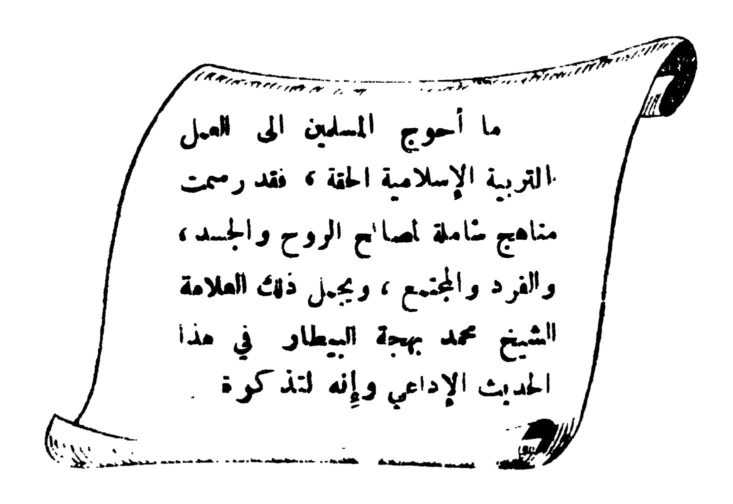
إن الآفة كثيراً ما تكون آفة جهل ، ولهذا كان طلب العلم ساعة خيراً من جهاد ستين سنة ، هذا الجهادَ الأصغر ، فعلينا أن نبصر معارك العصر الحاضر ، عصر الطباعة والإذاعة فإنها أخطر المعارك نفوذاً يمتد إلى عقيدة وتربية أمة ورسالة وجهاد ، ونستعيد في الأرض منزلتنا التاريخية ، ونتبوأ بين الأمم مكانه القيادة ، أمة رسالة تهتدي بهدى الله ، وتردد في الأرض كلماته وتعتز به ، خاشعة خاضعة وهي تردد قوله مخاطبة له بوقفة بين يديه : « إياك نعبد وإياك نستعين » ، نحب ما أحببت ، ونكره ما كرهت ، وبذلك نكون « خير أمة أخرجت للناس » وهذا ماندعو اليه « لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول شهيداً عليكم » وقد أسمعكم صوت البشير بالخير والنذير من كل شيء ، فهل من معتبر ؟

المحامي محمد بن كمال الخطيب



التربية الإسلامية

موضوعنا اليوم — في حديثنا هذا — التربية الإسلامية في عهدها الأول . وإعطاء صور عنها ، توضح تمام الإيضاح أن أساسها الأخلاق والفضائل ، وميزانها إقامة العدل بين الخلائق ، وهذا الطراز الممتاز نقتبسه من نور العصور الذهبية للاسلام . ولقد ذاق الناس من ظلم المدنية المادية ما جعل اشدّ الناس إيماناً بها من قبل ، اشدّهم بغضاً لها ، وكراهية للمستبدين الظالمين من أهلها .



أيها الأعزاء ، التربية الإسلامية الأولى هي التي هدت السلف ، إلى الجمع بين مصالح الروح والجسد ، فالمسلمون بعد أن سمت عقولهم بالتوحيد ، وزكت نفوسها بضروب الأخلاق والعبادات ، عُنوا أشد العناية بالعلوم والفنون النافعة التي عدّها الإسلام من الفروض ، فكانوا بذلك خير أمة أُخرجت للناس ، وساسوا الأمم سياسة لم يشهدها التاريخ لها مثيلا . ونورد هنا أمثلة عليها من كتب السيرة النبوية ومن تاريخ العرب والمسلمين :

فالمثال الأول ، الدالّ على صحة الإيمان والعمل ، أن أصحاب رسول الله ﷺ يوم سار بهم إلى بدر ، وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا ، ليناجزوا ثلاثة أضعافهم ، من أهل الرجولة والحماسة والبأس . وفي طريقهم أراد النبي ﷺ أن يختبر إيمانهم فأخبرهم عن قريش ، واستشارهم في الموقف عملا بقوله سبحانه : « وشاورهم في الأمر » وبقوله : « وأمرهم شورى بينهم » فقام الصدّيق الأعظم أبو بكر ، فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطّاب الذي أعز الله به الإسلام ، فقال : وأحسن ، ثم قام فارسهم المقداد بن عمرو الأسود ، فقال : يارسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ههُنا قاعدون » ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون ، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له ، ثم قال رسول الله ﷺ : أشيروا علي أيها الناس ، فقال له سعد بن معاذ أقوى زعيم في الأنصار : والله لكأنك تريدنا يارسول الله ؟ قال أجل ، قال سعد : فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئتنا به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن نلقى عدونا غدا ، إنا لصُبُر في الحرب صُدُق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقرُّ به عينك ، فسر بنا على بركة الله . وقد كان عملهم أبينَ من قولهم وأصدق .

هذه هي التربية الإسلامية الأولى في مواقف البأس والشجاعة وعند الشدائد ، وأمــــا في مواقف السلم ، وفي تحري العدل والإنصاف مع الإخلاص لله رب العالمين ، فهذا حديث أمّ سلمة ، رضي الله عنها – فيما رواه عنها الإمام أحمد في (مسنده) ، وأبو داود في (سننه) قالت : جاء رجلان يختصمان إلى رسول الله ﷺ في مواريث قد درست ، ليس

بينهما بينة ، فقال لهما رسول ﷺ إنكم تختصمون إلي ، وإنما أنا بشر ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض وإنما اقضي بينكم على نحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً يأخذه ، فإنما أقطع له قطعةً من النار ، فبكى الرجلان ، وقال كل واحد منهما : حقي لأخي ، فقال رسول الله ﷺ أمَّا إذا فعلتما ذلك فاذهبا فاقتسما ثم توخيا الحق ، ثم استهما — أي اعملا القرعة على القسمين بعد قسمهما — ثم ليُحلل كل منكما صاحبه ، وهذان الرجلان المثاليان هما من عامة الصحابة لا من خواصّهم كالعشرة المبشرين بالجنة ومن في طبقتهم — ممن اختصهم النبي ﷺ بالمكانة الرفيعة والمناقب .

ومن الجيل المثالي نُسيبة بنت كعب وهي أم عُمارة المازنية الأنصارية ، كانت شهدت الحرب مع رسول الله ﷺ وشهدت معها أختها ، وزوجها زيد بن عاصم ، وابناها حبيب وعبد الله ، وابن نُسيبةَ حبيب هو الذي أخذه مسيلمة الكذاب الحنفي صاحب اليمامة ، فجعل يقول له : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول نعم ، فيقول : أفتشهد أنيَ رسول الله ؟ فيقول : لا اسمع ، وجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات في يده ، لا يزيده على ذلك ، إذا ذكر له رسول الله ﷺ آمن به وصلى عليه وإذا ذكر له مسيلمة قال لا أسمع ، فخرجت نسيبة الى اليمامة مع المسلمين ، فباشرت الحرب بنفسها حتى قتل الله مسيلمة ، ورجعت وبها اثنا عشر جرحاً ما بين طعنة وضربة .

هذا هو بذل النفس والولد في سبيل الله وابتغاء رضوانه . ومثال بذل المال والزهد به في سبيل العقيدة ، مـا ذكره ابن هشام وغيره من علماء السيرة والتاريخ أن صُهيبا الرومي حين أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكاً حقيرا ، فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك !! والله لا يكون ذلك ، فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي ؟ قالوا : نعم : قالَ :فإني جعلت لكم مالي ، قال الراوي : فبلـغ رسول الله ﷺ فقال : ربح صهيب : ربح صهيب .

أيها الأخوة الكرام هذه الأمثلة التي أوردناها من بذل الأنفس والأموال هي مصداق قوله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » فالمبيع هو ما يملكه المؤمن بلقاء ربه من نفس ومال ، والثمن هو ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وجُعل هذا العقد مسجلاً في الكتب السماوية « فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » قال الحسن : اشترى أنفساً هو خلقها ، وأموالاً هو رزقها ، إلا أنه تعالى غني عن أنفسهم وأموالهم ، والبيع والثمن له ، وقد جعله بفضله وكرمه لهم ، والحمد لله رب العالمين .

محمد بهجة البيطار

التسعير

لم يقع التسعير في زمن النبي ﷺ بالمدينة ، لأنهم لم يكن عندهم من يطحن ويخبز بكراء ، ولا من يبيع طحيناً وخبزاً ، بل كانوا يشترون الحب ويطحنونه ويخبزونه في بيوتهم . وكان مَن قدم بالحب لا يتلقاه أحد ، بل يشتريه الناس من الجلاّبين . ولهذا جاء في الحديث : (الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون)[1] .

الطرق الحكمية : ابن قيم الجوزيه

(١) رواه ابن ماجه من حديث عمر .

هل الإنسان خليفة الله في الأرض ؟

للأستاذ محمود مهدي استانبولي

لقد شاع على ألسنة وكتابات كثير من الأدباء الأسلاميين أن الإنسان خليفة الله في الأرض، وعلى الرغم من الاعتراضات التي وجهت إليهم، نرى بعضهم يصر على رأيه، ويروح يستغيث باللغة العربية للدفاع عن هذا الرأي، كأن اللغة العربية ـ وحدها ـ هي مصدر فهم القرآن، لا النصوص العامة للشريعة، ولو كانت اللغة كافية في فهم القرآن، لاقتصرنا في صلاتنا على الدعاء !

لقد كان يكفي هؤلاء الكتاب الرجوع عن فكرتهم الخاطئة، كلمة للخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه.

قال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في فتاويه (٣/٤٦١):

« وقد ظن بعض القائلين الغالطين كابن عربي أن الخليفة، هو الخليفة عن الله، مثل نائب الله، والله تعالى لا يجوز له خليفة. ولهذا قالوا لأبي بكر ياخليفة الله ! فقال: (لست بخليفة الله، ولكني خليفة رسول الله ﷺ وآله وسلم حسبي ذلك) رواه أحمد في المسند (١ / ١٠ / ١١ ونحوه) بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره، قال النبي ﷺ: (اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا في سفرنا، واخلفنا في أهلنا ...) ولا يجوز أن يكون أحد خلفاً منه (أي من الله تعالى) ولا يقوم مقامه، إنه لا سمي له ولا كفء، فمن جعل له خليفة فهو مشرك به ! »

والغريب – والغريب جداً – أن هؤلاء الكتاب الاسلاميين المصرين على رأيهم في أن الإنسان خليفة الله في الأرض يروحون أيضاً موهمين أن بعض آي القرآن الكريم تثبت صحة ما ذهبوا إليه، كأن أبي بكر رضي الله عنه، وكأن الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وقد رأيناهما يرفضان نسبة خلافة الإنسان لله سبحانه، لم يفهما تلك الآيات !!

ومن هذه الآيات التي استشهدوا بها على هذه الخلافة :

١ – (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها وحملها الانسان، إنه كان ظلوماً جهولاً) .

وهذه الآية حجة عليهم لا لهم بدليلين :

أولاً أن الله سبحانه عرض هذه الأمانة على السموات والأرض والجبال، فإذا كان الإنسان هو – وحده – خليفة الله في الأرض – كما يزعمون – فكيف عرض الله سبحانه هذه الأمانة على غيره ؟ !! وهي الخلافة على حد تعبيرهم وفهمهم ! .

ثانياً كيف يكون الإنسان خليفة الله في الأرض وقد وصفه بأنه كان ظلوماً جهولاً ؟ !! .

٢ – ومن الآيات التي استدل بها هؤلاء الكتاب الاسلاميون على هذه الخلافة قوله تعالى : (وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين، فإذا سويته، ونفخت فيه من روحي، فقعوا له ساجدين، فسجد الملائكة كلهم أجمعون، إلا ابليس استكبر وكان من الكافرين، قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين ؟ قال : أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، قال : فاخرج منها فإنك رجيم) .

وليس في هذه الآية اية حجة لهم فيما ذهبوا إليه، من أن الانسان خليفة الله في الأرض، والغريب أنهم فهموا من قوله تعالى : (ونفخت فيه من روحي) أي من روح الله، مع أن المقصود من روحه التي خلقها، وإلا كان الانسان جزءاً من الله، وهو سبحانه : (ليس كمثله شيء) (ولم يكن له كفواً أحد) (وجعلوا له من عباده جزءاً إن الانسان لكفور مبين) .

وإذا كان لا يصح أن نقول ان الإنسان خليفة الله ، فكذلك لا يصح أن نقول انه أفضل المخلوقات كما زعم هؤلاء القائلون بالخلافة ليدعموا حجتهم . ودليلنا في ذلك أن رسول الله ﷺ نفسه : وهو على سمو مكانته الشاملة الكاملة لم يقل إنني سيد المخلوقات ، بل قال : « أني سيد ولد آدم !! » وهناك الملائكة السفرة الكرام البررة الذين يطلعون على اللوح المحفوظ ، وليس لدينا نص صريح على أفضلية الإنسان عليهم أو العكس .

وليت هؤلاء الكتاب حاولوا فهم قوله تعالى : (واذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إني أعلم ما لا تعلمون) فإن الملائكة لو فهموا أن آدم خليفة الله لما تجرؤوا ولا توهموا ان خليفة الله سيفسد في الأرض ويسفك الدماء ، إنما فهموا ان آدم وذريته من البشر سيخلفون من سبقهم من المخلوقات التي افسدوا في الأرض .

قال ابن عباس والحسن كما جاء في تفسير الإمام ابن الجوزي ولا شك أن فكرة خلافة الإنسان لله في الأرض مأخوذة عن نظر الحلول والاتحاد ونظرية القطب الغوث لبعض غلاة المتصوفة فقد قال أبو الحسن الشاذلي للقطب خمسة عشرة علامة عدد منها ان عد بعدد العصمة [1] والخلافة ، وهو أن يكون خليفة الله في الأرض ، والنيابة وهي أن يكون نائباً عن الحق في تصريف الأحكام » إلى غير ذلك من صفات الألوهية ؟ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ! .

ومن العجب أن هؤلاء الكتاب لم يقتصروا على جعل آدم (ع) خليفة الله كما تفهم من ظاهر الآية بل ذهبوا إلى خلافة البشر كلهم مؤمنهم وكافرهم ، صالحهم وشقيهم !! .

---

(١) معراج التشوق الى حقائق النصوص ص ٤٩ - ٥١ باختصار .

مراقبة ودعوة

السيدة صبيحة حداد



مراقبة السيرة والسلوك ليكونا حميدين سديدين في رعايانا ، أمرٌ على جانب من الخطورة ، يوجبه الشرع ، كما توجبه التربية في أطوار معيّنة ويرسم لها المربّون خططاً كثيرة .

ولست الآن في صدد أساليب الشرع في رقابته ، فإن لذلك مجالاً واسعاً له حسب موضوعاته ، وحسبي التذكير ببعض المبادئ الآن ، وفي مقدمتها قول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً » .

ومنها قول النبي ﷺ : كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته ، وقوله ﷺ : كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه .

أيها الآباء ، أيتها الأمهات : هلا ذكرتم ذلك وراقبتم أولادكم في سيرتهم ، هلا كنتم قدوة خير لهم ، هلا اطلعتم مثلا على الكتب التي يقرءونها ، هلا حذرتموهم من قراءة المجلات الخليعة التي تنفث سموماً فتاكة في المجتمع ، وهل شجعتموهم على قراءة المجلات الثقافية الإسلامية والتربوية التي تفتح أمامهم آفاق السعادة والنور ؟ . إن المجلات الدينية قليلة جداً في البلاد العربية بنسبة عدد المسلمين فيها وهذا لعدم اهتمامكم بمثل ما أشرت

اليه ، واني أؤكد بهذه المناسبة ألا يخلو البيت المسلم من بعض المجلات الرشيدة التي ترسم للمسلم منهاجاً قويماً يهديه إلى الحق .. لعلنا نجنب بذلك الجيل الصاعد أن ينزلق في مهاوي الإثم .

ولقد عني بنا نحن الكبار والكبيرات ، آباؤنا وأمهاتنا ، فلنعن نحن بأبنائنا وبناتنا وكل من لنا ولاية عليه .

من أبرز ما يرفع قدر السلف الصالح أنهم لم يكتفوا بهذا الواجب ، بل سجّله بعضهم تسجيلاً ، كالإمام الغزالي - صاحب (تربية الولد) - والامام أبي الفرج عبد الرحمن الحمداني ، ومن قول هذا في رسالته (لفتة الكبير إلى نصيحة الولد[1]) : (اعلم يا بني وفقك الله للصواب أنه لم يتميز الإسلام بالعقل إلا ليعقل بمقتضاه ، فاستحضر عقلك ، وأعمل فكرك ، واخل بنفسك ، تعلم بالدليل أنك مخلوق مكلّف ، وأن عليك فرائض أنت مطالب بها ، وأن الملكين يحصيان ألفاظك ونظراتك ... الخ .

فيا أولياء أبنائنا وبناتنا : إن الله حملكم مسؤولية كبرى أمام أولادكم ، وبالتالي أمام المجتمع ، فكونوا على حذر دائم .

واذكروا بعد أن تفرغوا من أنفسكم وذويكم أن دعوة الحق لاتقتصر على الأقارب فقط ، فقد أرادها الله تعالى عامة فقال : « والمؤمنون والمؤمنـات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهـون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم » وهل هناك نعمة أعظم من رحمة الله أيها المؤمنون ؟!

وقد حضّنا الله تعالى على الدعوة بصورة تشمل الناس كافة أيضاً ، فقد قال عز وجل مخاطباً رسوله الأعظم « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » بمعنى أن الله تعالى أرسل هذا النبي العظيم للناس كافة ، وأمر المؤمن أن يتخذ

---

(١) هذان الكتابان طبعتهما جمعية التمدن الإسلامي .

من حياة هذا الرسول العظيم نهجاً قوياً يسير على غراره ، بمعنى أن كل مؤمن عليه أن يحاول اصلاح الآخرين ويسعى للدعوة إلى الله .

لعله بلغكم أن جماعة من علماء الهند يجوبون البلاد شرقاً وغرباً ، شمالاً وجنوباً ليعلموا الناس كلمة الله ويظهروا للملأ كلمة الحق مستنكرين المنكر بصوره العديدة ، وإنهم يجدون شيئاً من التجاوب في كثير المناطق حتى إن بعض الذين يطلعون على الدين الإسلامي يفتحون له صدورهم ويتمسكون بمبادئه أكثر من المسلمين أنفسهم ، واليكم قصة فتاة المانية نشأت نشأة الحاد فاستنكرت مبادىء دينها وحاولت الاطلاع على عدة أديان فلم يستجب قلبها لتعاليمها ، وأخيراً أعطاها بعض المسلمين كتباً قيمة تظهر جمال الدين لتقرأها على مكث وبعد أن درست هذه الكتب اعجبت بها ايما اعجاب واعتنقت الدين الاسلامي وأضحت تمجد أحكامه القيمة ، وقالت إن نفسها كانت متعطشة إلى مثل هذه التعاليم .

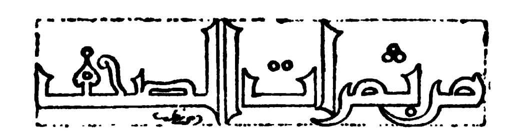
آه ، إنني أستعرض على شاشة مخيلتي هؤلاء الملايين الذين يعيشون على سطح الكرة الأرضية فأتصور أناساً كثيرين عديدين ترهق أرواحهم بالضلال والإلحاد يجري في عروقهم مجرى الدم ، فأتألم على هذا الجهل المريع الذي لازمهم مدة حياتهم دون أن يرجعوا الى الله إلى هذا الخالق الجبار الذي أوجدهم على وجه الأرض والذي غمرهم بالنعم الكثيرة وأعطاهم نعمة العقل وأرسل إليهم الرسل ليميزوا بين الخير والشر وبين الحق والباطل فأبوا إلا أن يستسلموا للكفر والطغيان ... ثم لا ألبث أن أذكر موقف رسول الله ﷺ من اولئك المشركين الذين طغوا وتكبروا وأبوا ان يفتحوا صدورهم للاسلام ، فأشفق عليهم النبي ، فأثر ذلك في صحته ، فنهاه الله تعالى بقوله : « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات » عليه صلوات الله وسلامه ما أسمى نفسه وأعلى مثله ! ولقد أخذ يستغفر لهم الله فنزلت الآية : « استغفر لهم أولا تستغفر لهم ، ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » فاطلب من الله الهداية للناس كافة ...

والحق إنها لمآسٍ مؤلمة ! أناس يتمتعون بنعمة العقل ثم يضلون السبيل ؟

فيا أيها المؤمنون ! كم يجمل بكم بل يجب عليكم أن تقتدوا برسول الله ﷺ وتتصلوا ببعض المنحرفين أو تحملوهم على قراءة الكتب الدينية وتجادلوهم بالتي هي أحسن لتنقذوهم من براثن الظلمات فتؤدوا بذلك واجباً إنسانياً كبيراً يسجله لكم التاريخ على لوحته المشرقة بأحرف من نور .

وكم يجمل بأهل للعلم والمعرفة أن يحوصوا على المصلحة العامة ويبذلوا بعض الجهود في سبيل بث التعاليم الدينية القيمة في المجتمع ، داخل البلاد التي يقطنوها وخارجها ، فلا بد لهذه الجهود أن تثمر فينالوا رضى الله ويكونوا مع أوليائه الصالحين الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ، وليذكروا أن كثيراً من الضالين والمنحرفين سيطرت عليهم بيئاتهم وعاداتهم ، فحرمتهم التفكير في الهداية والسعادة ، ولقد صدق (روسو) إذ قال معبراً عن سلطان العادات المتمكنة على أصحابها : (يولد الإنسان ويموت وهو مسترق مستعبد : ويشد عليه القماط يوم يولد ، والكفن يوم يموت . ومن هنا نذكر واجبنا في الرثاء في كثير من الأحيان لأولئك الضالين ، وواجبنا في اسماعهم كلمة الله ، وحكم الله ، وإن الباحثين ليؤكدون – كما تؤكد الوقائع – امكان تغيير العقائد ، والعادات ، كما يمكن تهذيب الغرائز وتوجيهها ، ولنردد الآن تلك الآيات الخالدة التي كان يرددها الصحابة الكرام عند انصرافهم : « والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

اللاذقية　　　　　　　　　　　　　　　　صبيحة عماد



الصوم وتربية النفس (*)

للأستاذ عبد الكريم جاويش

تمهيد :

للناس – كما نشاهد – في مواسم الربح الدنيوي نشاط غريب في اقتناص المال وجلب المغانم ، وعندهم كذلك حرص عجيب على ما به لذة الحياة ونعيمها .

وما أكثر فرح المتسابقين حينما يعودون من هذا الميدان ظافرين ، عندئذ يُقبل بعضهم على بعض يتبادلون التهاني مستبشرين .

فإذا كان ذلك التنافس شأنهم بالنسبة لعرض زائل . وهذا السرور حالهم عند الحصول على نعيم فان ، فالأجدر بهم أن يكونوا في مواسم الربح الأخروي أكثر نشاطاً وتسابقا ، وبما يرجون فيها من ثواب ورضوان ونعيم لا ينقضي أمده أعظم فرحاً وأشد استبشاراً .

الصوم ركن للحياة الصحيحة :

لا أعدو الحقيقة إذا قلت لحضراتكم : إن الصوم ليس ركنـاً للدين فقط بل هو كذلك ركن للحياة الحقة ، فقد تعلمون أن حياة النوع البشري تتكون من عنصرين هما : الجسم والروح ، ولكل منهما غذاء من نوعه ، فغذاء الأول عادي : لحوم ونبات ، وغذاء الثاني معنوي : رياضة على احتمال التكاليف ، ومران على مدافعة الشهوات .

(*) عن الجزء ٤ من المجلد ٨ من (الهداية الاسلامية)

وقد اقتضت سنة الخالق جل شأنه أن لا بد من المحافظة على العنصرين معاً كي لا يطغى أحدهما على الآخر فينقلب العالم إلى البهيمية فيما لو وجهوا جهودهم للعناية بالجسم . أو إلى ضعف مادي لا يصلحون معه لعمارة الدنيا وتكاليف الحياة لو انصرفت أنظارهم إلى الروح وحدها .

وقد استعرت نار الحرب بين الروح والمادة في الأمم السابقة : فقوم – وهم الأكثرية العظمى – تكالبوا على المادة وقصروا همهم عليهـا لا يمتد بصرهم إلى ما وراء الجسم وكل شيء عندهم خادم له . وآخرون عنوا بأمر الروح عناية الأولين بالأجسام . ولم يكن نظرهم إلى المادة إلا بقدر ما فيها من خدمة الروح .

وما كان ربك – وهو الرحيم بعباده – ليذر الناس على ما هم عليه ، فأرسل لهم الرسل كلٌ بحاجة قومه ، داعياً إلى الله بإذنه ، هادياً إلى أن سعادة الدارين في الابقاء على العنصرين .

ولما كان الصوم أهم غذاء للروح ، إذ لا يخفى ماله من أثر فعال في رياضة النفوس وسهولة التوجه بها ناحية الكمال والسعادة ، كان شرعة عامة لكل الأنبياء والأمم السابقين « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

الصوم في الشرائع القديمة :

لعل من أبلغ الدلائل على صدق ما قلنا ، من أن الصوم ضروري لكل حياة صحيحة ، أنه يكاد يكون الشرعة الوحيدة التي تكررت عند جميع الأمم بعد توحيد الله جل شأنه .

والصوم عند الأقدمين ، وإن اختلف كمية و كيفية باختلاف الأمم والشرائع ، فهو فيها كلها محقق المقصود منه . إذ أنه على كل حال : حبس النفس على حالة خاصة في زمن مخصوص .

ولقد يكون غير مجد أن أحدثكم في بسطة عن كيفية الصوم ومقداره عند كل أمة ، فذلك أمر إلى تمسره – لا يتعلق به كبير غرض ما دمنا قد علمنا أنه على أية حال يحقق ما قصد منه .

بيد أني أجد الواجب يتقاضاني أن أتناول في شيء من التفصيل الصيام عند أمتين كان ولا يزال لهما بعهد التشريع الإسلامي وبالمسلمين اتصال ومعاصرة ، وأعني بهما اليهود والنصارى .

أما اليهود فتدل الأخبار الصحيحة على أن صوم عاشوراء كان من شرعتهم ، روى البخاري بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : « قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا يوم صالح ، هذا يوم نجّى الله بني إسرائيل من عدوهم ، فصامه موسى ، قال : أنا أحق بموسى منكم ، فصامه وأمر بصيامه ، ويقول الإمام القرطبي : إن صوم رمضان كان واجباً عليهم فغيروا فيه وبدلوا .

وأما النصارى فكثرة المفسرين على أن صوم رمضان كان الواجب عليهم . ولكنه كان تارة يقع في الحر الشديد وأخرى في البرد الشديد ، وكان يشق عليهم ذلك في أسفارهم ويضرهم في معايشهم ، فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم أن يجعلوه في فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتاء ، فجعلوه في فصل الربيع ، ثم زادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا ، فصاموا أربعين يوماً ، ثم بعد زمن اشتكى ملكهم فمه فجعل لله إن هو برأ من وجعه أن يزيد في صومهم أسبوعاً ، فبرأ فزاد فيه أسبوعاً ، فلما مات ذلك الملك ووليهم ملك آخر ، قال ما شأن هذه الثلاثة الأيام ؟ أتموه خمسين يوماً ، فأتموه . وقيل في سبب الزيادة : إنه أصابهم موتان فقالوا زيدوا في صيامكم ، فزادوا عشرة قبله وعشرة بعده . اهـ

وسواء أكان لهذا الصوم الذي نراه عند الاسرائيليين ، وفي مذاهب المسيحيين أصل في شرائعهم ، أوصح ذلك الذي نقلناه من أنه كان كصومنا

وأصابه ما أصاب غيره عندهم من التحريف والتبديل ، فإن الصوم الذي قرره الدين أو أقره قد اشتمل على فوائد ومزايا تسمعون أهمها بعد قليل .

الصوم في الشريعة الإسلامية :

قضى النبي ﷺ في مبدأ رسالته أياماً طوالاً في مجاهدة قريش وتذكيرهم بآيات الله في الآفاق وفي أنفسهم مستعيناً بما يوحى إليه من ربه من آي النظر والاستدلال ، وكان كلما جد في إرشادهم وحرص على هدايتهم أمعنوا في الضلال . وتوغلوا في إساءته وإيذائه ، وشاءت عناية الله أن تكون المدينة أفقاً لشمس الرسالة المحمدية . فانتقل إليها رسول الله ﷺ والمؤمنون معه بأمر من ربهم . وما كاد شمل المسلمين ينتظم هناك حتى أخذت آيات الإرشاد وتقرير الأحكام تترى وتتابع .

وفي شعبان من السنة الثانية لهذه الهجرة المباركة فرض على الأمة المحمدية صوم رمضان ، وكانت فرضيته محوطة بسياج الرحمة ؛ فلم يكلف به لزماً مريض ولا مسافر ولا غير قادر عليه « ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

وعليه فيكون نبينا ﷺ قد صام تسع رمضانات قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى .

أغراضه ومزاياه :

سادتي :

لعل بعضكم غير قنعين بما أجملته لكم في صدر هذه الكلمة من تأثير الصوم من حيث هو في النفس ، وتريدون شرحاً أوفى وبياناً اشفى ، خصوصاً ونحن بصدد الكلام على الصوم في الإسلام ، اتزدادوا إيماناً على إيمانكم بأن الله لم يمنعكم من الطعام في أيام معدودات تعذيباً لكم ، ولم يحرم عليكم الشهوات والملذات عبثاً أو انتقاماً : تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

وإليكم بعضاً من تلكم الحكم السامية ، والمزايا الجليلة لهذه الشرعة المباركة ، علّكم تجدون فيها ما يشفي غلتكم :

(١) لكل إنسان قوتان إحداهما نزاعة إلى الخير داعية إلى الأمور المحمودة العواقب ، وتسمى بالقوة النطقية ، والثانية نزاعة إلى الشهوات والملذات أمارة بالسوء ، وتسمى القوة البهيمية ، وبين هاتين القوتين نزاع دائم وعراك لا ينتهي ، وكل منهما تتقوى على حساب الأخرى .

ولا شك أن الصوم يعطي فرصة طيبة للقوة الناطقة ، فيه تنمو وتتغلب على الأخرى ، إذ به يتعود العبد تدريجاً أن يقف موقف الحزم من شهواته التي هي منشأ المعاصي ، فيتركها أو يقلل منها . والسعادة كلها في أن يتغلب الإنسان على شهواته ، والشقاوة في أن تتسلط عليه شهوته .

(٢) تتألم النفس لحبسها عن الطعام ، فتشعر بذل العبودية ؛ وتسكن إلى ربها خاشعة ، وتقف على عجزها ، إذ ضعفت ووهنت لأُقَيمة من طعام فاتتها ، وأظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها والعبد إذا لم ير ذل نفسه استحال عليه أن يرى عظمة مولاه .

وما أجمل هذا الألم يتحمله العبد في طاعة ربه ، حتى إذا ما حانت ساعة الإفطار استحال ذلك الألم إلى سرور مشوب بالشكر لله على توفيقه لا يعدله إلا سروره يوم يلاقي ما أعد له من جزاء في الدار الباقية . و « للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه » .

(٣) شعور النفس بآلام العطش يبعثها إلى تذكر عطش الناس في عرصات القيامة ، وإحساسها بالجوع يذكرها بما يلقاه أهل جهنم من عذاب بسببه — والآلام تذكر الآلام — فيذوب القلب فرقاً من هول ذلك اليوم وتتولد فيه الخشية ، والخوف والخشية مبدأ الكمال وأصل السعادة ، و(من خاف سلم)

(٤) من أهم الأغراض النبيلة التي دعا إليها الدين الإسلامي التراحم والتعاطف بين المسلمين والصوم خير مرب لهذه العاطفة ، إذ هو غرس المرحمة بطريق عملي في قلوب الأغنياء بما يذوقون من ألمَ الجوع ومضاضة العطش فيعطفون على المحتاج، ويقدرون ألم الجائع ، وليس أقدر على تقدير الألم ممن ذاقه .

(٥) إدخال العزاء والسلوى على قلوب الفقراء بما يرون من مشاركة الأغنياء لهم في الاحتباس عن الطعام ، وليس أدخل للسلوى على قلب المعدم من وقوفه وقفة المساواة مع المجدود ولو ساعة من نهار .

(٦) هذا فضلاً عما يستفيده الجسم من الصيام ، فما لا مراء فيه أنه يريح المعدة من المجهود العظيم الذي تقوم به كل يوم مرات ، فتكتسب مناعة وقوة ، ولعل اعتراف أطباء الغرب بما له من فائدة ونفع في شفاء كثير من الأمراض ، ونصيحتهم بالمواظبة عليه ، من خير ما يستأنس به على صدق ما قلنا (والفضل ما شهدت به الأعداء) .

وكأني أسمع هامساً يقول : إذا كانت هذه فوائد الصوم الروحية والجسمية فلم اقتصر فيه على شهر واحد ؟

ويذهب ما في هذا القول من وجاهة : بل يتداعى من أصله ، إذا علمنا أن أن الزيادة على الشهر مضعفة للقوى الجسمية التي عليها يتوقف قيام العبد بأوامر ربه وتكليف دنياه . والتي لا يخفى ما لها من اعتبار ورعاية في نظر الشارع الكريم .

على أن الله لم يشأ أن يحول دون جهود العاملين ، أو يثبط همم القادرين ، فشرع لهم على سبيل الندب . . . ما يشفي الغلة أو يروي الظمأ ، وإذا كان التشريع تشريع الحكيم العليم فقد أصاب موضع الحاجة ، وتنزه عن النقص ، وبلغ ذروة الكمال .

سادتي :

تلكم طائفة من آثار الصوم الصالحة التي جماعها تربية الإرادة وتنمية ملكة الصبر ، والتذكير بنعمة المعبود وعظمته .

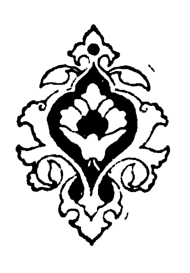
ولكي يكون الصوم مقبولاً عند الله تعالى مستتبعاً لهذه المزايا النافعة ، يجب أن يكف الصائم — بجانب الإمساك عن شهوة البطن والفرج - جوارحه عن الآثام ، فيغض بصره عما لا يحل له ، وينزه سمعه عن الإصغاء إلى المحرمات من هجر وفحش ونحوهما ، ويحفظ لسانه عن اللغو والنميمة والكذب ؛ فقد جاء في الحديث « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » .

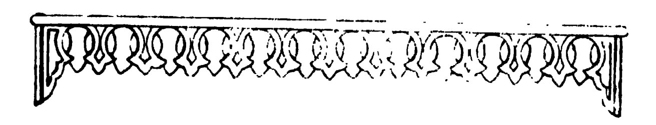
ولو علمتم ما للصوم من منزلة ، وما أعد للقائمين به من ثواب لأديتموه حق حق الأداء ، ورجوتم أن يكون كل العام ، فهو عبادة من اخلص العبادات ، وقربة من أشرف القرب وأبعدها عن الرياء ، إذ هو بين العبد وربه اداء وجزاء .

وحسبكم دليلاً على عظم منزلته وجزالة ثوابه قول المصطفى ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل : الصوم لي وأنا أجزي به » .

وإذا كان العمل لغني جواد ، والجزاء عند مقتدر كريم ، فما أسعد حظ العاملين وأجزل ثوابهم !

عبد الكريم جاويش





نصيحة(*)

للعليم محمد مظهر سعيد

كان من حسن حظي ، وأنا استكمل دراستي بانجلترا أن دعاني الدكتور بارنز ، اسقف برمنجام ، ثانية مدن بريطانيا ـ لإلقاء محاضرة في قاعة الكاتدرائية عن القيم الروحية . وبلغ من تقديره لهذه المحاضرة ان دعاني بعدها للعشاء معه ، منفردين ، بقصر الأسقفية . والدكتور بارنز من رجال الدين والعلماء البارزين . فهو يحمل ثلاثة من درجات الدكتوراه في اللاهوت والآداب والعلوم . وهو فوق هذا ثالث رأس في الكنيسة الانجليزية بعد رئيس أساقفة كنتربرى ويورك . وقد كشف في هذا الحديث الذي بدأناه بعد تناول الطعام عن دخيلة نفسه . وعن عقيدته الدينية التي اطمأن إليها بعد أن درس الديانات والمذاهب والعقائد والكتب المقدسة المنزلة والموضوعة ، لا بحكم منصبه الديني ، وإنما باعتبارة أستاذاً لعلم مقارنة الديانات بالجامعة قبل أن يصبح أسقفا . واعترف لي في فخر واعتزاز بأنه اهتدى إلى دين الإسلام واعتنقه عن اقتناع وإيمان ولكن منصبه الديني الكبير ، وما فيه من مزايا عظيمة القيمة وما يحوطه من مظاهر التكريم والتشريف من جهة ، ومن جهة أخرى خوفه اضطهاد الدولة والكنيسة التي لا ترحم ولا تشفق ، وخشية التعطل والفاقة في سن الشيخوخة ، ومن قبل طردت جامعة

(*) نقلاً عن (منبر الاسلام) . رجب ١٣٨٦

لندن الفيلسوف العالمي المعروف السير برتراند رسل ، لسبب أخف وأهون من الارتداد عن المسيحية إلى الإسلام ، وهو طلاق زوجته . ورفضت الجامعات الأخرى الانتفاع بعلمه الغزير وخبرته الواسعة . لكل هذا آثر الدكتور بارنز أن يكتم عقيدته الجديدة ويحتفظ بمنصبه . ولا يعرف سره إلا بعض كبار الأشراف الانكليز الذين أسلموا ، مثل اللورد هدلي ، زعيم المسلمين الانجليز في انجلترا .

والدكتور بارنز يعتقد اعتقاداً جازماً ، يبلغ حد التعصب في الرأي ، أن الإسلام هو وحده الدين الكفيل بإنقاذ البشرية من آثامها وويلاتها . والدواء الوحيد الناجع لأمراضها النفسية والاجتماعيه والخلقية في هذا العصر الذي غلبت فيه المطالب المادية على القيم الروحية ، واستشرت الشهوات على حساب النواحي الخلقية ، وانحرف فيه الشباب فانحدر إلى الشذوذ العقلي والخلقي والجنسي ،واهدرت الدول القوية الاستعمارية كرامة الإنسان واستبعدت الشعوب المتخلفة الضعيفة العزلاء ونهبت خيراتها وحرمتها تقرير مصيرها . بل أن الحكومات الدكتاتورية وهي غربية متحضرة راقية ، بالمقاييس المادية ، تسوم نفس شعوبها سوء العذاب ، وتحكمها بالحديد والنار ، والدول الكبرى تسلك في سياستها ومعاملاتها من غيرها من أنواع الغش والخداع والوعود الكاذبة والجاسوسية والدعاية المغرضة ، ما ينافي أبسط المبادىء المسيحية التي نادى بها السيد المسيح عليه السلام . ويرددونها في مدارسهم وكنائسهم وخطبهم . واذكر ان لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا في فترة الحرب العالمية الأولى أدلى بحديث لإحدى كبريات الصحف البريطانية قال فيه : لو عاد السيد المسيح إلى الأرض هذه الأيام وفى انجلترا بالذات لألقى به أول شرطي يقابله في السجن أو مستشفى المجاذيب أو اسلمه الكنيسة ذاتها لتصلبه مرة أخرى أو تحرقه حياً كما كانت تفعل من قبل .

في السجن لأنه يدعو للمحبة والسلام والاخاء بين الشعوب . فهو إذن من أنصار السلام دعاة الهزيمة في الحرب ، ومن المستحيل أن يحب الانجليز أعداءهم الألمان . ويباركوهم كما قال المسيح . وهو يدعو إلى التجرد من المال والزهد والتقشف ، فهو إذن عدو للرأسماليين الذين يمولون الحرب ، وبذلك يخرج على النظام السائد وأصول الاقتصاد المرعية . وهو مجنون لأنه يطالب من رؤساء الكنيسة ، خلفائه في الأرض ، الموكلين برسالته الإنجيلية ، أن يتخلوا عن قصورهم الفخمة ولباسهم الحريري ، وحقهم المقدس في غفران الذنوب ، ومنهم من هو أشد حاجة لطلب المغفرة وجمع العشور والنذور والهبات ، حتى من الفقراء ، ليعيشوا في ترف الأثرياء ، وليس من المعقول أن يتخلوا عن كل هـذا النعيم والسلطان ليسيروا سيرته ويعيشوا عيشته ، في زهد وتقشف وحرمان .

وكان الدكتور بارنز يعتقد أن الشعوب الغربية ، بعد أن قاست ما قاست من ويلات الحرب العالمية ، وتعيش الآن في خوف وفزع من توقع حرب عالمية ثانية ، وقد وقعت فعلا ، مهيأة لقبول تعاليم الإسلام ، إذا وصلتهم الدعوة بالأسلوب الذي يناسب ظروف الحياة المتحضرة المتطورة وبلغ من شدة اقتناعه بهذه الفكرة أن وضع دستوراً لهذه الدعوة ، عرضه علي في هذا الحديث في صورة سلسلة من النصائح ، ذكرت بعضها فيما سبق .

واقتنعت أنا بنجاح الخطة إذا سارت الدعوة وفق هذا الدستور ، وتحمست لها . وعدت إلى مصر ، فعرضت الأمر على كبار رجال الدولة والدين ، وكان هذا منذ ثلاثين مضت من السنين . فوجدت الناس في شاغل بأمور الدنيا عن أمور الدين . فالملك مشغول بملذاته وشهواته ، منصرف إلى ألاعيبه ومغامراته ، والحكام سياسيون حزبيون ، مشغولون بالمؤامرات والإعداد للانتخابات ، وقطع العهود وبذل الوعود بعديد المشروعات والاصلاحات ،

والمفروض أن المؤمن ينجز الوعد ويحفظ العهد لأن العهد كان مسؤلاً ، ولكنهم سرعان ما ينجحون ويحكمون حتى ينسوا كل شيء إلا مصالحهم الذاتية ومنافعهم الشخصية ، وتشغلهم مطامع الدنيا عن أمور الدين . أما كبار علماء الدين ، فكانت منهم قلة محافظة متزمتة يكرهون التغيير . والتبديل ، وينكرون التطور . فهو بدعة ، وكل بدعة ضلاله ، وهم وحدهم العلماء ، ولا مجال للانجاهات الحديثة العلمية والأدبية والفنية في رحاب الأزهر الشريف ، فهي تضلل عقول الطلاب وتدفعهم إلى الانحراف وربما الالحاد ، والدراسة المقارنة للديانات والعقائد قد تثير الشك وتجسم الشبهات ، وبلغ من تطرف واحد منهم أن ألف كتاباً يدرسه الطلاب في معهده قال فيه بالنص : ومن فضل الله على الإسلام أن سخر النصارى واليهود لأعمال الصناعة والتجارة وغيرها من المرافق حتى يتفرغ المسلمون للعبادة . ومن الجانب الآخر كان هناك كثرة من العلماء الشباب وقتئذ تضيق ذرعاً بالجمود وتنشد التطور السليم . ولكنها تخشى الجهر بالرأي ، وتتصرف وهي تقول — يضيق صدري ولا ينطلق لساني .

وأعود إلى حديثي مع الدكتور بارنز ، فقد استرسل في نصائحه بشأن القيام بالدعوة على أسس عملية مضمونة العاقبة وقال :

لقد آمنت بأن الإسلام دين سمح كله يسر ، لا إكراه فيه ولا عسر . وأسلوبه في الدعوة ، مخاطبة الناس على قدر عقولهم ، والجدال بالتي هي أحسن ، والاقناع بالموعظة والقدوة الصالحة . وقيد رخصة تيسر الأمر على المؤمنين ، فالصلاة تجوز من أي مكان ، خمس مرات في اليوم . وليس مرة واحدة في كل اسبوع ، وفي الكنيسة بالذات ، ويؤديها المسلم حاضراً أو قضاء ان فاتته ، منفرداً أو مع الجماعة . وما أروع أن ترى المسلمين يؤمون المسجد على طهر ، ويكبرون الله الواحد الأحد ويحمدون ويسبحون .

ويقفون في صفوف منتظمة متراصة لا فرق بين أمير أو حقير ، فكلهم عباد الله ، ولا بين غني أو فقير ، فكلهم فقراء إلى الله ، وليس في المسجد للعظماء والكبراء مقاصير فخمة مخصوصة ولا كراسي وثيرة محجوزة ، فالكل في المسجد سواء ، ويقرأون الفاتحة ويسألون الله في خشوع ورهبة أن يهديهم الصراط المستقيم ، ويركعون ويسجدون لله الواحد القهار . انهم لا يركعون أمام ملك من البشر ، ولا يقبلون قدم تمثال لأحد الرسل أو القديسين ولا يد أحد الكهان الأحياء ، فهم بشر مثلهم ، والعظمة لله وحده . ثم ينتهون من الصلاة فيسلمون ويتعارفون ، كإخوة يحبون في الله ويكرهون في الله ، الذي يقفون بين يديه خمس مرات كل يوم ، يحاسبون أنفسهم على ما قدموا في يومهم من عمل صالح وخير مبذول . قبل أن يحاسبهم الله .

وما من مرة رأيت فيها هذا المنظر في مسجدهم بلندن إلا امتلأت نفسي خشوعاً ، وسمت روحي فوق مطالب الجسد ومتع الدنيا ، حتى أحس بأني قاربت الملأ الأعلى . وأين نجد هذا التواضع والخشوع والصفاء ونكران الذات وكبح جماح الشهوات إلا في الإسلام . قد تكون معابد غير المسلمين أفخم بناء وأبهى رواء وأجمل زخرفاً ، وفي تماثيلها وموسيقاها وترانيمها وبخورها وأضوائها ، ما يملأ جوها روعة وفتنة . وبهاء وجمالاً ، ولكن أين جو الجمال الفني من جو الخشوع الروحي . وصوم المسلم عبادة وصحة ورياضة نفسية وروحية وعاطفة أخوية . وفيه كذلك رخصة ، من قضاء أيام بأيام أو اطعام المساكين ، أو فك الرقاب ، وليس على المريض أو المسافر أو المعذور حرج . وفي الحج إداء فريضة واجتماع للمسلمين من مختلف البقاع والبلاد . يقفون جميعاً محرمين في أبسط الثياب . ويلبون جميعاً ويدعون نفس الدعاء . فتتوثق بينهم أواصر الأخوة ، ويشعرون جميعاً بأنهم أمة واحدة . لا تفرق بينهم جنسية ولا شعوبية ، ولا لغة ولا

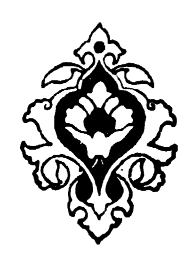
قومية ولا تعصب ولا عصبية . وفيه رخصة فهو فرض على المسلم ان استطاع إليه سبيلا . والإسلام فوق هذا كله صلة روحية بين المخلوق والخالق . تصل الإنسان بالله بدون كاهن أو وسيط . وقد صدق الكاتب الانجليزي الكبير ه ج ولز — حين قال في كتابه عن تاريخ العالم ـ الإسلام هو الدين الوحيد الذي لم يترك بين تعاليمه ثغرة واحدة ينفذ منها الكاهن بلباسه الحويري ونواقيسه وبخوره وموسيقاه وغنائه وترانيمه وتمتمته ومسبحته ، ليفسد تعاليم هذا الدين ويحتكره لنفسه ، ويتحكم في الناس ودنياهم كأنه مالك الرقاب والأرواح .

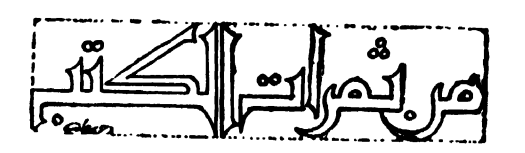
ألا يستحق هذا الدين العظيم من أبنائه المبعوثين إلينا . وهم ألوف في جامعاتنا ومعاهدنا . أن يقوموا بواجب الدعوة إلى جانب تحصيل العلم ونيل الشهادات والدرجات . وحتى الذين لم يتفقهوا فيه ، يستطيعون بأداء فروضه وإقامة شعائره أن يكونوا قدوة صالحة ومثلا طيبا . وأنا موقن بأنهم ان عملوا ذلك اعطوا الناس صورة رائعة لهذا الدين السمح تستهوي قلوبنا وتقنع عقولنا وتنير الطريق أمامنا . وهاك مثلا عمليا على صحة رأيي . فهذا زميلك في الجامعة « وكان يقصد الدكتور عبد المنعم الشافعي » الذي صار وكيلا للوزارة فيما بعد يحرص على اداء الصلاة في أوقاتها . سواء في منزل الأسرة التي يعيش معها أو أثناء المحاضرة بل وأثناء الامتحان الذي يحرص فيه الطالب عادة على كل دقيقة من وقته . واعلم أن بعض زملائكم سخروا منه وانتقدوه واتهموه بالتزمت . ولكنه ظفر باحترام الأسرة التي يساكنها وتقدير الأساتذة . إلى حد أنهم كانوا يفسحون له في وقت الامتحان بقدر ما قضاه في الصلاة . وكان مثالاً للمسلم الصالح ، فتح لهم الباب لدراسة الإسلام . إن الغربيين يحرصون على الذهاب للكنيسة يوم الأحد من كل اسبوع . ثم ينصرفون إلى أمور دنياهم . وقد لا يكون لهذه الصلاة

العابرة في نفوس الكثيرين منهم أثر فعال يحملهم على تقدير القيم الخلقية والروحية ، أما صلاة المسلم خمس مرات اليوم ، في الوسط الغربي الذي يعيش فيه فكفيله بإحداث هذا الأثر الحميد ، الذي يعكس الضوء على الإسلام وتعاليمه .

ولو قام أعضاء الهيئات السياسية الإسلامية وطلاب العلم بشعائر دينهم لكانوا خير دعاة لهذا الدين القويم حتى لو لم يكونوا متفقهين فيه . ولكن مع الأسف الشديد نجد الكثير منهم يتفرنجون كما تقولون ، ويقتبسون أساليب الحياة الغربية المادية ، بما فيها من خير وشر . ويقلدون ويبتعدون رويداً رويداً عن عقيدتهم وتقاليدهم ويصبحون مسلمين اسمـــاً ، ليس في سلوكهم ما يوحي بأن لهم عقيدة يعتقونها أو ديناً يؤمنون به ، ما داموا ليسوا مسلمين ولا مسيحيين . وفي جامعتنـــا كما نرى طلاب غير مسيحيين يدينون بديانات مختلفة ويعتنقون عقائـــد متباينة . من بوذيين وبوهميين وشنتوبيين ومجوس وكلهم ما عدا الطلبة المسلمين لهم معابد يؤمونها وطقوس يؤدونها وشعائر يحيونها . ونحن نحترمهم بتمسكهم بعقائدهم وإن كانت هذه العقائد ، بالقياس إلى الإسلام والمسيحية لا يستهوي عقولنا ولا تؤثر فينا .

أليس من واجب دولتكم وأزهركم وهيئاتكم الدينية أن تضع برنامجاً لتثقيف الوافدين علينا في أمور دينهم وحضهم على اداء فروضه وإقامة شعائره ، ولو لمجرد المحافظة على مظاهر الإسلام . . .





الصوم والطب

للعليم في الطب الأستاذ شوكة موفق الشطي رسالة قيمة بعنوان (نظرات في الصيام) ويعني الشرعي منه والطبي ، ومن ذلك البحث الخامس الذي جعله في تبيان أن الصيام وسيلة الجسم الطبيعية في شفاء بعض الأمراض والوقاية منها ، قال :

أستميحك المعذرة يا أيها القارىء الكريم بعد أن ذكرت لك مامر ، في أن أبين لك أن الصوم وسيلة الجسم الطبيعية في محاربة الأمراض والوقاية منها ، واذكرك في ذلك بأمر ربما عرفته أنت أو تيسر لك أن تراقبه عن كثب .

أ - الصيام وسيلة الشفاء في بعض الأمراض الحادة

راقب رضيعاً غراً لايعرف صالحه من طالحه لايميز الجمر من التمر وتصوره مصاباً في معدته وأمعائه وباضطراب في إحشائه ثم حينئذ مايذهلك ، ثم أن هذا الطفل الرضيع الذي كان يملأ جو البيت صراخاً إذا تأخرت رضاعته ينفر من الثدي ويولي وجهه عنه وعبثاً تحاول أمه أو مرضعته إخضاعه وحمله على الرضاعة فيأبى ، وإذا رضع أو أكرهته مرضعته على ابتلاع ابنها نفث مادخل في فيه ولفظ ماتسرب الى معدته

وألقاه بالقيء وما ذلك إلا لأن سنة الطبيعة في مقاومة المرض تقضي بالصوم.

عرف الأطباء ذلك فجعلوا الصوم أساساً في معالجة كثير من الأمراض وهكذا فإنهم يصوّمون الطفل المصاب مدة من الزمن فلا يسقونه إلا الماء يوماً أو أياماً ريثما يتحرر البدن من سمومه ويهدأ الأنبوب الهضمي من اضطرابه وتستجمع الأحشاء والأعضاء قواها للخلاص مما ألم بجسم الطفل، فإذا بدت عليه أمارات الشفاء من سقمه، عادت شهيته إلى الطعام ايذاناً بوجوب إنهاء صومه فيطعم حينئذ من جوع أطعمـــة تناسبه ويسقى من أشربة تنفعه .

راقب الآن فتى أو كهلا أو شيخاً مريضاً فإنك ترى أن طبيعة الجسم تدبر الأمر في كثير من الأحوال بزوال الشهية داعية بذلك الجسم إلى الصيام منبهة له بأن الصوم هو العمل الغريزي في الوصول إلى الشفاء لأن الجسم في هذه الحالة يكون جاداً في طرد السموم المرضية وهو في غنى عن سموم جديدة تضاف اليها فينوء بحمله ويكبو بعبئه ويكون هذا الصوم الذي دبره البدن بغريزته وسيلة الشفاء والخلاص من الداء .

أما عمل الأدوية التي نصفها والوسائل التي نستعملهـــا فهي مساعدة الغريزة ودعم قوى الطبيعة وما أجمل قول النبي العربي في هذا الصدد : [لاتكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فإن الله يطعمهم ويسقيهم] .

ولا بد من القول إن هنالك عدداً من الأمراض عرفت لهـــا أدوية مضادة خاصة تشفى بها . على أن الكلمة العليا في هذه الأمراض النوعية أيضاً هي لوســائل الجسم المدبرة وقواه الكامنة والصوم الطبي أو التدبير الغذائي الفني من أعظمها عملا وأشدها فعلا .

ب - الصيام وقاية وشفاء من بعض الأسقام والأدواء

تستمر حوادث الحياة في النبات والحيوان ومنه الإنسان بحادثين

أساسين أحدهما تورید الغـــذاء إلى الجسم بالهضم والتمثيل وثانيها تصدير الفضلات السامة الواردة إليه من الطعام والشراب أو الناتجة عنها وذلك بالإفراز والافراغ . تشرف أعضاء الجسم المختلفة على تأمين الموازنة بين الوارد والمدّخر والصادر ولكن الإنسان نهم بطبيعته وفطرته ولا يكتفي بطعام واحد فإنه يتغذى بأكثر من حاجته ويفرط في تناول أغذيته وما دام الإفراط في التوريد مستمراً والنهم في تناول أطـايب الأغذية دائماً ومتكرراً صح فيه قول القائل :

ويح الأنام وما تطيق من الأذى خلقت لتحيا بالغذاء بشرّها

ويؤدي ذلك الافراط إلى ارهاق أعضائه كما سوف نبين فيُعدّهـا الضعف والمرض ونقص قوة الدفـاع وفـساد البنية وســوء الاغتذاء وأنواع المرض .

وتبدو آثار ذلك خاصة بعد تمام سن النماء لأن الإنسان قبل البلوغ يصرف معظم مايدخله في تركيبه وبنيانه .

لاشك أنك يا أيها القارىء تحكم حين تلاوتك هذا البحث ببساطة القضية وهي تأمين الموازنة بين الوارد والمدخر والصادر وذلك بالاعتدال في الطعام والشراب وعدم اتباع هوى النفس فيما هو حلال وجائز وهنا اطلب منك أن تسائل نفسك : هل استطعت من نفسك أن تعتدل في طعامك وشرابك، وعدم اتباع هواك في ذلك اسبوعاً واحداً ؟ انني واثق أنك إن كنت صادقاً في تفكيرك ، عادلاً في حكمك ؛ أجبت عن هذا التساؤل في قرارة نفسك بالسلب وقلت صحيح انني لم أكن معتدلاً في اتباع هواي في طعامي وشرابي إلا في أيام نادرة وظروف قاهرة .

نعم لقد اعتاد الإنســـان أن يفهم من الشّبع الامتلاء وألا يقدر

حقيقة الجوع ، فهو يأكل أكثر مما يلزمه فيهضم ما يهضم ويمثل في جسمه مايمثل وتبقى في اخلاطه أنقاض تنزل الضعف بأعضائه أو ترسب في أحشائه فتتعبها وتمرضها فتظهر آثار أذاها في دماغه وتفكيره وفي قلبه ورئته وفي كبده وكليته وفي غدده ومثانته وفي غير ذلك من أعضاء الجسم العديدة ، فإذا لم يبادر الجسم إلى تعديل الموازنه بين الوارد والمدّخر والصادر ظهرت فيه أعراض الأمراض وقاده ذلك إلى هلاك محتوم مبتسر أو الى عيش يلابسه ضعف العقل والجسم . وإننا لنستميح لأنفسنا شرح ذلك ببعض التفصيل الفني كما يلي :

إن من الثابت أن الإسراف الذي ابتلينا به في الأكل والشرب يؤذي أعضاء جهاز الهضم ويولد اضطرابات فيها ، وأن تشوش الأعضاء المذكورة يدعو الى اضطراب الجهازين الدوراني والتنفسي ، وان اختلال هذه الأجهزة الثلاثة بعضها أو كلها يولد اضطراباً في الجهاز العصبي والحسي ، وهكذا فإن أعضاء الإنسان تبدو كحلقة متواصلة لايعرف بدؤها من آخرها فإذا أوذي أحدها اضطرب له الثاني والثالث حتى يعم الاضطراب الجسم كله . على أن أعضاء الهضم عرضة للاضطراب أكثر من غيرها بسبب مايرد اليها من طعام وشراب وما تمتصه من مواد تنتشر في الجسم فتفيده وتغذيه أو تضره وتؤذيه بالنسبة إلى اعتدال كميتها أو افراطها فإذا كانت كميتها زائدة ولدت فيه أمراضاً عديدة وإلى ذلك يشير الحديث الشريف : [أصل كل داء البردة] وقول طبيب العرب المشهور الحارث بن كلدة : (البطنة أصل الداء والحمية أصل كل دواء) .

لقد بينا أن الإنسان يأخذ من الغذاء فوق حاجته ويفضي ذلك فيه أولا إلى أحد أمور ثلاثة وهي :

١ً — احتراق الأغذية وزوالها .

٢ - انفراغها بالأعضاء الطاردة والمفرغة .

٣ - تراكمها بشكل شحوم في أعضاء الجسم ونوؤه بها .

وفي الأحوال الثلاثة المارة الذكر تكليف للجسم بعمل لا طـائل تحته وإرهاق لأعضائه دون جدوى .

تضطر الأعضاء في المعتدين المسرفين بالأكل والشرب ، الممتنعين عن الصيام ، أو الصائمين صوماً يخالف نظم الطعام المقررة فيه شرعاً وفناً إلى مضاعفة نشاطها فيكثر توارد الدم اليها فتحتقن ويؤثر الاحتقان في الأعصاب المرتبطة بتلك الأعضاء فتضطرب وبما أن هؤلاء يكثرون من اللحوم إذ يدخل اللحم في كثير من الأطعمة ويتنوع طبخه ويمزج بتوابل عـديدة فتؤدي كثرة أكله إلى إفراط في تناول التوابل أيضاً ويؤدي ذلك إلى تنبه الأنبوب الهضمي وكثرة إفراز المخاط من غشائه الباطني ويحدث ذلك أخيراً التهاباً معوياً خاصاً وينتج من اضطرار الأعضاء إلى مضاعفة عملها اضطراب توازنها فتزيد الأنقاض وتضطر الكلية الى إفراغها علاوة على عملها فتنوء بحملها . هذا في بادىء الامر فإذا استمر ذلك أدى الى عسر قيام الأعضاء بعملها فقصورها وتنتج منه أمراض سوء الاغتذاء المعروفة بالحرض وتسبقها عادة حالة خاصة تعرف بالحالة السابقة للحرض .

الحالة السابقة للحرض [١] : يطرأ على المفرط في الاغتذاء حالة تسبق اصابته بالمرض تتظاهر بتعب أعضائه وجهدها ، ولا بد لنا لفهم أسباب ذلك من ذكر مايلي :

تولد كل خلية من خلايا الجسم أنقاضاً مختلفة الطبيعة والمقدار وهذه الأنقاض ذوّابة في البيئة الباطنة واخلاط الجسم أو غير ذوابة فيهـا أو تتحول إلى أنقاض غير ذوابة . ترسب الأنقاض التي لاتذوب حيث تتكون

---

(١) نقصد بالحرض بعض الأمراض الناتجة عن إفراط الاغتذاء وفساده .

فتُضعف الأعضاء والنسج وتسبب تصلبها فشيخوختها قبل أوانهـــا . وأما الأنقاض الذوابة فإنها تنتشر في الأخلاط فتسعى أعضاء الافراغ إلى طردها فتتعب بسبب ذلك تعباً لا تنفع فيه غير الراحة ، فإذا استمر هذا التعب العضوي لا تكفي حينئذ الراحة إلى الترميم فتتراكم الأنقاض في الجسم وينتج منها ما يعرف بالانسمام الذاتي المؤذي للنسج الأعضاء . ولا يشكو المصابون بمثل هذه الحالة أولاً من أنبوبهم الهضمي بل يشكون من وهن في نشاطهم العقلي ، وضعف في عملهم العضلي ، واضطراب في جهازهم ، وتشوش في في جهازهم الدوراني ثم تبدو علامات ضعف أنبوبهم الهضمي فيبطؤ هضمهم ويصبح عسراً وتمكث الأطعمة في معدهم مدة طويلة فيسوء اختمارها وتتفسخ فيشعرون بثقل الشرسوف وانتفاخ في البطن ووعكة عامة ورغبة في النوم بعد الطعام ولا يكون نومهم هادئاً بل مشوشاً يخالطه الكابوس والأحلام المزعجة وقد يصابون بالأرق بين حين وآخر .

ولا تلبث الاضطرابات أن تبدو في الأمعاء المجاهدة التي أصبحت منهوكة وقل تقل افرازاتها والافرازات المنصبة إليهـا فلا تتعدل حامضية الكتلة الطعامية بسهولة ويخف تأثير العصارات البنكرياسية والمعوية فيها فتكثر الفضلات وتتراكم في الأعور فتستفيثها الجراثيم القاطنة هناك وقد يؤدي ذلك مع الزمن الى التهاب الزائدة . وبمـا أن الكتلة الطعامية لم تتعدل تعديلاً كافياً بالعصارات المعوية فإن بطانات الإمعاء تنفعل فتتشنج وينتج من ذلك كولنج وآلام وقبض وإسهالات متقطعة وكثرة فى افراز المخاط يقي الغشاء النبيل من سوء تأثير الكتلة الطعامية المخمرة فيه ولكنه يعوق الامتصاص وينتج من ذلك التهابات الأمعاء والقولون وما يصحبها من اضطرابات عصبية . وقد ثبت أن عناصر الصفراء تمر في الأكولين الى الدم وتسبب مرارة طعم الفم .

وتصحب هذه الأعراض اضطرابات في القلب والعروق وتمدد في المعدة وتراكم الغائط في الأعور وازدياد التوتر في البطن واحتقان في الكبد وازدياد في الضغط الشرياني وبواسير ودوالي وتصبح الجملة العصبية خدوشاً فيشكو المصاب من أوجاع رأسية مستمرة في الرأس كله أو نصفه (شقيقة) ومن آلام عصبية مختلفة ودوار واضطراب عام وهمود وبلادة وخور صريح .

ويتضح من فحص البول أنه اصبح محتوياً على عناصر ضارة تخدش الكلية أثناء مرورها منها ويتبين من فحص الغائط أن امتصاص الأغذية وتمثلها قد خف وضعف .

وتمتص السموم الطعامية مع الغذاء من قبل غشاء الأمعاء المخاطي فتُنقل الى الدم ومنه إلى جميع الأعضاء ومنها الغدد الصّم وأعضاء الجملة العصبية فتنفعل وتحدث ارتكاسات عديدة في الأعصاب الحشوية الى زيادة الاحتقان في الأحشاء واشتداد اضطراب وظائفها ويضاف الى السموم الطعامية في الأكولين السموم النسجية الناتجة من اجهاد الأعضاء .

يتضح من ذلك أنه إذا لم تعالج كثرة الوارد من الغذاء بالحمية والصيام تؤدي إلى اضطراب خاص أو عام في بعض أعضاء الجسم أو فيها كلها ويؤول الأمر الى إصابة الشخص بالاضطرابات المذكورة المعروفة بالحالة السابقة للمرض ولا تلبث ان تنقلب هذه العلامات إلى أمراض ومظاهر مرضية .

المظاهر المرضية : عديدة منها النقرس والسكري ورمل الكلوة والمرارة وحصاتها والانفضاج وغير ذلك وكلها أمراض خطرة يزيد في خطورتها ذيوع تأثيرها على المجتمع وتوارثها ، غير أن هذه الوراثة لحسن الحظ وراثة استعداد إذ يستطيع الوارث الإفلات منها باتباع القواعد الصحية .

وتنشأ المظاهر المرضية من تقصير الأعضاء والجسم في انضاج أسس المواد الطعامية كلها أو بعضها ، ففي النقرس والرمال لا تتفكك المشتقات الآزوتية ولا تنحل انحلالاً كافياً فتتراكم في النسج وتولد النقرس أو تتراكم في الكلية وتولد الرمل الكلوي . وأما في السمن والانفصاج فيبطىء احتراق الأغذية في الجسم فتتراكم على هيئة شحوم منتشرة فيه . وأما الداء السكري فإن أكثر ماءات الفحم أي المواد السكرية لا يستخدمها الجسم بل يطرحها وأما في الديابيطس الفوسفوري وما شابهه فإن الجسم لا يستطيع مسك الأملاح مسكاً كافيـاً فتفرغ مع البول لذلك صح نعت هذه الأمراض بأمراض فساد الاغتذاء لأن المواد الغذائية لم تستخدم فيها من قبل الجسم أو أنه استخدم بعضها أو أنه أسيء استخدامها فيه .

ويعد بعض المؤلفين اليوم أمراض الحرض المذكورة مظاهر دفاع الجسم ضد السموم المتراكمة فيه والناتجة من كثرة الغذاء ، فرسوب حامض البول في النقرس والرمال وتكون الشحم في الانفضاج وسيلة يقي الجسم بها نفسه من كثرة الانقاض المؤذية الجوالة فيه التي ينقصها التأكد فتتراكم على هذا الشكل ويتخلص البدن من شر أخبث من هذا . وكذلك البيلة السكرية فإنها ارتكاس دفاعي يطرح الجسم بهذه الواسطة السكر الذي لا يستطيع تثبيته أو تحويله والاستفادة منه إذ لو بقي فيه ربما تضاعف تضاعفاً سمياً وسبب موتاً عاجلاً .

أن مظاهر الحرض والحالة هـذه على رأي بعض المؤلفين مظاهر دفاع ضد انسمام الجسم بالأغذية . وممـا يثبت ذلك أنه كثيراً ما تتلو نوب النقرس والرمل هجمة في الاضطرابات الذي يشكو منها المصاب باضطراب إفراط الاغتذاء .

ان تجوال السموم المولدة من الانسمام الذاتي في الدم تصلب الشرايين وتعرضها للتمزق وتنقص سعتها فيقل الدم الوادر بها على الأعضاء فتضطرب

ثم تتصلب بأن يقل نسيجها النبيل ويكثر نسيجها الضام . وأكثر الأعضاء تعرضاً للتصلب هي الأعضاء النشيطة المرهقة وخاصة الكلية والكبد ويصحب تصلب العروق ارتفاع الضغط الشرياني .

أما الجملة العصبية فإنها تضطرب أيضاً لاغتذائها بدم فاسد قليل ويبدو اضطرابها بشحوب الوجه وبعلامات فاقة دم الدماغ من بسيطة كطنين الآذان والدوار والمغص والخدر إلى خطرة كالصم والبكم والعمي .

أما الأنبوب المضمي فقد بدأ الاضطراب به ويزيده التصلب تشويشاً واختلاطاً ، ويعم الداء أعضاء الجسم الباقية فتصلب أعضاء الجهاز الرئوي وتصاب القصبات بالتهاب مزمن ، وقد يعتري المصاب نوب ربو مزعجة وتتصلب الاسناخ الرئوية ويفضي ذلك إلى تمزقهـا واشتراك بعضها ببعض وحدوث الانتفاخ الرئوي وتشوش النظم التنفسي وقد يصاب الشخص بوذمة الرئة والخناق الصدري . ويزيد ذلك كله في اضطراب الجهاز الدوراني فيضخم القلب ثم تتوسع تجاويفه وتحتقن الأعضاء بالدم وينتهي الأمر بالموت فيموت المتصلب الشرايين من تصلب كليتـه وقصور قلبه أو من الخناق الصدري أو من وذمة الرئة أو من غشي بصلي أو من نزف دماغي .

وعدا ذلك فان المصابين بالحرض أقل مقاومة ضد الأمراض العفنة وأكثر تعرضاً لها . تلك هي مضار إفراط الغذاء أو البطنة وآفات الامتناع عن تنظيم الطعام وأداء فريضة الصيام .

ونكن ضرر البطنة يتعدى الفرد إلى المجتمع وذلك بانتقال هذه الأمراض الناجمة عنها وراثة كما أسلفنا وبقلة إخصاب المبطونين .

لقد ثبت أن من أسباب قلة النسل في شعب من الشعوب كثرة الحرض في بنيه ، لذلك يتساءل بعض علماء الغرب لم لا تـكافح البطنة كما يكافح السل فان خطرهـــا على الأفراد والنسل والشعب لا يقل عن خطره ولا يمكن التخلص من الوقوع في شر هـــذه الأمراض إلا بمكافحة النهم في الطعام والحمية والصيام ، فالصيام وسيلة الوقاية منها كما هو دعامة شفائها .

حومة

للأستاذ مزيد الخطيب

أنصفينا (يابلادَ العرَبِ) واحضنى المجدَ الذي لم يُشَبِ
واسمعي صوت الأماني صارخاً أجفل الدنيا بخير المطلب
وسمانا أشرقت بعد الدجى تطرد الغيمَ بجوّ العرب
أيقظ الصوتَ النيامى عاصفاً بالجيلى ، ودعاة المأرب
بُورك (الفجر) الذي نرقبه ليضيء الكون رغم المُذنب
وشموسٌ أرسلت اشعاعها ماحياً ظلمةَ بيتٍ خرِبِ !

* * *

يا (بلاد العُرب) هذي حومةٌ كلّلتها بنطاق الذهبِ
واغنميها فرصةً سانحةً بجديد البأس ، لا بالريب
هذه آياتنا ساطعةٌ في سما الدنيا لمرّ الحُقَبِ
إنها عَبْرَ الليالي انطلقتْ روّت المجدَ ، بتلك الشُهب
انها عبر البوادي خطرتْ ومشتْ فوق أديم المغرب
تحملُ المشعل في أيدي العلى وتردّ البغيَ بغي الأجنبي
كم أنارت مطلع الشمس بنا وأنارتَ مغرب الشمس الغبي
فتحتْ في الأرض للمجد الذي ترجيه لا لبثُ النوب

* * *

لبستْ ثوبَ (التشقي) خلاّقةً لم تشأ لبس ثياب (الثعلبِ)
أقسمتْ تبني العُلى ، وهي التي لم تشأ خفر عين العرب
روّت الأرضَ على درب الفدا من جراح الصّيد ، من كل أبي
وزها الكونُ بها ، وانطبعتْ آيةُ المجد بماء الذهب
تركتْ آثارها الجلّى على منكب الدنيا ، وبطن الكتب
وحضاراتٍ لها قد شهدتْ أممُ الأرض ، وسِفْرُ الحُقَبِ !!!

* * *

يا بلاد العُرب الفجــر ابسمي — وتلقّيه بخير الموكبِ
واتركي الليلَ لنورٍ غامرٍ — يملأ الدنيــا لنور المذهب
وَ (الحقِ) لم يضع إن شئته — عاش مذبوحــاً وراء الحُجُب
خنقوه ، قتلوه جهرةً — والتهمنــا ببروقٍ خُلّب
يا أباة الضيم هبّــوا للفــدا — لاعتلاء المجــد فوق الرتب
واخنقوا (الخفّاش) في ظلماته — واضربوا (البغيَ) بحد القُضُب !

* * *

يا لقومي آن أن نرعى الحمى — ونردّ الكيدَ كيد الأجنبي
ولنعشْ بالعزّ في أوطاننــا — ولنجنّبهــا أتون اللهب
غصصٌ في الصدر لم تفتأ بنــا — تلتوي في لاعجٍ مضطرب
منذ دهرٍ عصفتْ صخّابةً — من لها يا أهل دنيا العرَبِ ؟ !!

* + *

لا تقولوا عقّنــا الدهرُ ، ولا — تيأسوا من ردّ تلك الكربِ
هذه أشبالنــا تجري فــلا — تشغلوها بالكرى ، والصخب
احملوا السيفَ الذي يجلو الدجى — ويراعــاً عالقاً بالشُهُب
واكسروا القيد الذي أدمى النهى — داميــاً بالساعد الملتهب
قد أطلّ (النجمُ) في الشرق فلا — تتركوه وحده في الطلب !!!

* * *

يابلادي ، هذه راياتنــا — فاجمعيهــا وحدةً كالنسَبِ
لا تثيريهــا فرادى عنتــاً — تحت سيلٍ دافقٍ من سُحُب
فيدُ الله مع (الجمع) فــلا — نصر إلا باجتماع القُضُب
يابلاد العُرب هبّي ، وثبي — ببنيك الصّيد عند السبب
واجمعي الكلّ على درب الفدا — واحزبي في الصف من لم يُحزب
واعملي للخير لا الشرّ لا — تعملي إلا لكل العربِ !

مزيد الخطيب

شحيم :

ساجدوا العيس

للأستاذ بديع المعلم

قصيدة في ذكرى ولادة الرسول الأعظم محمد ﷺ انتشاء بشمائل المصطفى ، وتغنياً بمن كان رحمة للعالمين ﷺ ، وقد أوحى لي هذه القافية والوزن أبيات ثلاثة قرأتها في مجلة الحضارة عن إعرابي كان راكباً فرسه قاصداً الروضة الشريفة ، فقال :

نعم لولاكَ ما ذكر « العقيق » ... ومـــا جابت له الفلوات نوق
نعم أسعى إليك على جفوني ... تدانى الحي أم بعد الطريق
إذا كانت تحن لك المطايـــا ... فمـــاذا يفعل الصب المشوق ؟

وأعجبت بهذه الأبيات ، فأوحت إلي بهذه القصيدة :

ساجدوا العيس ما برح « العقيقُ » ... وأسمع أهله ممـــا يروقُ
فليت الصبَّ لا يسلو هـــواه ... وليت فؤاده لا يستفيق
وهل يحيـــا الفتى من غير قلب ... ولم لا يعذر الصب المشوق !!
حياة النخل ما اتصلت ، فماذا ... سيبقى بعد ان نُزِعتْ عروق ؟
ديار العاشقين وإن تناءت ... فمـــا بعدت ولو بعد الطريق
أحن إلى « العقيق » وأي جفن ... يذوق الغمض إن ذكر «العقيق»؟
فلم يترك هواه دمـــاً ولحمـــا ... سوى قلب لنجواه يتوق
ولست من الحديد خُلِقتُ قلباً ... لأحمل في الهوى مـــا لا أطيق
ولي بين « الحجون » هوى قديم ... ولله الحجون لكم يشوق . . .
فلا والله مـــا سيّانَ عندي ... رحاب الأرض و «البيت العتيق»
ومهـــما كانت الأوطان تغلو ... سيفدي « مكة » وطني العريق
لهـــا مهـــما يعزّ سواد عيني ... ويهتف باسمهـــا قلبي الخفوق
نثرت بوملهـــا حبات قلبي ... وكيف يضن بالقلب العشيق ؟

★ ★ ★

عروس البيد ياحلم الصحاري ... سلام الله مـا جابتك نوق
حنانك أي صبح عبقري ... أطل ، وأي أعراس تروق ؟
أوشاك الضحا بخيوط نور ... وكان يلفك الليل العميق
وإذ الله أكبر قـد تعالت ... لهـا كل العوالم تستفيق
وما الأبعاد تحبسهـا ، ولكن ... يضيق بها الوجود ، وما تضيق

★ ★ ★

رسول الله يامن جئت نوراً ... فطاب بطيبك المسك الفتيق
أتيت وهـذه الدنيـا ظلام ... وخلف الليل من نور شقوق
خفافيش تخاف النور طبعـاً ... وتكره أن يكون له بثوق
ويعبث بالرعيـة كل طاغ ... وتصطرع الظنون ، فلا وثوق

★ ★ ★

وإذ « أم القرى » تنشق فجراً ... وينبت للهدى في الأرض سوق
وإذ بالظلم ينهـار انهيـاراً ... وإذ بالباطل الفاني زهوق
وإذ « بمحمد » روحي فداه ... عل . ودونـه البدر الحقيق
فتى جمع الشمائل والسجايـا ... فطابت في منابته العروق
عليه يرفرف « الفرقان » بنداً ... فـلا تاج ، ولا علم وبوق
وما « اليرموك » أو « حطين » إلا ... وميض من سناه أو بريق
تساوى الناس بالإسلام طرّاً ... فلا حر ، ولا عبد رقيق . . .
« بلال » راح يعلنهـا تدوي ... فذابت عند صيحتـه الفروق
وبالتقوى تفاضلهم جميعـاً ... فلا نشب ، ولا نسب عريق
فمـا للخلق غير الله ربـاً ... فليس « يغوث » تعبد أو (يعوق)
وما ضر الهدى ، مـاذا عليه ... إذا مـا ضل عن نهج فريق ؟

★ ★ ★

أبا الزهراء ما عرس الدراري ... سوى ذكراك والزهر الأنيق
فكم رفلت بمولدك المفـدى ... عروس الجن يجلوهـا الشروق
عليها الحلي والحلل الغوالي ... وما سحر اللآلىء ، ما البروق ؟

شفاه الدهر ما تنفك نشوى … إذا مر اصطباح أو غبوق
وملء الكون وحيك ليس يخبو … ومن نعماك ما جف الرحيق
وإن ينكرْ فم ماء قراحاً … فكل العذر فيمن لا يذوق
ولو نضدتُ مدحك كاللآلي … لما أديتُ حقك ما يليق
كذاك فدي لنعلك كل رأس … تظلله المآثم والفسوق
بجلّ بعرفه حق الأيامي … ويجلو ما أراق ، وما يريق
هو الإسلام طود مشمخر … وصرح لا يدانيه سحوق ...

* * *

رسول الله ياعلم البرايا … وأنت السيد الشهم الصدوق
لك النصحى لقد ألقت قياداً … فماذا يبلغ الشعر الرقيق ؟
أأهتف ، والأسى يدمي فؤادي … وبي من لذعة الذكرى حروق ؟
شعوبك - يارسول الله - هام … وقد طال السبات ، ولم يفيقوا
أتدري أنهم ركبوا هوام … فضاع الملك والمجد العريق ؟ !
أأهتف والحياء يذيب نفسي … وملء جوانحي حزن عميق
فوا خجلاً لقومي كيف ضاعوا … أطاعوا الغيّ ، ما هذا العقوق ؟
بني الإسلام يؤسفني بأني … رأيت - بفعلكم - ما لا يليق
أيطربكم صدى الغربان عفواً … إذا ما راح يدعوكم يفيق ؟
ألفتم كل شيء أجنبي … كأنعام تساق ولا تسوق
وحدتم عن طريق الحق حتى … كأن الحق أمر لا يروق
نعم ما بيننا - مهما ادعينا - … وبين سبيله بون سحيق
أغرتكم حضارتهم ، فبتم … من التقليد تخدعكم بروق ؟
وفتنتم بالتفرنج كل حد … وهل يجدي من الدين المروق ؟
حقائق يفرح الأعداء منها … وتأسى من نتائجها الصديق
هو الإسلام حرّر كل شعب … فلا عبد ، ولا حر طليق

فتحنا الأرض في عدل ونبل   ومن ذا في المكارم لا نفوق ؟
وبالإيمان أسقطنا طغاة   فأنقذنا الورى مما يحيق ...
لنا في كل حاضرة منار   وكل مدينة بند خفوق
ملكنا الأرض من شرق وغرب   ولولا البحر ما كانت تضيق
وإن ينكر هدى الإسلام غر   فما المغرور في نقد خليق
وكيف الفضل يفهمه حمار   وما مقياسه إلا النهيق ؟
إذا سجع الصداح على غصون   فعيب أن يعارضه نقيق

* * *

منارات بأندلس أضاءت   على الدنيا ، وفردوس وريق
إذا ما قيس « قرطبة » « بروما »   فعند الحكم تختلف الفروق
وأنى يستوى جهل وعلم   تلاقي من أذى ما لا تطيق
نعم أيام (روما) في ظلام   تلاقي من أذى ما لا تطيق
نعم أيام لا ملكٌ مصون   ولا في الناس مُحترمُ الحقوق
نعم أيام بيعَ الناس قسراً   فذاقوا من أسى ما لم يذوقوا
يقهقه مارد « الرومان » زهواً   و « روما » راح يأكلها الحريق
هوى عرش الجبابرة حيث كانوا   فلا طاغوتَ أو جبتٌ صفيق

* * *

بني الإسلام ما بالنوم فوز   كفى هذا الرقاد ألا أفيقوا
أتشكون التمزق ليت شعري   وفي أيديكم الحبل الوثيق ؟
طريق الله لا يخفى صواه   وللشيطان تختلف الطريق
ألا اعتصموا بحبل الله طراً   إذا ما مسكم عنف وضيق

* * *

إمام الرسل نورك ملء عيني   وذا قلبي بنشوته غريق
وذاك كتابك الهادي لنفسي   رفيق لا يعادله رفيق
عليك صلاة ربك ما تهادى   حداء الركب ، أو لاحت بروق

اولب :   بديع المعلم

بين المجلة وقرائها

● **تلاميذ القاسمي** : هذا عنوان مقال الأستاذ حسن كنعان نُشر في الأجزاء ١٧ – ٢٠ ص ٤٠٥ - ٤١٢ ، وقد قرأه سيادة لطفي الحفار ، فأرسل للأستاذ كنعان في ١٣ شعبان عام ١٣٨٦ وفق ٢٦/١١/١٩٦٦ ما يلي :

قرأت اليوم مقالكم القيم في مجلة (التمدن الإسلامي) تلاميذ القاسمي واني لأشكركم على ما حواه من معلومات يجهلها الجيل الناشىء وقل من يعلم عنها شيئا ، وقد شعرت بالغبطة لزيارتكم الأخ العزيز السيد محمود العطار وهو من رجال الرعيل الأول الذين جاهدوا وناضلوا في سبيل أمتهم وبلادهم ...

لقد كنتم وما تزالون تتحفوننا من حين إلى آخر بأبحاثكم المتعددة في مختلف المواضيع التي مارستموها وصاحبتموها في الأدب والاجتماع والموسيقى والتاريخ .

وبعد الاطلاع على مقالكم وقد أثرتم ذكرى الأستاذ الإمام القاسمي رحمه الله رأيت أن أرسل إليكم كلمة كتبتها على صفحات كتاب جمال الدين القاسمي [1] الذي أصدره وعمل فيه وقتاً طويلاً ولده البار الحقوقي الأديب

---

(١) المجلة : الكلمة منشورة في الكتاب ، وقد قدر فيها سيادة الأستاذ الحفار جهود الأستاذ القاسمي حتى صدر الكتاب الذي غدا من أنفس الكتب التي تؤرخ الامام القاسمي وما لاقاه من عناء في سبيل دعوته الاصلاحية الدينية والاجتماعية والخلقية ، وبين أن العلامة المرحوم الشيخ طاهر الجزائري كان يقول (ان الأستاذ القاسمي فهم الشريعة الاسلامية كما فهمها الصحابة والتابعون) لذلك اجتذب الشباب المتعلم الذين أخذوا الدين عنه صافياً من الضلالات والبدع . . .

الباحث الاستاذ ظافر القاسمي أمد الله في عمره ، وكم نحن في أمس الحاجة لمثل هذا الكتاب ليطلع عليه الجيل الناشىء وليعلم الصفحات التي مرت على رجال الرعيل الأول الذي قاموا بالدعوة إلى الإصلاح الديني والاجتماعي والمطالبة بحقوق أمتهم وبلادهم في مختلف الظروف والمناسبات .

وبهذه المناسبة أحب ان أذكركم ان الكاتب الأديب السيد رشدي الحكيم هو أيضاً من تلاميذ الأستاذ القاسمي كان يحضر معنا الدروس والجلسات أمد الله في عمره .

فإذا رأيتم أن الكلمة المرسلة لكم عن كتاب القاسمي وهي كلمة مقتضبة جديرة بالنشر على صفحات مجلة التمدن الاسلامي وهي من ضمن مواضيعها وابحاثها عملتم خيرا . إذا راقت للجنة التحرير . . .

أشكركم مكرراً مع التحية والاحترام .

لطفي الحفار

● **المجلة وخطتها** : يقترح بعض الإخوة القراء نشر بحوث ليست من خطة المجلة ولا تشملها غايتها ، فالمجلة إسلامية علمية أدبية ، فما اتصل بذلك من المقالات نشرنا مكتوباً لها خاصة أو مختارا .

● **عدد الأجزاء** : يلتبس على بعض القراء أمر أرقام الأجزاء ، فنوضح لهم أن الأجزاء (١ — ٤) مثلاً تعني أربعة أجزاء لأن رخصة المجلة في الأصل أسبوعية ، واصدارها شهريا ـ مراعاة لمواردها ـ يدعو إلى ذكر أربعة أرقام لجزء الشهر الواحد . أما سنة المجلة فتعني عمرها ، فهي الآن في عامها الثالث والثلاثين .

● يستبطىء كثير من المشتركين صدور الأجزاء ، والحق معهم فالمجلة كثيراً ما تتأخر عن مواعيد أشهرها ، وعذر إدارتها أنها لا تملك مطبعة خاصة ، فضلاً عن أزمة الورق أحياناً .

(قلم المجلة)



البدانة وفرط الوزن :

رسالة جامعية بقلم الطبيب محمود نديم المميز ، أحدهـــا لنيل شهادته (الدكتوراه) باشراف أستاذه الطبيب مدني الخيمي .

وإن خطة اعداد الرسائل هذه تفتح للناشىء أبواب العلم وانتاجه إلى جانب اكتسابه وعيشه من مهنته ، وما أحوجنا أبداً إلى خطة تصل العلم بالعمل فإن من أخطر مفاسد المجتمع أن يكون الكسب غاية لنفسه والعلم وسيلة وادعاء لا حقيقه وتتبعاً ومحبة . .

وقد عالج المؤلف أسباب البدانة وأدواءها وطرق معالجتها بما يفيد الباحث .

ولو استفاد من الأدب أساليبه ولا سيما تمهيده وتبسيطه ، لكانت رسالته أسهل نشراً وأعم نفعاً فقد هجم على البحث بأسلوبه العلمي بألفاظه ومصطلحاته وتعليلاته ثم دنا فتدلى قليـــلا . والرسالة في ١١١ من القطع العادي على ورق أبيض صقيل .

والأمل بهذه الباكورة أن تستتبع الخطوات الموفقة إن شـــاء الله في علم وعمل .

ابن بيلا الأسطورة :

رسالة بقلم الأستاذ غالب عبد الرزاق ذكر فيها ثورة الجزائر واستقلالها ودور البارزين من قادتهـا وأسباب الصراع القريبة والبعيدة إلى أن أتى ابن بلا إلى الحكم حتى انتهى به الأمر إلى الانقلاب عليه .

ومما قاله ص ٥٩ بان ابن بيلا وهواري بومدين الذي قام بانقلاب عليه بأنهما اسمان رمزيان استميرا الكفاحهما وان اسم أحمد الحقيقي هو محمد واسم هواري الحقيقي هو محمد بوحزوبه .

وعلق الكاتب أمله في صراع القادة على يقظة الشعب وقوة مشاعره واصالة ثورته . ونحن بدورنا نرى أن ضرام الثورة كان من أثر عظمة الماضي المجيد ومبادىء الإسلام القويم وروح الجهاد التي بثهـا في روح الفرد والجماعة .

وإن كل خلاف على هذه الشاكلة يسهل حله واجتناب أزماته حين تلتزم حدود الله وأحكام الاسلام ، وحسبنا من دستوره حتى في مواقف الخصام المتأزم والثورات التي تضطرم أن نذكر قوله سبحانه وتعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما [وفي الصلح تقريب وجهـات النظر ومصافاة القلوب المتنافرة والتساهل والتسامح] ، فإن بغت إحداهـا على الأخرى [واشتد بأسهم بينهم] فقـاتلوا التي تبغي حتى تفيىء إلى أمر الله [وتقف عند حدها] ، فإن فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا [وهنا مع الصلح إقامة العدل والقسط بحكم يلزم الطرفين معاً] إن الله يحب المقسطين» بمثل هذه المبادىء يتماسك بنيان المجتمع ويتعاون العاملون بديل أن ينقلب بأسهم بينهم فهل نعتبر ؟ !

تبديل الطلاسم أو اصل الماسونية :

رسالة تاريخية تتناول نشأة الماسونية على انهـا حركة يهودية منذ سنة سنة ١٣ م بدأت خطوتها الأولى لمكافحة انتشار النصرانية ، وأن أول انديتها سمي باسم « محفل اورشليم » ثم ابدل باسم « هيكل اورشليم » اقتراح جوهاتان . ثم تجدد نشاطها سنة ١٧١٧ بالاسم الأول « محفل » .

وأن الماسونية اتجهت من بعد وجهتين وقسم جعل همه المحافظة على الدين اليهودي والتزم مبدأ التدين ومحاربة الكثلكة والكنيسة الرومانية ، والقسم الآخر سلك مسلك الاباحة والتهديم ونهج لها مناهج المبادىء الطبيعية .

وأرى مع صدق النظر ارتباط الصهيونية بالحركة الماسونية دولياً بحركة ونشأة ، فإن فيما عرضته الرسالة من تاريخ هـذه النشأة على نظرة ناقدة ، ذلك ان ماتضمنته الرسالة من حديث مرحلة التأسيس بين حيرام ابيود (صاحب الفكرة) وبين الملك هيرودوس اكريبيـــا من وصف دعوى المسيح ومعتقدات النصرانية الموروثة بالتأليه ونحوه إنما تنافي نص الوثيقة التاريخية بإدانة المسيح ومحاكمته من جهة بادعائه التعليم والنبوة . . ومن ذلك يبدو أن نصوصها كلا أو بعضاً حشر فيها توسع بها بقصد إيراد هذه المعتقدات على لسان اعداء المسيح تثبيتاً لهذه العقائد على أنها كانت منذ بدء رسالة المسيح عليه السلام ، فهي بذلك أقرب إلى رسائل المبشرين اصطنع لها هذا الاسلوب في إطار تأريخي من نشأة الماسونية .

ويدل على ذلك تهويل المراحل التاريخية من السعي لترجمة الكتاب وطبعه وتوارث ذلك والإيصاء به حتى خرج الى حيز الوجود مع أن مثل هذه المهمة لا تحتاج الى هذا التهويل . .

وقد امتد إلى بيان أثر خطر ذلك حتى على دين الاسلام وعلى لسان من لا يدين به بمثل القول على لسان جانيت ص ٧٨ وهي :

ثلمتم دين عيسى ثم دين النـ ـبي محمـــد والكل طـــاهر

ومثل ذلك القول على لسان هيردوس ص ٩٢ (في مرحلة لتأسيس الثمانية الذين دعاهم) .

ثم أبوح لكم بسر من أسرار أبي وجدي هيرودس الكبير وهو أنهما كانا يعطيان أوامر سرية بقتل كل من يستطاع قتله من تابعي يسوع وتعاليمه .

واضاف إلى هذا ص ٢ ح بأن من كان يأمر بذلك أو بنقده قد ضربوا بأنواع شتى من الضربات . . بألم الأمراض الوبائية . . بعقولهم ضربوا ببدنهم وبجميع أنواع العذاب • .

فهل يصح في عقل أن يدعو لتأليف جمعية لمكافحة النصرانية واغتيال أهلها بقول في مجلس التأسيس لحركته والتحريض عليها مثل هذا القول :

لمثل هذا ونحوه فإن هذه الرسالة محل نظر للناقد من الوجهة التاريخية كما رأيت .

وفي الفصل السادس والسابع جعل السرية والكتمان لنشأة الحركة واضفاء الثوب التاريخي المجهول عليها أنها لا تعلم أ كانت من عهد سليمان أو أبيه أو من عهد موسى أم من القرون السابقة ، اقتراحاً من الملك ثم جاء في الفصل الثامن على لسان الملك بانها من أفكار حيرام .

وعلى مثل هذه الخطة ذكر نشأة الرموز والأسماء وخطة العمل . وفي ص ١٢٠ في الفصل السادس عشر بعد موت الملك تولى حيرام الرياسة فأخذ يتعقب اتباع عيسى عليه السلام وذهب إلى أراضي صيدون ورأى كثرة انتشار النصرانية فطلب اثنين من رفاقه المؤسسين فارسل إليه موآب لاحي . (أمين السر الأول) (دونيوا) (أمين السر الثاني) واكريبا ، وكأنما فات (الوضاع) ان اكريبا كان هو الملك سماه (هيردوس) ص ٤٠ و ص ١١٩ وفي مناسبات عديدة وليس ثمة في المؤسسين اكريبا آخر كما في ص ١٠٥ .

وفي الفصل العاشر ص ١٠٧ جعل الرموز في الهيكل ومنها نصب عمودين بفناء يسارا رمز اللغة والثعبان ايهاماً بأن تاريخ التأسيس يرجع الى عهد بناء هيكل سليمان وكانت الآلات المستعملة كلهـــا من خشب فنصب لذلك العمودان وكان ذلك من مقترحات الملك ص ١٠٧ بينما من خطة الدرجة الثالثة ص ١٣٤ يجعلها بصراحة من اختيار حيرام . —

رمضان

شهرٌ تنزّل نورُه الوضاء
للعالمين وعيشُها ظلاءُ

جبريلُ بلّغه النبي فأشرقت
أرجاء هذي الأرض والبطحاءُ

خُتمت به كل النبوّات التي
بزغتْ فعاش بظلّها السعداءُ

والشمسُ إن سطعت توارت أنجمٌ
وكذا كتاب الله فهو ذُكاءُ

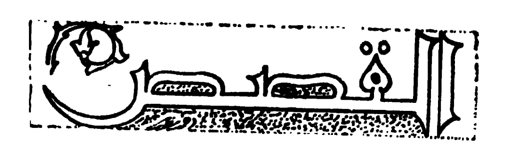
١/٩/٨٦ (١٣/١٢/٩٦٦) أحمد مظهر العظمة

ـــ وفي ختام الكتاب رسالة عن أسرار الماسونية بقلم القائد (الجنرال) رفعة آتلخان عربها عن التركية الأستاذان نور الدين الواعظ المحامي في بغداد وسليمان محمد أمين القابلي وفيها نظرات خاطفة توضح خطر الماسونية وارتباطها بالحركات البالية الهدامة وفي مقدمتها الصهيونية والشيوعية ودورها في تهديم الدولة العثمانية .

والكتاب كله في ٢٤٢ من القطع المتوسط طبعته دار منشورات العصري في بغداد بتحقيق وتقديم الأستاذ أبي صادق جزاهم الله خيرا .

المحامي

محمد بن كمال الخطيب



عدالة السماء :

دواء القدر

للواء الركن محمود شيت الخطاب

أتى رجل مريض عيادة الطبيب ابن بطلان [1] في حلب وكان طبيباً مشتهراً بالمعرفة والعلم والتقدم في صناعة الطب ، فشكا اليه مرضه ، فرأى ابن بطلان أن المريض قد استحكم به الاستسقاء وكبر بطنه ، ورقت رقبته ، وتغيرت صحته .

وفحص الطبيب مريضه ، فوجده قريباً من القبر بعيداً من الحياة ، فقال ابن بطلان للمريض : «ياولدي ! مالي والله فيك حيلة ، ولا ينجع الطبّ فيك ، فانصرف الى رحمة الله» .

لم يكن ابن بطلان أوّل طبيب عاين هذا المريض ، فقد لجأ من قبله إلى كثير من الأطباء : أمره بعضهم بالحمية ، وأمره آخرون بالكيّ [2] ، ووصف له قسم بعض الحشائش الطبّية ، فأصبح الرجل مختبراً للأدوية ، وأصبحت معدته صيدليّة سيّارة .

---

(١) طبيب مشهور كان في بغداد ومارس الطب في حلب وانطاكية ، وقد ترجم له ابن أبي أصيبعة « في طبقات الأطباء » - مصر - ١٨٨٢ م - (١ / ٢٤١ - ٢٤٣) ، والقفطي في « أخبار الحكماء » - مصر - ١٣٢٦ هـ - ص (٢٠٨) .

(٢) من الأمثلة السائرة : آخر الدواء الكيّ . وكواه كيّاً وكيّة : أحرق جلده بحديدة محماة ونحوها . وفي التنزيل العزيز : (يوم يُحمى عليها في نار جهنم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) واكتوى فلان : استعمل الكيّ في بدنه . واستكوى : طلب الكيّ .

وكان كل يوم يمر عليه يزيد مرضه رسوخاً ، ويسير به سيراً حثيثاً إلى نهايته المرتقبة .

وسمع المريض بقدوم ابن بطلان من بغداد إلى حلب ، فهرع إليه يعرض عليه أمره ، ويتوسّل به أن ينقذه ممّا ألمّ به من أسقام .

وكان من مزايا ابن بطلان الصّراحة القاسية ، فأطلعه على تردي حاله ، وأنذره باقتراب أجله ، وصرفه من عيادته وهو يتعثر بأهداب اليأس والقنوط .

وعاد الرجل إلى أهله يتلوّى . وكان قد حُرمَ الطعام شهوراً كثيرة ، وكان اليأس قد استحوذ عليه ، فعزم أن يلقى الله ببطن مملوءة لا ببطن خاوية .

وكان طعام الفقراء حينذاك من الخبز والخل ، إذ لم يكن الشاي معروفاً في سورية ولا في منطقة الشرق الأوسط ، وكانت كميات الشاي المستوردة من جزر الهند ومن الهند قليلة فهي غالية التكاليف باهظة الثمن ، فكان الشاي لذلك يستعمل دواءً أو رحيقاً للمترفين ، ولم يكن الشاي كما هو اليوم إدام (١) الفقراء الذين لا يجدون غيره إداماً .

وأقبلت أمّه تسعى إليه بكأس من الخلّ والخبز ، فالتهم الرجل الزاد التهاماً ثم كَرَع (٢) ما تبقّى من الخلّ في الكأس حتى الثّمالة (٣) .

وتناول في مسائه الخلّ بالخبز ، وتناول في فطوره الخل بالخبز أيضا .

وكان فطورة وغداؤه وعشاؤه كل يوم لا يتغير : الخل والخبز ، فقد كان الرجل صعلوكاً ، ليس له غير أمه وغير سقيفته التي ورثها عن أبيه والتي تسمى مجازاً دارا ... !

---

(١) الإدام : ما يُؤتدَمُ به الخبز . (ج) : أُدُمٌ .

(٢) كرَع في الماء أو الإناء : تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفّيه ولا بإناء .

(٣) الثمالة : البقية في أسفل الإناء من شراب ونحوه . (ج) : ثُمالٌ .

وكتم الرجل أمره عن أمه ، فهي لا تعرف أنه قانط من الحياة ، وأنه يعدّد أيامه الأخيرة وأنه مستسلم للقدر كالمحكوم عليه بالموت حين لا يجد أملا في النجاة ؛ فهي تترع له الكأس بالحل وتُعدّ الخبز الأسمر الساخن ، وتحمد الله من كل قلبها على إقبال ابنها على ازدراد الطعام بانتظام وشهيّة .

- ٢ -

ورسم الرجل المريض لنفسه مخطّطاً ثابتـاً : يستيقظ مبكرا ، وبعد صلاة الفجر يتناول فطوره ، ثم يقصد الحقول فيقضي ساعتين في مسيرة كان في أول أيامه يتلكأ فيها ويسير الهوينا ، ثم تدرّج حين اشتد عوده حتى أصبح بعد شهر يمشي ثلاثة أميال ذهاباً وثلاثة أميال إيابـاً . وفي باحة الحقول يسترخي على ظهره ويستنشق الهواء العليل عميقاً في زفيره وشهيقه حتى كأنه يأكل النسيم أكلاً .

وحين يعود الى المدينة يقضي وقته في نديّ حارته بين لداته منصتاً لأحاديثهم مقبلاً على سماعها ، فينسى خلال تلك الفترة مرضه ومصيره . حتى إذا سمع المنادي ينادي لصلاة الظهر قصد مسجداً قريبـاً من داره ، فإذا قضيت الصلاة عاد الى بيته وتناول غداءه ثم نام ساعتين أو أكثر ، فاذا حلّ العصر قصد ذلك المسجد وأدى فريضة الصلاة ، ثم سرح في البساتين حيث يعود الى المسجد عند أذان المغرب ، وبعدهـا يعود الى أهله فيتناول عشاءه ، ثم ينتظر صلاة العشاء ، وبعد الصلاة يأوي الى فراشه مبكراً ، فيسقط عليه كالحجر إذْ ينام حتى الفجر .

وفي اليوم التالي ، يبدأ سيرته الأولى .

ومضى شهران كاملان ، وهو في كل يوم يزداد صحة وعافية ، حتى اصبح شخصاً آخر : قوياً متماسكاً ، لا يشكو علّة ، ولا يشعر بمرض .

وفي يوم من الأيام ، اجتاز بالطبيب ابن بطلان وهو في عيادته ، وقد زال ما كان به من المرض ، وضمر جوفه ، وحسنت حاله ... !

ودعاه ابن بطلان وقال : « أأنت الذي حضرت عندي من مدّة ، وبك الاستسقاء ، وقد كبر بطنك ودقّت رقبتك ، فقلت لك مالي فيك حيلة ؟ قال : « بلى » . فقال الطبيب وهو في حيرة من أمره : « فبماذا تداويت حتى زال ما كان بك ؟ ! » . فقال : « أنا رجل صعلوك ، لا أملك شيئاً ، وليس لي غير والدتي العجوز الضعيفة ، وكان لها دُنَيْن (١) خلّ ، فكانت كلّ يوم تطعمني منه بخبز ! ! » .

قال ابن بطلان : « وهل تبقى من الخلّ شيء ؟ » . قال : « نعم ! » . فقال : إمش معي لأرى الدّن الذي فيه الخلّ » .

ومشى الرجل بين يدي الطبيب ابن بطلان الى بيته ، حتى وقفا على دنّ الخلّ ، فأفرغ ابن بطلان ما كان فيه من الخلّ ، فوجد في أسفله أفعيين وقد تهرّأتا ... !! فقال له : « يابنيّ ! ما كان يقدر أن يداويك بخل فيه أفعيان حتى تبرأ ، إلاّ الله عزّ وجل (٢) » .

وعاد ابن بطلان أدراجه إلى عيادته ، وفي طريقه كان يردّد : « إذا عجز الأطباء عن شفاء المرضى ، فإن طبيب الأطباء لا يعجز » .

ولا حارس كالأجل فلا نامت أعين الجبناء .

بغداد : محمود شيت خطاب

---

(١) الدّن : وعاء ضخم للخمر ونحوها . ودُنين : مصغّر دنّ .

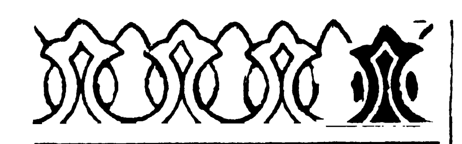
(٢) انظر أصول هذه القصة في كتاب الاعتبار - أسامة بن منقذ - مطبعة جامعة برنستون - الولايات المتحدة - ١٩٣٠ ص (١٨٣) .

أبو عبيدة بن الجراح

- ٤ -

ثم اضطر البيزنطيون إلى الانسحاب من الواقوصة تحت ضغط الجيوش العربية المجاهدة التي غيّرت بهذه المعركة وجه التاريخ ، ذلك أنه لما بلغ هرقل خبر انكسار جيوشه هرب من انطاكية إلى القسطنطينية وهو على يقين من أن حياته المليئة بالفخر انتهت بالحزن . ولما وصل في سيره إلى ممر (طورس) التفت إلى سورية وقال كلمته الشهيرة : سلام عليك ياسورية سلاماً لا لقاء بعده فما أنفعك للعدو ! مشيراً بذلك إلى مراعي سورية العديدة .

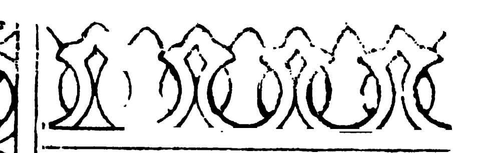
وبعد الانتهاء من معركة اليرموك وبدء عام ١٦ هـ توجه المسلمون كعادتهم إلى أمكنتهم التي كانوا قد تركوها ليسترجعوها فلم يشعروا بأي مقاومة تذكر إلا دمشق ، لأن الحامية التي كانت فيها أرادت مقاومتهم ، لكنها اضطرت أخيراً إلى التسليم وعقد الصلح ، وقد أخذوا منهم في هذه المرة بعض كنائسهم ليتخذوهـا مساجد لهم ومنها كنيسة القديس يوحنا ، أما سور مدينة دمشق فقد بقي قائماً حتى هدمه (عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس) وذلك بعد انقضاء أمر مروان وبني أمية . ولا يفوتنا التذكير بأن



أكثر أهل سورية قد استقبلوا جيش المسلمين بعد موقعة اليرموك استقبالاً حسناً مصحوباً بالرقص والأهازيج ، حتى أن أهل حمص اعربوا عن إيثارهم لعدالة المسلمين على ظلم الكنيسة الأرثوذكية والامبراطورية الرومانية .

٢٨ ــ نتائج فتح العرب لسورية :

بعد أن فتحت دمشق نهائياً رجعت جنود العراق إلى العراق ، وسار ابو عبيدة إلى شمالي سورية يصحبه خالد ، وذهب عمرو الى فلسطين ، وشرحبيل إلى الأردن ، ويزيد إلى ساحل سورية ، وقد جاء فتح العرب للشام بنتائج ذات اهمية كبرى حتى ان هرقل قال عندما خرج من آخر حد لسورية كلمته التي مرّت بنا . ومما تجدر الاشارة إليه أن جميع المدن السورية ومراكزها قد صارت بيد المسلمين عدا (أورشليم وقيصرية) الحصينتين جداً ، فإنها قد بقيتا بضع سنين محاصرتين ، ويعود سبب ذلك إلى أن سكان هاتين المدينتين كانتا من البيزنطيين فقط ، ولكنهما بعد أن استسلمتا وسقطتا بيد العرب تطورت معهم تطوراً سريعا لما رأته فيهم من لين وحسن معاملة وإنصاف ، فأثر ذلك في ظنهم في العرب ، كما أثر في معتقداتهم الدينية والعمرانية والسياسية ،

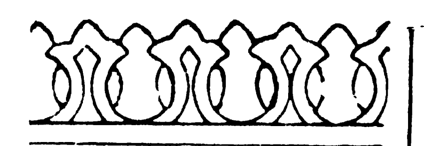


وفي مؤسساتهم العامة . على أننا نعلم بأن الذي دفع الجيوش الإسلامية الى سورية ليس طمع الخلفاء الراشدين بالسيطرة على العالم ، ولكنه الدعوة الإسلامية السمحة ، وقد طلبت القبائل العربية المتنصرة على الحدود السورية من حكومة المدينة أن تعمل على تخليصهم من حكم الرومان ، ودولة الإسلام دولة ذات غاية سامية اقتداء بالرسول ﷺ ، وهي لذلك بعيدة عن المطامع التي يحارب من أجلها المستعمرون . وقد اثبتت الوقائع أن الفتح الإسلامي فتح هداية وعدالة و معرفة ، وفتح القضاء على الظلم والظالمين .

٢٩ — ابو عبيدة والخليفة عمر (ض)

قدم عمر رضي الله عنه الى الشام فتلقاه الأجناد فقال : أين أخي أبو عبيدة ؟ فقالوا يأتي الآن ، فجاء على ناقة مخطومة بحبل ، فسلم عليه وسار معه حتى أتى منزله فلم ير فيه إلا سيفه وترسه ورحله ! فقال له عمر رضي الله عنه : لو اتخذت متاعا ؟ قال يأمير المؤمنين إن هذا يبلغنا المقيل (١) وكان عند ما يسير في العسكر يقول : ألا رُبّ مبيّض لثيابه وهو مدنّس لدينه ، ألا رُبّ مكرم لنفسه وهو لها مهين غدا . ادفعوا السيئات القديمات بالحسنات الحادثات .

(١) المقيل : محل الراحة (يعني السكنى النهائية) القبر .

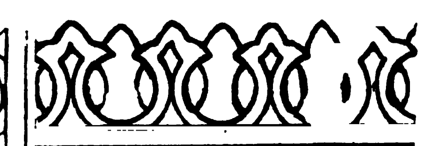


٣٠ — قبل الوفاة :

قال طارق بن شهاب البجلي : لقد كنت مع أبي عبيدة بالشام حين طاعون عمواس ، فلما اشتد به الوجع وبلغ ذلك عمر رضي الله عنه كتب إليه يقول : ـ السلام عليك ، أما بعد فإنه قد عرضت لي إليك حاجة أريد أن أشافهك فيها ، فعزمت عليك إذا نظرت في كتابي هذا لا تضعه من يدك حتى تقبل إليّ . فعرف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء . فقال : يغفر الله لأمير المؤمنين . ثم كتب له يا أمير المؤمنين دعني في جندي . فلما قرأ عمر رضي الله عنه الكتاب بكى، فقال الناس يا أمير المؤمنين أمات أبو عبيدة ؟ قال لا ولكن ! ثم كتب له يطلب منه أن يبدل الأرض التي هو نازل فيها إلى مرتفع ، فلما وصل إليه الكتاب وقرأه أمر أبا موسى أن يعمل بما جاء به . كما قام أبو عبيدة في الناس خطيباً فقال : أيها الناس ان هذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم محمد ﷺ وموت الصالحين قبلكم ، وان أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه (فطعن)[1] فمات بعد أن استخلف على الناس معاذ بن جبل .

---

(١) طعن : أصابه الطاعون .



٣١ — صوت القائد :

صادف الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا عبيدة في محل يسمى (سرغ) [١] فأخبره بأنه يريد الدخول إلى سورية مع المهاجرين والأنصار، فقال له إن الأرض (سقيمة)[٢] وإني أخشى عليك المرض . فجمع الخليفة رضي الله عنه المهاجرين الأولين فاستشارهم ، فاختلفوا عليه . ثم طلب دخول الأنصار ليشاركوهم في الرأي ، فكانوا كالمهاجرين . فانصرفوا . ولما أصبح الصباح واجتمع الناس إليه ، قال اني راجع فارجعوا ، فقال له أبو عبيدة رضي الله عنه أفراراً من قدر الله ؟ قال نعم فراراً من قدر الله إلى قدر الله . أرأيت لو أن رجلاً هبط وادياً له عُدْوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة ، أليس يرعى في مرعى الجدبة بقدر الله ويرعى من رعى الخصبة بقدر الله ؟ ثم قال له الخليفة لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة . ثم اختلى به فصادف أن جاء عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه فقال ما شأن الناس ؟ فأخبروه فجاء إليهما ، فقال له عمر رضي الله عنه أنت عندنا الأمين

(١) سرغ : أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك .
(٢) سقيمه : من السقم وهو المرض بقصد انتشار مرض الطاعون فيها .

المصدق فماذا عندك ؟ قال : — سمعت رسول الله ﷺ يقول (إذا سمعتم بهذا الوباء ببلدٍ فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فراراً منه .) فقال عمر رضي الله عنه الحمد لله ، انصرفوا أيها الناس. ورجع عمال الأجناد إلى أعمالهم .

ولما دخلت السنة الثامنة عشرة للهجرة مات بها أبو عبيدة رضي الله عنه في (عمواس) (١) كما توفي في هذه السنة بهذا الداء الوبيل — من الصحابة الكرام معاذ بن جبل ويزيد ابن أبي سفيان والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وعتبة ابن سهيل وغيرهم من أبطال العرب . فرحمهم الله ورضي عنهم جميعا ، فكم لاقوا من العناء والبلاء حتى نشروا الإسلام بين العباد وأنقذوا بهديهم وعدلهم البلاد .

٣٢ — من أقوال أبي عبيدة (رض) :

١ ـ قال أبو عبيدة رضي الله عنه عند ما كان أميراً على الشام : أيها الناس إني امرؤ من قريش وما منكم من أحد أحمر أو أسود يفضلني بتقوى إلا وددت أن أكون في سلاحه (٢) .

(١) عمواس : مدينة صغيرة من مدن الشام .

(٢) في سلاحه يعني كسلاح من أسلحته على ما يظهر:

٢ - سمع وهو يقول في مرضه سمعت رسول الله ﷺ يقول : المطعون شهيد ، والمبطون شهيد ، والغريق شهيد ، والحريق شهيد ، والمرأة تموت بجمع شهيدة ، وذات الجنب شهيدة .

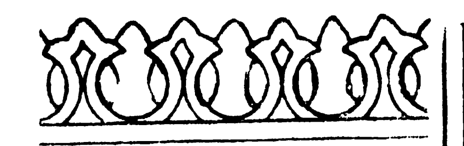
٣ - كان يظهر للناس وعليه الصوف الجافي ، فقيل له إنك بالشام وحولك الأعداء ؟ فغيّر من زيّك واصلح من شأنك . فقال : ما كنت الذي أترك ما كنت عليه في عصر رسول الله ﷺ .

٤ - كان الرسول عليه الصلاة والسلام قد أرسله على رأس بعض المهاجرين الأولين إلى غزوة ذات السلاسل ليعين القائد عمرو بن العاص رضي الله عنه ، فلما وصل إليه قال له : ياعمرو إن رسول الله ﷺ قال لي إن قدمت على صاحبك فتطاوعا وانك ان عصيتني اطعتك وفي فوائد . وهذا دليل على وجوب تعاون المسلمين فيما بينهم حتى يصلوا إلى الغاية السامية التي يعملون من أجلها .

٣٣ ــ ما قيل في أبي عبيدة :

١ - قال عليه الصلاة والسلام : - الا إن لكل أمة أميناً وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح .

٢ - قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجلسائه يوماً تمنوا ،



فتمنوا : — فقال اني أتمنى بيتاً ممتلئاً رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح .

٣ - قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل وفاته لو أدركت فيه أبا عبيدة بن الجراح لاستخلفته ، ولو سألني عنه ربي لقلت سمعت رسول الله ﷺ يقول هو أمين هذه الأمة .

٤ - بلغ معاذ بن جبل أن بعض أهل الشام استنجزوا أبا عبيدة أيام حصار دمشق فغضب معـاذ وقال : — أبأبي عبيدة يُظن ! والله إنــه لمن خيرة من يمشي على الأرض .

٣٤ ـ عبرة من إيمانه ابي عبيدة :

لما اشتبك المسلمون في غزوة بدر كان أبو عبيدة أحد الفـائزين مع الإسلام ، وكان والده عبد الله مع قريش ، وكان يتصدى لأبي عبيدة طالباً قتله بينما كان الابن يهرب منه لئلا يقتله أو يصاب بأذى منه ، لكنه لما رأى اصرار أبيه على قتله ، قتله ، فنزلت الآية الكريمة : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون (١) من حاد الله ورسوله) وهذا دليل على قوة إيمان أبي عبيدة وتمسكه بدينه رضي الله عنه .

سالم سعيد الصيدعي

(١) يوادون : من المودّة .

الفتـــــاوى

● حول المسجد الأقصى : سأل السيد ع . ت عن وصف (المسجد الأقصى) في آية الإسراء بأنه المسجد مع انه لم يكن مسجداً ليلة الإسراء وإنما صار مسجداً من بعد الفتح ، الجواب : قال العلامة المرحوم جمال الدين القاسمي في تفسيره ج ١٠ ص ٣٨٩٥ ان المسجد الأقصى في زمن الإسراء كان خراباً ، بشهادة التاريخ ، وذلك لأن سليمان عليه السلام بناه على الصخرة ، ثم خرب وألقيت على الصخرة زبالة البلد عناداً لليهود ، وبقي كذلك حتى فتح أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه القدس (انظر تاريخ أبي الفدا) وغيره ، فكيف أطلق عليه اسم المسجد ؟ وأجيب : بأن المسجد في حال هدمه يسمى مسجداً ، باعتبار ما كان عليه وما وضع له ، كما أطلق المسجد على حرم مكة ، وهو لم يكن يومئذ مسجدا ، وإنمـــا كان بيتاً للأصنام .

لكن ابراهيم واسماعيل ، لمـا بنيا الكعبة للعبادة الصحيحة ، كما بنى سليمان هيكله هذا لها ، سمي مسجداً بهذا الاعتبار ، أو يقال : إنه أطلق عليها اسم المسجد للإشارة إلى ما يؤول إليه أمرهما ، وهو كونهما مسجدين للمسلمين .

● سألت السيدة ب . ع عن حكم زكاة الدين :

● الجواب : لخص ذلك الإمام ابن رشد (في بداية المجتهد) بقوله : اختلفوا فيه فقومٌ قالوا : لا زكاة فيه وإن قُبض حتى يستكمل شرط الزكاة عند القابض له وهو الحول ، وهو أحد قولي الشافعي ، وبـه قال الليث أو هو قياس قوله .

وقوم قالوا : إذا قبضه زكاه لما مضى من السنين .

وقد قال مالك : يزكيه لحولٍ واحد وإن أقام عند المدين سنين إذا كان أصله عن عوض ، وأما إذا كان عن غير عوض مثل الميراث فإنه يستقبل به الحول ، وفي المذهب تفصيل ذلك . اهـ .

وفي كتاب (الفقه على المذاهب الأربعة) تفصيل .

● وسألت السيدة ب . ع أيضاً عن إمكان تأخير إخراج الزكاة بعد وجوبها أو قبله .

الجواب : لخص ذلك الأستاذ سيد السابق في (فقه السنة) فذكر ما يلي :

يجب إخراج الزكاة فوراً عند وجوبها ، ويحرمُ تأخير أدائها عن وقت الوجوب ، إلا إذا لم يتمكن من أدائها ، فيجوز له التأخير حتى يتمكن .

لما رواه أحمد والبخاري عن عقبة بن الحارث قال : صليت مع رسول الله ﷺ العصرَ ، فلما سلَّم ، قام سريعاً فدخل على بعض نسائه ، وخرج ، ورأى ما في وجوه القوم من تعاجبهم لسرعته ، قال : (ذكرت وأنا في الصلاة تِبرا [1] عندنا ، فكرهت أن يمسي أو يبيت عندنا ، فأمرت بقسمته) . [2]

وروى الشافعي ، والبخاري في التاريخ عن عائشة : أن النبي ﷺ قال : (ما خالطت الصدقة مالاً قط إلا أهلكته) ـ رواه الحميدي وزاد ، قال : يكون وجب عليك في مالك صدقة فلا تُخرجها ، فيهلك الحرامُ الحلال) .

---

(١) التبر : قال الجوهري : لا يُقال إلا للذهب . وقد قال بعضهم في الفضة .

(٢) قال ابن بطال : فيه أن الخير ينبغي أن يبادر به ، فإن الآفات تعرض والموانع تمنع ، والموت لا يؤمن ، والتسويف غير محمود .

ثم قال الشيخ سيد سابق : يجوز تعجيل الزكاة وأداؤها قبل الحول ولو لعامين . فعن الزهري : أنه كان لا يرى بأساً أن يعجل زكاته قبل الحول .

وسئل الحسن عن رجل أخرج ثلاث سنين ، يجزيه ؟ قال : يجزيه .

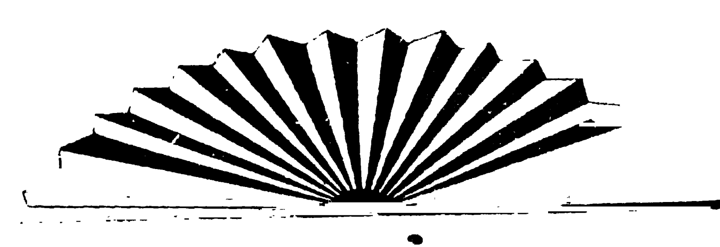
قال الشوكاني : وإلى ذلك ذهب الشافعي ، وأحمد ، وأبو حنيفة ، وبه قال الهادي ، والقاسم ، قال المؤيد بالله : وهو أفضل .

وقال مالك ، وربيعة ، وسفيان الثوري ، وداود ، وأبو عبيد بن الحارث ، ومن أهل البيت الناصر : إنه لا يجزى ، حتى يحول الحول . واستدلوا بالأحاديث التي فيها تعلق الوجوب بالحول . . ، وتسليم ذلك لا يضر من قال بصحة التعجيل ، لأن الوجوب متعلق بالحول فلا نزاع ، وإنما النزاع في الاجزاء قبله .

قال ابن رشد : وسبب الخلاف ، هل هي عبادة أو حق واجب للمساكين ؟ فمن قال إنها عبادة ، وشبهها بالصلاة ، لم يجز إخراجها قبل الوقت ، ومن شبهها بالحقوق الواجبة المؤجلة ، أجاز إخراجها قبل الأجل على جهة التطوع .

وقد احتج الشافعي لرأيه بحديث علي رضي الله عنه : ان النبي ﷺ استلم صدقة العباس قبل محلها ، انتهى .

(المطور)



المجتمع

● **اسبوع العلم السابع** : أقامه في دمشق المجلس الأعلى للعلوم ، وكانت حفلة الافتتاح مساء ٢٠/٨/ ٣٨٦ الموافق ٣/١٢/٦٦ وقد وزعت فيها - بعد كلمات - الجوائز التشجيعية ، كما ألقيت خلال الأسبوع محاضرات علمية عديدة .

● **استنكار تدويل مدينة القدس** : أكدت الهيئة العربية العليا لفلسطين في جميع الظروف وشتى المناسبات ، تمسك الشعب العربي الفلسطيني المطلق بعروبة القدس . ورفضه التام لتدويلها . وقد وقف هذا الشعب الكريم ، بكل صدق وتصميم . في وجه جميع المحاولات التي مـــا انفك الاعداء يقومون بها لبلوغ هدفهم في تقويض عروبة هذه المدينة الخالدة وتدويلها . فلمناسبة ما نقلته وكالات الأنباء العالمية عن مباحثات جرت حديثاً في الفاتيكان حول موضوع تدويل القدس ، تبادر الهيئة العربية إلى اعلان رفضها من جديد لفكرة التدويل من أساسهـــا ، وتعلن عن استعداد الفلسطينيين عامة وأهل مدينة القدس خاصة لبذل كل مـا يحتمه عليهم واجبهم الوطني والديني من جهود وتضحيات لإحباط مؤامرة التدويل وصيانة عروبة القدس ومقدساتها الإسلامية والمسيحية ١٦/٨/٨٦ .

● **جامعة للدراسات العربية في باكستان** : قررت الحكومة الباكستانية انشاء جامعة للدراســـات العربية في راولبندى العاصمة الجديدة لباكستان . وقد انتهت الحكومة من اعداد الترتيبات الخاصة بانشـــاء هذه الجامعة

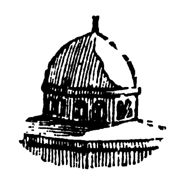
كما تقوم في الوقت الحاضر بدراسة القوانين المتعلقة بذلك . وقد نوقش هذا الموضوع بالتفصيل أمام الجمعية الوطنية في دورتها التي عقدتها مؤخراً بداكا عاصمة باكستان الشرقية .

هذا وقد أعلنت حكومة باكستان الشرقية بأنها انشأت لجنة خاصة لمتابعة المشروع المتعلق بانشاء جامعة أخرى للدراسات العربية لباكستان الشرقية .

ومما هو جدير بالذكر أن بباكستان الآن ما يتجاوز مئة معهد لتدريس اللغة العربية والفارسية بالإضافة للعلوم الدينية التي تدرس باللغة العربية . وتقدم الحكومة الباكستانية المساعدات المادية لهذه المعاهد كما تعترف بالشهادات العلمية التي تمنحها هذه المعاهد خريجيها . أما خريجو هذه المعاهد فيتولون المناصب التعليمية والدينية في الدوائر الحكومية وذلك حسب اختصاص كل منهم .

ومن أشهر هذه المعاهد في باكستان الكلية الشرقية ، ويدرس فيها الطلاب اللغة الإنكليزية بجانب اللغات العربية والفارسية . وهناك معاهد دور العلوم في تاندوجام وباولبور وكراتشي والتي يتخصص الطلاب فيها باللغة العربية واللغة الفارسية والعلوم الدينية . ويعمل خريجو هذه المعاهد في البعثات التبشيرية التي تقوم بنشر الدين الإسلامي في أماكن عدة من العالم ولا سيما في افريقيا .

(قلم المجلة)



من أنباء العلم



● بشرة صناعية : نشرته مجلة الدكتور (تموز ٩٦٦) أن الأستاذ هيزيش تيلة (أستاذ الكيمياء الفردية بجامعة كيل (ألمانيا الغربية) استطاع أن يصنع بشرة لترقيع الجراح . . .
وزرعها في الأماكن التي تلف قسم من بشرتها بسبب الحروق . اهتدى إلى ذلك بعد أن حلّل بشرة بعض الحيوانات إلى جزئياتها وأزال الطبقات الدهنية وغيرها من الأنسجة الأخرى فساعده ذلك على التركيب المطلوب .

وبهذا لم يبق داع لاقتطاع قطعة من جلد بعض الأعضاء لإجراء الجراحة المطلوبة .

● لصق الجراح : وقالت بأن الجراح الألماني العليم ماكس جبيل (هامبورك) اخترع مادة جديدة تتركب من استر حامض الاكريل يستعاض بها عن تخييط الجراح باللصق ، وهي تلصق الجراح تحت تأثير النور والهواء فيها ، ويقوم الجسم بامتصاصها ويندمل الجرح بعد بضعة أسابيع دون أن يخلف أية ندبة ما في مكانه . . .

● انسان على سطح القمر : نشرت الأخبار (العدد ٢٥) :
إن هبوط محطة الفضاء « سرفايور » على سطح القمر مكن العلماء الأمريكيين من متابعة تقدمهم نحو تحقيق الهدف المرسوم وهو انزال ملاح فضائي أمريكي على سطح القمر في نهاية هذا العقد ، ومن ثم اعادته إلى الأرض .

كما أن هبوط « سرفايور » برفق على سطح القمر قد بدد مخاوف العلماء في أن يكون سطح القمر مغطى بغبار كثيف قد يغرق فيه ملاح الفضاء أو سفينته ساعة هبوطها .

وتبين من خلال الصور الأولى التي أرسلتها المحطة الفضائية ، اثر هبوطها في « محيط العواصف » أن سطح القمر هو ناعم إلى حـــد ما ومغطى بالحصى وقد اضطربت بشكل محسوس عند الهبوط .

ورجحت (الأخبار) أن يتم انزال أمريكي على سطح القمر عام ١٩٧٠ .

● **التنضيد الإلكتروني للحرف**: نشرت الأخبار في العدد ٢٥ ما يلي :

لعل الطباعة هي أكثر النشاطات الإنسانية اسهاماً في نشر المعرفة والثقافة ، منذ أن اخترع الحرف المتحرك في أوروبا قبل خمسمئة سنة .

فالكلمة المطبوعة ما زالت الناقل الرئيسي للأفكار والحقائق على الرغم من تقدم وسائل الاعلام الالكترونية كالراديو والتلفزيون .

ومؤخراً استفادت الطباعة نفسها من العمليات الالكترونية فهناك اليوم آلات طابعة حديثة وضخمة تضبطها وتوجهها « عيون » الكترونية واجهزة الكترونية أخرى .

ومن احدث التطورات التي تمت في هـذا المجال نظام مبتكر لتنضيد الحروف الكترونيا وهو يمر الآن في مرحلة الاختبار في الولايات المتحدة . ومع أن عملية التنضيد الالكترونية تبدو معقدة لأول وهلة فإن لها مزايا عديدة تمتاز بأعلى الأساليب التقليدية . فبالإضافة لإمكانيتها في مجالات السرعه الهائلة ، باستطاعتها ان تصنع وتنضد أي حرف ومن أي طراز وفي أي لغة بمجرد استعمال جهاز التغيير الذي لا يحتاج إلى أكثر من لمس المفتاح . . .

● براكين ثائرة : في (بلاد السوفييت) ١٣ :

يفترض (نيكولاي كوزيريف) العالم الفلكي السوفييتي ، الذي اكتشف البراكين الثائرة على سطح القمر ، أن مثل هذا البراكين موجودة على سطح كوكب الزهرة . وقد بنى العالم السوفياتي هذا الافتراض على أساس تحليل طيف كوكب الزهرة ، الذى أظهر أن هناك خطين يشبهان طيف دخان البراكين الثائرة الموجودة في شبه جزيرة (كامشاتكا) الواقعة في أقصى الشمال الشرقي من الاتحاد السوفييتي وباعتقاد(نيكولاي كوزيريف) أن باطن كوكب الزهرة هو في نشاط مستمر . يدل على ذلك بصورة غير مباشرة سطوح الجانب المظلم من الكوكب ليلا . ويعتبر العالم ان سبب هذا الضياء هو المادة الكيماوية (دورمال ديهيد) التي تحصل بنتيجة تأكيد الهيدروجين الكربوني . ويأمل العالم السوفييتي أن يستطيع علماء الفلك في خريف عام ١٩٦٧ ، وهو الوقت الملائم لرصد سطح الزهرة ، التوصل إلى اكتشافات هامة . ويعتبر العالم (كوزيروف) الانفجار الذي حدث على سطح الزهرة في عام ١٩٦٤ من أسرار هذا الكوكب ويمكن مقارنته بالانفجارات الذرية من حيث سطوعه وحجمه .

● الخواص العلاجية للبترول : اشتهرت ، منذ عدة قرون ، الخواص العلاجية للبترول المعروف باسم (نفطالان) الذي توجد مصادره بكثرة بالقرب من مدينة (كيروف آباد) الأذربيجانية . ويؤم الناس هذه المصحة الفريدة من جميع أرجاء الاتحاد السوفييتي لمعالجة أمراض (الروماتيزم) ، والتهاب الأعصاب والعضلات ، وكذلك الذين يعانون من آلام الحروق ، وآلام تجمد الأطراف . ومن الممكن أن تتم المعالجة بهذا البترول في البيت .

(قلم المجلة)

كل شيء

● قال النبي ﷺ : كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه ، أو يمجّسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة عجماء ، هل ترون فيها من جدعاء ؟ — أخرجه البخاري — .

● دعاء السفر : عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : كان النبي ﷺ إذا سافر قال : اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل ، اللهم إني أعوذ بك من وعثاءِ السفر وكآبةِ المنقلَب وسوء المنظر في الأهل والمال . اللهم اطوِ لنا الأرض وهوّن علينا السفر .

● قال عمر رضي الله عنه : (علموا أولادكم الرماية والسباحة ، ومروهم يثبوا على الخيل وثبا) .

● من مفاسد الحضارة الأوروبية الاختلاط والتبرّج والإغراء وقد سبق ان نشرت أخبار اليوم (القاهرة) عن الاختلاط في السويد فذكرت أن ٩٥ ٪ من الشبان في سن ٢١ ذوو علاقات جنسية غير زوجية . . . وذكرت ان ٨٠ ٪ من نساء السويد مارسن علاقة جنسية كاملة قبل الزواج . . .

فهل في هذا عبرة المقلدين تقليداً أعمى ، وهل في هذا وأمثاله الكثيرة ما يصور خطر أحد (الألغام) الاجتماعية . . .

● قال ابن عبد القدّوس لما طال حبسه في السجن بتهمة الزندقة :

خرجنا من الدنيا وعن وصل أهلها ... فلسنا من الموتى ولسنا من الأحيا
إذ جاءنا السجّان يوماً لحاجة ... عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

● عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفرٍ كبّر ثلاثاً ثم قال : سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون . اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البرّ والتقوى ، ومن العمل ما ترضى . اللهم هوّن علينا سفرنا هذا ، واطوِ عنا بعده ، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفةُ في الأهل . اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل .

وإذا رجع قالهن ، وزاد فيهن : آيبون تائبون ، عابدون ، لربنا حامدون .

— روى الحديثين الخمسة إلا البخاري . .

● من رأفة أبي بكر وعمر وتواضعهما : قال أبو صالح الغفاري : كان عمر يتعهد امرأة عمياء بالمدينة بالليل ، فيقوم بأمرها ، فكان إذا جاء وجد غيره قد سبقه ، - رضي الله عنهما - فرصده ، فإذا هو أبو بكر وهو خليفة .

● حبّ عثمان (ض) : اخرج ابن عساكر عن الشعبي قال : كان عثمان في قريش محبباً يوصون إليه ويعظمونه ، وان كانت المرأة من العرب لترقص ولدها وهي تقول : احبك والرحمن حب قريش لعثمان .

● علي وصلة العشيرة : من قوله رضي الله عنه لا يستغني الرجل وإن كان ذا مال وولد ؟ عن عشيرته ودفاعهم بأيديهم وألسنتهم . هم أعظم الناس حيطة من ورائه ، وإليهم سعيه ، وعطفهم عليه إن أصابته مصيبة أو نزل به بعض مكاره الأمور . ومن يقبض يده عن عشيرته فإنه يقبض يداً واحدة وتقبض عنه أيدٍ كثيرة . . . .

● حسن السياسة : كتب الوليد بن عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف يأمره أن يكتب إليه بسيرته ، فكتب إليه : إني أيقظت رأيي وأنمت هواي ، وأدنيت السيد المطاع في قومه ، ووليت المجرب الحازم في أمره ، وقلدت الخراج الموفر لأمانته ، وقسمت لكل خصم من نفسي قسما ، أعطيه حظاً من لطيف عنايتي ونظري ، وصرفت السيف إلى النطف [1] المسيء ، والثواب إلى المحسن البريء ، فخاف المريب صولة العقاب ، وتمسك المحسن بحظ من الثواب .

● قال الجاحظ لمنشد قصيدة لأبي العتاهية فيها :

يا للشباب المرح التصابي روائح الجنة في الشباب

قف ، ثم قال : انظروا إلى قوله : روائح الجنة في الشباب ، فإن له معنى كمعنى الطرب الذي لا يقدر على معرفته إلا القلوب ، وتعجز عن ترجمته الألسنة .

● قيل لبعض الصوفية : لم تصفر الشمس عند الغروب ؟
قال : خوفاً من الفراق ، وبه ألم .

● يروى أن رومياً وفارسياً تفاخرا ، فقال الفارسي : نحن لا نملّك علينا من يشاور ، فقال الرومي : نحن لا نملّك علينا من لا يشاور :
وفي القرآن العظيم خطاباً للرسول الكريم ﷺ « وشاورهم في الأمر . . » .

● صلاح : كان في جيش قتيبة بن مسلم الفاتح الرشيد حين اتى الترك الرجلُ العابد أبو عبد الله محمد بن واسع ، فجعل القائد يكثر السؤال عنه ، فأخبر أنه في ناحية من الجيش متكئاً على سية قوسه رافعاً إصبعه إلى السماء ينضنض بها ، فقال قتيبة : لتلك الإصبع . . . أحبّ إليّ من عشرة آلاف سيف .

---

(١) العيب والفساد ، يقال : هم أهل الريب والنطف .

● **ضعف الاهتمام** : قال العلامة ابن الجوزي : مما يدل على سقوط وقع الشيء بسبب تكرره ومشاهدته أن أكثر الناس إذا رأوا مسلماً قد أفطر في رمضان استعظموا ذلك حتى يكاد يفضي إلى اعتقادهم فيه الكفر ، وقد يشاهدون من يؤخر الصلاة عن أوقاتها فلا ينفرون عنه نفورهم عن تأخير الصوم ، مع أن ترك صلاة واحدة تخرج إلى الكفر (؟) ، ولا سبب لذلك إلا أن الصلاة تتكرر والتساهل فيها يكثر . (مختصر منهاج القاصدين ٦٠٥) .

● **تاريخنا** :قال أمير الشعراء المرحوم أحمد شوقي :

مثل القوم نسوا تاريخهم   كلقيط عيّ في الناس انتسابا
أو كمغلوب على ذاكرة   يشتكي من صلة الماضي انقضابا(١)

● **رسول الله** (ﷺ): قال الإمام ابن الأثير في مقدمة (النهاية) :

وقد عرفت أيدك الله وايانا بلطفه وتوفيقه — أن رسول الله ﷺ كان أفصح العرب لساناً ، وأوضحهم بياناً ، وأعذبهم منطقاً ، وأسدهم لفظاً ، وأبينهم لهجة ، وأقومهم حجة ، وأعرفهم بمواقع الخطأ ، وأهداهم إلى طريق الصواب . تأييداً إلهياً ، ولطفاً سماوياً ، وعناية ربانية ، ورعاية روحانية ، حتى لقد قال له علي بن أبي طالب كرم الله وجهه — وسمعه يخاطب وفد بني نهد يا رسول الله ، نحن بنو أب واحد ، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره ؟ فقال : « أدبني ربي فأحسن تأديبي ، وتربيت في بني سعد » فكان ﷺ يخاطب العرب على اختلاف شعوبهم وقبائلهم ، وتباين بطونهم وأفخاذهم وفضائلهم ، كلّا منهم بما يفهمون ، ويحادثهم بما يعلمون .

(قلم المجلة)

---

(١) انقطاعا .

من الشرق .. ومن الغرب

- في الجلد الخامس من التاريخ الكبير للحافظ ابن عساكر : روى ابن سعد والواقدي عن أبي الزناد، أن خالداً لما حضرته الوفاة بكى وقال : لقيت كذا وكذا زحفاً ، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم ، أو طعنة برمح ، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء .

- في كتاب (زعماء الإصلاح) للمرحوم العلامة أحمد أمين مما كتبه عن المصلح الشهير جمال الدين الأفغاني : كم من الناس علموا أكثر مما علم ، وقرءوا أكثر مما قرأ ، ورطنوا (١) أكثر مما رطن ، ولكن لم يكن لأحدٍ منهم شخصية كشخصيته : ذكاء متوقد ، وبصيرة نافذة ، وتوليد للأفكار والمعاني من كل ما يقع تحت سمعه وبصره ، واستقصاء للفكرة حتى لا يدع فيها قولاً لقائل . له سلطة على دقائق المعاني وتحديدها وإبرازها في صورها اللائقة بها ، كأن كل معنى قد خُلق له ؛ وله قوة في حل ما يُعضل منها ، كأنه سلطان شديد البطش ، فنظرة منه تفكك عقدها . كل موضوع يلقى إليه يدخل للبحث فيه كأنه صنع يديه فيأتي على أطرافه ، ويحيط بجميع أكنافه ، ويكشف ستر الغموض عنه ، فيظهر المستور منه .

وإذا تكلم في الفنون حكم فيها حكم الواضعين لها . ثم له في باب الشعريات

---

(١) الرطانة : الكلام بالأعجمية .

قدرة على الاختراع ، كأن ذهنه عالم الصنع والإبداع ، وله لسَن في الجدل ، وحذق في صناعة الحجة لا يلحقه فيها أحد إلا أن يكون في الناس من لا تعرفه .

- في كتاب (محمد عبده) المرحوم العلامة الشيخ مصطفى عبد الرزاق ، ان الشيخ محمد عبده تعرض لنوع من الاصلاح الديني شُغف به . . . هو تطهير الإسلام من البدع التي شوهت شعائره .

وهبت أعاصير الثورة العرابيـة وهو رئيس لتحرير الجريدة الرسمية ، وقد حوكم مع زعمائها وحكم عليه بالنفي ثلاث سنين وثلاثة أشهر .

هاجر إلى سورية في حدود سنة ١٢٩٩ أو أوائل سنة ١٣٠٠ ، وحط رحاله في بيروت ، وتصدر للتدريس . . . وبعد نحو عام دعاه أستاذه إلى باريس فسافر إليها فأصدر جريدة (العروة الوثقى) التي كان يدير سياستها السيد جمال الدين الأفغاني ويرأس تحريرها الإمام محمد عبده ..

- في كتاب (عباقرة العلم) تأليف الأستاذ فيليب كين ترجمة الأستاذ أديب يوسف ص ٩ : (نقل الفيثاغوريون رياضتهم إلى الموسيقا ، فقالوا إن النغمة الموسيقية صوت يسر الأذن ، وان بعض طبقات الصوت إذا عُزفت مجتمعة تكون سارة ، بينما هناك مجموعات أخرى تخدش الآذان ، واكتشف فيثاغورس أنه إذا كانت النسب بين أطوال الأوتار التي تعزف عليها النغمات نسباً بسيطة فإن النغمات تكون منسجمة . . .

- وقال ص ٣٩ عن ليوناردودافنشي : كان يلاحظ الطيور لأنه كان مقتنعاً بأن القوانين التي تتحكم في الطيران تصدق هي ذاتها على الطيور وعلى البشر . وكان يدون مشاهدته بطريقة الكتابة السرية بواسطة المرآة لتبقى هذه المشاهدات طي الكتمان ، وقد حسبه كثير من الناس في إيطاليا

مجنوناً تماماً فلم يجب ليوناردو أن يزيد نارهم اشتعالا . الإنسان يطير ؟ ذلك حقاً مستحيل .

● وقال ص ٦٥ ، قضى غاليلو أعوامه الأخيرة في تأليف كتابه (محاورات في علمين جديدين) الذي لخص فيه ابحاثه عن الحركة والتسارع والجاذبية . . .

● في كتاب العالم في الفضاء للأستاذ الكسندرمارشاك ترجمة الأستاذ عصام أحمد عزة طه ص ٢٢٩ : إن موجة الواديو تشبه موجة الضوء رغم أنها أكبر كثيراً ، فالذرات تبث كلًا من الموجات الضوئية الضئيلة وموجات الراديو الكبيرة . وإذا استعمل الفلكي موجات الراديو ذات طول معين ، كما يستعمل الموجات الضوئية ذات طول معين أيضاً ، فإنه يستطيع أن يسبر غور جميع مستويات جو الشمس . ان مدى هذه الموجات يتراوح بين نصف بوصة وعدة أميال من قمة موجة إلى قمة موجة أخرى . أما الموجات الكبيرة جداً فمن الصعوبة قياسها ، غير أن العلماء يقومون ببناء راديو تلسكوب أكبر كثيراً ليستعملوه في (الإصغاء) إلى الموجات الكبرى وقد تم بناء أعظم وأكبر هذه التلسكوبات خلال عام ١٩٢٧ في انكلترا ، في جوردل بانك شنيشاير . . .

● قال شارل أندريه جوليان في كتابه (تاريخ إفريقية الشمالية) لقد كان للجزائر استقلالها ، ولم تكن مرتبطة بتركيا إلا برباط معنوي : خليفة الإسلام ، وكانت أكثر حرية في شؤونها الداخلية من أي بلد من بلدان الكومنولث البريطاني حيال بريطانيا العظمى . والدليل على هذا الاستقلال نجده في عقد الجزائر معاهدات مع عدة دول . . . ونجد ممارسة الجزائر للاستقلال في اعترافها بالجمهورية الفرنسية الأولى في العشرين من مارس ١٧٩٣ وقع ذلك داي الجزائر ، كذلك اعتراف حكومة الجزائر بالولايات الأميركية المتحدة بمجرد انتهاء حرب الاستقلال . وقد أعقب هذا الاعتراف معاهدة جددت في ١٨١٥ و ١٨١٦ .

(قلم المجلة)

روح عن نفسك

في أخبار الظراف والمتماجنين للعلامة ابن الجوزي الأخبار الستة التالية :

- قيل لرجل ركب البحر : ما أعجب ما رأيت ؟ قال : سلامتي .
- نظر رجل الى أخوين لأب وأم ، احدهما جميل والآخر قبيح فقال : ما أشبهكما إلا شجرة تحمل سنة موزاً وسنة عفصا .
- جاء رجل الى ابن عقيل فقال له : إني اغتسل في النهر غمستين وثلاثاً ولا اتيقن أنه قد عمّني الماء ولا أني قد تطهرت ، فقال له : لاتصلي ! قيل له وكيف قلت هذا ؟ قال لأن رسول الله ﷺ قال : (رُفع القلم عن المجنون حتى يفيق)
- قال الجماز : قال لي ابو كعب القاصّ : والدتي بالبصرة وأنا شديد الشفقة عليها ، وأخاف إن حملتها إلى بغداد في الماء أن تغرق ، وان حملتها على الظهر أن تتعب ، فماذا تشير عليّ في أمرها ؟ فقلت له أشير عليك ان تأخذ بها سفتجة .
- قال سليمان الأعمش لابنه : اذهب فاشتر لنا حبلاً يكون طوله ثلاثين ذراعا ، قال يا أبة في عرض كم ؟ قال : في عرض مصيبتي فيك .
- جاء شاعران إلى بعض النحاة فقالا : اسمع شعرنا وأخبرنا بأجودنا ، فسمع أحدهما وقال : ذاك أجود ، قال له : فما سمعت شعره ؟ قال : ما يكون انحس من هذا قط .
- تعلق رجل بتوام فقال له الجابي أليس عيباً عليك ؟ فأجابه بل العيب عليك وأنت في هذه السن تزمر .
- عاتب (مكاري) أصحابه في قريته لعدم تهنئتهم إياه بزواجه بنت الملك ، فقالوا له : وهل تمّ ذلك ؟ فأجاب تمّ نصف الأمر ، فقد وافقت أنا ووالدي ، ولم يبق إلا الملك وبنتُه !

(قلم المجلة)





مجلة إسلامية علمية أدبية



بسم الله الرحمن الرحيم

حول التطور والتربية



من المفهومات الخاطئة في كثير من البيئات الحضارية أن التطور أو التربية عملية (تكييف) يجريها المواطن فيغير بعض ما في نفسه ، ويعدل ما يعدّل من سيرته ، ليماشي بعدُ ركب الحضارة ، فلا يتخلف ، (فالتكييف) سنة من السنن الراسخة الصادقة في المخلوقـات ، فمن خضع له عبرَ العصور بقي وتقدم ، ومن استنكف فجمد على ما هو عليه تناوله التأخر أو الانقراض بعد قريب أو بعيد ، تجد ذلك في الحضارات القديمة ، بل نجده في النباتات المختلفة وبعض الجمادات ، هكذا يرددون هذه النظرية الحديثة ، ويكررونها ، في المدارس وغيرها في مناسبات شتى . وإذ كانت التربية طويلة الأمد فقد غدا الإنسان عرضةً لعمليتها هذه منذ نعومة أظفاره حتى يوضع في لحده ، فهو (يكيّف) ما عاش عقيدته وتفكيره وعاطفته وسيرته الطبيعية والاجتماعية ، فلا يعيش كأنه في معزلٍ عن الناس وعما يعتقدون ويقولون ويعملون كل يوم ، وكثيراً ما يساعده على هذا التكييف غرائزه وأهواؤه وآماله . . . والفهم الصحيح للتطور أو التربية (تكييف) المرء ذاته لملاءمة البيئة ، وتكييف البيئة ذاتها لتلائم الأفراد وغاياتهم السامية وآمالهم الحقة . فكما أصلح الإنسان على مدى العصور بيئته الطبيعية فمهّدها وذلّلها لمصالحهـا تذليلا ، فخضع له الحيوان والنبات والجماد ، فعليه أن يمهّد ما اعتلّ من بيئته الاجتماعية ويذلّله ،

فلا يطغى فيها ضلال ، ولا فساد ، ولا استغلال ، ولا استعباد ... فإن أمراض المجتمع لا يُتغاضى عنها وإن لبست أثواب العافية والحضارة ، وعلى المواطن الواعي أن يعمل على اجتثاثها كلما أحسّ بها ، وينبغي ألا يفوّتها ما دام يقظاً ذاكراً عدواها السريعة وعواقبها المريرة .

إن التطور الصحيح والتربية المثلى على صلة وثقى بعلوم وثقافات كالدين والأخلاق والمنطق والاجتماع ، وإذا نبع التطور من مظاهر البيئة ومغرياتها ، ولم ينبع من أسس السلوك القويم ومن الحقائق الدينية والخلقية ... كان التطور محفوفاً بالمخاوف وسوء العواقب .

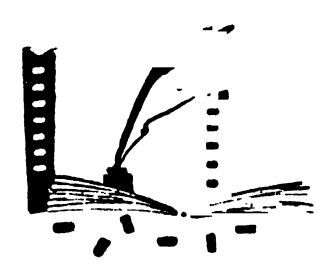
وإذا كانت لمدرسة البيت خطورتها ، وكان معلموها الآباء والأمهات ، فقد غدا لزاماً عليهم أن يعرفوا واجباتهم كمربّين : كمعلمي مدارس ، وغدا على المسؤولين توجيههم بتوجيهات التربية الأساسية بالأساليب الممكنة ، في المسجد ، وفي الإذاعة ، وفي كتاب المطالعة ، وفي المراقبة الدائمة ...، وبذلك تتعاون المدرسة والبيت تعاوناً صحيحاً على التوجيه الرشيد ، عقيدةً وتفكيراً وعاطفة وسلوكا .

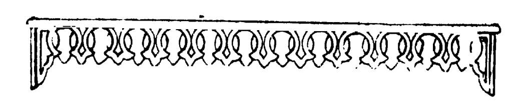
نعود إلى ما بدأنا به كلمتنا فنقول : لوصح المفهوم الخاطئ الذي يردده من لايفقه مقاصد التطور والتربية ، لكان من الخطأ والعبث قيام الرسالات الإلهية ، والدعوات الإصلاحية ، والنهضات الاجتماعية والعلمية . . . إذ كان على القائمين بها أن (يكيفوا) أنفسهم لبيئاتهم بديل أن يستنكروا ضلالها ، ويعملوا على تقويض فسادها وبناء رشادها بحكمة وصبر وأناة ، ولكنهم قاموا بواجباتهم على أنواعها ، فلم يلههم واقع راسخ ، ولم يصدهم دافع واهم ، فعدّلوا البيئة وقوموها بديل أن تعدّلهم وتقومهم حسب مقاييسها .

أيها الآباء والأمهات ، أيها المربون ! هناك حقائق الدين الصحيح ، والفضيلة المشرقة الناطقة ، فيجب أن تتحلوا بها وتدعوا إليها اقتداء وعملا ، وتذكروا أنها بأصولها وضروريتها حقائق ثابتة لا تدخل في مفهوم (التكييف) الحضاري المتبدّل كل يوم . ان المربي غير المستند إلى توجيه السماء يخطىء ويصيب تبعاً لكثير من النظريات الأرضية الوضعية (المتطوّرة) ، والمتبدلة بين قطر وآخر ، وان القوم الذي يعتمد على الأعراف المنحرفة يستجيب للخرافات والأوهام في كثير من الحالات ، ولو كان ذلك سائـــداً في جميع الأقوام لاستشرى الشرّ ومضت العقيدة والتربية القهقرى ولكن الأمم التي سارت بشجاعة وإقدام وثبات وراء دعاة الخير على أنواعه انطلقت إلى سعادتها باتباع أولي الشجاعة الأدبية القوية ، الذين دعوها إلى الحق ، وصدعوا بالحق وماتوا في سبيل الحق ، فتخلصوا من متفجرات الحضارة الخفية وإغراءاتها القوية ، وانتظم لهم الأمر ، وبرح الخفاء ولاح المنهـــاج ، فعاش الجديد الرشيد القويم ومات القديم الضالّ الذميم .

ان لكم بيئاتكم المنزلية ، وبيئاتكم الاجتماعية ، فوجهوا فيهـا ما استطعتم التوجيه ، لأنفسكم وذويكم واخوانكم حتى يتبين الصبح لذي عينين ، فلا تستعبد الناس البيئات والعادات ، « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » ٦٦ : ٦ .

(محمد الخطيب)





دين ومدنية

للأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار

أتى على الأمة العربية حين من الدهر كانت بلادها جنة علم ذات أفنان ، تجلى في مغانيها عرائس العرفان ، فتهوي اليها أفئدة عشاق الدين والعلم والآداب في كل مكان . لم يكد يسطع نجم القرآن العظيم في سماء الإسلام ، حتى تألق نوره وامتدت أشعته فبلغت حدود الصين شرقا ، وأقاصي بلاد الأندلس ومراكش غربا ، ونهر اللوار شمالاً ، وسواحل المحيط الهندي جنوبا . في ذلك الدور الزاهر اتسعت درجات العلم ، وامتدت ظلال الآداب ، وراجت سوق الخطابة والكتابة ، وبزغ هلال الحضارة العربية الذي لم يلبث أن صار بدراً كاملا .

وفي العصر العباسي قد فجر علماء الإسلام من القرآن عيونا ، واستنبطوا من كنوز نصوصه علوماً وفنونا ، واندفعوا بما هداهم إليه ذلك الوحي السماوي كالسيل الأتي ، يقيمون معالم الحضارة والعمران ، ويترجمون العلوم الرياضية والطبيعية والعقلية عن حكماء الهند والفرس والروم واليونان ، ولم ينقلوا هذه الفنون عن أصلها من غير إعمال فكر وروية ، بل أجالوا فيها نظر الناقد البصير ، وأوضحوا غامضها ، وأصلحوا خللها ، ووضعوا من الكتب في هذه العلوم أضعاف ما عربوا .

خالط المسلمون أهل فارس وسورية وسواد العراق وأدخلوهم في أعمالهم ، ولم يمنعهم الدين من استعمالهم ، حتى كانت دفاترهم بالرومية في سورية ، ولم تغيرها بالعربية إلا بعد عشرات السنين ، فاحتكت الأفكار بالأفكار وأفضت سماحة الدين إلى أن أخذ المسلمون في دراسة العلوم والفنون والصنائع ؟ وليس في الأوربيين من درس التاريخ وحكم العقل ، ثم يُنكر أن الفضل في إخراج أوربا من ظلمة الجهل الى ضياء العلم ، وفي تعليمها كيف تنظر وكيف تفكر ، وفي معرفتها أن التجربة والمشاهدة هما الأصلان اللذان يُبنى عليهما العلم - إنما هو للمسلمين وآدابهم ، ومعارفهم التي حملوها لديهم ، وأدخلوها من إسبانيا وجنوب إيطاليا وفرنسا عليهم .

كانت مدينة دمشق في العصور الذهبية مدينة علم إسلامي ، ومدنية عربية ، وكان في دمشق وحدها مئات من المدارس الدينية والعلمية ، وقد وصفها كتاب الدارس في المدارس ، الذي طبعه المجمع العلمي العربي سنة ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م ، وليس من غرضنا الآن أن نصف مدنيات العرب الدوارس ، ولا أن نحصي ما شيدوا في حواضر ملكهم من جوامع ومياتم ومستشفيات ومدارس ، فإن تلك الذكرى تستدر كوامن الجفون ، وتستنزف قطرات القلوب ؛ على ألسنة مئات الألوف من مصنفات أسلافنا الكرام التي ملأ بها الغربيون خزائنهم ، ونفائس الأواني والتحف التي استمزجوها من كنوز أرضنا وزينوا بها متاحفهم هي أعدل شاهد ، على ما كان لنا من مجد تالد :

تلك آثارنا تدل علينـــا   فانظروا بعدنا إلى الآثار

وما زال أهل الصدق والإنصاف من علماء الغرب يعترفون بفضل تلك المدنية الزاهرة ، وبعظمة آثارها الساحرة :

وما زال أهل الغرب يدرون قدرنا
مدى الدهر ما أبدوا من الفضل مُعجمًا

متى يذكرِ الإفضالَ فيهم خطيبنــا
على منــبر صلى علينــا وسلّما

ومن عجيب صنع الله في الدين والمدنية في هذه الأمة وبديع حكمته ، أن دينها ومدنيتها لا يفترقان ، وأن علماء الدين ورجــال المدنية يستقون من عين واحدة ، فكلما زادوا في دينهم فهماً ورسوخاً ، زادوا في المدنية الصحيحة تبسطاً ونفوذا ، واستحكمت بين أفرادهم روابط المحبة ، واشتدت أواصر الاتحاد والألفة ، وتقلص ظل الجمود ، وانحلت عرى العصبيات .

وقد أجمع الباحثون في شئون العمران ، ورقي الإنسان ، على أن التربية القويمة ، والتعليم الصحيح ، هما الوسيلة العظمى لارتقــاء الأمة في معارج الحضارة ، وبلوغها ما تطمح إليه الآمال الكبار . لذلك كان من أهم واجبات الأمة التي تجعل هذا الهدف الأسمى ، والسعادة العظمى نصب عينها أن تكل أمر أبنائها وبناتهــا وتعليمهم إلى من يطبعون في فطرة الناشىء أصول الفضائل ، وآداب الشريعة ، ويهذبون عواطفه ويرقون شعوره ، أما إذا وُسّد أمر التعليم الى غير ناصح ولا أمين ، ألمّ بمزاج الأمة ما يضعفه ، وينمّي جراثيم الداء فيه ، فتزداد الأمة مرضاً حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين .

التربية الدينية عماد الفضائل ، والمعلمون خلفاء الرسل عليهم الصلاة والسلام في تعليمهم وأخلاقهم (كاد المعلم أن يكون رسولا) فيجب أن يكون المعلمون من أفضل البشر وأكملهم ، إذ هم القدوة الصالحة التي ينشدهــا الطلاب والمدارس ، والمثل العليا تستملى من صفاتهم وأعمــالهم ، لا من الكتب التي يدرّسونها فحسب ، إذ بهم يقتدى ، وبهديهم يُهتدي ...

أمامنا الآن كتاب منادمة الأطلال ومسامرة الخيال تأليف العلامة الكبير الشيخ عبد القادر بدران الدومي الدمشقي الذي نحا فيه نحو كتاب (الداوس في تاريخ المدارس) لسميه الشيخ عبد القادر النعيمي الدمشقي المتوفى سنة ٩٢٧ هـ وقد كان طبعه المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٦٧هـ ١٩٤٨ م في جزأين كبيرين ، وجرى فيه الأستاذ بدران على الترتيب النعيمي ، فبدأ بوصف دور القرآن ، فدور الحديث ، فدورهما معاً ، فمدارس الشافعية ، فالحنفية ، فالمالكية ، فالحنابلة ، فمدارس الطب والحكمة ، والخاتمة في ذكر ما انشىء في دمشق من المعاهد العلمية ، وذكر ما هو موجود منها الآن مما تقدم ذكره . ثم خوانق الصوفية ، والربط في دمشق ، والزوايا ، والترب ، وما اشتهر من الجوامع ، وخاتمة بمتنزهات وأنهار دمشق .

وكان الأستاذ بدران (رحمه الله) يزور هذه الدور واحدة واحدة ، ويصفها عن خبرة ومشاهدة ، ومنها ما انمحى رسمه فلم يقع له على عين ولا أثر ، ومنها ما هو باقٍ إلى اليوم والحمد لله .

ونذكر على سبيل المثال دار الحديث الأشرفية الأولى ، وقد عرّف النعيمي وغيره محلها بدمشق ، بأنه جوار باب القلعة الشرقي ، غربي المدرسة العصرونية ، وهي الآن مشهورة معروفة ، سكَنَ الأستاذ بدران في غرفة علوية منها ، أثناء طلبه العلم ، وقد أوقف عليها السلطان الملك الأشرف أبو الفتح موسى بن الملك العادل رحمه الله أوقافاً كثيرة كتبت على بلاطة طويلة ، موضوعة فوق نافذة الحجرة الثانية الشرقية قال ابن كثير في تاريخه : كانت هذه المدرسة لصارم الدين قايماز بن عبد الله النجمي ، وله بها حمّام ، فاشترى ذلك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل ، وبناها دار حديث ، وخرّب الحمام ، وبناها مسكناً للشيخ المدرس ، وأتمّ بناءها في سنتين ، وجعل شيخها الشيخ تقي الدين بن الصلاح ، ووقف عليها الأوقاف ،

واشترط في الشيخ أن تجتمع به الرواية والدراية ، فكان بناؤها سنة ٦٢٨ هـ وفتحت ليلة ثلاثين وستمئة ، ليلة نصف شعبان ، وأملى بها الشيخ تقي الدين ابن الصلاح الحديث . فالدار دار حديث ، وأما جميع العقار فموقوف على مصالح هذه الدار وعلى أهلها ، وللشيخ الناظر أن يستمنح للوقف ، أو يشتري ما تدعو الحاجة إليه ، من الكتب والأجزاء ، ثم يقف ذلك ، أسوة بما في الدار من كتبها ، وتفصيل ذلك كله في كتاب (منادمة الأطلال) قال الأستاذ بدران : إنما كتبته ليرى قارىء كتابنا ما كان عليه القوم من الاعتناء بالعلوم ، وإقبالهم على ترقيتها ، وعلى حب الحضارة والعمران ، ومن الإقبال على نصرة المدنية ، ومحو آثار الهمجية اللذين لا يتمان إلا بالعلوم ونشرها .

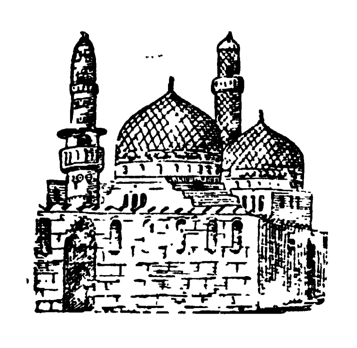
وفي تاريخ النعيمي وبدران أسماء من درّس بها ، واللفظ الثاني ، قال : والذي علمناه ممن درّس بها من الكبار : تقيّ الدين أبو عمرو ابن الصلاح ، ثم عماد الدين عبد الكريم بن الحرستاني ، ثم الشيخ عبد الرحمن ابن اسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة ، ثم الشيخ محي الدين أبو زكريا يحيى النووي ، ثم زين الدين الفارقي ، فصدر الدين محمد بن عمر العثماني المعروف بابن الوكيل ، فكمال الدين محمد بن علي المعروف بابن خطيب زملكا (وهي قرية في غوطة دمشق) ، فأحمد بن محمد البكري المشهور بالشريشي ، فالحافظ الكبير جمال الدين يوسف القضاعي الحلبي الدمشقي المعروف بالمزّي ، فالقاضي علي السبكي ، فجماعات لم يصحّ الترتيب فيهم منهم : الحافظ الكبير عماد الدين الحافظ بن كثير ، والقاضي تاج الدين ، والقاضي بهاء الدين السبكيان ، فوليّ الدين عبد الله السبكي ، وزين الدين عمر بن مسلم القرشي الملحيّ الدمشقي ، وشمس الدين محمد بن بهاء الدين عبد الله المعروف بالحافظ بن ناصر ، وعليّ بن عثمان الصيرفي ، شارح (منهاج النووي) والحافظ الكبير

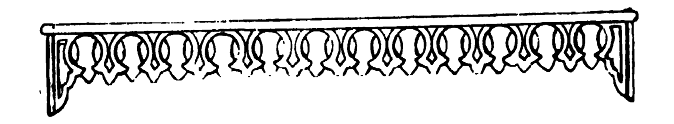
شيخ الإسلام أحمد بن حجر العسقلاني ، ولما وليَ تدريسهـــا ، استناب قطب الدين الخيضري المتقدمة ترجمته في مدرسته ، قال السّخاوي ، وقال : لكونه أمثل أهل الفن بدمشق حينئذ . قال : ورأيت فوق بابها بالحائط حجراً مكتوباً فيه :

هذه دار حديث المصطفى	مَن عليه الله صلّى كل حين
جدّ في تجديدها قاضي القضا	مخلصـــاً لله رب العالمين
ولسان السعد نادى أهلهـا	أدخلوهـــا بسلام آمنين
شكر الله له السعي بهـــا	وحباه النصر والفتح المبين

ولتاريخ هذه المدرسة كغيرهـا تتمة مهمة في هذا الكتاب من أيام النعيمي إلى عهد خاتمة مدرسيها المحدث الأكبر شيخنا الشيخ بدر الدين الحسني المتوفّى سنة ١٣٥٤ ، رحم الله الجميع ورضي عنهم ، ويسّر لهذه الدور القرآنية والحديثية ، والمدارس الفقهية والعربية من يعيد عهدهـا ، ويجدد مجدها بفضله وإحسانه .

محمد بهجة البيطار





سر الدم المكتوم

أو

الذبائح البشرية

للأستاذ الشيخ محمد علي الزعبي

فتش عن اليهود ، واربط بهم ما عرفت من المؤامرات على مطلق إنسان ، وما لم تعرف . اربط بهم وحدهم ، مؤامرة الذبائح البشرية ، التي لم تخطر حتى على قلب إبليس نفسه .

هناك جمعية في كل بلد منكوبة ولو بأقلية يهودية ؛ يجب أن يكون عضوها يهوديا عميقاً في تدينه ، والأحسن أن يكون حاخامـاً ، فرّيسياً أو صدوقياً ، قراء أو رابياً ، أو حزّانا ، على الأقل .

يفوز العضو بالسر ، بعد اختيار وفحص ، ومواثيق وأقسام ، بقوى العناصر السماوية ، بعد التحذير الشديد من إفشاء السر ، اذ عاقبته الموت على أبشع الصور .

مهمة هؤلاء ، اقتناص من سهل اقتناصه من النصارى أو المسلمين ، رجلا كان أو امرأة ، أو طفله أو طفلا ، لاستنزاف دمه ، بطريقة حقوق تمثيلها محفوظ لهذه الجمعية ! !

يجوز ، بل يجب الاقتناص في مطلق زمان ومكان ، ويضاعف الوجوب ،

ويشتد في السعار ٢٥ كانون الأول و ١٤ شباط وعيد الفصح و ٩ تموز ، وقد اتفقت الكلمة وتواترت الأخبار وأوان التحقيق في مطلق بلد بعض يهودها !

لقد مثلت هذه الجمعية ألوفاً أو عشرات الألوف مما عرفنا عن هذه الحوادث وما لم نعرف وأول حادثة وعاها التاريخ كانت عام ٤٥٤ بعد الميلاد المسيحي وآخر حادثة عرفناها وقعت بروسيا عام ١٩٦٣ .

وإننا نتحقق - وان قصرنا البحث هنا على حوادث وقعت في وسطنا وما حولنا - ان كثيراً من الضحايا تحدت التحقيق ، وبعضها ، رغم الدقة والانتباه وإحكام الخطط ، تعرضت لشمس العدل ، وان نجا بعض أبطالها من حبل المشنقة أو حد المقصلة ، بأساليب يهودية معلومة ، كحادثة قتل الأب توما وخادمه ابراهيم عمّار في حي اليهود بدمشق ، إذ أدان التحقيق أبطال الجريمة ، ونجا بعضهم بشفاعة ملك المال الذي يمثله موسى مونتيفوري وآل روتشيلد وآل ساسون .

ملك المال هذا الذي نشاهده في العهد القديم والمشنا والجمارا والتلمود ونعرفه بهذا النص :

(للمسيحيين والمسلمين ملوك كثيرون ولنـــا نحن اليهود ملك واحد هو الذهب) .

ولعل من أشهر هذه الحوادث استنزاف دم الطفل الأرمني هنري عبد النور ، وهو طفل دمشقي لا يتجاوز السادسة من العمر توارى عام ١٨٩٠ وبعد جهد وتحقيق شوهد مطروحاً في بئر معطلة في حي اليهود .

ورغم ان ملك المال قدم بيد (ي.ع) و(ه.ن) ألف ليرة ذهبية ثم باركها وأصبحت عشرة آلاف : استطـــاع ملف الدعوى الفوز بالتحقيق المحلي بل والدولي .

فقد كتبت أم الطفل إلى ملوك ورؤساء جمهوريات الدول الأجنبية ، فاختارت كل دولة طبيباً وبعد تشريح دقيق جاء القرار معترفاً باستنزاف دم الطفل !

أجل رغم ملك المال ، أخذت حادثة هذا الطفل حقولاً من اهتمام الرأي العالمي ، فتحدثت جريدة المحروسة بعدديها ١٧٨٣ و ١٨٠٥ الصادرين في ١٣ مايو (أيار) و١٧ يونيو (حزيران) ١٨٩٠ وجريدة الفلاح القاهرية بعدد ٢٢٩ الصادر في ١٧ يوليو (تموز) ١٨٩٠ وسواهما من كبريات الجرائد .

على أن حادثة هنري ليست الأولى والأخيرة فقد رأينا بدمشق عام ١٨٤٥ محاولة استنزاف دم يوسف المصرى الحلاق ، ورأينا في بيروت عام ١٨٢٤ استنزاف دم فتح الله الصائغ ، كما رأينا السلطان محموداً العثماني نفسه يعثر على جثتي طفلين في إحدى معابد اليهود بالقسطنطينية عام ١٨١٥ .

ومن أجل ما رأيت أن بعض اليهود الذين مثلوا دور الاستنزاف في النمسا عام ٢٦٦٩ أخذوا رأس المغدور مع بعض ألبسته وعلقوه على شجرة في بستان بعيد عن المدينة ليلحقوا الجريمة بالذئب ! ولكن التحقيق أدرك أن الذئب لا يعلق رأساً فأعدم رئيس المجرمين (لا في) حرقاً عام ١٦٧٠ .

« عجب فقد برع المستنزفون بأساليب التضليل إذ رأينا بحادثة هنري أحد الذين أدانهم التحقيق يشهدان الطفل دخل الثكنة ولم يخرج ، ليلصق الجريمة بالجيش ! ! .

* * *

هذا الموضوع ليس بدعاً ، ولكن يد الجرائد ضاعفت ذيوعه وساعدت جميع الناس على فهمه ، وقد أنصف الذي جمع شتاته من الجرائد والملفات الرسمية وأرانا اليهود لا يستطيعون دفع هذه الحقائق إلا بمثل :

(في كل أمة يوجد أناس صالحون وأناس طالحون ، فإن أخطأ فرد فما الأمة مطالبة بخطئه) ....

* * *

وطبيعي أن ترى قوما يحاولون دفع القصاص عن اليهود ، بل طبيعي أن نرى من يحاول تبرءتهم إذ المجرم لا يعترف بعدل القرار الذي أدانه ولو كان عادلاً .

ويظهر أن الجرائد حينذاك كانت ترى وجوب ادانة المجرمين ، بل كانت تتحقق أن اليهود ليسوا أبرياء من مئات من مثل هذه الحوادث ، إذ نرى أصحاب (المقتطف) يكتبون لسليم زاكي كوهين البيروتي ، بوق اليهود المدافع قائلين :

« كتب الحوادث دون تعليق »

مصير دم الذبائح البشرية :

هذا دم مبارك ، يحتفظ به الحاخام فيرشه على كتان ويحرقه ويحتفظ برماده ليضع بعضه على بيضة مسلوقة يأكلها العروسان ، وبعضه على خبز الفطير وخبز الحانوكا وخبز الفور وطعام ٩ تموز ، ويدهن ببعضه المختونين والمحتضرين ، ويحتفظ ببعض السحر والتماويذ والأحجبة .

فلسفة أعضاء جمعية الذبائح البشرية :

يقولون : ان العدد ١٩ من الفصل التاسع من سفر الخروج يقول : (أمات البرد جميع دواب المصريين) والعدد ٧ من الفصل ١٤ منه يقول (الحق المصريون بني اسرائيل بستماية مركبة) .

وهنا يستيقظ الحاخاموم حكماً مشرعياً بهذا النص :

« إذن فقد خبئوا بعض دوابهم خشية الموت ، وعلينا أن نقتل لهم كل مخبيء وعزيز وفي رأس ذلك أطفالهم » وبعضهم يرى هذا الدم تذكاراً الدم الذي لطخ البيوت حين خروج اليهود من مصر مختلسين ما استطاعوا من مالها وحليها ، كما جاء في سفر الخروج .

وهناك تعليلات تتفاوت سعة الاطلاع على التلمود ، فموسى أبو العافية مثلاً بطل ذبح الأب توما الباوري وتلميذه ابراهيم عمّار ، مرجع من مراجع التلمود ، ولذا رأيناه شرهم شراً وأكثرهم انغماساً في مستنقع هذه الجريمة .

ومن الجميل أن أعضاء هذه الجمعية يتعارفون بالرموز ، وهم أصحاب مبدإ إذا رأيت أمميا على حافة نهر فارم به إلى أسفل ، وإذا رأيته مستظلاً بجدار فاهدمه ، وإذا رأوا جنازة أممي قالوا بالعبري

(رأيت اليوم منافقاً وعسى أن أرى غداً اثنين)

مراجع هذا الموضوع :

هذا موضوع تناوله كثيرون بمناسبات شتّى وفي دار كتب بيروت مخطوط برقم ٦٢٥ مؤلف من ٢٦٧ صفحة نتمنى أن يراجع البحاثون منه (على الأقل) صفحات ٢٩ ، ٣٤ ، ٩١ ، ١٤١ ، ٢٠٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ...

تعليقنا على هذا الموضوع :

ان مطالعة عابرة للأناجيل والرسائل ، تريننا المؤامرات التي حاكها اليهود للمسيح كؤامرتي قصتي (مريم المجدلية) أو (أعطوا ما لقيصر لقيصر) وسواهما مما أخذ بعد تأسيس القوة الخفية = الماسونية صفة منظمة .

وإن وقفة على أطلال القرون الثلاثة الأولى للميلاد المسيحي ، تريننا ما لاقاه المؤمنون بالمسيح على يد أباطرة الغرب وفي رأسهم نيرون ابن اليهودية بوبايا من اضطهاد وتقتيل بسبب اغراء اليهود وتوجيههم ومفاسدهم .

ولو أردنا التعرض لما جاء في القرآن والأحاديث النبوية حول اليهود ، لخرجنا عن الموضوع .

كل هذا يفهمنا الحكمة من الشرط الذي أخذه بطريرك القدس

صفرينوس الأرثوذكسي اللبناني من عمر بن الخطاب ، الا هو حرمان اليهود من سكنى القدس .

* * *

لاغرابة — أخي القارىء — إذ اليهود يطفحون حقداً وضغينة ، على من خلق الله من الأمم ومن لم يخلق ، فإذا تقربوا لإله اسرائيل الضيق المتزمت المتعصب القبلي ، بالقرابين البشرية فإن (ما تخفي صدورهم أكبر) .

قد تسمع الذين في ساحل معرفة النفسية اليهودية يقولون :

(اليهود كتاب رئيسي هو العهد القديم ، وهـذا قائم على وصايـــا منها ألا نقتتل) .

مساكين هؤلاء ! لا يدرون أن اليهود تقاليد ترى موسى بلغ وحياً مكتوباً هو التوراة أو الكتاب الأول ، ووحياً شفهياً هو المشنا = الكتاب الثاني ، الذي انقلب مع توالي الأيام تلموداً — تفسيراً ، ولا يزال رغم ما اعتراه من تعديل وتطوير وتهذيب ، اخطر على الأميين من مرض الجذام .

هذا التلمود مرجع تقليدي جعل من مطلق يهودي شخصاً يرى قتل الأمم وسرقة مالها وشهادة الزور عليها واتلاف كتبها المقدسة وانتهاك كراماتها ، ليس جائزاً فحسب بل واجباً وزلفى .

لقد حدثنا المسيح نفسه عن أثر هذه التقاليد في نفوس الكتبة والفريسيين ، وعرضهم (يحاربون الشريعة حرصاً على تقاليدهم ؟ بل تغلغل ما تنطوي عليه نفوسهم بقوله (قبور مبيضة) .

وحسب القارئ أن يعلم أن التلمود يحرّم على الطبيب اليهودي إسعاف الأمي إلا اذا قصد التعلّم به ؟

أجل التلمود ، شر كتب العالم كله ومن فاته الاطلاع على مجلداته السبعة والثلاثين فحسبه أن يرى في البند التاسع من الفصل الثامن من السفر السادس هذا النص :

(ان يسوع الناصري موجود في الجحيم بين الزفت والنار ، وإن أمه ولدته بمباشرة الزنـا مع عسكري اسمه بندارا ، وإن قتل المسيحي من الأمور الواجبة ،والعهد معه ليس ملزماً ومن الواجب لعن رجال الدين المسيحي، كل يوم ثلاث مرّات) .

☆ ☆ ☆

انظروا ، يارعاكم الله ، هذا الشر المجسّم ، واظفروا بأتون السموم زجرثوم الفساد !

☆ ☆ ☆

مفردات :

الفريّسي ، هو الجامد ، أو المنافق ، أو الواقف عند حدود الحرف .

الصدوقي ، الذي لا يؤمن حتى بالجوهريات ويسخر من المسيح لأنه يتحدث عن الدينونة . القرّاءون والرّابون مذهبان يهوديان .

الحزّانون ، يقف تجاه الحاخام ويردد ما يقول ، كأنه مُعِيد .

كلمة دورة جامدة أو ديك ، تعني برموز جمعية سر الدم ، أن الذبيح طفل ، وكلمة علقة تعني أنه طفلة . .

محمد علي الزعبي

دكتور بالفلسفة ، مدرّس الجامع الكبير في بيروت





آراء ابن خلدون الأدبية والنقدية

للأستاذ عبد الرحمن الباني

منهاج البحث وميزة ابن خلدون في هذا الفن :

ليس ابن خلدون كغيره من النقاد والعلماء الذين ينظرون إلى الأدب نظرية جزئية ، بل هو يراه مظاهرة اجتماعية وفردية ، لا تبدو وتنشأ وتزدهر إلا إذا توفرت دواعيها وخصوصاً ما تهيئه الحضارة . ومن أجل ذلك لا يحق لنا ولا نستطيع أن نقفز فجأة إلى آرائه الأدبية والنقدية المحققة وإن تك هي المقصودة بالذات من هذا البحث : وإن لم نفعل نكن أسأنا فهم ابن خلدون ، أو أسأنا على الأقل عرض رأيه وفهمه للأدب .

ولذلك فنحن مضطرون إلى البحث عن آرائه في ازدهار الحياة الفكرية والفنية بازدهار الحضارة والعمران ، ثم عن العلوم ولا سيما علوم اللسان العربي ، وسنتعرض لكلامه على اللغة العربية وتطورها وعلومها وميزاتها ونشوء الملكة اللغوية والبلاغية ، وإذا انتهينا من هذا تكلمنا إذا اتسع الوقت على الأدب وفنونه (الشعر والنثر) ثم عن الأسلوب والذوق لأنهما أساسان خطيران في النقد والأدب ، ثم تكلمنا على نظرياته في النقد التحليلي ، وأصوله في النقد الذوقي وأخيراً درسنا أحكامه النقدية .

العلوم والآداب واللغة :

ازدهار الحياة الفكرية والفنية (العلوم والصنائع) بازدهار الحضارة :

أنواع الفنون :

يقسم ابن خلدون الصنائع إلى بسيط ومركب ، وضروري وكمالي . والبسيط الضروري يكون قبل الكمالي ولا يوجد بالأمصار الصغيرة غيره . وهناك تقسيم آخر للصنائع فهي تقدم إلى ما يختص بأمر المعاش (ضرورياً كان أو غير ضروري) وإلى ما يختص بالأفكار التي هي خاصة بالإنسان من العلوم والصنائع (كانتساخ الكتب وتجليدها والشعر والغناء وتعليم العلم) وإلى ما يختص بالسياسة والإدارة والتدبير المنزلي ، وهذا التقسيم ضروري لمعرفة نشوئها وعوامل الحضارة فيها .

ويبدو لابن خلدون أيضاً أن يشير إلى انقسام الصنائع باعتبار شرفها ... فمنها ما هو ضروري في العمران ليس ما يدعو إلى وصفه بالشرف (كالفلاحة والبناء) ومنها ما هو شريف بالموضوع (كالكتابة والوراقة) . . وأما الكتابة وما يتبعها من الوراقة فهي حافظة على الإنسان حاجته ومقيدة لها عن النسيان ومبلغة ضمائر النفس إلى البعيد الغائب (زماناً ومكاناً) ومخلدة نتائج الأفكار والعلوم في الصحف ورافعة رتب الوجود للمعاني .

عوامل ظهورها وكمالها :

ويقول : تكمل الصنائع بكمال العمران الحضري وكثرته : لأنه إنما يكون اهتمام الناس أولاً بالضروري من المعاش وهو تحصيل الأقوات . والعلوم والصنائع تتأخر في ظهورها عن الضروري ..... وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأنق فيها حينئذٍ واستجادة ما يطلب منها بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة .

ويقول : إن الصنائع إنما تستجاد إذا كثر طالبها : لأن الإنسان لا يسمح بعمله أن يقع مجاناً لأنه كسبه ومنه معاشه ... وإذا كثر الطلب وأصبحت (أي الصنائع) كالسلعة المرغوب فيها أقبل الناس على تعلمها وبذلك تترقى .

ورسوخ الصنائع في الأمصار إنما هو برسوخ الحضارة وطول أمدها فيها .

والآن ننتهي إلى كلمات قيمة لابن خلدون تكشف عن رأيه في أن ازدهار العلوم والفنون يكون في ظل الحضارة والعمران الواسع وأن ظهورها محدود بقوانين من الزمان والمكان . يقول : والسبب في ذلك أن تعليم العلم كما قدمناه من جملة الصنائع[1]، وأن الصنائع تكثر في الأمصار . وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة لأنه أمر زائد على المعاش فمتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الإنسان وهي العلوم والصنائع ... ويوازن ابن خلدون بين العلم في الأمصار الصغيرة والقرى وبينه في المدن ذات الحضارة ثم يقول : ونحن نرى ، لهذا العهد ، أن العلم والتعليم إنما هما بالقاهرة من بلاد مصر لما أن عمرانها مستجد وحضارتها مستحكمة منذ الآن من السنين ، فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت ومن جملتها تعليم العلم . ثم يذكر أثر الأوقاف في زيادة الحركة العلمية .

الفنون والعقل :

يعرض ابن خلدون في فصل ممتع لأثر الصنائع (أي الفنون) في توسيع العقل وزيادة فكما أن العقل يجعل الفن مزدهراً فكذلك الفن يزيد في العقل ويكسبه كمالاً . وابن خلدون حين يتكلم على أثر الفنون في العقل يشبه من

---

(١) يرى ابن خلدون أن العلم والتعليم طبيعيان في العمران البشري وأن التعليم من جملة الصنائع ويتقدم بتقدم العمران .

جهة التجريبيين (والحسيين خاصة) فهو يدعي أن العقل لا يحوي معرفة ما ولكنه مستعد للتفكير قادر على اكتساب المعرفة بحواسه وتجاربه . وهو يشبه من جهة ثانية الحايتين أو الصناعيين القائلين بنشوء العقل من الشعور والحياة والصناعة ، ولا شك أن رأي الحيويين أو الصناعيين يتمم رأي التجريبين ، فالإنسان بدافع الحياة وبتأثير الصنائع تعددت وتنوعت تجاربه ، ولكن ابن خلدون مع ذلك لا يغلو غلوهم ... بقوله : إن الصنائع تكسب صاحبها عقلاً وخصوصاً الكتابة والحساب ، ويتابع كلامه قائلا ؛ يحصل عن الصنائع وعن ملكتها قانون علمي مستفاد من تلك الملكة . فلهذا كانت الحنكة في التجربة تفيد عقلاً والملكات الصناعية تفيد عقلاً والحضارة الكاملة تفيد عقلاً لأنها مجتمعة من صنائع .... والكتابة من بين الصنائع أكثر إفادة لذلك لأنها تشتمل على العلوم والأنظار بخلاف الصنائع .... ويلحق بذلك الحساب .

تصنيف العلوم :

هذا ولما كانت العلوم والصنائع متلازمة مع الحضارة تكلم ابن خلدون على العلوم وصنفها ، ولا بد من ذلك لأن هذه العلوم مختلفة المواضيع ، مختلفة الأساليب ، مختلفة في درجة أهميتها .

وابن خلدون يصنف العلوم كما يلي ناظراً اختلاف مصدرها وتكونها ، فقسم منها يهتدي الإنسان إليه بفكره من حيث هو إنسان وهو موجود لدي كل الأمم وآخر قائم على النقل والرواية عن الشارع الأول . إذن فالعلوم قسمان : عقلي ونقلي (ويسميه وضعياً بالنسبة للواضع أو الشارع) . وسنذكر هذا التصنيف لنرى مركز الأدب من هذه العلوم :

العلوم العقلية :

١ ــ علم المنطق ،

٢ ــ العلم الطبيعي (الإنسان ، الحيوان ، النبات ، المعدن) ومن فروعه الطب والفلاحة .

٣ ـ العلم الإلهي .
٤ ـ التعاليم : (الهندسة ، الارتماطيقي ، الموسيقى الهيئة) .

العلوم النقلية :

١ ـ علم التفسير . ٢ ـ علم القرآت . ٣ ـ علوم الحديث .
٤ أصول الفقه وما يتعلق به الجدل والخلافيات .
٥ ـ الفقه (معرفة أحكام المكلفين) وما يتبعه من الفرائض .
٦ ـ علم الكلام . ٧ ـ علم التصوف . ٨ ـ علم تعبير الرؤيا .

٩ ـ علم اللسان العربي :
١ ـ علم اللغة .
٢ ـ علم النحو .
٣ ـ علم البيان (أي البلاغة) .
٤ ـ علم الأدب .

وابن خلدون يقسم العلوم من جهة ثانية بحسب أهميتها إلى قسمين : علوم مقصودة بالذات وعلوم هي وسيلة أو آلة لغيرها : فعلوم العربية وسيلة بالنسبة للعلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه وعلم كلام لأن القرآن والحديث باللغة العربية ولا يمكن فهمها إلا بها . والمنطق وسيلة بالنسبة للعلوم الفلسفية ، واللغة والنحو وسيلة للأدب ، وعلوم البيان (أي علوم البلاغة) وسيلة لفهم إعجاز القرآن الكريم أيضاً .

العلوم
١ ـ مقصودة بالذات
شرعية ، التفسير ، الحديث ، الفقه ، علم الكلام ،
فرائض فلسفية : الطبيعيات والإلهيات .
٢ ـ آلية (وسيلة لما سبق)
علوم العربية ، علم الحساب (بالنسبة للفرائض)
المنطق .

وابن خلدون حين صنف علوم اللسان العربي (اللغة ثم النحو ، ثم البيان « وهو ما نسميه نحن الآن علوم البلاغة » ثم الأدب ، كأنه نظر إلى المجرد ثم المشخص ، أو نظر إلى الذي يحتاج إلى غيره فبدأ باللغة وانتهى بالأدب . فعلم اللغة أكثر تجريداً وعموماً من علم النحو . . . . ثم علم النحو . . . ثم البيان وهو يقتضيهما ، ثم الأدب وهو محتاج إليها جميعا .

وقد بحث ابن خلدون في هذه العلوم بحثاً دقيقاً يميز الواحد عن الآخر ويعنى بتاريخ نشوئه والتأليف فيه .

وهو يشير إلى ضرورة معرفة هـذه العلوم ، فإن الأديب والمفسر وصاحب العلوم الشرعية محتاج إليها .

أهم هذه العلوم النحو : لأنه يتبين به أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول ... لولاه لجهل أصول الإفادة . وكان من حق علم اللغة أن يتقدم (لأنـه الأساس الأول للغة) لولا أن أكثر الأوضاع (أي المفردات والألفاظ) باقية في موضوعاتهـا لم يتغير بخلاف الإعراب الدال على الإسناد والمسند والمسند إليه فإنه تغير بالجملة ولم يبق له أثر .

علم اللغة :

هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية . (يعني بيان الألفاظ أو المفردات ومعرفة دلالتها) بعد ما فسد الإعراب تأدى الفساد إلى الموضاعات اللغوية وإنما نشأ هذا العلم كما نشأ النحو بفضل القرآن الكريم . وله فروع يحتاج إليها الأديب منها (فقه اللغة) فقد وضع العرب كلمة أبيض لكل ما فيه بياض ثم اختص ما فيه بياض من الخيل بالأشهب ومن الإنسان بالأزهر ومن الغنم بالأملح ، حتى صار استعمال البياض في هذه كلها لحناً وخروجاً عن لسان العرب ، ثم قـال : فليس معرفة الوضع الأول بكاف في

التركيب حتى يشهد استعمال العرب لذلك . وأكثر ما يحتاج إلى ذلك الأديب في فني نظمه ونثره حذراً من أن يكثر (لحنه) في الموضوعات اللغوية في مفرداتها وتراكيبها وهو أشد من اللحن في الإعراب وأفحش .

علم البيان :

حدث بعد علم العربية ، وهو علم اللساني لأنه يتعلق بالألفاظ وما تفيده ... وما يقصد به الدلالة علم من المعاني .

التمييز بين علوم اللسان :

ان الأمور التي يقصد المتكلم بها إفادة السامع من كلامه هي إما تصور مفردات تسند ويسند إليها ويفضي بعضها إلى بعض ، والدالة على هذا هي المفردات من الأسماء والأفعال الحروف (علم اللغة) وأما تمييز المسندات من المسند إليها والأزمنة يدل عليها بتغيير الحركات ، وهو الإعراب ، وأبنية الكلمات . . . (وهذه كلها هي صناعة النحو) .

وظيفة البيان : ويبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة على أحوال المخاطبين أو الفاعلين وما يقتضيه حال الفعل وهو محتاج الى الدلالة عليه لأنه تمام الإفادة واذا حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الإفادة في كلامه ؛ واذا لم يشتمل على شيء منها فليس من جنس كلام العرب ، فإن كلامهم واسع ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الإعراب والإبانة ، ويضرب هنا ابن خلدون أمثلة على الأحوال التي تقتضي التقديم والتأخير والإطناب والإيجاز ويذكر أمثلة على الخبر والإنشاء وأنواع الخبر . . . ثم يقول :

فهذه كلها دلالة زائدة على دلالة الألفاظ مفردة ومركبة وإنما هي هيئات وأحوال لواقعات جعل الدلالة عليها أحوال وهيئات في (تركيب) الألفاظ كل بحسب ما يقتضيه مقامه . واشتمل هذا العلم (أي علم البيان) على ثلاثة أصناف :

البلاغة والبيان والبديع . وثمرة هذا الفن انما هي في فهم الإعجاز من القرآن الكريم .

ثم يتكلم ابن خلدون على علم الأدب في فصل آخر وسنأتي عليه ان شاء الله بعد أن نذكر كلمة له عن اللغة ، وتطورها ، ونشوء الملكة فيها ، وعن كيفية تعليمها وسنرى أنه يهاجم النحاة هجوماً عنيفا .

اللغة والملكة :

ما هي اللغة(١) ؟ ان اللغات كلها شبيهة بالصناعة اذ هي : ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني (وهذا هو تعريف اللغة من وجهة نفسية كما ترى) وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها . وليس ذلك بالنظر الى المفردات وانما هو بالنظر الى التراكيب . فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير عن المعاني المقصودة ، ثم مراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من افادة مقصودة للسامع وهذا هو معنى البلاغة . اذن فاللغة ملكة في تركيب الألفاظ والبلاغة هي فن تأليف هذه التراكيب : وكلام ابن خلدون على نشوء اللغة عند الطفل شبيه بكلام النفسيين كيف تحصل الملكة : تحصل الملكة بالتكرار وتمر بمراحل فتكون أولاً صفة (غير ثابتة) ثم حالاً (وهو صفة ثابتة بعض الثبوت) ثم ملكة (أي صفة راسخة) . ولذلك فالعربي الناشىء في قومه العربي الخالص يصبح كأحدهم وينطق باللغة كما نطقوا .

ثم ان السمع هو أبو الملكات اللسانية ، والملكة لا تنشأ الا بكثرة حفظ وفهم وتكرار الكلام الجيد على السمع واللسان مع سلامة الطبع .

---

(١) يقول ابن خلدون هي عبارة المتكلم عن مقصوده والعبارة فعل لساني فلا بد من أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان في كل أمة بحسب اصطلاحهم .

لا يستطيع ابن خلدون أن يقر أن العرب يتكلمون بالعربية طبعاً ويمتازون بالبيان فطرة ، وهو كالاجتماعيين يرجع ما يسمونه الفطرة والطبع الى المجتمع والى المحيط الانساني الذي ينشأ فيه الانسان : ألا ترى أن العجمي والطفل اذا عاشا في العرب كيف ينطقان بالعربية ، وأن العربي اذا خالط غير قومه استعجم لسانه .

وكلمة العامة (ان اللغة للعرب بالطبع) ليس لها إلا معنى واحد هو أن اللغة أخذت عنهم ولم يأخذوها عن غيرهم . أما أنهم ينطقون بها فطرة سابقة فهذا ليس بصحيح ، وقد اختلط العرب بغيرهم ففسدت لغتهم ولو أنها طبع لم تفسد .

تطور العربية ، مهاجمة النحاة :

ويتكلم ابن خلدون على تطور اللغة العربية ، وفساد اللسان العربي ويرتئي في ذلك رأياً ويهاجم النحويين .

يقول صار يسمع العربي (لما خالط الأعاجم وخالطهم) في العبـــارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب ، فيعبر بها عن مقصوده لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم فاستحدث ملكة وكانت ناقصة عن الأولى وهذا معنى فساد اللسان العربي . ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم .

ويذكر حال اللغة العربية في عهده ويقول : إنها على سنن اللسان المصري ولم يفقد منها إلا دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول .. فاعتاضوا منها بالتقديم والتأخير وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد . والبلاغة في تأليف الكلام مطابقاً لمقتضى الحال ، وفي اللسان العربي أوضاع من تقديم وتأخير و . . . لموافقة الحال وتلك الأوضاع هي التي تهب اللغة العربية الإيجاز والبلاغة . وهذا لا يزال ، فلا نستطيع أن ننكر بلاغة اللغة

العربية في هذا العهد (يعني عهده) رغم خرفشة النحاة الذين يزعمون أن البلاغة ذهبت وأن اللسان فسد لما وقع في آخر الكلم من فساد الإعراب الذي يُعنون به غاية مطلقة ولا يأبهون لما سوى ذلك وما أكد زعمهم إلا فساد ذوقهم .

حجج ابن خلدون :

١) إن الكثير من ألفاظ العرب لم تزل في موضوعاتها الأولى .

٢) والتعبير عن المقاصد والتعاون فيه بتفاوت الإبانة موجودان .

٣) وأساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة في مخاطباتهم ، وفيهم الخطيب المصقع في مجامعهم ومحافلهم والشاعر المفلق على أساليب لغتهم .

٤) الذوق الصحيح والطبع السليم شاهدان بذلك ، ولم يفقد من أحوال اللسان المدون إلا حركات الإعراب في أواخر الكلم فقط الذي لزم في لسان مضر طريقة واحدة ومنهجاً معروفاً وهو الإعراب ، وهو بعض أحكام اللسان . ثم يتابع ابن خلدون هجومه العنيف بهاتين الحجتين ، ولعله لا يريد إلا نكاية النحويين لاهتمامهم الأكبر بالنحو دون غيره ثم سوء فهمهم القيمة القواعد النحوية في نشوء ملكة اللغة وتعليمها .

٥) يقول ، وهذا من أغرب ما يقول ، : ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد واستقرينا أحكامه نعتاض عن الحركات الإعرابية في دلالتها بأمور أخرى موجودة فيه فتكون لها قوانين تخصها ولعلها تكون في أواخره على غير المنهاج الأول في لغة مضر .

٦) ثم يقول هذا القول الذي تبدو فيه النظرة التطورية : إن اللغة المضرية اختلفت عن اللغة الحميرية ودونت أصولها من اجل القرآن والسنة وكذلك لغة عهدنا مع اللغة المضرية . إلا أنه لا داعي يحملنا على تدوين أصولها ... وهكذا اللغات تتطور ... بل اللغة العربية نفسها في عهدها

الأول لم تكن على حال واحدة بل اختلفت بتغير المناطق بعداً وقرباً من الجزيرة . هذا ومن مظاهر تطور اللغة اختلاف النطق بالحرف مثل القاف[1].

ثم كأن ابن خلدون يصرح بأن اللغة الشائعة في عصره (لغة التخاطب) فيها بلاغة وهي لغة وقد أصبحت ملكة ولم يفسدها نقص الإعراب ... وهذا ليغيظ أيضاً علماء البلاغة الذين يبالغون بقوانين البلاغة وخطورتها وتأثيرها في إنشاء الملكات .

وهذا من الغريب العجيب في ابن خلدون الحريص على أساليب العرب وطرائقهم حتى الثانوية منها التشدد في تطبيقه النقدي . .

وابن خلدون لا يهاجم هؤلاء العلماء لأنه عاجز عن فهم ما في النحو من قواعد وما في البلاغة من قوانين ، ولا لأنه عاجز عن أن يفهم الكلام المعرب من الملحون ويميز البليغ من غير البليغ بل هو نقادة خبير ولم يشتهر عنه أنه مقصر في علوم النحو والبلاغة . وقد يستطيع بعض الناس أن يتهم ابن خلدون بأنه عاجز عن إنشاء الكلام المعرب الصحيح البليغ الجيد ولكن مما لا شك فيه أن العناية بالنحو والعناية بقوانين البلاغة والظن بأنهما يبلغان بالمرء الكمال في الكلام المعرب البليغ كانا بالغين أشدهما في عصر ابن خلدون . فكان كلامه هذا رداً فعل لهذا التطرف وهو يعتقد أن لا غناء في حفظ هذه القواعد ودرس هذه القوانين . وإذا ظهر لنا أنه متطرف في هذا الرأي فتطرفه أحب إلينا من تطرفهم فقد يستطيع أن يتخرج على طريقة ابن خلدون (وهي دراسة الكلام البليغ وحفظه وتكراره) أمة من البلغاء النابغين ولا يستطيع أن يتخرج برأي أولئك فرد واحد .

---

(١) يجدر بنا بهذه المناسبة أن نذكر بأن ابن خلدون ينتهج طريقة لتصوير الحروف التي لا مقابل لها في اللغة العربية . انظر المقدمة ص ٢٨ ٢٩ حتى يستطاع النطق بها كما هي في لغاتها الأصلية .

وقد يبدو للناظر أن ابن خلدون مخطىء لأنه لم ينتج الا أدباً وسطاً مع أنه درس الكلام البليغ وحفظه . والحق أن ابن خلدون نقم من طريقة التعليم التي ثار عليها لأنه أخذ بها وبها تأثر فهو لذلك آسف وثائر .
ويدلي ابن خلدون حجة يوجهها لمن يقول ان العناية بالأندلس قد تكون أشد من عناية المغرب بالنحو مع أن أولئك أبلغ . يقول ذلك صحيح ولكن الأندلسيين يعنون بكتاب سيبويه عناية شديدة وبه يتخرجون في علم النحو وهذا الكتاب مفعم بالشواهد التي هي في الوقت ذاته آثار أدبية ممتازة بلاغة وجمالاً ، ولذلك يمتاز أدب الأندلسيين عن أدب غيرهم بأنه أكثر جريا مع الطبع ومع أساليب العرب .

قد تكلمنا على اللغة ونشوئها وتطورها وعلومها فبقي أن نعرف ما هي خصائص اللغة العربية ، وهي التي سندرس أدبها .

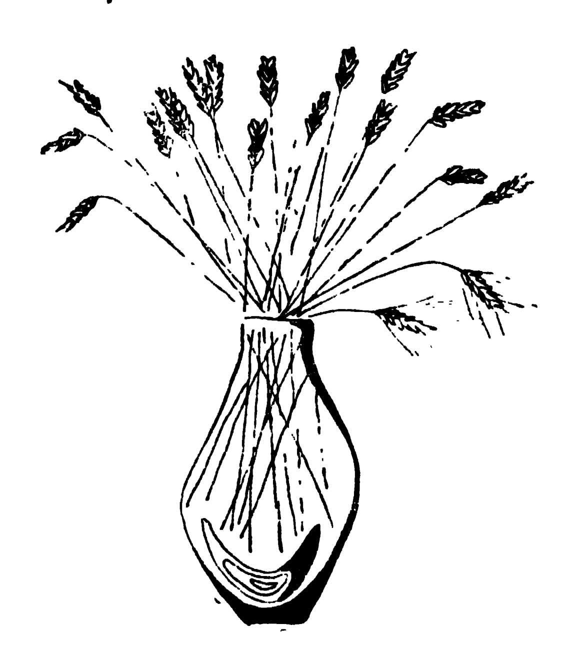
لا يذكر ابن خلدون شيئاً كثيراً عن هذه الخصائص وانما يلاحظ أنها تمتاز بالإيجاز : يقول « الملكة الحاصلة للعرب أحسن الملكات وأوضحها ابانة عن المقصود لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول ... ومثل الحروف التي تفضي بالأفعال الى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى . وليس يوجد ذلك الا في لغة العرب وأما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لا بد له من ألفاظ تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم في مخاطباتهم أطول مما نقدره بكلام العرب وهذا معنى قوله ﷺ « أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا ... » وهو يريد أن لغة العرب لغة الإيجاز لأن للحرف والحركات والهيئات أي الأوضاع اعتباراً في الدلالة على المقصود ... ويردد ذلك ابن خلدون ص ٥١٠ حينما يثبت أن لغة العرب في عهده تختلف عن لغة مضر وحمير ... فيدل

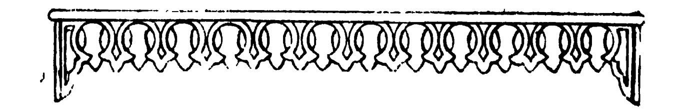
على تغير الأحوال (في اللغة العربية) بأحوال وكيفيات في تراكيب الألفاظ وتأليفها من تقديم وتأخير أو حذف أو حركة اعراب وقد يدل عليها بالحروف غير المستقلة .

واعتماداً على هذه الفنون (التركيبية) يستنتج ابن خلدون مقياساً تقدر به طبقة الكلام .. يقول : « ولذلك تتفاوت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك الكيفيات . فكان الكلام العربي لذلك أوجز وأقل ألفاظاً وعبارة من جميع الألسن » .

قد عرضنا فيما سبق كلام ابن خلدون في الحضارة والعلوم والفنون وأصنافها وعلوم اللسان العربي خاصة الا الأدب ، وما عرضناه يصح أن يكون مقدمة لكلام ابن خلدون عن الأدب ...

عبد الرحمن البانى





رأي جديد في علم النفس

للأستاذ محمود مهدي استانبولي

من يحرك السلوك الإنساني ؟!

الإنسان في هذه الحياة مدفوع في سلوكه من قبل دافع أختلف في مصدره وطبيعته . وقد بحث في هذا الدافع بصورة جدية عالمان شهيران من علماء النفس هما فرويد ، وآدلر .

رأي فرويد

كان هذا الباحث يعتبر الجوع النفسي Yibido أو الطاقة الصادرة عن الغريزة الجنسية هي القوة الدافعة للانسان في هذه الحياة في توجيه السلوك كله ، وقد زعم أن انحراف هذه الغريزة الجنسية هو وحده الذي يسبب للانسان الأمراض العصبية .

مناقشة فرويد من الناحية النفسانية :

لقد ضج كثير من العلماء من تطرف فرويد [1] الصارخ ، فوجهوا

(١) يقول العالم النفساني كلاباريد متهكماً في كتابه علم النفس ج ١١ س ٣٥٨ ـ ٣٥٩ . « يلوح لي كأن علماء التحليل النفسي (فرويد وأمثاله) في مجال علم النفس أشبه مايكونون بالبوم !! لانهم يرون في الظلام . فلهم في ذلك ميزة كبيرة ، لأن كهوف اللاشعور كغابات النفس البدائية تشتمل على كثير من الأمور والظواهر التي خفيت على —

له انتقادات لاذعة على الرغم من محاولته وضع نظريته في أسلوب منهجي !

١ - إن نظرية فرويد هذه ، نظرية سوقية لاتهتم إلا بالحاجة البهيمية للانسان . والعجيب أن ينسب إليها جميع نشاط الإنسان العاطفي ، والعقلي والإرادي ، معتبراً مردّ كل ذلك إلى قوة الدفاع الغريزة التناسلية ؟ بل يزعم أن جميع مايصيب الإنسان من عقد وانحرافات نفسية ، ناشيء عن هذه الغريزة ، فكأن حياته مسرح تمثل فيه الغريزة الجنسية نشاطها فقط !

ونحن ، وإن كنا لاننكر تأثير هذه الغريزة على الإنسان ، إلا أننا نستبعد أن تكون الموجه الوحيد لسلوكه .

٢ - إن نظرية فرويد شاذة ، استنتجها من حالات المرضى ومتى كان الأصحاء كالمرضى ؟ !

وقد تصل المبالغة عند هذا الباحث حداً غريباً حينما يعلن أن الحياة النفسية للطفل نفسه تقوم على وجود الميول الجنسية ! فهو عندما يلتقم ثدي أمّه ، فإنما يفعل ذلك مدفوعاً بدافع جنسي ، فيؤكد فريد غلبة الرغبات التناسلية على الطفل ، وأنها قاعدة تنظم كل عملياته العقلية ، كما تنظم كيان حياته كلها فيما بعد (١) .

وقد نسي فريد أو تناسى أن المباحث السيولوجية أثبتت أن الغريزة الجنسية لاتظهر مبكرة في الطفل السوي (Normal) .

— غيرهم، ولكن هذه الميزة مقترنة بعيب ، وهو أنهم اعتادوا الظلام ، فهم في بعض الأحيان لايطيقون مواجهة النور ، ولا يستطيعون أن يعرضوا أفكارهم بجلاء عرضاً منطقياً يقنع الذين على خلافهم ، لم يسبق الإقناع إلى قلوبهم ، وقد ضيعوا حسن التفريق بين الألوان المتقاربة فلا يميزون الفرضية من الاستنتاج الجائز » .

(١) أصول علم النفس الفردي الأستاذ اسحق رمزي ص ٤٨ نقلاً عن الأستاذ كروشه في كتابه : (الضلالات والأخطار) .

وحجة هذا الباحث مايشاهد في حياة الطفل من أشكال الحب ، مع أن الحب عاطفة معقدة ، تتصل بكثير من الغرائز الأخرى كغريزتي الزهو والخشوع وغيرهما .

ولا أدري مايقول فرويد عن مهمة الغرائز الإنسانية الأخرى إذا كان لغريزة الجنس الشأن ، كل الشأن ؟ !

مناقشة نظرية فرويد من الناحية الخلقية :

٣ ـ إن نظرية فرويد علاوة على أنها لا علمية ، فإنها أيضاً لا أخلاقية ولا إنسانية ! فهي تريد أن تجعل الانسان في صف الحيوان ، بل تحاول ان تحيي رفاة النظرية الطوطمية الخرافية القائلة بأن أولاد الأب في الأسرة الأولى غاروا منه لما كان يستأثر بأمهم ، فقتلوه ونابوا منابه ... ثم ندموا على جريمتهم ، فعبدوه . . .

وإلا فما معنى مايذهب اليه فرويد بأن الطفل لما يتناول ثدي أمه ، فإنما يفعل ذلك بشهوة جنسية ؟ !

وهذا ما دعا الدكتور جان غوتيه إلى التصريح بأن فرويد كان كاذباً (١) .

ومما أحب أن ألفت الأنظار إليه أن الصهيونية الهدامة تسعى للافادة من نظرية فرويد ـ اليهودي ـ في نشر الفاحشة ، فقد جاء في « بروتوكولات حكماء صهيون » :

« يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان ، فتسهل سيطرتنا . إن فرويد منا ، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى

---

(١) نقلاً عن كتاب العريس في مخدع العرس للدكتور جورج كورسال ص ٨ من الترجمة العربية .

في نظر الشباب شيء مقدس (!) ويصبح همه الأكبر إرواء غرائزه الجنسية ، وعندئذ تنهار أخلاقه . »

رأي آدلر :

تبع آدلر رأي فرويد في بادىء الأمر ، ثم عاد فاختلف معه . وقد رأى أن الدافع والمعين الأول ، والعلة العاملة في توجيه سلوك الانسان كله ، تمجيد الشعور بالذات والاندفاع الدائم نحو التفوق والسيادة .

ويرد على فرويد بأن الجوع النفسي (الليبدو) مع مايتبعه من الميول الجنسية بجميع مظاهرها وأشكالها وانحرافاتها ، ماهي سوى ذيول وملحقات لفكرة التفوق والميل الى السيادة .

مناقشة آدلر :

إن الرغبة في السيادة والتفوق ليست الهدف الوحيد للسلوك الإنساني ، وذلك لأمور منها :

١ ـ إن الإنسان كثيراً مايسعى لنبذ السيادة ، والبعد عن السيطرة وذلك حينما يكون مصلحاً ، فيقاوم الجماهير ويحارب تقاليدها . . . مما يسبب له بغض هذه الجماهير ونفورها منه ، وبالتالي حرمان السيادة والتفوق .

٢ ــ إن الإنسان حتى وهو في أوج سيادته ، يشعر بفراغ في النفس ويحس بنقص في الفؤاد ، وبشيء غامض ينقصه ، ويسعى للاتجاه نحوه .

٣ ـ إن العظماء ــ أغلب العظماء ــ حينما يبلغون الذروة في العظمة يزهدون فيها ، ويفرون من الجماهير ، ويتمنون لو كانوا مغمورين ، حينما يدركون سخافة الحياة وتفاهة الشهرة والسيادة .

٤ ــ كثيراً مانرى أشخاصاً كثيرون يقومون بتضحيات الآخرين ويسعون جهدهم كيلا يعرفوا ، فلماذا رفض أمثال هؤلاء المخلصين الرغبة في السيادة والتفوق إذا كانوا مفطورين عليها ؟ !

كل ذلك يبرهن على بطلان دعوى آدلر وسقوط حجته القائلة بأن حب التفوق والسيطرة هو الذي يوجه سلوك الانسان ويعين مصيره .

ومهما كان من نظرية هذا الفيلسوف وبصرف النظر عن صحتها أو عدم صحتها ، فإنها أكثر قبولاً من نظرية فرويد ، فنحن لا ننكر رغبة الانسان في التفوق .

ويرى آدلر أن الأمراض العصبية تنجم غالباً عن الشعور بالنقص ، لا من شذوذ الأمور الجنسية التي بالغ فرويد في خطورتها .

إن آدلر لا ينكر شأن الدافع الجنسي ، ولكنه يعتقد أن ليس لهذا الدافع تلك الأهمية الشاملة في حياة الطفل التي نسبها فرويد إليه . إن له مكانه في الطريقة العامة للحياة التي تنحصر في الأساس في اندفاع دائم الوجود نحو التفوق ، أو ضد الحطة ، إن تحليل حياة الفرد ومشاكله تحليلاً يركز كل شيء حول الدافع الجنسي إنما هو تحليل يعطي صورة مشوهة ؛ يقول آدلر : « إن من غير المستطاع قدر العوامل الجنسية قدراً صحيحاً إلا في صلتها بطريقة حياة الفرد ، إنا لا يستطيع النفوذ ببصرنا الى حياة الفرد الجنسية بكل طرقها المتشعبة ، وترددانها ومداوراتها ، إلا بمقدار ما تستطيع تبين طريقة حياته (١) » .

مناقشة نظرية آدلر من الناحية الخلقية :

ه ـ إن حصر اهتمام الفرد بالتفوق على الآخرين فكرة مؤسسة على التغلب ، وتجعل الحياة معترك صراع ومنافسة ، بدلاً من ميدان تعاون وسلام ، لذلك كانت نظرية (آدلر) لا أخلاقية .

---

(١) كتابه .مشكلات العصاب ص ٩٣ سنة ١٩٢٠ Prb ems Of nerosis نقلاً عن العدد ٨٩ من مجلة « العربي » الكويتية .

وقد أنتقلت فكرة التفوق التي جاء بها هذا الفيلسوف من مجال الفرد الى محيط بعض الشعوب كالمانيا وايطاليا ، فزعمت كل منها بتفوقها العنصري وأنشأت لذلك المذهب النازي أو الفاشستي المبني على السيطرة والتوسع والاستعمار . فأثارت هاتان الدولتان الحرب العالمية الثانية وكانتا لعنة على الإنسانية ، سرعان ماتحطمت على صخرة الواقع .

السبب الصحيح :

إذا ثبت ذلك ، فماهو إذاً الدافع الأول والمعين الأصيل والعلة الرئيسية المثيرة للسلوك الإنساني ؟ !

لقد فكرت طويلاً في هذا الموضوع وتوصلت أخيراً الى الرأي الآتي :

إن الميل الغريزي الى الخلود ، هي الدافع الأول لهذا السلوك . وهذا الرأي يتفق مع الفلاسفة القائلين بأن الإنسان « حيوان ذو دين » وهذا مادعت إليه الأديان السماوية ، معلنة أن الإنسان صائر — بعد الموت — إلى عالم آخر يخلد فيه أبداً !

صحيح ان الإنسان يرغب في حياة الجنس ، ولكن ما يمنعنا أن نقول ان أهم الدوافع النفسية لذلك أن يخلد في ذريته من بعده ، فالولد امتداد لحياة أطول تكون أكثر خلوداً لأبيه !

وصحيح أن الإنسان — على الغالب — يحب السيادة ويرغب في التفوق والسيطرة ، غير أن جميع هذه المطالب ماهي الا وسائل لا غايات وخطوات أولى لهدف مصيري أسمى بدليل مايشاهد من حياة العظماء حينما يبلغون قمة المجد .

قال الخليفة عمر بن عبد العزيز :

« إن لي نفساً تواقة ، ما أُعطيت شيئاً إلا تاقت الى ماهو أكثر

منه : تمنيت الإمارة ، فلما أعطيتها ، تاقت نفسي الى الخلافة ، فلما تلقيتها تاقت نفسي الى الجنة . »

لقد جعل الفلاسفة حتى الملاحدة منهم ! ـ منذ سقراط إلى يومنا هذا ـ أهم غايات الفلسفة معرفة من أين أتينا وإلى أين المصير ، وهذا أعظم دليل على ميل الإنسان الملح الى معرفة مصيره وطريق خلوده !

إن الإنسان يشعر بفراغ في هذه الحياة حتى وهو في ذروة متعته وأوج تفوقه ، فيرى الدنيا ضيقة على رحبها ، ولعل الشاعر العربي كان يعبر عن دافع الخلود الذي يستتر سلوكه وقد شعر بالفراغ على الرغم من وصوله الى وطره ، فأنشد :

أعانقها ، والنفس بعدُ مشوقة إليها ! وهل بعد العناق تدان ؟!
وألثم فاها كي تزول صبابتي فيشتد ما ألقى من الهيمان !
كأنّ فؤادي ليس يشفى غليله سوى أن يرى الروحين تلتقيان !

حقاً إنّ الملاحدة على الرغم من إلحادهم بلسان المقال ، هم مدفوعون إلى طلب الخلود بلسان الحال ! ألا تراهم على الرغم من إلحادهم وإنكارهم البعث والخلود ، لا يستقرون على حال من القلق ، فهم دائماً في محاولة لنوع من الصعود ، غير صعود العظمة الدنيوية والمادية ، إذ أنهم كثيراً ما أعطوا هذه العظمة ، فركلوها بأقدامهم ، وفضلوا عليها الموت .

إن سقراط آثر السم ، على الرجوع عن رأيه !

وغاليله فضل القتل ، وهو يقول : ان الأرض لا الشمس هي التي تدور .

فأين هذا السلوك من زعم تعشق السيادة والميل إلى التفوق .

حقاً ليس لهذا السلوك من تفسير إلا طلب الخلود المدفوع إليه الإنسان جبراً وقسراً !

لا شك أن لسان حال كثير من الفلاسفة الملحدين الذين يزعمون ان الإنسان وجد من العدم والى الفناء يصير إنكار الخلود الذي يعتقد به المؤمن غير أنهم مدفوعون إليه مثل هذا المؤمن ، شعروا أم لم يشعروا بهذا المصير !

قد يقول قائل :

إذا صح هذا الرأي في بعض الناس ، فإنه يشذ عنه الكثيرون الذين يرتعون في أحضان الشهوات ولا يندفعون ، بل لا يفكرون بالخلود !

فأجيب عن هذا الاعتراض :

إننا لو سبرنا غور هؤلاء الأشقياء والتعساء لوجدناهم ، يتحرقون للخلود ويتعشقونه ، ولما ظنوا أنه لا وصول لهم اليه ، أحبوا أن ينسوا واقعهم وينسوا شقاءهم ، فارتموا في كهوف الحانات وعاقروا الخمرة ، ثم غدوا مثلهم مثل الواقع في هوة ويريد الخلاص منهـا فـلا يستطيع بسبب عمقها وانهيار أعصابه .

ونحن لا ننكر على الرغم مما سبق ، ان التربية الخاطئة في البيت والمدرسة والمجتمع كثيراً ما تعبث بالميول الغريزية الصحيحة وتحدث الانحراف في حياة الإنسان ، فيبتعد ـ ولو وقتياً ـ عن هدفه التي خُلق له .

خلاصة رأيي :

إنني أجمل رأيي بالخلاصة التالية :

ان الإنسان في هـذه الحياة يسير وراء غاية ، ويعين سلوكه طلب الخلود . فهو ليس حيوانـاً شهوانياً يندفع بقوة الغريزة الجنسية كما زعم فرويد ، ولا هو رجل قاصر النظر يحرص على الشهرة ويرغب في الزعامة والسيطرة مهما كان الثمن ، كما ادعى آدلر . وهو اذا رغب في ذلك ، فإنما يفعل ذلك لغاية سامية هي :

طلب الخلود !

صحيح ان بعض الناس قد يضلون عن طريق الخلود وينحرفون عن سبيل نشدانه ، كما ضل قدماء المصريين ، فحاولوا تخليد أنفسهم فبنوا الاهرامات!

ولكن ذلك لا يقدح من الفكرة الأساسية .

هذه هي الحقيقة الثابتة ، ولولا الميل إلى حب الخلود ، لوجد الناس جميعاً - وخاصة الملاحدة منهم - ينبذون المثل العليا ويفرون من التضحيات ويرتمون في أحضان الغريزة الجنسية ويتكالبون إلى الزعامة وحب الشهرة مهما كانت الطرق الموصلة اليها .

وقد لمست ظاهرة غريبة ، وأنا أدرس هذا الموضوع ، جعلني أزداد ثقة وايماناً بصحته . وخلاصة هذه الظاهرة ان قريبة لي ُردت الى أرذل العمر كيلا تعلم من بعد علم شيئاً، فتلاشت محاكمتها وذاكرتها الا قليلا، ونسيت أولادها ، ولم تعد تفرق بينهم وبين أسمائهم ، لقد جهلت كل شيء ، إلا أمراً واحداً ، وهي طلبها للخلود على الدوام ، مما يدل على إصالته في الفطرة الإنسانية ، فهي لا تكاد تفتر عن مخاطبة ربها : إلهي اني اسألك الجنة !!

ولعل حرص الإنسان على الزواج والتوالد ورغبته فيمن يخلد ذكره في الحياة الدنيا ، وشعوره بفراغ سحيق في حالات العقم ... هو نتيجة غريزته القوية الى الخلود .

وقد أدرك الشيطان هذا الولع الملح في الإنسان ، فكان من أول ما خاطب به آدم (أبا البشر) لاغرائه بالأكل من الشجرة - كما تتحدث عن ذلك جميع الأديان السماوية - : (هل أدلك على شجرة الخُلد وملك لا يبلى !) إن فكرة الميل للخلود أصيلة في النفوس ، وما فن التحنيط عند قدماء المصريين الا تطبيق لنظرية خلود النفس ، وقد نادى الفيلسوف سقراط مثل غيره من الفلاسفة القدامى بخلود النفس قبل الميلاد بأربعة قروناً تقريباً .

رد اعتراضات :

قد يقول قائل :

إن طلب الخلود ، والرغبة فيه لا يخلو من أنانية !

فأجيب : إن الغيرية مهما سمت ، فلا بد أن تشوبها الأنانية . وإذا صح ما يقوله المعترض فأن طلب الخلود أنانية إيجابية ، أنانية بنّاءة ، أنانية بعيدة الأهداف ، أنانية رامية الى سعادة الآخرين . أنانية واسعة الآفاق لا تحصر غايتها في هذا العالم فقط ، فإن ملكوتها هنا ... وفي عالم آخر . فإذا لم تتحقق سعادتها في ملكوت الأرض لا تتراجع ولا تيأس بل تكد وتكدح من أجل ملكوت السموات .

وقد يقول معترض آخر :

إن ما نسبته إلى الخلود ، ما هو إلا غريزة حب البقاء ، وبذلك لم تأتنا بجديد !

وهذا غير صحيح . فإن هاتين الغريزتين - إذا صح تسمية طلب الخلود غريزة - على طرفي نقيض .

إن غريزة حب البقاء احرص الغرائز على الحياة ، تخشى الموت وتفر من التضحية ، بينما حب الخلود يدفع المرء الى ركوب الأخطار والمجازفة بالحياة نفسها .

وقد يقول معترض ثالث :

إن هذا العالم أصبح - على الغالب - عالم خنازير لا يعرف فيه أهله إلا الانهماك في الشهوات :

عالم زعامة وسيطرة بأي وسيلة كانت ، ولو بإفناء شعوب بكاملها ، حتى غدا هذا الزمن كما وصفه الشاعر :

لله درّ أبيك أي زمان أصبحت فيه، وأي أهل زمان

كل يقاسمك المودة دائباً يعطي ويأخذ منك بالميزان
فإذا رأى رجحان حبة خردل مالت مودته مع الميزان

فأين كل هذا من فكرة حب الخلود التي نقول بها .

فأجيب : كل ما نراه من فساد وضلال وجشع ما هو إلا نتيجة الانحراف عن الفطرة الإنسانية السليمة ، بسبب سوء التربية والتوجيه في البيت والمدرسة والمجتمع وغيرها من المؤسسات والبيئات المتأثرة بالنظريات المادية والاقتصادية ...

وعلى الرغم من كل هذا الفساد والضلال : ما زلنا نسمع ونشاهد صيحات الحق في كل مكان ، وتضحيات من رواد مناضلين ، يهزؤون بالأنانيات ويطؤون بأقدامهم على الشهوات ، ويسخرون بالشهرة والزعامة والثروة ، راجعين الى فطرتهم السليمة الأولى الراغبة في طلب الخلود من أجل حياة أبدية لا يلقاها إلا الذين بذلوا وضحوا ونسوا حظوظ أنفسهم .

ويقول معترض رابع :

إن هذه النظرية لا تتفق مع النظرية العلمية السائدة القائلة بأن الإنسان منحدر عن الحيوانات السفلى قبله كالقردة وغيرها . فمن أين لمثله - والحال هذه - أن تكون لديه غريزة الخلود : ما دامت هذه النظرية تقول : إن الإنسان نشأ من الصدفة والعدم ، والى الفناء والعدم يصير ؟ !

فأجيب :

إن القول بأن الإنسان من القرود وأمثالها ، مما جاء به « داروين » يناقض العلم في العصر الحديث ، واذا استطاع أن يخدع العالم في القرن السابق : فلن يستطيع ذلك في القرن العشرين .

وقد بلغت الردود على نظرية داروين حداً يفوق الحصر ، وأكتفي منها برد أحد علماء الداروينية الحديثة (Neo Darwinism) وهو جوليان هكسلي فقد قال :

« وبعد نظرية داروين لم يعد الإنسان مستطيعاً تجنب اعتبار نفسه حيواناً ، ولكنه بدأ يرى نفسه حيواناً غريباً . وفي حالات كثيرة لا مثيل له . ولا يزال تحليل تفرد الإنسان من الناحية البيولوجية غير تام [1] .

« ويسرد هكسلي » ألواناً من هذا التفرد البيولوجي ، من بينها أنه في الحيوانات كلها ترتبط العضلات بالمخ بنوعين من الأعصاب : أحدهما يتصل بالعضلات القابضة والثاني يتصل بالعضلات الباسطة . ولا يصدر مخ الحيوان إلا نوعاً واحداً من الإشارات في اللحظة الواحدة ، فإما إشارة للعضلات القابضة وإما إشارة للعضلات الباسطة .

« فالكلب إما أن يهرش ، وإما أن يجري في اللحظة الواحدة ، ولا يستطيع أن يهرش ويجري معاً في ذات الوقت .

« أما الإنسان فهو - وحده في هذه الخلائق كلها - يستطيع أن يقوم بأعمال متعارضة في آن واحد ، لأن مخه يستطيع أن ينسق الأعمال المتعارضة [2] . »

ويتحدث « هكسلي » عن « خواص » الإنسان البيولوجية فيقول :

« وأولى خواص الانسان الفذة وأعظمها وضوحاً ، قدرته على التفكير التصويري ، واذا كنت تفضل استخدام عبارات موضوعية ، فقل استخدامه الكلام الواضح ...

« ولقد كان لهذه الخاصية الأساسية في الانسان نتائج كثيرة ، وكان أهمها نمو التقاليد المتزايدة .

« ومن أهم نتائج تزايد التقاليد - أو إذا شئت - من أهم مظاهره الحقيقية ما يقوم به الإنسان من تحسين فيما لديه من عدد وآلات ...

---

(١) جوليان هكسلي - الانسان في العالم الحديث - ص ٣

(٢) المصدر السابق ص ٢٧ - ٣١ .

« وإن التفاليد والعدد لهي الخواص التي هيأت للإنسان مركز السيادة بين الكائنات الحية . وهـذه السيادة البيولوجية في الوقت الحاضر خاصية أخرى من خواص الإنسان الفذة . ولم يتكاثر الانسان فحسب ، بل تطور ، ومدّ نفوذه ، وزاد تنوع سبله في الحياة .

ثم يقول هكسلي :

« وهكذا يضع علم الحياة الإنسان في مركز مماثل لما انعم عليه كسيد المخلوقات ، كما تقول الأديان » .

« ... وأخيراً فإن الانسان لا مثيل له بين الحيوانات الراقية في طريقة تطوره [1] » .

هذا ـ وكما قلنا سابقاً عن نظرية فرويد ، نقول عن نظرية دارون بأنها لا أخلاقية ولا انسانية . وقد استثمرتها الصهيونية العالمية لحاربة الاخلاق ونشر الانحلال ما دامت بطبيعتها تنكر [2] الإله .

تقول « بروكلات حكماء صهيون » :

لقد رتبنا نجاح داروين وماركس ونيتشه بالترويج لأرائهم ، وإن الأثر الهدام للأخلاق التي تنشئه علومهم في الفكر غير اليهودي واضح لنا بكل تأكيد [3] » .

---

(١) المصدر السابق مقتطفات ص ٣ - ٦ وقد نقلنا كل ذلك من كتاب جاهلية القرن القرن العشرين للأستاذ محمد قطب ص ٩٤ ـ ٩٥ .

(٢) لم يكن داروين يتصور أن تؤدي نظريته الى انكار الإله ، فقد كان من المؤمنين ، وإذا قال بالتطور ، فهو يعتقد بأنه لا بدّ أن ذلك بتدبير إلهي . وقد دفن بالكنيسة في لندن ؟

(٣) ومما يؤسف له أنه على الرغم من ثبوت خطا وضلال لنظريتي داروين وفرويد ، فانهما لا يزالان يدرسان في معاهدنا وجامعاتنا كحقيقة ثابتة . وقد رأينا فيما سلف رأي العلماء فيهما ومطاردة الاتحاد السوفياتي وموقف الولايات المتحدة الأمريكية من نظرية فرويد . فهل هنا مخطط مدروس لمحاربة أخلاقنا وانحلال شبابنا ؟ !

قال الفيلسوف إقبال : ان نظرية التطور أورثت العالم الحديث اليأس والحيرة بدلاً من التحمس للحياة في أمل ورجاء . والسبب في هذا هو الفرض الحديث الذي لا مبرر له ، من أن تركيب الإنسان الحاضر سواء أكان عقلياً أم فيسيولوجياً هو خاتمه المطاف للتطور البيولوجي ، وإن الموت من حيث هو حدث بيولوجي ليس فيه أي معنى من معاني البناء . وعالمنا اليوم مفتقر الى (مجدد) يبعث فيه قبساً من الأمل والرجاء ، ويشعل فيه نار التحمس للحياة [1] » .

ويقول معترض خامس :

إن هذا الرأي القائم على فكرة الخلود والأبدية ، مؤسس على ما وراء الطبيعة ، فلم يعد قبوله سائغاً !

فأجيب :

لا أود أن أتولى الرد على هذا الاعتراض من عند نفسي ، كيلا أتهم بالتحيز ، وخاصة وان المعترض يُعبر عن فكرة الكثيرين من الباحثين ، لذا فإني أكتفي بنقل آراء كبار الفلاسفة والعلماء في الإجابة عن هذا الاعتراض الذي كثيراً ما ردّ الآراء والنظريات الصحيحة . وقد ظهرت اليوم سخافته وأثره في انتشار الفساد في العالم .

جاء في كتاب « أزمة الإنسان الحديث » .

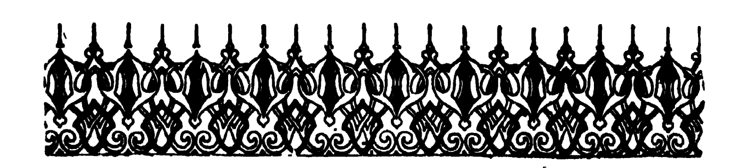
لقد اتفق توينبي (المؤرخ الحضاري المعاصر) وجاك ماريتان (الفيلسوف) في أن المجتمع الحر (الليبرالي) يظل قلقاً ما دام يقيم اعتقاده الخلقي على أسس علمانية [1] !! .

(يتبع) محمود مهدي استانبولي

---

(١) تجديد التفكير الديني في الإسلام ص ١٣٩ .

(٢) نقلاً عن المصدر المذكور ص ١٩٨ وهو تاليف تشارلز فرنكل وترجمة الدكتور نهولا زيادة ،



أقباس من بدر (*)

للأستاذ رشيد عالي جاسم

... بنفس خاشعة ، وبقلب بهرته عظمة الليلة ؛ وبلسان أعجزته أنوار الذكرى ، ذكرى هذه المناسبة العطرة المعطاء ؛ أتقدم بين يديكم لأعبر عما يجول بخاطري تجاهها ...

وأول مايتبادرُ إلى ذهني قولهُ ، هو أني احسُ بالغرابة . . . غرابةٌ تسيطر على شعوري وتطفو على أفق احساسي فتجعلني أتذوق طعم المرارة والحسرة في كل كلمة أُخرجها ... الغرابة ليست في الذكرى يا اخوتي ، فالذكرى عزيزة على نفس كل مسلم .... الغرابةُ في أن المناسبة تمر بنا دون ان نتزودَ منها بالعظات والعبر التي تعيننُا على محاسبة أنفسنا ووزن أعمالنا في ماضينا وحاضرنا لنعرف مالنا وما علينا عمله .

لقد اعتدنا في كل سنة أن نقيمَ مثل هذه الاحتفالات واعتاد الناس أن يحضروها ليستمعوا الى مقالاتٍ وقصائد فيصفقوا لقائليها ويلهجوا بذكر منشديها ... وبعد سويعات يخرجون كل الى مكانه ليواصلوا أيام حياتهم وكأن شيئاً لم يكن . . . وإذا كان هدفنُا من إقامة هـذه الاحتفالات

(★) من كلمات حفلة في ذكرى بدر .

لنستمع ونصفق دون أن يؤثر مانسمعه من كلام فيُترجم الى سلوك نصلح به شأننا ونتدبرَ به أمورنا ؟ فلا أرى أي فائدةٍ ترجى من كل ما يُقال ويُسمع ! ! . .

لم يكن المسلمونَ في أول عهودهم يقيمونَ احتفالاً أو مهرجاناً لأنهم وبكل بساطة كانوا يعيشون احـداثهم ويعرفون مالهم وما عليهم دون التصفيق وقضاء الوقت والتسلية . فلنرشح أنفسَنا منذ الآن لسوء المصير !

أيها الإخوة ! أعمارُنا قصيرة ... وهي ان طالتْ وان قصرت فلا بد لها من نهاية ولا بد للانسان ان يذهبَ يوماً ما إلى قبره فيحاسب على كل صغيرة وكبيرة قام بها وعملها في حياته ... (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وحضوركم هـذا الاحتفال واستماعكم الى هذه الكلمات جزء من حياتكم . . . أنتم مسؤولون عنها وستحاسبون حساباً عسيراً عليها ... إن عملتم خيراً فلأنفسكم وان شراً فعليها ... فلماذا لا تغتنمون الفرصة ؟ لماذا لاتستفيدون من هذه اللحظات وهي من أعماركم وأنتم محاسبون عليها ؟

قد تقولون ماذا نعمل ؟ وكيف نعوض وأعمـارنا ملئت بالرزايا والذنوب ؟ لا اخوتي ... لا داعي لليأس والتشاؤم ... فالله سبحانه وتعالى يبشرُ عباده القانطين بقوله « قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً .. » الآية ولحظـاتْ حياتنا الماضية ان مرت دون ان نستفيد منها فليس معنى هذا ان نهدر لحظات حاضرنا ومستقبلنا .

لنَجعل صلاتَنا وعبادتنا بخشوع ... لانجعل صلاتنا كأنها احمالٌ ثقيلة علينا نؤديها مسرعين كما تؤدي الآلة وظيفتها . . لنتدبر معنى الصلاة .. لنقف متأدبين بين يدي خالقنا ولنترك كل همومنا ومشاغلنا خارج المسجد

عندما ندخله لنستطيع ان نؤدي الصلاة حقها ... لنعلّم ابناءنا واخوتنا الصلاة ولنصحبهم معنا الى المساجد فترودهم عليها كفيلٌ باشغالهم عن الفراغ الذي يقضونه فيما لا طائل وراءه من تسلية ... لنكن موجهين لهم ، نقصُ عليهم من قصص الصالحين والأنبياء مايملأ حياتهم بالثقة ... لنجعل الاخلاص رائدَنا في عملنا ... قد لايقدّر رئيسنا في العمل إخلاصنا وقد نلاقي الأمرين من مرؤوسينا ومن الناس ، ولكن لنتذكر ان تقدير اعمالنا إنما هو بيد الله الذي يزنُ أعمالنا واخلاصَنا ..

لتكن معاملتُنا للناس بروح صافية مسلمة مستقيمة ... لتكن علاقتنا بهم طيبة ... لنجعل الصدق والمحبة رائدنا ولا نتعلل بأن الصادق والمخلص لامكان له في هـــذا المجتمع ... فأنت لاتعمل للناس ... أنت تعمل لحياتك ... وحياتك بكل لحظاتها مسؤول عنها بعد مماتك ... ذلك هو مايجب ان تخشاه ... أما ان تخشى الناسَ واقاويلَ الناس فتدوس بهذا على كل نسمة إخلاص أو ضمير ، فذلك مالا يفهمُه أي إنسان !

لتكن معاملتُنا لأقربائنا قائمة على أساس التراحم والبرّ ... لنبتعد دائمًا عن النفاق الاجتماعي المنتشر في أيامنا ... لنحارب العادات والمبادىء الوافدة بروح مستنيرة بهدى الاسلام لا بروح متعصبة حاقدة سوداء ... عندما نحارب فكرة ما يجب أن نعرف لماذا نحاربُها ؟

ليفهم الشباب ان الحرية لاتعني الإباحية والفوضى وضرب القيم الاسلامية عرض الحائط فذلك ما يأباه كل منصف متجرد ...

اخوتي الأفاضل ...

أرى اني استطردتُ فخرجتُ عن الموضوع الذي جئتُ أحاضركم به ولكني لم أردْ من ذلك الا تبصرتكم فيما يحيطُ بكم من مشاكلْ ...

ومعاذَ الله أن أعلمكم كيفية حل تلك المشاكل فأنتم ابصرُ مني بها . .
إنما أردتُ تذكرها وتشخيصها لنضع يدنا على دوائها الشافي وبلسمها المريح
وذلك هو الإسلام . . . فالإسلامُ دينُ ضمير . . . دين سلوكٌ قبل ان
يكون دين عبادات . . . فإذا ماحكم الفرد ضميره في كل عمل أتاه
واتقى الله به وخـــاف معصيتهُ ورجا رحمتهُ فلا مشـاكل هناك ولا
تردُد . . . فضميرُ الفرد هنا هو تقواهُ وخوفه من عذاب ربهِ وطمعهُ
في مرضاتهِ . . .

اخوتي وأحبائي :

نسمع كثيراً من علماء التربية قولهم « بأن التعلم تبدل في سلوك الإنسان
نحو الأفضل » فماذا الذي تعلمناه من بدر ... معركةُ الحق الخالدة والدرة
اللامعة في تاريخ الإسلام . . .

لقد تعلمنا منها معاني يجبُ أن نستفيدَ منها في حياتنا لنخرج من
هذا الاحتفال بنتيجة مربحة :

أولُ ماتعلمناهُ هو الجهادْ : فقد كان رسولُ الله ﷺ يُمدُّ أصحابه
للقتال دائماً ويعلمُ ان يومَ التقائه بقريشٍ ليس ببعيد ...

وتعلمنا من بدر الثبات على المبدأ والعقيدة : فقد خرج رسولُ الله
ﷺ ومَنْ معه ليتصدوا لقافلةِ قريشْ فلما غيرت طريقها ونجت منهم لم
يرجعوا الى المدينة ... فهم لم يخرجوا لمغنم مادي أو هدف دنيوي وفي
ذلك أكبر ردٍ على المتشككين !

ثبتَ المسلمون في بدرٍ وهم يعلمون انهم قلة وان قوات الكفر تعادلُ
عددهم ثلاث مرات ، نرى هذا الثبات في قول المقداد بن عمر للرسول
وهم قاب قوسين أو أدنى من المعركة « يا رسول الله ! امضِ لما أمرك

الله فنحن معك ؟ والله لانقول كما قال بنو اسرائيل لموسى : إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون » ونلمح هذا الثبات أيضاً في قول سعد بن معاذ: « لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ماجئت به هو الحق فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ماتخلف منا رجل واحد فسر على بركة الله » .

وتعلمنا من بدر الشورى : فلقد عسكر جيش المسلمين في مكان واطيء من بدر فجاء الحباب بن المنذر إلى رسول الله فقال « أرأيت هذا المنزل ، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال « بل هو الرأي والحرب والمكيدة » قال الحباب « يارسول الله . فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزل به ثم نغور (اي نهدم) ماوراءه من الآبار ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماءً ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون » .

ولم يتردد الرسول في أخذ هذا الرأي الصائب ، فما حل نصف الليل حتى تحول المسلمون إلى معسكرهم الجديد وامتلكوا مواقع الماء ... فلم يكن الرسول ليستبد برأيه بل كان يشاور اصحابه في كل الأمور ذات الرأي .

وتعلمنا من بدر الوحدة : فلقد كان المسلمون قلباً واحداً ورجلاً واحداً ... يعرفون لماذا جاؤوا وفي سبيل اي شيء يحاربون ... بينما نرى اختلاف المشركين في اهدافهم من معركة بدر ... فهم لم يعسكروا إلا ليظهروا للمسلمين قوتهم ولينحروا الذبائح وليرقصوا ... ونرى روحهم المعنوية منهارة حتى لقد هموا بالرجوع خوفاً من تلك الفئة القليلة لولا ان حسمهم ابو جهل وعاندهم .

وتعلمنا من بدر التخطيط للحرب : فلقد كان المسلمون يحاربون وفق خطة حربية جديدة لم تألفها دنيا العرب في تلك الفترة ... فلقد نظم الرسول جيشه على نظام الصفوف التي تثبت في مكانها حتى يقترب منها العدو فتحمل عليه دون أن تبعثر نظام الصف ... بينما كان المشركون يقاتلون وفق طريقة الكر والفر المتعبة لنشاطهم .

وكانت كلمة التعارف بين المسلمين . . . أحد ... أحد ... وهكذا دخل المسلمون المعركة الخالدة صباح الجمعة الموافق للسابع عشر من رمضان للسنة الثانية للهجرة ...

وتعلمنا من بدر حب العقيدة وتغليبها على كل ماسواها : فقد كان الأخ من المسلمين يلتقي بأخيه في صفوف الكافرين فما كانت رابطةُ الدم لتمنعهُ من قتاله وقتله ... بل التقى الوالد بولده والولدُ بوالده ... فمعركة العقيدة لم تكن تعرفُ سوى التضحية بكل شيء ...

وابتدأتْ المعركةُ فخرج الأسود المخزومي من المشركين يريدُ حوض الماء الذي امتلكه المسلمون فتصدى له حمزةَ بن عبد المطلب فضربه ضربة أطارت نصف ساقه . . . ولكنه زحف الى الحوضِ مرة أخرى فأجهز الحمزةُ عليه ...

ووقف المسلمون وجهاً لوجه أمام اخوانهم وعشيرتهم وأبناء عمومتهم الذين كانوا في صفوف الكفار . . . وبعد لحظة برز من المشركين عتبةُ وشيبةُ ابنا ربيعة والوليد بنُ الحارث وحمزةُ وعلي بن أبي طالب ... فوالله مادامت المعـــركة إلا فترة قليلة حتى قتل عليٌ وحمزةُ صاحبيهما وانثنيا إلى عبيدة فساعداه على قتل عتبة لأن صاحبها كان مجروحاً ..

وصعق المشركون لما رأوا . . . أربعة من صناديد فرسانهم يُقتلون دفعة واحدة ؟ ؟ . . ماالذي ينتظرونه إذاً ؟ . ولم تك إلا لحظة واحدة حتى هجم المشركون مرة واحدة على المسلمين وهم يَزْعَقون ويصرَخون

فاستقبلهم جنودُ الله وعلى شفاههم كلمةُ الله أكبر ... أحد ... أحد ! .

وهكذا احتدمتْ المعركةُ بين الحق والباطل فلم تكن تسمعُ إلا صليل السيوف وتكسر الرماح وصراخ المحاربين وأنين الجرحى والمقتولين ..

ولم تدم المعركة طويلاً ... لقد امتلأت أفئدة المشركين رعباً لما رأت من شجاعة المسلمين وثباتهم واستبسالهم .. فما هي إلا ساعات حتى ولوا الأدبار لايلوون على شيء بعد أن فقدوا قادتهم ! فارتفعت صيحة الرسول القائد أن « شدوا عليهم » ... فطاردوهم حتى أبعد مكان ..

وانجلتْ المعركة عن استشهاد أربعة عشر مسلماً ومقتل سبعين مشركاً وأسر سبعين أيضاً ..

وتعلمنا من معركة بدرٍ المعاملة الإنسانية للأسرى والجرحى : فلقد كان المسلمون بعد المعركة يمنون بالجرحى ويحسنون معاملة الأسرى ... عرضوا عليهم افتداء أنفسهم أو تعليم عشرة صبيان من المدينة ... ولم يُهينوا أحداً منهم أو يحقروهم حتى لقد دخل قسم منهم في الإسلام نتيجة لذلك ... بل احترموا جثث المشركين فدفنوها ولم يتركوها في العراء ..

وبعد ... اخوتي الأفاضل ... فما أكثر الدروس التي تعلمناها والتي سنتعلمها من بدر ... وخيرُ تلك الدروس أن نترجم معانيها وأهدافها إلى أفعالٍ باقتدائنا بأخلاق وآداب رسولنا قائدها، فنطرد مايُقال عنا بأنا « أمةٌ قوالةٌ ... أعمالها لاتخرج عن طرف لسانها » .

وفقني اللهُ وإياكم لما فيه سعادةُ الدارين ... وجمعني معكم في حب سيد المرسلين .

وأضرع إلى الله أن تكونوا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، والسلام عليكم ورحمة الله .

العراق ـ بعقوبة : رشيد عالي جاسم

لحم الخنزير

للأستاذين احمد ياسر نصري وشاهين شاهين باشا

كثيراً مايفتري بعض أعداء الإسلام على النبي العربي محمد عليه الصلاة والسلام جهلا ، ويعترضون ـ فيما يعترضون ـ على تحريم أكل لحم الخنزير رغم أن اليهود أيضاً لايأكلون هذا اللحم كما سمعت .

لقد كلفت الأخ المهندس الزراعي السيد شاهين شاهين باشا أن يترجم هذا المقال عن كتاب انكليزي يبحث عن الأغذية طبع عام ١٩٥٩ للمرة الخمسين ، فلبى الطلب مشكوراً ، وقد نسخت هاتين الصورتين عن صفحات الكتاب والمقال المذكور للديدان المسببة لمرض التريشينوز الموجودة في لحم الخنزير المصاب ، ليطلع المسلمون على أسباب تحريم لحم الخنزير في القرآن الكريم ، حسب ما حقق ذلك علماء الغرب بالدليل والصور والتشريح :

من معجزات القرآن :

قال تعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ... »

أخطر الديدان الثعبانية التي تقتل الإنسان توجد في لحم الخنزير والجرذان والكلاب والثعالب ... آكلة اللحوم .

هل درس محمد ﷺ في جامعة اوكسفورد وعرف التريشينوز قبل ١٣٨٠ عاماً ؟

دودة تريشيفيلا سبيراليس : تسبب مرض التريشينوز الوبيل للانسان وهي من الديدان الثعبانية ذات الخطر ، السريعة التكاثر ، وقد اكتشفها عالم

انكليزي في مستشفى لندن عـام ١٨٣٤ على شكل حبة شعير في جسم الإنسان ، وقد انكب اوفن على دراسة ادوار اصابة جسم الانسان بهذه الدودة الخطيرة التي تسبب مرض التريشينوز .

وكان لاكتشاف هذا المرض في ذلك الحين صـدى عظيم ، ولكن الإصابة به كانت نادرة في بريطانيا ، ولكن حدث أن انتشرت الإصابة بهذا الداء على شكل وباء منذ مدة قريبة (المسمى مرض التريشينوز) .

وكثيراً ما كان يلتبس على المشتغلين بالطب تشخيص الإصـابة بمرض التريشينوز فيشخصونه خطأ بأنه مرض الروماتيزما العضلية المنتشرة بكثرة في انكلترا آنذاك .

وبعد التدقيق ظهر أن ٥ – ٦٠٠ اصـابة بمرض التريشينوز ، كانت بسبب أكل لحم الخنزير نيئاً على شكل شطائر (ساندويش) .

وقديماً كان هذا المرض الوبيل محصوراً في الولايات المتحدة والمانيا – ثم انتشر بانتشار لحم الخنزير — .

أين توجد دودة التريشين اللولبية ؟ غالباً ما يكون مركز الدودة الطبيعي في الأمعاء (بسبب دخول بيوض ومكيسات الديدان مع الطعام من لحم الحيوان المصاب وبتأثير حامض كلور ماء عصارة المعدة على غشاء الديدان والبيوض الكلسي تنقف البيوض وتتحرر الأجنة في الأمعاء الدقيقة وتتسرب هذه الدويدات الصغيرة من الأمعاء الدقيقة بواسطة الشرايين في مجرى الدم الى العضلات فتتركز فيها ، ثم تنتقل العدوى لكل من يأكل لحم الخنزير .

ماهي الحيوانات التي تصاب بهذا المرض الخطير ؟

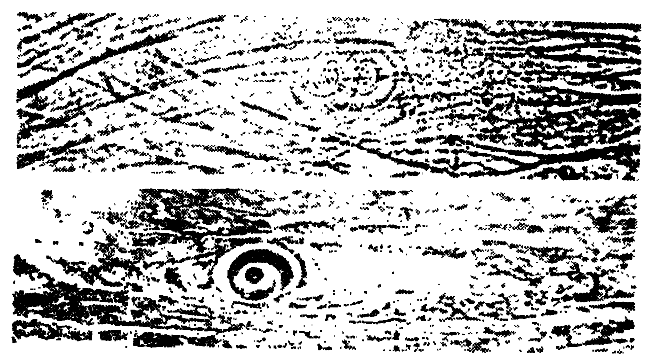
ومن البديهي أن يكون أول المصابين بهذا المرض الحيوانات أكلة

اللحوم المصابة بالديدان ومنها الحيوان الناطق (الإنسان) والخنزير والجرذان والثعالب والكلاب (السباع الجارحة) .

« لهذا يظهر سبب تحريم الميتة والدم الموبوء ولحم الخنزير القذر والحيوانات المفترسة من أكلة اللحوم والجرذان التي تعيش في المراحيض » . ويصاب الإنسان من أكلة لحم الخنزير المصاب بالديدان كما يصاب الخنزير من أكله بعض الجرذان أو بعض فضلات المطابخ التي تحوي لحماً مصاباً كما تصاب الحيوانات المفترسة من أكل حيوانات مصابة بديدان التريشينوز .

وصف الديدان وأدوار حياتها وطرق تكاثر التريشينللا اللولبية :

يبلغ طول التريشينيلا الأنثى $\frac{1}{8}$ من الأينش أي أكثر من ٣ مم ،



صورة الدودة مكبرة

كما يبلغ طول الذكر $\frac{1}{16}$ من الاينش أي نصف طول الدودة الأنثى ، وللذكر في مؤخرته مخلبان يستعملهما في احكام تمسكه بجسم الأنثى أثناء الإخصاب . وليس للأنثى مخالب ولكن جهاز التناسل في الأنثى مكون من كيس المهبل والرحم الذي يمتد على طول جسم الدودة وتنقف البيوض داخل المهبل بعد التلقيح ثم تخرج كأجنة (دويدات دقيقة كالشعرة) من مقدمة الأنثى . وتعيش التريشينيللا في المعاء الدقيقة كما ذكرت

وباستطاعة أنثى التريشينيللا أن تلد عشرة آلاف جنين (دويدة) بعد تلقيحها من الذكر . وتحفر هذا الأجنة ثقوباً في جدار الأمعاء لتسير في الشرايين مع الدم حتى تتركز في أنسجة العضلات .

وقد أحصى بعض العلماء سبعمئة ألف دودة في نصف كيلو غرام فقط من لحم انسان مصاب بمرض التريشينوز الوبيل !

كيف يصاب الإنسان بهذا المرض ؟ عندما يأكل الانسان لحم الخنزير المصاب الحاوي على دود التريشينيلا وهو حي ويصل اللحم الى معدته تتحرر هذه الديدان من أكياسها الكلسية بتأثير حامض كلور الماء الموجود في عصارة معدة الإنسان ــ وعندما تصل إلى الأمعاء الدقيقة تصبح الديدان في طور نضجها الكامل وتنمو الأنثى بشكل سريع ثم يبدأ القران بين الإناث والذكور وبعد الإخصاب تختبيء الإناث في ثنايا طيات الغشاء المخاطي للأمعاء الدقيقة وتنفث بيوضاً مخصبة (ملقحة) ثم لا تلبث هذه البيوض (التي ربما زاد عددها على عشرة آلاف بيضة من أنثى واحدة) أن تنقف عن دويدات شعرية دقيقة وتجري مع الدم في الشرايين إلى العضلات لتستقر فيها وتسبب المرض .

عوارض وآلام المرض المميزة : ماذا يشعر المصاب ؟ بنتيجة نشاط الديدان واستقرارها في عضلات الإنسان الذي أكل لحم خنزير مصاب ؛ تحدث آلام في العضل نفسه كما يحدث تورم وانتفاخ وليونه في العضلات ويشعر المصاب بارتفاع حرارة جسمه وعوارض أخرى لأن أجنة الدويدات الشعرية عندما تصل إلى العضلات تدخل في (الساركونيا) وتلتف حول أنسجة العضلات وتتكور حيث تصنع كيساً صغيراً متطاولاً . ويمكن مشاهدة الأكياس الصغيرة في اللحم المصاب بالعين المجردة . وتكون هذه الأكياس في البدء نقية وشفافة ولكنها تتصلب وتتحجر على مرور الأيام وتتكلس

وتتكيس وتتصلب وتتحجر تماماً بمدة ثمانية أشهر . كما تحجر الدودة نفسها لتحمي نفسها بدرع كاسي وتقاوم الحياة القاسية والحرارة للتعقيم وبهذه الصورة تتمكن من المحافظة على حياتها لسنين عديدة كما تتكلس الدودة بعد موتها .

مدة أدوار حياة الدودة : يمكن لهذه الدورة الخطيرة أن تتم جميع تطور أدوار حياتها بمدة تتراوح بين ١٦ — ٢٠ يوماً فقط لاغير ٣ أيام منها للأنثى لتبلغ طور النضج للتلاقح في الأمعاء الدقيقة و ٧ أيام حضانة البيوض لتنقذف منها الأجنة كما تمضي مدة من ٩ ١٠ لتثقب أغشية المعاء وتتسرب الدويدات خلالها من المعاء في مجرى الدم فتصل إلى العضلات لتتركز فيها قبل أن تتكلس .

أين تتوضع دودة التريشينيلا :

مكان الإصابة بالمصاب ... ثبت أن مكان تركز الدودة المذكورة الرئيسي هو العضلات الجانبية والقوائم والهيكل إذ توجد في هذه المواضع بأعداد كبيرة. كما توجد بدرجة ثانوية في اللسان وعضلات الكتف والبطن والحوالب وتموت هذة الدودة إذا وصلت بسيرها إلى الأنسجة الشحمية (الدهنية) .

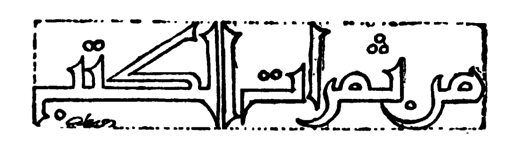
كيف نعرف اللحم المصاب ؟

يمكن ملاحظة وجود هذه الأكياس في اللحم المصاب عندما نشاهد نقاطاً بيضاء متعـــددة في اللحم أو عندما نسمع صوتاً أثناء قطع اللحم المصاب بالسكين إذ أن تلك الأجزاء المصابة المتكلسة تحدث صوتاً حين قطعها بالسكين .

ترجم هذا المقال عن كتاب C. R.A. Martin Practical Food Inspection. طبع للمرة الخمسين عام ١٩٥٩ في لندن (بريطانيا) [١] .

---

(١) المجلة : سبق أن نشرنا في أحد أعوام المجلة مقالاً ترجمه الأستاذ عادل القلقيلي عن الانكليزية عن ضرر لحم الخنزير وعن إصابات عديدة في أمريكا بسبب أكل لحم الخنزير .



من أخلاق النبوة (*)

للأستاذ محمد الغزالي

من الناس من يظهر على صفحة الحياة ، ثم يختفي كالرغوة التي تصنعها الأمواج في عراكها الدائم مع الرياح ..

ومنهم من يزود بقوى أكبر ومواهب أبرز فيمر بالدنيا ثم ينسلخ عنها وقد ترك آثاراً تدل عليه وتحمل طابعه ، تبقى بعده حيناً .. ثم تدركها طبيعة الفناء بعد ايام ، أو أعوام ، أو أجيال ، فتتلاشى وتبيد !!.

تتخلف الآثار عن أصحابها حيناً ويدركها الفناء فتتبع

وهناك طائفة أخرى من الناس طرقت أبواب الوجود ، وانسابت مع تيار الحياة المتجدد ، ولاحقت موكب الزمن المنطلق ، فبقيت على حين فنى غيرها . وما زالت بعد قرون متطاولة على موتها المادي تعيش بيننا ، توجه الأحياء إلى الخير ، وترسم للحائرين المنهج وكأن فكرها الثاقب وقلبها الخافق وصوتها الجهير لم يتعد عليه البلى وتطويه جنادل القبور ..

أحق الناس بالذكر من هؤلاء رسل الله الذين يبلغون رسالات الله ، ويخشونه ، ولا يخشون أحداً إلا الله ، وأحق أولئك جميعاً بأن ندرس حياته ونترسم خطاه ، ونتعلم عنه ونتبع هداه ، صاحب لواء الحمد وجماع عرا المجد ، محمد بن عبد الله !! إن هذا الاسم الكريم « محمداً » لم يصبح علماً على شخص ولد في سنة معينة ودرج في بلد معين ، بل أصبح حقيقة من حقائق الخير السارية في الأزمنة على تواليها والأمكنة على تغايرها ، فما تختص

(*) (في موكب الدعوة) ص ٧٠ ـ ٧٤

به عصر دون عصر ، وما تنفرد به عاصمة دون عاصمة . لقد أصبح عنواناً على المثل التي تصنعها الخيالات ويستهدفها كل سائر إلى الكمال . ولئن كان علماء الأخلاق يرون « المثل الأعلى » الذي يجري الإنسان نحوه وهو يبتغي العلو .. وهما ، فنحن ندعو صانعي الأوهام لأنفسهم أن يرمقوا سيرة هذا الإنسان الجليل « محمد بن عبد الله » ليروا كيف تجمعت المثل العليا للشجاعة ، والكرم ، والبر ، والإخلاص ، والصبر ، والكفاح . . كيف تجمعت هذه المثل في مثال واحد نفخ الله فيه من روحه فجعله بشراً سوياً ، ورسولاً نبياً . . . ويوم تتعلق العيون بهذا المثل الحي وتحاول التأسي به ، والنسج على منواله ، فإنا موقنون بأن العالم يكون قد اكتشف في عالم الأخلاق قوة أفعل وأزكى أثراً من قوة الكهرباء في عالم الطبيعة .

وعندي أن العنصر الأصيل في عظمة « محمد » هو الرحمة ، الرحمة التي تجعل الإنسان يرق للناس أجمعين ، بل يرق لكل ذي كبد رطبة ، والتي تجعله يتصل بالحياة وفي نفسه عواطف غامرة من الشوق والرغبة والسلام . فهو لين الجانب لمن حوله . سليم الصدر لمن خاصمه . يتمنى عودته وأوبته أكثر مما يرجو تأنيبه وعقوبته . وقد مضت سنة العظمة في خلال الكرام على هذا النسق السمح ، وقديماً قال عنترة :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ... ولا ينال العلا من طبعه الغضب

وقد كان محمد رسول الله جياش الفؤاد بهذه الرحمة السامية النبيلة ، فكان إذا عرض الهداية على رجل فرفضها ثم تجهم لصاحبها وأدبر معرضاً عنها كان النبي الكريم ينظر إلى هذا الشقي الفار عن الخير ، نظرة الوالد الرفيق إلى العاق الذي آثر العوج على الاستقامة . أي أن أساه لغباوة ابنه أكثر من غضبه لصدوده عن الحق . وقد طالت أحزان الرسول لجهالات الناس حتى خشي منها على نفسه وعلى رقة فؤاده وإرهاف حسه فقال الله له « فلعلك باخع

نفسك على آثارهم أن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » ومع أن القرآن تهدّد هؤلاء الأجلاف العاقين لأبر الناس بهم « طسم . تلك آيات الكتاب المبين . لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين . إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين » .

لكن هذا التهديد لما أوشك أن يتحول إلى لعنة ماحقة بعد ما آذى المشركون نبيهم واستباحوا دمه وقتلوا أصحابه في غزوة أحد وعرض على النبي أن ينتقم منهم قال : « اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون » .

وقد أشاد القرآن بهذا الخلق العظيم في شمائل صاحب الرسالة ، فأبان للناس كيف أن عنتهم يعز عليه ، وكيف أنه متشبث بهم حريص عليهم بالمؤمنين رؤوف رحيم . وهذا المعين الذي لا ينضب من الرحمة المطبوعة والبر العميق بالناس ، هو الذي جعل الرسول موطأ الاكناف لصنوف من الأتباع تتباين أمزجتهم وخلائقهم وتتفاوت طباعهم ومسالكهم ، فهو يهش لحاضرهم ويتفقد غائبهم ويفرح لسرورهم ويبكي لأحزانهم ويعيش مع كل أمرىء منهم وكأنه له صديق العمر .

وهذه الدعامة المكينة لا بد منها في بناء كل عظمة إنسانية صحيحة ولذلك يقول الله تعالى « فبما رحمةٍ من الله لِنْتَ لهم ، ولو كنتَ فظاً غليظَ القلب لانفضّوا من حولِك » .

وعنصر الرحمة الغالبة لا يعني إن صاحب الرسالة لا يغضب ويقاتل . كلا . فإن أحوال الدنيا وأغلاط الناس توجب على الإنسان أن يقف أحياناً مواقف لا بد منها لحماية مثله وفضائله .

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

والرحيم حين يقسو كالمحب حين يغضب ، فغيرته على عاطفته وتوجسه ممن يريدون مصادرته ومصادرتها ، ذاك هو الذي يجعله يتوجس ويهتاج .

وفارق كبير بين هذه النفوس الخيرة وبين ذوي الطبائع الشرسة الحقود . التي تسعى وراء الشر ، وتتوق إلى حوك المكايد وتأجيج العداوات ، وترى لذاذتها في الدم المسفوك ، والعبرات المراقة ، والوجوه الساهمة .

وكم في الدنيا من مساعر حروب ومشاعل فتنة . ولكن رسل الله أجمعين وحواريهم الأمناء أبعد الناس عن هذه الميادين الخسيسة .

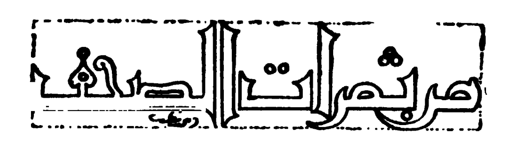
إنهم إذا بغضوا أبغضوا لله ولدينهم . فهم يكرهون الجريمة في المجرم والكفر في الكافر ،وما يقاتلون هذا وذاك إلا باعتبارهم ممثلين للجريمة والكفر ـ فليست كراهة شخصية ـ وهذا هو الفارق بين الحرب التي يوقدها المسلمون لله ، وبين الحرب التي يشنها غيرهم جهالة وعمى ، لا لشيء ، إلا لأنهم « خرجوا من ديارهم بَطَراً وَرِئَاءَ الناس ويصدُّون عن سبيل الله » .

والشدة على الكفر مصدرها حينئذ الغيرة على الإيمان ،و السعي لصيانته من العابثين والملحدين. ولذلك وصف الله النبي وصحابته بالوصفين معاً فقال « محمد رسول الله ، والذين معه أشداءُ على الكفار رحماءُ بينهم » وقال « فسوف يأتي الله بقوم يُحبُّهم ويحبُّونه ، أذلةٍ على المؤمنين أعِزَّةٍ على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومةَ لائم » .

فعلى المدافعين عن الإسلام في هذا العصر أن يشيدوا أخلاقهم أول الأمر على الرحمة الشاملة . فإذا الجأتهم سيئات الناس الى النفير فآخر الدواء الكيّ . وقد كان رسول الله يقول « لا تتمنوا لقاء العدو ، فإذا لقيتم فاثبتوا . . » .

وقال الشاعر :

ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ... ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويمي فإني مقوم ... ومن شاء تعويجي فإني معوج



يوم أحد (*)

قال الله تعالى « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون . منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين » من سورة آل عمران .

في عام يحتفل المسلمون في شهر رمضان المبارك باليوم السابع عشر منه لأنه يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ببدر ، يوم انتصار الحق على الباطل . وهم في ذلك محقون فإنه يوم انتصف فيه المسلمون من أعدائهم وهابتهم الجزيرة العربية واستطاعوا بعد ذلك أن ينشروا دينهم ويرفعوا رايتهم ويبلغوا دعوتهم في كل ناحية من غير خوف ولا وجل . رحم الله شهداء بدر ورضي عنهم ، وجزى أهل بدر عامة عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

ولكن ما بال يوم أحد لا يأخذ منا اهتماماً ولا التفاتاً وهو يوم جدير بالاهتمام به والبحث عن أثره لأن فيه درساً كان أثره على الإسلام والمسلمين أجدى وأنفع من فرحة النصر وسرور الغلبة . وإلى القارىء الكريم نبذة من ذكرياته العطرة ودروسه النافعة بمناسبة شهر شوال المبارك فقد عز على المشركين ما أصابهم في رؤسائهم وصناديدهم يوم بدر الكبرى في السنة الثانية من

(*) عن (الاعتصام) الزاهرة ، عدد شوال ١٣٨٦ ، والكلمة للأستاذ الشيخ مصطفى مجاهد (رئيس قسم الفقه المقارن) .

الهجرة فتركوا غيرهم في دار الندوى ولم يقسموها على أربابها لاشتغالهم بالنياحة والبكاء على ضحاياهم في بدر ، ثم بدا لهم أن يقسموا رؤوس الأموال فقط على أربابها ، ويجعلوا ربح العير لتجهيز جيش يأخذ بالثأر من رسول الله ﷺ وأصحابه ، وكان ربح العير قرابة عشرة آلاف دينار وهو مبلغ ليس باليسير يمول جيشاً كان قوامه ثلاثة آلاف مقاتل فيهم مائة فارس وسبعمائة دارع عدا من كان معهم من نساء أشرافهم اللاتي يقمن بتحميس الجيش وإثارة الحفيظة والحقد بما ينشدنه من أشعار في تأبين قتلاهم ببدر . وهذا من معهم من الموالي والعبيد الذين يقومون على خدمة الجيش الثري المترفه ، وكان معهم يومئذ المغنيات وآلات اللهو وما لذ وطاب من مأكل ومشرب وخمر ، ولقد كتب بذلك إلى رسول الله ﷺ ، عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قريش .

فلما وصل الخبر إلى رسول الله ﷺ استشار أصحابه فيما يرون ويختارون فكان رأي كبار الأنصار مع رأي رسول الله ﷺ أن يظلوا بالمدينة فإذا جاء جيش المشركين واقتحمها عليهم قاموا بصده في الطرقات بسيوفهم وقامت النساء والصبيان بالقاء الحجارة عليهم ، من فوق البيوت ، ولقد قال كثير من الأنصار : والله يارسول الله ما اقتحمها علينا عدو إلا نلنا منهم . ولكن الشباب الثائر ومعه من لم يحضروا بدراً كانوا يتحرقون شوقاً إلى لقاء العدو والى الشهادة في سبيل الله وكانوا كثيرين فمالوا الى الخروج للقاء العدو خارج المدينة كي لا يظن بهم جبناً أو خوفاً بسبب استعدادهم الذي أعدوه عاماً كاملا ، فرأى رسول الله ﷺ النزول على رأي الأكثر تنفيذاً لمبدأ الشورى وترجيحاً لرأي الأكثرية فنادى منادي رسول الله في المدينة . إن رسول الله ﷺ سيخرج للقاء العدو على الجهاد في سبيل الله يارجال الله فنشط كل من وجد أهبة للخروج حتى إن حنظلة بن أبي عامر الراهب من الأوس خرج معهم صبيحة دخوله على عروسه ولم يغتسل من جنابة مخافة

أن يفوته السير مع الجيش ، وكان رضي الله عنه زوجاً لجميلة بنت عبد الله ابن أبي سلول رأس المنافقين وهنا نقول : صدق الله العظيم « يخرج الحي من الميت » فهذان الصحابيان الجليلان أخرجهما الله عز وجل من صلبي أعدى أعداء الإسلام (ابن سلول ، وأبي عامر الراهب) .

وبعد أن تم خروج المسلمين أقبل بعضهم على بعض يتلاومون ويقولون : أكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج فردوا الأمر إليه فإن رأى الرجوع والبقاء في المدينة فاتبعوه . فلما خوطب ﷺ في ذلك قال « ما كان لنبي أن يرجع بعد أن لبس لأمته (عدة الحرب) » ، وقد رأى رسول الله ﷺ بعض اليهود قد خرجوا معه فسأل عنهم : ما شأنهم ؟ . فقيل له : هؤلاء حلفاء لعبد الله بن أبي وقد خرجوا وفاء بعهدهم له . فقال « لا نستعين بكافر فردوهم » فغضب عبد الله بن أبي لذلك فرجع بثلثمائة مقاتل كانوا في الجيش وبقيت البقية الصادقة مع رسول الله ﷺ وكانو سبعمائة .

سار الجيش يوم الثلاثاء الحادي عشر من شهر شوال من السنة الثالثة من الهجرة إلى أن وصلوا إلى أحد فوجدوا جيش المشركين قد نزل خلف الجبل وعنده كانت الموقعة ،وكانت في اليوم الخامس عشر من شهر شوال، وقد بدأت المعركة بمبارزة طلبها المشركون من المسلمين فخف لهم أسود من المهاجرين كتب الله لهم الغلبة على مبارزيهم من المشركين فقتل حامل اللواء منهم وأخواه وأولاده الأربعة وكان حامل اللواء طلحة بن أبي طلحت العبدي من المشركين ، وقد نظم الرسول الكريم جيشه في غزوة أحد على نحو يتفق مع أرض المعركة فوضع خمسين رامياً فوق جبل صغير أسند المسلمون ظهورهم إليه وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم بذلك . فإن رايتمونا انتصرنا فإياكم ومغادرة الجبل وإن رأيتمونا هزمنا فلا تبرحوا الجبل فنحن بخير إن شاء الله ما دمتم ثابتين مكانكم ، اللهم إني أشهدك

على ما امرتهم به . وقد أمر عليهم عبد الله بن جبير بن النعمان الأوسي الأنصاري .

فلما التحم الجيشان بعد المبارزة أيد الله المسلمين بروح من عنده فكانت لهم الغلبة على أعدائهم وتم لهم النصر وانكشف المشركون مع كثرة عددهم ووفرة عنادهم وصراخ نسائهم وكثرة مؤنتهم — وفاء بوعد الله ، وتحقيقاً لما كتبه على نفسه من نصر أوليائه وتأييد حزبه « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » « وإن جندنا لهم الغالبون » .

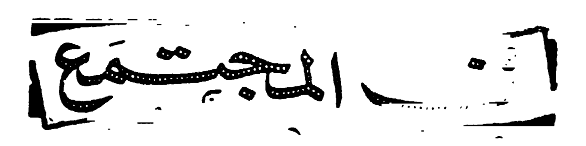
وهنا أقبل المقاتلون مع رسول الله ﷺ على جيش المشركين يقتلون ويأسرون ويغنمون والرماة فوق الجبل ينظرون ويتلمظون شوقاً إلى المال الزائل والحطام الفاني فقالوا لأميرهم عبد الله بن جبير : قد انتهت المعركة وتم النصر لنا على أعدائنا والقوم يملؤون أيديهم من الغنائم فأذن لنا أن ننزل عن الجبل لنأخذ كما يأخذون ونغنم كما يغنمون . فقال لهم أميرهم . لا تنسوا أمر رسول الله ﷺ وميثاقه الذي واثقكم به وعهده الذي أخذه عليكم أن لا تبرحوا الجبل حتى يرسل إليكم ، ياقوم احذروا مخالفة رسول الله ﷺ فانها شؤم وخسران . فلم يبالوا بقوله ونزلوا ولهم - في ظنهم - عذر وهو أن المعركة قد انتهت وأن النصر قد استقر وتحقق للمسلمين ، فنزلوا إلا أربعة عشر رجلاً ثبتوا على الجبل مع أميرهم عبد الله ، فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل انكشاف الجبل من الرماة أقبلوا بخيلهم إلى الجبل فقضوا على من فيه ثم نزلوا من الجبل إلى المسلمين من وراء ظهورهم فأعملوا فيهم سيوفهم ورماحهم ، وهنا اختلط الأمر فأصبح المشركون وسط جيش المسلمين ، وهنا قتل حامل لواء المسلمين مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان أشبه الناس إذا لبس لباس الحرب - برسول الله ﷺ فلما قتله ابن قمئة المشرك صاح في الناس : لقد قتلت محمداً ، وتصايح المشركون : لقد مات محمد . فتزعزعت

القوة المعنوية واختل التوازن الذي كان في المسلمين وانهارت قواهم حتى صار بعضهم يضرب بعضاً وانقلبت نتيجة المعركة فأصبحت على المسلمين بعد أن كانت لهم وفقد المسلمون ثمانين بطلاً من أبطالهم - ستة من المهاجرين ، وأربعة وسبعين من الأنصار - وكان من بين قتلى المسلمين سيد شهداء أهل الجنة حمزة عم رسول الله ﷺ أسد الله وأسد رسول الله .

وهنا نذكر حزن رسول الله الشديد على من فقدهم في أحد وبكاءه على عمه رضي الله عنه وألمه مما صنع الشهداء من التمثيل فقد جدع المشركون أنوف المسلمين وآذانهم واتخذ النساء من ذلك قلائد حلين بها صدورهن . وقد بقروا بطونهم ولاكوا أكبادهم وكان منهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان لتثأر من حمزة لولدها حنظلة ولأبيها وعمها وأخيها . بل لقد فعلوا أشنع من ذلك فقطعوا مذاكيرهم ، وهنا نذكر ثبات رسول الله ﷺ فقد قال علي رضي الله عنه : كنا إذا اشتد البأس وحمي الوطيس اتقينا برسول الله ﷺ ، وقد وقع عليه الصلاة والسلام في حفرة من الحفر التي صنعها أبو عامر الراهب الذي كان مع المشركين فكاد للمسلمين بتلك الحفر قريباً من أرضهم ثم غطاها ليقع فيها عسكر المسلمين شج وجه رسول الله ﷺ ودخل في خده حلقتان من حلقات المغفر (ما يلبس في الرأس والوجه) وكسرت رباعيته السفلى وشقت شفته السفلى ودميت ركبته من أثر تلك السقطة ، وبعد ذلك كله يدعو رسول الله ﷺ لمن صنعوا به ذلك فيقول « رب اهد قومي فإنهم لا يعلمون » .

ولما سئل أن يدعو عليهم قال « أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا » .

وأما حنظلة رضي الله عنه فقد قتل يوم أحد وأخبر عليه الصلاة والسلام بأن الملائكة قد غسلته ، وقد سئلت زوجته عن قصته فأخبرت بخروجه جنباً ـــ



● شيعت دمشق في ١٦/١١/٣٨٦ أستاذين جليلين من علمائها الأبرار هما الشيخ سعيد البرهاني والشيخ عبد الحميد كيوان ، الفقيهين ، الواعظين ، المرشدين الكبيرين اللذين كانت لهما آثار مقدرة في التذكير بالحق ، والدعوة إليه ، والسير وفق أحكامه المادية ، فعليهما رحمة الله ، ولآلهما وذويهما الصبر والسلوان ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

● تحاول الدوائر الصهيونية لدى بريطانيا وفرنسا تأجيل موعد جلاء القوات البريطانية عن عدن والجنوب العربي ، والحيلولة دون إجراء استفتاء في الصومال الفرنسي . . .

ـــ قبل أن يغتسل . وبعد فهذا يوم كان للمسلمين أولاً ثم كان عليهم آخراً بسبب ما وقع من بعض الرماة الذين خالفوا أمر رسول الله ﷺ (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) .

ولقد كان شؤم المعصية شاملاً لغير العصاة وقد أخبر الله عز وجل بذلك حين قال : واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .

ولقد دفن شهداء أحد حيث قتلوا ولم يغسلوا ولم يصل عليهم . وأما ما ورد في بعض الأحاديث من صلاته عليه الصلاة والسلام على عمه حمزة وعلى شهداء أحد فمؤول بالدعاء لهم وخصهم بذلك عليه الصلاة والسلام لفرط حزنه عليهم وتأثره بفقدهم ، ولقد كانت دماء شهداء أحد عبرة وعظة للمسلمين بعد ذلك أن لا يخالفوا الله ورسوله ولا يفتنهم حطام الدنيا ، ولذا فانا نراهم بعد ذلك جنوداً طائعين ممتثلين في كل المعارك التي جاءت بعد ذلك . فسلام الله عليهم في الأولين وسلام عليهم في الآخرين وسلام عليهم إلى أن نلتقي معهم يوم الدين . اللهم احشرنا في زمرتهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

في رياض الشعر

الحديقة

للأستاذ بديع المعلم

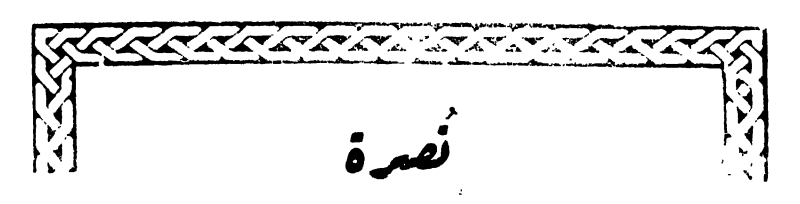
كنت أقوده – وهو من أنبغ العلماء ، وكان كفيفاً – إلى الحدائق صباحَ مساء ، فسألته مرة لم يفعل ذلك ؟ فقال رحمه الله : يا بني إن في العلم ما يرهق ، وإنما أفعل ذلك تنشيطاً إذ أجدني في النزهة أقدر على تحمل مشاق العلم ، وأصبر .

سل الحديقة ، واشوقاً لرياها — كم ذوّب الصبح عطراً ثم حياها
لما رآها الضحى ، أهدى روائعه — والفن كل جمال الريف أهداها
تلك الطبيعة نامت أمسِ راقدة — تبارك الله بعد الموت أحياها
إذا أردت حياة الفن عش أبداً — مع الأزاهير ، أو غرّدْ بذكراها
تغيب في موجة خضراء نامية — لا يدرك الطرف أدناها وأقصاها
أزهى الرياحين إطلاقاً وأفتنها — زهر الفضيلة إما كنتَ تهواها
أما السماء ، فكم حاكتْ كواكبها — ووشحتها بصبح من عطاياها
تبسم الورد في أعطافها سحراً — كم فاخر السوسن الغافي ، وكم باهى !
والياسمين تجلى لؤلؤاً رطباً — فدته من زهرات الشعر أغلاها
والفل مال على غصن ليلثمه — فيحتسي من كؤوس الطل أحلاها
قد غنت القُمْر من إلهامها طرباً — والطير لما رآها وحد الله

حلّ الربيع عليها حين وشحها ... من الدمقس ، وبالنوّار حلاها
ترى السماء وشاحاً أزرقاً نُشِرت ... عليه من زهرات الشهب أزهاها
تلالئ الحديقة ، يا للطل توجها ! ... فاستيقظ الطير مسحوراً بنعماها
كأن أطيارها البيضاء شادية ... سرب من الحور قد طافت بأحلاها
الشمس تختلس الأذيال من حسد ... والظل يزجرها حيناً ، وينهاها
هناك بركة ماء حين تبصرها ... ترى النجوم تراءت في حناياها
كأنما همسات الماء أغنية ... لقد تلاشت فلم تسمع بقاياها ؟!
تكاد تنزلق الأظلال زاحفة ... فينجلي الروض معكوساً بمرآها
وتحسب الشهب في أمواهها سهرت ... فيمزج الموج نجواه بنجواها
والبدر يهمس في رفق يداعبها ... كالصب عانقها شوقاً ، وفدّاها
أرعاك – يا روضتي من كل عادية ... أسلو الأسى حين تلقاني ، وألقاها
فديت ليلك ما غنّت عنادله ... ولست أنسى مدى الأيام ذكراها
سقياً لأشجارك الخضراء كم رفلت ... ما كان أروعها حسناً وأنداها
عرائس من عيون الزهر ناضرة ... في الفجر كم كحلت بالسحر عيناها
تأوي الأغاريد في أفنان سرحتها ... رحماك هل ضيع الإبداع أصداها ؟!
كانت إلى الحور تصغي كل شارقة ... فتخطف السحر إما فوحت فاها
غداً سينسال أقوام بضلالهم ... وهج السراب ، ولكن لست أنساها

اربد : ... بديع المعلم





نُصرة

للأستاذ مزيد الخطيب

قال الأستاذ مزيد الخطيب بعد ذكر أبيات
حذفتْ مراقبةً وصف فيها بعض المشكلات :

خسيء (المحاولُ) جرّتا لقيوده ... وطنُ العروبة لم يعد بجمودِ
وشعوب (يعرب) لم تعد مأسورةً ... كمصفّدٍ أو بائسٍ مكدود
وثبتْ من الليل الطويل لفجرها ... بهداية الهادين ، والتوحيد
تصبُو الى الأوج الرفيع ، لأنها ... خلاّفــة ، وخليقةٌ بخلودِ ! !

★ ★ ★

شهد (الخصوُم) لها بروائع مجدهــا ... وبطارفٍ من مجدهـــا ، وتليدِ
كم سطّرتْ تاريخهـــا بدمائهـــا ... بجهودهـــا في حكمةٍ ، وحديد
عدلتْ وكان الظلمُ يجتاح الورى ... وهدَتْ وكان الناسُ في تشريد
قد أمنتْ والخوفِ يكتسح الوري ... وَعدَتْ وكان الناسُ رهنَ وعيد
لولا الضلالةُ ، والعماية ، والدمى ... والجهلُ فينـــا لم نعش بجمود
لولا الضلالةْ ، والعماية ، والدمى ... مـــا قام يوماً دولةٌ (ليهودِ) !

★ ★ ★

مهلاً بني الأوطان ما هلك امرؤٌ ... إلاّ وحاد ، وجاز كلّ حدودِ

إلى أن قال مخاطباً نصير الجهاد والتضحية :

وولجتَ في صف الجهاد مضحياً ... كالجند ، كالأبطال ، مثل الصيد ؟
إنّ (البلادَ) تُريد منا نصرهــا ... فلنمشِ تحت لوائهـــا المعقودِ !

شحيم : ... مزيد الخطيب



● أدبنا وأدباؤنا في المهجر :

كتب الأستاذ سيف الدين الرحال في نقد هذا الكتاب ما يلي :

وصلت إلينا الطبعة الثالثة من هذا الكتاب الذي ألفه الشاعر المجيد جورج صيدح على عنوان غير عنواننا ، وقد كنّا على فراش المرض الخطير مدة بضعة أشهر ، والآن ، وقد أمدّنا الله من فضله بشيء من الشفاء فإنا نبدي على هذا السّفر بعض الملاحظات :

(الأولى) : كان واجباً على حضرة المؤلف أن يجعل عنوان كتابه (الأدب العربي وأدباء العرب في المهاجر الأمريكية) ، إذ أنه جعل في الفصل الأول من الكتاب « هجرة أبناء العرب » .

(الثانية) : أنه حشر في الكتاب كثيراً من علماء العرب الذين هم ليسوا مهاجرين ، وكثيراً من علمـــاء الفرنج ليكون الكتاب ضخماً ، وغرضه في هذا الحشر تجاريّ لكي يباع بثمن مرتفع حباً في الكسب .

(الثالثة) : أنه لم يذكر في كتابه عدة وافرة من الأدباء الذين لم يعرفهم ولم يرد أن يتعرف إليهم ، لسبب هو أعلم به منا ، ونحن نذكرهم بترتيب المدن التي يوجدون فيها :

١ ــ في بونس أرس :

الأساتذة الأدباء : الأستاذ العليم محمد القادري مدرّس اللغة العربية والشريعة الإسلامية . الأستاذ عبد الحميد الحاج معلى ، مدير المدرسة العربية في مولومان . عبد الحميد عبد القادر (نوفي) . محمد ياسين عبد الرحمن ، ممثل

صحف الوطن ، وكان رئيساً لتحرير « الجريدة السورية اللبنانية . جادورور (توفي) ، وكان رئيساً لتحرير « الاستقلال » . محمود سلتوم ، مؤسس صحيفة « الفطرة » . وديع شمعون (توفي) وكان مؤسس صحيفة « السلام » . محمود عيسى علي (توفي) كان مدير صحيفة « الفطرة » . المرحوم المترجم اسكندر شمعون (توفي) كان مدير صحيفة « السلام » . المترجم الأستاذ ملاتيوس الخوري . خليل نادر . جواد نادر . الأستاذ حبيب اسطفان .

٢ ـــ في فنزويلا :

سعيد الصغير ، ناصر بركة .

٣ ـــ في الولايات المتحدة :

سليمان بدّور (توفي) كان صاحب جريدة (البيان) اليومية . سعيد داود فياض صاحب جريدة (نهضة العرب) .

٤ ـــ في شيلي :

المهندس ناظم الكيلاني مدير كلية الفنون الكهربائية . جورج صباح ، صاحب جريدة (العالم العربي) .

(الرابعة) : انه لم يذكر تعريف « الأدب » لكي يقابل القارئ من ذكرهم المؤلف به ويعرف ما إذا كان ينطبق عليهم الأدب الخلقي أم لا ونحن نذكر هذا ، التعريف : « فالأدب هو التجلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل » وشارب الخمر ولاعب الميسر في الإسلام لايعدان أديبين .

اهتمام المؤلف بهذا الفقير الى مولاه :

لقد اهتم المؤلف بالكتابة عنا واعترف أنه عاشرنا مدة خمس سنين حتى عام ١٩٥٣ ، فكتب اثنتي عشرة صفحة ، ولكنه ليرضي المخالفين أمثاله أعطى رأيه فينا مستدلاً بشهادة كبيرين من أدباء العروبة وهما حضرة الكاتب البارع والأديب النقيب والشاعر البليغ الأستاذ الياس قنصل ، مقتطفاً

من شهادته قليلا ، وثاني الكبيرين المرحـوم أمير البيان ومذره العروبة والإسلام الأمير شكيب أرسلان ، ولم يرق لديه أن نكون على مبدئه مسلمين مخلصين لله رب العالمين .

ولم يكتف بشهادة هذين العلمين ، حتى كلف حضرة الصديق الخاص الأديب المفضال الأستاذ عبد اللطيف اليونس لسؤالنا عن تاريخنا البدلي بما يقول وبما قاله الصديقان الآخران إلى المخالفين أمثاله أنه أجاب عنا بما قاله غيرنا . والظاهر أن شهادة هؤلاء العارفين الصادقين لم ترق لديه فدس في كتابه عنا ماهو أهله من تشويه سمعتنا ، ونحمد الله أنه أجاب ماعرفنا منه أنه من المخالفين أعداء الحقيقة . ومن عاشرنا وقد قرأ ما أراد به إساءة سمعتنا ؟ يعرف من هو هـذا الشاعر معرفة ناطقة ، وإننا نشكره شكراً جزيلاً على أطنابه وشهادته بكفايتنا وجهـادنا وثباتنا . ولكن لنا على ما سطره عنا انتقادات صحيحة نوردها فيما يلي :

١ ـ نسب المؤلف إلينا أننا درسنا وتخرجنـا من الأزهر الشريف وهي نسبة منه لعل له غرضاً منها ونحن لم نفه بشيء من ذلك ، وقد جاء في تصريحاتنا لحضرة الصـديق الكريم الأستاذ عبد اللطيف اليونس أننا درسنا اللغة العربية كالصرف والنحو والانشاء والبيان والبديع والشعر على الأستاذ المرحوم الشيخ محمد العدوي كما درسنـا الشريعة على الأستاذ الإمام المرحوم الشيخ محمد عبده ، وينشر المؤلف هذا التصريح في الصفحة (١٥٩) من كتابه ولم يوجد فيه شيء ينص على الأزهر .

٢ قال المؤلف : « إن تحريرنا في الصحف أثار علينا غضب السلطة المحتلة ، فاضطررنا إلى الرحيل من مصر إلى الأرجنتين . . .

وهذا غير صحيح ، لأننا ما خرجنا من مصر لهذا السبب ، بل لمشاهدة أقاربنا في هذا الوطن الكريم ، بناءً على إلحاحهم وشوقهم إلينا .

٣ ـ قال المؤلف : « إن الدكتورة بنت الشاطيء وأمثالها يرون عدم جواز ترجمة القرآن الكريم » ويجيب المؤلف : من هي هذه حتى

تحكم هذا الحكم الجاهلي على غير علم، ولا هدى ولا كتاب منير . وإننا نستشهد بوجوب الترجمة وإذاعتها بين أمم العالم بما سطّره حضرة الأستاذ البحاثة محمد محمد عبد اللطيف الخطيب - بالأدلة الشرعية في كتابه (الفرقان) المطبوع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة عام ١٩٤٨ . فقد خصّص في هذا السفر الجليل بحثاً مهماً في (وجوب ترجمة القرآن المجيد وإذاعته) من الصفحة (١٧٠) إلى الصفحة (٢١٠) .

٤ - قال المؤلف : إن الأستاذ احمد عبود « قد سبقنا إلى ترجمة القرآن الخ » والصواب أنه الصديق عبوداً قد أصدر ترجمته في (٦٤٥) صفحة في سنة (١٩٥٣) بينما هذا الفقير إلى مولاه قد أصدر ترجمته في في (٢٩) ايلول سنة (١٩٤٣) أي قبله بعشر سنين، وهذه الترجمة تحتوي على ثلاثة أجزاء والتي تعليق ومائة مذكرة من ١٢٦١ صفحة .

٥ - قد اتهمنا المؤلف بأننا نطلب المعونة المالية من مجالسينا .

٦ - واتهمنا أيضاً بأننا نحابي هؤلاء ونجاملهم ضد مبادئنا .

ولقاء هاتين التهمتين قد حررنا الى جميع من كانوا يجالسوننا نسألهم عن صحة هاتين التهمتين دون أن نذكر اسم المؤلف احتراماً لسمعته . فأجاب الجميع إجابة واحدة دون اختلاف . واننا ننقل إجابة صديقين لم يفارقانا قط في جلسة من جلساتنا، وهما حضرة العليم في الحكمة والآداب الاسباني الأستاذ سيوصو، والأخ العزيز اسماعيل صالح، وهما لم يتخلفا قط ولا في جلسة واحدة (من جلساتنا) معهم . وهذه إجابة الأستاذ الأول :

حضرة الأستاذ سيف الدين رحال رفيقنا العزيز !

كنت دائماً بجانبكم مدة (٣٥) عاماً متوالية فما طلبتم معونة ولا قرضة من مجالسيكم، ومن خطتكم القاطعة قد لاحظت أنكم تداومون على خطتكم المستقيمة على قول الحق دون أن تحابوا أحداً وتجاملوا مجالساً مهما كان، وانكم دائماً سائرون على صراط الحقيقة الناصعة . (٢) آذار سنة ١٩٦٦ .

الأستاذ سيوصو

في علم الحكمة والفلسفة والآداب

وهذا جواب الأخ اسماعيل صالح :

حضرة الأستاذ المجاهد السيد سيف الدين رحال !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ، فقد وصلني كتابكم وأشكر حضرتكم لثقتكم بصديقكم الدائم وعليه أجيب :

إني عاشرتكم عشرات من السنين فما لاحظت عليكم أنكم تطلبون من أحد معونة مالية ولا غير مالية ولم نشهد أنكم تحابون أو تجاملون مخالفاً ضد مبادئكم العالية ، بل كنتم تجاوبون مخالفيكم بالتي هي أحسن طبقاً لآدابكم . أهديكم فائق التحية وأدعو لكم بطول العمر ودوامكم على مبادئكم وعزة نفسكم ودمتم لصديقكم الذي يفتخر بصداقته إياكم .

١٠ آذار سنة ١٩٦٦ اسماعيل صالح

٧ ـ قال المؤلف : إننـــا قرأنا ثلاث قصائد عليه وعلى جماعة من الإخوان الأدباء » الخ . وهذا غير صحيح ، لأننا ماقرأنا قط قصائدنا على أحد .

٨ ـ قال المؤلف : اننا حررنا (٧٠) صفحة كتبناها أمام الإخوان فقرأ منها (١٠) صفحات فقط ، وهذا غير صحيح من وجوه :

(الأول) : اننا لسنا قليلي الأدب فنترك مؤانسة من يزورنا ونشتغل عنه بالكتابة .

(الثاني) : ان ما كتبنـاه كان حاصلاً في دارنا لا في القهوة ولا بحضور جلسائنا .

(الثالث) : اننا ما كتبنا إلا الردّ على منتقد لغته ، دفاعاً عن اللغة ، لا مدحاً فيه .

(الرابع) : ان ما كتبناه سلمناه إياه ، وفي اليوم الثاني حضر وشكرنا ووعد بنشره . ولكن منتقده الجاهل سافر الى سورية وبعد قليل لحقه ولم ينشر ما كتبناه رداً عليه طلباً لصلح نعيده على حسابنا . سامحه الله .

٩ ـ قال المؤلف « إننا كنا نتفكّر سكتنا » وهذا القول عدا أنه غير صحيح فهو غير ممكن لأن صحف الأرجنتين العربية كالعلم العربي ،

والاستقلال السورية اللبنانية ومجلتا المواهب والرفيق تصلان الينا على عنواننا مدة تزيد على ثلث قرن ، كما تصلنا كذلك مجلة التمدن الإسلامي من دمشق والمجتمع من بيروت والبيان والنهضة العربية من نيويورك وغيرها من العالم العربي ومن بلاد الغرب ، وعلى الرغم من وصول هذه الى عنواننا فإن القهوة التي كنا نزورها صباحاً لحفظ عنواننا حتى إذا سأل عنا أحد مدة غيابنا أظلموه على عنواننا المتروك لديها .

١٠ ـ قال المؤلف : انه عاشرنا من عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٥٣ ولم يشر الى ماضينا بكلمة ولم يلاحظ أننا نعرض أقوالنا وأعمالنا للجمهور ، فمنها يعرفنا ومنها يعرف أنه ليس لنا من أعمال وأقوال في ماضينا إلا ما عليه استقامتنا على المبادىء الحقيقية والآداب الخاصة والعامة .

١١ ـ اتهمنا المؤلف بناء على قول المخالفين أننا نعيش مع امرأة عيشة غير شرعية ، ونحن لا يهمنا ما يقولونه عنـــا كما لا يهمنا ما يقول هو تبعاً لأقوالهم ، إذ نحن نسكن في دارنا مدة تقرب من (٣٥) عاماً وقد زارنا كثير من الاخوان غيره ويعرفون كيف نعيش . وقد علم الآن عنواننا ، فليتكرم بزيارتنا ويشهد كيف نعيش وحيدين ولا يؤنسنا غير الكتب التي لدينا وهي عديدة في العلوم والمعارف والصنائع ، ولا يقلّ ثمنها جميعاً عن نصف الف الف (مليون) ريال ارجنتيني .

لقد حطّم المؤلف رأينا فيه ، بارتكازه على الخرافات والتقولات ضدنا ، وتشويه سمعتنا التي هي كالحجر الصّلد لا تنسحق بمجرد الكلام السفيه من المخالفين الذين يحكمون علينا بموجب مبادئهم السافلة) ونحن نترك الأمر إلى الجمهور : فهو يعرفنا بمبادئنا واستقامتنا وجهادنا ، والله ولي العاملين .

هذه النبذة الوجيزة نلاحظ بها ما خطه المؤلف ، وهناك مشاكل دسّها لاتهمنا ، فنتركها له ، وحسبنا الله ونعم الوكيل (والسلام على من اتبع الهدى) .

بونس أيرس : سيف الدين رحال

● ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية - ٢ -

كنت نشرت في الأجزاء ٢١ - ٢٤ من المجلد ٣٣ من هذه المجلة كلمة عن بعض الأحاديث الضعيفة التي جاءت في كتاب ضوابط المصلحة للعلم محمد سعيد رمضان البوطي ، وقد علق الأستاذ رئيس تحرير المجلة مبيناً انه كان ينبغي التعريف بالكتاب ومزاياه قبل نقده من الناحية الحديثية - ولو إجمالاً .

وقد توقفت عن ذلك لأسباب منها :

أولاً : إنه لا يمكن التعريف بمثل هذا الكتاب قبل دراسته دراسة دقيقة لئلا يُغرر بالقراء !

ثانياً : انني سارعت لتقديم الأهم على المهم وذلك بنقد بعض الأحاديث التي جاءت فيه خشية أن يفتتن بها بعض القراء فتعلق في أذهانهم على أنها صحيحة فربما وقعوا في وعيد قوله (ص) « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » !

مع العلم أن هذه الأحاديث بنى عليها المؤلف أحكاماً خطيرة تسبب تمزيق الأسرة وتشريد الأطفال أو الجوء جهلًا إلى عادة التحليل المسمى بالتجحيش عند العامة وقد سمح به - ويا للأسف - بعض الفقهاء جهلًا أو تجاهلا - والعياذ بالله ! انقاذاً للأسرة وحرصاً على تلبية الزوج النادم على فعلته . وهم لو رجعوا إلى السنة الصحيحة لوجدوا الحل الصحيح الشريف ولأنقذوا الموقف ونجوا المرأة من الوقوع في الفاحشة باسم التحليل ! ! .

إن المؤلف عفا الله عنا وعنه راح مدفوعاً بالتعصب المذهبي ، راح يضعف الأحاديث الصحيحة ، ويصحح الأحاديث الضعيفة كما أثبتنا ذلك بصورة واضحة للعيان في العدد السابق .

ولا أدري ما هي المصلحة في ذلك الا اذا كان يعتبر هذه المصلحة أن تمزق الأسرة ويشرد الأولاد ويشقى الزوج والزوجة بمجرد تلفظه عن تسرع وطيش بالطلاق الثلاث دفعة واحدة .

أليس في ذلك حرج ، وقد نفى القرآن العظيم وجود الحرج في الإسلام ؟ ! .

وإذا فرضنا جدلاً أن الزوج جنى على نفسه بهذا التسرع ، وهو من طبيعة النفس البشرية التي يقع فيها أكثر الناس ، فما هي جريمة الزوجة والأولاد البائسين ؟ ! ! وقد صور شقاء هذه الزوجة الشاعر الرصافي بقصيدة دامية تفتت القلوب وتمزق الأفئدة نذكر أبياتاً منها ، وقد جاء في مطلعها :

بدت كالشمس يحضنها الغروب	فتاة راع نضرتها الشحوب
منزهة عن الفحشاء خود	من الخفرات آنسة عروب
فغاضب زوجها الخلطاء يوماً	بأمر للخلاف به نشوب
فأقسم بالطلاق لهم يميناً	وتلك اليه أخطاء وحوب
وطلقها على جهل ثلاثاً	كذلك يجهل الرجل الغضوب
وأفتي بالطلاق طلاق بت	ذوو فتيا تعصبهم غصيب ! !
فبانت منه لم تأت الدنايا	ولم يعلق بها الذام المعيب
فظلت وهي باكية تنادي	بصوت منه ترتجف القلوب
لماذا يانجيب صرمت حبلي ؟ !	وهل أذنبت عندك يانجيب ؟ !
فأطرق رأسه خجلاً وأغضى	وقال : ودمع عينيه سكوب
نجيبة ! أقصري عني فإني	كفاني من لظى الندم اللهيب
وما والله هجرك باختياري	ولكن هكذا جرت الخطوب

وقد ختمها بقوله :

ألا قل في الطلاق لموقعيه ... بما في الشرع ليس له وجوب

غلوتم في ديانتكم غلواً ... يضيق ببعضه الشرع الرحيب

أراد الله تيسيراً وأنتم ... من التعسير عندكم ضروب !

وقد حلت بأمتكم كروب ... لكم فيهن لا لهمُ الذنوب

وهي حبل الزواج ورق حتى ... يكاد إذا نفخت له يذوب !

كخيط من لعاب الشمس أدلت ... به في الجو هاجرة حلوب

يمزقه من الأفواه نفث ... ويقطعه من النسم الهبوب

* * *

فدى ابن القيم الفقها وكم قد ... دعاهم للصواب فلم يجيبوا

ففي (اعلامه) للناس رشد ... ومزدجر لمن هو مستريب

نحا فيما أتاه طريق علم ... نحاها شيخه الحبر الأديب (١)

وبيّن حكم دين الله لكن ... من الغالين لم تعه القلوب

لعل الله يحدث بعدُ أمراً ... لنا فيخيب منهم من يخيب

* * *

وإنني أذكر الأستاذ سعيد أن تعنت بعض الفقهاء وأخذهم بنظرية وقوع الطلاق الثلاث دفعة واحدة في الماضي ، كان سبباً في ترك شعب بكامله الإسلام — على رأسه مليكه — لما وجدوه من الحرج .

فهل يريد أستاذنا بإحيائه لهذه النصوص الباطلة أن يعيد المأساة ويخرج الناس عن الإسلام أفواجاً (٢) ؟! ظناً منهم أن ماجاء به هو الإسلام . والإسلام — في الحقيقة — منه براء !!

---

(١) هو شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى وجزاه عن المسلمين خير الجزاء .

(٢) المجلة : معاذ الله أن يريد الأستاذ سعيد هذا ، ولكن لبعض الأحكام الفقهية الواقعية سلطانها بصورة غير شعورية على باحثيها ...

قال الإمام ابن القيم : قد صح عنه ﷺ أن الثلاث كانت واحدة في عهده وعهد أبي بكر مصدراً من خلافة عمر ... وقد أفتى هو ﷺ فهذه فتواه وعمل الصحابة كأنه أخذ باليد ولا معارض لذلك . ورأى عمر رضي الله تعالى عنه أن يحمل الناس على إنفاذ الثلاث عقوبة وزجراً لهم لئلا يرسلوها جملة . وهذا اجتهاد منه غايته أنه يكون سائغاً لمصلحة رآها . فلا يجوز ترك ما أفتى به رسول الله ﷺ وكان عليه أصحابه في عهده وعهد خليفته ، فإذا ظهرت الحقائق فليقل امرؤ ما شاء وبالله التوفيق انتهى .

وقال ابن عباس ومجاهد في تفسير : (الطلاق مرتان) إنه بيان لسنة الطلاق ، وان يوقع في كل مرة طلقة .

فهذا تفسير ترجمان القرآن ابن عباس للآية ذكره الإمام ابن الجوزي في تفسيره ، فأين ما ذهب اليه الأستاذ البوطي ؟ ! مستدلاً بأن الآية بيان للطلاق الذي يملك معه الرجعة من جماعة هم أقل علماً وفهماً من ابن عباس الذي سأل الرسول ﷺ له من الله سبحانه أن يفقه في الدين ويعلمه التأويل !

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : « ... إن الطلاق المشروع بعد الدخول هو الطلاق الذي تملك به الرجعة . ولم يشرع الله سبحانه إيقاع الثلاث جملة واحدة البتة . قال تعالى : (الطلاق مرتان) ولا تعقل العرب في لغتها وقوع المرتين إلا متعاقبتين كما قال النبي ﷺ من سبح الله دبرَ كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمده ثلاثاً وثلاثين وكبره أربعاً وثلاثين ونظائره ، فإنه لايعقل من ذلك إلا تسبيحاً وتكبيراً وتحميداً متوالياً يتلو بعضه بعضاً . فلو قال سبحان الله ثلاثاً وثلاثين والحمد لله ثلاثاً وثلاثين والله أكبر أربعاً وثلاثين بهذا اللفظ لكان ثلاث مرات فقط !!

وأصرح من ذلك قوله سبحانه : « والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله » فلو قال أشهد بالله أربع شهادات إني لمن الصادقين كانت مرة !!..

وأصرح من ذلك قوله تعالى : « سنعذبهم مرتين » فهذا مرة بعد مرة . ولا ينتقض هذا بقوله تعالى : « نؤتها أجرها مرتين » وقوله ﷺ « ثلاثاً يؤتون أجرهم مرتين » فإن المرتين هنا هما الضعفان وهما المثلان ، وهما مثلان في القدر كقوله تعالى : « يضاعف لها العذاب ضعفين » وقوله « فآتت أكلها ضعفين » أي ضعف مايعذب به غيرها ، وضعف ما كان تؤتى . ومن هذا قول أنس « انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ مرتين » أي شقتين وفرقتين كما قال في اللفظ الآخر ، « انشق القمر فلقتين » وهذا أمر معلوم قطعاً أنه إنما انشق القمر مرة واحدة . والفرق معلوم بين مايكون مرتين في الزمان ، وبين ما يكون مثلين وجزأين ومرتين في المضاعفة فالثاني يتصور فيه اجتماع المرتين في آن واحد ، والأول لايتصور فيه ذلك .

« ومما يدل أن الله لم يشرع الثلاث جملة أنه قال تعالى « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » إلى أن قال : « وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا) فهذا يدل على كل طلاق بعد الدخول ، بالمطلق أحق بالرجعة سوى الثالثة المذكورة بعد هذا [1] » .

ومن الغريب أن الشيخ سعيد مدفوع بتعصبه المذهبي ، لم يقنع بجميع هذه الأدلة والتفاسير للآيات ، بل راح يلف ويدور ويثبت منها عكس ما

---

(١) زاد المعاد ٣ / ٥٢ - ٥٣

استدل به الإمام ابن تيمية وابن القيم رحمها الله ، كل ذلك بمنطق لا يرضي كتاب الله ولا سنة نبيه ولا لغة العرب [1] .

أما سنة الرسول ، فقد أوضحنا في عدد مضى من مجلة التمدن الإسلامي ضعف الأحاديث النبوية التي اعتمد عليها في دعواه .

وأما لغة العرب ، فقد بين الإمام ابن القيم ما فيه الكفاية للمنصفين .

وأما كتاب الله فنريد أن نفصل فيه القول بعض التفصيل فنسأل الشيخ سعيد : كيف تريد أن تستنتج من آيات القرآن إمكانية مـــا نهى الله سبحانه عنه ؟ فهل يعقل أن يحرّم تعالى الطلاق البدعي ثم يأتي بالآيات قائلة بجوازه ؟ ! .

وإذا ذكر في تفسير مرتين قوله : ليس ما يدل دلالة قاطعة ولا ظاهرة ظهوراً جلياً ، على أن المراد مرة بعدمرة بحيث لو لم يقع كذلك لم يقع الطلاق أو لم يقع الثلاث .

ثم أخذ يتعسف في تفسير معنى آ : (يا أيهـــا النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) تكملة لتفسيره الظاهر الخطأ لآية : (الطلاق مرتان) ولو خالف بذلك حديث رسول الله ﷺ .

قال البخاري إن عبد الله بن عمر طلق امرأة له وهو حائض فذكر عمر رسول ﷺ فتغيظ رسول الله ﷺ ثم قال : ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر ، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسها ، فتلك العدة التي أمر بها الله عز وجل . وقد رواه مسلم ولفظه : « فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء ورواه أصحاب الكتب والمسانيد من طرق متعددة وألفاظ كثيرة كما قال الإمام ابن كثير .

ويتضح على ضوء هذا الحديث معنى العدة التي أمر الله بها في الآية السابقة على ضوء الطلاق الثلاث على ثلاث مرات : كل مرة في طهر لم يمسها فيه .

---

(١) راجع كتابه ص ١٥١

هذا ولو كان وقوع الطلاق الثلاث دفعة واحدة ثلاثاً في كتاب الله وسنة رسوله لما غضب رسول الله ﷺ من فعل ذلك وقال له : « تلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم ! ؟ » .

ومما قاله الأستاذ البوطي : (١)

ولقد رمي ابن قيم الجوزية ـ في كتابه أعلام الموقعين بصدد دفاعه عن هذا الحديث ـ كثيراً من الأئمة بأنهم يقفون من الحديث الذي خالفه راويه ، حسب قول من يقلدونه ، فإذا جاء الحديث يوافق قول من قلده ، وإذا خالفه راويه يقول : الحجة فيما روى لا في قوله ، وإذا جاء قول الراوي موافقاً لقول من قلده ، والحديث بخلافه قال : لم يكن الراوي يخالف ما رواه إلا وقد صح عنده نسخه ، ثم يقول : وهذا من أقبح التناقض (٢) .

لقد سارعت إلى كتاب أعلام الموقعين لأعلم مبلغ صحة هذه التهمة التي نسبها الأستاذ البوطي لابن القيم لا إلى المقلدين فحسب بل إلى الأئمة أنفسهم ، ونحن نعرف ما يكنه هذا الإمام ، ومن قبله شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية للائمة من احترام حتى ان هذا الأخير ألف رسالة في انصافهم والدفاع عنهم سماها : « رفع الملام عن الأئمة الأعلام » .

أجل سارعت إلى كتاب اعلام الموقعين فلم أجد ما زعم هذا (العالم) وأترك للقارىء الحكم على عمله هذا ـ أصلحنا الله جميعا ـ وفيما يلي عبارة ابن القيم :

« وأخذ الأئمة الأربعة وغيرهم بخبر عائشة في التحريم بلبن الفحل وقد صح عنها خلافه ، وانه كان يدخل عليها من أرضعته بنات أخواتها ، ولا يدخل عليها من أرضعته نساء اخوتها . وأخذ الحنفية بحديث عائشة : « فرضت الصلاة ركعتين ركعتين » وصح عنها أنها أتمت الصلاة في السفر فلم

---

(١) ص ١٥٧

(٢) اعلام الموقعين ج ٣ ص ٥١ ـ ٥٢

يدعوا روايتها لرأيها واحتجوا بحديث جابر وأبي موسى في الأمر بالوضوء من الضحك في الصلاة وقد صح عنهما قالا : لا وضوء من ذلك وأخذ الناس بحديث عائشة في ترك إيجاب الوضوء مما مست النار ، وقد صح عن عائشة بأصح أسناد إيجاب الوضوء للصلاة من أكل ما مست النار .....»

ثم قال الإمام ابن القيم بعد كلام طويل : « وهذا باب يطول تتبعه . وترى كثيراً من الناس إذا جاء الحديث يوافق قول من قلده ، وقد خالفه راويه يقول : الحجة فيما روى ، لا في قوله ألخ ...

وهذا من أقبح التناقض » .

ذكرنا سابقاً عبارة الإمام ابن القيم ، فهل يفهم منها مازعمه هـذا الشيخ ؟ ! لاسيما وقد عزا ابن القيم التناقص الى بعض الناس لا إلى الأئمة رحمهم الله تعالى ، وهذا مشاهد كثيراً لايستطيع إنكاره إلا مكابر .

ولم يكتف الأستاذ البوطي (بتشويش) الحقيقة فحسب بل راح يثير النعرات والضغائن ظلماً وعدواناً فقال عقب كلامه السابق :

« ولعمري إنها لدعوى عريضة في حق الأئمة لا يسعهم في جنب الله إلا بذل أقصى الفكر والجهد للوقوف على أحكام الله تعالى ، سواء وافقت رأي ابن القيم وشيخه أم لم توافق . ومعلوم من بدهيات الشريعة أن إساءة الظن بالمسلمين من المحرمات التي صرح القرآن بالتحذير عنها ، فكيف إذا كان ذلك في حق أئمة المسلمين وعلمائهم السالفين[1] ... »

فهل رأيت أيها القارىء غرابة هذا التعليق من أخينا الشيخ سعيد على كلام ابن القيم ؟ ولنفرض جدلاً أن ابن القيم انتقد الأئمة فهل يعتبر النقد العلمي إساءة ظن ؟! وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم ينتقد ويتعقب بعضهم بعضاً ، وكذلك كان يفعل أبو يوسف ومحمد مع أبي حنيفة ، فكان

---

(١) ص ١٥٧ باختصار .

يسر ويدع لكل منهما حريته في الرأي ولا يعتبر ذلك منهم إساءة ظن به !!
ومن المحرمات التي صرّح القرآن بالتحذير منها !!

ومما يؤسف له أن يغمز هذا الأستاذ من شيخ الإسلام ابن تيمية ومن تلميذه ابن القيم بمختلف الغمزات ولا يعتبر ذلك إساءة ظن بهما ، ومعهما الحجة الواضحة والبرهان الساطع من كتاب الله تعالى وسنة نبيه وعمل كثير من الصحابة !! ولغة العرب . وقد أخذت المحاكم الشرعية بأقوالهما بعدما وجدت ما أصاب المسلمين من ترك سنة رسول الله ﷺ من تشرد الأسرة أو الوقوع في فاحشة التحليل المزعوم !!

ومما قاله الشيخ سعيد : « ومعلوم أن كثيراً من علماء الحديث كيحيى ابن سعيد القطان ، وأحمد بن حنبل ، وابن المديني ، ذهبوا إلى تضعيف الحديث عند مخالفته لمذهب الصحابي الراوي له . فكيف وهذا الحديث ليس مخالفاً لمذهب راويه ابن عباس فقط ، بل مخالف لمذهب عامة الصحابة والتابعين ، وجملة ما روي من أحاديث عن الرسول ﷺ في هذا الباب[1] !.. »

استدرك على هذه العبارة ما يلي :

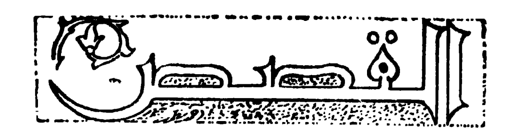
١ — قوله « ذهب يحيى بن سعيد القطان وأحمد بن حنبل ، وابن المديني إلى تضعيف الحديث عند مخالفته لمذهب الصحابي الراوي » يحتاج الى برهان وتعيين مصادر أقوالهم ، فالمعروف أن هذا القول هو لأكثر الحنفية فقط خلافاً للشافعي ومالك وأحمد الذين قالوا بالأخذ بعموم الظاهر ، وترك عمل الصحابي كما جاء في تيسير التحرير الأستاذ محمد أمين على التحرير للكمال بن همام[2] .

(يتبع) محمود مهدي استانبولي

---

(١) ضوابط المصلحة ص ١٥٧

(٢) ص ٧٢ .



أغرب الوصايا

للأستاذ حسني كنعان

يممت وجهي في صباح أمس القريب نحو دار صديق من الأصدقاء الخلص أودّعه لإزماعه السفر إلى البلاد المقدسة لأداء فريضة الحج المبرور ، فألفيت داره حافلة بالمودعين من آله وصحبه وأحبائه وهم كثر . . .

ومن عادة الحاج في مثل اللحظات القلائل التي ينتظر فيها السفر على أحر من الجمر أن يورد صحبه عنده شتى ضروب الدعابات والطرائف تسلية له وصرف ذهنه عن مشاق الانتظار ، وكان سفره وثلة من رفاقه عن طريق البر ، فانثالوا عليه بوابل هتن من الدعابات فمن قائل له :

— إياك أن تنسى السبحة (أو الملوحة) المكهربة الصفراء فاقعة اللون التي تلتقط الشعرة والورق ، أو الأشياء الدقيقة إذا أدنيناها منها .

— ومن قائل والسجادة المزدانة بصورة الحرم المكي إياك أن تنساها ، ولتكن واسعة يستطيع أن يصلي فوقها أربعة أنفار .

— ومن قائل وكمية التمر التي وصيتك أن تحضرها لي هدية فلتكن من نوع المعتبر الفاخر ، فهناك في المدينة المنورة سوق خاص تعرض فيه أنواع التمور ، فمنها الرخيص ومنها الوسط ومنها الغالي ومنها ما يباع بالمد والصاع ، تكتال كما يكتال القمح ومنها ما هو مصون بتنكات من التصدير ، ومنها المنضود بالقفف المصنوعة من ألياف الشجر ، ومنها ومنها . . الخ

فأنا لا أرضى سوى بالصنف الفاخر ، وقد أضحكنا قول أحدهم ، هناك أمام باب السلام من الحرم النبوي مهاجر من بخارى يبيع قوارير صغيرة فيها أنواع من العنبر الذي يُصفق مع الشاي الذي تكون له نكهة لذيذة الشرب ، وتكون له منافع أخرى يعرفهـا أمثال أبيك وأبي من الحاضرين المسنين المعمرين ...

وهنا انفجرت أصوات الضحك من المودعين وكان لها دوي كدوي النحل ، وما راع المودعين سوى امرأة مسنة تقتحم جموعهم وتشق طريقها إلى صديقنا الحاج ، وقد تلفعت بإزار أبيض وأسبلت على وجهها خماراً أبيض وضمت الحاج الى صدرها ، وأخذت تلثم خديه وجبينه وفمه وتودعه قائلة :

إياك يا بني أن تنسى الوصية فهؤلاء الأصدقاء طلبوا منك هدايا كثيرة ، وأوصوك باحضارها إليهم ، وهي طبعاً تكلفك النفقات الباهظة ، وأما أنا فوصيتي لك لا تكلفك شيئاً ، ولا تحملك عناءً ولا مشقة ، وقد أشهدت عليك فلاناً وفلاناً من أصدقائك بالقيام بهذه الوصية ، وأنت تعلم مخـالفة الأم وغضبها ، ثم قعدت إلى جانبه ، وألقت بساعدها على منكبيه وأخذت تودعه وداع الأم الرؤوم لوليدها الوحيد ، وكانت تقول له في آخر كل كلمة (إياك والوصية) وذكرت هذه الكلمة أكثر من عشر مرات ، وكانت شمس الضحى قد عمت الكون وشملت ديار صاحبنا ، وبينما كان القوم في هرج ومرج يحاول كل منهم ادخال السرور والحبور على صاحبهم ، وإذا بأزيز صوت سيارة يشق عنان السماء ، وأعقب ذلك الأزيز أصوات مستشرية في فضاء ذلك الحي صائحة :

(يا الله بلا علاك) أما انتهيتم من ثرثرتكم وصياحكم اتركوا صاحبكم يشق طريقه ليلحق بركبه ، لقد وصل رتل السيارات الى الكسوة وأنتم

مايوحتم عاكفين على اعاقة سيره ، ولربما وصلت طلائع الركب إلى غياهب فالصنمين . فخف من بالمنزل من المودعين وأخذوا يساعدون رفيقهم بإنزال حاجاته ونقلها إلى السيارة ، ولكني رأيت شياطين قلبي تدفعني إلى تسلق السيارة لأسأل صاحبي سؤالاً كان يتلجلج في خاطري عند حديث الأم ، فأهبت به ..

— بالله عليك أن تقول لي ما هي هذه الوصية التي شغلت بال أمك وصرفتها عن كل ما سواها من الأحاديث . .

— لقد أوصتني والدتي أن ألعن إبليس بالنيابة عنها ، وهذه الوصية كانت تكررها مراراً عندما نويت السفر إلى البلاد المقدسة ، ولقد تعهدت لها أكثر من مرة أن أجيبها إلى مطلبها وهي لا تقنع فضحكت كثيراً من هذه القصة الطريفة ، وانحدرت من السيارة وأنا أفكر بإيمان العجائز ، وصدق عقائدهن ، وبينما كانت السيارة تتأهب للسير ، وإذا بواحد من الركاب يصيح بملء فمه (الله . . . ! نسينا السلة) وصاح من بجانبه (الله . . . . . . ، نسينا أداواة الماء (المطرة) وانبعث آخر يقول : (لك لك لك لك) نسينا المنامة (البيجاما) والعباءة (الله يلعن الشيطان) ..

قلت في نفسي لا شك أن العجوز صادقة بإيمانها صلبة العود في عقائدها ، إذ أن وصيتها نفذت باللحظة الأولى من فراق ولدها قبل أن يصل للديار المقدسة . . .

وهذا مما يعزز قول المتمنين على الله أن يرزقهم إيماناً كإيمان العجائز . .

هذه قصة رويتها كما شهدتها للعبرة والعظة وكان من تتمتها أننا بعد عشرين يوماً نهضنا في الدار ليلاً على قرع المنبه بشدة وعنف ، فسبقت من في الدار إلى فتح الباب ، وإذا بي أمام صاحبة قصتنا تحمل بيدها برقية

من ولدها يبشرها بوصوله إلى المدينة بعد سفر شاق قضاه في طريقه كأنه عنى ما لاقاه من صعاب وعقبات ، ناولتني البرقية باسمة الثغر ، طلقة المحيا ، طالبة مني أن أجيب ولدها على برقيته راجية أن أضع في ذيلها أن والدتك ترضى عليك وتتمنى لك الخير وتقول لك لا تنس الوصية .

إنها أم عجوز تلح على ما يحقق رجاءها لأن إيمانها إيمان ثابت لا يتزعزع ثابت المطلب أبداً ولهذا كان مضرب المثل .

كنت أسمع أستاذي بالمدارس الابتدائية يتأفف ويتضجر كلما ألمت به كارثة أو أحدق به مصاب ، وعندما يشتد به ألم الشكوى يرفع يديه إلى السماء شاخصاً ويقول :

— اللهم ارزقني إيماناً صادقاً كإيمان العجائز ، ثم يقول اللهم ألهمني صبراً على البلوى والمصاب كصبر أيوب ، وكنت مع حداثة سني أجهل معاني هذه الأدعية ، والابتهالات ، أما صبر أيوب فلقد عرفناه فيما بعد بقصص الأنبياء ، وأما إيمان العجائز فلقد عرفته اليوم في تضاعيف هذه القصة . إن الأمكنة التي تسمى عقبة الجمرة الأولى والثانية والثالثة أعني القصوى والوسطى هي الأماكن التي ظهر فيها إبليس لإبراهيم عليه السلام عندما كان جبريل يعلمه مناسك الحج وحين ظهر إبليس لهما في الأماكن الثلاثة علمه جبريل من المناسك أن يرجمه بسبع حصوات في المرات الثلاث بأماكنها التي شوهد فيها ، وحكم هذا الرجم حكم الواجبات يفتدى بالمدي ويمكن التوكيل فيه إذا لم يقدر الحاج على تأدية هذا المنسك بنفسه ، وهذا بحث مستفيض مفصل بالكتب الفقهية ليس لنا فيه خوض ومجال غير هذه الالمامة مع القصة .

حسني كنعان

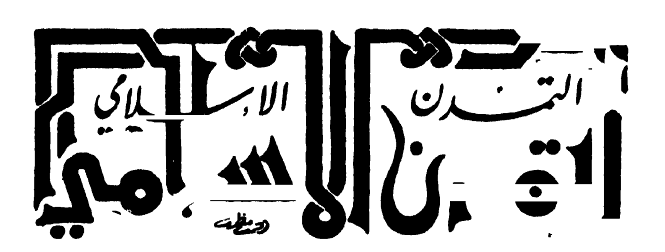
من عجائب الروحانيات

قال الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري رحمه الله تعالى ، (في تفسيره الشهير ج ١٥ ص ٢١) عن امـــرأة عجوز فرنسية اشتهرت بتحضير الأرواح في ليون ، أنه زارها في سنة ١٩١١ أحد وزرائنـــا السابقين (المصريين) هو وقريب له ، فطلب منها تحضير روح قريب له مات منذ زمن ليس ببعيد ، وكان يقصد في الحقيقة تحضير روح النبي ﷺ ، فبدأت عملية التحضير ، إلا أنها وجدت صعوبة كبيرة ، وعجزت أخيراً عن إحضارها بعد زمن يزيد على نصف ساعة ، قالت لمعاليه : (إن الروح التي تطلبها ليست بروح رجل عادي ، بل هي روح علوية قد يتعذر على أعظم عالم روحاني تحضيرها ، فلتطلب روحاً أخرى فلعلي أحضرها لك) ولمـــا كان هذا الوزير والأسف يشك في نبوة سيدنا محمد ﷺ صمّم على إحضارها ، فحاولت ثانية وثالثة ، .وأخيراً قالت : (يغلب على ظني أن الروح التي تطلبها عالية جداً ، فلا يمكنني أبداً إحضارها ، وفي الغالب أنها روح رجل مقرّب من الله جداً أو نبي أرسل في جزيرة العرب ، فاطلب غيرها ، فتبسم ، وأخبرها بالحقيقة ، وطلب إحضار روح والده ، ومن تاريخ تلك الحادثة آمن ذلك الوزير وحسن إيمانه .

من الأخطاء المطبعية في الأجزاء ٢٩ ــ ٣٢

الصفحة	السطر		الصواب
٦٣٨	١٨	الحداني	الجوزي
»	٩	الكبير	الكبد
٦٨٦	١٦	سلاحه	سلاخه
»	١٨	في سلاحه	في سلاخه بمعنى قطعة من جلده

الأجزاء ٣٧ - ٤٠ من المجلد ٣٣



مجلة إسلامية علمية أدبية

تصدر بدمشق عن



١٣٨٦ هـ ١٩٦٧ م

تم المجلد ٣٣ في ١٣٨٦/١٢/٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

فريضة الحج

لله تعالى في أمره بالأحكام أساليبُ عديدة في القرآن العظيم ، منها مايفيد الإلزام القوي تعبيراً عن خطورة الحكم العظيمة كقوله تعالى آمرا بالحج في سورة آل عمران : ٩٧ : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » .

إنها صيغة من اوثق الصيغ الملزمة صاحبها بأداء دين الى دائنه ، وأبلغها، بدأها سبحانه بلام الإيجاب والإلزام مقرونة باسم الله العظيم بديل البدء بالمتأخر موضعاً وهو الحج[1] ، واكد المعنى بعلى ، وجعل الإلزام على الناس كافة في التعبير ليُشعر الشمول بقوة الحكم والحاجة الملحة اليه ، حتى جاءت التتمة بدلاً من الناس ، فكان فيها الرحمة بالتخفيف : (من استطاع اليه سبيلا) فأمكنه الوصول بعد اعداد زاده ، وراحلته[2].

وبين الرسول الآمر بالحج المقصود منه ، بقوله القويّ وبفعله :

في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : بُني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت .

وروى الإمام احمد ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : أيها الناس ، ان الله فرض عليكم الحج ، فحجوا . فقال رجل : أكل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله ﷺ : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم . ثم قال : فروني

---

(١) الحج هو المبتدأ في الإعراب .

(٢) في هذا تفصيل في المذاهب (راجع الفقه على المذاهب الأربعة) .

ماتركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه .

وشبيه بهذا الحديث الشريف بما يزيده قوة وايضاحاً حديث رواه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود والنسائي وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج ، فقام الأقرع بن حابس فقال : يارسول الله أفي كل عام ؟ فقال : لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ، ولن تستطيعوا أن تعملوا بها ، الحج مرة ، فمن زاد فهو تطوع . وفي السنة التاسعة للهجرة ، حج أبو بكر رضي الله عنه بالناس ، وفي السنة العاشرة حج الرسول ﷺ حجة الوداع ، وقال فيها للناس : (خذوا عني مناسككم) .

على ضوء ماتقدم ونحوه نفهم مارواه سعيد بن منصور في سننه عن الحسن البصري قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لقد هممت أن أبعث رجالاً الى هذه الأمصار فينظروا الى كل من كان عنده جدة[1] فلم يحج ، فيضربوا عليه الجزية ، ماهم بمسلمين ، ماهم بمسلمين[2] .

قال الأستاذ الشيخ محمد الخضري رحمه الله : نظام الحج كان منه للمسلمين فوائد كثيرة :

(أولا) فائدة أهل مكة أنفسهم من الحجاج والمعتمرين لأن مكة ليست بواد ذي زرع وذلك إجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام « رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ » .

(ثانياً) فائدة العرب كافة بشهودهم منافعهم ومبادلاتهم التجارات ولوازم الحياة فإن كثيراً من الحجاج يحضرون إلى الموسم بضائعهم فيشتريها ذوو الحاجات وكل منهم آمن على نفسه وماله لأنه في شهر حرام وبلد حرام « لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ » .

---

(١) جدة في المال : استغناء .

(٢) تفسير القاسمي ج ٤ ص ٨ ق ٩ .

(ثالثا) فائدة المسلمين كافة باجتماعهم وتعارفهم ووحدة نسكهم وقبلتهم وبذلك كانت مكة مجتمع أهل الشرق والغرب يفدون إليها من كل فج عميق فيأخذ كل إنسان حاجته من علم ودين ودنيا . ولا عجب أن يكون يوم الحج الأكبر يوم عيد المسلمين كافة لأنه تذكار تلك الوحدة . وكما كان يوم عيد الفطر تذكاراً لنزول القرآن كذلك كان يوم الحج الأكبر تذكارا لختامه ، في رمضان كان بدء نزوله وفي يوم الحج الأكبر كان ختام نزوله[1] .

إن الذي نتوخاه من كلمتنا هذه استجابة كل مستطيع لله ورسوله ، بحج البيت ، وان يكون حجه داعيا لما يصحبه من خشوع عظيم وسلوك قويم ، وتربية مثلى ، ولا يكون ذلك الا بالعلم الصحيح والعمل الصادق ، ولقد سبق ان ذكرت في مقدمة الأجزاء ٣٧ ـ ٤٠ من مجلد هذه المجلة الحادي والثلاثين ، أن من العجيب الغريب ان يعلم المسلمون بأن الحج احد أركان الاسلام ، وأنه يحمل معاني مؤتمر إلهي عالمي يشهد أهله منافع لهم ويذكروا اسم الله .. ثم يجعلوه أهون شأناً من محاضرة يستعدون لها ، أو سياحة في بلاد يتعرفون على شؤونها ، أو رواية تمثيلية يقضون أياماً في استظهارها وتجريبها حتى يتوقعوا إتقانها . نعم انه أهون شأناً مما ذكرناه في نظر أناس لايتزودون له بمعرفة حقه ، ولاهمة ماضية ، تجد الرجل منهم جاهلا لا يعلم دنيا ولا بمعرفة دين ، غافلا (لايمثل) الإسلام العظيم اسلام المعرفة والوعي والاستقامة والعزة والغيرة ، كأن همه كله أن يذهب ويؤوب ، ويمحو بجهله الذنوب ، وربما غفل عن فريضة صلاته أياماً لفقدان الماء مثلا ، وهو قاصد أداء فريضة واحدة .

فإلى العلم والحج أيها المستطيعون ، والى العلم والوعي أيها المسلمون ، فإن للعبادات مقاصد عليا فتعرفوا اليها ، واعملوا على تحقيقها .

(١) تاريخ التشريع الاسلامي ص ، ٥٨ و ٥٩ يضاف الى هذه الفوائد تزكية الحاج على أنواعها بهذه الفريضة .



بر الوالدين والأرحام

بقلم الأستاذ احسان النمر

الحنان الأبوي . البر البنوي . شؤم العقوق .
التعاطف الأخوي . صلة الأرحام . لعنة القطيعة .

الحنان الأبوي :

لُقب الأولاد « فلذات الأكباد » لأن الأبوين يشعران بأن الولد جزء منهما . فمهما فعل الولد من الجرائم والمفاسد لا يفرط به والداه بل يظلان يعطفان عليه ولا يلومهما الناس والعذر هو « الحنان الأبوي » ويندر أن يظهر من الآباء متطرفون في نبلهم فيتبرءون من الولد اذا أتى ما يخالف(١) سلوكهم .

والركون الى الحنان الأبوي لم ترد بشأنه في القرآن توصية للآباء على الأبناء ، حتى انه لم يرد في التشريع الاسلامي ـ على ما نعلم ـ تطبيق القصاص على الوالد الذي يقتل ولده(٢) لأنه لايقدم عليه مع حنانه الا اذا أصيب باضطراب عصبي

(١) ومثل هذا ما حصل من رجالات بلادنا في القديم وقد كانوا على جانب من النبل والتقوى .

(٢) لقد كانت هذه الناحية ولا تزال موضوع خلاف بين فقهاء الاسلام ثم بينهم وبين فقهاء القوانين الوضعية وقد أثيرت قضية كهذه قبل بضع عشرة سنة في الاسكندرية نشرتها المجلات الاسلامية وإليك ما ورد في احداها وهي مجلة التمدن الاسلامي الدمشقية في عددها ٣٣ ـ ٤٣ لسنتها العشرين « ان محكمة الجنايات في ـــ

جنوني . ولايجوز للوالد أن يكون سوطا في بيته يرعبهم وينغص عيشهم بحدته ، مظهرا السيطرة على من في البيت جميعا ، بل الواجب ان يكون هينا لينا فقد ورد في الأثر ان رجلا تضايق من شر امرأته فذهب يشكو أمرها الى عمر ولما كان ينتظر الإذن سمع زوجته تشاره وهو صابر فترك الباب فناداه عمر فقال له لم رجعت فقال له اني أتيت اشكو لك امرأتي فوجدت امرأتك تشارك فقال له عمر رضي الله عنه انهن يخدمننا وليس عليهن ذلك فيجب ان نتحملهن فقد قال تعالى « وعاشروهن بالمعروف » . فواجب الزوج أن يلاطف الزوجة ويتفاهم معها في شؤونها البيتية بلطف حسب مقتضى الآية . كما ينبغي أن يداعب الأولاد ولا يرهبهم بصراخه فقد ورد في الأثر ان بدويا شاهد رسول الله ﷺ يقبل حفيده فقال : « وانكم لتقبلون الصبيان ان لي عشرة من الولد ما قبلتهم » . فقال له

الاسكندرية حكمت بقتل والد أغرق ولديه في البحر عامداً . حكمت بالقتل استناداً الى القانون ولكنها أرادت أن تستنير بالوجه الشرعي فأحالت المسألة الى فضيلة مفتي الاسكندرية الشيخ يوسف فرفض الحكم مصدراً الفتوى الآتية – لايجب عليه القصاص شرعاً لأنه لا يقتص من الوالد في قتل ولده إذ أن الوالد السبب في وجوده ، فلا يكون الوالد سبباً في افنائه » . مستنداً الى الحديث « لا يقاد الوالد بولده » . إلا أن المحكمة لم تقتنع بفتواه وأثيرت القضية بين رجال الشرع الاسلامي فأصبحت خلافية بينهم على صفحات جريدة الاهرام المصرية في عددها بتاريخ ٧/١٠/١٩٥٤ منها رأى الشيخ محمد حسن القصاص الذي شجع المحكمة بقوله « ومحكمة الجنايات تطبق هذا القانون وليست ملزمة بتطبيق نصوص الشريعة الاسلامية » . وقال الشيخ محمود شلتوت « وأنا أرجح مذهب القائلين بالقصاص في هذه الحالة وذلك بعموم الآيات وأما الحديث الذي يروى في هذا المقام وهو « لا يقاد الوالد بولده » فانه لم يثبت وطعن فيه بعض المحدثين » . وقد رد الشيخ ناصر الدين الألباني الدمشقي على قول الشيخ محمود شلتوت بما يثبت خطأه وصحة الحديث وهكذا كل يدلي بنص » .

رسول الله ﷺ : « أو أملك ان نزع الله الرحمة من قلبك » . ومثل هذا ما حصل من عمرو بن العاص مع عمر بن الخطاب فعزله عن عمله الى ان توصل اليه الصحابة الكرام رضي الله عنهم . وقد روي في سيرة أبي جعفر المنصور انه اذا كان في بيته كان عادياً كألطف الناس فاذا ما خرج تصنع الهيبة .

على أن العاطفة الأبوية نحو البنات أعظم منها نحو الذكور وقد أوصى الشرع بهن خيرا فقد ورد في الحديث : « من كانت له بنتان او اختان فأحسن اليهما ما صحبتاه كنت أنا وهو في الجنـــة كهاتين » . مشيراً الى اصبعيه .

وواجب رب الأسرة الحدب على جميـع أفرادها قاضيا لهم حاجاتهم وقد ورد في الحديث : « خيركم أنفعكم لعياله » كما ينبغي ان لايكون متطرفا في غيرته وقد ورد في الحديث : « ان من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل وهي غيرة الرجل على أهله في غير ريبة لأن ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه فإن بعض الظن اثم » .

كما ينبغي ان يكون الأب حكيما في تلبيته طلبات اطفاله حسب مقتضيات زمانهم وحسب سنهم فاذا ما كبر الولد اتخذه صديقاً يستشيره ويعطيه حريته لأن التضييق عليه يفتنه وقـد ورد في الحديث : « رحم الله امرأ أعان ولده على بره » . وعليه أن يتتبـع ما قال العقلاء في هذا الصدد كالذي دار بين معاوية بن أبي سفيان والأحنف بن قيس فقد سأل معاوية الأحنف : « ما تقول في الولد يا أبا بحر ؟ » فقال الأحنف : « يا أمير المؤمنين ، هم ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة ، وسمـــاء ظليلة ، وبهم نصول على جليلة فإن طلبوا فأعطهم ، وان غضبوا فأرضهم ، يمنحوك ودهم ، ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم قفلاً ثقيلاً فيملوا حياتك ، ويودوا وفاتك ، ويكرهوا قربك » . فقال له معاوية : « لله أنت يا أحنف لقد أرضيتني عمن سخطت عليه من ولدي » . وقد

سأله أيضاً : « من أحب أولادك اليك يا أبا بحر ؟ » فقال : « أحب أولادي الي الصغير حتى يكبر والمريض حتى يبرأ والغائب حتى يؤوب » .

ثم الحذر الحذر من تفضيل أحد الأولاد على إخوته ولو بأقل الأمور وفي قصة أولاد يعقوب المنصوص عليها في القرآن الكريم أفضل عبرة . وهذا أمر مشاهد يحدث في كل وقت ويظهر سوء مغبته إذ يحسد الإخوة بعضهم بعضا وتتبعهم ذريانهم فيتناحرون . ومن أسوأ الأخطاء تذمر الوالد من بعض أولاده أمام بعض وتحريض بعضهم على بعض وأكثر مايكون هذا في حالة الضرار فيتحامل الأب وزوجه المقربة وأولادها على ضرتها وأبنائها ، فليتنبه من يبتلوا بالضرار إذ أن كثيرا ماقضى على الأسرة بأسرها ، ومنها الوصية بشيء من التركة لأحد الأبناء فقد منعه الشرع وعده جورا فقد ورد في الأثر أن رجلا أتى رسول ﷺ يشهده على اعطاء ولده من ثروته أو ملكه فقال له الرسول الأعظم : « ألك غيره ؟ » قال : « نعم » فقال له : « هل أعطيته مثله » فقال له : « لا » فقال ﷺ : « لا أشهد على جور » .

وثمة خطر آخر وهو استيلاء الوالد على كسب الولد وانفاقه بمشاهدته مما قد يدفع الولد إلى ارتكاب جريمة قتل والده كما شاهدنا ذلك من بعض الأولاد .

البر البنوي :

ان بر الولد والديه أمر طبيعي عند الفطرة الطيبة لا يحتاج الى توصية الا أنه لما في فطرة بعض البشر من الشذوذ والفساد والجهل والظلم فإن الشرع السماوي قد قرر أقصى مايمكن من الوصية على الوالدين وتجنب أدنى حدود الأذى فقد ورد في التنزيل « وقضى ربك أن لاتعبدوا إلا اياه وبالوالدين إحسانا إمّا يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب

ارحمهما كما ربياني صغيرا » فالتنبيه إلى التأفف والانتهار يقضي على كل محاولة البر من ذلك كالضرب ونحوه . ومن أروع التمثيل ايجاب اظهار الخفض والتذلل كالطير الذي يخضع فيخفض جناحيه وذنبه ورأسه وهذا يشاهده كل من اقتنى طيوراً من دجاج أو حمام وغيرها .

وقد أضاف جلّ وعلا إلى تذكير الولد بمتاعب والديه في حمله ورضاعه وتربيته ، ذلك لأن جميع مواليد الحيوانات تولد ضعيفة ثم لاتلبث أن تقوى وتستغني عن أمها في برهة يسيرة ماعدا الإنسان فانه يختلف عن ذلك إذ يطول ضعفه وحاجته لوالديه . وقد ورد في التنزيل والتذكير بهذا في قوله تعالى « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إليّ المصير » . ومما يدهش أن الله قرن شكره جل شأنه بشكر الوالدين .

وقدر الخالق جل شأنه مايحدث في بعض الأحيان من اختلاف العقيدة بين الناشئين والشيوخ فأوصى الولد بأن لايطيع والده في ترك عقيدته الجديدة وهي الإيمان فلا يرجع إلى الكفر، وأوصاه بأن يكون رفضه بأدب ولياقه مهما طال الأمد . وقد ورد في التنزيل « وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا » وكذا لايطيعه بما فيه المعصية من الكبائر لقاعدة « لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق » وكذا لايطيع والديه في تطليق زوجته دون ما يدعو إلى ذلك ، وكذا لا يطيع في شؤونه الخاصة من الحرفة والصناعة .

ونظرا لأن كبر السن والمرض ونحوه يفتن الولد ويضجره فقد رغبه الشارع في التحمل مع المكافأة المعادلة للجهاد وهو التضحية بالنفس فقد ورد في الأثر أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ وقال له أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى فقال له ﷺ : « هل لك من والديك أحد ؟ » قال : « نعم كلاهما » قال : « فتبغي من الله تعالى الأجر ؟ » قال : « نعم »

قال : « فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما » . وجاء رجل آخر إلى النبي ﷺ يستأذن بالخروج إلى الجهاد في سبيل الله فسأله الرسول « ألك أبوان ؟ » قال : « نعم » قال : « ففيهما فجاهد » . وأتاه الصحابي الجليل معاوية بن جاهمة السلمي يريد الجهاد فقال له : « ويحك أحية أمك ؟ » قال : « نعم » قال : « ارجع فبرّها » ولما ثلث معاوية الاستئذان قال عليه الصلاة والسلام : « ويحك الزم رجلها فثم الجنة » . وللبر ثمار في الدنيا بالتوفيق في الأعمال ، وإن التوسل بها يستجاب ويساعد في الأزمات وقد ذكر هذا في أحاديث البخاري عن الثلاثة الذين لجأوا إلى مغارة فسدتها صخرة فتوسلوا بأعمالهم فأحدهم توسل ببره والديه والآخر بعفافه والثالث بأمانته فكان كل توسل يزيح الثلث . وجاء رجل يشكو والده لاستيلائه على ماله ولما سأل الوالد قال له إنني أنفقها على أمه واخوته وأنشد يقول :

غذوتك مولودا وعلتك يافعا	تعلّ بما أجني عليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت	لسقمك إلا باكيا أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي	طرقت به دوني وعيني تهمل
تخاف الردى عيني عليك وإنما	لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي	اليها مدى ما كنت فيك أؤمّل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة	كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي	فعلت كما الجار المجاور يفعل

فلما أتمها قال ﷺ للولد : « أنت ومالك لأبيك » ونظرا لما تعانيه الأم من صعوبة الحمل والوضع والرضاع ثم مضايقة الكنة فانها زيدت في الحقوق والوصية على الأب فقد ورد في الأثر : أن صحابيا سأل الرسول ﷺ من أحق الناس بصحبته فقال له : « أمك » قال ثم من ؟ قال « أمك » قال ثم من قال « أبوك » ولو توقف عن الثالثة لذهبت الأم

بالكل . على أنه لايساويها في تطليق زوجته علما بما يحصل بين الأم والكنة من التنافس والتناقد ولكن حذار من ترك حبل الزوجة على غاربهـــا تتطاول على الأم ، فإن في هذا أسوأ العقوق والخزي ونشاهد الآن مايستغرب من بعض من لاخلاق لهم من التقوى من الأبناء فتلوكهم الألسن ويلاقون جزاء وفاقا جليا .

ومما ينبغي التنبيه إليه أن ترجيح الأم على الأب لايعني إهمال الأب ومن أسوأ وأخبث ماسمعت من الآراء قول بعضهم ان الأب لم يقصد الذرية إنما قصد قضاء وطره من الزوجة فالذي يسعى للزواج إنما يقصد الذرية وإنه مهما بلغ الشبق فإنه لايلبث أن يفكر في الذرية حينا يرى الأبناء مع آبائهم . وكذا من سؤال الناس إذ يذهب دور الشهوة ويأتي دور العقل الذي يقرر حفظ الجنس . الأمر المستقر في صميم العقل البشري . وإذا ماشعر بحمل زوجته غير سلوكه معها في المعاملة فيتجنب الإتعاب والإزعاج فاذا ماوضعت ساعدها في كل مايحتـــاج الطفل فإذا ما كبر انتقلت العناية له خاصة في اباسه ونفقته وتعليمه إلى أن يشب ويكبر ويصبح رجلا فتتعدى عنايته إلى ولده أي حفيده وقد يؤثره على أبيه في بعض الأحيان وفي الأمثال : « ما أغلى من الولد إلا ولد الولد » .

البر بأصدقاء الوالدين :

ولايقتصر واجب البر على الوالدين بل يتوجب لأصدقائهما أيضا فقـد ورد في الحديث : « من أبر البر أن يصل الولد أهل ود أبيه بعدما يموت » . وورد أيضا : « من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه » وذكر الفقهاء رحمهم الله تعالى أنه إذا مات الوالدان ساخطين على الولد استرضاهما بثلاث : بسلوكه الحسن وبصلته قرابتهما وأصدقائهما وبالاستغفار لهما والدعاء والصدقة عنهما .

وفي الأثر أن رجلا أتى للنبي ﷺ فقال له : « يارسول الله أذنبت ذنبا عظيما فهل لي من توبة ؟ » فقال له ﷺ : « هل لك من أم ؟ » قال : « لا » قال : « فهل لك من خالة ؟ » قال : « نعم » قال : « فبرّها » .

شؤم العقوق :

ولما كان بعض البشر فاسدي الفطرة أو ناقصي العقل أو جهال النفس كان منهم عدم الطاعة للأبوين فيطلق عليهم لقب العقوق وهو شؤم في عواقبه الدنيوية والاخروية ، فقد يجر إلى أسوأ النتائج وهذا النوع ماورد التحذير منه فقد ورد التنزيل : « يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم » . وورد في الحديث أن العقوق من الكبائر وورد في الحديث أيضا : « ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة ، مدمن الخمر ، والعاق ، والديوث الذي يقر الخبيث في أهله » فانظر كيف حط العاق إلى درجة الديوث وهي أحط الدرجات . وورد في حق العاق اللعنة إذ ورد : « ملعون من عق والديه » .

ومن الثابت أن العقوق له عقوبة دنيوية ، فقد ورد في الأثر في هذا الصدد أن الجزاء من جنس العمل أي أن ما يعامل به الرجل والده من العقوق يعامله به ولده . وقد ورد في الحديث : « برّوا آباءكم تبركم أبناءكم » ومن طريف ماذكر في هذا الصدد أن رجلًا كبر أبوه واحتاج الى مكانه في أعلى الدار فأنزله إلى الطابق السفلي وأجلسه على حصير فجاء الحفيد فقسم الحصير قسمين أعطى جده شطرا وأخفى الشطر الآخر ، فلما عاد الأب شكا له الجد فعلة حفيده فلما سأله قال له إني أحتفظ بها حتى إذا ما كبرت أعطيتكها كما فعلت مع جدي ، فأدرك خطأه وأعاد أباه حيث كان مع زيادة بالعناية خشية أن يصير أمره إلى هذا .

ومن العقاب عدم التوفيق في الأعمال بمجرد توقف رضا ودعاء الأبوين حتى لقد أصبحت هذه الحال ظاهرة عند كل من يعق والديه أو أحدهما وقد تحققت هذا في سير كل عاق .

ومما يحصل للعاق سقوط المنزلة بين الناس فيظل مغمورا فيقال هذا مغضوب لأنه عاق لاخير فيه لأبويه فكيف يكون فيه خير للناس ، فلا يثق به أحد مهما بلغت منزلته وتصرفاته إذ لا تطمئن القلوب إليه . ومن العقوق الذي هو من درجة الكبائر شتم الرجل والديه . وقد قيل يارسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب الرجل أباه فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه . وكأنه لم يكن إذ ذاك أن يسب الشخص أخاه أو أخته . وبهذا يسب أباه نفسه كما يجري في أيامنا . وكذا من العقوق إهمال ذوي الأب من الأقارب والأصدقاء كما مر فإن ذلك مما يسيء إلى الوالد حياً وميتا .

تعاطف الإخوة :

إن للإخوة حقوقاً وواجبات يخشى عليها من المصالح والمطامع وهذا يوجب عليهم التضحية المادية والمعنوية وإلا حل التقاطع اللعين .

وورد في الحديث : « حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده » . وكذا هو كوالد فحق عليه أن يسهر على رابطتهم فلا يتركهم يتخبطون ويختلفون فان من الاخوة من يطمع بحقوق أخيه فيغتصبها ، ولا يبالي وعن هذا قال الفيلسوف يعقوب الكندي : « الأخ فخ » . وهذا من أخطر الأمور لاسيما إذا كان لهم أولاد إذ ينتج عداء مرير يشعر معه بألم شديد لايشعر به مع المعتدى الغريب ، وفي هذا ماقال زهيرابن أبي سلمى :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة   على المرء من وقع الحسام المهند

فالواجب النظر إلى المستقبل وإلى النتائج فلا يتمادى الغاصب ، ومن جهة أخرى أن يضحي المعتدى عليه ويكم أنفاسه فلا يعلم ذويه من زوجه وأبنائه وأن يعملا على حل المسألة قبل أن تعم فيصعب غسل مايكون علق بالنفوس .

صلة الأرحام :

قضت النشأة البشرية أن يكون للوالدين أقارب لهم حقوق وواجبات لامفر منها إلى الأبد فقد ورد في الحديث : « العم كالأب والخالة كالأم » .

وتأتي بعدهم قرباتهم إلى أبعد حدود القرابة مما يطلق عليه اسم الأرحام وقد ورد في الحديث : « برّ أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك وأدناك » . وقد أوصى الله تعالى بالرحم مع اسمه إذ ورد : « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام » . ويقضي هذا بوجوب العناية بالأقارب والأرحام مادة ومعنى ومشاركتهم الشعور وقد ورد في الحديث : « بلوا أرحامكم ولو بالسلام » ، « صلة الرحم تزيد في العمر » ، « ليس شيء أطيع الله فيه أعجل ثواباً من صلة الرحم » . وورد أيضا : « وأن أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم حتى أن أهل ليكونوا فجرة لتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا » . وهذا أمر مشاهد في مصير الناس هو وعكسه .

هذا ومما ينبغي التنبيه اليه أن صلة الأرحام ليست للاناث فقط كما يتصور العامة ولكنها للذكور أيضا بتفقد أحوالهم وإيثار مصلحتهم وقد ورد في التنزيل : « الأقربون أولى بالمعروف » . وورد في الحديث : « الصدقة على المسكين صدقة وهي على ذي الرحم اثنتان : صدقة وصلة » . كما ينبغي التنبيه إلى عدم اتخاذ صلة الأرحام وسيلة إلى التعصب للعصبية وقد وردت « ليس منا من دعا إلى عصبية » « وليس منا من مات على عصبية » . وهي نصرة الأقارب على الباطل والتسلط على الضعفاء الذي ينتج عنه نفور الرأي العام فتكون له عواقب سيئة على المصالح والأشخاص كما شاهدنا مما يقلب الدائرة عليهم مهما طال الأمد .

لعنة القطيعة :

في البشر من لايتقيدون بالشريعة ويسوقهم الطمع إلى تجاوز المشروع والمعتاد بين الناس فيغصبون حقوق الأقربين دون مبالاة بالقطيعة ، وهؤلاء مقطوعون كما ورد في الأحاديث القدسية إن الرحم متعلقة بعرش الرحمن تقول قطع الله من قطعني وقد وعدها الله بذلك . وهذا كثيرا ما يتمثل بين بني الأب في مسائل الميراث . ومن هذا أيضا حصول الزيادة في المال أو الجاه فيحصل في النفس كبر تنتج عنه القطيعة التي حلت عليها اللعنة

بنص القرآن الكريم إذ ورد : « وهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » . فترى أن ليس أصعب من هذا الوعيد وفيه الألم كما قال زهير بن أبي سلمى :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة　　على المرء من وقع الحسام المهند

وقد تقررت عقوبة قاطع الرحم بعقاب دنيوي عاجل فقد ورد في الحديث : « ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع مايدخره له في الآخرة من قطيعة الرحم والخيانة والكذب » . حتى ان هذا ليعم القوم فتنقطع عنهم الرحمة بسبب أحدهم وقد ورد في الحديث : « ان الرحمة لاتنزل على قوم فيهم قاطع رحم » .

وقد يبتلى المرء بعشيرة تسفلت فابتليت بالخبث فلا تحفظ معروفا ولا تبالي بالقطيعة فما عليه إلا الصبر دون المقابلة بالمثل ، فقد ورد في الأثر أن رجلا قال للنبي ﷺ : « يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عنهم ويجهلون علي أفأكافئهم[1] ؟ » فقال ﷺ : « إذاً تكون مثلهم اثن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل[2] ولا يزال معك من الله عليهم ظهيراً مادمت على ذلك » . والواقع أن مثل هذه الحال فتنة وأي فتنة لاينفع معها إلا الصبر الجميل فلها عواقب طيبة وعبر مربية وعوض عما يضيع ، كما يشاهد من وقت لآخر من مصائر الناس بين بعضهم فما على المبتلى إلا أن يضبط نفسه ويستعمل عقله ويتمسك بالصدق والاستقامة ولا ينحرف فإن الانحراف مصيدة الأعداء والبغاة وان الله مع الصابرين .

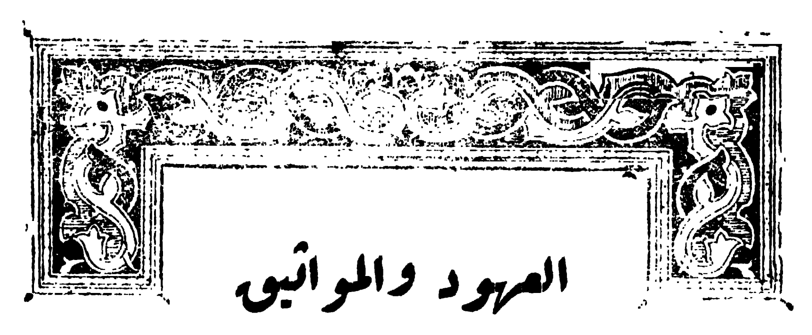
كما ينبغي أن تفطن العشيرة لمن تظهر فيه صفة الفساد فلا يفسحوا لهذا الشخص مجالا بل عليهم أن يعلنوه بينهم ويحذروه وإلا فإنه يمزقهم كل ممزق كما حصل ويحصل لكثير من العشائر والله لايهدي كيد الخائنين .

نابلس :　　　　　　　　　　　　　　احسان النمر

---

(١) أي هل أساويهم .

(٢) الرماد الساخن .



العهود والمواثيق

للأستاذ الشيخ أحمد نصيب المحاميد

رقيّ الأمة ونهوضها وتقدمها ، يتوقف في الحقيقة على ما تتحلى به من أخلاق كريمة ، وصفات سامية ، وشيم عالية جامعة ، وبين الأخلاق العالية ، نواح هي أشد سموا ، وأكثر نفعاً ، وأوثق للروابط الإنسانية بين أفراد البشر . من هذه الأخلاق التي أشرت اليها « العهود والمواثيق » .

وإننا مهما استعرضنا تاريخ الأمم وشرائع الرسل ، فإننا لا نجد شريعة أشد حرصاً على الوفاء بالعهود والمواثيق من الشريعة الإسلامية المطهرة ، كما أننا لانجد في القادة ولا في السادة ، ولا في المصلحين إنساناً رفع من شأن العهود والمواثيق ، وطبقها فعلا بأروع المثل في حياته السامية ، لانجد إنساناً فعل كل هذا كما فعله محمد ﷺ .

إننا لانكون مبالغين إذا قلنا : إن الدعوة الاسلامية قامت على هذا الأساس المتين الذي يوحد العلاقات بين الأفراد والجماعات ، وبين الأمم والشعوب ، وهو حفظ العهد ، ورعاية الميثاق .

إذ فلا عجب أن تصرخ الآيات القرآنية الحكيمة مدوية مجلجلة حاضة على الوفاء ، مبينة مكانته . قال تعالى في سورة النحل : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم

كفيلا ، إن الله يعلم ماتفعلون » . وقال : « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا » الإسراء . كما جاءت آيات كريمة تحذر من خيانة الميثاق ، ونقض العهد ، وتبين أن ذلك ينزع الثقة ويثير الفوضى ، ويمزق الأواصر ، ويقضي على التعاون بين الأمم والشعوب التي ينبغي لها أن تعيش في أمان وتعاون على وجه هذه الأرض . قال تعالى في سورة النحل : « ولاتكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة ... » .

ومعنى هذه الآية الكريمة إن الإسلام يحذر من أن تقوم العهود والمواثيق على الفساد والغش ، لكي تكون أمة هي أربى من أمة ، أي أكثر منها مالاً ورجالاً وقوة وصولة وأساطيل ، لتستعبد الأمة الضعيفة فيما بعد ، وتستولي على كدحها وخيراتها ، ونتاج أرضها .

وإذا كان تاريخ الإسلام ناصعاً مشرقاً يتلألأ بالصدق والوفاء ، فإن تاريخ الأمم المستعمرة اليوم مؤسف مخجل إذ أنهم يتخذون العهود والمواثيق طريقاً للوصول إلى أغراضهم لكي يكونوا أكثر من غيرهم عدة وسطوة في البر والبحر والجو ، كما قال تعالى : « أن تكون أمة هي أربى من أمة » . فإذا وصلوا إلى هدفهم ضربوا بالمعاهدات عرض الحائط ، وكأنهم لم يفعلوا شيئاً .

أما رسول الله ﷺ فقد ضرب أروع الأمثال العملية التطبيقية ، في شؤونه الحياتية ، على رعاية المعاهدات والاهتمام بشأنها ، وعدم التحايل والالتواء لإبطالها والقضاء عليها .

كان يفاوض سهيل بن عمر رئيس وفد قريش في صلح الحديبية ، وقد تم الاتفاق على أن يرد المسلمون إلى قريش من جاء منهم مسلماً ، في هذه الأثناء قدم ابن سهيل المفاوض واسمه أبو جندل ، يرسف في الأغلال ، وقد فر من الأعداء الذين يمثلهم أبوه ويتفاوض مع الرسول باسمهم ، وكان

هذا الابن ممن آمنوا بمحمد عليه السلام ، جاء أبو جندل وقد انفلت من أيدي المشركين الذين كانوا يسومونه سوء العذاب والتنكيل حتى يرجع إلى عبادة الأصنام . جاء مستصرخاً ضارعاً يعلن إسلامه ليخلصه المسلمون من أيدي المشركين ، فلما رأى سهيل ابنه ، قام إليه ، وأخذ بتلابيبه ، وقال : يامحمد ، هذا أول العهد ، وقد فرغنا من المناقشة قبل أن يأتيك هذا .

قال رسول الله ﷺ : صدقت ، خذه ، فصاح أبو جندل : يامعشر المسلمين ، أأرد إلى المشركين يفتنوني في ديني ؟ ! ولكن ذلك لم يغن عنه شيئاً ، ورده رسول الله وفقاً للشرط الذي اتفق عليه ، ولم يكن قد كتب . أفرأيتم - أيها الناس - في تاريخ البشر مثلا لرعاية المعاهدات والمحافظة على تنفيذ مفعول كلمة منها ، وإن كانت لم تكتب بعد ، كهذا الذي فعله رسول الله في صلح الحديبية ، على مرأى من خصومه ، وعلى كره من أنصاره وأصحابه ؟

وقد حرص أصحاب محمد من بعده على تطبيق الخطة التي سار عليها ، ودعا إلى التمسك بها .

كتب عثمان رضي الله عنه إلى عماله وولاته عقب توليته الخلافة هذا الكتاب :

« أما بعد ، فإن الله خلق الخلق بالحق ، خذوا الحق واعطوا الحق ، والأمانة الأمانة قوموا عليها ، لاتكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم ، الوفاء الوفاء لاتظلموا اليتيم ولا المعاهد فإن الله خصم من ظلمهم » .

والغرض الأسمى من المعاهدات الدولية إنما هو إقامة العدل ، وتحقيق المساواة بين جميع أفراد البشر على السواء ، وليس المراد منها استدامة حالة الغلب الذي نتج عن حرب اقتضاها العدوان بدوام الحرمان والإذلال للمغلوب ، وإضاعة حقه وامتهان كرامته ، لهذا كان للعهود والمواثيق التي تهدف إلى هذه الغاية النبيلة ، مكانة هامة في تعاليم الاسلام .

ونظام العالم الذي يقوم على مثل هذه الروح ، وبعهود محفوظة نافذة ، هو نظام سلم حقيقة ، يستمر هادئاً مطمئناً ، وإذا وازنا بين المعاهدات الجدية النافذة في عهد الرسول عليه السلام وخلفائه الراشدين ، وبين المعاهدات والأيمان والوثائق الدولية في عصرنا الحاضر - وجدنا بوناً شاسعاً ، وفرقاً كبيراً بين هذه وتلك .

إن المعاهدات اليوم عند الدول المستعمرة المستثمرة إن هي إلا أساليب للسيطرة على الشعوب الضعيفة وامتصاص دمائها ، واسترقاق خيرات بلادها . عهود تعقد لتنقض ، ووثائق تكتب لتمحى ، وأمم تتعالى على أمم ، وأقوام تتسامى على أقوام ، مما جعل السلم العالمي مهددا بالخطر . والمدنية معرضة للدمار ...

ولضمان السلم ، وتحقيق العدالة والمساواة ، كان القائد الأعظم رسولنا محمد ﷺ شديداً كل الشدة على الذين يستهينون بالمعاهدات ، وينقضون المواثيق بعد توكيدها ، ليعلن للعالم أنه كما جاء يدعو إلى الخير ويرغب بالفضيلة ، فإنه على استعداد لتأديب المنحرفين والخارجين على نظام الحق والعدل ، والمنغمسين في حمأة الخيانة والغدر ، وتاريخ النبي عليه الصلاة والسلام مع اليهود في المدينة شاهد صدق على كل ذلك .

فمن الثابت أن النبي أخرج بني النضير من جواره من المدينة وطردهم من أرضه لما ظهر غدرهم وخيانتهم بعد أن عقد بينه وبينهم معاهدة أمن وسلام حين مقدمه من مكة ، فداسوا العهود واستهانوا بالمواثيق فكان جزاؤهم الطرد والتشريد جزاء وفاقاً .

لقد ذهب الرسول نفسه لزيارة بني النضير هؤلاء في محلتهم ، ومعه بعض أصحابه ، ذهب إليهم يتألفهم ويفاوضهم في شأن من الشؤون ، فاغتنموا فرصة وجوده بينهم ، وصمموا على قتله - وهو ضيفهم وزائرهم !! وبينه وبينهم معاهدة سلم وحسن جوار - لولا أن الله تعالى أنزل الوحي

فأخبروه بمؤامرتهم الدنيئة المخذولة ، فانسحب ﷺ ، وافتضح أمرهم وقد اكتفى الرسول بعقاب هؤلاء الخونة الغُدُر أن أجلاهم عن المدينة وطردهم من جواره .

أما إخوانهم بنو قريظة ـ قبيلة أخرى من اليهود ـ فقد كان كيدهم أعظم ، وغدرهم أشد ، فإنهم خانوا وطنهم أشد أنواع الخيانة وأعظمها جرماً ، وفي الحقيقة لم يكن اليهود في الأصل من أبناء ذلك الوطن ، إنما نزحوا إليه حين أجلاهم الرومان وشردهم ، فاستغلوا سذاجة العرب إذ ذاك ، وأخذوا يقرضونهم أموالا بالربا الفاحش ، حتى أصبحوا فيه أصحاب الأموال ، واستولوا على كثير من أرضه الصالحة للزراعة ، وصار بأيديهم زمام التجارة والصناعة ، كما فعلوا ذلك ـ تماماً ـ في فلسطين ، وبدؤوا يكيدون *للمواطنين الأصليين ويحسدونهم على اتباعهم محمدا ، واعتناقهم الدين الجديد ،* إذ أيقنوا أنه سيفضح مؤامراتهم ، ويقضي على غدرهم وخيانتهم .

وكانت غدرة هؤلاء الكبرى أنهم اغتنموا فرصة وجود الأحزاب حول المدينة ، ورأوا من كثرتهم وقوتهم وشدة عزمهم وتصميمهم على استئصال المسلمين ، ما جعلهم يستبشرون بهذا الهلاك المحقق للنبي وأصحابه ، لذلك وحينما كان المسلمون في موقف حرج جداً أمام جموع الأحزاب التي جاءتهم من مكة بقيادة أبي سفيان ، مالبث هؤلاء اليهود أن نقضوا العهد الذي بينهم وبين محمد ، وانضموا إلى صفوف الأعداء ، فزاد ذلك في خوف المسلمين وهلعهم إذ فتح هؤلاء اليهود ثغرة للعدو من ورائهم ، فأصبح المسلمون بين فكي الرحى ، ولكن الله تعالى تدارك المسلمين بلطفه ، وأيدهم بنصره فأرسل على أعدائهم ريحاً وجنوداً لم يروها ، [ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا] .

بقي هؤلاء الخونة بعد انسحاب الأحزاب حائرين في أمرهم ، وأسقط في أيديهم ، وارتقبوا عاقبة خيانتهم وغدرهم ، وكما قلت سابقاً إن الرسول

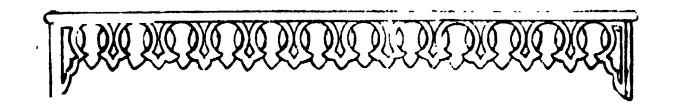
كان شديداً في تأديب المنحرفين عن الخلق الكريم ، بقدر ما كان يرغب ويدعو إلى هذا الخلق الكريم ، لذلك فقد رأى عليه السلام أن يُحكّم في هؤلاء ـ بعد أن أصبحوا في قبضته ـ رجلاً من حلفائهم هو « سعد ابن معاذ » فأحضر سعدٌ ، وأخذ مجلسه ، وعلم المهمة التي جاء من أجلها ، فأراد أن يستوثق بأن حكمه سيكون نافذاً ، فالتفت إلى الجهة التي لم يكن النبي فيها فقال : عليكم عهد الله وميثاقه إن الحكم كما حكمت ، قالوا : نعم . ثم التفت إلى الجهة التي فيها رسول الله وهو غاض طرفه إجلالاً له ، وقال : وعلى من هنـــا كذلك . فقال النبي : نعم . فقال سعد : « اني أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذراري والنساء » .

فلما حكم سعد بذلك قال له النبي : « لقد حكمت فيهم بحكم الله ياسعد من فوق سبع سماواته » .

وهذا الحكم هو ما تقضي به كل الشرائع القديمة والحديثة فيمن ارتكب تلك الجناية العظمى ، فلا تأخذها رأفة بمن يرتكبها ، وقد كان بنو قريظة هؤلاء يريدون استئصال المسلمين ، فكان جزاؤهم وفاقاً لجريمتهم النكراء ، إذ خانوا الأرض التي يعيشون عليهـــا ويأكلون من خيرها ، كما خانوا دينهم ، ونقضوا عهدهم ، وفضلوا الأصنام على دين محمد ﷺ ...

فيا أيها المسلمون ويا أيها العرب ان التاريخ يعيد نفسه . وان اليهود والصهيونية العالميه والاستعمار يتآمرون عليكم ، ويكيدون لكم ، ويمكرون فيكم ، فخذوا حذركم ، وأعدوا عدتكم واجمعوا صفوفكم ، وأخلصوا لله في أعمالكم ، انكم ان فعلتم ذلك سيؤيدكم الله بنصر من عنده ، وسينكص أعداؤكم بالخيبة والخسران ، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

احمد نصيب المحاميد



رأي جديد في علم النفس

للأستاذ محمود مهدي استانبولي

- ٢ -

ويقول ماريتان :

« ... فليس غريباً أن أصبحت الديمقراطية في البلاد التي أزعجتها أو أفسدتها الدعاوة الفاشية أو العنصرية أو الشيوعية ، قبل الحرب العالمية الثانية (بسبب علمانيتها وإلحادها) مجتمعاً لا يفهم نفسه ، ولا يؤمن بنفسه ، ولا ولا يملك إيماناً مشتركاً يمكنه مقاومة الانحلال[1] .

ويقول كارل مانهايم :

« لقد خرج عصر الليبرالية عن المألوف إذ اعتقد بأن من الممكن أن يحدث التغيير دون الاهتمام بالتكامل الديني وأشكال التكامل الأساسي الأخرى ... ونحن الآن نرى أن نظاماً اجتماعيا ، أياً كان ، لا يستطيع أن يحافظ على نفسه إلى درجة مقبولة إلا على أساس عقيدة توضع وضعاً سليماً بحيث يؤدي أداء جديداً الدور الذي كانت تؤديه العقيدة القديمة[2]. لقد تعلمنا من الفوضى التي اجتزناها أن ثمة بضعة أمور يجب أن تكون بمعزل عن الشك[3] ... »

---

(١) المصدر السابق ص ٨٦ .

(٢) من الكلام السابق ندرك شك القوم بعقيدتهم الدينية ، غير أنهم يسعون للمحافظة عليها ربما يهتدون الى عقيدة دينية غيرها صحيحة !

(٣) المصدر السابق ص ٨٧ .

وقال توينبي أيضاً في كتابه (الحضارة في الميزان) :

« ... لقد كان من المآسي الكبرى في الحياة البشرية على وجه الأرض أن يكون هذا الاختلاف الصارخ بين ما قام به الإنسان في الميدان الروحي وفي الميدان المادي حتى يومنا هذا على الأقل معكوساً على هذا الوجه ، ذلك بأن الجانب الروحي من الحياة الإنسانية أهم بكثير بالنسبة لرفاهية الإنسان من سيطرته على الطبيعة غير البشرية[1] .

وقال في موضع آخر :

« ... وفي وسعنا أن نثق من أمر واحد ، وهو أن الدين سيكون الأساس الذي تقوم عليه هذه الحركة المضادة ذات القوة المركزية الجاذبية وهذا الاحتمال ينبهنا مرة أخرى الى ضرورة اعادة النظر في مناهجنا الغربية التقليدية الخاصة بدراسة التاريخ ... إن نصيحتنا هي أنه يجب علينا عند دراسة التاريخ بوصفه وحدة شاملة أن ننزل التاريخ الاقتصادي والسياسي الى المرتبة الثانية ، وأن نجعل المقام الأول للتاريخ الديني ، لأنك لو أنعمت النظر ، لألفيت أن الدين هو الأمر الخطير الذي يهم الجنس البشري[2] .

وقال الدكتور هنري لنك ، وهو من كبار علماء النفس في الولايات المتحدة الأميركية في كتابه العودة الى الدين :

« لقد قيل إن الدين ملجأ ضعاف العقول ! أما من الناحية النفسية . فأقول بدوري إن هذا الضعف إنما يكمن في الحقيقة في عجز العقول عن إدراك ضعف العقول كلها . فإن الشعب الأمريكي مثلاً يتخبط بدرجة لم يتخبط بها شعب من قبل ، برغم تقدم العلوم الحديثة واضطراد نظم التعليم !!

---

(٢) ترجمة أمين محمود الشريف ص ٢٠٧ .

(١) المصدر السابق ص ٩٨ .

ولنستمع بعد ذلك الى رأي أحد كبار المربين وهو رتشرد لفنجستون عميد كلية (كوربس كرستي) ووكيل جـامعة أكسفورد في كتابه (التربية لعالم حائر) :

« إن مشكلتنا الحقيقية لأبعد غوراً من السياسة أو العلوم أو الاقتصاد ، ولن نستطيع البتة حلها إذا خلت نفوسنا من مثل روحي أعلى يهدينا الصراط المستقيم . ولو أننا واصلنا السير في الطريق الذي نسلكه الآن ، لا نقلب ديننا أكبر الظن ، الى دين اقتصادي ، ولعبدنا الرخـاء المادي مصوراً في شكل مهذب ما . إن ديناً كهذا لهو دين محط مشين لا يشبع الحاجات المتعلقة في حنايا النفوس البشرية ، فهو لذلك دين قصير الأجل » .

وإن رأي الفيلسوف (نيتشه) على الرغم من حاجته الى مناقشة في إطاره العام ، يمكننا أن نستشهد به على طبيعة الإنسان وميله للخلود واندفاعه نحوه وسعيه للارتقـاء الى الإنسان الكامل (السبرمان)[1] :

« أيها الإنسان ! إن حياتك كالساعة الرملية ستعود من جديد ، وستفرغ من جديد دائماً ، وهذه الدورة التي أنت فيها حية ، ستتلألأ من جديد الى الأبد »[2] .

ومما سبق ندرك أن استناد كثير من النظريات إلى ما وراء الطبيعة لا يقول به الدين وحده ، بل الفلسفة أيضا .

لذا كان رأينا يتفق مع النظريات القديمة والحديثة ، وهو مقبول وخاضع للتجارب النفسية .

---

(١) نقلاً عن كتاب تجديد الفكر الديني في الإسلام للفيلسوف اقبال ص ١٣٢

(٢) وقد علق الدكتور اقبال على نظرية نيتشه بقوله : « لقد وصف الخلود محتملاً ، وما الذي يجعل الخلود محتملاً في رأي نيتشه ؟ هو توقعنا أن عود تركيب مراكز النشاط ، ذلك العود الذي يكوّن عاملاً ضرورياً لميلاد ذلك التركيب المثالي الذي يسميه « الانسان الأعلى السبرمان » ص ١٣٣ .

وأخيراً قال العالم النفساني الكبير الأستاذ وليم جيمس مشيراً إلى تعطش النفس البشرية الى عالم الخلود والمثالية :

« يرجح لدينا أن الناس سيظلون يصلون الى آخر الزمان ، بالرغم مما قد يأتي به العلم من عكس ذلك ، اللهم إلا إذا تغيّرت طبيعتهم العقلية الى حالة ليس لدينا شيء مما نعرفه يهدينا الى توقعها .

والباعث للانسان على الصلاة نتيجة ضرورية لحقيقة هي أن النفس الإنسانية التجريبية ، وان كانت في صحيحها نفساً اجتماعية ، فإنها لا تستطيع أن تعثر على ندّها أي (رفيقها الأعظم) إلا في عالم مثالي ...

« ومعظم الناس تنطوي صدورهم على ما يشير إليه دواماً أو بين حين وحين . ووأهو منبوذ على وجه الأرض يستطيع أن يشعر بحقيقته وبقوته بفضل هذه المعرفة الرفيعة .

هذا إلى أن عالماً مجرداً من مثل هذا الملاذ الباطني لا بد من أن يكون بالنسبة لمعظمنا عذاب السعير ، فيما لو أعوزتنا النفس الاجتماعية الظاهرة وتخلت عنا .

« أقول (بالنسبة لمعظمنا) لأنه من الراجح أن الناس تتفاوت تفاوتاً بيّنا في مقدار شعورهم بهذا المنفرج المثالي ، فهو جزء جوهري جداً في شعور بعض الناس أكثر مما هو في شعور غيرهم .

« وربما كان أولئك الذين فيهم هذا الشعور على أقواه هم أكثر الناس تديناً ، ولكني على يقين من أنه حتي أولئك الذين يزعمون فقدان هذا الشعور فقداناً تاما ، يخدعون أنفسهم ، إذ هو موجود فيهم بمقدار ما (١) .

هذه هي أهم الاعتراضات التي يمكن أن توجه الى هذه النظرية ، وهي اعتراضات لا قيمة لها أمام الردود التي أتينا بها .

---

(١) نقلاً عن كتاب تجديد في الاسلام للفيلسوف محمد إقبال ص ١٠٤

إن هذه النظرية تقوم على اساس نفسي فطرى أصيل لا يغلب . إنه قد يقاوم ، وقد يعمد إلى تحريفه ، وقد يساء توجهه بسبب فساد نظم التربية والتوجيه ... كل ذلك قد يؤدي إلى مسخ الفطرة الإنسانية التي تتعشق الخلود وتهيم به ، فتصاب الحضارة بنكسة اونكبة كما هي الحال اليوم ، فتنحرف بنتيجها جميع المثل وتسير نحو أعمال ومقاصد هدامة .

قيمة هذا الرأي من الناحية الخلقية والاجتماعية :

إن هذا الرأي يرفع من قيمة الإنسان ويسمو به ، وشتان بينه وبين رأي فرويد السوقي الشهواني الذي يجعل من الإنسان مجرداً شيئاً ليتسارع إلى اغتنام اللذات ما دام يعتقد أنه نشأ من العدم ، وإلى العدم يصير ؟

وكذلك شتان بينه وبين رأي ادلر الذي يجعل من هذا الإنسان أنانيا ضيق الأفق يتهافت على التفوق والزعامة تهافت الذباب على الحلوى ، مهما كانت الوسائل لا أخلاقية والغايات لا إنسانية !

لاشك أنه سيكون لهذا الرأي الجديد أثره العجيب فى تهذيب الأخلاق ورفع النفوس إلى الأمام والتحليق بها في الأجواء ... خلافاً لنظرية فرويد الذي كان من أعظم العوامل في فساد الجيل (١) الجديد ، لذا نرى نظريته قد طردت من الاتحاد السوفياتي . كما نرى الولايات المتحدة

---

(١) قال الدكتور الكسيس كاريل في كتابه (الانسان هذا المجهول) ترجمة الأستاذ شفيق أسعد فريد : « لقد أحدث فرويد أضراراً أكثر من التي أحدثها أكثر علماء الميكانيكا تطرفا ص ٣٣٢ . قال هذا الدكتور هذا الكلام بمناسبة انتقاده للعلوم الطبيعية وما سببته من اختراعات حربية هدامة !

الأمريكية تنسب إلى هذه النظرية جميع ما أصاب جيلها الحاضر من تحلل وفساد وانهيار خلقي [1] .

وسيأتي يوم ، بعد هذا الاعتراف عن الفطرة الإنسانية ، تسمو به البشرية وتترفع عن المبادىء المادية التي طالما جلبت الشقاء إلى هذا العالم ، فتنظر إلى طالب الشهرة ومحب الزعامة نظرة ازدراء وريبة ، وترى فيه النفاق مجسما والإخلاص معدوما ، والأنانية ناشبة فيه اظفارها ، حتى أوشكت أن تقضي عليه !

في ذلك اليوم تعم السعادة هذا العالم ، وترفرف عليه بأجنحتها ، وينجو من أعظم كارثة تهدده وتهدد الحضارة الإنسانية كلها وتنذر بفناء البشر . . .

كل ذلك نتيجة انحرافه عن فطرة اعتقاده في الخلود في عالم آخر ، هو العالم الذي أخبرت عنه جميع الأديان السماوية ، وتحدث عنه الفيلسوف الألماني (كانت) في فرضياته التي أثبت فيها وجود الله وخلود النفس ، والالقاء - بعد الموت - في عالم آخر ، هو عالم مناقشة الناس الحساب ...

ولعل الفيلسوف جاك موريتان كان يعبر عما أدعو إليه حينما كان يرى : ان للطبيعة البشرية مطالب ثابتة مقينة ، وان في المجتمع البشري حاجات معينة غير متغيرة ، وهذه تتحكم في الآثار التي يتركها رأي ما في التاريخ .

---

(١) لقد نشرت الصحف الفرنسية منذ سنوات خبر عمل فيلم يتضمن هجوما على آراء فرويد وتاثيرها السيء في المجتمع الحديث وبصفة خاصة المجتمع الأمريكي ، وجاء في مجلة الجندي السورية (عدد شباط سنة ١٩٦٠ تحت عنوان نظرية فرويد معول هدام لعقول الشباب : صرح الدكتور ناثان كلاين بعد أن عاد الى نيويورك من الاتحاد السوفياتي ، وقد جاء في تصريحه : إن الاتحاد السوفياتي قد نبذ نظرية اليهودي فرويد في العلاج العقلي والنفسي . إن هذه النظرية ليست سوى معول هدام لعقول الشباب ومخدر مميت لنفوس أبناء الشعب !!

إن الناس ميالون الى الاعتقاد بأن الذي يصنعونه إنما هو جزء من تصميم أبدي ! إنهم يريدون أن يشعروا بأن أعمالهم وآمالهم ليست مجرد شيء يعفي عليه الزمن ....

إذ أن هناك ميلاً طبيعياً للعقل البشري للقول بوجود حقائق أبدية وقيم لا يصل إليها العقل والخبرة . وعلى كل فلسفة يجب أن تروي هذا العطش الروحي وإلا تعرضت للاخفاق .

فماذا هناك في الرأي القائل إن الفلسفة اللبرالية النسبية تنتزع الاوكسجين من الهواء الروحي ؟

إننا نجد في كل مجتمع ان المنظمات البشرية من الأسرة الى عقود التأمين ، من تدوين التاريخ الى الاهتمام بآثار الماضي ، ومن العلم الى الدين - توحي إلينا بأن قيم الناس تتجاوز حدود حياتهم في هذه الدنيا !

والإنسان يمتاز بالقدرة على التفكير في موته ومعرفة أنه صائر إليه لامحالة !

وأحلام يقظته وشعره وفلسفته ، والاعتقاد بالخلاص الذي لا يفتأ يظهر في تفكيره السياسي - كل هذا يوحي بأن في قرارة نفسه شوقاً الى عالم آخر يعيش فيه ، وإلى كمال [1] ...

ماذا كانت نتائج اهمال التربية لميل الخلود في الانسان ؟

لا شك أن اغلب التربية المدرسية والاجتماعية تهمل ميل الانسان الذي يدفعه نحو الخلود ، بسبب تأثرها بالنظريات المادية والاتحادية التي تسعى

---

(١) باختصار عن كتاب أزمة الانسان الحديث تاليف تشارلز فرنكل وترجمة الدكتور نقولا زيادة ص ٨٢ - ٨٣

جاهدة الى اختطاف الانسان من دين الفطرة ، ما دام أنه حيوان ذو دين كما عرفه فلاسفة الاجتماع .

فماذا كانت نتيجة هذا الإهمال ؟ !

كانت نتيجته هذا القلق الذي يعيش فيه الانسان الحديث الذي يعيش في صراع مخيف بين أمواج صاخبة من فطرتـه التي تتوق الى الخلود ، وبين مادية عصره الاقتصادية التي تجذبه الى الحضيض ، ولكنها تستطيع ان تشبع ميله على الرغم ممـا قدمته له من جميع متع الحياة بمختلف أنواعهـا حتى التافه !

إن الشعب الأمريكي أكثر الشعوب رفاهية مادية ، وهو مع ذلك أكثر الشعوب قلقاً ، لسبب ما يشعر به في قرارة نفسه من فراغ لم تقدر الحياة المادية على ملئه !

وقد شعر زعماء الكرمليين في الحرب العالمية الثانية بوجود هذا الدافع في الإنسان السوفياتي ، على الرغم من سعيهم الحثيث خلال أعوام طويلة لإخماده وإطفائه بمختلف الأساليب التربوية والإعلامية والثقافية ، حتى والقسرية !

فلم يجدوا وسيلة لدفع الشعب للنضال ، على الرغم من تلويحهم له بحياة سعيدة وعالم أفضل ، إلا بفتح معابده التي أغلقوها ، أملاً في انعاش غريزته الدينية التي تدفعه للتضحية والسخرية بالموت رغبة بالخلود .

نداء الى المربين :

أجل إن هذه النظرية إذا تبناها المربون والأساتذة ، جديرة أن تهيب بالنشء ليكون جيلاً صاعداً بكل مافي هذه الكلمة من قوة ومن معنى ، فيترفع عن الشهوات والأنانيات التي كثيراً ما تبعده عن حمل مشعل الإصلاح ورفع راية الحق إرضاء للرأي العام .

لا شك إن مثل هذا الجيل خليق بان يحلق في سماء الفضيلة والمعالي .

ياله من جيل عظيم ! يغدو مستسهلاً الصعاب ، ساخراً بالنكبات ، لا تغريه الشهوات ولا تستهويه الزعامات والشهرات ولا يبالي إذا لم يتحقق له ما يصبو اليه في هذا العالم من تفوق

أن يعمل للأبدية ، للخلود ، للحق . . .

وكفى ذلك دافعاً للسلوك الإنساني للسير في دروب العمل والنضال لتحقيق المثل العليا دون توانٍ ولا أنانية ولا انتهازية . . .

أيها المعلمون ! أيها المعلمات !

اذكروا أن النظريات التي يدرسها الجيل ، لا تبقى جامدة ، بل تسير في دمه وتوجه سلوكه ان كانت حقة خيّرة ، الى الحق والخير ، والى الشر والفساد اذا كانت شريرة فاسدة .

فحاذروا عاقبة تدريس هذا الجيل النظريات الهدامة كنظرية فرويد ، والنظريات الجشعة كنظرية آدلر ، وهمـــا يجعلان منه جيلاً شهوانياً محباً للسيطرة راغباً في التفوق مغرماً بالتغلب !

ولما كان هذا الجيل هو المستقبل ، بل التاريخ ذاته ، فوا أسفاه على مصير الانســانية من خطر الخنازير والذئاب ، وبالتبعة المعلمين والمعلمات أمام التاريخ في تعكير السلام وشن الحروب !

إن صنع السلام لا يكون في هيئة الأمم المتحدة

بل في المدرسة ! !

محمود مهدي استانبولي



آراء ابن خلدون الأدبية والنقدية

للأستاذ عبد الرحمن الباني

تعريف الأدب، موضوعه، أركانه :

يجهر ابن خلدون ويصرح، على عادته، بأن الأدب لا موضوع له .
يقول : «هذا العلم لا موضوع له، ينظر في إثبات عوارضه، وإنما ثمرته الإجادة في فني المنظوم والمنثور» ولعله يُغضب بذلك علماء الأدب ورجاله ، وكيف لا يكون للأدب موضوع ! كأني بابن خلدون يقول ! _ اللغة موضوعها المفردات المنقولة إلينا، والتاريخ موضوعه الأخبار الخاصة الماضية ، والاجتماع موضوعه الجماعة البشرية نفسها . . . وعلم الضوء موضوعه الضوء . . فما هو موضوع الأدب عندكم ؟ . . .

وقد أثار هذا حفيظة بعض نقاد العصر الحاضر وقال إن من يقول برأي ابن خلدون كمن يقول : إن الضوء غير موجود وإنما المقصود من علم الضوء ثمرته كإنارة المنازل والشوارع . . . ثم مضى يتحدث عن الأدب ويحدد موضوعه بقوله : «إن موضوعه الآثار الأدبية» وقد كان عجبي من قول هذا الناقد أشد من عجبه هو من قول ابن خلدون : (الأدب لا موضوع له) لأن الناقد إنما حدد ما يسمونه الأدب الوصفي أي العلم الباحث في الآثار الأدبيـــة (أي تاريخ الأدب أو النقد حسب المقصود من البحث) .

حقا إن هذا النوع من الأدب موضوعه الآثار الأدبية ، ولكن ما هو موضوع الأدب نفسه ؟ أو ما هو موضوع الأدب الإنشائي ؟ أحب أن أنتصر لابن خلدون في هذا الموضوع فأقرر أن ابن خلدون لم يكن غافلا حين صرح بكلامه ، وأعترف أن الأدب لا موضوع له . ويقرنا على هذا الرأي الأستاذ المرصفي وكثير من العلماء والأدباء .

لنرجع الى الأدباء أنفسهم الذين أنشأوا لنا أدباً خالداً باتفاق الجميع ، نجدهم جد مختلفين في موضوع إنتاجهم مع أنهم أدباء بالإجماع . ونحن نعد كلام الله عز وجل هو النوع السامي المعجز من الأدب ، كلام رسوله ﷺ نوعاً سامياً منه ، وكذلك كلام بعض الخلفاء والأمراء ورجال الإدارة والسياسة والحرب والبطولة في الجاهلية والإسلام دع عنك رجال الشعر والنثر . فأين رابطة بين هؤلاء جميعاً وما هو الموضوع الذي وصل بينهم حتى سمي إنتاجهم وكلامهم أدباً ؟

وإن كان للأدب موضوع فلا بد أن نخرج بعض هؤلاء عن الأدب ونجردهم منه أو أن نذعن لرأي ابن خلدون في أن كل هؤلاء أدباء ، وأن ما أنتجوه من كلام جيد هو أدب ما داموا قد عبروا عن أفكارهم وأمانيهم وعواطفهم وأوامرهم بكلام جيد منظوماً كان أو منثوراً .

وهل بعد هذا يكون للأدب موضوع ؟ إذا شئت أن تجعل للأدب موضوعاً فحاول أن تجعل الكلام الذي نصطنعه في حديثنا موضوعاً . فالكلام ثم البيان هما أصل كل أدب . ما هو موضوع الكلام ؟ الكلام لا موضوع له . وكذلك الأدب ، لأن الإنسان يتكلم في كل موضوع ويتخذ البيان وسيلة التعبير عن كل غرض : وهذا هو مقصود ابن خلدون من قوله (الأدب لا موضوع له) ذلك لأن كل شيء هو موضوع للأدب ويصح أن يتناوله الأديب على شرط أن يعبر تعبيراً صحيحاً جيداً جميلا .

وإن أبيت إلا أن تجعل للأدب موضوعاً فلنقل إن موضوع الأدب هو الطبيعة الداخلية والطبيعة الخارجية أو النفس والعالم ، إنه كما قال بعضهم: إن هذا النوع من الفن يتكلم عن الله والإنسان والعالم .

هذا هو الأدب بأصح معانيه وأدقها ؛ وللأدب أنواع ومعان أعم لا نستطيع أن نطالب بها ابن خلدون وإنما لا بد من ذكرها إجمالاً حتى يكون القارئ على بينة من الأمر .

فكلمة الأدب تطورت واختلف مدلولها ولكنها على كل حال لها معنيان معنى خاص يشمل ما ينتجه الأدباء من آثار فنية شعرية أو نثرية يعبرون بها عن حياتهم الخاصة ، ومعنى عام يشمل كل ما ينتجه الإنسان من آثار مكتوبة وحقائق مسطورة مهما كان نوعها .

ثم للأدب نوعان : أدب توجيهي يقودك الى الأمام والى الأعلى ، وأدب عادي أو مادي منحط لا يعنى بذلك ولا يهتم به ؛ وله نوعان آخران أيضاً أدب إنشائي وهو ما ينشئه الأديب وأدب وصفي وهو ما ينتجه الناقد أو الباحث حين يتناول الأثر الأدبي نفسه ويتخذه موضوعاً لبحثه فإما أن يشرحه ويفسّره ويعين زمنه (تاريخ الأدب) وإما أن يبين القوانين التي تسود الأدب وتقوده والعوامل التي تؤثر فيه وتوجهه ثم يطبقها على الأثر الذي بين يديه (نقد حلي أو تحليلي) وإما أن يبين قيمة الأثر الفنية ويوازن بينه وبين غيره معتمداً على العلوم الأدبية واللسانية أو على ذوقه (نقد علمي صناعي أو نقد ذوقي عفوي) . ـ ونستطيع أن نذكر للأدب أنواعاً أخرى : فمن الأدب ما يستولي على مشاعرك بمعانيه ومنه ما يستولي عليها بلفظه أو بأسلوبه .

وبعد فهذا هو الجديد في تحديد ابن خلدون للأدب ، وهو يتكلم بعد ذلك عن فروع الأدب كلاما يدل على المفهوم القديم للأدب ، اعني الذي يرجع الى عهد الجاحظ . ويرجع الفضل في وضع هذا المفهوم بذلك القالب

وتحديده حداً علمياً الى الزمخشري فقد عرف علوم الأدب بأنها علوم يحترز بها عن الخلل في كلام العرب لفظاً و كتابة ، وجعلها اثنى عشر منها أصول ومنها فروع .

ولا بد لنـــا على كل حال من الرجوع الى كلام ابن خلدون لأن المؤلفين بعده أخذوا تعريفه وكملوه قال : « وإذا أرادوا حد هذا الفن قالوا : الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارهم والأخذ من كل عـلم بطرف » وقد علق على هذا الذيل الأخير كلامـاً يخفف ثقل الحمل يستطيع الأديب أن ينهض بهذا العبء الثقيل . فقـال العلوم : « هي علوم اللسان والعلوم الشرعية إذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب » وقد كان ذكر قبل ذلك أنهم « يجمعون من كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة من شعر عالي الطبقة وسجع متساو في الإجادة ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك متفرقة يستقري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض من أيام العرب يفهم به ما يقع في أشعارهم منها وكذلك ذكر المهم من الانساب الشهيرة والأخبار العامة . ـ والمقصود بذلك كله أن لا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفحه » .

ويظهر لهم ابن خلدون وشيوخه للأدب باعتمادهم على أربعة كتب أصول : « سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي . . » وابن خلدون يثني على كتاب الأغاني الذي « فيـــه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم ودولهم .... ولعمري انه ديوان العرب وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال .... وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها وأنى له بها ! » .

فنون الأدب :

يقسم ابن خلدون كلام العرب الى فنين : فن الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون المقفى ، وفن النثر وهو الكلام غير الموزون » . ثم يتكلم كلاماً (عجيباً) في بيان فنون النثر « فأما الشعر فمنه المديح وأما النثر فمنه السجع « !! » الذي يؤتى به قطعاً ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة ويسمى سجعاً ، ومنه المرسل وهو الذي يطلق الكلام فيه إطلاقاً ولا يقطع أجزاء بل يرسل ارسالاً من غير تقييد ولا قافية ويستعمل في الخطب والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم » .

وهذا التقسيم عجيب من ابن خلدون فهو يبين فنون الشعر بالنسبة الى أغراضه ويبين فنون النثر بالنسبة الى تأليفه وأسلوبه ، وكان الأحري به أن يبين فنون الشعر من حيث الأغراض (مدح ، هجاء ، رثاء ، .. وصف ، حكمة . . .) .

وفنون النثر من حيث الأغراض أيضاً (خطابة ، رسائل رسمية ، رسائل إخوانية وصفية ، علمية . . . .) أو يبين أوزان الشعر وفنون صنعته وأنواع النثر (المسجع والمزدوج والمرسل) . . .

القرآن الكريم ، ومن أي الفنون هو ؟

بعد أن قسم ابن خلدون كلام العرب الى شعر ونثر وقسم النثر الى مسجع ومرسل اعترضته مشكلة كثيراً ما تعرضت للأدباء وتعرضوا لها وهي هل القرآن الكريم فيه سجع أم لا ؟ أم هل هو مسجع أو مرسل ؟

قال : « وأما القرآن وإن كان من المنثور ، إلا أنه خارج عن الوصفين وليس يسمى مرسلاً مطلقاً ولا مسجعاً ، بل تفصيل آياته ينتهي الى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ؛ ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها ،

ويثنى من غير التزام حرف لا يكون سجعاً ولا قافية » - وهو معنى قوله تعالى « الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانيَ تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم » وقال « قد فصلنا الآيات » ويسمى آخر الآيات فواصل إذ ليست أسجاعاً ولا التزم فيها ما يلتزم في السجع ولا هي أيضاً قواف ».

هذا كلام ابن خلدون في هذا الأمر وأنت ترى أنه يقف موقفاً وسطاً بين الذين ينكرون وجود السجع في القرآن (كالمعتزلة والباقلاني) وبين الذين يقرون بوجود المسجع والمرسل والمزدوج فيه .

ويجدر بنا أن نعرض لكلام ابن خلدون في القرآن الكريم ما دامت المناسبة اقتضت ذلك وما دام البحث في المسائل العامة في الأدب ؛ فقد اختص القرآن ذلك الأثر العالمي الفذ ، بالإعجاز ، وأحدث ثورة سياسية واجتماعية وثورة خلقية وعقلية ونهضة علمية وأدبية ؛ ووصل الأرض بالسماء وفتح للعرب ، أولئك الحفاة الجفاة عرش الشمس ومملكة القمر (أعني الأرض التي ينبسط عليها سلطان الشمس وسلطان القمر) ؛ وهو قادر بإذن الله أن يعيد إليهم مفاتيح العالم .

ثم إن الأديب يرى أنه لا يكون أديباً دون أن يتذوق عظمة القرآن ، والعالم لا يستطيع أن يبحث في الأدب العربي ويؤرخه دون أن يعرف ما هو القرآن ، فإن لم يعرف فاته معرفة أسرار تطور اللغة العربية في أدبها وعلمها . فالقرآن الكريم هو المركز الثابت في اللغة العربية وهو كعبة الأدب العربي وسماء الإلهام فيه ، إليه يتوجه الأدباء ليستلهموا من عظمته ويستوحوا من سموه . فمن أجل ذلك بحث المؤرخون عامة وعلماء الأدب ورجاله خاصة في تعرف بلاغته وتعرف تأثيره .

وابن خلدون يتكلم كلما دعت المناسبة إلى بيان تأثير القرآن في النفوس

والعقول والألسن ؛ ويشير الى تأثير القرآن فيمن أنزل إليهم وإعجابهم به وانكبابهم على درسه وإشفاقهم عليه حتى نشأت بفضله علوم اللغة جميعاً وازدهرت بسببه بقية العلوم .

القرآن الكريم باعتباره معجزة :

تكلم ابن خلدون في فصل من فصول المقدمة مبيناً دلائل النبوة وخصائص المعجزات ، وبعد أن أفاض في ذكر أقوال المتكلمين والمتصوفة والحكماء ، ذكَرَ صفات المعجزات ومراتبها ثم قال : « اعلم أن أعظم المعجزات وأشرفها وأوضحها دلالة ، القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد ﷺ فإن الخوارق تقع في الغالب مغايرة للوحي (يعني بذلك خارجة عنه أي هي شيء آخر غير الوحي) الذي يتلقاه النبي ويأتي بالمعجزة شاهدة بصدقه ؛ والقرآن هو بنفسه الوحي المدعَى وهو الخارق المعجز فشاهده في عينه (أي هو برهان نفسه) ولا يفتقر الى دليل مغاير له (خارج عنه) كسائر المعجزات مع الوحي ؛ فهو أوضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه[1]... ثم يتم ابن خلدون كلامه فيقول : وهذا معنى قوله ﷺ : « ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحى الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة »[2]

---

(١) واتحاد الدليل بالمدلول له قيمته في نظر الفلاسفة والمفكرين وقد أشار الغزالي (المنقذ من الضلال ص ٨ ط أولى) لليقين وأسبابه حين قال : « إن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط والوهم » وذكر مثال من يطلب إليه أن يعتقد أن الثلاثة أكبر من العشرة (وهو لا شك موقن بالعكس) بدليل أنه يقلب العصا ثعباناً وقلبها . . . الخ وشبيه بكلام الغزالي وابن خلدون كلام هيوم أيضا .

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة في كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد (ص) الى جميع الناس ونسخ الملل بملته ص ٩٢ ـ ٩٣ ج ١ .

يشير الى أن المعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة وهو كونها نفس الوحي كان الصدق لها أكثر لوضوحها .

اعجاز القرآن الفني والبياني :

سبق قول ابن خلدون إن ثمرة علوم البيان إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن الكريم ، وهو لا شك يعني إعجازه الفني والأدبي . وقد بين بعض أوجه ذلك الإعجاز فقال : « إن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال ، منطوقة ومفهومة ، وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالألفاظ في انتقائها وجودة وصفها وتركيبها ، وهذا هو الإعجاز الذي تقصر الأفهام عن دركه ، وإنما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته ، فيدرك من اعجازه على قدر ذوقه فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مُبلغه أعلى مقاماً في ذلك لأنهم فرسان الكلام وجهابذته ، والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصحه » .

وبهذا فعل القرآن بالأدب العربي ووجهه الوجهة الفنية السامية ، وارتقت البلاغة الإسلامية عن بلاغة الجاهليين ، لأنه نزل من العرب ومن والاهم من المسلمين منزلة المدرسة التي يتخرجون بها بالبلاغة والبيان وليس ذلك بطريقة صناعية راجعة الى القوانين التي يشيد بها علماء البلاغة وإنما بانطباعه في نفوسهم وانطباعهم على أساليبه لما قاموا بحفظه . وابن خلدون ينتهي بملاحظته الدقيقة في أطوار الأدب العربي الى نظرية جميلة سنعرض لها فيما بعد لبيان تأثير المحفوظ في أدب الأديب شعراً كان أو نثرا .

النثر وخصائصه :

ويجدر بنا بعد أن بينا انقسام الكلام الى فني النظم والنثر أن نبين خصائص كل منهما . فما هي خصائص النثر العربي ؟

يقول ابن خلدون : « إن لكل واحد من هذه الفنون (الشعر والنثر ، المسجع والمرسل) أساليب تختص به عند أهله ولا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه مثل النسيب المختص بالشعر ، والحمد والدعاء المختص بالخطب ، والدعاء المختص بالمخاطبات » ويلوم المتأخرين لإدخالهم أساليب الشعر في المنثور من الكلام حتى في المخاطبات السلطانية. يقول : « وقد استعمل المتأخرون أساليب الشعر وموازينه (!) في المنثور من كثرة الأسجاع والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدي الأغراض ، وصار هذا المنثور ـ إذا تأملته ـ من باب الشعر وفنه لم يفترقا إلا في الوزن ، وخلطوا الأساليب .. واستمر المتأخرون من الكتاب على هذه الطريقة فاستعملوها في المخاطبات السلطانية ... وهجروا المرسل وتناسوه وخصوصاً أهل المشرق » واذا كان هذا مكروهاً في الرسائل عامة « فكيف يكون في الرسائل والمخاطبات السلطانية أو خطاب الجمهور عن الملوك ؟ فذلك غير صواب من جهة البلاغة » لأن البلاغة صلة بين المخاطِب أو المخاطَب إذ هي « تطبيق الكلام على مقتضى الحال من أحوال المخاطِب والمخاطَب » ويظهر لنا من كلامه هذا وما سيأتي أمور أولها وصف حالة البيان العربي في عصره ومبلغ استيلاء الزينة والسجع على الأدب. وثانيها أنا ندرك تخلص ابن خلدون من الذوق الأدبي العام والأسلوب السائد بل ثورته عليه . وثالثها أننا نفهم ما هي خصائص النثر التي تميزه عن الشعر وما هو أسلوب الرسائل . وأخيراً ندرك مبلغ ميله للكلام المطبوع البريء من التصنع والتكلف .

يقول : « والمحمود في المخاطبات السلطانية الترسل وهو إطلاق الكلام وإرساله من غير تسجيع إلا في الأقل النادر وحيث ترسله الملكة ارسالاً من غير تكلف له ، ثم اعطاء الكلام حقه من مطابقته لمقتضى الحال فإن المقامات مختلفة ولكل مقام أسلوب يخصه من إطناب أو إيجاز أو حذف أو اثبات .

واجراءُ المخاطبات السلطانية على هذا النحو الذي هو على أساليب الشعر (أي كثرة الأسجاع والتزام التقفية وتقديم النسيب ثم خلط الجد بالهزل والإطناب في الأوصاف وضرب الأمثال وكثرة التشبيهات حيث لا تدعو ضرورة الى ذلك في الخطاب) مذموم .

« وما حمل أهلَ العصر على السجع إلا استيلاء العجمة على ألسنتهم ... فعجزوا عن الكلام المرسل لبعد أمده في البلاغة وولعوا بالسجع يجبرون به ما نقص من بلاغته .. حتى إنهم ليخلون بالإعراب في الكلمات والتصريف إذا دخلت لهم في تجنيس أو مطابقة لا يجتمعان معها ، فيرجحون ذلك الصنف من التجنيس ويدعون الإعراب ويفسدون بنية الكلمة عساها تصادق التجنيس ويدعون الإعراب ويفسدون بنية الكلمة عساها تصادق التجنيس » .

وقد يبدو كلام ابن خلدون غريباً ولكنه صحيح (راجع كتاب تطور الأساليب النثرية المقدسي تجد نصوصاً شاهدة بصحة كلام ابن خلدون في الجملة) .

إلا أن كتاب المشرق لم يكونوا أكثر حباً للزينة اللفظية من كتاب المغرب .

قد رأينا ثورة ابن خلدون على أسلوب النثر في عصره حيث سادت الزينة اللفظية وفشا التكلف، ورأينا انتصاره للأسلوب المرسل والكلام المطبوع وتبينا في الوقت نفسه خصائص للنثر وشيئاً من خصائص الأسلوب الشعري ؟ ونحب الآن أن نعلم ما هي خصائص الشعر عنده ؟ وينبغي لي أن أنبه الى أن ابن خلدون وفق في تعريف الشعر ونشأته ، ووفق في بيان طبيعة الشعر العربي والجاهلي خاصة ، وتكلم في ذلك كلاماً قيماً . وهو يقف في الشعر من جهة أوزانه وأغراضه موقفاً وسطاً بين الجديد والقديم ولكنه على كل حال لا ينصر المعنى نصرته للأسلوب واللفظ .

الشعر :

١ً – تحديد معنى الشعر : في المقدمة فصل في صناعة الشعر ووجه تعلمه يخصه ابن خلدون في الحقيقة بدرس خصائص الشعر العربي . يستهل هذا الفصل باعترافه بأن الشعر « يوجد في سائر اللغات . إلا أنا الآن إنما نتكلم في الشعر الذي للعرب ، فإن أمكن أن تجد فيه أهل الألسن الأخرى مقصودهم من كلامهم وإلا فلكل لسان احكام في البلاغة تخصه . » و « هو في اللسان العربي عزيز المنحى غريب النزعة » ويعترف ابن خلدون مرة أخرى « ان الشعر لا يختص باللسان العربي فقط بل هو موجود في كل لغة . . وقد كان في الفرس شعراء وفي يونان كذلك . . وكان في حمير أيضاً شعراء متقدمون . . » وهو « موجود بالطبع في أهل كل لسان » .

وهذا الاعتراف من ابن خلدون بأن الشعر يوجد في سائر اللغات ثم ان لكل لسان أحكاماً في البلاغة تخصه جدير بالتقدير ، فنحن نعرف اعتزاز العرب – وأنا منهم بلغتهم حتى كانوا بالجملة ينكرون أن تقع البلاغة في لغة غير لغتهم . ولعل هذا التسامح من ابن خلدون هو ثمرة النظرة الاجتماعية والملاحظة الموضوعية التي يوصي بها علم الاجتماع .

نقص تعاريف الشعر :

وبعد أن يفيض ابن خلدون بثلاث صفحات – في خصائص الشعر يبدو له أن يعرفه ويحدده . . « لأن أحداً من المتقدمين لم يحده حداً

(١) ليس تقدير الأثر الأدبي سهلاً ، واختلاف أذواق الناس في التقدير يقوم على ثلاثة أمور في الأغلب : المعنى واللفظ والأسلوب . ولا نستطيع أن نعد ابن خلدون بإطلاق من أنصار البلاغة اللفظية فهو لم يصرح بذلك ولم يرده ولكنه على الحقيقة من أنصار الأسلوب وسيمر بنا هذا حين الكلام على آرائه النقدية .

كافياً » ويقرر معنى الأسلوب وسنعرض له ، ثم يقول : « وإذا تقرر معنى الأسلوب ما هو فلنذكر بعده حداً أو رسماً للشعر ، به تفهم حقيقته على صعوبة هذا الغرض فإنا لم نقف عليه لأحد من المتقدمين فيما رأيناه . وقول العروضيين في حده انه الكلام الموزون المقفى ليس بحد لهذا الشعر الذي نحن بصدده ولا رسم له ؛ وصناعتهم إنما تنظر في الشعر باعتبار ما فيه من البلاغة والإعراب والوزن والقوالب الخاصة ، فلا جرم أن حدهم لا يصلح له عندنا فلا بد من تعريف يعطينا حقيقته من هذه الحيثية فنقول .

تحديد ابن خلدون للشعر :

الشعر هو الكلام ، البليغ ، المبني على الاستعارة والأوصاف المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي ، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به » .

شرح هذا التعريف :

ثم يشرع ابن خلدون بشرح هذا التعريف ، وأحب ألا يفوتني التنبيه الى كلمتين تميزان هذا التعريف وهما قوله : المبني على الاستعارة والأوصاف وقوله : الجاري على أساليب العرب المخصوصة به . فهذا وذاك أخطر ما في تعريف ابن خلدون وفهمه الشعر وهذا وذاك سيوديان بشاعرين أو أكثر من أكبر شعراء العربية .

يقول : « فقولنا : الكلام البليغ ، جنس ، وقولنا : المبني على الاستعارة والأوصاف ، فصل عما يخلو من هذه فإنه في الغالب ليس بشعر ، وقولنا : المفصل بأجزاء متفقة الوزن والروي ، فصل له عن الكلام المنثور الذي ليس بشعر عند الكل ؛ وقولنا : مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله ، بيانٌ للحقيقة لأن الشعر لا تكون أبياته إلا كذلك ، ولم يفصل

به شيء . وقولنا : الجاري على الأساليب المخصوصة به فصل عما لم يجر منه على أساليب العرب المعروفة ، فإنه حينئذ لا يكون شعراً إنما هو كلام منظوم ، لأن الشعر له أساليب تخصه لا تكون للمنثور ، وكذا أساليب المنثور لا تكون للشعر فما كان من الكلام منظوماً وليس على تلك الأساليب فلا يكون شعراً . » ثم يقول : « وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبية يرون أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء لأنهما لم يجريا على أساليب العرب (كذا) عند من يرى أن الشعر لا يوجد لغيرهم ، وأما من يرى أنه يوجد للعرب وغيرهم من الأمم فلا يحتاج الى ذلك ويقول مكانه : الجاري على الأساليب المخصوصة . »

وهكذا يصرح ابن خلدون ويعلن كلام شيوخه بجرأة وينفون المتنبي والمعري من ديوان الشعراء ومملكة الشعر (عند من يرى أن الشعر لا يوجد لغير العرب) وقد يصيب هذا الحكمَ القاسي استئناف أو تمييز (وهذا عند من يرى أن الشعر يوجد للعرب وغيرهم) فينفى فقط من مملكة الشعر العربية الى مملكة أخرى غير العربية طبعاً ولعلها في المريخ : وسنناقش هذا عند الكلام على آراء ابن خلدون وأحكامه النقدية .

٣ - نشأة الشعر : الشعر والغناء : أود أن أقدم كلمة بين يدي كلمة ابن خلدون لنتبين قيمتها ، ليس الشعر بعيداً عن الغناء لا في طبيعته ولا في نشأته ولا في الدواعي إليه فهو ينشأ في أول أمر الإنسان ، يندفع من العاطفة ليؤثر في العاطفة فلفظه يعتمد على الموسيقى والوزن ويتألف من أجزاء متشابهة طولاً وقصراً وحركة وسكوناً ويؤثر في النفس بالألفاظ الرقيقة أو الضخمة ... وقد يجتمع في الشعر الوزن والقافية مطردين في أبيات القصيدة كما في الشعر العربي ، ويصبح هذا النوع من الكلام وسيلة الى الغناء بالفعل وينشد الشعر إنشاداً فيه شيء من التوقيع والترجيع ... ثم ترقى الحياة ويتقدم في الغناء

وفن الشعر وكلما تقدما استقل أحدهما عن صاحبه . وقد كان هنالك دائماً ارتباط شديد بين الشعر والغناء ، والغناء كالشعر ظاهرة فطرية في الناس والظروف التي تطلبت هذا مشابهة جداً للظروف التي تطلبت الشعر . وترى أنه لا يتغنى إلا بالشعر ومنذ الزمن القديم كان يتغنى بشعر الأعشى . والخلاصة إن الشعر يشتمل على موسيقى الألفاظ والغناء يشتمل على موسيقى الألحان (مقتبس عن التوجيه الأدبي) .

ونحن إنما قدمنا هذا الكلام لنكون على بينة من أن هذه الحقيقة الفنية (وهي اتصال الشعر بالغناء في الزمن الأول) قد نطق بها ابن خلدون وصرح بها فلنرجع الى الكلمة التي ذكرها ابن خلدون عن نشوء الغناء ولنذكر هذا الكلام مستنبطاً من فصل عنوانه صناعة الغناء : ـ قال : « وأما العرب فكان لهم أولاً فن الشعر .

(ثم وصف أكثر مزاياه من حيث الوزن والموسيقى) .. فلهجوا به فامتاز من بين كلامهم بحظ من الشرف ليس لغيره لأجل اختصاصه بهذا التناسب .

وهذا التناسب . (من حيث الحركة والسكون) قطرة من بحر من تناسب الأصوات كما هو معروف في كتب الموسيقى الا أنهم لم يشعروا بما سواه لأنهم حينئذٍ لم ينتحلوا علماً ولا عرفوا صناعة وكانت البداوة أغلب نحلهم . ثم تغنى الحداة فيهم في إبلهم والفتيان في قضاء خلواتهم فرجعوا الأصوات وترنموا وكانوا يسمون الترنم إذا كان بالشعر غناء ؛ وربما ناسبوا في غنائهم بين النغمات مناسبة بسيطة ... وكانوا يسمونه السناد ، وكان أكثر ما يكون في الخفيف الذي يرقص عليه ويمشي بالدف والمزمار فيضطرب (؟) ويستخف الحلوم ؛ وكانوا يسمون هذا المزج .

وهذا البسيط كله من التلاحين هو من أوائلها (أوائل صنعة الغناء) ولا يبعد أن تتفطن له الطباع من غير تعليم شأن البسائط كلها من الصنائع . »

٣ - خصائص الشعر ، ما الذي يجعل الشعر شعراً ؟ قد رأينا عند الكلام على تحديد الشعر شيئاً من هذه الخصائص ونحن نتم الآن القول فيها :

في المقدمة فصل في صناعة الشعر ووجه تعلمه يتكلم فيه على كيفية عمل الشعر والاستعداد له ويوصي وصايا أشبه بوصية بشر بن المعتمر البلاغية أو بوصية أبي تمام للبحتري ؛ وهذا ليس فيه كبير تجديد إلا أن إيراده هذه الأمور ثم اعتماده على كتاب العمدة لابن رشيق وذكره الشعراء الذين يعدهم فحولاً (كابن أبي ربيعة وكثير وذي الرمة وجرير وأبي نواس وحبيب والبحتري والرضي وأبي فراس) كل ذلك يعين لنا بعض اتجاه ابن خلدون .

كلام ابن خلدون عن الشعر العربي : وهو (الشعر) في لسان العرب غريب النزعة .

١ - عزيز المنحى ، إذ هو (من حيث الوزن والقافية) كلام مفصل قطعاً قطعاً متساوية في الوزن متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة . وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتاً ويسمى الحرف الأخير الذي تتفق فيه روياً وقافية ويسمى جملة الكلام الى آخره قصيدة وكلمة . . . ويرعى فيه اتفاق القصيدة كلها في الوزن الواحد حذراً من أن يتساهل الطبع في الخروج من وزن الى وزن يقاربه فقد يخفى ذلك من أجل المقاربة على كثير من الناس . . . وليس كل وزن يتفق في الطبع استعمله العرب في هذا الفن ، وإنما هي أوزان مخصوصة يسميها أهل تلك الصناعة البحور وقد حصروها في خمسة عشر بحراً بمعنى أنهم لم يجدوا للعرب في غيرها من الموازين الطبيعية نظماً » .

٢ – وحدة البيت واستقلاله : « وينفرد كل بيت منه بإفادته في تراكيبه حتى كلام وحده مستقل عما قبله وما بعده ، وإذا أفرد كان تاماً في بابه في مدح أو تشبيب أو رثاء ، فيحرص الشاعر على إعطاء ذلك البيت ما يستقل في إفادته » .

٣ – عدم وحدة القصيدة في الغرض : « ثم يستأنف في البيت الآخر كلاماً آخر كذلك ، ويستطرد للخروج من فن الى فن ومقصود الى مقصود » .

٤ – التخلص : ومهذا الاستطراد والانتقال يكون « بأن يوطئ المقصود الأول ومعانيه الى أن يناسب المقصود الثاني ، ويبعد الكلام عن التنافر ، كما يستطرد من التشبيب الى المدح ، ومن وصف البيداء والطلول الى وصف الركاب أو الخيل أو الطيف ، ومن وصف الممدوح الى وصف قومه وعساكره ، ومن التفجع والعزاء في الرثاء الى التأثر وأمثال ذلك . . » .

ملكة الشعر :

وقد كان اهتمام العرب بالشعر عظيماً وكانت ملكة مستحكمة فيهم ؛ والملكات اللسانية تكسب بالصناعة والارتياض شأن كل الملكات ، وكذلك ملكة الشعر . ولا شك أن الشعر العربي صعب لاستقلال كل بيت عن أخيه ، ولا تكفي ملكة الكلام العربي لإنشاء الشعر بل له أساليب تخصه ، ونذكر القارئ أن ابن خلدون يوجب التقيد بالأسلوب العربي الشعري وذلك بافتتاح القصيدة بالنسيب والوقوف على الأطلال والسير في البيداء ... الى آخر ما هو معروف لدى أنصار القديم الذين يؤاخذون من لا يتقيد به ولو كان الشاعر راكباً في طيارة أو سيارة ولو كان بمن أبدع معاني جميلة وقوية كالمتنبي .

نشوء هذه الملكة :

لا يفوتني أن أذكر القارىء برأي ابن خلدون في نشوء الملكات عامة ومنها ملكة الشعر ، فهو يرى أنها لا تنشأ عن ممارسة القواعد ودرسها والقياس عليها « والقوانين إنما هي قواعد علمية تفيد جواز استعمال التراكيب » وكلامه شبيه بكلام وليم جيمس في الفن والعلم واستغناء الفن عن العلم أو بالأحرى انه لا يوجد كبير فائدة للفنون في استقراء العلوم وحفظها والقواعد لا تفيد وإنما يفيد ممارسة الكلام البليغ .

ويقول ابن خلدون « وربما يقال إن من شرط (شرط إنشاء الشعر) نسيان المحفوظ - من حر الكلام وجيده - لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة إذ هي صادرة عن استعمالها بعينها فإذا نسيها وقد تكيفت بها النفس انتقش الاسلوب فيها كأنه منوال يأخذ بالنسج عليه بأمثال من كلمات أخرى .

ويوصي ابن خلدون بالتناسب بين الأبيات والتنقيح والنقد (نقد الشاعر ما أنشأ) ويوصي الشاعر الا يستعمل من الكلام إلا الأفصح « وليهجر الضرورات اللسانية ويجتنب العقد من التراكيب وليقصد الى ما تسابق معانيه ألفاظه الى الفهم . وليجتنب الحوشي من الألفاظ والمقتصر ، وكذلك السوقي المبتذل بالتداول بالاستعمال فإنه ينزل بالكلام عن طبقة البلاغة ، وأيضاً فيصير (الكلام) مبتذلاً ويقرب من عدم الإفادة كقولهم : النار حارة والسماء فوقنا . وبمقدار ما يقرب من طبقة عدم الإفادة يبعد عن رتبة البلاغة ، إذ هما طرفان » ومن أسباب عدم الإجادة عنده أن تكون المعاني متداولة بين الجمهور فتصير مبتذلة . وهذا يبين لنا رأيه في الجديد وتقديره له .

ويوصي ابن خلدون بالرجوع الى كتاب العمدة « فقد استوفى البحث في هذه الصناعة وتعلمها » .

وقد أورد ابن خلدون قصيدتين ، إحداهما لابن رشيق ، في أمر الصناعة الشعرية . ومنهما نتبين الآراء التي أخذ بها في الشعر وقيمته وصناعته . ولا ضرورة لذكر هاتين القصيدتين أو نثبت شيئاً منهما .

والخلاصة : إن رأيه في الشعر رأي البحتري القائل :

« كلفتمونا حدود منطقكم في الشعر يلغى عن صدقه كذبُه
ولم يكن ذو القروح يلهج بالمنـ ـطق ما نوعـــه وما سببه
والشعر لمح تكفي إشارته وليس بالهذر طوّلت خطبُه »

ورأي الذين يقدمونه على غيره ، ورأي أكثر الأندلسيين بصورة عامة . وهو من حيث الأسلوب محافظ ولعله من جهة الموضوع يفسح المجال للجديد . وستضح نظرة ابن خلدون للشعر حين نتكلم عن الألفاظ والمعاني .

الأسلوب :

تتردد كلمة الأسلوب كثيراً في نصوص ابن خلدون والأسلوب ركن من أركان الأدب النقدي أو الوصفي ، ونحن لا نستطيع تمييز أديب عن غيره إلا بأسلوبه ، كما أننا لا نستطيع أن نقدر قيمة الأديب إلا بأسلوبه وخصائصه ومآثره ، والأسلوب كذلك ركن عظيم من أركان الأدب الانشائي فلا يستطيع الإنسان أن ينبغ حتى يتفهم أساليب الأدباء الذين كانوا قبله وأن يتخرج بأحسنها ثم يختط لنفسه أسلوباً جديداً يتفق مع تصوره للأدب الكامل والفن الممتاز ، ولذلك أردنا أن نبحث كلامه في الأسلوب ونضعه ضمن إطار المسائل العامة .

إن كلام ابن خلدون في الأسلوب عام وهو يتكلم على الأسلوب العام للعرب في كلامهم وشعرهم خـــاصة . فكلامه هذا يتم كلامه على خصائص الشعر العربي .

قال : « فالشعر لا يكفي فيه ملكة الكلام العربي على الإطلاق بل يحتاج بخصوصه الى تلطف ومحاولة في رعاية الأساليب التي اختصته العرب بها ، واستعمالها ولنذكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل هذه الصناعة (صناعة الشعر) وما يريدون بها في إطلاقهم .

فاعلم أنها عبارة عندهم عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه ، ولا يرجع الى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب ، ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض ، فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية ؛ وإنما يرجع الى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص ، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ، ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الاعراب والبيان ، فيرصها فيه رصاً كما يفعل البنا في القالب ، أو النساج في المنوال ، حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه ـ فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة : فسؤال الطلول في الشعر يكون بخطاب الطلول كقوله :

يا دار مية بالعلياء فالسند . . .

ويكون باستدعاء الصحب للوقوف والسؤال كقوله :

قفا نسأل الدار التي خف أهلها . . .

أو باستبكاء الصحب على الطلل كقوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل . . .

أو بالاستفهام عن الجواب لمخاطب غير معين كقوله :

ألم تسأل فتخبرك الرسوم . . .

ومثل تحية الطلول بالأمر لمخاطب غير معين بتحيتها كقوله :

حي الديار بجانب الغزل . . .

أو بالدعـــاء لها بالسقيا كقوله :

أسقى طلولهم أجش هزيم وغدت عليهم نضرة ونعيم

أو سؤال السقيا لها من البرق كقوله :

يا برق طالع منزلاً بالأبرق واحدُ السحاب لها حداء الأينق

أو مثل التفجع في الجزع باستدعاء البكاء كقوله :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

أو باستعظام الحادث كقوله :

أرأيت من حملوا على الأعواد . . .

أو بالتسجيل على الأكوان بالمصيبة كقوله :

منابت العشب لا حام ولا راعي مضى الردى بطويل الرمح والباع

أو بالانكار على من لم يتفجع له من الجمادات كقول الخارجية :

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف !

أو بتهنئة فريقه بالراحة من ثقل وطأته كقوله :

ألقى الرماح ربيعة بن نزار أودى الردى بفريقك المغوار

وأمثال ذلك كثير في سائر فنون الكلام ومذاهبه . وتنتظم التراكيب فيه بالجمل وغير الجمل إنشائية وخبرية ، اسمية وفعلية ، متفقة وغير متفقة ، مفصولة وموصولة على ما هو شأن التراكيب في الكلام العربي في مكان كل كلمة من الأخرى ، يعرفك فيه ما تستفيده بالارتياض في أشعار العرب من القالب الكلي المجرد في الذهن من التراكيب المعينة التي ينطبق ذلك القالب على جميعها . فإن مؤلف الكلام هو كالبنـاء أو النساج ، والصورة

الذهنية المنطبقة كالقالب الذي يبنى فيه أو المنوال الذي ينسج عليه فإن خرج عن القالب في بنائه أو عن المنوال في نسجه كان فاسداً .

هذا ما يمكن أن نثبته هنا من كلام ابن خلدون في شأن الأسلوب ، وإنما اثبتنا ما سبق لدلالة على أسلوب الشعر العربي .

الذوق :

رأيت مما سبق أن ابن خلدون يعتقد أن ملكة اللغة والبلاغة والبيان وصناعة الشعر والتقدم في النثر كل هذه ملكات يستطيع الانسان أن يحصل عليها كما يحصل على المهارة في فن التجارة مثلا ، ولحظت أنه يقول إن العرب لم يكونوا ينطقون بالعربية فطرة وطبعاً وإنما ملكة يتلقاها الآخر عن الأول ، وربما أضاعها إن خالط أهل العجمة ، ولكنه يقرر أن الإنسان لا يكسب هذه المهنة بالتعليم وإنما بممارسة كلام العرب فيحصل له ذوق كما كان للعرب . وقد رأيت ابن خلدون يحتكم الى الذوق في كثير من أحكامه النقدية ومنها حكمه على المتنبي والمعري وابن خفاجة ، والذوق خطورة لا يدانيه فيها شيء آخر في النقد ، وأول ما يطلب من الناقد أو الأديب أن يكون عنده ذوق يدرك به جمال الآثار الأدبية ويقدر به قيمتها ويعرف به مواطن القوة والضعف منها . فما هو الذوق ؟

يقول ابن خلدون : « إعلم أن لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان ، وقد مر تفسيرها وأنها مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواص تقع للتراكيب في إفادة ذلك . فالمتكلم بلسان العرب والبليغ فيه يتحرى الهيئة المفيدة لذلك على أساليب العرب وأنحاء مخاطباتها وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده فإذا اتصلت مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك

الوجه وسهل عليه أمر التركيب حتى لا يكاد ينحو فيه غير منحى البلاغة التي للعرب وإن سمع تركيباً غير جارٍ على ذلك المنحى مجه ونبا عنه سمعه بأدنى فكر ، بل وبغير فكر إلا بما استفاده من حصول هذه الملكة فإن الملكات إذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل » ... ولهذا يزعم بعض المغفلين أن العرب ينطقون بالطبع والفطرة ... والذي تحصل له ملكة البلاغة ينكر الكلام المخالف لها وقد لا يستطيع الاحتجاج ... ولا يقدر أن يحيد عما تقتضيه .

لماذا سمي الذوق ذوقاً ؟ « واستعير لهذه الملكة عندما ترسخ وتستقر اسم الذوق الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان ، وإنما هو موضوع لإدراك الطعوم . لكن لما كان محل هذه الملكة في اللسان من حيث النطق بالكلام كما هو محل لإدراك الطعوم استعير لها اسمه ؛ وأيضاً فهو وجداني للسان كما أن الطعوم محسوسة له فقيل له ذوق » .

ولا تحصل ملكة التعبير ولا ملكة الذوق بدارسة القوانين العلمية ، والعلماء على الأغلب يحصلون غالباً على قوانين الملكة ولا يحصلون على الملكة .

والأعاجم المضطرون الى النطق بالعربية لا يحصل لهم هذا الذوق ، وذلك لسبق ملكة أخرى الى لسانهم وهي لغاتهم ؛ والصبي الذي ينشأ بين العرب تحصل له هذه الملكة ، ولو كان أعجمياً . ولكن إذا سبقتها ملكة أخرى فلا تحصل إلا ناقصة ... وإن فرضنا أعجمياً في النسب سلم من مخالطة اللسان الأعجمي بالكلية وذهب الى تعلم هذه الملكة بالمدارسة فربما يحصل له ذلك لكنه من الندور بحيث لا يخفى عليك بما تقرر .

عبد الرحمن الباني



السن والعقد النفسية

للعليم أمين رويحة

اعتاد محيطنا الإنساني في نظرته الاجتماعية الى المسنين ان يخلق عندهم عقداً نفسية ويفقدهم الثقة بالنفس فيعتقد المسن بأنه أصبح أداة عاطلة في المجتمع الإنساني . . قد ضعفت ذاكرته ، وقد خارت قواه فهو لا يستطيع القيام بأعمال ايجابية مهمة . وهذا اعتقاد خاطىء على كل مسن أن يكافحه ويتغلب عليه . اذ يستطيع الشيخ حتى في سن (٨٠ و ٩٠) أن يصل الى الذروة في انتاج الأعمال . فمدراء المؤسسات الكبرى نادر جداً ان تكون سنهم دون الخمسين . . وأعضاء مجلس الشيوخ في أميركا تتراوح سنهم ما بين (٦٠ - ٦٤) . . وقضاة المحاكم العليا بين (٨٢ - ٩٢) . . والجميع مع ذلك يقومون بأعمال ايجابية تتطلب مسؤولية كبيرة جداً .

وفيما يلي نورد بعض الامثلة عما تولده نظرة مجتمعنا الانساني من عقد نفسية ونتائجها عند المسنين :

الاعتقاد بأن كل ما كان في السابق كان أفضل مما هو عليه في الوقت الحاضر .

الاعتقاد بأن الشيخ قد بلغ نهاية المطاف حيث لا يأتيه الغد أو المستقبل بشيء جديد في الحياة .

عدم الصبر والتفهم في موقفه من الاصدقاء ومرح الشباب وآرائهم ،

لأنهم على غير ما كان عليه هو نفسه في ايام شبابه العادة لتولي الحديث بنفسه وعدم الاصغاء الى الآخرين وترك مجال التحدث إليهم .

تكرار رواية قصص معينة .

العادة في الشكوى من الناس وتصرفاتهم السيئة . .

لفت الانتباه في رواياته الى مشاكل وعقد ومصاعب تغلب عليها في ماضي حياته بقصد ابراز تفوقه على الآخرين من الأصدقاء أو المعارف .

عدم العمل على مساعدة الأقارب أو الأصدقاء لأنهم لم يساعدوه من قبل .

التصلب في الرأي ، وادّعاء الصواب دائماً ، وضيق الخلق ، والعزلة عن الناس وتجنب المجتمعات .

على كل شيخ يشعر ببوادر هذه العقد النفسية أن يكافحها حالاً ، وباستطاعته أن يقوم بذلك دائماً فالسن شيء نسبي فقط ولا حتمية للقول « بعدك صغير ، أو أصبحت طاعناً في السن » والشيخ يظل شاباً بالقدر الذي يعرف فيه حقيقة نفسه ، والجهد الذي يبذل لإصلاح نواقصها وأغلاطها .

ويحسن هنا أن نأتي على طرفة ليقرأها الشيخ الذي يعوزه المرح : ذكر الكاتب الافرنسي (أندريه موروا André maurois) في كتابه « فن الحياة » : (إن بعض سكان جزر بحر الجنوب يحتمون على من يبلغ الشيخوخة عندهم تسلّق نخلة جوز الهند . فاذا ما وصل الى قمتها هزوا النخلة بعنف فاذا استطاع الشيخ أن يتعلق بها ويظل رغم الهز العنيف ثابتاً في قمتها منحوه حق الاستمرار في الحياة . واما اذا لم يقو على ذلك وسقط الى الأرض فيكون قد حكم على نفسه بالموت ، ثم نفذ الحكم بدون تأجل » .

هـذا ما تصنعه الشعوب « المتوحشة » بالشيوخ عندها ما زالت

الشعوب « الراقية » تصنع مثلة مع شيوخها أيضاً ولكن بطرق اخري غير طريقة نخلة جوز الهند هذه . واذا كان « المتوحشون » يقتلونهم على الفور ، فنحن في الواقع نميتهم أيضاً ولكن ببطء . إذ جاء في كتاب « معضلات الشيخوخة في الطبقة المتوسطة للشعب » لمؤلفه (ل . لينهارتس L Lenhartz) وقد نشر في فرانكفورت على نهر الماين في سنة (١٩٥٦) جاء في هذا الكتاب أن الدخل الشهري لأكثر من نصف من بلغ من الشيخوخة في مدينة فرانكفورت الكبير لا يتجـاوز مبلغ (١٠٠) مارك بدفع منه (٢٤٪) اجراً للسكن فلا يبقى أكثر من (٧٦) ماركاً لجميع نفقات الحياة . وهو مبلغ ضئيل لا يؤمن للشيخ حتى قوته الضروري للحياة فيتعرض للجوع المستمر حتى يقضى عليه بالموت البطيء . وهـذا الوضع المادي التعس يحط من مكانة الشيخ في نظر المجتمع]

هذا وعند الشعوب (المتمدنة) غير ذلك أيضاً من أشجار « نخيل جوز الهند » واحداها اجبار العامل والموظف على اعتزال العمل والتقاعد بينما هو لا يزال يملك الطاقة للاستمرار فيـه . وعلى المتقاعد أن يحد من رغباته المعتادة ويحرم نفسه الكثير من المتع في حياة المجتمع . . وفي ذلك صدمة مؤلمة للنفس في الجزء الأخير من الحياة .

ان عصرنا الحالي منذ (٨٠) سنة حتى الآن هو عصر الطفل والعناية به . ومن الواجب أن يصبح في العشرين سنة الآتية والمتبقية منه . عصر الشيوخ أيضاً . ان عدد الشيوخ في تزايد مستمر كما أوردنا في مقدمة هذا الكتاب وستواجه جميع الشعوب المتمدنة في وقت قريب « معضلات اجتماعية للشيخوخة » سيستعصي عليها حلها إن لم تباشر ، في وقت مبكر ، بوضع أسس اجتماعية صحيحة تؤدي الى الحل المنشود ، وبدون حل هذه المعضلات ستضطر جميع الشعوب المتمدنة بعد وقت غير طويل . الى إنشـاء ألوف

من المستشفيات ودور العجزة لإيواء الشيوخ والعجزة مما يزيد كثيراً في الأعباء الاقتصادية للاجيال القادمة .

بين الشبان والشيوخ : - التوتر والاختلاف بين الشبان والشيوخ أمر لا بد من وجوده واستمراره فالشيوخ يحكمون دائماً على الشبان بالتهور وعدم الاتزان ونقص التجارب . والشبان يتهمون الشيوخ بضعف التحمس لديهم وعدم قدرتهم على الهيام ، وولعهم بالتعنت وبالرغم من هذا كله ، لا بد لجميع أعضاء المجتمع في مختلف أعمارهم من العيش معاً . وبقليل من التفاهم يجتمع فيه هيام الشباب مع خبرة الشيوخ وتجاربهم ، يؤمّن للمجتمع الكثير من القواعد العامة . لانتاج عظائم الأعمال لا تكفي قوة الجسم واندفاعاته بل لا بد لهذه أن تقترن بالحكمة والرزانة والنضج في التفكير . . وهي صفات يفتقدها الشباب عادةً ويكثر وجودها عند الشيوخ . فمدنيات الأجيال الغابرة لم يشيدها الشباب بل شيدها الشيوخ وانتجوها ، ولذلك كان الاحترام الكلي للشيخوخة في الأزمنة الغابرة .

وإذا كان هذا الاحترام في عصرنا الحاضر قد تضاءل عما كان عليه فذلك لأن الشيخوخة أصبحت في وقتنا من الأمور العادية التي كثر عدد أفرادها بين صفوف الشعب ، ولم تعد من النوادر . كما كانت عليه في السابق .

سن الخامسة والستين أو سن التقاعد :

لقد حددت سن الـ (٦٥) بداية الشيخوخة والتقاعد فمن حددها وما هي نتائجها ، وكيف يستطاع تبديلها ؟

ان أول من حدد سن (٦٥) سنة للتقاعد هو السياسي الألماني المشهور (بسمارك) . وكان ذلك في الثالث الأخير من القرن التاسع عشر . وقد اقرت فيما بعد جميع البلاد « المتمدنة » هذا التحديد واعتمدته . كان كل

من بلغ عمره (٦٥) سنة آنذاك لم يبق له في مجال الحياة أكثر من عيش ثلاث سنوات . فالتحديد كان إذاً صحيحاً ومحقاً . ولكن الحال تبدل كثيراً منذ ذلك الحين . لقد أصبح مجال العمر الآن لمن بلغ ال (٦٥) هو (١٢،٤٥) سنة في الجمهورية الألمانية الاتحادية ، و (١٢،٦) في الولايات المتحدة الأميركية ، ولمن بلغ سن ال (٧٠) من العمر (٥٨ و ٩) سنة في الجمهورية الألمانية الاتحادية و (١٠،١) سنة في الولايات المتحدة الأميركية أو بتعبير آخر ، ان من كل عشرة اشخاص بلغوا ال (٦٥) من العمر يصل سبعة منهم الى (٧٠) سنة .

ومن كل عشرة أشخاص بلغوا سن ال (٧٠) سنة يصل خمسة منهم الى سن (٨٠) سنة .

ومن كل عشرة أشخاص بلغوا سن (٨٠) سنة يصل ثلاثة منهم الى سن (٩٠) سنة .

وفيما غير ذلك فان ابن (٦٥) سنة في وقتنا الحاضر وبفضل الطب الحديث ، أوفر صحة مما كان عليه مثيله في السابق .

فإحالة كل من بلغ سن ال (٦٥) سنة في وقتنا الحاضر الى التقاعد ، وإجباره على الكف عن ممارسة العمل ، يجعل عدداً كبيراً من افراد الشعب يعيش طوال (١٥ – ٢٠) سنة بدون عمل أو انتاج . . وعالة على المجتمع الذين يعيش فيه . مع انه كان من واجب القانون ان يعطي هؤلاء الشيوخ حق العمل ، وأن يؤمنه لهم .

ومن التقاعد كما ذكرنا لا يسري مفعوله على العاملين في المهن الحرة ، كالأطباء والمحامين مثلاً ، وغيرهم من المهن الجامعية . وكثيراً ما نشاهد اقبالاً شديداً على عيادة طبيب بلغ السبعين من عمره . . ولعل هذا الاقبال مبعثه سن الطبيب بالذات التي مكنته من الحصول على المزيد من الخبرة والتجارب في تشخيص الأمراض وطرق معالجتها .

ان بعض الحكومات (المتمدنة) اعطت الحق للمتقاعد في ممارسة عمل جديد غير عمله السابق ، والولايات المتحدة الاميركية واحدة من هذه . فهناك تجد مدير بنك متقاعد مثلاً يمارس عمل بواب في فندق ، أو بائع بطاقات في دور السينما أو ما شابهها من الأعمال . والبعض الآخر من البلاد المتمدنة كألمانيا مثلاً لم تؤمن مثل هذا الحق للمتقاعدين فيها حتى الآن ولكنها لا تمنع المتقاعد من ممارسة عمل آخر إذا وجد الى ذلك سبيلاً .

ونظرة المجتمع الى المتقاعدين جعلت من الصعب عليهم إيجاد أعمال لهم ، يعودون فيها الى حقل الانتاج ثانية ، فأخذ أكثرهم يشغل اوقاته بهوايات خاصة لا تسد فراغ التقاعد ولا تنتج إلا نادراً . وانعدام الأمل في العمل هو في الواقع بمثابة قتل للنفس قبل موت جسمها . ولهذا فإنه يعرض الى الإصابة بأمراض وآلام جسمانية ما كانت معاناتها محتومه . ان كل إنسان يعهد إليه بعمل منظم يشعر بالراحة وحسن الصحة حتى ولو كان مصاباً بمرض مزمن . أفليس من الظلم إذاً أن يفرض التقاعد فرضاً ؟ ولمجرد بلوغ الانسان الـ (٦٥) حتى ولو كان يؤدي عمله كالسابق باتقان ونشاط ، وربما بنتائج أحسن أيضاً ؟ أظن انه كذلك .

لكن كيف هي في الواقع قدرة ابن الـ (٦٥) على العمل . . وما هي التجارب والاختبارات التي أجراها المختصون بهذا الصدد حتى الآن ، وكيف كانت نتائجها ؟

ان الإنسان المسن الحسن الصحة يكون قوة عاملة قيّمة وخصوصاً بفضل تجاربه وهدوئه ورؤانته واجتهاده . ولكن من حسن الدراية أن يمنح المسن إجازة للاستراحة مرتين في السنة عوضاً عن مرة واحدة كالمعتاد . والمسن لا يتحمل الحث والاجهاد في العمل . نعم هذا صحيح — بيد ان زيادة الإقدام على العمل وحصيلة الانتاج لا تكون بالحث والإجهاد . . بل بما

يرافق العمل من سرور وابتهاج ، وقد اثبتت الإحصائيات أن العمال الشبان أكثر تغيباً عن العمل من العمال المسنين . ففي مؤسسة صناعية كبرى في مدينة (فرانكفورت) . يشتغل فيها (٦١٩) عاملاً ، اتضح ان (٥٠ ٪) من حوادث التغيب عن العمل قام بهـا أقل من (٢٠ ٪) من العمال .أكثرهم دون سن الـ (٤٤) . ومن هذه الاحصائية يستنتج ان الانتاج في المؤسسات الصناعية يزداد بازدياد عدد من تجاوز سن الـ (٤٥) من عمالهـا . وبإبقاء العمال الذين تجاوزوا الـ (٦٥) سنة في أعمالهم . وهـذا مـا هو واقع فعلاً في الولايات المتحدة الأميركية ، حيث لا ينظر الى سن العامل بقدر ما ينظر الى انتاجه . وقد جاء في بيانات شركة التأمين على الحياة الأميركية (ميتروبوليتان لايف انزورانس كومباني Metropolitan life insurance Company) ان (٥٠ ٪) ممن بلغوا مـا بين (٦٥ — ٦٩) و (٤٠ ٪) ممن بلغوا سن (٧٠ – ٧٤) من العمال الذكور في أميركا ما زالوا يمارسون أعمالهم كالمعتاد .

وأما النســاء فما زال (١٣ ٪) ممن بلغن الـ (٦٥) سنة يثابرن على ممارسة أعمالهن السابقة . ومن عمال مصانع فورد الشهيرة في مدينة ديترويت الأميركية الـ (٨٠,٠٠٠) عامـل هناك أكثر من النصف (٤٠ و ٠٠٠) عامل قد تجاوزوا سن الـ (٤٠) والبعض منهم قد استوظف وهو في سن الـ (٧٠) .

ومثال آخر من البلاد الأميركية هو ما يسمونه (مخزن الشيوخ) وذلك لأن من شروط العمل فيه أن يكون كلّ موظفيه أو من عماله قد تجاوز سن الستين على الأقل ؟ والكثيرون منهم تجاوزت أعمارهم هذا الرقم بسنين عديدة . وقد برهن هذا المخزن ، بخلاف مـا كان متوقعاً له ، عن نجاح كبير في أعماله شجع على الاكثار من تأسيس مخازن أخرى من نوعه .

هذا وتعميم (الأتوماتيك) في الكثير من آلات المصانع والمكاتب خفف اعباء العمل فيها وزاد في الحاجة الى العمال الخبيرين بإدارة الآلات الأتوماتيكية مما يتطلب سعة الاطلاع والهدوء والمثابرة والخبرة .. وكلها صفات يتوفر وجودها في الشيوخ بأكثر من توفرها في الشبان .

هذا وقد برهنت الإحصائيات أيضاً أن حوادث الإصابات بين العمال الذين تجاوزوا (٤٥) سنة هي اقل منها عند من هم دون هذه السن ، وأن أقل ما تكون هذه الإصابات نسبة هي ما كانت عند العمال الذين تجاوزوا سن الخامسة والستين .

وكذلك دلت التجارب والاختبارات على أن العمال المسنين اوفر انتاجاً على شرط ان يتركوا وشأنهم في تأدية العمل فلا يستحثون ولا يُستعجلون فيرهقون .

ومن البديهي ان هذه الاختبارات والاستنتاجات لا يصح تعميمها على جميع الحالات لأن الناس تختلف في سن الشيخوخة أيضاً ، فكثيراً ما يشاهد ابن السبعين وهو في قواه العقلية يفوق ابن الخمسين مثلاً . وبالعكس يشاهد بين أبناء الخمسين من هرم في جسمه وعقله واصبح غير صالح للعمل والإنتاج . وكل من اراد الاستمرار في عمله بعد بلوغه (٦٥) سنة عليه أن يهيء نفسه في وقت مبكر لذلك ، فيزيد في اختصاصه وقيمة العمل الذي يؤديه ، ويثابر باهتمام على الاطلاع على كل مبتكر جديد في حقل عمله .. لكي لا يشيخ عقله وتتقدم معلوماته ويعجز عن مسايرة التقدم والتجديد . (★)

(★) عن (شباب في الشيخوخة للعلم الطبيب أمين رويحه .

الشعر

رحلة في قطار

للأستاذ بديع المعلم

حلم الشباب ونشوة السمار ... طافا عليّ ، فهيجا أشعاري
لم أنسَ ما عاش التذكر ليلةً مثل العروس بدتْ بغير خمار
البدر يسبح كالشراع مداعباً تلك الطبيعة في أرقّ مرار
نشوانَ يرسم صورة زيتية بأنامل فضية الأنوار
حيّا عرائشَ فتّحتْ أوراقها وتشهت العنقود في أيار
وترى بقايا غيمة شفافة ذابتْ بأقصى الأفق بعد تواري
وترى الثريا في الخضمّ المخملي في الغيمة الزرقاء مثل نثار
تبر موشّى أو كأسٍ سرّه مستغلَق حتى عن النظار
يمّ عجيب ماله من ساحل فتدور فيه لغاية وقرار
والعلم مهما راح يرجم زاعماً بالغيب عنها ليس غير قمار ...
عجباً ، وكيف الملحدون تحجروا أفليس ينفعهم هدى الأبصار ؟!
في كل شيء آية لوجوده ليس اللبيب يلوذ بالإنكار
حسب الدليل على الإله نظامه وجمال صنع الواحد القهار

* * *

سبحان من أحيا الطبيعة إنه روّى الربيع بديمة مدرار

تلك المروج الخضر ترفل للسنى ... وتعيد بشرى العيد للأطيار

في مهرجان الطبيعة شيق ... رقصت عليه عرائس الأزهار

حسناء قد ماست أمام مصور ... وتنفست عن روح أي نهار ؟ !

لبست من الأفراح أزهى حلة ... وتزينت للعرس خضر براري

والروض يرتشف الرحيق ، ويحتسي ... من نشوة الأوراد كأس عُقار

فتميل كالأم الحنون ظلاله ... دارت فتاها ، والمحب يداري

شتان بين الثوب من إستبرق ... ودريس ثوب في الحياة مُعار

والروض أحلام الربيع وعطره ... فإذا خبا لم يبق غير دمار

رقدت بأحلام السكون هضابه ... وتأزرت من سندس بإزار

واستسلمت للحلم ملء جفونها ... ليروع مسمعها صفير قطار

وصفا النسيم ، فليس غير عجاجة ... لاحت لها مصحوبة بغبار

فتكاد تسمع من بعيد صوته ... متنمراً كزئير وحش ضاري

فيشق أعماق السكينة مرعداً ... كالسهم منطلقاً أو الأقدار

وانسل في نفق ليقطع غابة ... ليمر بين بواسق الأشجار

لله ما أحلاه يعدو صاحباً ... صفاً كصف الدوح حول مجاري ..

حتى إذا انجاب الدخان مبدداً ... عاد الصفير يرن بالإنذار

وكأنه الصاروخ جر ذيوله ... زهواً ، وليس بقصده هو داري

وإذا تنفس لم تكن أنفاسه ... إلا شواظاً دافقاً بشرار

غضبان نحسبه استعد لحومة ... بكتائب كالفيلق الجرار

وكأنه راعَ العدا بأزيزه ... وأحاطهم من خطه بحصار

فتخال من ثأر يصول مهدداً ... يبغي القتال ، وليس صاحب ثار

وبجوفه نار تئز كمرجل ... فيسوقه كبت وضغط بخار

* * *

فكرت بالعلم الذي سبر النهى ... وأقال للانسان كل عثار
فحدثني الذكرى لماض مشرق ... متسائلا ، فأغصّ بالتذكار
أين الحضارة غاب عنا شمسها ... أيام كنا قبلة الأمصار ؟ !
أين المعارف نكست راياتها ... والهف نفسي ويح دمعي الجاري ؟!
إن كان هذا الغرب أينع عله ... فالغرس غرسي ، والبذار بذاري
منذ نحن كنا أقوياء بديننا ... فقنا الورى أبداً بكل غمار
يا ويح قومي ضيعوا إسلامهم ... عجباً ، وما جاراه قط مجاري
لم يعيهم كشف البخار وسره ... لو أنهم تبعوا (صحيح بخاري)
يا أمة (الهادي) التي طلع الهدى ... في أفقها كالوابل الزخار
هيهات منكم أن تعيدوا مجدكم ... حتى تعيدوا سنة (المختار)

* * *

وقف القطار هنيهة « بمحطة » ... حتى إذا ما هبّ للأسفار
يجري وئيداً خائراً مترددا ... فإذا به كاللمح بالأبصار
فترى القرى نثرت هناك وها هنا ... كدمى تلوح سعدها المتواري
وترى مزارعها البعيدة أزلفت ... تتأود الأفنان بالأثمار
ولقد جثا الناطور جانب خيمة ... لحراسة كالأم حول صغار . . .
فإذا القرى مرت كحلم عابر ... مثل السراب يذوب خلف صحاري
وتضاءلت شيئاً فشيئاً ، وامحت ... وبلحظة ضاعت وراء قفار
فتلفها تلك الهضاب بأفقها ... والليل يسدل ألطف الأستار

* * *

إن يعترضه النهر شمّر ذيله ... ليجوز قنطرة على الأنهار
وترى « حماة » جمانة في جيده ... قد شقها « العاصي » إلى أشطار
لم توش لابنتها لتصرم بعلها ... عجباً ، أيصرمها بلا أوزار ؟

يا ليت كل حمٍ كمثل طباعهـا فإذن لعاش النـاس باستقرار

* * *

هـذي « النواعير » التي لاترتوي والمـاء رقراق حيالك جاري
تسقي البساتين التي انعطفتْ على شـادوفهـا المتأوّه الدوّار
والسلسبيل يسيل عبر جـداول يشفي العليـل ببارد موّار
وا لهفتاه لرشفـة من مـائه ولسهرة في روضهـا ومزار
ولرقدة تحت الظـلال طويلة حتى أفيق اصـوته الهدار
يتأنق « العاصي » ليرسم صورة وكآلة التصوير ليس يماري ...
عكس ازرقـاق الأفق في بلوره والشهب ترقص حول بدر ساري
فيداعب السمك المسالم بعضـه في النهر تحسبه انبرى لشجـار

* * *

وتغيب أطـلال هناك رتيبة في زحمة الأمجاد والأغوار . . .
وتلوح « حمص » بعد حين تنجلي حتى إخـال الخلد بات جواري
نامت هنـاك على صروح زمرّد مليء العيون غضتْ بغير دثار ..
مدتْ ذراعيهـا على الحقل الذي رقصتْ عليـه سواجع الأطيار
ويلوح ذاك « السد » أعظم مارأتْ عينانِ من همم هناك كبار
قد زاره « العاصي » ليحجز شطره فيصب في القنـوات لاستثمار
لمـا عصي أفق بحجر مياهـه وسرى عليه الحكم بعد قرار
وترى القصور الشامخـات تألقتْ وتربعتْ مـودة الأحجـار
وترى المصـابيح التي قد عسعستْ من كل مئـذنة وكل منـار
وخمائل « الميماس » ترقص للسنى طرباً ، ففاز لها النسيم السـاري
فيصفق العاصي ، ويهمس معجبـاً والموج يلثمهـا بكل وقار
والبدر يضحك الرياض مناجيـاً من شرفة كالغيـد خلف ستار

والليل سار على رؤوس أصابع ... متزففاً كاللص في إسرار
ما صفحة المرآة أحلى منظراً ... والزهر مال عليه مثل إطار
فترى السما ، وما أرق أديمها ... فتضيع في بحر بغير قرار . . .
كالقبة الزرقاء فوقك زخرفت ... بلآلىء ، رفعت بغير سواري
وتنفست أرجاً كروض بنفسج ... يخضل عبر زنابق وعمار
فتطارد الشهب المشعة حلكة ... بزحوف كرّار على فرّار
فتزيح سجف ستائر من مخمل ... لتلوح ضحكة خنّس وجواري . .
لله مـا أزهى السماء وبدرهـا ... ينساب في روحي ، وفي أفكاري
لم تلق مـا يرجيك غير عنادل ... تشدو هناك ، وغير رجع كناري
وترى النوافر كم تدغدغ بركة ... سفياً لهـا ، ولمائهـا الفوّار
ودعت صبرك إن لم تكن لم تغتنم ... « ميماس » حمص ومجلس السمار

* * *

ومشى للقطار ، ولم تزل أصداؤه ... ينقض في الفلوات كالإعصار

* * *

عفواً إذا ما قد حذفت مشاهداً ... صفراء قاحلة من الأشجار
يخضر شعري باخضرار طبيعة ... أبداً ، ويقفر عند كل قفار

* * *

ويلوح من بُعْد شرنط سلاسل ... جبلية تدنو الى الأبصار
قلل تغطت بالسما وتعلقت ... وترفعت عن شأفة الأوضار

* * *

وترى هنالك « بَعْلَبَك » أناخها ... كر العصور ، فجلّلت بغبار
وتلوح أقواساً تآكل صخرهـا ... درست وما تركت سوى آثار

* * *

وأطلّ رأس «الشيخ» يشرق من عل   متجلببـاً في ميسم الأبرار
متزهداً ، والثلج عمم رأسه   بعمامة ، فهمَ باستغفـار
يتسلق الجبل الأشمّ كأنـه   أفعى تلوتْ فوق متن جدار
وتراه ينفخ إذ توقف فجأة   لو لا يديه بقية الإصرار
يرمي كلاليب الحديد ، فيرتقي   بسلالم نصبت على الأسوار
فيئن من ثقل الحمولة مبطئـاً   وتراه يلهث زافراً بأوار
حتى إذا ما اجتاز ؛ أعلى قمة   بدت الخمائل كالكتاب لقاري
وانحطت العربات تتبع بعضهـا   والغاب يحضنها من الأخطار
نهب السهول بعدوه ، فكأنه   يخشى الذئاب لذا انبرى لفرار
فيميل للوادي الوريف كصخرة   ينهار فوق فضائه المنهار . . .
أتراه يخفض للصقور جناحه   فأناخ كلكله على الأعصار
يدوي ،فيلقي الرعب طول مسيره   ويطير من شوق لغير مطار
فيغيب في دغل نضير أخضر   فترى الظلال تفرّ كالدينار
يجري على خط الحديد كأنه   ينساب كالأفلاك حول مدار . . .
وتراه منعطفـاً يجر وراءه   ذيلا يرى كمذنب سيّار
تتكشف الدنيـا له بفضائهـا   عن غابة من أضخم الأشجار
يرنو لهـا النجار لا لجمالهـا   وأعيذهـا من اعين النجار
لكن يفكر في ضخامة سوقهـا   كم طولها والعرضَ بالأمتار ؟
ويصنف للفلاح نوع ثمارهـا   ماذا ستبلغه من الأسعار ؟
ويقدر الفنان مسحوراً بهـا   ما سوف توحيه من الأفكار . . .
فيذيب حسن جمالهـا وظلالها   فتسيل إبداعـاً على القيثار

* * *

بينا القطار يلوح إذ هو يختفي فتلفّه أشجارهـــا بستار
وتراه منحدراً يضمّ جميلهـــا ويعانق الأغصان بعد خفار
يتطلع الزوّار خلف نوافذ والريف يسحر أعين الزوّار
يتهدّل التفاح فوق رؤوسهم فإذا انحنت قطفوا جنيّ ثمار
وتطل أشجار الصنوبر تحتهم في رفعة كالخلد للأنظار
وتضمهم بحنانهـــا وبعطفهـــا جارت بنيها ، والحبيب يجاري

* * *

ياجارة الوادي ، وتوءم روحه انك من جباء النهر أكرم جار
حيّا ربابك الله جل جلاله أبداً ، وجادكِ وابل الأمطار
لا زلتِ مغدى الأنس كل عشية ما رنّ في واديك سجع هزار
ياليتني طير بروحك حائم ويكون في أعلى غصونك داري
لأرى الطبيعة بالزهو فتونهـــا من ذا يخلدها سوى أشعاري ! ،
والحوْر والصفصاف مثل عرائس رفلت بأبهج طلعة وغِرار
يتكسر الشلال فوق صخوره ناغي الطبيعة في أرق حوار
سلت أنامـــله تسيل برقـــة فكأنها سالت على أوتار . . .
يروي هنالك قصة الأبد الذي ما زال لُغزاً مقفل الأسرار
ويبث سمع الروض من أعماقه ألم الجراح بصوته الهدّار
والطير يصدح بعد أن صراحه كالسحر يخلب لب موسيقار

* * *

حتى إذا من لمة شاب الدجى لم يبق من ليل سوى آثار ...
إذ غاصت «الشعرى» و«نهر مجرة» وبكت « غميصاء » فراق دراري
قد ودعت تلك المراعيَ ، واختفت فبكت عليهـــا أدمع الأزهار
فامتدّ من صبح لسان أحمر يمحو الظلام بأعجب الأنوار ..
وهناك أبواب السماء تفتحت وتفتّق الإيمان كالأزرار

وبدا يصلّي كل حي خاشعاً ويسبح الإصباح باسم الباري
فإذا عروس الصبح ترخي شعرها فتذوب في بر وفوق بحار
وتألقت حمراءَ مثل عقيقة فإذا بها صفراء مثل عرار
قد توجت تلك الجبال بتبرها ثم انحت تمتد للأغوار
فاستيقظت تلك الحياة ، وغردت تلك الربا من طائر وقماري
وافترّ ثغر الحقل عن بسماته حيا جهاد مكافح مغوار
وتمدد الراعي بجانب صخرة حول المروج الخضر باستمرار ...
بعصاه هش على القطيع ، فيلتقي ولقد تنحّى عن طريق قطار
يشدو ، مترقص حوله أغنامه بالحب ما باراه قط مباري
إن السعادة راحة البال التي لا تشترى بالمال والدينار
والطير يسبح في الفضاء مصائلا والشاء راتعة مع الأبقار ...
وتضم أمات الطيور فراخها وتلف منقاراً على منقار
أبداً تذكرني الطبيعة بالشذا وتثير روحي أنة المزمار
إنّي سأختصر الربيع وزهره بنضارة أحيا مع التذكار
لأعيش في دنيا الربيع وعطره متنعماً رغم الخريف العاري ..
رغم الشتاء بقره وببرده رغم الجدار ، وليس غير إسار ...

* * *

وأطل يشمخ « قاسيون » برأسه متربعاً كالمارد الجبار
نشوانَ يهزأ بالحوادث سافراً أخذ الأمان له من الأدهار
كم صارعته عواصف ، فتكسرت مِزَقاً على قدميه في المضمار
تتساقط الأقزام تحت سفوحه فتدوسها الأقدام باستهتار
وتطل خلف نوافذ مفتوحة لتشم طيب شمائل وبخار
تستنشق النفحات ، وهي رطيبة والطل فتح أعين النوار

لترى ـ هنا ـ الاكّار يحرث أرضه ... وترى هنالك أسرة الأكّار
ملؤوا صناديق الفواكه بعد ما ... قطفوا شهيّ فواكه وخُضار
وتشاهد العربات تحملهـا إلى ... سوق المدينة ساعةَ الإبكار
وترى بنيّاتِ القرى بغاوز ... يحملن قرب النبع خُضْر جرار
وتطلّ مأخوذاً بمشهد (غوطة) ... رضعتْ لبان مكارم وفخار
بلد يذوب من الجمال نسيمه ... بروجه للقي عصا التسيار . . .
تتراقص الأشجار من طرب به ... كالحور أو كالخرّد الأبكار
فتهدّلتْ من شعرهنّ ضفائر ... واخضوضرتْ كالصبح في الإسفار
ماستْ على عرش الربيع ، زنودها ... قد رصّعتْها أنضج الأثمار
أسمعت وسوسة الحليّ يجيدهـا ... ماذا ترى باحتْ من الأسرار ؟
أرأيتَ كيف الوز عام مرفرفاً ... يلقي رشاش النهر باستمرار
تنداح فيـه دوائر قزحية ... ذهبيّة فضيّـة الأنوار
وتراه متزنّاً يقاوم ضغطه ... يأبى بأن ينقاد للتيـار
فيطير أحيـاناً ، ويسبح تارة ... أبداً يبـارز بعضه ، ويبـاري

* * *

يا من رأى (بردى) يقصّ ملاحماً ... يستعرض التاريخ بالإكبار
إسمع حديث « بني أمية » إنه ... يروي لنـا ما جلّ من أخبـار
هدي « دمشق » هنا يضوع أريجها ... وتلألأتْ مثل النجوم دياري
ليستْ قصوراً ما شهدتَ وإنما ... مجلى الشموس ، ومنزل الأقمار
يا ليت تشبع من بهاها مقلق ... من طيب أرض « ربيعة » و« نزار »
تخضلّ لؤلؤة بحضن زبرجد ... عبق يحف بفضّة ونُضار
باللأريج يضوع من ريحانهـا ... مثل الحيـاة بديعـة مدرار
أيفتق الفردوس عن أكمامه ... ما لا رأت عين من الأزهـار

الورق قد صدحتْ بأروع نبرة ... لتزفَّ أروع روضة معطار
فتكرَّر النغم الرخيم ، وإنما ... يحلو مذاق الشهد بالتكرار
أمنابر الياقوت غصن أراكها ... وحوارها المسحور أيَّ حوار ؟
وتأرجحتْ فوق الغصون بنشوة ... ذات اليمين هنا وذات يسار
وتطير في الآفاق في حرية ... فتحرَّرتْ من ربقة الأكدار
يتمايل الروض البسيم روائعاً ... من نرجس وقرنفل وبهار
من لؤلؤ رطب وأخضر عبقر ... (بردى) عليه التفَّ مثل سوار
قطع من المرجان راق جمالها ... من أحمرٍ أو أصفرٍ نَوّار
هي جنة الله الكريم بأرضه ... هي صورة من صنعه المختار
كانتْ لها في المجد أنصع سيرة ... شرفتْ بفضل كماتها الأحرار
كانتْ ملوك الأرض من خدامها ... تهفو لها الدنيا من الأقطار
كانت (دمشق) ولم تكن من دولة ... أبداً سوى صفر من الأصفار
أيام (أوربا) كأن شعوبها ... نعم تساق على يديْ جزّار
بالرق قد غرقتْ الى أذقانها ... لم تدر ما حرية الأفكار
الليل يضرب حولهم بجرانه ... والشعب أغنام رعته ضواري
صلبوا العدالة لم يكونوا مرة ... إلا كمطرقة على مسمار
لا يظهر الباغي بمظهر منصف ... إلا ليستر حدّة الأظفار
ويئنّ لو أدى لشعب حقّه ... لوردَّ قطميراً من القنطار

* * *

قسماً « دمشق » بنيت كل حضارة ... ورفعتِ بالقرآن خير شعار
أرسيتِ مشعلة تضيءُ منيرة ... لتحرر الدنيا من الأشعار
فانساب يخترق المنافذ والكوى ... أنوارك البيضاء رغم ستار

البدر لم يمتض بغيرك موطناً — كلا ولم تعشق سواك دراري
من ها هنا زحفت جنود عدالة — لتتوج الدنيا بتاج الغار
تترقب الأجيال يوم فتوحهم — كمهاجرين سعوا الى أنصار
فيرف روح العيد يوم فتوحهم — ويصفق التاريخ باستبشار
ظمئوا إلى النور المضمخ بالشذا — فتحرروا بالنور لا بالنار

* * *

عفواً إذا ما قد أطلت قصيدتي — والحر تشفع عنده أعذاري
ألغول أولادي ، وهم من مهجتي — وكما علمت مثالهم أشعاري

* * *

هي رحلة الشعر المجنح في السرى — هي للجمال الحي والأسمار
فإذا حذفت الوصف قلت مداعباً — زرت الشام بمنطق التجار ...

الولب : — بديع المعلم

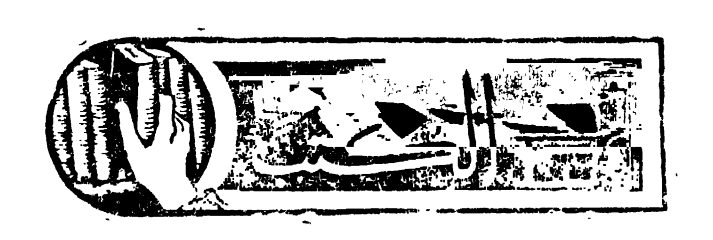
من الطرف

● في (فتوح البلدان) للبلاذري : قال كثير بن شهاب يوما : يا غلام أطعمنا .

فقال : ما عندي إلا خبز وبقل .

فقال : وهل اقتتلت فارس والروم إلا على الخبز والبقل .

● في طبقات ابن سعد : جاء أبو طلحة يخطب أم سليم بن ملحان ، فقالت : إنه لا ينبغي لي أن أتزوج مشركا ، أما تعلم يا أبا طلحة ، أن آلهتكم التي تعبدون ينحتها عبد آل فلان النجار ، وانكم لو أشعلتم فيها ناراً لاحترقت ، فانصرف عنها وقد وقع في قلبه من ذلك موقعا ، وجعل لا يجيئها يوماً إلا وقالت له ذلك . فأتى يوماً فقال : الذي عرضت علي قد قبلت ، فما كان لها مهراً إلا إسلام أبي طلحة .



● ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية

- ٣ -

وجاء في كتاب ارشاد الفحول عند الكلام على الشروط التي ترجع الى لفظ الخبر .

الحال السادس : أن يكون الخبر ظاهراً في شيء ، فيحمله الراوي من الصحابة على غير ظاهره إما بصرف اللفظ عن حقيقته ، أو بأن يصرف عن الوجوب الى الندب أو عن التحريم ولم يأت بما يفيد صرفه عن الظاهر ، فذهب (الجمهور) من أهل الأصول الى أنه يعمل بالظاهر ولايصار الى خلافه لمجرد قول الصحابي أو فعله ، وهذا هو الحق ، لأنا متعبدون بروايته لا برأيه كما تقدّم . وذهب أكثر الحنفية الى أنه يعمل بما حمله عليه الصحابي[1] .

وجاء في كتاب أصول الفقه للخضري « . . . كان رأي الشافعي ومالك وأحمد هو العمل بالعام المروي[2] . . . » ،

وقال الإمام الشوكاني بعرض كلام على حديث ابن عباس الذي نحن بصدده وبين رأيه وفتواه : ان المعتبر روايته لا رأيه[3] !

---

(١) ص ٥٣ . (٢) ص ٢٢٢ . (٣) نيل الأوطار ٦/٢٤٦ .

وقال هذا الإمام أيضاً في نيل الأوطار وهو كشبه رد على زعم الأستاذ الشيخ السيوطي :

« وأمّا ماقاله ابن المنذر من أنه لايظن بابن عباس أن يحفظ عن النبي (ﷺ) شيئاً ويفتي بخلافه ، فيجاب عنه بأن الاحتمالات المسوّغة لترك الرواية والعدول الى الرأى كثيرة : منها النسيان ، ومنها قيام دليل عند الراوي لم يبلغنا ، ونحن متعبدون بما بلغنا دون مالم يبلغ . وبمثل هـذا يجـاب عن كلام أبي داود المذكور » ومن الأجوبة عن حديث ابن عباس المذكور ما نقله البيهقي عن الشافعي أنه قال : يشبه أن يكون ابن عباس علم شيئاً نسخ . ويجاب بأن النسخ إن كان بديلاً من كتاب أو سنة فما هو ؟ !! وان كان بالإجماع ، فأين هو ؟ ! على أنه يبعد أن يستمر الناس أيام أبي بكر وبعض أيام عمر على أمر منسوخ ! وان كان الناسخ قول عمر المذكور فحاشاه ان ينسخ سنة ثابتة بمحض رأيه ، وحاشاه أصحاب رسول الله (ﷺ) ان يجيبوه الى ذلك .

« ومن الأجوبة دعوى الاضطراب ، كما زعمـه القرطبي في المفهم ، وهو زعم فاسد لاوجه له . ومنها ماقاله ابن العربي : ان هذا الحديث مختلف في صحته ، فكيف يقدم على الاجماع ؟ ويقال أين الاجماع الذي جعلته معارضاً للسنة الصحيحه » .

« ومنها أنه ليس في سياق حديث ابن عباس أن ذلك كان يبلـغ النبي (ﷺ) حتى يقرره ، والحجة إنما هي في ذلك . وتعقب بأن قول الصحابة : كنا نفعل كذا في عهد رسول الله (ﷺ) في حكم المرفوع على ماهو الراجح ، وقد عملتم بمثل هذا في كثير من المسائل الشرعية[1] .

---

(١) ٦/٢٤٧ نيل الأوطار (!) جاء في قاموس المحيط عم الشيء عموماً شمل الجماعة يقال عمهم بالعطية وهو معم .

٢ — ان قول الأخ البوطي « ان حديث ابن عباس مخالف لمذاهب عامة الصحابة والتابعين مغاير للحقيقة ! قال الإمام الشوكاني :

وذهب طائفة من أهل العلم إلى أن الطلاق لا يتبع الطلاق ، بل يقع واحدة فقط . وقد حكى صاحب البحر عن ابن موسى ورواية عن عليّ وابن العباس[١] وطاوس وعطاء وجابر بن زيد والهادي والقاسم والباقر والناصر واحمد بن عيسى ، وعبد الله بن موسى بن عبد الله ، ورواية عن زيد بن علي ، واليه ذهب جماعة من المتأخرين منهم ابن تيمية وابن القيم وجماعة من المحققين . وقد نقله ابن المغيث في كتاب الوثائق عن محمود بن وضاح ، ونقل الفتوى بذلك عن جماعة من مشايخ قرطبة كمحمد بن بقي ومحمد بن عبد السلام وغيرهما ، ونقله ابن المنذر عن أصحاب بن عباس كعطاء وطاوس وعمرو بن دينار وحكاه ابن مغيث أيضاً في ذلك الكتاب عن عليّ وابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف والزبير[٢] .

وقال ابن قدامة في المغني : وكان عطاء وطاوس وسعيد بن جبير وأبو الشعثاء وعمرو بن دينار يقولون من طلق البكر ثلاثاً فهي واحدة[٣] !

ومالنا نذهب بعيداً وهذا ابن عباس نفسه له رأي فان يتفق مع روايته للحديث كان من الانصاف لدى الشيخ سعيد أن يذكره قال الإمام ابن القيم :

. . . فأفتى به حَبْر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس كما رواه حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس : « إذا قال أنت طالق ثلاثاً بفم واحد فهي واحدة » وأفتى أيضاً بالثلاث . أفتى بهذا وهـذا ، وأفتى بأنها واحدة الزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف ، حكاه عنهما ابن وضاح ، وعن علي وابن مسعود روايتان كما عن ابن عباس ، وأما

---

(١) أي رواية أخرى لابن عباس خلافاً لروايته الأولى (م) .

(٢) نيل الأوطار ٦/٢٤٥ .

(٣) جـ ٨ ص ٢٤٣ .

التابعون فأفتى بـه عكرمة مارواه اسماعيل بن ابراهيم عن أيوب عنه ، وأفتى به طاوس ، وأما تابعو التابعين فأفتى به محمد بن اسحاق ، حكاه الامام أحمد وغيره عنه وأفتى به خلاس بن عمرو والحارث العكلي ، وأما تابعي التابعين فأفتى به داود بن علي وأكثر أصحابه ، حكاه عنهم أبو المفلس وابن حزم وغيرهما . وأفتى به بعض أصحاب مالك ، حكاه التلمساني في شرح ابن الجلاب قولاً لبعض المالكية ، وأفتى بـه بعض الحنفية ، حكاه أبو بكر الرازي عن محمد بن مقاتل ، وأفتى به بعض أصحاب أحمد حكاه شيـخ الاسلام ابن تيمية عنه . قال : وكان الجد يفتي به أحياناً(١) .

وأعجب مايشغل بالي ويحيرني : كيف ان الأئمة مالكاً والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى تركوا حديث ابن عباس لرأيه ، وهو خلاف أصولهم التي التزموها كما رأينا ذلك مفصلاً مثل هذا الكلام ؛ بل خلاف مذاهبهم أيضاً !

« وقد قدّم الشافعي رواية ابن عباس في شأن بريرة على فتواه التي تخالفها في كون بيـع الأمة طلاقها ، وأخذ هو وأحمد وغيرهما بحديث أبي هريرة وأفتى بأنه لا قضاء عليه . وأخذوا برواية ابن عباس « أن النبي (ﷺ) أمر أصحابه أن يرملوا الأشواط الثلاثة ، وأن يمشوا بين الركنين » وصح عنه أنه قال : ليس الرَّمي بسنة . . وأخذوا برواية ابن عباس في تقديم الرمي والحلق والنحر بعضها على بعض ، وأنه لاحَرَج ، وقد أفتى ابن عباس إن فيه دماً ، فلم يلتفتوا إلى قوله وأخذوا بروايته ، وأخذت الحنفية والحنابلة بحديث علي وابن عباس « صلاة الوسطى صلاة العصر » وقد ثبت عن علي وابن عباس أنها صلاة الصبح وأخـذ الأئمة الأربعة وغيرهم بخبر عائشة في التحريم بلبن الفحل ، وقد صح عنها خلافه !

« والذي ندينا الله به ولايسعنا غيره وهو القصد في هذا الباب أن الحديث إذا صح عن رسول الله (ﷺ) ولم يصـح عنه حديث آخر

(١) اعلام الموقعين ٣/٤٦ .

ينسخه إن الفرض علينا وعلى الأئمة الأخذ بحديثه وترك كل ما خالفه ؟ ولا نتركه لخلاف أحد من الناس كائناً من كان لا راوية ولا غيره ، اذ من الممكن أن ينسى الراوي الحديث ، أو لا يحضره وقت الفتيا ، أو لا يتفطن لدلالته على تلك المسألة ، أو يتأول فيه تأويلاً مرجوحاً ، أو يقوم في ظنه ما يعارضه ولا يكون معارضاً في نفس الأمر ، أو يقلد غيره في فتواه بخلافه لاعتقاده انه اعلم منه ، وانه إنما خالفه لما هو أقوى منه ، ولو قدر انتفاء ذلك كله ، ولا سبيل الى العلم بانتفائه ولا ظنه ، لم يكن الراوي معصوماً ، ولم توجب مخالفته لما رواه سقوط عدالته حتى تغلب سيئاته حسناته ، وبخلاف هذا الحديث الواحد لا يحصل له ذلك(١) .

٣ — إن قول الأستاذ سعيد برد حديث مسلم السابق بجملة ماروي من أحاديث عن الرسول (ﷺ) في هذا الباب ، كلام من يتعلق بحبال الهواء كما يقولون ، فإن هذه الأحاديث المخالفة لحديث ابن عباس كلها غير صحيحة أثبتنا ضعفها في ردنا السابق !

ومن أدلة الشيخ سعيد الواهية على رده لحديث مسلم قوله :

« . . . ومنها الأحاديث والآثار الكثيرة التي بلغت مبلغ التواتر المعنوي (! !) فيمن طلق ألفاً أو مئة وتسعاً وتسعين فاستقر في حقهم الثلاث سواء منها ما كان مروياً عن الرسول (ﷺ) أو عن الصحابة الفقهاء أو التابعين نجد ذلك في الموطأ ومصنف ابن أبي شيبة وسنن البيهقي وغيرها(٢) .

إن الشيخ سعيداً يقصد بذلك حديثاً أخرجه عبد الرزاق في مصنفه عن يحيى بن العلاء عن عبد الله بن الوليد الوصافي عن ابراهيم بن عبد الله ابن عبادة بن الصامت عن داود عن عبادة بن الصامت قال : طلق جدي امرأة له ألف تطليقة ، فانطلق الى رسول الله (ﷺ) فذكر له ذلك ، فقال النبي (ﷺ) : ما اتقى الله جدك ! أما الثلاث فله ، وأما تسعمئة

(١) باختصار عن الامام ابن القيم اعلام الموقعين ٣/٥٢_٥٣

(١) ص ١٥٥

وسبع وتسعون فعدوان وظلم ، إن شاء الله عذّبه وإن شاء غفر له »

وفي رواية « ان أباك لم يتق الله فيجعل له مخرجاً ، بانت منه بثلاث على غير السنة ، وتسعمئة وسبع وتسعون إثم في عنقه » .

قال الامام الشوكاني ساخراً من هذا الحديث الهالك :

« أجيب بأن يحيى بن العلاء ضعيف ! وعبد الله بن الوليد هالك ! وابراهيم بن عبيد الله مجهول ! فأي حجة في رواية ضعيف عن هالك عن مجهول ؟ ! ثم والد عبادة بن الصامت لم يدرك الاسلام ، فكيف بجده[1] ؟ !

فأين دعوى التواتر الباطلة التي ادعاها الأستاذ السيوطي في هذ الحديث ؟ !

أكتفي بهذا القدر ، فقد أطلت ، فلعل القارئ قد سئم ، ولكن ما العمل ، فإن القطيعة قطيعة دين ، وقطيعة أسرة وأزواج وأطفال لم يذكر الأستاذ الشيخ سعيد خطورة تشريدهم بترك كتاب الله وسنة نبيه ، واللجوء إلى أقوال رجال غير معصومين ، فلعله بعد هذه التذكرة يتدارك الأمر وينقذ طلاب كلية الشريعة من هذا التهافت .

وليسمح لي القارئ أن أختم كلمتي بعبارة قيمة للامام الشوكاني في هذا الموضوع ، فقد قال رحمه الله تعالى بعد أن ذكر حجج الطرفين :

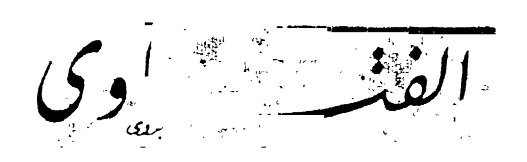
« والحاصل إن القائلين بالتتابع قد استكثروا من الأجوبة على حديث ابن عباس ، وكلها غير خارجة عن دائرة التعسف ! ! والحق أحق بالاتباع فإن كانت تلك المحاماة لأجل مذاهب الأسلاف .. ثم أي مسلم من المسلمين يستحسن عقله وعلمه ترجيح قول صحابي على قول المصطفى[2] ؟ ! ! » .

دمشق : محمود مهدي استانبولي

---

(١) نيل الأوطار ٦/٢٤٦ .

(٢) ٦/٢٤٨ باختصار .



الزكاة للأقارب

سبق أن أجبنا عن بعض هذا الموضوع ، ووردنا من جديد من السيد ع . خ (من اعزاز) سؤال عن جواز أعطاء الأخ آخاه من الزكاة إذا كان قويا ولكنه فقير وطالب علم .

الجواب : في (فقه السنّه) للأستاذ السيد سابق ج ٣ ص ١٤٨ — ١٥٠ كلمات جامعات في هذا الموضوع وما إليه ، ننقلها كاملة لتمام الفائدة :

استحباب اعطاء الزكاة للزوج والأقارب :

إذا كان للزوجة مال ، تجب فيه الزكاة ، فلها أن تعطى لزوجها المستحق من زكاتها ، إذا كان من أهل الاستحقاق ، لأنه لا يجب عليها الإنفاق عليه .

وثوابها في إعطائه أفضل من ثوابها إذا أعطت الأجنبي .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن زينب امرأة ابن مسعود قالت : يانبي الله ، إنك أمرت اليوم بالصدقة ، وكان عندي حلي ، فأردت أن أتصدق به ، فزعم ابن مسعود أنه ، وولدَه أحق مَنْ تصدّقتُ به عليهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « صَدَقَ ابن مسعود ، زوجُك وولدُكِ أحقّ من تصدّقتِ به عليهم » رواه البخاري .

وهذا مذهب الشافعي ، وابن المنذر، وأبي يوسف ، ومحمد ، واهل الظاهر ، ورواية عن أحمد .

وذهب أبو حنيفة ، وغيره : إلى أنه لا يجوز لها أن تدفع له من زكاتها ، وقالوا : إن حديث زينب ورد في صدقة التطوع ، لا الفرض .

وقال مالك : إن كان يستعين بما يأخذه منها على نفقتها فلا يجوز . وإن كان يصرفه في غير نفقتها جاز .

وأما سائر الأقارب كالإخوة ، والأخوات ، والأعمام ، والأخوال ، والعمات ، والخالات ، فإنه يجوز دفع الزكاة إليهم ، إذا كانوا مستحقين في قول اكثر أهل العلم .

لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الصدقة على المسكين صدقة [١] وعلى ذي القرابة اثنتان : صلة ، وصدقة [٢] » رواه أحمد والنسائي ، والترمذي ، وحسنه .

اعطاء طلبة العلم من الزكاة دون العباد

قال النووي : ولو قدر على كسب يليق بحاله ، إلا أنه مشتغل بتحصيل بعض العلوم الشرعية ، بحيث لو أقبل على الكسب لا نقطع عن التحصيل ، حلت له الزكاة ، لأن تحصيل العلم فرض كفاية .

وأما من لايتأتى منه التحصيل فلا تحل له الزكاة ، إذا قدر على الكسب ، وإن كان مقيما بالمدرسة . هذا الذي ذكرناه هو الصحيح المشهور » .

قال : « وأما من أقبل على نوافل العبادات ـ والكسب يمنعه منها ، أو من استغراق الوقت بها ـ فلا تحل له الزكاة بالاتفاق ، لأن مصلحة عبادته قاصرة عليه ، بخلاف المشتغل بالعلم » .

---

(١) أي فيها أجر الصدقة .

(٢) أي فيها أجران ، أجر صلة الرحم ، وأجر الصدقة .

الثبت العام

لمجلة التمدن الاسلامي في عامها ٣٣

١٣٨٦ هـ

الأجزاء ١ - ٤

١ الهجرة . . . . بقلم الأستاذ أحمد مظهر العظمة

٤ السنة : المسلم والمهاجر » » » » »

٩ البحوث : عروبة فلسطين في كتب اليهود للأستاذ الشيخ محمد علي الزعبي . . . .

١٣ علم السلف بالشريعة الغراء . . . للأستاذ إحسان النمر

٢١ دولة الهجرة . . . للأستاذ عبد الرحمن عزام

٢٢ موازين نيّرة . . . . . للأستاذ محمد كمال الخطيب

٢٩ يقظة . . . . للأستاذ شفيق جبري

٣٠ من ثمرات الكتب : التربية الوجدانية والتكافل للأستاذ الشيخ عبد الله علوان . . . .

٣٠ من ثمرات الصحف : بين العرب واليهود . . موشي ديان

٤٥ الشعر : يا شعر . . . (قصيد) للأستاذ مزيد الخطيب

٤٦ دمشق (قصيدة) . . . . للأستاذ عبد الرحمن جبيرو

٥٠ الكتب : الإسلام والصحابة الكرام ، الفاروق القائد ، الشيخ أرسلان الدمشقي ، أخلاق الوزيرين للأستاذ العظمة

٦٠ إثبات الشهر بالإذاعة ، السحر ، أحاديث صحيحة ، البعث بعد الموت . للأساتذة : الشطي ، والخطيب ، والعظمة

٦٩ القصص: لماذا يلحد بعض المساكين؟ للأستاذ وهبي سليمان الألباني
• مصادر القصص القرآني . . للعليم عبد الغني الراجحي
٨٦ في المجتمع : ترجمة القرآن الكريم في ألمانيا ، كتب إسلامية ، تقرير عن اليابان ، الهيئة العربية العليا لفلسطين . قلم المجلة
٨٨ من أنباء العلم: الطب خلال عشرين سنة قادمة (عن الأخبار)

ثبت الاجزاء ٥ - ٨

٨٩ التفسير : نعم الله ووحدانيته للأستاذ أحمد مظهر العظمه
١٠٨ السنة . . . . . للأستاذ محمد كمال الخطيب
١١٥ الأحاديث الضعيفة والموضوعة . . . للأستاذ الشيخ ناصر الدين الألباني . . . .
١٢٣ بحوث متنوعة : اليهود في التوراة والقرآن . للأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار . . . .
١٢٨ كيف اكتشف العرب أميركا للسيد صبري فريد البديوي
١٣٦ من أنباء العلم : صورة في كتاب ، السرطان ، أسرار الشيخوخة ، استخدام الصواريخ ، القلب الاصطناعي ، السمك في خدمة الإنسان ، جهاز جديد للكشف عن القلب ، تحليل الأظافر لتشخيص مرض وراثي . قلم المجلة
١٣٩ القصص : بشر القاتل بالقتل للواء الركن محمود شيت خطاب
١٤٥ رحلة في لبنان . . . للأستاذ الشيخ صلاح الدين الزعيم
١٤٨ عثمان بن عفان . . . . . . للأستاذ رشيد عالي جاسم
١٥٦ أبو عبيدة بن الجراح . . . للأستاذ سالم سعيد الصميدعي
١٧١ الكتب : نصوص حديثية في الثقافة العامة . . . للأستاذ ناصر الدين الألباني . . . .
١٧٥ من الشرق ومن الغرب . . . . . قلم المجلة

ثبت الاجزاء ٩ ـ ١٢

١٧٧ محمد ﷺ . . . . . . الأستاذ أحمد مظهر العظمة

١٨٠ السنة : الرسول يصبّر أصحابه » » » »

١٨٩ البحوث : الفلسفة اليونانية وضلالها . . للأستاذ محمود مهدي

٢٠١ ابن قيم الجوزية . . . للأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار

٢٠٦ السلام والحرب . . . للأستاذ الشيخ صلاح الدين الزعيم

٢٢٠ من ثمرات الكتب : بين الحياتين للعليم محمد حسين هيكل

٢٢١ الشعر : الليل . . . . . للأستاذ مزيد الخطيب

٢٢٣ الصحف : حضارة دار السلام . . للأستاذ جميل نخلة المدور

٢٤١ الكتب: قادة فتح الشام ، أبو موسى الأشعري للأستاذ العظمة

٢٤٣ في المجتمع : حول فلسطين ، مصرف للعقول ، السياحة ، مسجد في ميونيخ ، الأدب المعاصر والفصاحة ، الصيد بالصقور ، افتراءات مجلة شيترن الألمانية . . . قلم المجلة

٢٤٨ الفتاوى : تحريم الصلح مع إسرائيل للجنة الفتوى في الأزهر

٢٥٦ نداء عمر بن الخطاب (رض) سارية . . الأستاذ العظمة

٢٥٧ القصص : طرفة . . . . للأستاذ حسني كنعان

٢٦١ من أنباء العلم: النخر السني ، عملية جراحية بالشحنة الكهربائية حول دوران الأرض ، دم لا لون له ، البصل . . قلم المجلة

٢٦٤ روح عن نفسك . . . . قلم المجلة

ثبت الأجزاء ١٣ - ١٦

٢٦٥ التفسير : من قدرة الله للأستاذ أحمد مظهر العظمه
٢٧٨ السنّة : النصيحة في الإسلام الأستاذ محمد سليمان قدمري
٢٨٨ الأحاديث الضعيفة والموضوعة للأستاذ الشيخ ناصر الدين الألباني
٢٩٥ بحوث منوعة : ابن القيم ينفي الاعتذار بالقدر . للأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار ... ...
٣٠١ النقص الأدبي ... ... للأستاذ محمد الغزالي
٣٠٢ مفاهيم سليمة ... للأستاذ الشيخ محمد علي الزعبي
٣١٢ كتابة للتسلية ... ... للأستاذ البهي الخولي
٣١٣ الرد على الجبرية ! ... للأستاذ محمود مهدي استانبولي
٣١٩ نظرة عامة في سورة الإسراء الأستاذ عبد الرحمن الباني
٣٢٥ مشاهد وخواطر ... للأستاذ أحمد ياسر نصري
٣٣٠ كوكب علمي أفل ... للأستاذ حسني كنعان
٣٣٥ القصص: أبو عبيدة بن الجراح للأستاذ سالم سعيد الصميدعي
٣٥١ الشعر : وأد البنات ... السيد محمد مأمون عابدين

ثبت الأجزاء ١٧ - ٢٠

٣٥٣ معراج المصطفى ﷺ . . الأستاذين محمود مهدي استانبولي وخير الدين وانلي . . . .
٣٨٠ الإسراء والمعراج (قصيدة) للأستاذ عبد الحكيم جبران
٣٨٢ خواطر في الإسلام (قصيدة) . . . للأستاذ محمود جبر
٣٨٣ يا تلاميذ محمد (قصيدة) . . للأستاذ خير الدين وانلي

٣٨٤ القدس (قصيدة) . . . . للأستاذ مزيد الخطيب
٣٨٧ تبيين للناس . . . للأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار
٣٩٢ قرية ظالمة . . . . للأستاذ محمد كمال الخطيب
٣٩٦ الديمقراطية . . . . الأستاذ عباس محمود العقاد
٣٩٧ نار من ماء . . . . للأستاذ ياسر نصري
٣٩٩ دين علم وعمل . . . للأستاذ الشيخ طنطاوي جوهري
٤٠٠ أسرار الحياة في معاني الطبيعة . . . للشاعر إقبـــال
٤٠٢ الأطفال في المساجد . . . الأستاذ محمود مهدي استانبولي
٤٠٥ تلاميذ القاسمي . . . . . الأستاذ حسني كنعان
٤١٢ المكافأة . . . .
٤١٤ القصص : الرصاصة العادلة للواء الركن محمود شيت خطاب
٤١٨ من الضلالة إلى الهداية . . . للأستاذ محمد سليمان تدمري
٤٢٧ كهرباء الغيرة . . . . للأستاذ محمد الغزالي
٤٢٨ الفتاوى : رقص الأحباش ، رؤيا الشيخ أحمد للأستاذ العظمة
٤٣٠ مقام إبراهيم وتأخيره عن موضعه للأستاذ محمد كمال الخطيب
٤٣٤ في المجتمع: المرحوم عبد اللطيف العثمان » » » »
٤٣٥ حول الشريعة الإسلامية ، معرض عالمي حضاري ، المركز الاسلامي في واشنطن ، أثرياء اليهود . . قلم المجلة
٤٣٨ من أنباء العلم : رحلة الفضاء . . . . . . قلم المجلة

ثبت الأجزاء ٢١ - ٢٤

٤٤١ بمناسبة ذكرى الاسراء . . . للأستاذ أحمد مظهر العظمة
٤٤٢ فوائد العبادات . . . للأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار
٤٤٦ معاملة الناس التجـــارية الأستاذ الشيخ محمد أمين الطاهر

٤٥٠ عالم شيطان . . . . للأستاذ عبد الله الحضرمي
٤٥١ القرآن الكريم ودوران الأرض للأستاذ ياسر نصري
٤٥٤ المهلبيون . . . . للأستاذ إحسان النمر
٤٦٤ التخطيط . . . . للأستاذ سعدي أبو جيب
٤٦٥ صرخة من جهنم . . . . للشاعر المرحوم إقبـال
٤٦٨ الغرام في الإسلام . . . . . للأستاذ عبد الحليم عويس
٤٦٩ ابن خلدون كاتب وشاعر . . للأستاذ عبد الرحمن الباني
٤٧٤ الزوجية في الإسلام . . الأستاذ الشيخ محمد البشير النفير
٤٨٣ من ثمرات الصحف : الأشهر الحرم . . . .
٤٨٦ الشعر : صرخة فلسطين . . . للأستاذ مزيد الخطيب
٤٩٢ من ضحايا الكأس . . . . . للأستاذ بديـع المعلم
٤٩٥ الكتب : ضوابط المصلحة في الشريعة الاسلامية الأستاذ
محمود مهدي استانبولي . . . .
٥٠٣ قادة فتح المغرب العربي . . الأستاذ أحمد مظهر العظمة
٥٠٥ طريق النصر . . . . . « « « «
٥٠٦ الفتاوى : تعارض العام والخاص « « « «
٥٠٧ من أنباء العلم : رحلات الفضاء ، قبة هائلة تفيض بالنجوم ،
جهاز الكتروني ، مضخة قلبية . . . . . . قلم المجلة
٥١٠ في المجتمع : بيان الهيئة العربية العليا لفلسطين ، باكستان
مع العرب ، حول القضية الفلسطينية الخ . . قلم المجلة
٥١٧ روّح عن نفسك . . . . قلم المجلة
٥١٨ كنيسة تصبح مسجدا . . . . قلم المجلة
٥١٩ من ثمرات الكتب : عوامل ضعف إسرائيل للواء الركن
محمود شيت خطاب . . . .

ثبت الأجزاء ٢٥ - ٢٨

٥٢٩ التفسير : التقوى والغيب . . . للأستاذ أحمد مظهر العظمة

٥٥١ بحوث منوعة : أدلة على عناية الله تعالى بعباده ورحمته إياهم للأستاذ وهبي سليمان الألباني . . . .

٥٥٨ أهذا من عرفت . . . للأستاذ محمد كمال الخطيب

٥٦٠ السلاجقة يجددون قوى الإسلام والسنة الأستاذ إحسان النمر

٥٦٧ لا قنوط . . . . . للمرحوم الأستاذ محمد الغزالي

٥٦٨ من روائع إقبال : الأرض لله . . . .

٥٧١ الفقيد السباعي . . . . . للسيد محمد الذهبي

٥٧٣ من حال الدنيا . . . . . . قلم المجلة

٥٧٤ الشعر : الشاعرية . . . . . . للأستاذ مزيد الخطيب

٥٧٥ هكذا قالت السنابل (قصيدة) الأستاذ بديع المعلم

٥٧٩ الكتب : نقد نصوص حديثية في الثقافة . . للأستاذ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني . . . .

٦٠٥ القصص : أبو عبيده بن الجراح الأستاذ سالم سعيد الصميدعي

٦١٥ الفتاوى : ذو القرنين والمغرب . . . . . . قلم المجلة

ثبت الأجزاء ٢٩ - ٣٢

٦١٧ التفسير : الصوم المثمر . . . للأستاذ أحمد مظهر العظمة

٦٢٢ السنّة : حب الدنيا . . . للأستاذ محمد كمال الخطيب

٦٣٠ بحوث متنوعة : التربية الإسلامية للأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار

٧١٤ سرّ الدم المكتوم . . للأستاذ الشيخ محمد علي الزعبي
٧٢١ آراء ابن خلدون الأدبية والنقدية للأستاذ عبد الرحمن الباني
٧٣٤ رأي جديد في علم النفس للأستاذ محمود مهدي استانبولي
٧٤٨ أقباس من بدر . . . . . للأستاذ رشيد عالي جامم
٧٥٥ لحم الخنزير . . . . . للأستاذين أحمد ياسر نصري
وشاهين شاهين باشا . . . .
٧٦٠ من أخلاق النبوة . . . . . للأستاذ محمد الغزالي
٧٦٤ من ثمرات الصحف : يوم أُحد للأستاذ الشيخ مصطفى مجاهد
٧٦٩ في المجتمع : وفاة عالمين جليلين ، تأجيل موعد جلاء
القوات البريطانية . . . . قلم المجلة
٧٧٠ في رياض الشعر : الحديقة . . . للأستاذ بديع المعلم
٧٧٢ نُصرة (قصيدة) . . . . . . للأستاذ مزيد الخطيب
٧٧٣ الكتب : أدبنا وأدباؤنا في المهجر للأستاذ سيف الدين رحال
٧٧٩ ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية . . للأستاذ
محمود مهدي استانبولي . . . .
٧٨٨ القصص : أغرب الوصايا . . . للأستاذ حسني كنعان
٧٩٢ من عجائب الروحانيات للحكيم الشيخ طنطاوي جوهري

ثبت الأجزاء ٣٧ — ٤٠

٧٩٣ فريضة الحج . . . . . الأستاذ أحمد مظهر العظمة
٧٩٦ بحوث متنوعة : برّ الوالدين والأرحام للأستاذ إحسان النمر
٨٠٧ العهود والمواثيق . . . للأستاذ الشيخ أحمد نصيب المحاميد

٦٣٤ هل الإنسان خليفة الله في الأرض للأستاذ محمود مهدي استانبولي
٦٣٧ مراقبة ودعوة . . . . للسيدة صبيحة حداد
٦٤١ ثمرات الصحف : الصوم وتربية النفس للأستاذ عبد الكريم جاويش
٦٤٨ نصيحة . . . . للعلم محمد مظهر سعيد
٦٥٥ من ثمرات الكتب : الصوم والطب للأستاذ شوكة موفق الشطي
٦٦٤ في رياض الشعر : حومة . . . للأستاذ مزيد الخطيب
٦٦٦ سأحدو العيس (قصيدة) . . . الأستاذ بديع المعلم
٦٧٠ بين المجلة وقرائها : تلاميذ القاسمي للسيد لطفي الحفار
٦٧٢ الكتب : البدانة وفرط الوزن الأستاذ محمد كمال الخطيب
٦٧٦ رمضان (قصيدة) . . . الأستاذ أحمد مظهر العظمة
٦٧٧ القصص : دواء القدر . . . للواء الركن محمود شيت خطاب
٦٨١ أبو عبيدة بن الجراح . . . للأستاذ سالم سعيد الصميدعي
٦٨٩ الفتاوى : المسجد الأقصى، حكم زكاة الدين للأستاذ العظمة
٦٩٢ في المجتمع : أسبوع العلم السابع ، استنكار تدويل مدينة القدس ، الدراسات العربية في باكستان . . . قلم المجلة
٦٩٤ من أنباء العلم : نشرة صناعية ، لصق الجراح ، إنسان على سطح القمر ، التنضيد الالكتروني للحرف الخ . . قلم المجلة
٦٩٧ كل شيء . . . . قلم المجلة
٧٠١ من الشرق ومن الغرب . . . . قلم المجلة
٧٠٤ روح عن نفسك . . . . قلم المجلة

ثبت الأجزاء ٣٣ - ٣٦

٧٥٥ المقدمة : حول التطور والتربية للأستاذ أحمد مظهر العظمة
٧٠٨ بحوث منوعة : دين ومدنية الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار

٨١٣ رأي جديد في علم النفس الأستاذ محمود مهدي استانبولي
٨٢٢ آراء ابن خلدون الأدبية والنفسية الأستاذ عبد الرحمن الباني
٨٤٤ من ثمرات الكتب : السن والعقد النفسية للعليم أمين رويحه
٨٥٢ الشعر : رحلة في قطار . . . . الأستاذ بديع المعلم
٨٦٢ من الطرف . . . . قلم المجلة
٨٦٣ الكتب : ضوابط المصلحة في الشريعة الاسلامية للأستاذ محمود مهدي استانبولي . . . .
٨٦٩ الفتاوى : الزكاة للأقــارب . . . . قلم المجلة
٨٧١ الثبت العـــام للمجلة . . . .

والحمد لله رب العالمين

مجلة التمدن الإسلامي

الإدارة : دمشق الدرويشيه

الهاتف : ١٥١٢٠

سنة المجلة ٤٠ جزءاً في عشر نسخ غالباً وقد يلحق بها كتاب .

بدء السنة : المحرّم من كل عـــام

قيمة الاشتراك : ٨ ليرات في سورية ولبنان جنيه أو دينار خارجهما ٢٥ ل.س للدوائر الرسمية في سورية . ٥ ل.س لسواها

ريع المجلة : يردّ لجمعية التمدن الإسلامي لينفق في تحسين المجلة والمشروعات الخيرية ...